

# مُتَلَفَاتُ الْعَلَّامَةِ ابْنِ حَسَلَدُون

---

كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَرِ الْمَعَانِي وَتَحَدُّ فَوَائِدِ الْمُقَنَّنِيَّةِ  
فَلَا تَعْجَبْ لِهَآئِكَ الْمُبَانِي فَإِنَّ الْبَحْرَ كُلَّ الدُّرَفِيَّةِ

---

رُوجِعَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِمَعْرِفَةِ لَجْنَةِ مِنَ الْجَامِعِيِّينَ

---

(حقوق الطبع محفوظة)

دارُ الكَشْفِ  
لِلنَّشْرِ وَالطَّبَاعَةِ وَالتَّوْزِيعِ  
بيروت - لبنان





# مُتَلَكِّفَاتُ الْعَلَّامَةِ ابْنِ حَسَلَدُون

---

كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَرِ الْمَعَانِي وَتَحَدُّ فَوَائِدِ الْمُقَنَّنِيهِ  
فَنَلَا تَعَجُّبٌ لَهَا نِيكَ الْمُبَانِي فَإِنَّ الْبَحْرَ كُلَّ الذَّرْفِيهِ

---

رُوجِعَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِمَعْرِفَةِ لَجْنَةِ مِنَ الْجَامِعِيِّينَ

---

(حقوق الطابع محفوظة)

المجلد الأول  
من

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

في  
أيام العرب والعجم والبربر

تمت بحمد الله تعالى سنة ١٢٨٦

وهو  
تاريخ وحيد عصره البسلامة

عبد الرحمن بن خلدون

المغربي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَنِيِّ بِطَائِفِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ خَلْدُونٍ  
الْحَضَرَمِيِّ وَفَقَّهُ اللَّهُ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْغَزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ \* وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ \* وَلَهُ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَى وَالنُّعُوتُ \* الْعَالِمِ فَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ مَا تُظْهِرُهُ النَّجْوَى أَوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ \* الْقَادِمِ  
فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَفُوتُ \* أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَبًا \* وَاسْتَعْمَرَنَا  
فِيهَا أَجْيَالًا وَأَمَّا وَيَسِّرَ لَنَا مِنْهَا أَرْزَاقًا وَقِسَمًا \* تَكُنُّنَا الْأَرْحَامُ وَالْيُتُوتُ \* وَيَكْفُلُنَا  
الرِّزْقُ وَالْقُوتُ \* وَتُبَلِّغُنَا الْأَيَّامَ وَالْوُقُوتُ \* وَتَعْتَرِدُنَا الْآجَالَ الَّتِي نُحِطُّ عَلَيْهَا الْمَوُتُ  
وَلَهُ الْبَقَاءُ وَالشُّبُوتُ \* وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ \* وَالصَّلَاةُ وَاللَّامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا  
مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الرَّبِّيِّ الْمَكْتُوبِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْمَنْعُوتِ \* الَّذِي تَمَحَّضَ لِقِصَالِهِ  
الْكُونُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْأَحَادُ وَالشُّبُوتُ \* وَيَتَبَايَنَ زَحْلُ وَالْيَهُمُوتُ <sup>(١)</sup> \* وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
الَّذِينَ لَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ وَالصِّيتُ \* وَالشَّمْلُ الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرَتِهِ وَلِعْدُوهِمْ  
الشَّمْلُ الشَّتِيتُ \* صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا اتَّصَلَ بِالْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمَبْعُوتُ \* وَأَنْقَطَعَ  
بِالْكُفْرِ حَبْلُهُ الْمَبْتُوتُ \* وَسَلَّمْ كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْقُنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهُ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ وَتُنْشَدُ إِلَيْهِ  
الرَّكَائِبُ وَالرَّحَالُ \* وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّوقَةُ وَالْأَغْغَالُ \* وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ  
وَالْأَقْيَالُ \* وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَّالُ \* إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ

(١) قوله اليهموت هو النون اي الحوت التي على ظهره الارض السابعة ويسمى ايضا لوتيا كما في  
الزهر وروح البيان واللهجة ومعلوم ان بينه وبين زحل التي هو في الفلك السابع بونا بعيدا وقال الشهاب  
الحفاجي في حاشيته على البيضاوي اه في اول سورة نون اليهموت بفتح النون التحنية وسكون الهاء وما اشتهر  
من انه بالباء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل المحمدي ومثله في روح البيان قاله نصر الهوريني اقره  
المصحح الثاني .



عَنْ الْأَيَّامِ وَالْأَدْوَلِ \* وَالسَّوَابِقِ مِنَ الثُّرُونِ الْأَوَّلِ \* تَنْمُو فِيهَا الْأَقْوَالُ \* وَتُضْرَبُ فِيهَا  
 الْأَمْثَالُ \* وَتُطَارَفُ بِهَا الْأَنْدِيَّةُ إِذَا غَضَّهَا الْإِحْتِفَالُ \* وَتُؤَدِّي لَنَا شَأْنَ الْحَلِيقَةِ كَيْفَ  
 تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ \* وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا النِّطَاقُ وَالْمَجَالُ \* وَعَمَّرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى  
 بِهِمُ الْإِرْتِفَالُ \* وَحَانَ مِنْهُمْ الرِّوَالُ \* وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ \* وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ  
 وَمَبَادِنِهَا دَقِيقٌ \* وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ \* فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ  
 عَرِيقٌ \* وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُعَدَّ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ \* وَإِنَّ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْإِسْلَامِ قَدْ  
 اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا \* وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ الدِّفَاقِ وَأَوْدَعُوهَا \* وَخَلَطُوهَا  
 الْمُتَطَنِّلُونَ بِدَسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا \* وَزَخَّارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضَعَّفَةِ  
 لَقُوهَا وَوَضَعُوهَا \* وَاقْتَفَى تِلْكَ الْآثَرَ الْكَثِيرُ يَمْنُ بَعْدَهُمْ وَاتَّبَعُوهَا \* وَأَدَّوْهَا إِلَيْنَا كَمَا  
 سَمِعُوهَا \* وَلَمْ يُبْلَا حُطُوهَا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعَوْهَا \* وَلَا رَفَضُوا ثُرَاهَا  
 الْأَجَادِيثَ وَلَا دَفَعُوهَا \* فَاتَّحَقَّقَ قَلِيلٌ \* وَطَرَفُ التَّنْقِيحِ فِي الْعَالِيَةِ قَلِيلٌ \* وَالْعَاطِلُ وَالْوَهْمُ  
 نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ \* وَالْتَقْلِيدُ عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيِّينَ وَسَلِيلٌ \* وَالْتَطَلُّ عَلَى الْفُنُونِ  
 عَرِضٌ طَوِيلٌ \* وَمَرَعَى الْجَوْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِمٌ وَبِيلٌ \* وَالْحَقُّ لَا يُقَاوَمُ سُلْطَانَهُ \* وَالْبَاطِلُ  
 يُقْذَفُ بِشَهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ \* وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ يُنْبِئُ وَيَنْتَقِلُ \* وَالْبَصِيرَةُ تَنْقُذُ الصَّحِيحَ  
 إِذَا تَمَقَّلَ \* وَالْعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَيَضَعُلُ

هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَأَكْثَرُوا \* وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ وَالْأَدْوَلِ فِي  
 الْعَالَمِ وَسَطَرُوا \* وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِنُضْلِ الشُّهُرَةِ وَالْإِمَامَةِ الْمُعْتَبَرَةِ \* وَاسْتَفْرَغُوا دَوَائِنَ  
 مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمَتَأَخِرَةِ \* هُمْ قَلِيلُونَ لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنَامِلِ \* وَلَا  
 حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ \* مِثْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ وَالطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْكَلْبِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ  
 وَسَيْفِ بْنِ عُمرِ الْأَسَدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ \* الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ الْجَمَاهِيرِ \* وَإِنْ كَانَ  
 فِي كُتُبِ الْمُسَوَّدِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْعَنِ وَالْمَغْتَرِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ \*  
 وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْخَفِطَةِ الْقَاتِ \* إِلَّا أَنَّ الْكَافَّةَ اخْتَصَّتْهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ \* وَاقْتِفَاءُ  
 سُنَنِهِمْ فِي التَّضْيِيفِ وَاتِّبَاعُ آثَارِهِمْ \* وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قِسْطَاسُ نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ فِيمَا يَنْقُلُونَ  
 أَوْ اعْتَبَارِهِمْ \* فَلِلْعَمْرَانِ طَبَائِعُ فِي أَحْوَالِهِ تُرْجَعُ إِلَيْهَا الْأَخْبَارُ \* وَتُحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ



وَالْآثَارُ \* ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ لَهُوْلَاءُ عَامَّةُ الْمَنَاجِحِ وَالْمَسَالِكِ \* لِعُثُومِ الدَّوْلَتَيْنِ  
صَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ وَالْمَسَالِكِ \* وَتَنَاقُلَهَا الْبَعِيدَ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الْمَآخِذِ وَالْمَتَارِكِ  
وَمِنْ هُوْلَاءُ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ الِئَلَةِ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ \* وَالْأَمْرِ الْعَمَمِ \* كَالْمَسْعُودِيِّ  
وَمَنْ نَحَا مَنَحَاهُ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ وَوَقَفَ فِي الْعُثُومِ  
وَالْإِحَاطَةِ عَنِ الشَّأْوِ الْبَعِيدِ \* فَقَيَّدَ شَوَارِدَ عَصْرِهِ \* وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَفْقِهِ وَقُطْرِهِ \*  
وَأَقْتَصَرَ عَلَى تَلْرِيحِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ \* كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانٍ مُوَرِّخُ الْأَنْدَلُسِ وَالِدَوْلَةُ الْأُمَوِيَّةِ  
بِهَا وَابْنُ الرَّفِيقِ مُوَرِّخُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالِدَوْلَةُ أَنْتِي كَانَتْ بِالْقَيْدَوَانِ ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ  
هُوْلَاءُ إِلَّا مُقَلِّدٌ \* وَبَلِيدُ الطَّبَعِ وَالْعَقْلِ أَوْ مُتَبَايِدٌ \* يَنْسِجُ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ \* وَيَحْتَدِي  
مَنْهُ بِالْمِثَالِ \* وَيَذْهَلُ عَمَّا أَحَاطَهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ \* وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأُمَمِ  
وَالْأَجْيَالِ \* فَيَجْلِبُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ \* وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْعُصُورِ الْأَوَّلِ \* صَوْرًا  
قَدْ تَجَرَّكَتْ عَنْ مَوَادِّهَا \* وَصَاحَا أَنْضِيتْ مِنْ أَغْمَادِهَا \* وَمَعَارِفَ تُسْتَكْرُ لِلْجُلِ  
بِطَارِفِهَا وَتِلَادِهَا \* إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تُعْلَمْ أَصُولُهَا \* وَأَنْوَاعٌ لَمْ تُعْتَبَرِ أَجْنَاسُهَا وَلَا تَحَقَّقَتْ  
فُصُولُهَا \* يُكْرَرُونَ فِي مَوْضُوعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمُتَدَاوِلَةَ بِأَعْيَانِهَا \* اتِّبَاعًا لِمَنْ عَنِ مِنْ  
الْمُتَقَدِّمِينَ بِشَائِنِهَا \* وَيُغْضِلُونَ أَمْرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةِ فِي دِيَوَانِهَا \* بِمَا أُعْزِرَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
تَرْجَائِنِهَا \* فَتُسْتَعْجَمُ صُحُفُهُمْ عَنْ بَيَانِهَا \* ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ الدَّوْلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا \*  
مُحَافِظِينَ عَلَى نَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ صِدْقًا \* لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَائِيَّتِهَا \* وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي  
رَفَعَ مِنْ رَأْيَتِهَا \* وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا \* وَلَا عِلَّةَ انْقِرَافِ عِنْدَ غَايَتِهَا \* فَيَبْقَى النَّظَرُ مُتَطَلِّمًا بَعْدُ  
إِلَى اتِّقَادِ أَحْوَالِ مَبَادِي الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا \* مُقْتَسًا عَنْ أَسْبَابِ تَرَاخُصِهَا أَوْ تَعَاقُبِهَا \*  
بَاحِثًا عَنِ الْمُقْبِيعِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُلِهَا \* حَسْبَمَا نَذَكُرُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ  
ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطٍ الْإِخْتِصَارِ \* وَذَهَبُوا إِلَى الْإِكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَالْأَنْصَارِ \*  
مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ \* مَوْضُوعَةً عَلَيْهِمْ أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْأُمْبَارِ \* كَمَا فَعَلَهُ  
ابْنُ رَشِيْقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ \* وَمَنْ أَقْتَفَى هَذَا الْأَثَرَ مِنَ الْهَمَلِ \* وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوْلَاءُ  
مَقَالٌ \* وَلَا يُعَدُّ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ \* لِمَا أَذْهَبُوا مِنَ الْفَوَائِدِ \* وَأَخْلَوْا بِالْمَذَاهِبِ  
الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَلَمَّا طَالَعْتُ كُتُبَ الْقَوْمِ \* وَسَبَّحْتُ غُورَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ \* نَبَّهْتُ عَيْنَ الْقَرِيحَةِ مِنْ



سِنَّةُ الْعَقْلَةِ وَالنُّومِ \* وَسِمْتُ التَّضْيِيفَ مِنْ نَفْسِي وَأَنَا الْمَغْنَمُ أَحْسَنُ السُّرْمِ \* فَأَنْشَأْتُ  
فِي التَّارِيخِ كِتَابًا \* رَفَعْتُ بِهِ عَنْ أَحْوَالِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَجْيَالِ حِجَابًا \* وَفَصَّلْتُ فِي  
الْأَخْبَارِ وَالْإِعْتِبَارِ بَابًا \* وَأَبْدَيْتُ فِيهِ لِأَوَّلِيَّةِ الدُّوَلِ وَالْعُمَرَانِ عِلَالًا وَأَسْبَابًا \* وَبَنَيْتُهُ  
عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ عَمَرُوا الْمَغْرِبَ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ \* وَمَلَأُوا أَكْثَافَ الضَّرَاحِي  
مِنْهُ وَالْأَمْصَارِ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الطُّوَالِ أَوْ الْإِصَارِ \* وَمَنْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ  
وَالْأَنْصَارِ \* وَهُمَا الْعَرَبُ وَالْبَرْبُرُ \* إِذْ هُمَا أَلْيَلَانِ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْمَغْرِبِ مَأْوَاهُمَا  
وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَقْبَابِ مَشْوَاهُمَا \* حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَصَوَّرُ فِيهِ مَا عَدَاهُمَا \* وَلَا يَعْرِفُ  
أَهْلُهُ مِنْ أَجْيَالِ الْأَدَمِيَّتَيْنِ سِوَاهُمَا \* فَهَدَيْتُ مَنَاحِيَهُ تَهْدِيًا \* وَقَرَّبْتُه لِأَفْهَامِ الْعُلَمَاءِ  
وَالْخَاصَةِ تَقْرِيًا \* وَسَلَكْتُ فِي تَرْبِيهِ وَتَقْوِيهِ مَسْلَكًا غَرِيبًا \* وَأَخْتَرَعْتُ مِنْ بَيْنِ  
الْمَنَاحِي مَذْهَبًا عَجِيبًا \* وَطَرِيقَةً مُبْتَدَعَةً وَأَسْلُوبًا \* وَشَرَحْتُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَانِ وَالْثَمَدُنِ  
وَمَا يَغْرِضُ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِي مِنَ الْعَوَارِضِ الدَّائِيَةِ مَا يُسْتَعْيَكُ بِغُلِّ الْكَوَائِنِ  
وَأَسَابِيهَا \* وَيُعْرِفُكَ كَيْفَ دَخَلَ أَهْلُ الدُّوَلِ مِنْ أَبْوَابِهَا \* حَتَّى تَتَرَعَ مِنَ التَّقْلِيدِ يَدُكَ \*  
وَتَقِفَ عَلَى أَحْوَالِ مَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَجْيَالِ وَمَا بَعْدَكَ وَرَتَّبْتُه عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَلَاثَةِ كُتُبٍ  
الْمُقَدِّمَةُ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلْمَاعِ بِمَغَالِطِ الْمُؤَرِّخِينَ  
الْكِتَابُ الْأَوَّلُ فِي الْعُمَرَانِ وَذِكْرُ مَا يَغْرِضُ فِيهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الدَّائِيَةِ مِنَ  
الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَمَا لِدَلِكُ مِنَ الْعِلَالِ وَالْأَسْبَابِ  
الْكِتَابُ الثَّانِي فِي أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَجْيَالِهِمْ وَدَوْلِهِمْ مُنْذُ مَبْدَأِ الْخَلِيقَةِ إِلَى هَذَا  
الْعَهْدِ وَفِيهِ مِنَ الْإِلْمَاعِ بَعْضُ مَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَشَاهِيرِ وَدَوْلِهِمْ مِثْلَ النَّبِطِ  
وَأَسِيرْيَانِيَّتَيْنِ وَالْفُرْسِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقَبْطِ وَالْيُونَانِ وَالرُّومِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْإِفْرَنْجَةِ  
الْكِتَابُ الثَّلَاثُ فِي أَخْبَارِ الْبَرْبُرِ وَمَوَالِيهِمْ مِنْ زَنَاتَةٍ وَذِكْرُ أَوَّلِيَّتِهِمْ وَأَجْيَالِهِمْ  
وَمَا كَانَ بِدِيَارِ الْمَغْرِبِ خَاصَةً مِنَ الْمُلْكِ وَالدُّوَلِ ثُمَّ كَانَتْ الرِّحْلَةُ إِلَى الْمَشْرِقِ  
لِاجْتِمَاءِ أَنْوَارِهِ \* وَقَضَاءِ الْهَرَضِ وَالسُّنَّةِ فِي مَطَافِهِ وَمَزَارِهِ \* وَالْوُقُوفِ عَلَى آثارِهِ فِي دَوَائِرِهِ  
وَأَسْفَارِهِ \* فَزِدْتُ مَا نَقَصَ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْحَجَمِ بِتِلْكَ الدِّيَارِ \* وَدَوْلِ الْأَنْدَلُسِ فِيْمَا  
مَلَكَوهُ مِنَ الْأَقْطَارِ \* وَاتَّبَعْتُ بِهَا مَا كَتَبْتُهُ فِي تِلْكَ الْأَسْطَارِ \* وَأَدْرَجْتُهَا فِي ذِكْرِ  
لِعَاصِرِينَ لِتِلْكَ الْأَجْيَالِ مِنْ أُمَمِ النَّوَاحِي \* وَمُلُوكِ الْأَمْصَارِ وَالضَّرَاحِي \* سَالِكًا سَبِيلَ



الِإِخْتِصَارِ وَالتَّلْخِصِ \* مُقْتَدِيًا بِالْعَرَامِ السَّهْلِ مِنَ الْعَوِيصِ \* دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْأَسْبَابِ  
عَلَى الْعُمُومِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَلَى الْخُصُوصِ فَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْحَلِيقَةِ اسْتِيعَابًا \* وَذَلِكَ مِنْ  
الْحِكْمِ النَّافِرَةِ صَعَابًا \* وَأَعْطَى لِحَوَادِثِ الدُّوَلِ عِلَالًا وَأَسْبَابًا \* فَأَصْبَحَ لِلْحِكْمَةِ صَوَانًا \*  
وَلِلتَّارِيخِ جِرَابًا

وَلَمَّا كَانَ مُشْتَبِلًا عَلَى أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبِ \* مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ وَالْوَبْرِ \* وَالْإِلْمَاعِ  
بَيْنَ عَاصِرِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ الْكَبِيرِ \* وَأَفْصَحَ بِإِذْكَرَى وَالْبَعْرِ \* فِي مُبْتَدِئِ الْأَحْوَالِ وَآ  
بَعْدَهَا مِنَ الْخَبَرِ \* سَمِيئُهُ كِتَابَ الْعَبْرِ \* وَدِيَوَانَ الْمُبْتَدِئِ وَالْخَبَرِ \* فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ  
وَالْبَرْبِ \* وَمَنْ عَاصِرُهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ \* وَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا فِي أَوَّلِيَةِ الْأَجْيَالِ  
وَالدُّوَلِ \* وَتُعَاصِرِ الْأُمَمِ الْأَوَّلِ \* وَأَسْبَابِ التَّصَرُّفِ وَالْحَوْلِ \* فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْمِلَلِ \*  
وَمَا يَغْرِضُ فِي الْعُمَرَانِ مِنْ دَوْلَةٍ وَمِلَّةٍ \* وَمَدِينَةٍ وَحِلَّةٍ \* وَعِزَّةٍ وَذِلَّةٍ \* وَكَثْرَةٍ وَقِلَّةٍ \* وَعِلْمٍ  
وَصِنَاعَةٍ \* وَكَسْبٍ وَإِضَاعَةٍ \* وَأَحْوَالٍ مُتَقَلِّبَةٍ مُشَاعَةٍ \* وَبَدْوٍ وَحَضَرٍ \* وَوَاقِعٍ وَمُنْتَظَرٍ \*  
إِلَّا وَاسْتَوْعَبْتُ جُمْلَتَهُ \* وَأَوْضَحْتُ بَرَاهِينَهُ وَعِلَالَهُ \* فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ فَذَا بِمَا ضَمَّتْهُ مِنْ  
الْعُلُومِ النَّزِيَّةِ \* وَالْحِكْمِ الْمَجْجُوبَةِ الْقَرِيبَةِ \* وَأَنَا مِنْ بَعْدِهَا مُوقِنٌ بِالْقُصُورِ \* بَيْنَ أَهْلِ  
الْعُصُورِ \* مُعْتَرِفٌ بِالْحِجْرِ عَنِ الْمَضَاءِ \* فِي مِثْلِ هَذَا الْقَضَاءِ \* رَاغِبٌ مِنْ أَهْلِ أَلْيَدِ الْيَضَاءِ \*  
وَالْمَعَارِفِ الْمُنْتَسِعَةِ الْإِضَاءِ \* فِي النَّظَرِ بَعَيْنِ الْإِنْتِقَادِ لَا بَعَيْنِ الْإِرْتِضَاءِ \* وَالتَّعُدُّ لِمَا  
يَعُتْرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْإِغْضَاءِ \* فَالِضَّاعَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مُرْجَاةٌ \* وَالْإِعْتِرَافُ  
مِنَ اللَّزْمِ مَنْجَاةٌ \* وَالْحَنَى مِنَ الْإِخْوَانِ مُرْتَجَاةٌ \* وَلِلَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً  
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْفَيْتُ عِلَاجَهُ \* وَأَثَرْتُ مِشْكَاتَهُ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ وَأَذْكَيْتُ سِرَاجَهُ \*  
وَأَوْضَحْتُ بَيْنَ الْعُلُومِ طَارِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ \* وَأَوْسَعْتُ فِي فِضَاءِ الْمَعَارِفِ نِطَاقَهُ وَأَدْرْتُ  
سِيَاحَهُ \* أَتَحَنَّنْتُ بِهَذِهِ النُّسَخَةِ مِنْهُ <sup>(١)</sup> خِرَانَةَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْإِمَامِ الْمُجَاهِدِ \* الْقَاتِحِ

(١) قوله اتحننت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله اتحننت  
وبعد قوله وادرت سياجه ونصها التمسث له الكف الذي بلغ بعين الاستبصار فتونه . ويلحظ عبارته  
الفريفة معياره الصحيح وقانونه . ويميز رتبته في المعارف عما دونه . فسرحت فكري في فضا الوجود . واجلت  
نظري ليل التهام والهجوم . بين التهام والنجوم . في العلماء الركن والمجود . والحلفاء اهل الكرم والوجود  
حتى وقف الاختيار بساحة الكمال . وطافت الافكار بموقف الامال . وظفرت ايدي الساعي والاعمال



المَاهِدِ \* المتَحَلِّي مُنْذُ خَلْعِ التَّائِمِ \* وَلَوْثِ الْعَمَائِمِ \* بِحِلْيِ الْقَائِمِ الرَّاهِدِ \* الْمُتَوَشِّحِ  
 بِزَكَاةِ الْمَتَائِبِ وَالْمَخَامِدِ \* وَكَرَمِ الشَّامِلِ وَالشَّوَاهِدِ \* بِأَجْمَلِ مِنَ الْقَلَائِدِ \* فِي نُحُورِ  
 الْوَلَائِدِ \* الْمُتَاوِلِ بِالْعَزَمِ الْقَرِي السَّاعِدِ \* وَأَجْدِ الْمَوَاتِي الْمُسَاعِدِ \* وَالْمَجْدِ الطَّارِفِ  
 وَالْتَالِدِ \* ذَوَائِبِ مُلْكِهِمُ الرَّاسِي الْقَوَاعِدِ \* الْكَرِيمِ الْعَالِي وَالْمَصَاعِدِ \* جَامِعِ  
 أَشْثَاتِ الْعُلُومِ وَالْأَوَائِدِ \* وَمَظْمِ شَمْلِ الْمَعَارِفِ وَالشَّوَارِدِ \* وَمُظْهِرِ آيَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ \*  
 فِي فَضْلِ الْمَدَارِكِ الْإِنْسَانِيَّةِ \* بِفِكْرِهِ الثَّقَابِ النَّاقِدِ \* وَرَأْيِهِ الصَّحِيحِ الْمَعَاقِدِ \* النَّبْرِ  
 الْمَذَاهِبِ وَالْعَقَائِدِ \* نُورِ اللَّهِ الْوَاضِحِ الْمَرَاشِدِ \* وَنِعْمَتِهِ الْعَذْبَةِ الْتَوَارِدِ \* وَلُطْفِهِ الْكَامِنِ  
 بِالْمَرَاصِدِ لِلشَّدَائِدِ \* وَرَحْمَتِهِ الْكَرِيمَةِ الْقَوَالِدِ \* أَنْتِي وَسِعَتْ صِلَاحَ الزَّمَانِ الْفَاسِدِ \*  
 وَأَسْتَقَامَةَ الْبَائِدِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ \* وَذَهَبْتَ بِالْحُطُوبِ الْأَوَائِدِ \* وَخَلَعْتَ عَلَى الزَّمَانِ  
 رَوْنِقَ الشَّبَابِ الْعَائِدِ \* وَحُجَّتِهِ أَنْتِي لَا يُبْجِلُهَا إِنْكَارُ أَجَاحِدٍ وَلَا تُشْبِثُ الْمُعَانِدِ \* (أَمِيرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ) أَبِي قَارِسٍ عَبْدِ الْغَرِيزِ ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمُعْظَمِ الشَّهِيدِ الشَّهِيدِ أَبِي سَالِمٍ  
 إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمُقَدَّسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ \* أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ السَّادَةِ الْأَعْلَامِ  
 مِنْ مُلُوكِ بَنِي مُرَيْنَ \* الَّذِينَ جَدَّدُوا الدِّينَ \* وَنَهَجُوا السَّبِيلَ لِلْمُهْتَدِينَ \* وَمَحَوُا آثَارَ الْبُغَاةِ  
 الْمُفْسِدِينَ \* أَنَاءَ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ ظِلَالَهُ \* وَبَلَّغَهُ فِي نَصْرِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ آمَالَهُ \* وَبَعَثَهُ  
 إِلَى خِزَانَتِهِمُ الْمُؤَفَّقَةِ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ بِجَامِعِ الْقُرَوَيْنِ مِنْ مَدِينَةِ فَاسَ حَاضِرَةِ مُلْكِهِمْ  
 وَكُرْسِيِّ سُلْطَانِهِمْ \* حَيْثُ مَقَرُّ الْهُدَى \* وَرِيَاضُ الْمَعَارِفِ خِصْلَةُ النَّدَى \* وَفَضَاءُ الْأَسْرَارِ

بمعتدي المعارف مشرقة فيه غرر الجبال . وحدائق العلوم الوارفة الظلال . عن اليمن والشمال . قانتحت  
 مطي الافكار في عرصاتهما \* وجلوت محاسن الانظار على منصاتها . واتحفت بديوانها مقاصد ابوابها . واطلعت  
 كوكبا وقادا في افق خزائنها وصوانها . ليكون آية للعلاء يهتدون بعناره : ويعرفون فضل المدارك  
 الانسانية في آثاره . وهي خزانة مولانا السلطان المجاهد . الفاتح الماهد الى آخر النعوت المذكورة هنا .  
 ثم قال الخليفة امير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن مولانا الامير الطاهر المقدس  
 ابي عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين . ابي يحيى ابي بكر ابن الخلفاء الراشدين . من  
 ائمة الموحدين الذين جددوا الدين . ونهجوا السبل للمهتدين . ومحوا آثار البغاة المفسدين من المجسة  
 والعندين . سلالة ابي الحفص والقاروق . والنيعة النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق . والنور  
 المتلالي من تلك الاشعة والبروق . فاوردته مودعها الى اعلى بحيث مقر الهدى . ورياض المعارف  
 خصلة الندى . الى آخر ما ذكر هنا الا انه لم يقيد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه  
 النسخة للنقولة من خزانة الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ .



الرَّابَّةُ فَسِيحُ الْمَدَى \* وَالْإِمَامَةُ الْفَارِسِيَّةُ الْكَرِيمَةُ (١) الْغَرِيْزَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِظَرْهَا  
الشَّرِيفِ \* وَفَضْلُهَا الْغَنِيِّ عَنِ التَّعْرِيفِ \* تَبَسُّطُ لَهُ مِنَ الْغَايَةِ هَادِئًا \* وَتَفْسِيحُ لَهُ فِي جَانِبِ  
الْقَبُولِ آمَادًا \* فَتَوْضُّحُ بِهَا أَدَلَّةٌ عَلَى رُسُوخِهِ وَأَشْهَادًا \* فَبِئْسَ سَوْفًا تَنْفُقُ بِضَائِعِ الْكِتَابِ  
وَعَلَى حَضْرَتِهَا تُعْكَفُ رَكَائِبُ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ \* وَمِنْ مَدَدِ بَصَائِرِهَا الْمُنِيرَةِ نَتَائِجُ  
الْقَرَائِحِ وَالْأَلْبَابِ \* وَاللَّهُ يُوزِعُنَا شُكْرَ نِعْمَتِهَا \* وَيُوَفِّرُنَا لَنَا حُطُوطَ التَّوَاهِبِ مِنْ رَحْمَتِهَا  
وَيُعِينُنَا عَلَى حُقُوقِ خِدْمَتِهَا \* وَيَجْعَلُنَا مِنَ السَّابِقِينَ فِي مِيدَانِهَا الْمُجَلِّينَ فِي حَوْثِهَا \* وَيُضْفِي  
عَلَى أَهْلِهَا إِيَالِيَّيَا \* وَهَآ أُوِي مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى حَرَمِ عَالِيَّتِهَا \* لُبُوسَ حَيَاتِيَّوَا وَحَرَمِيَّوَا \*  
وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً فِي وَجْهِهَا \* بِرِيئَةً مِنْ شَوَائِبِ الْغَفْلَةِ  
وَسُبْهَتِهَا \* وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للورخين

من المغالط وذكر شيء من اسبابها

إِعْلَمَ أَنَّ فَنَ التَّارِيخِ فَنٌّ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الذَّوَائِدِ شَرِيفُ الْغَايَةِ إِذْ هُوَ يُورِثُنَا  
عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ . وَالْأَنْبَاءِ فِي سِيَرِهِمْ . وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ  
وَسِيَاسَتِهِمْ . حَتَّى تَتِمَّ فَايِدَةُ الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَوْمُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُوَ  
مُحْتَاجٌ إِلَى مَاخِذٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمَنَازِفٍ مُتَوَرِّعَةٍ وَحَسَنِ نَظَرٍ وَتَثْبُتٍ يُفْضِيَانِ بِصَاحِبِهَا إِلَى  
الْحَقِّ وَيُنَكِّبَانِ بِهِ عَنِ التَّوَلَّاتِ وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَبِدَ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ  
النَّقْلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ  
الْإِنْسَانِيِّ وَلَا قِيسَ الْغَايِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالدَّاهِبِ قَرِيبًا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا مِنْ  
الْعُثُورِ وَمَرَاتِلِ الْقَدَمِ وَالْخِلْدِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ  
وَأَيَّةُ النَّقْلِ مِنَ الْمَغَالِطِ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ لِاعْتِيَادِهِمْ عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ عَمَّا  
أَوْ سَمِعُوا وَلَمْ يَغْرِضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا وَلَا نَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبَّوْهَا بِتِمَارِ الْحِكْمَةِ  
وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنْ الْحَقِّ

(١) قوله الفارسية اي المنسوبة الى ابي فارس المتقدم ذكره اهـ



وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ أَلْوَهْمِ وَالْفَلْطِ وَلَا سِيَّما فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظِنَّةُ الْكَذِبِ وَمَطِيَّةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ وَهَذَا كَمَا نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي جُيُوشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْصَاهُمْ فِي اللَّهِ بِعَدَدٍ أَنْ أَجَازَ مَنْ يُطِيقُ حَمْلَ السِّلَاحِ خَاصَّةً مِنْ ابْنِ عَشْرِينَ فَمَا فَوْقَهَا فَكَانُوا سِتِّمِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَيَذْهَلُ فِي ذَلِكَ عَنْ تَقْدِيرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَاتِّسَاعِهَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْجُيُوشِ لِكُلِّ مَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ حِصَّةً مِنَ الْحَاكِمِيَّةِ تَتَّبِعُ لَهَا وَتَقُومُ بِوُظَائِفِهَا وَتَضِيقُ عَمَّا فَوْقَهَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْعَوَائِدُ الْمَعْرُوفَةُ وَالْأَحْوَالُ الْمَأْلُوفَةُ ثُمَّ إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجُيُوشِ الْبَالِغَةِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهَا زَحْفٌ أَوْ قِتَالٌ لِضِيقِ سَاحَةِ الْأَرْضِ عَنْهَا وَبُعْدِهَا إِذَا أَصْطَفَتْ عَنْ مَدَى الْبَصَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَزِيدَ فَكَيْفَ يَقْتُلُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ أَوْ تَكُونُ غَلَبَةُ أَحَدِ الصَّيْنِ وَشَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ لَا يَشْعُرُ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ وَالْحَاضِرُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ فَالْمَاضِي أَشْبَهُ بِالْآتِي مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ . وَلَقَدْ كَانَ مَلِكُ الْفُرْسِ وَدَوْلَتُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ غَلَبِ بَخْتَصَرٍ لَهُمْ وَالتَّيْهَامِ بِبِلَادِهِمْ وَاسْتِيلَانِهِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَتَخْرِيبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَاعِدَةَ مِلَّتِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَهُوَ مِنْ بَعْضِ عُمَلِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَرْدَبَانُ الْمَغْرِبِ مِنْ تَحْوِيمِهَا وَكَانَتْ مَمَالِكُهُمْ بِالْعِرَاقَيْنِ وَخِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْأَيُّوبُ أَوْسَعُ مِنْ مَمَالِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ جُيُوشُ الْفُرْسِ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَأَعْظَمُ مَا كَانَتْ جُمُوعُهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مَشْبُوعٌ عَلَى مَا نَقَلَهُ سَيْفٌ قَالَ وَكَانُوا فِي أَتْبَاعِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ وَائِي أَلْفٍ وَعَنْ عَائِشَةَ وَالزُّهْرِيِّ فَإِنْ جُمِعَ رُسُومُ الَّذِينَ زَحَفَ بِهِمْ سَعْدٌ بِالْقَادِسِيَّةِ إِنَّمَا كَانُوا سِتِّينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مَشْبُوعٌ وَأَيْضًا قَلُّوا بَلَاغَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لَا تَتَّسِعُ نِطَاقُ مُلْكِهِمْ وَاتَّسَحَ مَدَى دَوْلَتِهِمْ فَإِنَّ الْعَمَالَاتِ وَالْمَمَالِكِ فِي الدُّوَلِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاكِمِيَّةِ وَالْقِلِيلِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي قِلَّتِهَا وَكَثْرَتِهَا حَسَبًا نُبْتًا فِي فَضْلِ الْمَمَالِكِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْقَوْمُ لَمْ تَتَّبِعْ مَمَالِكُهُمْ إِلَى غَيْرِ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ مِنَ الشَّامِ وَبِلَادِ يَثْرِبَ وَخَيْبَرَ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَيْضًا فَالَّذِي بَيْنَ مُوسَى وَإِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ أَرْبَعَةُ آبَاءَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ فَإِنَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ



بَنِي قَاهَتَ بِشَحْ أَلْهَاءَ وَكَسَرَهَا أَبْنِ لَاوِي بِكَسْرِ الْوَاوِ وَفَتَحَهَا أَبْنِ يَعْقُوبَ وَهُوَ إِسْرَائِيلُ  
 اللَّهُ هَكَذَا نَسَبُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْمَدَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ قَالَ دَخَلَ إِسْرَائِيلُ  
 مِصْرَ مَعَ وَلَدِهِ الْأَسْبَاطِ وَأَوْلَادِهِمْ حِينَ أَتَوْا إِلَى يُوسُفَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَكَانَ مَقَامُهُمْ بِمِصْرَ  
 إِلَى أَنْ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْيَمِينِ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً تَتَدَاوَلُهُمْ مُلُوكُ  
 الْقَبْطِ مِنَ الْفِرَاعَةِ وَيَعْدُ أَنْ يَتَشَعَّبَ النَّسْلُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ وَإِنْ  
 زَعَمُوا أَنَّ عَدَدَ تِلْكَ الْجُيُوشِ إِنَّمَا كَانَ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ بَعْدِهِ فَبَعِيدٌ أَيْضًا إِذْ لَيْسَ  
 بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَإِسْرَائِيلَ إِلَّا أَحَدُ عَشَرَ أَبًا فَإِنَّهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَشَا بْنِ عُوْفَيْدَ .  
 وَيُقَالُ أَبْنِ عُوْفَيْدَ أَبْنِ بَاغَرَ وَيُقَالُ بُوَعَرَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ بْنِ عَمِيئُودَ وَيُقَالُ  
 حَمِينَاذَابَ بْنِ رَمَّ بْنِ حَصْرُونَ وَيُقَالُ حَصْرُونَ بْنِ بَارَسَ وَيُقَالُ بَيْدَسَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ  
 يَعْقُوبَ وَلَا يَتَشَعَّبُ النَّسْلُ فِي أَحَدٍ عَشَرَ مِنَ الْوُلْدِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي زَعَمُوهُ اللَّهُمَّ  
 إِلَى الْمِائَتَيْنِ وَالْآلَافِ قَرِيبًا يَكُونُ وَأَمَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ إِلَى مَا بَعْدَهُمَا مِنْ عُودِ الْأَعْدَادِ  
 فَبَعِيدٌ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْحَاضِرِ الْمُشَاهِدِ وَالْقَرِيبِ الْمَعْرُوفِ تَجِدُ زَعْمَهُمْ بَاطِلًا وَنَقْلَهُمْ  
 كَذِبًا وَالَّذِي ثَبَتَ فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ جُنُودَ سُلَيْمَانَ كَانَتْ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا خَاصَّةً  
 وَأَنَّ مُقَرَّبَاتِهِ كَانَتْ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ فَرَسٍ مُرْتَبِطَةٌ عَلَى أَبْوَابِهِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنْ  
 أَخْبَارِهِمْ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى خُرَافَاتِ الْعَامَّةِ مِنْهُمْ وَفِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ ( عَلَيْهِ السَّلَامُ ) وَمُلْكِهِ  
 كَانَ عُقُودَانُ دَوْلَتِهِمْ وَاتِّسَاعُ مُلْكِهِمْ هَذَا وَقَدْ نَجَدُ الْكَافَّةَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ إِذَا  
 أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَسَاكِرِ الدَّوْلِ الَّتِي لِعَهْدِهِمْ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَتَقَاوَضُوا فِي الْأَخْبَارِ  
 عَنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّصَارَى أَوْ أَخَذُوا فِي إحصَاءِ أَمْوَالِ الْجَبَايَاتِ وَخَرَاجِ  
 السُّلْطَانِ وَنَفَقَاتِ الْمُتَرَفِينَ وَبِضَائِعِ الْأَغْيَاءِ الْمُوسِرِينَ تَوَغَّلُوا فِي الْعَدَدِ وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ  
 الْعَوَائِدِ وَطَاوَعُوا وَسَاوِسَ الْأَغْرَابِ فَإِذَا اسْتُكْشِفَ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ عَنْ عَسَاكِرِهِمْ  
 وَاسْتُبْطِطَ أَحْوَالُ أَهْلِ الثَّرْوَةِ فِي بِضَائِعِهِمْ وَقَوَائِدِهِمْ وَاسْتُجَابَتِ عَوَائِدُ الْمُتَرَفِينَ فِي  
 نَفَقَاتِهِمْ لَمْ تَجِدْ مِثْلَ مَا يَعْدُونَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِوُلُوعِ النَّفْسِ بِالْغَرَائِبِ وَسُهُولَةِ التَّجَاوُزِ  
 عَلَى اللِّسَانِ وَالْعَفْلَةِ عَلَى الْمُتَعَقِّبِ وَالْمُتَّبِعِ حَتَّى لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى خَطَا وَلَا عَمَلٍ وَلَا  
 مِطَاطِهَا فِي الْخَيْرِ بِتَوْسِطٍ وَلَا عَدَالَةٍ وَلَا يُرْجِعُهَا إِلَى بَحْثٍ وَتَفْقِيشٍ فَيُرْسِلُ جَنَانَهُ وَيَسِيمُ  
 فِي مَرَاتِعِ الْكَذِبِ لِسَانَهُ وَيَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزْأً وَاشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ



سَبِيلَ اللَّهِ وَحَسْبُكَ بِرَأْصِ قَتْلِهِ خَاسِرَةٌ وَمِنَ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً  
فِي أَخْبَارِ التَّبَاعَةِ مُلُوكِ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَغْزُونَ مِنْ قُرَاهِمُ بِالْيَمَنِ  
إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْبَرْبِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّ أَفْرِيقِيَّةَ بَنَ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ مِنْ أَعْظَمِ  
مُلُوكِهِمُ الْأَوَّلِ وَكَانَ لِعَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ غَزَا أَفْرِيقِيَّةَ وَأَتَحَنَ فِي  
الْبَرْبِ وَأَزَّهُ الَّذِي سَمَّاهُمْ بِهَذَا الْأَسْمِ حِينَ سَمِعَ رِطَانَتَهُمْ وَقَالَ مَا هَذِهِ الْبَرْبَةُ فَأَخَذَ  
هَذَا الْأَسْمَ عَنْهُ وَدَعَا بِهِ مِنْ حِينْدٍ وَأَنَّهُ لَنَا أَنْصَرَفَ مِنَ الْمَغْرِبِ حَجَرَ هُنَالِكَ قَبَائِلُ  
مِنْ حِينْدٍ فَأَقَامُوا بِهَا وَاتَّخَلَطُوا بِأَهْلِهَا وَمِنْهُمْ صَنْوَاجَةُ وَكِتَامَةُ وَمِنْ هَذَا ذَهَبَ الطَّبَرِيُّ  
وَالْجُرْجَانِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَأَبْنُ الْكَلْبِيِّ وَالسَّيْلِيُّ إِلَى أَنَّ صَنْوَاجَةَ وَكِتَامَةَ مِنْ حِينْدٍ  
وَتَأْبَاهُ نَسَابَةُ الْبَرْبِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا أَنَّ ذَا الْأَذْنَارِ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
قَبْلَ أَفْرِيقِيَّةَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غَزَا الْمَغْرِبَ وَدَوَّخَ وَكَذَلِكَ  
ذَكَرَ مِثْلُهُ عَنْ يَاسِرِ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَّهُ بَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَجِدْ  
فِيهِ مَسْلَكًا لِكَثْرَةِ الرَّمْلِ فَرَجَعَ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي تَبَعِ الْآخِرِ وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبِ  
وَكَانَ عَلَى عَهْدِ يَسْتَأْسِفَ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ الْكِيَانِيَّةِ أَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْصِلِ وَأَذْرَبِجَانَ  
وَلَقِيَ التُّرْكَ فَهَزَمَهُمْ وَأَتَحَنَ ثُمَّ غَزَاهُمْ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَذَلِكَ وَأَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَغْزَى ثَلَاثَةً  
مِنْ بَنِيهِ بِلَادَ فَارِسَ وَإِلَى بِلَادِ الصَّغْدِ مِنْ بِلَادِ أُمَمِ التُّرْكَ وَرَأَى التَّهْرَ وَإِلَى بِلَادِ الرُّومِ  
فَمَلَكَ الْأَوَّلُ الْبِلَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَطَعَ الْغَزَاةَ إِلَى الصِّينِ فَوَجَدَ أَخَاهُ الثَّانِي الَّذِي  
غَزَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَاتَّخَذَا فِي بِلَادِ الصِّينِ وَرَجَعَا جَمِيعًا بِالنَّيْمِ وَتَرَكَوْا بِلَادَ  
الصِّينِ قَبَائِلُ مِنْ حِينْدٍ فَهَمَّ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَبَلَغَ الثَّلَاثُ إِلَى قِسْطَنْطِينِيَّةَ فَدَرَسَهَا وَدَوَّخَ  
بِلَادَ الرُّومِ وَرَجَعَ وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الصِّحَّةِ عَرِيقَةٌ فِي الزُّهْمِ وَالْغَلَطِ  
وَأَشْبَهُ بِأَحَادِيثِ الْفَصْرِ الْمَوْضُوعَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ مُلُوكَ التَّبَاعَةِ إِنَّمَا كَانَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ  
وَقَرَارِهِمْ وَكُرْسِيِّهِمْ بِصَنْعَاءِ الْيَمَنِ . وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا فَبَحْرُ  
الْهِنْدِ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ فَارِسَ الْهَابِطُ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَبَحْرُ السُّوَيْسِ  
الْهَابِطُ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ كَمَا تَرَاهُ فِي مُصَوِّرِ الْجُغْرَافِيَا  
فَلَا يَجْدُ السَّالِكُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ طَرِيقًا مِنْ غَيْرِ السُّوَيْسِ وَالْمَسَلِكُ هُنَاكَ مَا  
بَيْنَ بَحْرِ السُّوَيْسِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ قَدْرُ مَرَحَلَتَيْنِ فَمَا دُونَهُمَا وَيَبْعُدُ أَنْ يَمُرَّ بِهَذَا الْمَسَلِكِ



مَلِكٌ عَظِيمٌ فِي عَسَاكِرِ مَوْفُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيدَ مِنْ أَعْمَالِهِ هَذِهِ تُمْتَعُ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ كَانَ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ الْعَمَالِقَةُ وَكُنْعَانُ بِالشَّامِ وَالْقِبْطُ بِمِصْرَ ثُمَّ مَلِكُ الْعَمَالِقَةِ وَضَرَ وَمَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الشَّامَ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعِيَةَ حَارَبُوا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ وَلَا مَلَكَوا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَأَيْضًا فَالشَّقَّةُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بَعِيدَةٌ وَالْأَزُودَةُ وَالْعُلُوفَةُ لِلْعَسَاكِرِ كَثِيرَةٌ فَإِذَا سَارُوا فِي غَيْرِ أَعْمَالِهِمْ أَحْتَاجُوا إِلَى أَنْتَهَابِ الزَّرْعِ وَالنَّعْمِ وَأَنْتِيبِ الْإِلَادِ فَيَا يَمُرُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْنِي ذَلِكَ الْإَزُودَةُ وَالْعُلُوفَةُ عَادَةً وَإِنْ نَقَلُوا كِفَايَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَلَا تَبْقَى لَهُمُ الرِّوَا حِلُّ بِثَقْلِهِ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَمُرُوا فِي طَرِيقِهِمْ كَثِيرًا بِأَعْمَالٍ قَدْ مَلَكَوْهَا وَدَوَّخَوْهَا إِنْ كُنُوا الْبِيدَةَ مِنْهَا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ تِلْكَ الْعَسَاكِرَ تَمُرُّ بِهَؤُلَاءِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَهَيِّجَهُمْ فَتَحْصُلُ لَهُمُ الْبِيدَةُ بِالسَّالِمَةِ فَذَلِكَ أَبْعَدُ وَأَشَدُّ امْتِنَاعًا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَنْخَبَارَ وَاهِيَةٌ أَوْ مُوضُوعَةٌ

وَأَمَّا وَادِي الرَّمْلِ الَّذِي يُعْجِزُ السَّالِكَ فَلَمْ يُسْمَعْ قَطُّ ذِكْرُهُ فِي الْمَغْرِبِ عَلَى كَثْرَةِ سَالِكِيهِ وَمَنْ يَقْصُ طَرِيقَهُ مِنَ الرُّكَّابِ وَالْقُرَى فِي كُلِّ عَصْرِ وَكُلِّ جَوَّةٍ وَهُوَ عَلَى مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْغَرَابَةِ تَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَفْلِهِ . وَأَمَّا غُرُوبُهُمْ بِبِلَادِ الشَّرْقِ وَأَرْضِ التُّرْكِ وَإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ أَوْسَعَ مِنْ مَسَالِكِ السُّوَيْسِ إِلَّا أَنَّ الشَّقَّةَ هُنَا أَبْعَدُ وَأُمَمُ فَارِسَ وَالرُّومِ مُعْتَزِّضُونَ فِيهَا ذُونَ التُّرْكِ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعِيَةَ مَلَكَوا بِبِلَادِ فَارِسَ وَلَا بِبِلَادِ الرُّومِ وَإِنَّمَا كَانُوا يُحَارِبُونَ أَهْلَ فَارِسَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَمَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَالْحَبِيرَةِ وَالْجَزِيرَةِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْمَالِ وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بَيْنَ ذِي الْأَذْعَارِ مِنْهُمْ وَكِيكَاوُسَ مِنْ مُلُوكِ الْكِيَانِيَّةِ وَبَيْنَ تَبْعِ الْأَصْغَرِ أَيْ كَرِبَ وَيَسْتَأْسِفُ مِنْهُمْ أَيْضًا وَمَعَ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ بَعْدَ الْكِيَانِيَّةِ وَالسَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمُجَاوِزَةِ أَرْضِ فَارِسَ بِالْأَزُودِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ وَهُوَ تُمْتَعٌ عَادَةً مِنْ أَجْلِ الْأُمَمِ الْمُعْتَزِّضَةِ مِنْهُمْ وَالْحَاجَةِ إِلَى الْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَاتِ مَعَ بَعْدِ الشَّقَّةِ كَمَا مَرَّ فَيُتَأَمَّلُ الْأَنْخَبَارُ بِذَلِكَ وَاهِيَةٌ مَدْخُولَةٌ وَهِيَ لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً النَّقْلُ لَكَانَ ذَلِكَ قَادِحًا فِيهَا فَكَيْفَ وَهِيَ لَمْ تُنْقَلْ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي خَبَرِ يَثُوبَ وَالْأَوْسِ وَالْحَرْجِ أَنَّ تَبْعًا آخَرَ مَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ مَحْمُولًا عَلَى الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَمَّا بِلَادُ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ فَلَا يَصِحُّ غُرُوبُهُمْ إِلَيْهَا يَوْجِهُ لِمَا تَقَرَّرَ فَلَا تَشَقُّنَّ يَا يُلْتَمَسُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلِ الْأَنْخَبَارَ وَأَعْرِضْهَا عَلَى الْقَوَائِنِ



الصَّحِيحَةُ يَقَعُ لَكَ تَنْجِيصُهَا بِأَحْسَنِ وَجْهِ وَأَلَّهِ الْهَادِي إِلَى الصَّرَافِ

### فصل

وَأَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْرَقُ فِي الْوَهْمِ مَا يَتَنَاقَلُهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ إِرَمَ اسْمًا لِمَدِينَةٍ وَصَفَتْ  
بِأَنَّهَا ذَاتُ عِمَادٍ أَيْ أَسَاطِينٍ وَيَنْقُلُونَ أَنَّهَا كَانَ لِعَادِ بْنِ عُوصِ بْنِ إِرَمَ ابْنَانِ هُمَا شَدِيدٌ  
وَشَدَادٌ مَلَكَا مِنْ بَعْدِهِ وَهَلَكَ شَدِيدٌ فَخَلَصَ الْمَلِكُ لَشَدَادٍ وَذَانَتْ لَهُ مُلُوكُهُمْ وَسَمِعَ  
وَصَفَّ الْجَنَّةَ فَقَالَ لِأَبْنَيْنِ مِثْلَهَا فَبَنَى مَدِينَةَ إِرَمَ فِي صَحَارَى عَدَنَ فِي مُدَّةٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً  
وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعِينَ سَنَةً وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَأَسَاطِينُهَا مِنَ الزَّبَرَجَدِ  
وَالْيَاقُوتِ وَفِيهَا أَصْنَافُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارُ الْمُطْرَدَةُ وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ  
تَمْلُكَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً مِنَ السَّمَاءِ  
فَهَلَكُوا كُلُّهُمْ . ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ وَالتَّحَالِيُّ وَالزَّمَخْشَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُتَسَرِّينَ  
وَيَنْقُلُونَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَابَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبْلِيسَ لَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهِمَا وَحَمَلَ  
مِنْهَا مَا قَدَرَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ خَبْرَهُ مُسَاوِيَةَ فَأَحْضَرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ فَبَحَثَ عَنْ كُفِّ الْأَجَارِ وَسَأَلَهُ  
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هِيَ إِرَمُ ذَاتُ الْعِمَادِ وَسَيَدْخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحْمَرُ أَشَقْرُ قَصِيدٌ  
عَلَى حَاجِبِهِ خَالٌ وَعَلَى عُنُقِهِ خَالٌ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبْلِيسَ لَهُ ثُمَّ أَلْتَفَتَ فَأَبْصَرَ ابْنَ قَلَابَةَ فَقَالَ  
هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ لَمْ يُسَمَعْ لَهَا خَبْرٌ مِنْ يَوْمَئِذٍ فِي شَيْءٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ  
وَصَحَارَى عَدَنَ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بُنِيَتْ فِيهَا هِيَ فِي وَسْطِ الْيَمَنِ وَمَا زَالَ عُمرَانُهُ مُتَعاقِبًا  
وَالْأَدْلَاءُ تَقْصُ طَرَفَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَبْرٌ وَلَا ذَكَرَهَا أَحَدٌ  
مِنَ الْإِخْبَارِيِّينَ وَلَا مِنْ الْأُمَمِ وَلَوْ قَالُوا إِنَّهَا دُرُسَتْ فِيمَا دُرِسَ مِنَ الْأَثَرِ لَكَانَ أَشْبَهَ إِلَّا  
إِنْ ظَاهَرَ كَلَامُهُمْ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا دِمَشْقُ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ قَوْمَ عَادٍ مَلَكُوهَا  
وَقَدْ يَنْتَهِي الْهَذْيَانُ بِبَعْضِهِمْ إِلَى أَنَّهَا غَائِبَةٌ وَإِنَّمَا يَعُدُّ عَلَيْهَا أَهْلُ الرِّيَاضَةِ وَالسَّحَرِ مَرَاعِمُ  
كُلًّا أَشْبَهَ بِالْخَرَافَاتِ وَالَّذِي حَمَلَ الْمُتَسَرِّينَ عَلَى ذَلِكَ مَا اقْتَضَتْهُ صِنَاعَةُ الْأِعْرَابِ فِي  
لَفْظَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ أَنَّهَا صِفَةُ إِرَمَ وَحَمَلُوا الْعِمَادَ عَلَى الْأَسَاطِينِ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ بِنَاءٌ وَرَشَّحَ  
لَهُمْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ الرَّبِيعِ عَادُ إِرَمَ عَلَى الْإِضَافَةِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ  
الْمَلِكَايَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهَ بِالْأَقَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْكُذِبِ الْمَثْقُولَةِ



فِي عِدَادِ الْمُضْحَكَاتِ وَإِلَّا فَالْعِمَادُ هِيَ عِمَادُ الْأَخْيَةِ بَلِ الْخِيَامِ وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا  
 الْأَسَاطِينُ فَلَا يَدْعُ فِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ بِنَاءٍ وَأَسَاطِينُ عَلَى الْعُومِ بِنَاءً أَشْتَهَرَ مِنْ قُوَّتِهِمْ  
 لِأَنَّهُ بِنَاءٌ خَاصٌّ فِي مَدِينَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا وَإِنْ اضْيَظَّتْ كَمَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَعَلَى  
 إِضَافَةِ الْفَصِيلَةِ إِلَى الْقَبِيلَةِ كَمَا تَقُولُ قُرَيْشُ كِنَانَةَ وَإِلْيَاسُ مُضَرٌ وَرَبِيعَةُ نَزَارٌ وَأَيُّ  
 ضَرُورَةٍ إِلَى هَذَا التَّحِيلِ الْبَعِيدِ الَّذِي تُمَحِّلَتْ لِتَوْجِيهِهِ لِأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الْوَاهِيَةِ  
 الَّتِي يُنْذَرُ كِتَابُ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهَا لِيُعْذَرَهَا عَنْ الصِّحَّةِ وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمُدْخُولَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ  
 مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخْتِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ  
 يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مَوْلَاهُ وَأَنَّهُ لِكَلْفِهِ بِمَكَانَيْهِمَا مِنْ مُعَاقَرَتِهِ إِيَّاهُمَا الْخَمْرَ أَذِنَ لِهَاتَا فِي  
 عَهْدِ التَّكَاخِ دُونَ الْخَلْوَةِ حِرْصًا عَلَى اجْتِمَاعِهِمَا فِي مَجْلِسِهِ وَأَنَّ الْعَبَّاسَةَ تَحَلَّتْ عَلَيْهِ فِي  
 الْيَاسِ الْخَلْوَةِ بِهِ لِمَا شَغَفَهَا مِنْ حُبِّهِ حَتَّى وَاقَعَا ( زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ ) فَحَمَلَتْ وَوُشِيَ  
 بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَقْضَبَ وَهَيْهَاتَ ذَلِكَ مِنْ مَنْصِبِ الْعَبَّاسَةِ فِي دِينِهَا وَأَبْوَيْهَا وَجَلَالِهَا  
 وَأَنَّا بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ هُمْ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعُظَمَاءُ  
 آلِئَلَةٍ مِنْ بَعْدِهِ . وَالْعَبَّاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْمُتَهْدِيِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 السَّجَّادِ ابْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْخُلَفَاءِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ ( صَلَّيْهِ )  
 ابْنَةُ خَلِيفَةٍ أُخْتُ خَلِيفَةٍ مَحْضُوفَةٍ بِالْمُلْكِ الْغَرِيزِ وَالْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ وَصُحْبَةِ الرَّسُولِ وَعُمُومَتِهِ  
 وَإِقَامَةُ آلِئَلَةٍ وَنُورُ الْوَحْيِ وَمَهَيْطُ التَّلَانِكَةِ مِنْ سَائِرِ جَرَاتِهَا قَرِيبَةٌ عَهْدِ بِيَدَاوَةِ الْعُرُوبِيَّةِ  
 وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّدْفِ وَمَرَاتِعِ الْفَوَاحِشِ فَأَنْ يَطْلُبَ الصَّوْنُ وَالْعَفَافُ  
 إِذَا ذَهَبَ عَنَّا أَوْ أَنْ تُوجَدَ الطَّهَارَةُ وَالذِّكَاةُ إِذَا قُبِدَا مِنْ بَيْنِنَا أَوْ كَيْفَ تَلْحُمُ نَسَبَهَا  
 بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدْنِسُ شَرْفَنَا الْعَرَبِيَّ بِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ بِمِلْكَةِ جَدِّهِ مِنَ الْفُرسِ  
 أَوْ بِوَلَاءِ جَدِّهَا مِنْ عُمُومَةِ الرَّسُولِ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَغَايَتُهُ أَنْ جَذِبَتْ دَوْلَتَهُمْ بِضَعْفِهِ  
 وَضَبْعِ أَبِيهِ وَاسْتَخْلَصَتْهُمْ وَرَقَّتْهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ وَكَيْفَ يُسَوِّغُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ  
 يُضَهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ وَعِظَمِ آبَائِهِ وَلَوْ نَظَرَ الْمُتَأَمِّلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ  
 الْمُنْصِفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عُظَمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَاسْتَكْفَفَ لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ  
 مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَاسْتَكْرَهُ وَلَجَّ فِي تَكْذِيبِهِ وَأَنْ قَدَرُ الْعَبَّاسَةِ  
 وَالرَّشِيدِ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّمَا نَكْبُ الْبَرَامِكَةَ مَا كَانَ مِنْ اسْتِئْذَانِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَاجْتِنَابِهِمْ



أَمْوَالُ أَجْبَايَةٍ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْيَسِيرَ مِنَ التَّالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَعَلْبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ  
وَشَارَكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ مُلْكِهِ فَعَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَبَعُدَ  
حَيْثُ هُمْ وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطُهَا بِالرُّؤَسَاءِ مِنْ وَلَدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَحْتَازُواهَا عَنْ  
سِوَاهُمْ مِنْ وَزَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَقِيَادَةٍ وَحِجَابَةٍ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِدَارِ الرَّشِيدِ مِنْ  
وُلْدِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ زَاخَمُوا فِيهَا  
أَهْلَ الدَّوْلَةِ بِأَلَمَاتِكَبٍ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِمَكَانٍ أَيْبَهُمْ يَحْيَى مِنْ كِفَالَةِ هَارُونَ وَبِئْسَ  
عَهْدٌ وَخَلِيفَةٌ حَتَّى شَبَّ فِي حُجْرِهِ وَدَجَّ مِنْ عُسْرِهِ وَغَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ يَا أَبَتِ  
فَتَوَجَّهَ الْإِيتَارُ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ وَعَظِمَتِ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَأَنْبَسَطَ الْجَاهُ عَنْهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ  
نَعْرُهُمْ أَنْوَجُهُ وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَقُصِرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَتَحَطَّتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَقْصَى  
الْثُّجُومِ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَتَخَفُ الْأَمْرَاءُ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ الدَّلْفِ وَالْإِسْتِثَالَةِ  
أَمْوَالُ الْحِمَايَةِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الْإِثِيَّةِ وَعُظَمَاءِ الْقِرَابَةِ الْعَطَاءَ وَطَوَّقُوهُمْ الْبِنَ وَكَسَبُوا  
مِنْ بُيُوتِ الْأَشْرَافِ الْمُعْتَمِ وَفَكُّوا اللَّامِي وَمُدِّحُوا بِمَا لَمْ يُمدَّحْ بِهِ خَلِيفَتُهُمْ وَأَسْنَوْا  
بِلُغَاتِهِمْ الْجَوَارِ وَالصِّلَاتِ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ مِنَ الضَّوَاحي وَالْأَمْصَارِ فِي  
سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَسْنَوْا الْبَطَانَةَ وَأَحْقَدُوا الْخَاصَّةَ وَأَغْصُوا أَهْلَ الْوِلَايَةِ فَكُشِفَتْ  
لَهُمْ وَجُوهُ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَى مَوَادِهِمُ الْوَتِيرُ مِنَ الدَّوْلَةِ عَقَارِبُ السَّيَايَةِ حَتَّى  
لَقَدْ كَانَ بَنُو قُحْطَبَةَ أَخْوَالُ جَعْتَرٍ مِنْ أَكْظَمِ السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَغْطِفْهُمْ لِمَا وَقَرَ فِي نُفُوسِهِمْ  
مِنَ الْحَسَدِ عَوَاطِفُ الرَّحِمِ وَلَا وَدَعَتْهُمْ أَوَاصِرُ الْقِرَابَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ مَخْدُومِهِمْ نَوَاشِيءُ  
الْغِيَرَةِ وَالْإِسْتِنكَافِ مِنَ الْحَجَرِ وَالْأَنْفَةِ وَكَانَ الْحُودُ الَّتِي بَعَثَهَا مِنْهُمْ صَغَارُ الدَّالَّةِ  
وَأَنْتَهَى بِهَا الْإِضْرَارُ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ الْمُحَالَةِ كَقَضَيْتِهِمْ فِي يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ الْمُلَقَّبِ بِالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ  
الْمُخَارِجِ عَلَى الْمَنْصُورِ وَيَحْيَى هَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَرْكَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ  
عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِحَطِّهِ وَبَذَلَ لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَفَعَهُ  
الرَّشِيدُ إِلَى جَعْتَرٍ وَجَعَلَ أَعْتِقَالَهُ بِدَارِهِ وَإِلَى نَظَرِهِ فَجَبَسَهُ مُدَّةً ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّالَّةُ عَلَى  
تَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ وَالْإِسْتِيدَادِ بِحَلِّ عَقَالِهِ حَرَمًا لِذِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ  
فِي حُكْمِهِ . وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَنَا وَشِي بِهِ إِلَيْهِ فَنَظِنَ وَقَالَ أَمْلَقْتُهُ فَأَبْدَيْ لَهُ وَجْهَهُ



الاستحسان وأسرّها في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثلّ عرشهم  
 وألقت عليهم سماءهم وخسفت الأرض بهم وبدارهم وذهبت سلفاً ومثلاً للآخرين أيامهم  
 ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الأثر ممتد الأسباب  
 وأنظر ما نقله ابن عبد ربه في مناوذة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم  
 وما ذكره في باب الشعراء في كتاب العقد في معاورة الأصمعي للرشيد والفضل بن  
 يحيى في سمرهم تنههم أنه إنما قتلهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن  
 دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمعتين من الشعر أحياناً على  
 إسماعيل للخلية وتحريك حفاظهم لهم وهو قوله

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفْتِ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ

وَأَسْقَدْتِ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ

وإن الرشيد لما سمعها قال إي والله إني عاجز حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيرته  
 وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال \* وأما ما ترموه  
 به الحكاية من معاورة الرشيد الخمر وأقتران سكره بسكر الندمان فحاشا الله ما  
 علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من  
 الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومعاوراته للفضل بن عباس  
 وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائهم  
 بكفة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود  
 الصبح لأول وقتها \* حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة  
 نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً ولقد زجر ابن أبي مریم مضحكة في سمره حين تعرض  
 له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ وما لي لا أعبد الذي فطرني وقال والله ما  
 أدري لم فماتك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مغضباً وقال يا ابن أبي مریم في  
 الصلاة أيضاً إياك وإياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وأيضاً فقد كان من  
 العلم والسداجة يكان إرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين  
 جده أبي جعفر بعيد زمن إنما خلفه غلاماً وقد كان أبو جعفر يكان من العلم والدين  
 قبل الخلافة وبعدها وهو القائل لِمَالِكِ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْلِيفِ الْمُوطَأِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ



إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ فَضَعُ أَنْتَ لِلنَّاسِ  
 كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ تَجَنَّبَ فِيهِ رُحْصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَدَائِدَ ابْنِ عُمَرَ وَوَطْئَهُ لِلنَّاسِ تَوَاطُؤُهُ  
 قَالَ مَا لَكَ قَوْلَهُ لَقَدْ عَلَّمَنِي التَّصْنِيفَ يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ أَدْرَكُهُ ابْنُهُ الْمُهْدِيُّ أَبُو الرَّشِيدِ  
 هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنْ كُسْرَى الْجَدِيدِ لِمِثَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِمَجْلِسِهِ  
 يُبَاشِرُ الْحَيَّاطِينَ فِي إِرْقَاعِ الْخُلُقَانِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ فَأَسْتَنْكَفَ الْمُهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ كُسْرَى هَذِهِ أَلْيَالٍ عَامِنَا هَذَا مِنْ عَطَائِي فَقَالَ لَهُ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ  
 يَصُدَّهُ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِنْدَاقِ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ  
 الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ وَأَبُوَّتِهِ وَمَارِيَّتِي عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالتَّحَلُّقِ  
 بِهَا أَنْ يُعَاقِرَ الْخُمُرَ أَوْ يُجَاهِرَ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ حَالَةُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ لِبَاهِلِيَّةٍ فِي  
 اجْتِنَابِ الْخُمُرِ مَعْلُومَةٌ وَلَمْ يَكُنِ الْكُرْمُ شَجَرَتَهُمْ وَكَانَ شُرْبُهَا مَذْمُومَةً عِنْدَ الْكَثِيرِ  
 مِنْهُمْ وَالرَّشِيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى تَبِيعٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَالتَّحَلُّقِ  
 بِالْحَمْدِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَنَزَعَاتِ الْعَرَبِ \* وَأَنْظُرْ مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ  
 فِي قِصَّةِ جَبْرِيلَ بْنِ بَخْتِيشُوعَ الطَّبِيبِ حِينَ أَحْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَخَمَّاهُ عَنْهُ ثُمَّ  
 أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمْلِهِ إِلَى مَنَزِلِهِ وَفَطِنَ الرَّشِيدُ وَارْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى  
 عَابَتْهُ يَتَنَاوَلُهُ فَأَعَدَّ ابْنُ بَخْتِيشُوعَ لِلْإِعْتِذَارِ ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ خَلَطَ  
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمُعَالَجِ بِالتَّوَابِلِ وَالْبُقُولِ وَالْبُورَادِ وَالْخُلُوى وَصَبَّ عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُشْلُجًا  
 وَعَلَى الثَّلَاثَةِ خَمْرًا صَرَفًا وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلَطَ السَّمَكُ  
 بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يَخْطِطْهُ وَقَالَ فِي الثَّلَاثِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَخْتِيشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ  
 حَتَّى إِذَا انْتَبَهَ الرَّشِيدُ وَأَحْضَرَهُ لِلتَّوْبِيخِ أَحْضَرَ ثَلَاثَةَ الْأَقْدَاحِ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخُمُرِ  
 قَدْ اخْتَلَطَ وَأَمَاعَ وَتَفَتَّتْ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدَا وَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُمَا فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ  
 مَعْنَدَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالَ الرَّشِيدِ فِي اجْتِنَابِ الْخُمُرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ  
 وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ عَهْدَ بَحْسِ أَبِي نُوَّاسٍ لِمَا بَلَّغَهُ مِنْ أَنَّهُمَا كَرِهَ فِي الْمُعَاقَرَةِ  
 حَتَّى تَابَ وَأَقْلَعَ وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرَبُ نِسِيذَ التَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَتَاوِيهِمْ  
 فِيهَا مَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا الْخُمُرُ الصَّرْفُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّهَامِهِ بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ فِيهَا  
 فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ بِحَيْثُ يُوَاقِعُ مَحْرَمًا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَلَقَدْ كَانَ



أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بِمَنْجَاةٍ مِنْ أَرْكَابِ السَّرَفِ وَاللَّذَنِ فِي مَلَابِسِهِمْ وَزِينَتِهِمْ وَسَائِرِ  
مُتَاوَلَاتِهِمْ لَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةِ الْبِدَاوَةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يُفَارِقُوهَا بَعْدُ فَمَا  
ظَنُّكَ يَا بَخْرَجُ عَنْ الْإِبَاحَةِ إِلَى الْخَطَرِ وَعَنِ الْحِلَّةِ إِلَى الْحَرَمَةِ وَلَقَدْ اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ  
الطَّبَرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَلَى أَنَّ جَبِيعَ مِنْ سَلَفٍ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ  
إِنَّمَا كَانُوا يَرْكَبُونَ بِالْحِلَّةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ وَالسُّيُوفِ وَاللُّجَمِ وَالسُّرُوجِ  
وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَحَدَثَ الرُّكُوبَ بِحِلَّةٍ الذَّهَبِ هُوَ الْمُعْتَزُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ تَامِنُ الْخُلَفَاءِ  
بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ أَيْضًا فِي مَلَابِسِهِمْ فَمَا ظَنُّكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ  
بِأَتَمِّ مِنْ هَذَا إِذَا فَهِمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوْلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاظَةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي  
مَسَائِلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ أَلْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ . وَيُنَاسِبُ هَذَا  
أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ مَا يُنْقَلُونَهُ كَافَّةً عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ قَاضِي التَّائُمُونَ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّهُ كَانَ  
يُعَاقِرُ الْخَمْرَ وَأَنَّهُ سَكِرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِيهِ فَذَفِنَ فِي الرِّيحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَيُنْشِدُونَ عَلَى لِسَانِهِ  
يَا سَيِّدِي وَأَمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْتَعِينِي  
إِنِّي غَلْتُ عَنْ السَّاقِي فَصَيَّرَنِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالِدِينَ  
وَحَالُ ابْنِ أَكْثَمَ وَالتَّائُمُونَ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَابِهِمْ إِنَّمَا كَانَ التَّيْدُ  
وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ وَأَمَّا السُّكْرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَصَعَابَتُهُ لِلتَّائُمُونَ إِنَّمَا كَانَتْ  
خِلَّةً فِي الدِّينِ وَلَقَدْ ثُبِتَ أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ وَثِقِلَ فِي فَضَائِلِ التَّائُمُونَ وَحَسَنَ  
عِشْرَتِهِ أَنَّهُ أَنْتَبَهَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَطْشَانٌ فَقَامَ يَتَحَسَّنُ وَيَلْتَمِسُ الْإِنَاءَ مَخَافَةَ أَنْ يُوقِظَ يَحْيَى  
ابْنَ أَكْثَمَ وَثُبِتَ أَنَّهُمَا كَانَا يُصَلِّيَانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا فَأَمَّا هَذَا مِنَ الْمَعَاوَرَةِ وَأَيْضًا فَإِنَّ  
يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ كَانَ مِنْ عِلَّةِ أَهْلِ الْخَدِيثِ وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
وَالْإِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَهُ الْجَامِعَ وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَافِظُ أَنَّ الْبُخَارِيَّ  
رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَالْقَدْخُ فِيهِ قَدْخٌ فِي جَمِيعِهِمْ وَكَذَلِكَ مَا يَنْبِذُهُ الْمُجَانُّ بِالْمِيلِ  
إِلَى الْعِلْمَانِ بُهْتَانًا عَلَى اللَّهِ وَفِرْيَةً عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَسْتَنِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقُصَاصِ  
الْوَاهِيَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَفْتِرَاءِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مَحْسُودًا فِي كَمَالِهِ وَخَلَّتِهِ لِلسُّلْطَانِ وَكَانَ  
مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ مُتَزَّهَاً عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرَ لِابْنِ حَنْبَلٍ مَا يُؤْمِيهِ بِهِ  
النَّاسُ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا وَأَثْنَى

عَلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي فَقِيلَ لَهُ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تُرْوَلَ عَدَالَةٌ مِثْلَهُ  
 بِتَكْذِيبٍ بَاطِلٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ أَيْضًا يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ  
 مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْعِلْمَانِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ عَلَى سَرَائِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخَوْفِ  
 مِنَ اللَّهِ لِكَيْتَهُ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خَلْقٍ فَرُمِيَ بِمَا رُمِيَ بِهِ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الْكِنَانِ  
 وَقَالَ لَا يُشْتَقَلُّ بِمَا يُحْكَى عَنْهُ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ  
 مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ صَاحِبُ الْقَدِّ مِنْ حَدِيثِ الزُّنْبِيلِ فِي سَبَبِ إِضْغَارِ الْمَأْمُونِ إِلَى  
 الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بَيْتِهِ بُورَانًا وَأَنَّهُ عَثَرَ فِي بَعْضِ الْإِيَالِي فِي تَطَوُّفِهِ بِسِكَكِ بَغْدَادَ فِي  
 زُنْبِيلٍ مُدَلِّيٍّ مِنْ بَعْضِ السُّطُوحِ بِمَعَالِقٍ وَجَدَكَ مُغَارَةَ الْقَتْلِ مِنَ الْخَرِيرِ فَأَعْتَقَهُ وَتَنَاوَلَ  
 الْمَعَالِقَ فَأَهْتَرَتْ وَذَهَبَ بِهِ صُعْدًا إِلَى مَجْلِسِ شَأْنِهِ كَذَا وَوَصَفَ مِنْ زِينَةِ فُرْشِهِ وَتَنْصِيدِ  
 أَبْنِيَّتِهِ وَجَمَالِ رُؤْيِيَّتِهِ مَا يَسْتَوْفُ الطَّرْفَ وَيَمْلِكُ النَّفْسَ وَأَنَّ أَمْرًا بَرَزَتْ لَهُ مِنْ خَلْرِ  
 السُّورِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَائِقَةٌ أَجْمَالِ فَتَانَةِ الْمَحَاسِنِ فَحَيْثُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ فَلَمْ  
 يَزَلْ يُعَاقِرُهَا الْخَمْرَ حَتَّى الصَّبَاحَ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ أَنْتِظَارِهِ وَقَدْ شَفَقَتْهُ  
 حُبًّا بَعَثَتْهُ عَلَى الْإِضْغَارِ إِلَى أَبِيهَا وَأَمَّا هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْمَأْمُونِ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ  
 وَعِلْمِهِ وَأَقْبَاتِهِ سُنَنَ الْخُلَنَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخَذِهِ بِسِيرِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَرْكَانِ  
 إِلَهَةِ وَمُنَاطَرَتِهِ الْعُلَمَاءَ وَحِفْظِهِ لِعُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فِي صَلَوَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ  
 عَنْهُ أَحْوَالُ الْفَسَاقِ الْمُسْتَهْتَرِينَ <sup>(١)</sup> فِي التَّطَوُّفِ بِاللَّيْلِ وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغَشْيَانِ السَّرِّ  
 سَبِيلِ عُشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَمَّا ذَلِكَ مِنْ مَنَصِبِ ابْنَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ  
 بِدَارِ أَبِيهَا مِنَ الصُّونِ وَالْعَنَافِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ  
 مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا يَبْعَثُ عَلَى وَضْعِهَا وَالْحَدِيثُ بِهَا الْأَنْهِيكَ فِي الْأَلْذَاتِ الْمُحَرَّمَةِ وَهَتَكَ قِنَاعَ  
 الْمَحْدَرَاتِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِالتَّأْسِي بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لَدَاتِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ كَثِيرًا مَا  
 يَلْهَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيُنْتَرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَفُّهِمْ لِأَوْرَاقِ الدَّوَابِّ وَلَوْ أَنَّتَسَوَّاهُمْ  
 فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصِفَاتِ الْكِبَالِ الْأَلْبَنَةِ بِهِمْ الْمَشُورَةُ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا  
 لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَذَلْتُ يَوْمًا بَعْضَ الْأُمَرَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ بِتَعْلُمِ  
 الْغِنَاءِ وَوَأَوْعِهِ بِالْأَوْتَارِ وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِكَ فَقَالَ لِي أَفَلَا

(١) المستهتر بالشئ بالفتح المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرت اباطيله اه قاموس



تَرَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَأْسَ الْمُتَعَنِّينَ فِي زَمَانِهِ  
فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَّا تَأَسَّيْتُ بِأَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ  
عَنْ مَنَاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَذْلِي وَأَعْرَضَ وَاللَّهِ يُوْدِي مَنْ يَشَاءُ . وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ مَا  
يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْأَثْبَاتِ فِي الْعَبِيدِيَّتَيْنِ خُلَفَاءِ الشَّيْعَةِ بِالْقَيْدَوَانِ  
وَالْقَاهِرَةِ مِنْ نَفْسِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالطُّغْنِ فِي نَسَبِهِمْ إِلَى إِسْمَاعِيلَ  
الْإِمَامِ ابْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ يَعْتمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَادِيثَ لَفَقَتْ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْ  
خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَرْفُفًا إِلَيْهِمْ بِالْقَدَحِ فَيَمْنُ نَاصِبُهُمْ وَتَثْنًا فِي الشَّمَاتِ بِعَدُوِّهِمْ حَسَبًا  
نَذَكَّرُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيَتَقَاوَنَ عَنْ التَّنَاطُرِ إِشْرَاهِدِ الْوَاقِعَاتِ وَأَدِلَّةِ  
الْأَحْوَالِ الَّتِي اقْتَضَتْ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مُتَقَبُّونَ  
فِي حَدِيثِهِمْ عَنْ مَبْدَأِ دَوْلَةِ الشَّيْعَةِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَاسِبِ لَمَّا دُعِيَ بِكُتَامَةِ الرَّضَى  
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَشْتَهَرَ خَبْرُهُ وَعُلِمَ تَحْوِيلُهُ عَلَى عُيَيْدِ اللَّهِ الْمُهْدِيِّ وَأَبْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
خَشِيًا عَلَى أَنْفُسِهِمَا فَهَرَبَا مِنَ الْمَشْرِقِ مَحَلَّ الْخِلَافَةِ وَاجْتَاذَا بِضَرٍّ وَأَنْهَمَا خَرَجَا مِنْ  
الْأَسْكَندَرِيَّةِ فِي زِيْرِ الثُّجَارِ وَنُسِيَ خَبْرُهُمَا إِلَى عَيْسَى النُّوْشَرِيِّ عَامِلٍ مِصْرَ  
وَالْأَسْكَندَرِيَّةِ فَسَرَّحَ فِي طَلَبِهِمَا الْخِيَالَةَ حَتَّى إِذَا أُدْرِكََا خَفِيَ حَالُهُمَا عَلَى تَابِعِيهِمَا بِمَا  
لَبَسُوا بِهِ مِنَ الشَّارَةِ وَالزِّيْرِ فَأَفْلَتُوا إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّ الْمُعْتَضِدَ أَوْزَرَ إِلَى الْأَغَالِيَةِ أُمَرَاءَ  
أَفْرِيقِيَا بِالْقَيْدَوَانِ وَبَنِي مِندَرَارٍ أُمَرَاءَ سِجِلْمَاسَةَ بِأَخْذِ الْأَفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِذْكَاءِ الْعُيُونِ  
فِي طَلَبِهِمَا فَعَثَرَ الْأَشْعُ صَاحِبُ سِجِلْمَاسَةَ مِنْ آلِ مِندَرَارٍ عَلَى خَفِيِّ مَكَانِهِمَا بِبَلَدِهِ وَاعْتَقَلَهُمَا  
مَرْضَاةً لِلْخَلِيفَةِ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ الشَّيْعَةُ عَلَى الْأَغَالِيَةِ بِالْقَيْدَوَانِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا  
كَانَ مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ ثُمَّ بِالْيَمَنِ ثُمَّ بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ ثُمَّ بِمِصْرَ  
وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَقَاسَمُوا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ شِقَّ الْأَبْلَامَةِ وَكَادُوا يَلْجُونَ  
عَلَيْهِمْ مَوَاطِنَهُمْ وَيُزَايِلُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَقَدْ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُمْ بِبَغْدَادَ وَعِرَاقَهَا الْأَمِيرُ  
الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ مَوَالِي الدَّيْلَمِ الْمُتَمَلِّينَ عَلَى خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُغَاضَبَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
أُمَرَاءِ الْعَجَمِ وَخُطِبَ لَهُمْ عَلَى مَنَابِرِهَا حَوْلًا كَامِلًا وَمَا زَالَ بَنُو الْعَبَّاسِ يَغْضُونَ بِمَكَانِهِمْ  
وَدَوْلَتِهِمْ وَمُلُوكُ بَنِي أُمَيَّةَ وَرَاءَ الْبَحْرِ يُنَادُونَ بِالْأَوِيلِ وَالْحَرْبِ مِنْهُمْ وَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا كُلُّهُ  
لِدَعْيٍ فِي النَّسَبِ يَكْذِبُ فِي انْتِحَالِ الْأَمْرِ وَاعْتِدَابِ حَالِ الْقَرْمَاطِيِّ إِذَا كَانَ دَعِيًّا فِي

أَنْتَسَابِهِ كَيْفَ تَلَأَسَتْ دَعْوَتُهُ وَتَفَرَّقَتْ أَتْبَاعُهُ وَظَهَرَ سَرِيعاً عَلَى خُبَرِهِمْ وَمَكْرِهِمْ فَسَاءَتْ عَاقِبَتُهُمْ وَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَوْ كَانَ أَمْرُ الْعَبِيدِ يَنْبَغِي بِذَلِكَ لَعُرِفَ وَلَوْ بَعْدَ مُهْلَةٍ وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

فَقَدْ اتَّصَلَتْ دَوْلَتُهُمْ نَحْواً مِنْ مِائَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً وَمَلَكَوا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُصَلَّاهُ وَمَوْطِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَدْفِنُهُ وَمَوْقِفَ الْحَجَّاجِ وَمَهْبِطَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَشِيعَتُهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى أَمٍّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُمْ وَالْحُبِّ فِيهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ بِنَسَبِ الْإِمَامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَلَقَدْ خَرَجُوا مِرَاراً بَعْدَ ذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَدُرُوسِ أَثَرِهَا دَاعِينَ إِلَى بَدْعِهِمْ هَاتِنَيْنِ بِأَسْمَاءِ صَيَانٍ مِنْ أَعْقَابِهِمْ يُزَعِّمُونَ اسْتِحْقَاقَهُمْ لِلْخِلَافَةِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَعْيِينِهِمْ بِالْوَصِيَّةِ مِنْ سَلَفِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَيْحَةِ وَلَوْ أَرْتَابُوا فِي نَسَبِهِمْ لَمَّا رَكِبُوا أَشْنَاكَ الْأَخْطَارِ فِي الْإِنْتِصَارِ لَهُمْ فَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا يُبَاسُ فِي أَمْرِهِ وَلَا يُشَبَّهُ فِي بَدْعِهِ وَلَا يُكْتَبُ نَفْسُهُ فِيهَا يَنْتَحِلُهُ وَالْعَجَبُ مِنَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيِّ شَيْخِ النُّظَارِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ كَيْفَ يَجْنَحُ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْمَرْجُوحَةِ وَيَرَى هَذَا الرَّأْيَ الضَّعِيفَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْحَادِ فِي الدِّينِ وَالْتِمَعَاتِ فِي الرَّافِضِيَّةِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ فِي صَدْرِ دَعْوَتِهِمْ وَلَيْسَ إِثْبَاتُ مُنْتَسَبِهِمْ بِالَّذِي يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً فِي كُفْرِهِمْ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ ابْنِهِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ يَعْظُمَا يَا فَاطِمَةُ أَعْمَلِي فَلَنْ أَغْنِيَا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَمَتَى عَرَفَ أَمْرُ قَضِيَّةٍ أَوْ اسْتَيْقَنَ أَمراً وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَضَدَّعَ بِهِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَالْقَوْمُ كَانُوا فِي مَجَالِ لُطُونِ الدُّوَلِ بِهِمْ وَتَحْتَ رِقَبَةٍ مِنَ الطُّغَاةِ لِتَوْفُرِ شِيعَتِهِمْ وَانْتِشَارِهِمْ فِي الْقَاصِيَةِ بِدَعْوَتِهِمْ وَتَكَرُّرِ خُرُوجِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَاذَتْ رِجَالُهُمْ بِالْإِخْتِفَاءِ وَلَمْ يَكَادُوا يُعْرِفُونَ كَمَا قِيلَ

فَلَوْ تَسَأَلِ الْأَيَّامَ مَا اسْمِي مَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِيَا حَتَّى لَقَدْ سَمِيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامُ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بِالْمَكْتُومِ سَمْتَهُ بِذَلِكَ شِيعَتُهُمْ لَمَّا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ إِخْفَائِهِ حَذْراً مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَيْهِمْ فَتَوَصَّلَ شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ بِذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ إِلَى الطُّغْنِ فِي نَسَبِهِمْ وَازْدَدُوا بِهَذَا الرَّأْيِ الْقَائِلِ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ



مِنْ خُلُقَانِهِمْ وَأَعْجَبَ بِهِ أَوْلِيَائُهُمْ وَأَمْرَاءُ دَوْلَتِهِمْ الْمُتَوَاتُونَ لِخُرُوبِهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَدْفَعُونَ  
 بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ مَعْرَةَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُتَاوَمَةِ وَالْمُدَافَعَةِ لِمَنْ غَلَبَهُمْ عَلَى الشَّامِ  
 وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ مِنَ الْبَرِّ الْكَتَّامِينَ شِيعَةَ الْعَبِيدِينَ وَأَهْلَ دَعْوَتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ أُسْجِلَ  
 الْقُضَاةُ بِبَغْدَادَ بِنَفْسِهِمْ عَنْ هَذَا النَّسَبِ وَشَهِدَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ  
 الشَّرِيفُ الرِّضِيُّ وَأَخُوهُ الْمُرْتَضَى وَابْنُ الْبَطْحَاوِيِّ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ  
 وَالتَّدْوِيرِيُّ وَالصَّيْمَرِيُّ وَابْنُ الْأَكْبَانِيِّ وَالْأَبْيُورْدِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ فَتَبَيَّنَ  
 الشَّيْعَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ بِبَغْدَادَ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ وَذَلِكَ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 فِي أَيَّامِ الْقَادِرِ وَكَانَتْ شَوَادِثُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّمْعِ لِمَا اشْتَهَرَ وَعُرفَ بَيْنَ النَّاسِ  
 بِبَغْدَادَ وَتَارِيخُهَا شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ الطَّاعِنُونَ فِي هَذَا النَّسَبِ فَتَقَلَّهَ الْأَخْبَارِيُّونَ كَمَا سَمِعُوهُ  
 وَرَوَوْهُ حَسْبًا وَعَوَهُ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي كِتَابِ الْمُعْتَضِدِ فِي شَأْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ  
 الْأَثَلَبِ بِالْقَيْرَوَانِ وَابْنِ مِزْرَارٍ بِسِجِلْمَاسَةَ أَصْدَقُ شَاهِدٍ وَأَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِمْ  
 فَالْمُعْتَضِدُ أَقْعَدُ بِنَسَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَالدَّوْلَةُ وَالسُّلْطَانُ سُوقٌ لِلْعَالَمِ تُجْلِبُ إِلَيْهِ  
 بِضَائِعُ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَتُلْتَمَسُ فِيهِ ضَوَالُ الْحُكْمِ وَتُحْدَى إِلَيْهِ رَكَائِبُ الرِّوَايَاتِ  
 وَالْأَخْبَارِ وَمَا نَفَقَ فِيهَا نَفَقَ عِنْدَ الْكَافَّةِ فَإِنْ تَذَهَبَتِ الدَّوْلَةُ عَنِ التَّعَسُّفِ وَالْمِيلِ وَالْأَفْنِ  
 وَالسَّفْسَفَةِ وَسَلَكَتِ الذُّهْجَ الْأُمَمَ وَلَمْ تَجْرُ<sup>(١)</sup> عَنْ قَعْدِ السَّيْلِ نَفَقَ فِي سُوقِهَا الْأَبْرَارُ  
 الْخَالِصُ وَاللُّجَيْنُ الْمُصَفَّى وَإِنْ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَغْرَاضِ وَالْحُقُودِ وَمَاجَتْ بِسَمَائِرَةِ الْعَرَبِ  
 الْبَغْيُ وَالْبَاطِلُ نَفَقَ الْبَرْجُ وَالزَّانِفُ وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ نَظَرُهُ قِسْطَاسٌ بَحْثُهُ وَمِيزَانٌ مُلْتَمَسُهُ  
 وَمِثْلُ هَذَا وَأَبْعَدُ مِنْهُ كَثِيرٌ مَا يَتَنَاجَى بِهِ الطَّاعِنُونَ فِي نَسَبِ أَذْرِيسَ بْنِ أَذْرِيسَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضَوَانِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) الْأَوَّلِ  
 بَعْدَ أَبِيهِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَيُعَرِّضُونَ تَعْرِيزَ الْخَلْدِ بِاللُّظُنِّ فِي الْحِمْلِ الْمُخْلَفِ عَنْ  
 أَذْرِيسَ الْأَكْبَرِ إِنَّهُ لِأَشَدَّ مَوْلَاهُمْ قَبْحُهُمْ اللَّهُ وَأَبْعَدُهُمْ مَا أَجْهَلُهُمْ أَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ  
 أَذْرِيسَ الْأَكْبَرَ كَانَ إِصْهَارُهُ فِي الْبَرِّ وَأَنَّهُ مُنْذُ دَخَلَ الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ عَرِيقٌ فِي الْبَدْوِ وَأَنَّ حَالِ الْبَادِيَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَيْرُ خَافِيَةٍ إِذَا لَا مَكَانَ لَهُمْ  
 يَتَأَتَّى فِيهَا أَتْرِبٌ وَأَحْوَالُ حُرْمِهِمْ أَجْمَعِينَ يَمْرَأَى مِنْ بَجَارَاتِهِمْ وَمَسْمَعٍ مِنْ حِيَارَتِهِمْ  
 لَتَلَاصِقَ الْجُدْرَانُ وَتَطَامُنَ الْبُيُوتَانُ وَعَدَمَ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَقَدْ كَانَ رَاشِدٌ يَتَوَلَّى

(١) قوله ولم تجر بضم الجيم مضارع جار اي لم تمل اه

خِدْمَةِ الْحَرَمِ أَجْمَعَ مِنْ بَعْدِ مَوْلَاهُ بِمَشْهَدٍ مِنْ أَوْلِيائِهِمْ وَشِيعَتِهِمْ وَمُرَاقِبَةٍ مِنْ كَافَّةِهِمْ  
 وَقَدْ اتَّخَذَ بِرَايَةِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَامَّةً عَلَى بَيْعَةِ أَدْرِيسَ الْأَصْغَرِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ وَآتَوْهُ  
 طَاعَتُهُمْ عَنْ رِضَى وَإِصْفَاقٍ وَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَخَاضُوا دُونَهُ بِحَارِ الْمَنَآيَا فِي  
 حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ. وَلَوْ حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الرَّيْبَةِ أَوْ قُرِعَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَلَوْ مِنْ عَدُوِّ  
 كَاشِحٍ أَوْ مُنَافِقٍ مُرْتَابٍ لَتَحَلَّتْ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْضُهُمْ كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّمَا صَدَرَتْ هَذِهِ  
 الْكَلِمَاتُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَقْتَالِهِمْ وَمِنْ بَنِي الْأَعْلَبِ عُثَالِهِمْ كَانُوا بِأَفْرِيقَةٍ وَوَلَايَتِهِمْ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّ أَدْرِيسُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ وَقْعَةٍ بَلَغَ أَوْغَرَ الْهَادِي إِلَى الْأَعْلَابَةِ  
 أَنْ يَقْعُدُوا لَهُ بِالْمَرَاصِدِ وَيَذْكُوا عَلَيْهِ الْعُرُونَ فَلَمْ يَخَافُوا بِهِ وَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَتَمَّ  
 أَمْرُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَظَهَرَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَاضِحِ مَوْلَاهُمْ وَعَامِلِهِمْ  
 عَلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ مِنْ دَسِيصَةِ الشَّيْبِ لِلْعُلُوِّيَّةِ وَإِذَا هَانِي فِي نَجَاقِ أَدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
 فَقَتَلَهُ وَدَسَّ الشَّيْخَ مِنْ مَوَالِي الْهَدْيِ أَبِيهِ لِتَحْلِيلِ عَلَى قَتْلِ أَدْرِيسَ فَأَظْهَرَ الْحَقَّ بِهِ  
 وَالْبَرَاءَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوَالِيهِ فَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ أَدْرِيسُ وَخَطَطَهُ بِنَفْسِهِ وَنَاولَهُ الشَّيْخَ فِي  
 بَعْضِ خَلَوَاتِهِ سُمًّا اسْتَهْلَكَهُ بِهِ وَوَقَعَ خَبْرُ مَهْلِكِهِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ  
 إِمَّا رَجُوهُ مِنْ قَطْعِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ الْعُلُوِّيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَاقْتِلَاعِ جُرُثُومَتِهَا وَلَمَّا تَأَدَّى  
 إِلَيْهِمْ خَبْرُ الْجَمَلِ الْمُخْطَفِ لِأَدْرِيسَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا كَلَّا وَلَا وَإِذَا بِالدَّعْوَةِ قَدْ  
 عَادَتْ وَالشَّيْعَةُ بِالْمَغْرِبِ قَدْ ظَهَرَتْ وَدَوَّلَتُهُمْ بِأَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ قَدْ تَجَدَّدَتْ فَكَانَ  
 ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْكَى مِنْ وَقَعِ الْبِهَامِ وَكَانَ الْفُشْلُ وَالْهَرَمُ قَدْ تَزَلَا بِدَوْلَةِ الْعَرَبِ عَنْ  
 أَنْ يَسْمُوا إِلَى الْقَاصِيَةِ فَلَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى قُدْرَةِ الرَّشِيدِ عَلَى أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ بِمَكَانِهِ مِنْ  
 قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَاشْتِمَالِ الْبَرْبَرِ عَلَيْهِ إِلَّا التَّحْلِيلُ فِي إِهْلَاكِهِ بِالسُّومِ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَرَّعُوا  
 إِلَى أَوْلِيائِهِمْ مِنَ الْأَعْلَابَةِ بِأَفْرِيقَةٍ فِي سِدِّ تِلْكَ الْفُرْجَةِ مِنْ نَاحِيَّتِهِمْ وَحَسَمَ الدَّاءَ  
 الْمَتَوَقَّعَ بِالدَّوْلَةِ مِنْ قِبَلِهِمْ وَاقْتِلَاعِ تِلْكَ الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ تَشْجَّ مِنْهُمْ يُخَاطِبُهُمْ بِذَلِكَ  
 الْمَأْمُونُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ خُطَفَائِهِمْ فَكَانَ الْأَعْلَابَةُ عَنْ بِرَايَةِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى أَعْجَزَ  
 وَلَيْسَ لَهَا مِنَ الرِّبُونِ عَلَى مُلُوكِهِمْ أَحْرَجَ لِمَا طَرَقَ الْخِلَافَةُ مِنْ أَنْزَاءِ تَمَالِكِ الْعَجَمِ عَلَى  
 سُدَّتِهَا وَآمِطَائِهِمْ صَهْوَةَ التَّغْلِبِ عَلَيْهَا وَتَضْرِيغُهُمْ أَحْكَامَهَا طَوَعَ أَغْرَاضَهُمْ فِي رِجَالِهَا  
 وَجَبَائِثِهَا وَأَهْلَ خَطَطِهَا رَسَاوِرَ نَقْضِهَا وَإِبْرَامِهَا كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ



خليفة في قفص      بين وصيف وبنا  
يقول ما قالاه      كما تقول الينا

فخشي هؤلاء الأمراء الأغلبة برادر السعيات وتلوا بالمعاذير فطوراً باحتقار المغرب  
وأهله وطوراً بالإرهاب بشأن أدریس الخارج به ومن قام مقامه من أعقابهم يخاطبونهم  
بتجاوز حدود الثغور من عمله وينفذون سكتة في تحنهم وهذا بهم ومرتفع جباياتهم  
تعريضاً باستفحاره وتهويلاً بأشداً شوكة وتعظيماً لما دفعوا إليه من مطالبته ومراسه  
وتهديداً بقلب الدعوة إن أجزوا إليه وطوراً يطعنون في نسب أدریس بمثل ذلك  
الطن الكاذب تخيضاً لشأزه لا يبالون بصدقه من كذبه إبعاد المسافة وأفن عقول  
من خلف من صيته بني العباس وممالكهم العجم في القبول من كل قائل والسجع لكل  
ناعر ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى أمر الأغلبة فقرعت هذه الكلمة الشنعاء  
أسماع النوغاء وصر عليها بعض الطاعنين أذنه واعتدتها ذريعة إلى النيل من خلفهم  
عند المنافسة وما لهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين  
المنطوع والمظنون وأدریس ولد على فراش أبيه والولد للفراش على أن تزيه أهل  
البيت عن مثل هذا من عقائد أهل الإيمان فأنه سبحانه قد أذهب عنهم الرجس  
وطهرهم تطهيراً ففراش أدریس طاهر من الدنس ومثله عن الرجس بحكم القرآن  
ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بإثمه وولج الكفر من بابه وإنما ألتبت في هذا  
الرد سداً لأبواب الریب ودفعاً في صدر الخاسد لما سمعته أذناي من قائله المعتدي  
عليهم القادح في نسبهم بغيريته وينقله بوجهه عن بعض مؤرخي المغرب ممن  
أنحرف عن أهل البيت وأرتب في الإيمان بسلفهم وإلا فالحل مذهب عن ذلك  
مغموم منه ونفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكتي جادلت عنهم في الحياة  
الدنيا وأرجو أن يجادلوا عني يوم القيامة ولتعلم أن أكثر الطاعنين في نسبهم إنما  
هم الحسدة لأعقاب أدریس هذا من منتم إلى أهل البيت أو دخيل فيهم فإن ادعاء  
هذا النسب الكريم دعوى شرف عريضة على الأمم والأجيال من أهل الأفاق  
فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني أدریس هؤلاء بتواطئهم من فارس وسائر  
ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغاً لا يكاد يُلحق ولا يطمع أحد في

حَدَّثَنَا إِذْ هُوَ نَقْلُ الْأُمَّةِ وَالْجِيلِ مِنَ الْخَلْفِ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْجِيلِ مِنَ السَّلَفِ وَبَيَّتْ جَدَّهُمْ  
 أَذْرِيْسَ مُخْطَطٍ فَاَسَ وَمُوسِيَهَا مِنْ يُيُوتِهِمْ وَمَسْجِدَهُ إِنْشَقَّ مَخْلَتِهِمْ وَدُرُوبِهِمْ وَسَيْفُهُ  
 مُنْتَضِي بِرَأْسِ الْمَأْذَنَةِ الْعُظْمَى مِنْ قَرَارِ بَلَدِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ الَّتِي جَاوَزَتْ أَخْبَارُهَا  
 حُدُودَ التَّوَاتُرِ مَرَّاتٍ وَكَادَتْ تَلْحَقُ بِالْعِيَانِ فَإِذَا نَظَرَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا النَّسَبِ إِلَى  
 مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ أَمْثَالِهَا وَمَا عَصَدَ شَرَفُهُمُ النَّبَوِيُّ مِنْ جَلَالِ الْمُلْكِ الَّذِي كَانَ لِسَلَفِهِمْ  
 بِالْمَغْرِبِ وَاسْتَيْقَنَ أَنَّهُ بِمَغْرَلٍ عَنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ وَأَنَّ غَايَةَ  
 أَمْرِ الْمُتَشَبِّهِينَ إِلَى الْيَتِّ الْكَرِيمِ يَمْنُ لَمْ يَحْضَلْ لَهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ أَنْ يُسَلِّمَ  
 لَهُمْ حَالَهُمْ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَيَوْنُ مَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالظَّنِّ وَالْيَقِينِ وَالْتَّسْلِيمِ  
 فَإِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ غَضَّ بِرِيَّتِهِ وَوَدَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَوْ يَرُدُّوهُمْ عَنْ شَرَفِهِمْ ذَلِكَ  
 سُوقَةٌ وَوَضْعَاءُ <sup>(١)</sup> حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْعِنَادِ وَارْتِكَابِ اللَّجَاجِ  
 وَالْبُهْتِ بِمِثْلِ هَذَا الطَّنِّ الْفَائِلِ وَالْقَوْلِ الْمَكْذُوبِ تَعْلَلًا بِالسَّوَادَةِ فِي الظَّنِّ وَالْمُشَابَهَةِ  
 فِي تَطَرُّقِ الْأَحْثَالِ وَهِيَ هَاتِ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْمَغْرِبِ فِيمَا نَعْلَمُهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْيَتِّ  
 الْكَرِيمِ مَنْ يَبْلُغُ فِي صِرَاحَةِ نَسَبِهِ وَوُضُوحِهِ مَبَالِغَ أَعْقَابِ أَذْرِيْسَ هَذَا مِنْ آلِ  
 الْحَسَنِ وَكِبَرَاؤُهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ بَنُو عِمْرَانَ بِفَاسَ مِنْ وَلَدِ يَحْيَى الْحَوَاطِي بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى  
 الْعَوَامِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَذْرِيْسَ بْنِ أَذْرِيْسَ وَهُمْ نُقَبَاءُ أَهْلِ الْيَتِّ هُنَاكَ وَالسَّاكِنُونَ بَيْتِ  
 جَدِّهِمْ أَذْرِيْسَ وَلَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ كَأَفَّةٍ حَسَبًا نَذَكُرُهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ  
 الْأَدَارِسَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَيُلْحَقُ بِهِذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةُ وَالْمَذَاهِبُ الْفَائِلَةُ مَا  
 يَتَنَاوَلُهُ ضَعْفَةُ الرَّأْيِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْقَدَحِ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ دَوْلَةِ  
 الْمُوَحِّدِينَ وَنَسَبَتِهِ إِلَى الشَّعْوَذَةِ وَالتَّلِيسِ فِيمَا آتَاهُ مِنَ الْيَامِ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ وَالتَّنْغِي  
 عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ قَبْلَهُ وَتَكْذِيبِهِمْ لِجَمِيعِ مُدَّعِيَاتِهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى فِيمَا يَزْعُمُ الْمُوَحِّدُونَ  
 اتِّبَاعَهُ مِنْ اتِّسَابِهِ فِي أَهْلِ الْيَتِّ وَإِنَّمَا حَمَلَ الْقُتَّاءُ عَلَى تَكْذِيبِهِ مَا كَمَنَّ فِي نُفُوسِهِمْ  
 مِنْ حَسَدِهِ عَلَى شَأْنِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مُنَافَصَةً فِي الْعِلْمِ وَالْقِيَا وَفِي الدِّينِ  
 بِزَعْمِهِمْ ثُمَّ أَمْتَاذَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ مَشْبُوعُ الرَّأْيِ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ مَوْطُورُ الْعَقَبِ نَسُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ  
 وَغَضُّوا مِنْهُ بِالْقَدَحِ فِي مَذَاهِبِهِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُدَّعِيَاتِهِ وَأَيْضًا فَكَانُوا يُؤْنِسُونَ مِنْ

(١) قوله ووضعاء بضم الواو جمع وضع اهـ



مُلُوكِ الْمُتُونَةِ أَعْدَائِهِ تَجَلَّةٌ وَكَرَامَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّذَاجَةِ  
 وَاتِّخَالِ الدِّيَانَةِ فَكَانَ إِحْمَلَةُ الْعِلْمِ بِدَوَلَتِهِمْ مَكَانٌ مِنَ الْوَجَاهَةِ وَالْإِنتِصَابِ لِلشُّورَى  
 كُلِّ فِي بَلَدِهِ وَعَلَى قَدَرِهِ فِي قَوْمِهِ فَأَصْبَحُوا بِذَلِكَ شِيعَةً لَهُمْ وَحَرْبًا لِعَدُوِّهِمْ وَنَقَمُوا عَلَى  
 الْمَهْدِيِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِهِمْ وَالتَّزْيِيبِ عَلَيْهِمْ وَالْمُنَاصَبَةِ لَهُمْ تَشْيُعًا لِلْمُتُونَةِ وَتَعْصَبًا  
 لِدَوَلَتِهِمْ وَمَكَانُ الرَّجُلِ غَيْرُ مَكَانِهِمْ وَحَالُهُ عَلَى غَيْرِ مُعَقَّدَاتِهِمْ وَمَا ظَنُّكَ بِرَجُلٍ نَقَمَ  
 عَلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ مَا نَقَمَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَخَالَفَ أَجْتِهَادَهُ فَقَهَائِهِمْ فَنَادَى فِي قَوْمِهِ وَدَعَا إِلَى  
 جِهَادِهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَقْتَلَعَ الدَّوْلَةَ مِنْ أَصُولِهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا أَعْظَمَ مَا كَانَتْ قُوَّةً وَأَشَدَّ  
 شُرُكَةً وَأَعَزَّ أَنْصَارًا وَحَامِيَةً وَتَسَاقَطَتْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَتْبَاعِهِ نَفُوسٌ لَا يُخَصِّمُهَا إِلَّا خَالَفَهَا  
 قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ وَوَقَّوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَهْلِكَ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِإِتْلَافِ  
 مُهْجِهِمْ فِي إِظْهَارِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعَصُّبِ لِتِلْكَ الْكَلِمَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمِ . وَدَالَتْ  
 بِالْعَدَوَّتَيْنِ مِنَ الدُّوَلِ وَهُوَ بِحَالَةٍ مِنَ التَّقْشِفِ وَالْخَصْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالتَّقَلُّلِ مِنَ  
 الدُّنْيَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَطِّ وَالْمَتَاعِ فِي دُنْيَاهُ حَتَّى أُلُوِّدَ الَّذِي  
 رَبَّنَا تَجَنُّحُ إِلَيْهِ النَّفُوسُ وَتَخَادَعُ عَنْ تَمَنِّيهِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي قَصَدَ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ  
 يَكُنْ وَجْهَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَحْضُرْ لَهُ حَظٌّ مِنَ الدُّنْيَا فِي عَاجِلِهِ وَمَعَ هَذَا فَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ غَيْرَ  
 صَالِحٍ لِمَا تَمَّ أَمْرُهُ وَانْفَسَحَتْ دَعْوَتُهُ سُنَّةُ اللَّهِ أَنِّي قَدْ خَلْتُ فِي عِبَادِهِ وَأَمَّا إِنْكَارُهُمْ  
 نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فَلَا تَعْضُدُهُ حُجَّةٌ لَهُمْ مَعَ أَنَّهُ إِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ ادَّعَاهُ وَأَنْتَسَبَ إِلَيْهِ فَلَا  
 دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى بُطْلَانِهِ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنْ قَالُوا إِنْ الرِّئَاسَةَ لَا  
 تَكُونُ عَلَى قَوْمٍ فِي غَيْرِ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ حَسَبًا يَأْتِي فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ  
 مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَالرَّجُلُ قَدْ رَأَسَ سَائِرَ الْمَصَامِدَةِ وَدَانُوا بِأَتْبَاعِهِ وَالْإِنْتِيَادَ إِلَيْهِ وَإِلَى  
 عَصَابَتِهِ مِنْ هَرِغَةٍ حَتَّى تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِي دَعْوَتِهِ فَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا النَّسَبَ الْفَاطِمِيَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرُ  
 الْمَهْدِيِّ يَتَرَقَّفُ عَلَيْهِ وَلَا أَتْبَعَهُ النَّاسُ بِسَبِيهِ وَإِنَّمَا كَانَ أَتْبَاعُهُمْ لَهُ بِعَصِيَّةِ الْهَرِغَةِ  
 وَالْمَصُودِيَّةِ وَمَكَانِهِ مِنْهَا وَدُسُوحِ شَجَرَتِهِ فِيهَا وَكَانَ ذَلِكَ النَّسَبُ الْفَاطِمِيَّ خَفِيًّا قَدْ  
 دُرِسَ عِنْدَ النَّاسِ وَبَيَّنَّ عِنْدَهُ وَعِنْدَ عَشِيرَتِهِ يَتَنَاقَلُونَهُ بَيْنَهُمْ فَيَكُونُ النَّسَبُ الْأَوَّلُ كَأَنَّهُ  
 أُنْسَلَخَ مِنْهُ وَأَبْسُ جِلْدَةٍ مَوْلَا . وَظَهَرَ فِيهَا فَلَا يَضُرُّهُ الْإِنْتِسَابُ الْأَوَّلُ فِي عَصِيَّتِهِ إِذْ هُوَ  
 مَجْهُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِصَابَةِ وَمِثْلُ هَذَا وَقَعَ كَثِيرًا إِذَا كَانَ النَّسَبُ الْأَوَّلُ خَفِيًّا وَانْظُرْ

قِصَّةَ عَرْفَجَةَ وَجَرِيرٍ فِي رِئَاسَةِ بَجِيلَةٍ وَكَيْفَ كَانَ عَرْفَجَةُ مِنَ الْأَزْدِ وَأَيُّ جِلْدَةٍ بِجِيلَةٍ حَتَّى تَنَازَعَ مَعَ جَرِيرٍ رِئَاسَتَهُمْ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ تَتَقَهُمْ مِنْهُ وَجْهَ الْحَقِّ وَلَقَدْ أَهْلَاوِي لِصَوَابٍ وَقَدْ كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ بِالْإِطْنَابِ فِي هَذِهِ التَّنَاطُلِ فَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْحَفَاطِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَجَادِيثِ وَالْآرَاءِ وَبَلَّغَتْ أَفْكَارُهُمْ وَنَقَلَهَا عَنْهُمْ الْكَافَّةُ مِنْ صُفَّةِ النَّظَرِ وَالْعَقْلَةِ عَنْ الْيَتَاسِ وَتَلَقَّوْهَا هُمْ أَيْضًا كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي مَحْضُوظَاتِهِمْ حَتَّى صَارَ فَنُّ التَّارِيخِ وَاهِيًا مُخْتَلِطًا وَنَاطِرُهُ مُرْتَبِكًا وَدَّ مِنْ مَنَاحِي الْعَامَّةِ فَإِذَا يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذَا الدَّنِ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ الْمَوْجُودَاتِ وَآخْتِلَافِ الْأُمَمِ وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْصَارِ فِي السَّيْرِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعَوَائِدِ وَالتَّحَلُّ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ ذَلِكَ وَتُمَانِلَةٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيبِ مِنَ الْوِفَاقِ أَوْ يُونِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ الْخِلَافِ وَتَعْدِيلِ الْمُنْتَقِ مِنْهَا وَالْمُخْتَلِفِ وَالْإِتِّمَامِ عَلَى أُصُولِ الدُّوَلِ وَالْإِلْمَلِ وَمَبَادِيءِ ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَائِي كَوْنِهَا وَأَحْوَالِ الْعَالَمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ خَبَرٍ وَحَيْثُ يَعْرِضُ خَبَرُ الْمَنْقُولِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ فَإِنْ وَافَقَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ صَحِيحًا وَإِلَّا زَيَّنَّهُ وَأَسْتَعْنَى عَنْهُ وَمَا اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّارِيخِ إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى انْتَحَلَهُ الطَّبَرِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قَبْلِهِمَا وَأَمْثَلُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السَّرِّ فِيهِ حَتَّى صَارَ انْتِحَالُهُ مَجْبُوعًا وَاسْتَحْفَ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا رُسُخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ مُطَالَعَتُهُ وَحَمَلُهُ وَالْخَوْضَ فِيهِ وَالْتَّطَلُّ عَلَيْهِ فَاتَّخَلَطَ الْمُرْعِيُّ بِالْمَلِكِ وَاللُّبَابُ بِالْعِشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمِنْ الْخَلَطِ الْحَقِّي فِي التَّارِيخِ الدُّهُولُ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ بِتَبَدُّلِ الْأَعْصَارِ وَمُرُورِ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَاءٌ دَوَى شَدِيدُ الْعِلَاءِ إِذَا لَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ أَهْقَابِ مُتَطَاوِلَةٍ فَلَا يَكَادُ يَتَقَطَّنُ لَهُ إِلَّا الْآحَادُ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدَهُمْ وَنَحْلَهُمْ لَا تَدُومُ عَلَى وَتِيْدَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جِ مُسْتَقَرٌّ إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَزْمِنَةِ وَاتِّتْقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَشْخَاصِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي الْآفَاقِ وَالْأَقْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَدْوَلِ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمَمُ الْفُرْسِ الْأُولَى وَالسَّرِيَانِيُونَ



وَالنَّبَطُ وَالتَّبَابِعَةُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَيْطُ وَكَانُوا عَلَى أحوالٍ خَاصَّةٍ بِهِمْ فِي دَوْلِهِمْ  
وَمَمَالِكِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرِ مُشَارِكَاتِهِمْ مَعَ أَبْنَاءِ  
جَنَسِهِمْ وَأَحوالِ اعْتِمَارِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا آثارُهُمْ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمُ الْفُرسُ الْأَانيةُ  
وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ فَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحوالُ وَأَنْقَلَبَتْ بِهَا الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا أَوْ يُشَابِهُهَا  
وَالِى مَا يُبَايِنُهَا أَوْ يُبَاعِدُهَا ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرَّ فَأَنْقَلَبَتْ تِلْكَ الْأَحوالُ أَجْمَعُ  
أَنْتِلَابَةً أُخْرَى وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارِفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَخْذِهِ الْخَلْفُ عَنْ السَّلَفِ  
ثُمَّ دُرِسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَذَهَبَتْ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَيْدُوا عِزَّهُمْ وَمَهَّدُوا  
مُلْكَهُمْ وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجَمِ مِثْلُ التُّركِ بِالشَّرْقِ وَالْبَرْبرِ  
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجَةِ بِالشَّمَالِ فَذَهَبَتْ بِذَهَابِهِمْ أُمَمٌ وَأَنْقَلَبَتْ أَحوالُ وَعَوَائِدُ نَسَبِ سَائِرِهَا  
وَأَغْلَى أَمْرُهَا وَالسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحوالِ وَالْعَوَائِدِ أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ تَابِعَةٌ  
لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ وَأَهْلُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانِ إِذَا اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَفْرَعُوا إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ  
وَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُغْفِلُونَ عَوَائِدَ جِيَاهِمُ مَعَ ذَلِكَ فَيَقَعُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ  
بَعْضُ الْمُخَالَفَةِ لِعَوَائِدِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَرَجَّتْ مِنْ  
عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ أَيْضًا بَعْضَ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ مُخَالَفَةً ثُمَّ لَا يَزَالُ  
التَّدْرِيجُ فِي الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُبَايَنَةِ بِالْجُمْلَةِ فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ  
تَتَعَاقَبُ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْمُخَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحوالِ وَاقِعَةً وَالْقِيَاسُ  
وَالْمُخَاسَاةُ لِلإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنْ الْغَلَطِ غَيْرُ مَاثُومَةٍ تُخْرِجُهُ مَعَ الذُّهُولِ وَالْغَفْلَةِ  
عَنْ قَضِيهِ وَتَتَوَجَّعُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ قَرِيبًا يَسْمَعُ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِيْنَ وَلَا  
يَتَخَطَّنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحوالِ وَأَنْقِلَابِهَا فَيُجَرِّبُهَا لِأَوَّلِ وَهَلَةٍ عَلَى مَا عَرَفَ وَيَقْيِسُهَا  
بِمَا شَهِدَ وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا فَيَقَعُ فِي مَهْوَاةٍ مِنَ الْغَلَطِ فَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا  
يَنْقُلُهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَحوالِ الْحَجَّاجِ وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ مَعَ أَنَّ التَّلْمِيذَ لِهَذَا  
الْعَهْدِ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَعَاشِيَةِ الْبَعِيدَةِ مِنْ أَعْيَازِ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَالْمُعَلِّمِ مُسْتَضْعَفٌ  
مَسْكِينٌ مُنْقَطِعُ الْجِذْمِ <sup>(١)</sup> فَيَتَشَوَّفُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ أَهْلَ الْحِرَفِ وَالصَّنَائِعِ

(١) الجذم الاصل اه قاموس

الْمَعَاشِيَةِ إِلَى نَيْلِ الرُّتَبِ الَّتِي لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ وَيَعْدُونَهَا مِنَ الْمُسْكِنَاتِ لَهُمْ فَتَذْهَبُ  
 بِهِمْ وَسَاوِسُ الْمَطَامِعِ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ حَبْلُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَسَقَطُوا فِي مَهْوَاةِ الْهَلَكَةِ  
 وَالتَّلَفِ وَلَا يَعْلَمُونَ اسْتِحَالَاتَهَا فِي حَقِّهِمْ وَأَنَّهِمْ أَهْلُ حِرَفٍ وَصَنَائِعٍ لِلْمَعَاشِ وَأَنَّ التَّعْلِيمَ  
 صَدْرُ الْإِسْلَامِ وَالِدَوْلَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِالْجُمَاةِ صِنَاعَةً إِنَّمَا كَانَ  
 نَقْلًا لِأُسْمَاعٍ مَعَ الشَّارِعِ وَتَعْلِيمًا لِلْجُهَلِ مِنَ الدِّينِ عَلَى جِهَةِ الْبَلَاغِ فَكَانَ أَهْلُ  
 الْأَنْسَابِ وَالْعَصِيَّةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْإِلْمَةِ هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ الْحَبْرِيِّ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ الصَّنَاعِيِّ إِذْ هُوَ كِتَابُهُمْ  
 الْمُنْذَلُّ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُمْ وَبِهِ هِدَايَاتُهُمْ وَالْإِسْلَامُ دِينُهُمْ قَاتَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوا وَاخْتَصَمُوا  
 بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَشَرُّفُوا فَيَحْرُصُونَ عَلَى تَبْلِيغِ ذَلِكَ وَتَفْهِيمِهِ لِلْأُمَّةِ لَا تُصَدِّقُهُمْ عَنْهُ لَأَنَّهُ  
 الْكِبَرُ وَلَا يُزَعِّمُهُمْ عَازِلُ الْأَنْفَةِ وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ بَعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِبَارَ  
 أَصْحَابِهِ مَعَ وَفُودِ الْعَرَبِ يُعَلِّمُونَهُمْ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ  
 بَعَثَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْعَشْرَةَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ فَمَا اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ وَوَسَّجَتْ عُرُوقُ  
 الْإِلْمَةِ حَتَّى تَنَاوَلَهَا الْأُمَمُ الْبَعِيدَةُ مِنْ أَيْدِي أَهْلِهَا وَاسْتَحَالَتْ بِسُرُورِ الْأَيَّامِ أَحْوَالُهَا  
 وَكَثُرَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ التَّحْصِصِ لِتَعْدُدِ الْوَقَائِعِ وَتَلَاوُحِهَا فَاجْتَبَاهُ  
 ذَلِكَ لِقَانُونٍ يَحْتَظُّهُ مِنَ الْخَطَا وَصَارَ الْعِلْمُ مَلَكَةً يَحْتَاجُ إِلَى التَّعْلِيمِ فَأَصْبَحَ مِنْ جُمَلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ بِالْيَتِيمِ  
 بِالْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فَدَفَعَ لِعِلْمٍ مَنْ قَامَ بِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَصْبَحَ حِرْفَةً لِلْمَعَاشِ وَشَمَعَتْ  
 أَنْفُ الْمُتَرَفِّينَ وَأَهْلِ السُّلْطَانِ عَنِ التَّصَدِّيِّ لِلتَّعْلِيمِ وَاخْتَصَرَ انْتِحَاؤُهُ بِالْمُسْتَغْنَيْنِ  
 وَصَارَ مُنْتَحِلُهُ مُحَقَّرًا عِنْدَ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَالْمَلِكِ وَالْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ  
 تَقِيْفٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَمَكَانُهُمْ مِنْ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَمُنَاهِضَةُ قُرَيْشٍ فِي الشَّرَفِ مَا عَلِمْتَ وَلَمْ  
 يَكُنْ تَعْلِيمُهُ لِلْقُرْآنِ عَلَى مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَنَّهُ حِرْفَةٌ لِلْمَعَاشِ وَإِنَّمَا  
 كَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنَ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فِي الْإِسْلَامِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا يَتَوَهَّمُ  
 الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ النَّارِيخِ إِذَا سَبِعُوا أَحْوَالَ الْيُضَاةِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرِّئَاسَةِ فِي  
 الْحُرُوبِ وَقُودِ الْعَسَاكِرِ فَتَدْرَأِي بِهِمْ وَسَاوِسُ الْهَوَمِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتَبِ يَحْسَبُونَ أَنَّ  
 الشَّانَ خِطَّةُ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَيَظُنُّونَ بِأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ



هَاشِمِ الْمُسْتَبَدِّ عَلَيْهِ وَابْنِ عَبَّادٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ بِإِسْطِيلِيَّةٍ إِذَا سَمِعُوا أَنَّ آبَاءَهُمْ  
كَانُوا قُضَاءً أَنَّهُمْ مِثْلُ الْقُضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَتَفَتَّحُونَ لِمَا وَقَعَ فِي رُتَبَةِ الْقُضَاءِ مِنْ  
مُخَالَفَةِ الْعَوَائِدِ كَمَا نُبَيِّنُهُ فِي فَصْلِ الْقُضَاءِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَابْنُ عَبَّادٍ  
كَانَا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلُ عَصِيَّتِيهَا وَكَانَ مَكَانُهُمْ  
فِيهَا مَعْلُومًا وَلَمْ يَكُنْ نِيْلُهُمْ لِمَا نَالُوهُ مِنَ الرِّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ بِخَطَّةِ الْقُضَاءِ كَمَا هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ  
بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْقُضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيمِ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ مِنْ قَبِيلِ الدَّوْلَةِ وَمَوَالِيهَا كَمَا هِيَ  
الْوِزَارَةُ لِعَهْدِنَا بِالْمَغْرِبِ وَانْظُرْ خُرُوجَهُمْ بِالْعَسَاكِرِ فِي الطَّوَاتِفِ وَتَقْلِيدَهُمْ عَظَائِمَ  
الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُقَلَّدُ إِلَّا لِمَنْ لَهُ الْغِنَى فِيهَا بِالْعَصِيَّةِ فَيَقْلُطُ السَّامِعُ فِي ذَلِكَ وَيَحْمِلُ  
الْأَحْوَالَ عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ ضَعْفُ الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ  
لِهَذَا الْعَهْدِ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ فِي مَوَاطِنِهِمْ مُنْذُ أَصَارِ بَعِيدَةٍ بِفَنَاءِ الْعَرَبِ وَدَوْلَتِهِمْ بِهَا  
وُخْرِجَهُمْ عَنْ مَلَكَةِ أَهْلِ الْعَصِيَّاتِ<sup>(١)</sup> مِنَ الْبَرِّ فَبَقِيَتْ أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ مَحْظُوظَةٌ  
وَالذَّرِيعَةُ إِلَى الْغَرِّ مِنَ الْأَصِيَّةِ وَالْتِصَافِ مَقْهُودَةٌ بَلْ حَارُوا مِنْ نَجْمَةِ الرَّأْيَا الْمُتَخَاذِلِينَ  
الَّذِينَ تَعَبَّدَهُمُ الْقَوَرُ وَرَتَّبُوا لِلْمَذَلَّةِ يَحْسَبُونَ أَنَّ أَنْسَابَهُمْ مَعَ مُخَالَفَةِ الدَّوْلَةِ هِيَ الَّتِي يَكُونُ  
لَهُمْ بِهَا الْغَلْبُ وَالْإِحْكَامُ فَتَجِدُ أَهْلَ الْحَرْفِ وَالصَّنَائِعِ مِنْهُمْ مُتَصَدِّقِينَ لِذَلِكَ سَاعِدِينَ  
فِي نَيْلِهِ فَأَمَّا مَنْ بَاشَرَ أَحْوَالَ الْقَبَائِلِ وَالْأَصِيَّةِ وَدَوْلَتِهِمْ بِالْعُدْوَةِ الْغَرَبِيَّةِ وَكَيْفَ يَكُونُ  
الْغَلْبُ بَيْنَ الْأُمَمِ وَالْعَشَائِرِ فَقَلَّمَا يَنْقَلِبُونَ فِي ذَلِكَ وَيُخْطِئُونَ فِي اعْتِبَارِهِ . وَمِنْ هَذَا  
الْبَابِ أَيْضًا مَا يَسْلُكُهُ الْمُؤَرِّخُونَ عِنْدَ ذِكْرِ الدُّوَلِ وَنَسَقِ مُلُوكِهَا فَيَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ  
وَنَسَبَ وَأَبَاءَ وَأُمَّهَ وَنِسَاءَهُ وَلَقَبَهُ وَخَاتَمَهُ وَقَاضِيَهُ وَحَاجِبَهُ وَوَزِيرَهُ كُلُّ ذَلِكَ تَقْلِيدٌ  
لِمُؤَرِّخِي الدَّوَلَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَفَتُّنٍ لِمَقَاصِدِهِمْ وَالْمُؤَرِّخُونَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ كَانُوا يَضَعُونَ

(١) العصية بفتح العين التعصب وهو ان يذب الرجل عن حرم صاحبه ويشمر عن ساق الجدي  
نصره منسوبة الى العصب محركة وهم اقارب الرجل من قبل ابيه لانهم هم القابون عن حرم من هو منتهاهم  
وهي بهذا المعنى ممدوحة واما العصبية المذمومة في الحديث الجامع الصغير ليس منا من دعا الى عصبية وليس  
منا من قاتل على عصبية فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال لقبيلة اخرى لغیر ديانة كما كان يقع من قيام  
سعد على حرام نسبة الى العصبية بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير اقاربه ظالماً كان او  
مظلوماً وفي الفتاوى الحيرية من موانع قبول الشهادة العصبية وهي ان يغض الرجل الرجل لأنه من بني  
فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم قبي الحديث ليس منا من دعا الى عصبية  
وهو موجب للفسق ولا شهادة لمرتكبه . قاله الاستاذ ابو الوفاء . اهـ

تَوَارِيخُهُمْ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَأَبْنَاؤُهَا مُتَشَوِّفُونَ إِلَى سِيَرِ أَسْلَافِهِمْ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ لِيَقْتَنُوا  
آثَرَهُمْ وَيَنْسَجُوا عَلَى مَنَوَالِهِمْ حَتَّى فِي أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ مِنْ خَلْفِ دَوْلَتِهِمْ وَتَقْلِيدِ  
الْخِلَاطِ وَالْتَرَاتِبِ لِأَبْنَاءِ صَنَائِعِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَالْقُضَاةِ أَيْضًا كَانُوا مِنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ  
وَفِي عِدَادِ الْوُزَرَاءِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ فَيَحْتَاجُونَ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَمَّا حِينَ تَبَايَنْتِ  
الدُّوَلُ وَتَبَاعَدَ مَا بَيْنَ الْعُصُورِ وَوَقَفَ الْغَرَضُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمُلُوكِ بِأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً وَنَسَبِ  
الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي قُوَّتِهَا وَغَلَبَتِهَا وَمَنْ كَانَ يُنَاقِضُهَا مِنَ الْأُمَمِ أَوْ يُقَصِّرُ عَنْهَا فَمَا  
الْفَائِدَةُ لِلْمُصَنِّفِ فِي هَذَا الْعَهْدِ فِي ذِكْرِ الْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ وَتَنْقِشِ الْخَاتَمِ وَالْقَبْرِ وَالْقَاضِي  
وَالْوَزِيرِ وَالْحَاجِبِ مِنْ دَوْلَةٍ قَدِيمَةٍ لَا يَعْرِفُ فِيهَا أَصُولَهُمْ وَلَا أَنْسَابَهُمْ وَلَا مَقَامَاتِهِمْ  
إِنَّمَا تَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْلِيدُ وَالْخَفْلَةُ عَنْ مَقَاصِدِ الْمُؤَلِّفِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالذُّهُولُ عَنْ تَحْرِي  
الْأَغْرَاضِ مِنَ التَّارِيخِ اللَّهُمَّ إِلَّا ذِكْرَ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ عَظُمَتْ آثَرُهُمْ وَعَفَتْ عَنْ الْمُلُوكِ  
أَخْبَارُهُمْ كَالْحُجَّاجِ وَبَنِي الْمُهَلَّبِ وَالْبَدَائِمَكَةِ وَبَنِي سَهْلِ بْنِ نُوبَخْتٍ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ  
وَأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَغَيْرُ نَكِيرِ الْإِلْمَاعِ بِأَبَائِهِمْ وَالْإِشَارَةِ إِلَى أَحْوَالِهِمْ لِانْتِظَامِهِمْ  
فِي عِدَادِ الْمُلُوكِ . وَلَنَذْكُرْ هُنَا فَائِدَةً نَحْمُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ بِهَا وَهِيَ أَنَّ التَّارِيخَ  
إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْخَاصَّةِ بِعَصْرِ أَوْ جِيلٍ فَأَمَّا ذِكْرُ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ لِلْأَفَاقِ  
وَالْأَجْيَالِ وَالْأَعْصَارِ فَهُوَ أَسْهُلُ لِلْمُؤَرِّخِ تَنَبُّيٌّ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مَقَاصِدِهِ وَتَتَبُّنٌ بِهِ أَخْبَارُهُ  
وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يُفَرِّدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ كَمَا فَعَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِ مُرُوجِ الذَّهَبِ شَرَحَ  
فِيهِ أَحْوَالَ الْأُمَمِ وَالْأَفَاقِ لِعَهْدِهِ فِي عَصْرِ الثَّلَاثِينَ وَالثَّلَاثِينَ غَرْبًا وَشَرْقًا وَذَكَرَ  
يَحْلَهُمْ وَعَوَائِدُهُمْ وَوَصَفَ الْبُلْدَانَ وَالْجِبَالَ وَالْبَحَارَ وَالْمَمَالِكَ وَالْدُّوَلُ وَفَرَّقَ سُعُوبَ  
الْعَرَبِ وَالْحَجَمَ فَصَارَ إِمَامًا لِلْمُؤَرِّخِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَأَصْلًا يُعْرَلُونَ فِي تَحْقِيقِ الْكَثِيرِ  
مِنْ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِ ثُمَّ جَاءَ الْبَكْرِيُّ مِنْ بَعْدِهِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ  
خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنْ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْأُمَمَ وَالْأَجْيَالَ لِعَهْدِهِ لَمْ يَقَعْ فِيهَا كَثِيرٌ أَنْتَقَالَ  
وَلَا عَظِيمٌ تَغَيَّرَ وَأَمَّا إِذَا الْعَهْدُ وَهُوَ آخِرُ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَقَدْ أَنْقَلَبَتْ أَحْوَالُ الْمَغْرِبِ  
الَّذِي نَحْنُ شَاهِدُوهُ وَتَبَدَّلَتْ بِأُتَمَلَّةٍ وَأَعْتَاضَ مِنْ أَجْيَالِ الْبَرَبْرِ أَهْلُهُ عَلَى الْقِدَمِ بِمَا  
طَرَأَ فِيهِ مِنْ لَدُنِ الْمِائَةِ الثَّلَاثِينَ مِنَ أَجْيَالِ الْعَرَبِ بِمَا كَسَرُوهُمْ وَغَلَبُوهُمْ وَأَذَرَعُوا مِنْهُمْ  
عَامَّةَ الْأَوْطَانِ وَشَارَكُوهُمْ فَيَا بَيْتِي مِنَ الْبُلْدَانِ لِمَلِكِهِمْ هَذَا إِلَى مَا نَزَلَ بِالْعُمَرَانِ



شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم  
 وذهب بأهل الأجل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومخاها وجاء للدول على حين  
 هزمها وبلوغ الناية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدتها وأوهن من سلطانها  
 وتداعت إلى التلاشي والأضيحال أمورها وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر  
 فخربت الأمصار والمصانع ودريست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعت  
 الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب  
 لكن على نسبه ومقدار عمرانه وكأنا نادى لسان الكون في العالم بالحوال  
 والانتقاض فبادر بالإجابة والله وارث الأرض ومن عليها وإذا تبدلت الأحوال  
 جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة  
 مستأنفة وعالم مُحدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليفة والآفاق وأجيالها  
 والعوائد والتحل التي تبدلت لأهلها ويتقو مسلك المسعودي لعصره ليكون أصلاً يقتدي  
 به من يأتي من المؤرخين من بعده وأما ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا  
 القطر المغربي إما صريحاً أو مندرجاً في أخباره وتاريخاً لاخصاص قصدي في  
 التأليف للمغرب وأحوال أجياله وأمه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من  
 الأقطار لعدم اطلاعي على أحوال المشرق ومعه وأن الأخبار المتوافقة لا تنفي كنه  
 ما أريده منه والمسعودي إنما استوفى ذلك لبعد رحلته وتقلبه في البلاد كما ذكر  
 في كتابه مع أنه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء أحواله وفوق كل ذي علم  
 عليم ومرد العلم كله إلى الله والبشر عاجز ناصر والاعتراف متعين واجب ومن كان  
 الله في عونه تسرت عليه المذاهب وأنجحت له المساعي والمطالب ونحن آخذون  
 بعون الله فيما رُمناه من أغراض التأليف والله المبدد والمعين وعليه الشكران  
 وقد بقي علينا أن نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات العرب  
 إذا عرّضت في كتابنا هذا

أعلم أن الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد هي كنيات الأصوات الخارجة  
 من الخنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللسان وأطراف اللسان مع الحنك والحنك  
 والأضراس أو بقرع الشنن أيضاً فتغاير كنيات الأصوات بتغاير ذلك القرع

وَتَجِيءُ الْحُرُوفُ مُتَمَايِزَةً فِي السَّمْعِ وَتَتَرَكَّبُ مِنْهَا الْكَلِمَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى مَا فِي الصَّمَاوِي  
وَلَيْسَتْ الْأُمَمُ كُلُّهَا مُتَسَاوِيَةً فِي النُّطْقِ بِلُغَتِكَ الْحُرُوفِ فَقَدْ يَكُونُ لِأُمَّةٍ مِنَ الْحُرُوفِ مَا  
لَيْسَ لِأُمَّةٍ أُخْرَى وَالْحُرُوفُ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا الْعَرَبُ هِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا كَمَا عَرَفْتَ  
وَنَجِدُ لِلْعِبْرَانِيِّينَ حُرُوفًا لَيْسَتْ فِي لُغَتِنَا وَفِي لُغَتِنَا أَيْضًا حُرُوفٌ لَيْسَتْ فِي لُغَتِهِمْ وَكَذَلِكَ  
الْأَفْرَنْجِيُّ وَالْأَرْبُوزِيُّ وَالْبَرْبَرْ وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْحَجَمِ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْعَرَبِ  
أَصْطَلَحُوا فِي الدِّلَالَةِ عَلَى حُرُوفِهِمُ الْمَسْمُوعَةِ بِأَوْضَاعِ حُرُوفٍ مَكْتُوبَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ بِأَشْخَاصِهَا  
كَوَضْعِ أَلِفٍ وَبَاءٍ وَجِيمٍ وَرَاءَ وَطَاءٍ إِلَى آخِرِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ  
الْحَرْفُ الَّذِي لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ لُغَتِهِمْ بَقِيَ مُهْمَلًا عَنْ الدِّلَالَةِ الْكِتَابِيَّةِ مُعْقَلًا عَنْ الْبَيَانِ  
وَرُبَّمَا يَوْمِسُّهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ بِشَكْلِ الْحَرْفِ الَّذِي يَكْتَتِفُهُ مِنْ لُغَتِنَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ  
وَلَيْسَ بِكَافٍ فِي الدِّلَالَةِ بَلْ هُوَ تَغْيِيرٌ لِلْحَرْفِ مِنْ أَصْلِهِ . وَلَمَّا كَانَ كِتَابُنَا مُشْتَبِلًا عَلَى  
أَخْبَارِ الْبَرْبَرْ وَبَعْضِ الْحَجَمِ وَكَانَتْ تَعْرِضُ لَنَا فِي أَسْمَانِهِمْ أَوْ بَعْضِ كَلِمَاتِهِمْ حُرُوفٌ  
لَيْسَتْ مِنْ لُغَةِ كِتَابَتِنَا وَلَا أَصْطِلَاحِ أَوْضَاعِنَا اضْطَرَرْنَا إِلَى بَيَانِهِ وَلَمْ نَكْتَفِ بِرِسْمِ  
الْحَرْفِ الَّذِي يَلِيهِ كَمَا قُلْنَا لِأَنَّهُ عِنْدَنَا غَيْرُ وَافٍ بِالدِّلَالَةِ عَلَيْهِ فَاصْطَلَحْتُ فِي كِتَابِي هَذَا  
عَلَى أَنْ أَضَعُ ذَلِكَ الْحَرْفَ الْعَجَبِيَّ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْحَرْفَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتَتِفَانِهِ لِيَتَوَسَّطَ  
الْقَارِءُ بِالنُّطْقِ بِهِ بَيْنَ مَخْرَجِي ذَيْنِكَ الْحَرْفَيْنِ فَتَحْصُلَ تَأْدِيَتُهُ وَإِنَّمَا أَقْبَسْتُ ذَلِكَ مِنْ  
رِسْمِ أَهْلِ الْمُصَخَّفِ حُرُوفِ الْأَشْجَامِ كَالصِّرَاطِ فِي قِرَاءَةِ خَلْفٍ فَإِنَّ النُّطْقَ بِصَادِهِ  
فِيهَا مُعْجَمٌ مُتَوَسَّطٌ بَيْنَ الصَّادِ وَالرَّايِ فَوَضَعُوا الصَّادَ وَرَسَّمُوا فِي دَاخِلِهَا شَكْلَ الرَّايِ  
وَدَلَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلَى التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ فَكَذَلِكَ رَسَمْتُ أَنَا كُلَّ حَرْفٍ يَتَوَسَّطُ بَيْنَ  
حَرْفَيْنِ مِنْ حُرُوفِنَا كَالْكَافِ الْمُتَوَسِّطَةِ عِنْدَ الْبَرْبَرْ بَيْنَ الْكَافِ الصَّرِيحَةِ عِنْدَنَا  
وَالْجِيمِ أَوْ الْقَافِ بِمِثْلِ اسْمِ بَلَكَيْنِ فَأَضَعُهَا كَافًا وَأَنْقَطِطُهَا بِنُقْطَةِ الْجِيمِ وَاحِدَةً مِنْ أَسْفَلِ  
أَوْ بِنُقْطَةِ الْقَافِ وَاحِدَةً مِنْ فَوْقِ أَوْ اثْنَتَيْنِ فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مُتَوَسَّطٌ بَيْنَ الْكَافِ  
وَالْجِيمِ أَوْ الْقَافِ وَهَذَا الْحَرْفُ أَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي لُغَةِ الْبَرْبَرْ وَمَا جَاءَ مِنْ غَيْرِهِ فَعَلَى  
هَذَا الْقِيَاسِ أَضَعُ الْحَرْفَ الْمُتَوَسَّطَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ مِنْ لُغَتِنَا بِالْحَرْفَيْنِ مَعًا لِيَعْلَمَ الْقَارِءُ  
أَنَّهُ مُتَوَسَّطٌ فَيَنْطِقَ بِهِ كَذَلِكَ فَتَكُونُ قَدْ دَلَّلْنَا عَلَيْهِ وَلَوْ وَضَعْنَاهُ بِرِسْمِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ  
عَنْ جَانِبِهِ لَكُنَّا قَدْ صَرَفْنَاهُ مِنْ مَخْرَجِهِ إِلَى مَخْرَجِ الْحَرْفِ الَّذِي مِنْ لُغَتِنَا وَغَيْرِنَا



لَمَّا أَلْقَوْا فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

## الكتاب الاول

في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتقلب والكسب  
والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب  
إِعلم أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَةُ التَّأْرِخِ أَنَّهُ خَبَرٌ عَنِ الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ  
عُمُرَانُ الْعَالَمِ وَمَا يَعْضُ لِطَبِيعَةِ ذَلِكَ الْعُمُرَانِ مِنَ الْأَحْوَالِ مِثْلِ التَّوَحُّشِ وَالنَّاسِ  
وَالْعَصِيَّاتِ وَأَصْنَافِ التَّغْلِبَاتِ لِلْبَشَرِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْمُلْكِ  
وَالدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا وَمَا يَنْتَجِلُهُ الْبَشَرُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَسَاعِيِهِمْ مِنَ الْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالْعُلُومِ  
وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرِ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ الْعُمُرَانِ بِطَبِيعَتِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَلَمَّا كَانَ الْكَذِبُ  
مُتَطَرِّقًا لِلْخَبَرِ بِطَبِيعَتِهِ وَلَهُ أَسْبَابٌ تَقْتَضِيهِ . فَهِيَ التَّشْيُمَاتُ لِلْأَرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ فَإِنَّ  
النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى حَالِ الْإِعْتِدَالِ فِي قَبُولِ الْخَبَرِ أَعْطَتْهُ حَقَّهُ مِنَ التَّنْجِيصِ وَالنَّظَرِ  
حَتَّى تَبَيَّنَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ وَإِذَا خَامَرَهَا تَشْيَعٌ لِأَيِّ أَوْ نَحْلَةٍ قَبِلَتْ مَا يُوَافِقُهَا مِنْ  
الْأَخْبَارِ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَيْلُ وَالتَّشْيَعُ غِطَاءً عَلَى عَيْنِ بَصِيرَتِهَا عَنْ الْإِنْتِقَادِ  
وَالْتَّنْجِيصِ فَتَقَعُ فِي قَبُولِ الْكَذِبِ وَنَقْلِهِ . وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْكَذِبِ فِي الْأَخْبَارِ  
أَيْضًا الثِّقَةُ بِالنَّاqِلِينَ وَتَنْجِيصُ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّجْرِيعِ . وَمِنْهَا الذُّهُولُ عَنْ  
الْمَقَاصِدِ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاقِلِينَ لَا يَعْرِفُ الْقَصْدَ بِمَا عَيْنٌ أَوْ سَمِعَ وَيَنْتَقِلُ الْخَبَرَ عَلَى مَا فِي  
ظَنِّهِ وَتَحْسِينِهِ فَيَقَعُ فِي الْكَذِبِ . وَمِنْهَا تَوَهُمُ الصِّدْقِ وَهُوَ كَثِيرٌ وَإِنَّمَا يَجِيءُ فِي الْأَكْثَرِ  
مِنْ جِهَةِ الثِّقَةِ بِالنَّاqِلِينَ وَمِنْهَا الْجَهْلُ بِتَطْيِيقِ الْأَحْوَالِ عَلَى الْوَقَائِعِ لِأَجْلِ مَا يُدَاخِلُهَا مِنْ  
الْتِّيسِ وَالتَّصْنَعِ فَيَنْتَقِلُهَا الْخَبَرُ كَمَا رَأَاهَا وَهِيَ بِالتَّصْنَعِ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ . وَمِنْهَا  
تَقَرُّبُ النَّاسِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَصْحَابِ الدَّبَلَةِ وَالتَّرَاتِبِ بِالثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ وَتَحْسِينِ الْأَحْوَالِ  
وِإِسَاعَةِ الذِّكْرِ بِذَلِكَ فَيَسْتَفِيزُ الْأَخْبَارُ بِهَا عَلَى غَيْرِ حَقِيقَةٍ فَأَتُفَوِّسُ مُوَلَمَّةٌ بِحُبِّ  
الثَّنَاءِ وَالنَّاسُ مُتَطَبِّعُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا مِنْ جَاهٍ أَوْ رُوءٍ وَلَيْسُوا فِي الْأَكْثَرِ بِرَاقِعِينَ  
فِي الْفَضَائِلِ وَلَا مُتَنَافِسِينَ فِي أَهْلِهَا . وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهُ أَيْضًا وَهِيَ سَابِقَةُ عَلَى  
جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ الْجَهْلُ بِطَبَائِعِ الْأَحْوَالِ فِي الْعُمُرَانِ فَإِنَّ كُلَّ حَادِثٍ مِنَ الْحَوَائِثِ

ذَاتًا كَانَ أَوْ فِعْلًا لَا بُدَّ مِنْ طَبِيعَةٍ تَحْصُهُ فِي ذَاتِهِ وَفِيهَا يَغْرِضُ لَهُ مِنْ أَحْوَالِهِ فَإِذَا  
 كَانَ السَّامِعُ عَارِفًا بِطَبَائِعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْوُجُودِ وَمُقْتَضِيَاتِهَا أَعَانَهُ ذَلِكَ فِي  
 تَمْحِصِ الْخَبَرِ عَلَى تَمْيِيزِ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ وَهَذَا أَبْلَغُ فِي التَّحْصِصِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ  
 يَغْرِضُ وَكَثِيرًا مَا يَغْرِضُ لِلْسَّامِعِينَ قَبُولُ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ وَيَنْقُلُونَهَا وَتَوَثَّرَ عَنْهُمْ كَمَا  
 نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ عَنِ الْأِسْكَندَرِيِّ لَمَّا صَدَّقَتْهُ دَوَابُّ الْبَحْرِ عَنْ بِنَاءِ الْأِسْكَندَرِيَّةِ وَكَيْفَ  
 اتَّخَذَ صُنْدُوقَ الرُّجَاجِ وَغَاصَ فِيهِ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ حَتَّى صَوَّرَ تِلْكَ الدَّوَابَّ الشَّيْطَانِيَّةَ الَّتِي  
 رَأَاهَا وَعَمِلَ تَمَاثِيلَهَا مِنْ أَجْسَادٍ مَعْدِنِيَّةٍ وَنَصَبَهَا حِذَاءَ الْبُلْيَانِ فَفَرَّتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ بِحِينَ  
 خَرَجَتْ وَعَايَنَتْهَا وَتَمَّ بِنَاؤُهَا فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ خُرَافَةِ مُسْتَحِيلَةٍ مِنْ قَبْلِ  
 اتِّدَاذِهِ الثَّابُوتِ الرُّجَاجِيِّ وَمُصَادَمَةِ الْبَحْرِ وَأَمَوَاجِهِ بِجُرْمِهِ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْمُلُوكَ لَا تَحِيلُ  
 أَنْفُسَهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا الثَّرْوَرِ وَمَنْ اعْتَمَدَهُ مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ وَانْتِقَاضِ  
 الْعُقْدَةِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَى غَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ إِتْلَافُهُ وَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ رُجُوعَهُ مِنْ ثُرُورِهِ  
 ذَلِكَ طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْجَنَّ لَا يُعْرِفُ لَهَا صُورًا وَلَا تَمَاثِيلَ تَخْتَصُّ بِهَا إِنَّمَا هِيَ  
 قَادِرَةٌ عَلَى التَّشْكِلِ وَمَا يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ الرُّؤُوسِ لَهَا فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْبَشَاعَةُ  
 وَالتَّهْوِيلُ لَا أَنَّهُ حَقِيقَةٌ . وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَالْقَادِحُ الْمُحِيلُ لَهَا مِنْ  
 طَرِيقِ الْوُجُودِ أَتَيْنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَهُوَ أَنَّ الْمُنْفِيسَ فِي الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ فِي الصُّنْدُوقِ  
 يَضِيقُ عَلَيْهِ الْهَوَاءُ لِلتَّنَفُّسِ الطَّبِيعِيِّ وَتَسْخُنُ رُوحُهُ بِسُرْعَةٍ لِقَلَّتِهِ فَيَقْقُدُ صَاحِبُهُ الْهَوَاءَ  
 الْبَارِدَ الْمُعْدِلَ لِزَاجِ الرِّثَةِ وَالرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَيَهْلِكُ مَكَانُهُ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي هَلَاكِ  
 أَهْلِ الْحَمَامَاتِ إِذَا أُطِيقَتْ عَلَيْهِمُ الْهَوَاءُ الْبَارِدُ وَالْمُتَدَلِّينَ فِي الْأَبَارِ وَالْمَطَابِيرِ  
 الْعَمِيقَةِ الْمَهْوَى إِذَا سَخُنَ هَوَاؤُهُمَا بِالْعُمُونَةِ وَلَمْ تُدَاخِلْهُمَا الرِّيحُ فَتُخَلِّجْهُمَا فَإِنَّ الْمُتَدَلِّيَّ  
 فِيهَا يَهْلِكُ لِحَيْنِهِ وَبِهَذَا السَّبَبِ يَكُونُ مَوْتُ الْخَوَاتِ إِذَا فَارَقَ الْبَحْرَ فَإِنَّ الْهَوَاءَ لَا يَكْفِيهِ  
 فِي تَعْدِيلِ رِثَتِهِ إِذْ هُوَ حَارٌّ بِإِفْرَاطٍ وَالْمَاءُ الَّذِي يُعْدِلُهُ بَارِدٌ وَالْهَوَاءُ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِ  
 حَارٌّ فَيَسْتَوِلِي الْخَارُ عَلَى رُوحِهِ الْخَيَوَانِيِّ وَيَهْلِكُ دَفْعَةً وَمِنْهُ هَلَاكُ الْمَضْمُوقِينَ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي تِمَثَالِ الرَّزْزُورِ الَّذِي بِرُومَةٍ  
 تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الرَّزَازِيُّ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ حَامِلَةً لِلزَّيْتُونِ وَمِنْهُ يَتَّخِذُونَ زَيْتَهُمْ  
 وَانْظُرْ مَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنِ الْمَجْرَى الطَّبِيعِيِّ فِي اتِّخَاذِ الزَّيْتِ وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ الْبَكْرِيُّ



فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُسَمَّاةِ ذَاتِ الْأَبْوَابِ تُحِيطُ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مَرَّحَلَةً وَتَشْتَبِلُ عَلَى  
 عَشْرَةِ آلَافِ بَابٍ وَالْمَدُنُ إِنَّمَا اتَّخَذَتْ لِلتَّحْصَنِ وَالْإِعْتِصَامِ كَمَا يَأْتِي وَهَذِهِ خَرَجَتْ  
 عَنْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا فَلَا يَكُونُ فِيهَا حُصْنٌ وَلَا مُعْتَصِمٌ وَكَمَا نَقَلَهُ الْمُسَوِّدِيُّ أَيْضًا فِي حَدِيثِ  
 مَدِينَةِ النَّحَّاسِ وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ كُلُّ بِنَائِهَا نَحَّاسٌ بِصَحْرَاءِ سِجْلَمَاسَةَ ظَفَرِ بِنَا مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ  
 فِي غَزْوَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّهَا مُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ وَأَنَّ الصَّاعِدَ إِلَيْهَا مِنْ أَسْوَارِهَا إِذَا أَشْرَفَ  
 عَلَى الْخَائِطِ صَفَقَ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَلَا يَرْجِعُ آخِرَ الدَّهْرِ فِي حَدِيثِ مُسْتَحِيلٍ عَادَةً مِنْ  
 خَرَافَاتِ الْقُصَّاصِ وَصَحْرَاءِ سِجْلَمَاسَةَ قَدْ نَفَضَهَا الرُّكَّابُ وَالْأَدِلَّةُ وَلَمْ يَبْقُوا لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ  
 عَلَى خَيْرٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الَّتِي ذَكَرُوا عَنْهَا كُلُّهَا مُسْتَحِيلٌ عَادَةً مُنَافٍ لِلْأُمُورِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْمَدُنِ وَآخِطَاطِهَا وَأَنَّ الْعَادِينَ غَايَةُ الْمَوْجُودِ مِنْهَا أَنْ يُصْرَفَ فِي  
 الْآيَةِ وَالْحُرْتِ<sup>(١)</sup> وَأَمَّا تَشْيِيدُ مَدِينَةٍ مِنْهَا فَكَمَا تَرَاهُ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ وَالْبُعْدِ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَتَمْجِيعُهُ إِنَّمَا هُوَ بِعَرَفَةِ طَبَائِعِ الْعُمَرَانِ وَهُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَوْثَقُهَا  
 فِي تَمْجِيعِ الْأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِ صِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى التَّمْجِيعِ بِتَعْدِيلِ الرُّوَاةِ  
 وَلَا يُرْجَعُ إِلَى تَعْدِيلِ الرُّوَاةِ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنٌ أَوْ مُتَمَتِّعٌ وَأَمَّا  
 إِذَا كَانَ مُسْتَحِيلًا فَلَا فَائِدَةَ لِلنَّظَرِ فِي التَّعْدِيلِ وَالتَّجْرِيعِ وَلَقَدْ عَدَّ أَهْلُ النَّظَرِ مِنَ  
 الْمَطَاعِينَ فِي الْخَبَرِ اسْتِحَالَةَ مَدْلُولِ اللَّفْظِ وَتَأْوِيلَهُ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَإِنَّمَا  
 كَانَ التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي صِحَّةِ الْأَخْبَارِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا تَكَالِيفُ  
 إِنْشَائِيَّةٌ أَرْجَبَ الشَّارِعُ الْعَمَلَ بِهَا حَتَّى حَصَلَ الظَّنُّ بِصِدْقِهَا وَسَبِيلُ صِحَّةِ الظَّنِّ الْيَقِينُ  
 بِالرُّوَاةِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ . وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنْ الْوَاقِعَاتِ فَلَا بُدَّ فِي صِدْقِهَا وَصِحَّتِهَا مِنْ  
 ائْتْيَارِ الْمُطَابَقَةِ فَلِذَلِكَ وَجِبَ أَنْ يُنْظَرَ فِي إِمْكَانِ وَقُوعِهِ وَصَارَ فِيهَا ذَلِكَ أَهَمُّ مِنْ  
 التَّعْدِيلِ وَمُقَدِّمًا عَلَيْهِ إِذَا فَائِدَةُ الْإِنْشَاءِ مُقْتَبَسَةٌ مِنْهُ فَقَطْ وَفَائِدَةُ الْخَبَرِ مِنْهُ وَمِنْ الْخَارِجِ  
 بِالْمُطَابَقَةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْقَانُونُ فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ بِالْإِمْكَانِ  
 وَالْإِسْتِحَالَةِ أَنْ نَنْظُرَ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ الْعُمَرَانُ وَنُسَبِّحَ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ  
 الْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَبِمُقْتَضَى طَبِيعِهِ وَمَا يَكُونُ عَارِضًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَغْرَضَ  
 لَهُ وَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ كَانَ لَنَا قَانُونَانِ فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ وَالصِّدْقِ

(١) الحرثي بالضم اثاث البيت اه قاموس

مِنَ الْكَذِبِ بَوَاحٍ يُرْهَانِي لَا مَدْخَلَ لِلشَّكِّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ فَإِذَا سَمِعْنَا عَنْ شَيْءٍ مِنَ  
 الْأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ فِي الْعُمَرَانِ عَلِمْنَا مَا نَحْكُمُ بِقَوْلِهِ نَحْكُمُ بِتَرْيِيفِهِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 لَنَا مِعْيَاراً صَحِيحاً يَتَحَرَّى بِهِ الْمُؤَرِّخُونَ طَرِيقَ الصِّدْقِ وَالصَّوَابِ فِيمَا يَنْقُلُونَهُ وَهَذَا هُوَ  
 غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنْ تَأْلِيفِنَا وَكَأَنَّ هَذَا عِلْمٌ مُسْتَقْبَلٌ يَتَفَسِّهُ فَإِنَّهُ ذُو مَوْضُوعٍ  
 وَهُوَ الْعُمَرَانُ الْبَشَرِيُّ وَالْإِجْتِمَاعُ الْإِنْسَانِيُّ وَذَوُ مَسَائِلَ وَهِيَ بَيَانُ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْعَوَارِضِ  
 وَالْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَضِعِيّاً كَانَ أَوْ  
 عَقْلِيّاً . وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْغَرَضِ مُسْتَحْدَثُ الصَّنْعَةِ غَرِيبُ التَّرَعَةِ غَرِيزُ الْهَانِدَةِ  
 أَغْرَ عَلَيْهِ الْبَحْثُ وَأَدَّى إِلَيْهِ الْغَرَضُ وَآيَسَ مِنْ عِلْمِ الْخِطَابَةِ إِنَّمَا هُوَ الْأَقْوَالُ الْمُنْفَعَةُ  
 النَّافِعَةُ فِي اسْتِمَالَةِ الْجُمْهُورِ إِلَى رَأْيٍ أَوْ صَدِّهِمْ عَنْهُ وَلَا هُوَ أَيْضاً مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ  
 الْمَدْنِيَّةِ إِذِ السِّيَاسَةُ الْمَدْنِيَّةُ هِيَ تَدْيِيرُ الْمَنْزِلِ أَوِ الْمَدِينَةِ بِمَا يَجِبُ بِمُقْتَضَى الْأَخْلَاقِ  
 وَالْحِكْمَةِ لِيُحْمَلَ الْجُمْهُورُ عَلَى مِنْهَاجٍ يَكُونُ فِيهِ حِفْظُ النَّوعِ وَبَقَاؤُهُ فَقَدْ خَالَفَ  
 مَوْضُوعُهُ مَوْضُوعَ هَذَيْنِ الْفَنَيْنِ الَّذِينَ رُبَّمَا يُشَبِّهَانَهُ وَكَأَنَّهُ عِلْمٌ مُسْتَلَبُ النَّشْأَةِ وَلَعَمْرِي  
 لَمْ أَقِفْ عَلَى الْكَلَامِ فِي مَنْهَاجٍ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلِيقَةِ مَا أَذْرِي الْعَمَلِيَّةَ عَنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ  
 الظَّنُّ بِهِمْ أَوْ لَعَلَّهُمْ كَتَبُوا فِي هَذَا الْغَرَضِ وَاسْتَوْفَوْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ  
 وَالْحُكَمَاءُ فِي أَمَمِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مُتَعَدِّدُونَ وَمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُومِ أَكْثَرُ  
 بِمَا وَصَلَ فَأَيْنَ عُلُومُ الْفُرسِ الَّتِي أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُخُوبِهَا عِنْدَ النُّشُوحِ وَأَيْنَ عُلُومُ  
 الْكِلْدَانِيِّينَ وَالسَّرْيَانِيِّينَ وَأَهْلِ بَابِلَ وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَنَتَائِجِهَا وَأَيْنَ عُلُومُ  
 الْقُبطِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْنَا عُلُومُ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهُمْ يُونَانُ خَاصَّةً لِكُلِّبِ الْمَأْمُونِ  
 بِإِخْرَاجِهَا مِنْ لَعْنَتِهِمْ وَأَقْتِدَارِهِ عَلَى ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْمُرْجِعِينَ وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِيهَا وَلَمْ  
 نَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ غَيْرِهِمْ وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ حَقِيقَةٍ مُتَعَلِّقَةً طَبِيعِيَّةً بِصَلَحٍ أَنْ يُبْحَثَ  
 عَمَّا يَغْرِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ لِذَاتِهَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ كُلِّ مَفْهُومٍ وَحَقِيقَةٍ عِلْمٌ  
 مِنَ الْعُلُومِ يَخُصُّهُ لَكِنَّ الْحُكَمَاءَ لَعَلَّهُمْ إِنَّمَا لَاحَظُوا فِي ذَلِكَ الْعِلَاقَةَ بِالثَّمَرَاتِ وَهَذَا  
 إِنَّمَا ثَمَرَتُهُ فِي الْأَخْبَارِ فَقَطْ كَمَا رَأَيْتَ وَإِنْ كَانَتْ مَسَائِلُهُ فِي ذَاتِهَا وَفِي اخْتِصَاصِهَا  
 شَرِيفَةً لَكِنَّ ثَمَرَتَهُ تَصَحُّحُ الْأَخْبَارِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ فَلِهَذَا هَجَرُوهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَا أُوْتِيسِمُ  
 مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً . وَهَذَا الْفَنُ الَّذِي لَاحَ لَنَا النَّظَرُ فِيهِ نَجِدُ مِنْهُ مَسَائِلَ تَجْرِي بِالْغَرَضِ



لأهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في إثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه إلى أحكام والأوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب إثبات اللغات أن الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات الخفية ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الأحكام الشرعية بالمقاصد في أن الزنا مخطئ للأنساب مفسد للتوحد وأن القتل أيضاً مفسد للنوع وأن الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الأحكام فإنها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل المثبتة وكذلك أيضاً يقع إلينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليقة لكنهم لم يستوفوه فمن كلام الموبدان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها السعدي . أيها الملك إن الملك لا يتم غرضه إلا بالسرعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للسرعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبيل للمال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيساً وهو الملك . ومن كلام أنوشروان في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بإصلاح العمال وإصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه وأقذاره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه . وفي الكتاب المنسوب لأرسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه إلا أنه غير مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد أشار في ذلك الكتاب إلى هذه الكلمات التي نقلناها عن الموبدان وأنوشروان وجعلها في الدائرة القريبة التي أعظم القول فيها هو قوله . العالم بستان سياج الدولة الدولة سلطان تخيس به السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام يعضده الجند الجند أعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعهُ الرعية الرعية عبيد يكتفيهم العدل العدل مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع إلى أول الكلام . فهذه ثمان

كَلِمَاتٍ حِكْمِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ أَرْتَبَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَارْتَدَّتْ أَعْجَازُهَا إِلَى صُدُورِهَا وَاتَّصَلَتْ فِي دَائِرَةٍ لَا يَتَعَيَّنُ طَرَفُهَا فَحَرَّ بِعُثُورِهِ عَلَيْهَا وَعَظَمَ مِنْ فَوَائِدِهَا . وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ كَلَامَنَا فِي فَصْلِ الدُّوَلِ وَالذِّكْرِ وَأَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنَ التَّصْفِحِ وَالْتِهَمَ عَثَرَتْ فِي أَثْنَانِهِ عَلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَفْصِيلِ إِجْمَالِهَا مُسْتَوْفَى بَيِّنًا بِأَوْعَبِ بَيَانٍ وَأَوْضَحِ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ أَطْلَعَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ أَرِسْطُورَ وَلَا إِفَادَةَ مَوْبَذَّانٍ وَكَذَلِكَ تَجِدُ فِي كَلَامِ ابْنِ الْمُقَنَّنِ وَمَا يُسْتَطَرِدُّ فِي رَسَائِلِهِ مِنْ ذِكْرِ السِّيَاسَاتِ الْكَثِيرَةِ مِنْ مَسَائِلِ كِتَابِنَا هَذَا غَيْرَ مُبَرَّهَنَةٍ كَمَا بَرَّهْنَاهُ إِنَّمَا يُجْلِيهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى مَنْحَى الْخِطَابَةِ فِي أُسْلُوبِ التَّوَسُّلِ وَبِلَاغَةِ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ حَوْمُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيُّ فِي كِتَابِ سَرَاجِ الْمُلُوكِ وَيُؤَيِّدُهُ عَلَى أَبْوَابِ تَقَرُّبٍ مِنْ أَبْوَابِ كِتَابِنَا هَذَا وَمَسَائِلُهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَصَادِفْ فِيهِ الرَّمِيَّةَ وَلَا أَصَابَ الشَّاكِلَةَ وَلَا اسْتَوْفَى الْمَسَائِلَ وَلَا أَوْضَحَ الْأَدِلَّةَ إِنَّمَا يَنْوِبُ الْبَابَ لِلْمَسْئَلَةِ ثُمَّ يَسْتَكْثِرُ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَرِ وَيَنْقُلُ كَلِمَاتٍ مُتَشَرِّقَةً لِلْحُكَمَاءِ الْفُرْسِ مِثْلَ بُزْجَمُورَ وَالْمَوْبَذَّانِ وَحُكَمَاءِ الْهِنْدِ وَالْمَأْثُورِ عَنْ دَانِيَالٍ وَهَرَمِسَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَكْبَارِ الْخَلِيقَةِ وَلَا يَكْشِفُ عَنْ التَّحْقِيقِ قِنَاعًا وَلَا يَوْفَعُ بِالْبُرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ حِجَابًا إِنَّمَا هُوَ نَقْلٌ وَتَرْكِيبٌ شَيْءٌ بِالتَّوَاعِظِ وَنَأْتُهُ حَوْمَ عَلَى الْغَرَضِ وَلَمْ يَصَادِفْهُ وَلَا تَحَقَّقَ قَعْدُهُ وَلَا اسْتَوْفَى مَسَائِلُهُ وَنَحْنُ أَلْهَمْنَا اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ إلهَامًا وَأَعَثَرْنَا عَلَى عِلْمٍ جَعَلَنَا بَيْنَ نُكْرَةٍ وَجِهَةٍ خَبْرَهُ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ اسْتَوْفَيْتُ مَسَائِلَهُ وَمَيَّزْتُ عَنْ سَائِرِ الصَّنَائِعِ أَنْظَارَهُ وَأَنْجَاهَهُ فَتَوَفَّقْتُ مِنْ اللَّهِ وَهِدَايَةً وَإِنْ قَاتَنِي شَيْءٌ فِي إِحْصَائِهِ وَاسْتَشْبَهْتُ بِهِ بَرَهُ فَلِلنَّازِلِ الْمُحَقِّقِ إِصْلَاحُهُ وَلِي الْأَضْلُ لِأَنِّي نَهَجْتُ لَهُ السَّبِيلَ وَأَوْضَحْتُ لَهُ الطَّرِيقَ وَاللَّهُ يَهْدِي بِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ . وَنَحْنُ الْآنَ نُسَيِّنُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَعْزِضُ لِلْبَشَرِ فِي أَجْمَاعِهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَانِ فِي الْمُلْكِ وَالْكَسْبِ وَالْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِوُجُوهِ بَاهِيَّةٍ يَتَضَحُّ بِهَا التَّحْقِيقُ فِي مَعَارِفِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَتَنْدَفِعُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَتُرْفَعُ الشُّكُوكُ . وَنَقُولُ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُشْتَمِرًا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِخَوَاصِّ اخْتِصَّ بِهَا فَمِنْهَا الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْفِكْرِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَشَرَفَ بِوَضْعِهِ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَمِنْهَا الْحَاجَةُ إِلَى الْحُكْمِ الْوَازِعِ وَالسُّلْطَانِ الْقَاهِرِ إِذَا لَا يُمَكِّنُ وَجُودُهُ دُونَ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا إِلَّا مَا يُقَالُ عَنْ النُّحْلِ وَالْجَرَادِ وَهَذِهِ وَإِنْ كَانَ لَهَا



مِثْلُ ذَلِكَ فِطْرِي إلهامي لَا يَفْكُرُ وَرَوِيَّةٌ وَمِنْهَا السَّعْيُ فِي الْمَعَاشِ وَالْإِعْتِمَالُ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ وُجُوهِهِ وَاكْتِسَابُ أَسْبَابِهِ إِيَّا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى الْغَدَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبَقَاةِ وَهْدَاهُ إِلَى الْإِسْبَةِ وَطَلَبِهِ نَالَ تَعَالَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَمِنْهَا الْعُمَرَانُ وَهُوَ النَّسَاكُنُ وَالتَّنَازُلُ فِي مِصْرٍ أَوْ حِلَّةٍ الْإِنْسِ بِالْعَشِيرِ وَأَقْتِضَاءُ الْحَاجَاتِ إِيَّا فِي طِبَاعِهِمْ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْمَعَاشِ كَمَا نُبَيِّنُهُ وَمِنْ هَذَا الْعُمَرَانِ مَا يَكُونُ بَدَوِيًّا وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي الضَّوَارِحِ وَفِي الْجِبَالِ وَفِي الْحُلَلِ الْمُنتَجِعَةِ فِي الْقِفَارِ وَأَطْرَافِ الرِّحَالِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ حَضَرِيًّا وَهُوَ الَّذِي بِالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمُدُنِ وَالْمَدَرِ لِلْإِعْتِمَادِ بِهَا وَالتَّحَصُّنِ بِجُدْرَانِهَا وَلَهُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أُمُورٌ تَعْرِضُ مِنْ حَيْثُ الْإِجْتِمَاعُ عُرُوضًا ذَاتِيًّا لَهُ فَلَا جَرَمَ أَنْ حَصَرَ الْكَلَامُ فِي كُلِّ هَذَا الْكِتَابِ فِي سِتَّةِ أَبْوَابٍ. الْأَوَّلِ فِي الْعُمَرَانِ الْبَشَرِيِّ عَلَى الْجُمْلَةِ وَأَصْنَافِهِ وَقِسْطِهِ مِنَ الْأَرْضِ. وَالثَّانِي فِي الْعُمَرَانِ الْبَدَوِيِّ وَذِكْرُ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْوَحْشِيَّةِ. وَالثَّالِثُ فِي الدُّوَلِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمُلْكِ وَذِكْرُ أَمَارَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرَّابِعُ فِي الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ. وَالخَامِسُ فِي الصَّنَائِعِ وَالْمَعَاشِ وَالْكَسْبِ وَوُجُوهِهِ. وَالسَّادِسُ فِي الْعُلُومِ وَاكْتِسَابِهَا وَتَعَلُّمِهَا. وَقَدْ قَدِّمْتُ الْعُمَرَانِ الْبَدَوِيِّ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى جَمِيعِهَا كَمَا نُسِنُ لَكَ بَعْدُ وَكَذَا تَقْدِيمُ الْمُلْكِ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْمَعَاشِ فَلِأَنَّ الْمَعَاشَ ضَرُورِيٌّ طَبِيعِيٌّ وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ كِتَابِيٌّ أَوْ حَاجِيٌّ وَالطَّبِيعِيُّ أَقْدَمُ مِنَ الْكِتَابِيِّ وَجَعَلْتُ الصَّنَائِعَ مَعَ الْكَسْبِ لِأَنَّهَا مِنْهُ بَعْضُ الْوُجُوهِ وَمِنْ حَيْثُ الْعُمَرَانُ كَمَا نُسِنُ لَكَ بَعْدُ وَاللَّهُ الْمُؤْتِقُ لِلصَّوَابِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

## الباب الاول

### من الكتاب الاول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الْأَوَّلَى فِي أَنَّ الْإِجْتِمَاعَ الْإِنْسَانِيَّ ضَرُورِيٌّ وَيُعَيِّرُ الْحُكْمَاءُ عَنْ هَذَا يَقُولُهُمُ الْإِنْسَانُ مُدْنِيٌّ بِالطَّعْرِ أَيْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْإِجْتِمَاعِ الَّذِي هُوَ الْمَدِينَةُ فِي أَصْطِلَاحِهِمْ وَهُوَ مَعْنَى الْعُمَرَانِ وَبَيَانُهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَرَكَّبَهُ عَلَى صُورَةٍ لَا يَصِحُّ

حَيَاتُهَا وَبَقَاؤُهَا إِلَّا بِالْغِذَاءِ وَهَدَاهُ إِلَى الْإِسَاءِ يَفْطَرُّهُ وَيَارُكِبُ فِيهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى  
تَحْصِيلِهِ إِلَّا أَنَّ قُدْرَةَ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَشَرِ قَاصِرَةٌ عَنْ تَحْصِيلِ حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغِذَاءِ  
غَيْرُ مُوفِيَةٍ لَهُ بِأَدَةِ حَيَاتِهِ مِنْهُ وَلَوْ فَرَضْنَا مِنْهُ أَقَلَّ مَا يُمَكِّنُ فَرَضُهُ وَهُوَ قُوَّةُ يَوْمٍ مِنْ  
الْحِنْطَةِ مَثَلًا فَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِعِلَاجٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّحْنِ وَالْعَجْنِ وَالطَّبْخِ وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
هَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ يَحْتَاجُ إِلَى مَوَاعِينِ وَآلَاتٍ لَا تَقُومُ إِلَّا بِصُنَائِعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ  
حَدَادٍ وَنَجَّارٍ وَفَآخِرِيِّ وَهَبَ أَنَّهُ بِأَكْلِهِ حَبًّا مِنْ غَيْرِ عِلَاجٍ فَهُوَ أَيْضًا يَحْتَاجُ فِي تَحْصِيلِهِ  
أَيْضًا حَبًّا إِلَى أَعْمَالٍ أُخْرَى أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ مِنَ الزَّرْعَةِ وَالْحَصَادِ وَالْدِّرَاسِ الَّذِي  
يَخْرُجُ الْحَبُّ مِنْ غِلَافِ السُّبُلِ وَيَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ آلَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَصُنَائِعٍ  
كَثِيرَةٍ أَكْثَرُ مِنَ الْأُولَى بِكَثِيرٍ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَفِي بِذَلِكَ كُلِّهِ أَوْ بَعْضُهُ قُدْرَةُ الْوَاحِدِ  
فَلَا بُدَّ مِنْ أَجْبَاعِ الْقُدْرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ لِيَحْصَلَ الْقُوَّةُ لَهُ وَاهُمْ فَيَحْصُلُ  
بِالتَّعَاوُنِ قَدْرُ الْكِفَايَةِ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَكْثَرِ مِنْهُمْ بِأَضْعَافٍ وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ  
مِنْهُمْ أَيْضًا فِي الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ جَنْسِهِ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا رَكَّبَ  
الطَّبَاعَ فِي الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا وَقَسَمَ الْقُدْرَ بَيْنَهُمَا جَعَلَ حُظُوظَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ  
مِنَ الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ حَظِّ الْإِنْسَانِ قُدْرَةُ الْفَرَسِ مَثَلًا أَكْثَرُ مِنْ قُدْرَةِ  
الْإِنْسَانِ وَكَذَا قُدْرَةُ الْحِمَارِ وَالثَّورِ وَقُدْرَةُ الْأَسَدِ وَالْفِيلِ أَضْعَافٌ مِنْ قُدْرَتِهِ . وَلَمَّا  
كَانَ الْعُدْوَانُ طَبِيعِيًّا فِي الْحَيَوَانِ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عُضْوًا يَخْتَصُّ بِمُدَافَعَتِهِ مَا  
يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ عَادِيَةٍ غَيْرِهِ وَجَعَلَ لِلْإِنْسَانِ عَوْضًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْفِكْرَ وَالْيَدَ وَالْيَدُ مُهَيَّئَةٌ  
لِلصَّنَائِعِ بِخِدْمَةِ الْفِكْرِ وَالصَّنَائِعِ تُحْصَلُ لَهُ الْآلَاتُ الَّتِي تُنَوِّبُ لَهُ عَنِ الْجَوَارِحِ  
الْمُعَدَّةِ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ مِثْلَ الرِّمَاخِ الَّتِي تُنَوِّبُ عَنِ الْقُرُونِ النَّاطِقَةِ وَالسُّيُوفِ  
النَّائِثَةِ عَنِ الْمَخَالِبِ الْجَارِحَةِ وَالْأَرَّاسِ النَّائِثَةِ عَنِ الْبَشَرَاتِ الْجَاسِيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
وغيرُهُ بِمَا ذَكَرَهُ جَالِيلُوسُ فِي كِتَابِ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ فَالْوَاحِدُ مِنَ الْبَشَرِ لَا يُقَاوِمُ  
قُدْرَتَهُ قُدْرَةَ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ سِوَا الْمُفَارِسَةِ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ مُدَافَعَتِهَا وَحَدَهُ  
بِالْجُمْلَةِ وَلَا تَفِي قُدْرَتُهُ أَيْضًا بِاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ الْمُعَدَّةِ لَهَا فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ  
التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جَنْسِهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّعَاوُنُ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا غِذَاءٌ وَلَا  
قَمُّ حَيَاتِهِ لَمَّا رَكَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ أَيْضًا



دِفَاعٌ عَنْ نَفْسِهِ لِفُقْدَانِ السِّلَاحِ فَيَكُونُ فَرِيَسَةً لِلْحَيَوَانَاتِ وَيُعَاجِلُهُ الْهَلَاكُ عَنْ مَدَى حَيَاتِهِ وَيَبْطُلُ نَوْعُ الْبَشَرِ وَإِذَا كَانَ التَّعَاوُنُ حَاصِلًا لَهُ الْقُوَّةُ لِلْغِذَاءِ وَالسِّلَاحُ لِلدِّفَاعَةِ وَتَمَّتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي بَقَايِهِ وَحِفْظِ نَوْعِهِ فَإِذَا هَذَا الْإِجْتِمَاعُ ضَرُورِيٌّ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَإِلَّا لَمْ يَكْمُلْ وُجُودُهُمْ وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ أَعْتِمَارِ الْعَالَمِ بِهِمْ وَأَسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعُمَرَانِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَوْضُوعًا لِهَذَا الْعِلْمِ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ نَوْعُ اثْبَاتِ الْمَوْضُوعِ فِي فِتْنَةِ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَى صَاحِبِ الْفَنِّ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الصَّنَاعَةِ الْمُنَاطِقَةِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى صَاحِبِ عِلْمٍ اثْبَاتُ الْمَوْضُوعِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ فَلَيْسَ أَيْضًا مِنَ الْمَشْرُوعَاتِ عِنْدَهُمْ فَيَكُونُ اثْبَاتُهُ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ بِهِ ظُهُرُهُ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِجْتِمَاعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَتَمَّ عُمَرَانُ الْعَالَمِ بِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ وَازِعٍ يَدْفَعُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي طِبَاعِهِمُ الْخِيَوَانِيَّةِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَلَيْسَتْ السِّلَاحُ الَّتِي جُعِلَتْ دَافِعَةً لِعُدْوَانِ الْخَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ عَنْهُمْ كَافِيَةً فِي دَفْعِ الْعُدْوَانِ عَنْهُمْ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ لِحَبِيبِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يَدْفَعُ عُدْوَانَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ وَلَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقُصُورِ جَمِيعِ الْخَيَوَانَاتِ عَنْ مَدَارِكِهِمْ وَإِلَهَائِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَازِعُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِمُ الْعِلْبَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْيَدُ الْقَاهِرَةُ حَتَّى لَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى غَيْرِهِ بِعُدْوَانٍ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَلِكِ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِهَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ خَاصَّةً طَبِيعَةً وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَقَدْ يُوْجَدُ فِي بَعْضِ الْخَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحُكَمَاءُ كَمَا فِي النَّحْلِ وَالْجَرَادِ لِمَا اسْتَقَرَّ فِيهَا مِنْ الْحُكْمِ وَالْإِنْقِيَادِ وَالْإِتِّبَاعِ بِرَأْسٍ مِنْ أَشْخَاصِهَا مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ وَجَبَانِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ لِعَدْرِ الْإِنْسَانِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَالْهِدَايَةِ لَا بِمُقْتَضَى الْفِكْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَتَرِيدُ الْفَلَاسِفَةِ عَلَى هَذَا الْبُرْهَانِ حَيْثُ يُجَاوِرُنَ اثْبَاتَ الثَّبُوتِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَلَلِيَّةِ وَأَنَّهَا خَاصَّةٌ طَبِيعَةً لِلْإِنْسَانِ فَيَقَرَّرُونَ هَذَا الْبُرْهَانَ إِلَى غَايَةٍ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَازِعِ ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ بِشَرَعٍ مَفْرُوضٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَأْتِي بِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ بِمَا يُودِعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصِرِ هِدَايَتِهِ لِيَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ حَتَّى يَتِمَّ أَمْلِكُهُمْ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ وَلَا تَرْثِيفٍ وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لِلْحُكَمَاءِ غَيْرِ بُرْهَانِيَّةٍ كَمَا تَوَلَّاهُ إِذِ الْوُجُودُ وَحَيَاةُ الْبَشَرِ قَدْ تَمَّتْ مِنْ

دُونَ ذَلِكَ بِمَا يَفْرُضُهُ أَهْلُكُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى قَوْمِهِمْ وَحَنَانِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ فَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجُوسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الدُّوَلُ وَالْآثَارُ فَضْلاً عَنْ الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ هِيَ لَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْأَقَالِمِ الْمُنْحَرِفَةِ فِي الشَّمَالِ وَالْجُوبِ بِخِلَافِ حَيَاةِ الْبَشَرِ فَوَضَى دُونَ وَازِعٍ لَهُمُ الْبَيَّةُ فَإِنَّهُ يَنْتَشِعُ وَيَبْذُرُ يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُهُمْ فِي دُجُوبِ النَّبُوءَاتِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَقْلِي وَإِنَّمَا مُذَرِكُهُ الشَّرْعُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِنَ الْأُمَّةِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ

### المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

• من الاشجار والانهار والاقاليم

إِعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ النَّاطِقِينَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ أَنَّ شَكْلَ الْأَرْضِ كُرْوِيٌّ وَأَنَّهَا مَحْفُوقَةٌ بِغَضَرِ الْمَاءِ كَأَنَّهَا عِبَّةٌ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ فَأَنْحَسَرَ الْمَاءُ عَنْ بَعْضِ جَوَانِبِهَا لِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ تَكْوِينِ الْحَيَوَانَاتِ فِيهَا وَغُرَارِهَا بِالنُّوعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي لَهُ الْخِلَافَةُ عَلَى سَائِرِهَا وَقَدْ يُتَوَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَآيِسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا التَّحْتُ الطَّبِيعِيُّ قَلْبُ الْأَرْضِ وَوَسْطُ كُرَّتِهَا الَّذِي هُوَ مَرْكَزُهَا وَالْكُلُّ يَطْلُبُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّقَلِ وَهَذَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ جَوَانِبِهَا وَأَمَّا الْمَاءُ الْمُحِيطُ بِهَا فَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَإِنْ قِيلَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَبِالإِضَافَةِ إِلَى جِهَةِ أُخْرَى مِنْهُ . وَأَمَّا الَّذِي أَنْحَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ النِّصْفُ مِنْ سَطْحِ كُرَّتِهَا فِي شَكْلِ دَائِرَةٍ أَحَاطَ الْعَنْصَرُ الْمَائِي بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا بَحْرًا يُسَمَّى الْبَحْرَ الْمُحِيطَ وَيُسَمَّى أَيْضًا لِبَلَايَةِ بَتْفِخِيمِ اللَّامِ الثَّانِيَةِ وَيُسَمَّى أَوْقِيَانُوسَ أَسْمَاءً أَعْجَبِيَّةً وَيُقَالُ لَهُ الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ وَالْأَسْوَدُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُسْكَفَ مِنَ الْأَرْضِ لِلْعُمَرَانِ فِيهِ الْقِفَارُ وَالْحُلَاءُ أَكْثَرُ مِنْ غُرَارِهِ وَالْحَالِي مِنْ جِهَةِ الْجُوبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَإِنَّمَا الْمَعْمُورُ مِنْهُ أَمِيلٌ إِلَى الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ عَلَى شَكْلِ مُسَطَّحٍ كُرْوِيٍّ يَنْتَهِي مِنْ جِهَةِ الْجُوبِ إِلَى خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ وَمِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى خَطِّ كُرْوِيٍّ وَوَرَاءَهُ الْجِبَالُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي



بَيْنَهُمَا سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَذِهِ الْجِبَالُ مَائِلَةٌ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَيَنْتَهِي مِنَ الْمَشْرِقِ  
 وَالْمَغْرِبِ إِلَى عُصْرِ الْمَاءِ أَيْضًا بِقِطْعَتَيْنِ مِنَ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ وَهَذَا الْمُنْكَشِفُ مِنَ  
 الْأَرْضِ قَالُوا هُوَ مِقْدَارُ النِّصْفِ مِنَ الْكُرَّةِ أَوْ أَقَلُّ وَالْمَعْنُورُ مِنْهُ مِقْدَارُ رُبْعِهِ وَهُوَ  
 الْمُنْقَسِمُ بِالْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ وَخَطُّ الْإِسْتِوَاءِ يَقْسِمُ الْأَرْضَ بَيْنَتَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى  
 الْمَشْرِقِ وَهُوَ طُولُ الْأَرْضِ وَأَكْبَرُ خَطٍّ فِي كُرَّتِهَا كَمَا أَنَّ مِنْطَقَةَ فَلَكِ الدُّجُجِ  
 وَدَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ أَكْبَرُ خَطٍّ فِي الْفَلَكَ وَمِنْطَقَةُ الدُّجُجِ مُنْقَسِمَةٌ بِثَلَاثَةِ وَسِتِّينَ  
 دَرَجَةٍ وَالدرَجَةُ مِنْ مَسَافَةِ الْأَرْضِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا وَالْفَرَسَخُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
 ذِرَاعٍ وَالذِرَاعُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ إصْبَعًا وَالْإصْبَعُ سِتُّ حَبَّاتِ شَعِيرٍ مَضْفُوفَةٌ مُلصَقٌ  
 بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَبَيْنَ دَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ الَّتِي تَقْسِمُ الْفَلَكَ بَيْنَتَيْنِ وَتُسَامَتِ  
 خَطُّ الْإِسْتِوَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقُطْبَيْنِ تِسْعُونَ دَرَجَةً لَكِنْ  
 الْعِمَارَةُ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ دَرَجَةً وَالْبَاقِي مِنْهَا خَلَاءٌ لَا  
 عِمَارَةَ فِيهِ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْجُمُودِ كَمَا كَانَتْ الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ خَلَاءً كُلُّهَا لِشِدَّةِ الْحَرِّ كَمَا  
 نَسَبْنَاهُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ إِنَّ الْمُتَغَيِّرِينَ عَنْ هَذَا الْمَعْنُورِ وَحُدُودِهِ وَعَمَّا  
 فِيهِ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ وَالْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالرِّمَالِ مِثْلَ بَطْلِيمُوسَ فِي  
 كِتَابِ الْجُغَرَايَا وَصَاحِبِ كِتَابِ زَخَارٍ مِنْ بَعْدِهِ قَسَمُوا هَذَا الْمَعْنُورَ بِسَبْعَةِ أَقْسَامٍ  
 يَسْمُونَهَا الْأَقَالِمَ السَّبْعَةَ بِحُدُودٍ وَهَيْئَةٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَسَاوِيَةٍ فِي الْعَرْضِ  
 مُخْتَلِفَةٍ فِي الطَّوْلِ وَالْأَوَّلُ أَطْوَلُ ثَمَّ بَعْدَهُ وَهَكَذَا الثَّانِي إِلَى آخِرِهَا فَيَكُونُ  
 السَّابِعُ أَقْصَرَ لَنَا اقْتِضَاهُ وَضَعُ الدَّائِرَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ انْحِسَارِ الْمَاءِ عَنْ كُرَّةِ الْأَرْضِ  
 وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِمِ عِنْدَهُمْ مُنْقَسِمٌ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 عَلَى التَّوَالِي وَفِي كُلِّ جُزْءٍ أَخْبَرٌ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ عُمَرَانِهِ . وَذَكَرُوا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ  
 الْمُحِيطَ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ الْمَعْرُوفُ بِبَدَأٍ  
 فِي خَلِيجٍ مُتَضَائِقٍ فِي عَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا أَوْ نَحْوَهَا مَا بَيْنَ طَنْجَةِ وَطَرِيفَ وَيُسَمَّى  
 الزَّقَاقَ ثُمَّ يَذْهَبُ مُشْرِقًا وَيَتَسَحُّ إِلَى عَرْضِ سِتِّينَ مِيلًا وَنِهَائِيَّتُهُ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
 الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ عَلَى أَلْفِ فَرَسَخٍ وَمِائَةِ وَسِتِّينَ فَرَسَخًا مِنْ مَبْدِئِهِ وَعَلَيْهِ هُنَالِكَ  
 سَوَاحِلُ الشَّامِ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ سَوَاحِلُ الْمَغْرِبِ أَوَّلُهَا طَنْجَةُ عِنْدَ الْخَلِيجِ ثُمَّ

إفريقية ثم برقة إلى الأسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج ثم البنادقة ثم رومة ثم الأفرنجية ثم الأندلس إلى طريف عند الرقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل أقريطش وقبرص وصقلية وبورقة وسردانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بخران آخوان من خليجين . أحدهما مسامت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضائناً في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بغار فيصل بالقسطنطينية ثم ينقسح في عرض أربعة أميال ويمر في جريه سثن ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة أميال فيمد بحر نيطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مدهاه إلى ناحية الشرق فيمر بأرض هرقله وينتهي إلى بلاد الحريرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من الجانبين أمم من الروم أو الترك ورجان والروس . والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد إتكلاية على ألف ومائة ميل من مبداه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى خليج البنادقة . قالوا وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر في الجنوب قليلاً حتى ينتهي إلى الإقليم الأول ثم يمر فيه مغرباً إلى أن ينتهي في الجزء الخامس منه إلى بلاد الحبشة والرنج وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ من مبداه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الرنج وبلاد برب التي ذكرها امرؤ القيس في شعره ولتسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وأرض الوقواق وأمم آخر ليس بعدهم إلا القفار والخللاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبداه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من الأحاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الرنج عند نهايته وبعدهم الحبشة . قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشي بخران آخوان أحدهما يخرج من نهايته عند باب المندب فيمد متضائناً ثم يمر مستنجراً إلى ناحية الشمال ومغرباً قليلاً إلى أن ينتهي إلى القزم في الجزء الخامس من الإقليم الثاني على ألف وأربعمائة ميل من مبداه ويسمى بحر



الْقَلْزُومُ وَبَحْرُ السُّوَيْسِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ فِسطاطِ مِصْرَ مِنْ هُنَاكَ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ وَعَلَيْهِ مِنْ  
جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ الْيَمَنِ ثُمَّ الْحِجَازُ وَجَدَّةٌ ثُمَّ مَدِينُ وَأَيْلَةُ وَقَارَانُ عِنْدَ نِهَائِهِ وَمِنْ  
جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الصَّعِيدِ وَعَيْذَابُ وَسَوَاكِنُ وَزَيْلَعُ ثُمَّ بِلَادُ الْعَبَّشَةِ عِنْدَ مَبْدَأِهِ  
وَأَخْرُهُ عِنْدَ الْقَلْزُومِ يُسَامِتُ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ عِنْدَ الْعَرِيشِ وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ سِتِّ مَرَاحِلَ وَمَا  
زَالَ الْمُلُوكُ فِي الْإِسْلَامِ وَقَبْلَهُ يَوْمُونَ خَرَقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ وَالْبَحْرُ الثَّانِي مِنْ  
هَذَا الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَيُسَمَّى الْخَلِيجُ الْأَخْضَرُ يَخْرُجُ مَا بَيْنَ بِلَادِ السِّنْدِ وَالْأَحْقَافِ مِنْ  
الْيَمَنِ وَيَمُرُّ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُزْبِئًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْأَيْلَةِ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَصْرَةِ  
فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّانِي عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ فَرَسَخٍ وَأَرْبَعِينَ فَرَسَخًا مِنْ مَبْدَأِهِ  
وَيُسَمَّى بِحْرَ فَارِسَ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ السِّنْدِ وَمَكْرَانَ وَكُرْمَانَ وَفَارِسَ  
وَالْأَيْلَةُ وَعِنْدَ نِهَائِهِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ وَعُمَانَ وَالشَّحْرِ وَالْأَحْقَافِ  
عِنْدَ مَبْدَأِهِ وَفِيَا بَيْنَ بَحْرِ فَارِسَ وَالْقَلْزُومِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ كَانَتْ دَاخِلَةً مِنْ الْبَحْرِ فِي الْبَحْرِ  
يَحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ الْحَبَشِيُّ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ الْقَلْزُومِ مِنَ الْغَرْبِ وَبَحْرُ فَارِسَ مِنَ الشَّرْقِ  
وَتَقْضِي إِلَى الْعِرَاقِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْبَصْرَةِ عَلَى أَلْفٍ وَخَمِيسِمِائَةِ مِيلٍ بَيْنَهُمَا وَهُنَاكَ الْكُوفَةُ  
وَالْقَادِسِيَّةُ وَبَغْدَادُ وَإِيوَانُ كِسْرَى وَالْحَبِيرَةُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ أُمَمُ الْأَعَاجِمِ مِنَ التُّرْكِ  
وَالْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ وَفِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِلَادُ الْحِجَازِ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَامَةِ  
وَالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَنِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهَا وَسَوَاحِلُهُ عَلَى  
الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ. قَالُوا وَفِي هَذَا الْمَعْمُورِ بَحْرٍ آخَرَ مُنْقَطِعٌ مِنْ سَائِرِ الْبَحَارِ فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ  
بَارِضِ الدَّيْلَمِ يُسَمَّى بِحْرَ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ طُولُهُ أَلْفُ مِيلٍ فِي عَرْضِ سِتِّ مِائَةِ مِيلٍ  
فِي غَرْبِهِ أَذَرَبَيْجَانُ وَالدَّيْلَمُ وَفِي شَرْقِهِ أَرْضُ التُّرْكِ وَخَوَارِزْمُ وَفِي جَنُوبِهِ طَبَرِسْتَانُ  
وَفِي شَمَالِهِ أَرْضُ الْخَزَرِ وَالْآنَ . هَذِهِ جُمْلَةُ الْبَحَارِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ  
الْجُغَرَفِيَا . قَالُوا وَفِي هَذَا الْجُزْءِ الْمَعْمُورِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ وَهِيَ الْبَلْخُ  
وَالْفُرَاتُ وَدِجْلَةُ وَنَهْرُ بِلَاحِ الْمُسَمَّى جِيحُونَ . فَأَمَّا الْبَلْخُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَرَاءَ خَطِ  
الْأَسْتِوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةِ دَرَجَةٍ عَلَى سَمْتِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَيُسَمَّى جَبَلُ  
الْقَمَرِ وَلَا يُعْلَمُ فِي الْأَرْضِ جَبَلٌ أَعْلَى مِنْهُ تَخْرُجُ مِنْهُ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ فَيَصُبُّ بَعْضُهَا فِي  
بَحِيرَةٍ هُنَاكَ وَبَعْضُهَا فِي أُخْرَى ثُمَّ تَخْرُجُ أَنْهَارٌ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ فَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي بَحِيرَةٍ

وَاحِدَةٍ عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ عَلَى عَشْرِ مَرَايِلَ مِنَ الْجَبَلِ وَيَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ نَهْرَانِ  
يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا إِلَى نَاحِيَةِ الشِّمَالِ عَلَى سَمْتِهِ وَيَمُرُّ بِبِلَادِ التُّوبَةِ ثُمَّ بِبِلَادِ مِصْرَ فَإِذَا  
جَاوَزَهَا تَشَعَّبَ فِي شُعَبٍ مُتَقَارِبَةٍ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَلِيجًا وَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ عِنْدَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَيُسَمَّى نَيْلَ مِصْرَ وَعَلَيْهِ الصَّيْدُ مِنْ شَرْقِيَّةٍ وَأَوَّاحَاتُ  
مِنْ غَرْبِيَّةٍ وَيَذْهَبُ الْآخَرُ مُتَعَالِفًا إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي  
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَهُوَ نَهْرُ السُّودَانِ وَأُمَمُهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى صِفَتِهِ . وَأَمَّا الْفُرَاتُ فَمَبْدَأُهَا مِنْ  
بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَمُرُّ جَنُوبًا فِي أَرْضِ الرُّومِ  
وَمَلَطِيَّةٍ إِلَى مَنبِجٍ ثُمَّ يَمُرُّ بِصَفَيْنَ ثُمَّ بِالرَّقَةِ ثُمَّ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَطْحَاءِ  
الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَاسِطَ وَمِنْ هُنَاكَ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَتَنْجَلِبُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ  
أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ وَيَخْرُجُ مِنْهُ أَنْهَارٌ أُخْرَى تَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ . وَأَمَّا دِجْلَةُ فَمَبْدَأُهَا عَيْنُ  
بِلَادِ خِلَاطٍ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ أَيْضًا وَتَمُرُّ عَلَى سَمْتِ الْجَنُوبِ بِالْمَوْصِلِ وَأَذَرْبَيْجَانِ وَبَغْدَادَ  
إِلَى وَاسِطَ فَتَتَفَرَّقُ إِلَى خِلَاجَانِ كُلُّهَا تَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْبَصْرَةِ وَتَقْضِي إِلَى بَحْرِ فَارِسَ وَهُوَ  
فِي الشَّرْقِ عَلَى عَيْنِ الْفُرَاتِ وَتَنْجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَفِيهَا  
بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدِجْلَةٍ مِنْ أَوَّلِهِ جَرِيَّةُ الْمَوْصِلِ قُبَالَةَ الشَّامِ مِنْ عُدُوتِي الْفُرَاتِ وَقُبَالَةَ  
أَذَرْبَيْجَانِ مِنْ عُدُوتِ دِجْلَةٍ . وَأَمَّا نَهْرُ جِيخُونِ فَمَبْدَأُهَا مِنْ بَلْخَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ عُيُونِ هُنَاكَ كَثِيرَةٌ وَتَنْجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ عَظَامٌ وَيَذْهَبُ مِنَ الْجَنُوبِ  
إِلَى الشِّمَالِ فَيَمُرُّ بِبِلَادِ خُرَّسَانَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ خَوَارِزْمَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْجُرْجَانِيَّةِ الَّتِي بِأَسْفَلِ مَدِينَتِهَا وَهِيَ مَسِيرَةُ شَهْرِ فِي  
مِثْلِهِ وَإِلَيْهَا يَنْصَبُّ نَهْرُ فَرغانَةِ وَالشَّاشِ الَّتِي مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَعَلَى غَرْبِي نَهْرُ جِيخُونِ  
بِلَادِ خُرَّسَانَ وَخَوَارِزْمَ وَعَلَى شَرْقِيَّةِ بِلَادِ بُخَارَى وَتُرْمَذَ وَسَمَرْقَنْدَ وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى مَا  
وَرَاءَهُ بِلَادُ التُّرْكِ وَفَرغانَةِ وَالخَزْجِيَّةِ وَأُمَمُ الْأَنَاجِمِ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِطَلِيمُوسَ  
فِي كِتَابِهِ وَالشَّرِيفُ فِي كِتَابِ زَخَارٍ وَصَوَّرُوا فِي الْجُغَرَفِيَا جَمِيعَ مَا فِي الْمَعْمُورِ مِنَ  
الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْأَوْدِيَةِ وَاسْتَوْفُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ لِطُولِهِ وَلِأَنَّ عَنَابَتَنَا فِي  
الْأَكْثَرِ إِنَّمَا هِيَ بِالْمَغْرِبِ الَّذِي هُوَ وَطَنُ الْبَذَرِ وَبِالْأَوَّلَانِ الَّتِي لِلْعَرَبِ مِنَ  
الْمَشْرِقِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ



## تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمراناً من الربع الجنوبي  
وذكر السبب في ذلك

ونحن نرى بِالشَّاهِدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي مِنَ الْأَقَالِمِ  
الْمَعْمُورَةِ أَقْلُ عُمَرَانًا مِمَّا بَعْدَهُمَا وَمَا وَجَدَ مِنْ عُمَرَانِهِ فَيَتَخَلَّلُهُ الْخَلَاءُ وَالْإِقَارُ وَالرِّمَالُ  
وَالْبَحْرُ الْهِنْدِيُّ الَّذِي فِي الشَّرْقِ مِنْهُمَا وَأُمَمٌ هَذَيْنِ الْإِقْلِيمَيْنِ وَأَنَاسِيَهُمَا لَيْسَتْ لَهُمُ  
الكَثْرَةُ الْبَالِغَةُ وَأَمْصَارُهُ وَمُدُنُهُ كَذَلِكَ وَالثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ وَمَا بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ ذَلِكَ  
فَالْإِقَارُ فِيهَا قَلِيلَةٌ وَالرِّمَالُ كَذَلِكَ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَأُمَمُهَا وَأَنَاسِيُهَا تُجَوِّزُ أَخَذَ مِنْ الْكَثْرَةِ  
وَأَمْصَارُهَا وَمُدُنُهَا تُجَاوِزُ أَخَذَ عَدَدًا وَالْعُمَرَانُ فِيهَا مُنْدَرِجٌ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالسَّادِسِ  
وَالْجَنُوبُ خَلَاءٌ كُلُّهُ وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَقِلَّةِ  
مَيْلِ الشَّمْسِ فِيهَا عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ فَلْتَوَضَّحْ ذَلِكَ بِدُرْهَانِهِ وَيَتَبَيَّنْ مِنْهُ سَبَبُ كَثْرَةِ  
الْعِمَارَةِ فِيمَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ مِنْ جَانِبِ الشَّمَالِ إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّابِعِ . فَتَقُولُ إِنْ  
حُطِّيَ الْفَلَكَ الْجَنُوبِيُّ وَالشَّمَالِيُّ إِذَا كَانَ عَلَى الْأَفُقِ فَهَذَاكَ دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ تَقْسِمُ الْمَلِكَ  
بَيْنَ صَفَيْنِ هِيَ أَعْظَمُ الدَّوَائِرِ الْمَارَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتُسَمَّى دَائِرَةُ مُعَدَّلِ  
النَّهَارِ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْهَيْئَةِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى مُتَحَرِّكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى  
الْمَغْرِبِ حَرَكَةً يَوْمِيَّةً يُحَرِّكُ بِهَا سَائِرَ الْأَفْلَاقِ فِي جَوْفِهِ قُبُورًا وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مُحْشُوسَةٌ  
وَكَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ لِلْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاقِهَا حَرَكَةً مُخَالِفَةً لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَهِيَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَخْتَلِفُ أَمَادُهَا بِاخْتِلَافِ حَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ فِي السَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ وَتَمَرَّاتِ  
هَذِهِ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاقِهَا تُوَارِيهَا كُلُّهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى تَقْسِمُ  
بَيْنَ صَفَيْنِ وَهِيَ دَائِرَةُ فَلَكَ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةٌ بِأَثْنَيْ عَشَرَ بُرْجًا وَهِيَ عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ  
مُقَاطِعَةٌ لِدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى نِطَاطَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الْبُرُوجِ هُمَا أَوَّلُ الْحَمَلِ وَأَوَّلُ  
الْمِيزَانِ فَتَقْسِمُهَا دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ بَيْنَ صَفَيْنِ نِصْفٌ مَائِلٌ عَنْ مُعَدَّلِ النَّهَارِ إِلَى الشَّمَالِ  
وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْحَمَلِ إِلَى آخِرِ السُّنْبُلَةِ وَنِصْفٌ مَائِلٌ عَنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ  
الْمِيزَانِ إِلَى آخِرِ الْحُوتِ وَإِذَا وَقَعَ الْقُطْبَانِ عَلَى الْأَفُقِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْأَرْضِ كَانَ

على سطح الأرض خط واحد يُسمّى دائرة مُعدّل النهار يمرّ من المغرب إلى الشرق  
ويُسمّى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرّصد على ما ذكروا في مبدأ الإقليم الأول  
من الأقاليم السبعة والعمران كلّ في الجهة الشماليّة يرتفع عن آفاق هذا المعمور  
بالترتيب إلى أن ينتهي ارتفاعه إلى أربع وستين درجة وهنالك ينقطع العمران  
وهو آخر الإقليم السابع وإذا ارتفع على الأفق تسعين درجة وهي التي بين القطب  
ودائرة مُعدّل النهار على الأفق وبقيت ستة من البروج فوق الأفق وهي الشماليّة وستة  
تحت الأفق وهي الجنوبيّة والعِمارة فيها بين الأربعة والستين إلى التسعين مُتمتعة لأن  
الحرّ والبرد حينئذ لا يحصلان مُتدرجين لبعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فإذا  
الشمس نُسّبت الرأس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثمّ تميل عن  
المُسامّة إلى رأس السرطان ورأس الجدي ويكون نهاية ميلها عن دائرة مُعدّل  
النهار أربعاً وعشرين درجة ثمّ إذا ارتفع القطب الشمالي عن الأفق مالت دائرة مُعدّل  
النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار  
متساوٍ في الثلاثة وهو المُسمّى عند أهل التّواقيت عرض البلد وإذا مالت دائرة  
مُعدّل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشماليّة مُندرجة في مقدار علوها  
إلى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبيّة من الأفق كذلك إلى رأس الجدي  
لا نجرافها إلى الجانبين في أفق الاستواء كما قلناه فلا يزال الأفق الشمالي يرتفع حتّى  
يصير أبعد الشماليّة وهو رأس السرطان في سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض  
البلد أربعاً وعشرين في الجواز وما يليه وهذا هو الميل الذي إذا مال رأس السرطان  
عن مُعدّل النهار في أفق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتّى صار مُسامّة  
فإذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين نزلت الشمس عن المُسامّة ولا تزال  
في انخفاض إلى أن يكون ارتفاع القطب أربعاً وستين ويكون انخفاض الشمس عن  
المُسامّة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الأفق مثلها فينقطع التكوين لإفراط  
البرد والجهد وطول زمانه غير مُتدرج بالحرّ. ثمّ إن الشمس عند المُسامّة وما  
يقاربها تبت الأشعة قائمة وفيما دون المُسامّة على زوايا مُنفرجة وحادة وإذا كانت  
زوايا الأشعة قائمة عظم الضوء وانتشر بخلافه في المُنفرجة والحادة فلهذا يكون



الحر عند المسامة وما يقرب منها أكثر منه فيما بعد لأن الضوء سبب الحر والتسخين  
ثم إن المسامة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند تقطبي الحمل  
والميزان وإذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر مينا عند رأس السرطان  
والجدى إلا إن صعدت إلى المسامة فتبني الأشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك  
الأفق ويطول مكثها أو يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها وكذا ما  
دامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء إلى عرض أربع وعشرين فإن  
الأشعة ملحة على الأفق في ذلك بقرب من إلاحها في خط الاستواء وإفراط الحر  
يفعل في الهواء تضييفا وينسا يمنع من التكوين لأنه إذا أفرط الحر جفت المياه  
والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والحيوان والنبات إذ التكوين لا يكون  
إلا بالرطوبة ثم إذا مال رأس السرطان عن سمت الرأس في عرض خمس وعشرين  
فما بعده زالت الشمس عن المسامة فيصير الحر إلى الاعتدال أو يميل عنه ميلا  
قليلًا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج إلى أن يفرط البرد في شدته لقله  
الضوء وكون الأشعة مندرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد بيد أن فساد التكوين  
من جهة شدة الحر أعظم منه من جهة شدة البرد لأن الحر أسرع تأثيراً في التضييف  
من تأثير البرد في التجمد فلذلك كان العمران في الإقليم الأول والثاني قليلاً وفي  
الثالث والرابع والخامس متوسطاً لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع  
كثيراً لنقصان الحر وأن كفيّة البرد لا توتر عند أولها في فساد التكوين كما  
يفعل الحر إذ لا تضييف فيها إلا عند الإفراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد  
السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي أكثر وأوفر والله أعلم . ومن هنا أخذ  
الحكماء خلاه خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم أنه معذور بالمشاهدة  
والأخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يؤيدوا امتناع  
العمران فيه بالكلية إنما أذاهم البرهان إلى أن فساد التكوين فيه قوي بإفراط  
الحر والعمران فيه إما تمتنع أو تمكن أقل وهو كذلك فإن خط الاستواء والذي  
وراءه وإن كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جداً . وقد زعم ابن رشد أن خط  
الاستواء معتدل وأن ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما

عمر من هذا والذي قاله غير مُتَّعٍ من جهة فساد الشكرين وإنما امتنع فيما وراء  
خط الاستواء في الجنوب من جهة أن العنصر المائي غمر وجه الأرض هناك إلى  
الحد الذي كان مقابلة من الجهة الشمالية قابلاً للشكرين ولما امتنع المعتدل لغيبة  
الماء تبعه ما سواه لأن العمران مُتَدَرِّجٌ ويأخذ في التدرُّج من جهة الوجود لا من  
جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فبداهة النقل المتواتر والله  
أعلم . ولدرسم بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زخار ثم  
نأخذ في تفصيل الكلام عليهما إلى آخره

### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

إعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من  
الشمال إلى الجنوب يُسمون كل قسمٍ منها إقليماً فانقسم المعمور من الأرض سبعة على  
هذه السبعة الأقاليم كل واحدٍ منها آخذ من الغرب إلى الشرق على طوله . فالأول  
منها ما من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء بعده من جهة الجنوب وليس  
وراءه هناك إلا القار والريمال وبعض عمارة إن صحت فهي كعمارة ويليه من  
جهة شمالية الإقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع  
وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع إلا الخلاء والقار إلى أن  
يتهي إلى البحر المحيط كالحال فيما وراء الإقليم الأول في جهة الجنوب إلا أن  
الخلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب . ثم إن أزمته  
الليل والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار  
وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فتفاوت قوس الليل والنهار لذلك وينتهي طول  
الليل والنهار في آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي لليل  
وبرأس السرطان للنهار كل واحدٍ منهما إلى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر  
الإقليم الثاني بما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان  
وهو مُنْقَلَبُها الصيفي إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند مُنْقَلَبِها  
الشتوي برأس الجدي ويبقى للأقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف  
من جملة أربع وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهي دورة الفلك الكاملة



وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الْأَقْلِيمِ الثَّالِثِ تَمَّا يَلِي الشَّامَ أَيْضًا يَنْتَهِيَانِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَفِي  
 آخِرِ الرَّابِعِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ سَاعَةٍ وَفِي آخِرِ الْخَامِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ  
 سَاعَةً وَفِي آخِرِ السَّادِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ وَإِلَى آخِرِ السَّابِعِ إِلَى سِتِّ  
 عَشْرَةَ سَاعَةً وَهَذَا يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ فَيَكُونُ تَفَاوُتُ هَذِهِ الْأَقْلِيمِ فِي الْأَطْوَالِ مِنْ لَيْلِهَا  
 وَنَهَارِهَا بِنِصْفِ سَاعَةٍ لِكُلِّ إِقْلِيمٍ يَتَرَايِدُ مِنْ أَوَّلِهِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ إِلَى آخِرِهِ فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّامِ مُوزَّعَةً عَلَى أَجْزَاءِ هَذَا الْبَلَدِ . وَأَمَّا عَرْضُ الْبُلْدَانِ فِي هَذِهِ الْأَقْلِيمِ وَهُوَ  
 عِبَارَةٌ عَنْ بُعْدِ مَا بَيْنَ سَمْتِ رَأْسِ الْبَلَدِ وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ الَّذِي هُوَ سَمْتُ رَأْسِ نَظَرِ  
 الْإِسْوَاءِ وَبِمِثْلِهِ سِوَاهُ يَنْخَفِضُ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ عَنْ أَفْقِ ذَلِكَ الْبَلَدِ وَيَرْتَفِعُ الْقُطْبُ  
 الشَّامِيُّ عَنْهُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ تُسَمَّى عَرْضُ الْبَلَدِ كَمَا مَرَّ ذَلِكَ قَبْلُ .  
 وَالْمُسْكَلُونَ عَلَى هَذِهِ الْجُغَرَفِيَا قَسَمُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْلِيمِ السَّبْعَةِ فِي طُولِهِ  
 مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ وَيَذَكِّرُونَ مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ كُلُّ  
 جُزْءٍ مِنْهَا مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَأَجْبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْمَسَافَاتِ بَيْنَهَا فِي الْمَسَالِكِ وَنَحْنُ  
 الْآنَ نُوْجِزُ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ وَنَذَكِّرُ مَشَاهِدَ الْبُلْدَانِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبَحَارِ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا  
 وَنُحَازِي بِذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ تَرْهَةِ الْمُشْتَقِ الَّذِي أَلْفَهُ الْعُلَوِيُّ الْأَدْرِيسِيُّ الْحَمُودِيُّ  
 إِمَامُكَ صَلَّيْهِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ وَهُوَ زَخَارُ بْنُ زَخَارٍ عِنْدَ مَا كَانَ تَارِلاً عَلَيْهِ بِصِلَّةٍ بَعْدَ  
 خُرُوجِ صِقْلِيَّةٍ مِنْ إِمَارَةِ مَالِقَةَ وَكَانَ تَأْلِيفُهُ لِلْكِتَابِ فِي مُنْتَصَفِ الْيَاثَةِ السَّادِسَةِ  
 وَجَمَعَ لَهُ كُتُبًا جَمَّةً لِلْمُسْعُودِيِّ وَابْنِ خَرْدَاذِيهِ وَالْحَوْقَلِيِّ وَالْقُدْرِيِّ وَابْنِ إِسْحَاقَ  
 الْمُتَنَجِّمِ وَبَطْلَيْسُوسَ وَغَيْرِهِمْ وَنَبَدَأُ مِنْهَا بِالْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَى آخِرِهَا وَأَلْفَهُ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى يَغْنِصُنَا بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

الْإِقْلِيمُ الْأَوَّلُ \* وَفِيهِ مِنْ جِهَةِ غَرْبِيَةِ الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتُ الَّتِي مِنْهَا بَدَأَ بَطْلَيْسُوسُ  
 بِاتِّخَاذِ أَطْوَالِ الْبِلَادِ وَلَيْسَتْ فِي بَيْسِطِ الْأَقْلِيمِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ جُزُرٌ  
 مَتَكَثِّرَةٌ أَكْبَرُهَا وَأَشْهُرُهَا ثَلَاثٌ وَيُقَالُ إِنَّهَا مَعْمُورَةٌ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفَائِنَ مِنْ  
 الْإِفْرَنْجِ مَرَّتْ بِهَا فِي أَوَاسِطِ هَذِهِ الْيَاثَةِ وَقَاتَلُوهُمْ فَغَنِمُوا مِنْهُمْ وَسَبُّوا وَبَاعُوا بَعْضُ  
 أَسْرَائِهِمْ بِسَوَاحِلِ الْغَرْبِ الْأَقْصَى وَصَارُوا إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ فَلَمَّا تَعَلَّمُوا اللِّسَانَ  
 الْعَرَبِيَّ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِ جَزَائِرِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَحْتَفِرُونَ الْأَرْضَ لِلزَّرْعَةِ بِالْقُرُونِ وَأَنَّ

الْحَدِيدَ مَقْشُودَ بَارِضِهِمْ وَعَيْشَهُمْ مِنَ الشَّيْرِ وَمَاشِيَتَهُمُ الْمَغْرُ وَقِتَالَهُمْ بِالْحِجَارَةِ يَوْمُونَهَا  
 إِلَى خَلْفِ وَعِبَادَتَهُمُ السُّجُودَ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَّتْ وَلَا يَعْرِفُونَ دِينًا وَلَمْ تَبْلُغْهُمْ دَعْوَةُ  
 وَلَا يُوقِفُ عَلَى مَكَانٍ هَذِهِ الْجَزَائِرُ إِلَّا بِالْعُثُورِ لَا بِالْقَعْدِ إِلَيْهَا لِأَنَّ سَفَرَ السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ  
 إِنَّمَا هُوَ بِالرِّيَّاحِ وَمَعْرِفَةِ جِهَاتِ مَهَابِهَا وَإِلَى أَنْ يُوْصَلَ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْ  
 الْبِلَادِ الَّتِي فِي مَرِّ ذَلِكَ الْمَهَبِ وَإِذَا اخْتَلَفَ الْمَهَبُ وَعُلِمَ حَيْثُ يُوْصَلُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ  
 حُودِي بِهِ الْقَلْعُ مُخَازَاةَ يَحْبِلِ السَّفِينَةِ بِهَا عَلَى قَوَائِنٍ فِي ذَلِكَ مُحَصَّلَةٌ عِنْدَ النَّوَائِيَةِ  
 وَالْمَلَّاحِينَ الَّذِينَ هُمْ رُؤَسَاءُ السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي فِي حَافَاتِ الْبَحْرِ الرُّومِي  
 وَفِي عُذُوتِهِ مَكْتُوبَةٌ كُلُّهَا فِي صَحِيفَةٍ عَلَى شَكْلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ وَفِي وَضْعِهَا  
 فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ عَلَى تَرْتِيدِهَا وَمَهَابِ الرِّيَّاحِ وَتَمَرَّاتِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مَرْسُومٌ مَعَهَا فِي تِلْكَ  
 الصَّحِيفَةِ وَيُسْتَوْنَهَا الْكِتَابُصَ وَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَقْشُودٌ فِي الْبَحْرِ  
 الْمُحِيطِ فَلِذَلِكَ لَا تَلْجُ فِيهِ السُّفُنُ لِأَنَّهَا إِنْ غَابَتْ عَنْ مَرَأَى السَّوَاحِلِ فَقَلَّ أَنْ تَهْتَدِيَ  
 إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا مَعَ مَا يَنْتَعِدُ فِي جَوْهَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى سَيْلِجِ مَائِهِ مِنَ الْأَبْخَرَةِ الْمُمَانِعَةِ  
 لِلْسُّفُنِ فِي مَسِيرِهَا وَهِيَ لِبُعْدِهَا لَا تُدْرِكُهَا أَضْرَاءُ الشَّمْسِ الْمُتَعَكِّسَةُ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ  
 فَتُحَلِّمُهَا فَلِذَلِكَ عَسَرَ الْإِهْتِدَاءُ إِلَيْهَا وَصَعِبَ الْوُقُوفُ عَلَى خَبَرِهَا . وَأَمَّا الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ  
 هَذَا الْإِقْلِيمِ فَفِيهِ مَصْبُ النِّيلِ الْآتِي مِنْ مَبْدِئِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْقَمَرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيُسَمَّى  
 نَيْلَ السُّودَانِ وَيَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ جَزِيرَةِ أُولَيْكَ وَعَلَى هَذَا الْبَيْلِ  
 مَدِينَةُ سَلَاوَتَكَرُورُ وَغَانَةُ وَكُلُّهَا لِهَذَا الْبَلَدِ فِي مَمْلَكَةِ مَلِكٍ مَالِيٍّ مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ وَإِلَى  
 بِلَادِهِمْ تُسَافِرُ تُجَارُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا مِنْ شَمَالِهَا بِلَادُ إِمْتُوتَةَ وَسَائِرُ  
 طَوَائِفِ الْمُلُكِيِّينَ وَمَاوِذُ يَجُورُونَ فِيهَا وَفِي جَنْبِي هَذَا النِّيلِ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانِ يُقَالُ لَهُمْ  
 إِمْلَمُ وَهُمْ كُنَّارٌ وَيَبْكُتُونَ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَصْدَاغِهِمْ وَأَهْلُ غَانَةَ وَالتَّكَرُورِ يُغِيدُونَ  
 عَلَيْهِمْ وَيَسْبُونَهُمْ وَيَبِيعُونَهُمْ لِلتُّجَّارِ فَيَجْلِبُونَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَكُلُّهُمْ عَامَّةٌ رَقِيقُهُمْ أَوْلَى  
 وَرَاءَهُمْ فِي الْجَنْبِ عُثْرَانٌ يُعْتَبَرُ إِلَّا أَنَاسِيٌّ أَقْرَبُ الْحَيَوَانِ الْعُجْمِ مِنَ النَّاطِقِ يَنْسَكُونُ  
 الْفَيَافِي وَالْكُهُوفَ وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ وَالْحَبُوبَ غَيْرَ مُهَيَّاءٍ وَرَبَّيَا يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 وَلَيْسُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ . وَقَرَأَكِهِ بِلَادِ السُّودَانِ كُلُّهَا مِنْ قُصُورِ صَخْرَاءِ الْمَغْرِبِ مِثْلَ  
 قَوَاتٍ وَتَكَدَرَارِينَ وَوَرَكَلَانَ . فَكَانَ فِي غَانَةَ فِيمَا يُقَالُ مَلِكٌ وَدَوْلَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ



يَعْرِفُونَ بَنِي صَالِحٍ وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ زَخَارٍ إِنَّهُ صَالِحٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ بْنُ  
الْحَسَنِ وَلَا يُعْرَفُ صَالِحٌ هَذَا فِي وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ وَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِهَذَا  
الْعَهْدِ وَصَارَتْ غَانَةً لِسُلْطَانِ مَالِي وَفِي شَرْقِي هَذَا الْبَلَدِ فِي الْجَزْءِ الثَّالثِ مِنَ الْإِقْلِيمِ بَلَدٌ  
كُوْكُو عَلَى نَزَرٍ يَنْبَعُ مِنْ بَعْضِ الْجِبَالِ هُنَاكَ وَيَمُرُّ مُغْرِبًا فَيُغْرَسُ فِي رِمَالِ الْجَزْءِ الثَّانِي  
وَكَانَ مَلِكَ كُوْكُو قَارًا بِنَفْسِهِ ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سُلْطَانُ مَالِي وَأَصْبَحَتْ فِي تَمْلِكِهِ  
وَحَرِبَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ هُنَاكَ نَذَرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ دَوْلَةِ مَالِي فِي مَحَابِلِهَا  
مِنْ تَارِيخِ الْبَرْبَرِ وَفِي جَنُوبِي بَلَدِ كُوْكُو بِلَادُ كَاتَمٍ مِنْ أَمَمِ السُّودَانِ وَبَعْدَهُمْ وَتَعَارَةً  
عَلَى صِفَةِ النَّيْلِ مِنْ شِمَالِيهِ وَفِي شَرْقِي بِلَادِ وَتَعَارَةً وَكَاتَمٍ بِلَادُ زَغَاوَةٍ وَنَاسِرَةِ الْمُتَّصِلَةِ  
بِأَرْضِ النَّوْبَةِ فِي الْبَرْبَرِ الْوَابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِيهِ يَمُرُّ نَيْلُ مِصْرَ ذَاهِبًا مِنْ مَبْدِئِهِ  
عِنْدَ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الشَّمَالِ وَمَخْرَجُ هَذَا النَّيْلِ مِنْ جَبَلِ الْقَمَرِ  
الَّذِي فَوْقَ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَآخِذُوا فِي ضَبْطِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَضَبَطَهَا  
بَعْضُهُمْ بِنَتْحِ الْقَافِ وَالْيَمِ نِسْبَةً إِلَى قَمَرِ السَّمَاءِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِ وَكَثْرَةِ ضَوْئِهِ وَفِي  
كِتَابِ الْمُشْتَرَكِ لِيَأْقُوتَ بَضْمَ الْقَافِ وَسُكُونِ الْيَمِ نِسْبَةً إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ  
وَكَذَا ضَبْطُهُ ابْنُ سَعِيدٍ فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ عَشْرُ عُمُودٍ تَجْتَمِعُ كُلُّ خَمْسَةٍ مِنْهَا فِي بُحَيْرَةٍ  
وَيَبْتَنِيهَا سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْبُحَيْرَتَيْنِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا  
فِي بَطِيخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَسْفَلِهَا جَبَلٌ مُعْتَرِضٌ يَشُقُّ الْبُحَيْرَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ وَيَنْقَسِمُ هَاوَاهَا  
بِتَسْمِينٍ فَيَمُرُّ الْعَرَبِيُّ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ مُغْرِبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَيَخْرُجُ  
الشَّرْقِيُّ مِنْهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّمَالِ عَلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَالنَّوْبَةِ وَفِيهَا يَبْتَنِيهَا وَيَنْقَسِمُ فِي أَعْلَى  
أَرْضِ مِصْرَ فَيَصُبُّ ثَلَاثَةً مِنْ جَدَاوِلِهِ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عِنْدَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَرَشِيدِ  
وَدِيْمَاطٍ وَيَصُبُّ وَاحِدٌ فِي بُحَيْرَةٍ مُلْحَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِالْبَحْرِ فِي وَسْطِ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
الْأَوَّلِ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ بِلَادُ النَّوْبَةِ وَالْحَبَشَةِ وَبَعْضُ بِلَادِ الْوَاخَاتِ إِلَى أُسْوَانَ وَحَاضِرَةِ  
بِلَادِ النَّوْبَةِ مَدِينَةُ دَنْقَلَةٍ وَهِيَ فِي غَرْبِي هَذَا النَّيْلِ وَبَعْدَهَا عَلَوَةٌ وَبِلَاقُ وَبَعْدُهَا جَبَلٌ  
الْجَنَادِلِ عَلَى سِتَّةِ مَرَاكِلٍ مِنْ بِلَاقٍ فِي الشَّمَالِ وَهُوَ جَبَلٌ عَالٍ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ وَمُنْحَصِفٌ  
مِنْ جِهَةِ النَّوْبَةِ فَيَنْقُذُ فِيهِ النَّيْلُ وَيَصُبُّ فِي مَهْوًى بَعِيدٍ صَبًّا هَائِلًا فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ  
تَسْلُكَهُ الْمَرَائِبُ بَلْ يَحُولُ الْوَسْقُ مِنْ مَرَائِبِ السُّودَانِ فَيُجْتَلُّ عَلَى الظَّهْرِ إِلَى بَلَدِ

أَسْرَانِ قَاعِدَةٍ الصَّيْدِ إِلَى فَوْقِ الْجَسَادِلِ وَبَيْنَ الْجَنَادِلِ وَأَسْرَانِ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرَّحَلَةً  
 وَالْوَحَاتُ فِي غَرْبِهَا عَدْوَةُ النَّيْلِ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ وَبِهَا آثَارُ الْعِمَارَةِ الْقَدِيمَةِ . وَفِي وَسْطِ  
 هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ بِلَادُ أَحْبَشَةَ عَلَى وَادٍ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ  
 ذَاهِباً إِلَى أَرْضِ التُّوبَةِ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي النَّيْلِ الْهَابِطِ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ وَهَمَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ  
 النَّاسِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ نَيْلِ الْقَمَرِ وَبَطْلَيْمُوسُ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ الْجُغَرَفِيَا وَذَكَرَ أَنَّهُ  
 لَيْسَ مِنْ هَذَا النَّيْلِ . وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ يَنْتَهِي بَحْرُ الْهِنْدِ الَّذِي  
 يَدْخُلُ مِنْ نَاحِيَةِ الصِّينِ وَيَغْدُرُ نَاصِيَةً هَذَا الْإِقْلِيمِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ  
 عُثْرَانٌ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْجَزَائِرِ الَّتِي فِي دَاخِلِهِ وَهِيَ مُتَعَدِّدَةٌ يُقَالُ تَنْتَهِي إِلَى أَلْفِ جَزِيرَةٍ  
 أَوْ فِيمَا عَلَى سَوَاحِلِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَلَيْسَ مِنْهَا فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَّا طَرَفٌ مِنْ  
 بِلَادِ الصِّينِ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَفِي بِلَادِ الْيَمَنِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِيمَا  
 بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْهَابِطَيْنِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَهُمَا بَحْرُ قُلْثُمٍ وَبَحْرُ  
 فَارِسَ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةُ الْعَرَبِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَبِلَادِ الشَّحْرِ فِي شَرْقِيَّهَا  
 عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَعَلَى بِلَادِ الْحَبَاذِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا إِلَيْهِمَا كَمَا نَذَكَّرُهُ فِي  
 الْإِقْلَامِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ فَأَمَّا الَّذِي عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيَّةٍ فَلَدُ زَالِغٍ مِنْ  
 أَطْرَافِ بِلَادِ أَحْبَشَةَ وَمَجَالَاتُ الْبَحَّةِ (١) فِي شَمَالِي أَحْبَشَةَ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعَلَّاقِي فِي أَعَالِي  
 الصَّيْدِ وَبَيْنَ بَحْرِ الْقُلْثُمِ الْهَابِطِ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَتَحْتَ بِلَادِ زَالِغٍ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ  
 فِي هَذَا الْجُزْءِ خَلِيجُ بَابِ الْمَنْدَبِ يَضِيقُ الْبَحْرُ الْهَابِطُ هُنَاكَ بِمُزَاحَمَةِ جَبَلِ الْمَنْدَبِ  
 الثَّانِي فِي وَسْطِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ مُتَمَدِّاً مَعَ سَاحِلِ الْيَمَنِ مِنْ أَجْزَابِ إِلَى الشَّمَالِ فِي  
 طُولِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً فَيَضِيقُ الْبَحْرُ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ فِي عَرْضِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ  
 أَوْ نَحْوَهَا وَيُسَمَّى بَابَ الْمَنْدَبِ وَعَلَيْهِ تَمْرُ مَرَاكِبُ الْيَمَنِ إِلَى سَاحِلِ السُّوَيْسِ قَرِيباً  
 مِنْ مِصْرَ وَتَحْتَ بَابِ الْمَنْدَبِ جَزِيرَةُ سَوَاكِنَ وَدَهْلَكَ وَقِبَالَتُهُ مِنْ غَرْبِيَّةِ مَجَالَاتِ الْبَحَّةِ  
 مِنْ أَمَمِ السُّودَانِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ شَرْقِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَهَائِمُ الْيَمَنِ وَمِنْهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
 بَلَدٌ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ وَفِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْ بَلَدِ زَالِغٍ وَعَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيَّةِ قُرَى  
 بَرْبَرٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضاً وَيَنْعَطِفُ مِنْ جَنُوبِيَّةٍ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَلِيهَا هُنَاكَ مِنْ

(١) ويقال أيضاً البجاة وأما زالغ فهي زيلع .



جهة شرفها بلاد الرنج ثم بلاد سفالة من ساحل الجنوبي بلاد الوقواق متصلة إلى آخر الجزء العاشر من هذا الإقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط . وأما جزائر هذا البحر فكثيرة . من أعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل . وبها الجبل المشهور يقال ليس في الأرض أعلى منه وهي قبالة سفالة . ثم جزيرة القبر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سفالة وتذهب إلى الشرق منحرفة بكثير إلى أن تقرب من سواحل أعالي الصين ويختف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر الوقواق ومن شرفها جزائر السيلان إلى جزائر آخر في هذا البحر كثيرة العدد وفيها أنواع الطيب والأفاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامة أهلها على دين المجوسية وفيهم مأوك متعددون وبهذه الجزائر من أحوال العمران عجائب ذكرها أهل الجغرافيا وعلى الضمة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الإقليم بلاد اليمن كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زبيد والمهجم وتهامة اليمن وبعدها بلد صعدة مقر الإمامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعاء وبعدهما إلى الشرق أرض الأحقاف وظفار وبعدها أرض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس . وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي أنكشف عنها البحر من أجزاء هذا الإقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع وأكثر منه من العاشر فيه أعالي بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة خانكو وقبالتها من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها وهذا آخر الكلام في الإقليم الأول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بسنته وفضله

الإقليم الثاني \* وهو متصل بالأول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الأول والثاني منه في الجانب الأعلى منهما أرض قنورية وبعدها في جهة الشرق أعالي أرض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الأسفل منهما صحراء نمت متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملثمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولشونة ومسرانة ولنطة ووريكة وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً أرض فزان ثم مجالات أركار من قبائل

الْبَرْزِ ذَاهِبَةً إِلَى أَعَالِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ عَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّرْقِ وَبَعْدَهَا مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثِ  
 وَهِيَ جِهَةُ الشَّمَالِ مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَدَّانَ وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا أَرْضُ سِنْدِيَّةَ وَتَسْمَى أَوَاحَاتِ  
 الدَّاخِلَةِ وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ أَعْلَاهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْبَاحَوَيْنِ ثُمَّ يَغْتَرِضُ فِي وَسْطِ هَذَا  
 الْجُزْءِ بِلَادُ الصَّعِيدِ حَافَاتُ التِّلِيزِ الذَّاهِبِ مِنْ مَبْدِئِهِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَى مَصِيبِهِ فِي  
 الْبَحْرِ فَيَمُرُّ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْحَاجِزَيْنِ وَهُمَا جَبَلُ الْأَوَاحَاتِ مِنْ غَرْبِيَّةِ وَجَبَلُ  
 الْمُقَطَّمِ مِنْ شَرْقِيَّةِ وَعَلَيْهِ مِنْ أَعْلَاهُ بَلَدُ أَسْنَا وَأَرْمَنْتَ وَيَتَّصِلُ كَذَلِكَ حَافَاتُهُ إِلَى  
 أَسِيرُوطَ وَقُوصِ ثُمَّ إِلَى صُولٍ وَيَفْتَرِقُ التِّلِيزُ هُنَاكَ عَلَى شِعْبَتَيْنِ يَنْتَهِي الْأَيْمَنُ مِنْهُمَا فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ عِنْدَ اللَّاهُونَ وَالْأَيْسَرُ عِنْدَ دِلَاصٍ وَفِيَا يَلْتَقِيَانِ أَعَالِي دِيَارِ مِصْرَ وَفِي الشَّرْقِ مِنْ  
 جَبَلِ الْمُقَطَّمِ صَخَارَى عِيَذَابَ ذَاهِبَةً فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى بَحْرِ السُّوَيْسِ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْقُلُومِ الْهَابِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ فِي الْجَنُوبِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَفِي عُذُوتِهِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ الْحِجَازِ مِنْ جَبَلٍ يَلْتَمَسُ إِلَى بِلَادِ يَثْرِبَ فِي وَسْطِ الْحِجَازِ  
 مَكَّةُ شَرْفَهَا اللَّهُ وَفِي سَاحِلِهَا مَدِينَةُ جَدَّةَ تُقَابِلُ بَلَدَ عِيَذَابَ فِي الْعُدُوةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا  
 الْبَحْرِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ غَرْبِيَّةِ بِلَادُ نَجْدِ أَعْلَاهَا فِي الْجَنُوبِ وَتُبَالَةُ وَجَرَسُ إِلَى  
 عَكَظَ مِنَ الشَّمَالِ وَتَحْتَ نَجْدٍ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْحِجَازِ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّرْقِ  
 بِلَادُ نَجْرَانَ وَخَيْبَرَ وَتَحْتَهَا أَرْضُ الْيَمَامَةِ وَعَلَى سَمْتِ نَجْرَانَ فِي الشَّرْقِ أَرْضُ سَبَأَ وَمَأْرِبَ  
 ثُمَّ أَرْضُ الشَّحْرِ وَيَنْتَهِي إِلَى بَحْرِ فَارِسَ وَهُوَ الْبَحْرُ الثَّانِي الْهَابِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّمَالِ كَمَا مَرَّ وَيَذْهَبُ فِي هَذَا الْجُزْءِ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الْغَرْبِ فَيَمُرُّ مَا بَيْنَ شَرْقِيَّةِ  
 وَجُوفِيَّةِ قِطْعَةً مُثَلَّثَةً عَلَيْهَا مِنْ أَعْلَاهُ مَدِينَةُ قُلْهَاتَ وَهِيَ سَاحِلُ الشَّحْرِ ثُمَّ تَحْتَهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
 بِلَادُ عُمَّانَ . ثُمَّ بِلَادُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ مِنْهَا فِي آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْ  
 غَرْبِيَّةِ قِطْعَةً مِنْ بَحْرِ فَارِسَ تَتَّصِلُ بِالقِطْعَةِ الْأُخْرَى فِي السَّادِسِ وَيَغْمُرُ بَحْرُ الْهِنْدِ جَانِبَهُ  
 الْأَعْلَى كُلُّهُ وَعَلَيْهِ هُنَاكَ بِلَادُ السِّنْدِ إِلَى بِلَادِ مَكْرَانَ وَيُقَابِلُهَا بِلَادُ الطُّوْبَرَانَ وَهِيَ مِنْ  
 السِّنْدِ أَيْضًا فَيَتَّصِلُ السِّنْدُ كُلُّهُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَتَحُولُ الْمَفَاوِزُ بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ وَيَمُرُّ فِيهِ نَهْرُهُ الْآتِي مِنْ نَاحِيَةِ بِلَادِ الْهِنْدِ وَيَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 فِي الْجَنُوبِ وَأَوَّلُ بِلَادِ الْهِنْدِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا بِلَادُ بَلَهَرَا وَتَحْتَهَا  
 فِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ أَرْضُ كَابِلَا وَبَعْدَهَا شَرْقًا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِبِلَادِ الْقَنْوُجِ مَا بَيْنَ



قَشِيرَ الدَّاخلَةِ وَقَشِيرَ الخَارِجَةِ عِنْدَ آخِرِ الإقليمِ وَفِي الجزءِ التَّاسِعِ ثُمَّ فِي أَجْزَائِهِ  
الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ بِلَادُ الْهِنْدِ الْأَقْصَى وَيَتَّصِلُ فِيهِ إِلَى أَجْزَائِهِ الشَّرْقِيَّةِ فَيَتَّصِلُ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى  
الْعَاشِرِ وَتَبْقَى فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ أَجْزَائِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ فِيهَا مَدِينَةُ شِيْعُونِ ثُمَّ تَتَّصِلُ  
بِلَادُ الصِّينِ فِي الجزءِ الْعَاشِرِ كُلُّهُ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ  
التَّوْفِيقُ وَهُوَ وَلِيُّ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ

الإقليمُ الثَّالثُ \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ فَقِي الجزءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ وَعَلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ أَعْلَاهُ جَبَلٌ دَرَنٌ مُعْتَرِضٌ فِيهِ مِنْ غَرْبِيَّةِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى الشَّرْقِ  
عِنْدَ آخِرِهِ وَيَسْكُنُ هَذَا الْجَبَلُ مِنَ الدَّبَرِ أُمَمٌ لَا يَخْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ حَسَبًا يَأْتِي  
ذِكْرُهُ وَفِي الْقِطْعَةِ الَّتِي بَيْنَ هَذَا الْجَبَلِ وَالْإقليمِ الثَّانِي وَعَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْهَا رِبَاطٌ  
مَاسَّةٌ وَيَتَّصِلُ بِهِ شَرْقًا بِلَادُ سُوسٍ وَتُولُ وَعَلَى سَنَتَا شَرْقًا بِلَادُ دَرَّةٍ ثُمَّ بِلَادُ سِجِلْمَاسَةَ  
ثُمَّ قِطْعَةٌ مِنْ صَحْرَاءٍ نَسَرَ الْمَغَازَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي الإقليمِ الثَّانِي وَهَذَا الْجَبَلُ مُطْلٍ  
عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا فِي هَذَا الجزءِ وَهُوَ قَلِيلُ الثَّنَاءِ وَالسَّالِكُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ  
إِلَى أَنْ يُسَامِتَ وَادِيَّ مَلَوِيَّةٍ فَتَكْثُرُ ثَنَائِيَّاهُ وَمَسَالِكُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ وَفِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ  
مِنْهُ أُمَمٌ الْمَصَامِدَةُ ثُمَّ هَنَانَةُ ثُمَّ تَيْسَلَكُ ثُمَّ كَدَمِيُوهُ ثُمَّ مَشْكُورَةُ وَهُمْ آخِرُ الْمَصَامِدَةِ  
فِيهِ ثُمَّ قَبَائِلُ صِنَهَاكَّةَ وَهُمْ صِنَهَاكَّةَ وَفِي آخِرِ هَذَا الجزءِ مِنْهُ بَعْضُ قَبَائِلِ زَنَاقَةَ وَيَتَّصِلُ  
بِهِ هُنَالِكَ مِنْ جَوْفِهِ جَبَلُ أَوْرَاسٍ وَهُوَ جَبَلٌ كُتَامَةٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أُمَمٌ أُخْرَى مِنَ الدَّبَرَةِ  
تَذَكَّرُهُمْ فِي أَمَا كِيهِمْ . ثُمَّ إِنَّ جَبَلَ دَرَنٍ هَذَا مِنْ جِهَةِ غَرْبِيَّةِ مُطْلٍ عَلَى بِلَادِ الثَّغْرِبِ  
الْأَقْصَى وَهِيَ فِي جَوْفِهِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا بِلَادُ مَرَاكِشَ وَأَغْمَاتٍ وَتَادِلَا وَعَلَى  
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْهَا رِبَاطٌ أَسْفَى وَمَدِينَةُ سَلَا وَفِي الْجُوفِ عَنْ بِلَادِ مَرَاكِشَ بِلَادُ فَاسٍ  
وَمِكنَاسَةَ وَتَلَا وَقَصْرُ كُتَامَةٍ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الثَّغْرِبَ الْأَقْصَى فِي عَرَفِ أَهْلِهَا  
وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْهَا بِلَدَانُ أَصِيلَا وَالْعَرَايشِ وَفِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ  
الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ وَقَاعِدَتُهَا تَلْمُسَانُ وَفِي سَوَاحِلِهَا عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِلَدُ هَنِينٍ وَوَهْرَانٍ  
وَالْجَزَائِرِ لِأَنَّ هَذَا الْبَحْرَ الرُّومِيَّ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْ خَلِيجِ طَنْجَةِ فِي النَّاحِيَةِ  
الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الإقليمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا فَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَإِذَا خَرَجَ مِنَ  
الْخَلِيجِ الْمُتَضَاقِقِ غَيْرَ بَعِيدٍ انْفَسَحَ بَحْثُوبًا وَشَمَالًا فَدَخَلَ فِي الإقليمِ الثَّالِثِ وَالْخَامِسِ

فَلِهَذَا كَانَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثُ الْكَثِيرُ مِنْ بِلَادِهِ ثُمَّ يَتَّصِلُ بِبِلَادِ  
الْجَزَائِرِ مِنْ شَرْقِيَّهَا بِلَادُ بَجَايَةِ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ ثُمَّ قُسْطَنْطِينِيَّةُ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا وَفِي آخِرِ  
الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَتَرْتَعًا إِلَى جَنُوبِ  
الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ بِلَادُ أَشِيرٍ ثُمَّ بِلَادُ الْمَسِيلَةِ ثُمَّ الرَّابِعُ وَقَاعِدَتُهُ بِسُكْرَةٍ تَحْتَ جَبَلِ أُوْرَاسِ  
الْمُتَّصِلِ بِدَرَنْ كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ عِنْدَ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ  
هَذَا الْإِقْلِيمِ عَلَى هَيْئَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَبَلٌ دَرَنْ عَلَى نَحْرِ الْمَلِكِ مِنْ جَنُوبِهِ ذَاهِبًا فِيهِ  
مِنْ غَرْبٍ إِلَى شَرْقٍ فَيَقْسِمُهُ بِيْطَعَتَيْنِ وَيَغْتَرُّ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ مَسَافَةً مِنْ شَمَالِهِ فَالْقِطْعَةُ  
الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ غَرْبِيَّهَا كُلُّهُ مَفَاوِزُ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا بِلَادُ عُذَامِسَ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا  
أَرْضُ وَدَّانَ الَّتِي بَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي كَمَا مَرَّ وَالْقِطْعَةُ الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ مَا  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْمَغْرِبِ مِنْهَا جَبَلُ أُوْرَاسِ وَتَبَسَةُ وَالْأَوْبَسُ وَعَلَى سَاحِلِ  
الْبَحْرِ بِلَادُ بُونَةِ ثُمَّ فِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ أَفْرِيْقِيَّةُ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مَدِينَةُ  
تُونِسَ ثُمَّ السُّوسَةُ ثُمَّ التَّهْدِيَّةُ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ تَحْتَ جَبَلِ دَرَنْ بِلَادُ الْجَرِيدِ  
تَوَزُرُ وَقَفْصَةُ وَنَفْرَاوَةُ وَفِيهَا بَيْتُهَا وَبَيْنَ السَّوَاخِلِ مَدِينَةُ الْقَيْدَوَانِ وَجَبَلٌ وَسَلَاتٌ وَسَيْطَلَةُ  
وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا شَرْقًا بِلَادُ طَرَابُاسَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَبِإِزَانِهَا فِي الْجَنُوبِ  
جَبَلٌ دُمُرٌ وَنَفْرَةُ مِنْ قَبَائِلِ هَوَارَةَ مُتَّصِلَةٌ بِجَبَلِ دَرَنْ وَفِي مُقَابَلَةِ عُذَامِسَ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا  
فِي آخِرِ الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَآخِرُ هَذَا الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ سَوِيْقَةُ ابْنِ مَشْكُورَةَ عَلَى الْبَحْرِ  
وَفِي جَنُوبِهَا مَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِي أَرْضِ وَدَّانَ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ يَمُرُّ أَيْضًا  
فِيهِ جَبَلٌ دَرَنْ إِلَّا أَنَّهُ يَنْعَطِفُ عِنْدَ آخِرِهِ إِلَى الشَّمَالِ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ  
فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُسَمَّى هُنَاكَ طَرَفَ أُوْدُنَ وَالْبَحْرُ الرُّومِيُّ مِنْ شَمَالِهِ يَغْتَرُّ طَائِفَةً  
مِنْهُ إِلَى أَنْ يُضَاقَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلِ دَرَنْ فَالَّذِي وَرَاءَ الْجَبَلِ فِي الْجَنُوبِ وَفِي الْمَغْرِبِ  
مِنْهُ بَيْتُهُ أَرْضُ وَدَّانَ وَمَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِيهَا ثُمَّ زَوِيلَةُ ابْنِ خَطَّابٍ ثُمَّ رِمَالٌ وَقَارٌ إِلَى  
آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَفِي بَيْنِ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ فِي الْمَغْرِبِ مِنْهُ بِلَادُ سَرْتِ عَلَى الْبَحْرِ ثُمَّ  
خَلَاءٌ وَقَارٌ تَجُولُ فِيهَا الْعَرَبُ ثُمَّ أَجْدَايِيَّةٌ ثُمَّ بَرْقَةُ عِنْدَ مُنْعَطِفِ الْجَبَلِ ثُمَّ طَلْمَسَةُ عَلَى  
الْبَحْرِ هُنَاكَ ثُمَّ فِي شَرْقِ الْمُنْعَطِفِ مِنَ الْجَبَلِ مَجَالَاتُ هَيْبٍ وَرَوَاحَةُ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْ غَرْبِيَّةِ صَعَارَى بَرْقِيْقٍ وَأَسْفَلُ مِنْهَا



بلاد هيب ودواحة ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه إلى الجنوب  
 حتى يراحم طرفه الأعلى ويبقى بينه وبين آخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمتها  
 شرقاً بلاد الروم وهي على مصب أحد الشعبين من النيل الذي يمر على اللاهون من  
 بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الأقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمتها شرقاً  
 أرض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد  
 عند آخر الجزء الثاني ويفترق هذا الشعب أفدافة ثانية من تحت مصر على شعبين  
 آخرين من سطوف وزفتي وينقسم الأيمن منهما من قرط بطشعين آخرين ويصب  
 جميعهما في البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلد الإسكندرية وعلى  
 مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب الشرقي بلد دنياط وبين مصر والقاهرة وبين  
 هذه السواحل البحرية أسافل الديار المصرية كلها مخشوة غمرانا وقلجاً وفي الجزء  
 الخامس من هذا الإقليم بلاد الشام وأكثرها على ما أصف وذلك لأن بحر القلزم  
 ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لأنه في ممره مبتدئ من البحر الهندي  
 إلى الشمال ينحطف أخذاً إلى جهة الغرب فتكون قطعة من أنعطافه في هذا الجزء  
 طويلة فينتهي في الطرف الغربي منه إلى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس  
 فاران ثم جبل الطور ثم أيلة مدين ثم الحوراء في آخرها ومن هنالك ينحطف بساحله  
 إلى الجنوب في أرض الحجاز كما مر في الإقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي  
 الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيراً من غربيته  
 عليها الفراء والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيضايق ما بينهما من هنالك ويبقى شبه  
 الباب مفضياً إلى أرض الشام وفي غربي هذا الباب فحوص الشبه أرض جرداء لا تثبت  
 كانت مجالاً لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم إلى الشام أربعين  
 سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من  
 جزيرة قبرص وبقيتها في الإقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند  
 الطرف المتضايق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان  
 وبيتها طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة في أنعطافها من هنالك إلى الإقليم  
 الرابع عند طرابلس وغرة وهنالك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه

الْقِطَاعَةُ أَكْثَرُ سَوَاحِلِ الشَّامِ فِي شَرْقِهِ غَرَّةٌ ثُمَّ عَسْقلَانُ وَبِأَنْجِرَافٍ يَسِيرُ عَنْهَا إِلَى  
الشَّمَالِ بَلَدٌ قَيْسَارِيَّةٌ ثُمَّ كَذَلِكَ بَلَدٌ عَكَّاءُ ثُمَّ صُورٌ ثُمَّ صَيْدَا ثُمَّ يَنْعَطِفُ الْبَحْرُ إِلَى الشَّمَالِ  
فِي الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيُقَابِلُ هَذِهِ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقِطَاعَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ  
عَظِيمٌ يَخْرُجُ مِنْ سَاحِلِ أَيْلَةَ مِنْ بَحْرِ الْقُلُومِ وَيَذْهَبُ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُنْحَرِفًا إِلَى الشَّرْقِ  
إِلَى أَنْ يُجَاوِزَ هَذَا الْجُزْءَ وَيُسَمَّى جَبَلُ الْلِكَّامِ وَكَانَ حَاجِزٌ بَيْنَ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ  
فِي طَرَفِهِ عِنْدَ أَيْلَةَ الْعَقَبَةُ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا الْحُجَّاجُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ بَعْدَهَا فِي  
نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مَدْفَنُ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ جَبَلِ السَّرَاةِ يَتَّصِلُ مِنْ عِنْدِ  
جَبَلِ الْلِكَّامِ الْمَذْكُورِ مِنْ شَمَالِ الْعَقَبَةِ ذَاهِبًا عَلَى سَنَتِ الشَّرْقِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ قَلِيلًا وَفِي  
شَرْقِهِ هُنَالِكَ بَلَدُ الْحَجَرِ وَدِيَارُ ثَمُودَ وَتَيْمَاءَ وَدُومَةَ الْجَنْدَلِ وَهِيَ أَسْفَلُ الْحِجَازِ وَفَوْقَهَا  
جَبَلُ رَضَى وَحُصُونُ خَيْبَرٍ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ عَنْهَا وَفِيهَا بَيْنَ جَبَلِ السَّرَاةِ وَبَحْرِ الْقُلُومِ  
صَحْرَاءُ تَبُوكَ وَفِي شَمَالِ جَبَلِ السَّرَاةِ مَدِينَةُ الْقُدْسِ عِنْدَ جَبَلِ الْلِكَّامِ ثُمَّ الْأَرْدُنُّ ثُمَّ  
طَبَرِيَّةٌ وَفِي شَرْقِيهَا بِلَادُ الْغُورِ إِلَى أَذْرُعَاتٍ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا دُومَةُ الْجَنْدَلِ آخِرُ هَذَا  
الْجُزْءِ وَهِيَ آخِرُ الْحِجَازِ . وَعِنْدَ مُنْعَطِفِ جَبَلِ الْلِكَّامِ إِلَى الشَّمَالِ مِنْ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ  
مَدِينَةُ دِمَشْقَ مُقَابِلَةَ صَيْدَا وَبَيْرُوتَ مِنْ الْقِطَاعَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَجَبَلُ الْلِكَّامِ يَغْتَرِضُ بَيْنَهُمَا  
وَبَيْنَهُمَا وَعَلَى سَنَتِ دِمَشْقَ فِي الشَّرْقِ مَدِينَةُ بَعْلَبَكْ ثُمَّ مَدِينَةُ حِمصَ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ آخِرُ  
الْجُزْءِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ الْلِكَّامِ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بَعْلَبَكْ وَحِمصَ بَلَدٌ تَدْمُرَ وَمَجَالَاتُ  
الْبَادِيَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ أَعْلَاهُ مَجَالَاتُ الْأَعْرَابِ تَحْتَ بِلَادِ نَجْدِ  
وَالْيَمَامَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعُرْجِ وَالصَّنَّانِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ عَلَى بَحْرِ فَارِسَ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا  
الْجُزْءِ تَحْتَ الْمَجَالَاتِ بَلَدُ الْحِيرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَمَعَايِضُ الْفُرَاتِ . وَفِيهَا بَعْدَهَا شَرْقًا  
مَدِينَةُ الْبَصْرَةِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ يَنْتَهِي بَحْرُ فَارِسَ عِنْدَ عُبَادَانَ وَالْأُبُلَّةِ مِنْ أَسْفَلِ الْجُزْءِ  
مِنْ شَمَالِهِ وَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ عُبَادَانَ نَوْرٌ دِجْلَةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْقَسِمَ بِجَدَاوِلَ كَثِيرَةٍ وَتَخْطِطُ  
بِهِ جَدَاوِلُ أُخْرَى مِنَ الْفُرَاتِ ثُمَّ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا عِنْدَ عُبَادَانَ وَتَصُبُّ فِي بَحْرِ فَارِسَ وَهَذِهِ  
الْقِطَاعَةُ مِنَ الْبَحْرِ مُتَّسِعَةٌ فِي أَعْلَاهُ مُتَضَايِقَةٌ فِي آخِرِهِ فِي شَرْقِيهِ وَضَيْقَةٌ عِنْدَ مُنْتَهَاهَا  
مُضَايِقَةٌ لِلْحَدِّ الشَّمَالِيِّ مِنْهُ وَعَلَى عُذُوتِهَا الْغُرَبِيَّةِ مِنْهُ أَسْفَلُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ وَالْإِحْسَاءِ وَفِي  
غُرَبِهَا أَنْطَبُ وَالصَّنَّانُ وَبَقِيَّةُ أَرْضِ الْيَمَامَةِ وَعَلَى عُذُوتِهِ الشَّرْقِيَّةِ سَوَاحِلُ فَارِسَ مِنْ



أعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد امتد من هذا البحر مشرقاً  
وراءه إلى الجنوب في هذا الجزء جبال القصر من كرمان وتحت هرمز بلاد فارس  
مثل سابور ودار أبجرد ونسا وإصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد  
فارس إلى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الأهواز وتستر وصدى وسابور  
والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان وهي حد ما بين فارس وخوزستان جبال الأكراد  
متصلة إلى نواحي أصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراءها في أرض فارس وتسمى  
الرُسوم وفي الجزء السابع في الأعلى منه من المغرب بنية جبال القصر ويليها من  
الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودن والشيرجان وحيدفت ويزدشير  
والبهرج وتحت أرض كرمان إلى الشمال بنية بلاد فارس إلى حدود أصبهان ومدينة  
أصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في الشرق عن بلاد كرمان وبلاد  
فارس أرض سجستان وكوهستان في الجنوب وأرض كوهستان في الشمال غرباً ويتوسط  
بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان وفي وسط هذا الجزء المناور العظمى  
القليلة المسالك إحداهما ومن مدن سجستان بست والطاق وأما كوهستان فهي من بلاد  
خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وكوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه  
وجنوبه مجالات الخليج من أهم الأثر متصلة بأرض سجستان من غربها وأرض كابل  
الهند من جنوبها . وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلادها وقاعدتها غزنة  
فرضة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلاد استراباد ثم في الشمال غرباً إلى آخر  
الجزء بلاد هرات أوسط خراسان وبها أسفرين وقاشان وبوشنج ومرو الروذ والطاقان  
والجوزجان وتنتهي خراسان هنالك إلى نهر جيحون . وعلى هذا النهر من بلاد خراسان  
من غربيته مدينة بلخ وفي شرقيته مدينة ترمذ ومدينة بلخ كانت كرسي مملكة الترك  
وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وبار في حدود بدخشان مما يلي الهند ويخرج  
من جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينطفئ عن قرب مغرباً إلى وسط الجزء  
ويسمى هنالك نهر خرناب ثم ينطفئ إلى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمت  
إلى أن ياب في بحيرة خوارزم في الإقليم الخامس كما نذكره ويمنه عند انعطافه  
في وسط الجزء من الجنوب إلى الشمال خمسة أنهار عظيمة من بلاد الحبل والوخش

مِنْ شَرْقِيهِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مِنْ شَرْقِيهِ أَيْضاً وَجُوفِي الْجَبَلِ حَتَّى يَنْسَعِ  
 وَيَعْظُمَ بِنَا لَا كَفَاءَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الْخَمْسَةِ الْمُمِدَّةِ لَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ  
 التَّبَّتِ وَهِيَ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجَزْءِ فَيَمُرُّ مُغْرِباً بِاتِّعْرَافٍ إِلَى الشَّامِ إِلَى  
 أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجَزْءِ التَّاسِعِ قَرِيباً مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجَزْءِ يَعْتَزُّهُ فِي طَرِيقِهِ جَبَلٌ عَظِيمٌ  
 يَمُرُّ مِنْ وَسْطِ الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجَزْءِ مُشْرِقاً بِاتِّعْرَافٍ إِلَى الشَّامِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى  
 الْجَزْءِ التَّاسِعِ قَرِيباً مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجَزْءِ فَيَجُوزُ بِلَادَ التَّبَّتِ إِلَى الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجَزْءِ وَيَحُولُ بَيْنَ التُّرْكِ وَبَيْنَ بِلَادِ الْخَلِّ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَسَلِكٌ وَاحِدٌ فِي وَسْطِ  
 الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجَزْءِ جَمَلٌ فِيهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى سَدَّاءُ وَبَنَى فِيهِ بَاباً كَسَدَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ  
 فَإِذَا خَرَجَ نَهْرٌ وَخَشَابٌ مِنْ بِلَادِ التَّبَّتِ وَاعْتَزُّهُ هَذَا الْجَبَلُ فَيَمُرُّ تَحْتَهُ فِي مَدًى بَعِيدٍ  
 إِلَى أَنْ يَمُرَّ فِي بِلَادِ الْوُخْشِ وَيَصُبُّ فِي نَهْرِ جِيخُونٍ عِنْدَ حُدُودِ بَلَخٍ ثُمَّ يَمُرُّ هَاطِطاً  
 إِلَى التُّرْمُذِ فِي الشَّامِ إِلَى بِلَادِ الْجُوزْجَانِ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بِلَادِ الْغُورِ فَيَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ  
 نَهْرِ جِيخُونٍ بِلَادُ النَّاسَانِ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي الْعُدُوةِ الشَّرْقِيَّةِ هُنَاكَ مِنَ النَّهْرِ بِلَادُ الْخَلِّ  
 وَأَكْثَرُهَا جِبَالٌ وَبِلَادُ الْوُخْشِ وَيَجِدُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّامِ جِبَالُ الْبَتَمِ تَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ  
 خُرَاسَانَ غَرْبِي نَهْرِ جِيخُونٍ وَتَذْهَبُ مُشْرِقَةً إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُهَا بِالْجَبَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي  
 خَلَّاهُ بِلَادُ التَّبَّتِ وَيَمُرُّ تَحْتَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ كَمَا قُلْنَا فَيَتَّصِلُ عِنْدَ بَابِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى  
 وَيَمُرُّ نَهْرٌ جِيخُونٌ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى تَصُبُّ فِيهِ مِنْهَا نَهْرُ بِلَادِ الْوُخْشِ يَصُبُّ  
 فِيهِ مِنَ الشَّرْقِ تَحْتَ التُّرْمُذِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ وَنَهْرٌ بَلَخٌ يَخْرُجُ مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مَبْدِئُهُ عِنْدَ  
 الْجُوزْجَانِ وَيَصُبُّ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ غَرْبِيهِ بِلَادُ أَمِدَ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي  
 شَرْقِي النَّهْرِ مِنْ هُنَاكَ أَرْضُ الصَّفَدِ وَأَسْرُ وَشَتَّةٌ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَفِي شَرْقِيهَا أَرْضُ  
 فَرغانةٍ أَيْضاً إِلَى آخِرِ الْجَزْءِ شَرْقاً وَكُلُّ بِلَادِ التُّرْكِ تَجُوزُهَا جِبَالُ الْبَتَمِ إِلَى شَمَالِهَا وَفِي  
 الْجَزْءِ التَّاسِعِ مِنْ غَرْبِهِ أَرْضُ التَّبَّتِ إِلَى وَسْطِ الْجَزْءِ وَفِي جَنُوبِيَّهَا بِلَادُ الْهِنْدِ وَفِي  
 شَرْقِيَّهَا بِلَادُ الصِّينِ إِلَى آخِرِ الْجَزْءِ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجَزْءِ شَمَالاً عَنْ بِلَادِ التَّبَّتِ بِلَادُ  
 الْخَزَلَجِيَّةِ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى آخِرِ الْجَزْءِ شَرْقاً وَشَمَالاً وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ غَرْبِيَّهَا أَرْضُ  
 فَرغانةٍ أَيْضاً إِلَى آخِرِ الْجَزْءِ شَرْقاً وَمِنْ شَرْقِيَّهَا أَرْضُ التُّرْغَرِ مِنَ التُّرْكِ إِلَى الْجَزْءِ شَرْقاً  
 وَشَمَالاً . وَفِي الْجَزْءِ الْعَاشِرِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ جَمِيعاً بَيْتَةُ الصِّينِ وَأَسَافِلُهُ وَفِي الشَّامِ بَقِيَّةُ



بلاد التَّغَرُّغِ ثُمَّ شَرْقًا عَنْهُمْ بِلَادُ خَرْخِيرٍ مِنْ أَلْثَرِكِ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي  
 الشَّامِ مِنْ أَرْضِ خَرْخِيرٍ بِلَادُ كَثْمَانَ مِنْ أَلْثَرِكِ وَقَبَالَتَهَا فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ جَزِيرَةٌ  
 أَلْيَاقُوتٍ فِي وَسْطِ جَبَلٍ مُسْتَدِيرٍ لَا مَنَفَذَ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا مَسْلَكَ وَالصُّعُودُ إِلَى أَعْلَاهُ مِنْ  
 خَارِجِهِ صَعْبٌ فِي الْغَايَةِ وَفِي الْجَزِيرَةِ حَيَاتٌ قَتَالَةٌ وَحَصَى مِنْ أَلْيَاقُوتٍ كَثِيرَةٌ فَيَحْتَالُ أَهْلُ  
 تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِمَا يُلْهِمُهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ فِي هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ وَمَا  
 وَرَاءَ خُرَاسَانَ وَالْجِبَالُ كُلُّهَا مَجَالَاتٌ لِلْثُّرَاكِ أُمَمٌ لَا تُحْصَى وَهُمْ ظَوَاعِنُ رَحَالَةٍ أَهْلُ إِبِلٍ  
 وَشَاءٍ وَبَقَرٍ وَخَيْلٍ لِلنَّجَاجِ وَأَرْكَوبٍ وَالْأَكْلِ وَظَوَائِفُهُمْ كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا  
 خَالِفُهُمْ وَفِيهِمْ مُسْلِمُونَ بِمَا يَلِي بِلَادَ النَّهْرِ نَهْرٌ جَيْحُونٌ وَيَغْرُونَ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ الدَّائِنِينَ  
 بِالْمَجُوسِيَّةِ فَيَبِيعُونَ رَقَبَتَهُمْ لِمَنْ يَلِيهِمْ وَيَخْرُجُونَ إِلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ  
 الْإِقْلِيمُ الرَّابِعُ \* يَتَّصِلُ بِالثَّلَاثِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ . وَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ فِي غَرْبِهِ  
 قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ أَوَّلِهِ جَنُوبًا إِلَى آخِرِهِ شَمَالًا وَعَلَيْهَا فِي الْجَنُوبِ  
 مَدِينَةُ طَنْجَةَ وَمِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ تَحْتَ طَنْجَةَ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي خَلِيجٍ  
 مَتَخَذٍ يَقْرُبُ بِقَدَارِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مَا بَيْنَ طَرِيفِ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ شَمَالًا وَقَصْرِ الْمَجَازِ  
 وَسَبْتَةَ جَنُوبًا وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 وَيَنْفَسِحُ فِي ذَوَابِهِ بِتَدْرِيجٍ إِلَى أَنْ يَغْمُرَ الْأَرْبَعَةَ الْأَجْزَاءَ وَأَكْثَرَ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا  
 الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ وَيَسْمَى هَذَا الْبَحْرُ الْبَحْرُ الشَّامِيُّ أَيْضًا وَفِيهِ  
 جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا فِي جِهَةِ الْغَرْبِ يَابِسَةٌ ثُمَّ مَائِرَةٌ ثُمَّ مَذْرَقَةٌ ثُمَّ سَرْدَانِيَّةٌ ثُمَّ صَقِيلِيَّةٌ  
 وَهِيَ أَكْثَرُهَا ثُمَّ بَلُونِسُ ثُمَّ أَقْرِيطُسُ ثُمَّ قَبْرُصُ كَمَا نَذْكُرُهَا كُلَّهَا فِي أَجْزَائِهَا الَّتِي وَقَعَتْ  
 فِيهَا وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ خَلِيجُ الْبَنَادِقَةِ يَذْهَبُ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ عِنْدَ وَسْطِ الْجُزْءِ  
 مِنْ جُوفِهِ وَيَمُرُّ مُغْرِبًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْخَامِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ أَيْضًا فِي  
 آخِرِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ شَرْقًا مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَمُرُّ فِي الشَّامِ  
 مَتَخَذًا فِي عَرْضِ رَمِيَّةِ السَّهْمِ إِلَى آخِرِ الْإِقْلِيمِ ثُمَّ يُفْضِي إِلَى الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 السَّادِسِ وَيَنْعَطِفُ إِلَى بَحْرِ نِيطُسَ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ كُلِّهِ وَنِصْفِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذْكُرُ ذَلِكَ فِي أَمَا كِنِهِ وَعِنْدَمَا يَخْرُجُ هَذَا الْبَحْرُ

الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة وينتسح إلى الإقليم الثالث يبقى في الجنوب  
 عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبغدها  
 مدينة سبتة على البحر الرومي ثم قطاون ثم باديس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزء  
 شرقا ويخرج إلى الثالث واكثر العماره في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه  
 وهي كلها بلاد الأندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي أولها طريف  
 عند مجمع البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم  
 مالة ثم المنقب ثم البرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مقربة منه  
 شريش ثم لبله وقبالتها فيه جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش ولبلة إشبيلية ثم  
 أستمجة وقوطبة ومديلة ثم غرناطة وجيان وأبدة ثم وادياش وبسطة وتحت هذه  
 شتريية وشلب على البحر المحيط غربا وفي الشرق عنها بطليوس وماردة ويايرة  
 ثم غافق وبزجالة ثم قلعة رياح وتحت هذه أشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر  
 باجة وفي الشرق عنها شتارين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة السيف ويسامت  
 أشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع  
 آخر الجزء من شماله فينتهي إلى مدينة سالم فيما بعد التصف منه وتحت هذا الجبل  
 طليدة في الشرق من فورنة ثم طليطة ثم وادي البحارة ثم مدينة سالم وعند أول  
 هذا الجبل فيما بينه وبين أشبونة بلد قلورية وهذه غربي الأندلس. وأما شرقي الأندلس  
 فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المرية قرطاجنة ثم لقنة ثم دانية ثم بلنسية إلى  
 طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالا ليورقة وشقورة متاخان بسطة وقلعة رياح  
 من غرب الأندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلنسية شمالا ثم شقر ثم طرطوشة  
 ثم طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منجالة وريدة متاخان لشقورة  
 وطيطة من الغرب ثم أفراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة  
 سالم قلعة أيوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثاني من هذا  
 الإقليم غمر الماء جميعه إلا قطعة من غربيه في الشمال فيها بقية جبل البونات ومعناه  
 جبل التيا والسالك يخرج إليه من آخر الجزء الأول من الإقليم الخامس يبدأ من  
 الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويمر في الجنوب



بأنحراف إلى الشرق فيخرج في هذا الإقليم الرابع منحرفاً عن الجزء الأول منه إلى  
هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تُفضي تناياها إلى البحر المتصل وتسمى أرض  
عشكونية وفيه مدينة خريدة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة  
مدينة برسلونة ثم أريونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير  
منها غير مسكون لصغرها فبني غربيه جزيرة سردانية وفي شرقيها جزيرة صقلية مئسة  
الأقطار يقال إن دورها سبع مائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقوسة  
وبارم وطراينة ومارز وميسيني وهذه الجزيرة تقابل أرض أفريقية وفيها بينهما جزيرة  
أعدوش ومالطة . والجزء الثالث من هذا الإقليم مغرور أيضاً بالبحر إلا ثلاث قطع  
من ناحية الشمال الغربية منها أرض قلورية والوسطى من أرض أبكيدة والشرقية  
من بلاد البنادقة . والجزء الرابع من هذا الإقليم مغرور أيضاً بالبحر كما مر وجزائره  
كثيرة وأكثرها غير مسكون كما في الثالث والمغرور منها جزيرة بلونس في الناحية  
الغربية الشمالية وجزيرة أفريطس مستطيلة من وسط الجزء إلى ما بين الجنوب والشرق  
منه . والجزء الخامس من هذا الإقليم غمر البحر منه مئسة كثيرة بين الجنوب والغرب  
ينتهي الضلع الغربي منها إلى آخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي منها إلى  
نحو الثلاثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث يسمي الشمالي  
منها إلى الغرب منعطفاً مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام  
ويسمى في وسطها جبل اللكام إلى أن ينتهي إلى آخر الشام في الشمال فينعطف  
من هنالك ذائباً إلى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن  
هناك يخرج إلى الإقليم الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة إلى  
جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة بعضها ببعض إلى  
أن ينتهي إلى طرف خارج من البحر الرومي متأخراً إلى آخر الجزء من الشمال  
وبين هذه الجبال تنايا تسمى الدروب وهي التي تُفضي إلى بلاد الأرمن وفي هذا الجزء  
قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فأما الجهة الجنوبية التي قدمنا أن فيها  
أسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومي وآخر الجزء من  
الجنوب إلى الشمال فعلى ساحل البحر بلد أنطوطوس في أول الجزء من الجنوب متأخراً

لِقَرْةٍ وَطَرَابُلُسَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَفِي شَمَالِ أَنْطَرطُوسَ جَبَلَةٌ ثُمَّ اللَّاذِقِيَّةُ  
ثُمَّ إِسْكَندَرُونَةُ ثُمَّ سَلُوقِيَّةُ وَبَعْدَهَا شَمَالاً بِلَادُ الرُّومِ وَأَمَّا جَبَلُ الْإِلْكَامِ الْمُعْتَرِضُ  
بَيْنَ الْبَحْرِ وَآخِرِ الْجُزْءِ بِخَافَاتِهِ فَيَصَاقِبُهُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مِنْ أَعْلَى الْجُزْءِ جَنُوباً مِنْ غَرْبِيَّةِ  
حَضْنِ الْحَوَانِي وَهُوَ لِلْحَشِييَّةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَيُعرفُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْقِدَاوِيَّةِ وَيُسَمَّى مِصْيَاتُ  
وَهُوَ قُبَالَةَ أَنْطَرطُوسَ وَقُبَالَةَ هَذَا الْجَنْحَنِ فِي شَرْقِ الْجَبَلِ بَلَدٌ سَلِيمِيَّةٌ فِي الشَّمَالِ عَنْ  
حَصْرِ وَفِي الشَّمَالِ وَفِي مِصْيَاتِ بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَيَقَابِلُهَا فِي شَرْقِ الْجَبَلِ  
الْمَعْرَةُ وَفِي شَرْقِهَا الْمَرَاغَةُ وَفِي شَمَالِ أَنْطَاكِيَّةِ الْمَصِيصَةُ ثُمَّ أَدْنَةُ ثُمَّ طَرُوسُ آخِرُ  
الشَّامِ وَيُخَازِيهَا مِنْ غَرْبِ الْجَبَلِ قَدْسَرِينُ ثُمَّ عَيْنُ زُرْبَةَ وَقُبَالَةَ قَنْسَرِينُ فِي شَرْقِ  
الْجَبَلِ حَلْبُ وَيَقَابِلُ عَيْنَ زُرْبَةَ مَنِيحُ آخِرُ الشَّامِ . وَأَمَّا الدُّرُوبُ فَعَنْ يَمِينِهَا مَا  
يَبْتَنِيهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِلَادُ الرُّومِ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ لِلرُّكَّانِ وَسُلْطَانِهَا  
أَبْنُ عُثْمَانَ وَفِي سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْهَا بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَالْعَلَايَا . وَأَمَّا بِلَادُ الْأَرَمَنِ الَّتِي بَيْنَ  
جَبَلِ الدُّرُوبِ وَجَبَلِ السِّلْسِلَةِ فَفِيهَا بَلَدٌ مَرْعَشُ وَمَلْطِيَّةُ وَالْمَعْرَةُ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ الشَّمَالِي  
وَيَخْرُجُ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ فِي بِلَادِ الْأَرَمَنِ نَهْرُ جِيحَانَ وَنَهْرُ سِيحَانَ فِي شَرْقِيَّةِ فَيَمُرُّ بِهَا  
جِيحَانُ جَنُوباً حَتَّى يَتَجَاوَزَ الدُّرُوبَ ثُمَّ يَمُرُّ بِطَرُوسَ ثُمَّ بِالْمَصِيصَةِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ هَا بَطَاءً  
إِلَى الشَّمَالِ وَمُغْرَباً حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ جَنُوبَ سَلُوقِيَّةِ وَيَمُرُّ نَهْرُ سِيحَانَ  
مَوَازِيَاً لِنَهْرِ جِيحَانَ فَيُخَازِي الْمَعْرَةَ وَمَرْعَشَ وَيَتَجَاوَزُ جِبَالَ الدُّرُوبِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ  
ثُمَّ يَمُرُّ بِعَيْنِ زُرْبَةَ وَيَجُوزُ عَنْ نَهْرِ جِيحَانَ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ مُغْرَباً فَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ  
جِيحَانَ عِنْدَ الْمَصِيصَةِ وَمِنْ غَرْبِهَا وَأَمَّا بِلَادُ الْجَزِيرَةِ الَّتِي يُحِيطُ بِهَا مُنْعَطِفُ جَبَلِ الْإِلْكَامِ  
إِلَى جَبَلِ السِّلْسِلَةِ فَفِي جَنُوبِهَا بَلَدُ الرَّافِضَةِ وَالرَّقَّةُ ثُمَّ حَرَّانُ ثُمَّ سَرُوجُ وَالرَّهَّا ثُمَّ نَصِيبِينَ  
ثُمَّ سَمِيسَاطُ وَآمِدُ تَحْتَ جَبَلِ السِّلْسِلَةِ وَآخِرُ الْجُزْءِ مِنْ شَمَالِهِ وَهُوَ أَيْضاً آخِرُ الْجُزْءِ مِنْ  
شَرْقِيَّةِ وَيَمُرُّ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ نَهْرُ الْفُرَاتِ وَنَهْرُ دِجْلَةَ يَخْرُجَانِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
الْخَامِسِ وَيَمُرَّانِ فِي بِلَادِ الْأَرَمَنِ جَنُوباً إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَا جَبَلَ السِّلْسِلَةِ فَيَمُرُّ نَهْرُ الْفُرَاتِ  
مِنْ غَرْبِي سَمِيسَاطُ وَسَرُوجُ وَيَنْحَرِفُ إِلَى الشَّرْقِ فَيَمُرُّ بِقَرْبِ الرَّافِضَةِ وَالرَّقَّةِ وَيَخْرُجُ  
إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ دِجْلَةَ فِي شَرْقِ آمِدَ وَيَنْعَطِفُ قَرِيباً إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ قَرِيباً  
إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِيَّةِ بِلَادُ الْجَزِيرَةِ وَفِي



الشَّرقِ مِنْهَا بِلَادُ الْعِرَاقِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا تَنْتَهِي فِي الشَّرْقِ إِلَى قُرْبِ آخِرِ الْجُزْءِ وَيَعْتَرِضُ  
 مِنْ آخِرِ الْعِرَاقِ هُنَالِكَ جَبَلٌ أَصْبَهَانٌ هَاطِطًا مِنْ جَنُوبِ الْجُزْءِ مُنْحَرِفًا إِلَى الْقُرْبِ فَإِذَا  
 انْتَهَى إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ مِنْ آخِرِهِ فِي الشَّمَالِ يَذْهَبُ مُغْرِبًا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ وَيَتَّصِلَ عَلَى سَمْتِهِ بِجَبَلِ السِّلْسِلَةِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَيَنْقَطِعُ هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ  
 بِقِطْعَتَيْنِ غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ فَبِالْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَنُوبِيَّهَا مَخْرَجُ الْفُرَاتِ مِنَ الْخَامِسِ وَفِي شِمَالِهَا  
 مَخْرَجُ دِجْلَةِ مَنْهُ أَمَّا الْفُرَاتُ فَأَوَّلُ مَا يَخْرُجُ إِلَى السَّادِسِ يَمُرُّ بِقَرْقِيسِيَا وَيَخْرُجُ مِنْ  
 هُنَالِكَ جَدُولٌ إِلَى الشَّمَالِ يَنْسَابُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَيُفُوسُ فِي نَوَاحِيهَا وَيَمُرُّ مِنْ  
 قَرْقِيسِيَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْجَنُوبِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الْخَابُورِ إِلَى غَرْبِ الرَّحْبَةِ وَيَخْرُجُ  
 مِنْهُ جَدَاوِلٌ مِنْ هُنَالِكَ يَمُرُّ جَنُوبًا وَيَبْقَى صَفَيْنِ فِي غَرْبِيَّةِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ شَرْقًا وَيَنْقَسِمُ  
 بِشُعُوبٍ فَيَمُرُّ بَعْضُهَا بِالْكُوفَةِ وَبَعْضُهَا بِقَصْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ وَبِالْجَامِعَيْنِ وَتَخْرُجُ جَمِيعًا فِي  
 جَنُوبِ الْجُزْءِ إِلَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ فَيُفُوسُ هُنَالِكَ فِي شَرْقِ الْحِيرَةِ وَالْقَادِيسِيَّةِ وَيَخْرُجُ  
 الْفُرَاتُ مِنَ الرَّحْبَةِ مُشْرِقًا عَلَى سَمْتِهِ إِلَى هَيْتَ مِنْ شِمَالِهَا يَمُرُّ إِلَى الرَّابِّ وَالْأَنْبَارِ مِنْ  
 جَنُوبِهِمَا ثُمَّ يَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ عِنْدَ بَغْدَادَ . وَأَمَّا نَهْرُ دِجْلَةٍ فَإِذَا دَخَلَ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 إِلَى هَذَا الْجُزْءِ يَمُرُّ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ عَلَى شِمَالِهَا ثُمَّ بِالتَّوَصِّلِ كَذَلِكَ وَتَكْرِيثَ وَيَنْتَهِي  
 إِلَى الْحَدِيثَةِ فَيَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَتَبْقَى الْحَدِيثَةُ فِي شَرْقِهَا وَالرَّابُّ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ كَذَلِكَ  
 وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ جَنُوبًا وَفِي غَرْبِ الْقَادِيسِيَّةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى بَغْدَادَ وَيَخْتَلِطُ بِالْفُرَاتِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ جَنُوبًا عَلَى غَرْبِ جَرَجَرَايَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ فَتَنْشُرُ  
 هُنَالِكَ شُعُوبُهُ وَجَدَاوِلُهُ ثُمَّ يَجْتَمِعُ وَيَصُبُّ هُنَالِكَ فِي بَحْرِ قَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَفِيمَا بَيْنَ  
 نَهْرِ الدِّجْلَةِ وَالْفُرَاتِ قَبْلَ مَجْمَعِهِمَا بِبَغْدَادَ هِيَ بِلَادُ الْجَزِيرَةِ وَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ دِجْلَةٍ بَعْدَ  
 مَفَارِقَتِهِ بِبَغْدَادَ نَهْرٌ آخَرُ يَأْتِي مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهُ وَيَنْتَهِيَ إِلَى بِلَادِ النَّهْرَوَانِ  
 قِبَالَ بَغْدَادَ شَرْقًا ثُمَّ يَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَيَخْتَلِطُ بِدِجْلَةٍ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَيَبْقَى  
 مَا بَيْنَ هَذَا النَّهْرِ وَبَيْنَ جَبَلِ الْعِرَاقِ وَالْأَعَاجِمِ بَلَدٌ جُلُولَاءُ وَفِي شَرْقِهَا عِنْدَ الْجَبَلِ بَلَدٌ حُلَوَانُ  
 وَصَيْمَرَةٌ . وَأَمَّا الْقِطْعَةُ الْغَرْبِيَّةُ مِنَ الْجُزْءِ فَيَعْتَرِضُهَا جَبَلٌ يَبْدَأُ مِنْ جَبَلِ الْأَعَاجِمِ مُشْرِقًا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَيُسَمَّى جَبَلُ شَهْرَزُورَ وَيَقْسِمُهَا بِقِطْعَتَيْنِ فِي الْجَنُوبِ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 الصُّغْرَى بَلَدٌ خَوَنْجَانُ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ عَنْ أَصْبَهَانَ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْقِطْعَةُ بَلَدُ الْهُلُوسِ

وَفِي وَسْطِهَا بَلَدٌ نَهَاوَنْدَ وَفِي شَمَالِهَا بَلَدٌ شِيرَزُورَ غَرْبًا عِنْدَ مُلتَقَى الْجَبَلَيْنِ وَالْدَيْنُورُ شَرْقًا  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْقِطْعَةِ الصُّغْرَى الثَّانِيَةِ طَرْفٌ مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ قَاعِدَتُهَا الْمَرَاغَةُ  
 وَالَّذِي يُقَالُ بِهَا مِنْ جَبَلِ الْوَرَاقِ يُسَمَّى بَلَرِيَا وَهُوَ مَسَاكِينُ الْأَكْرَادِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ  
 وَالصَّغِيرُ الَّذِي عَلَى دِجْلَةٍ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِلَادُ أَذَرْبَيْجَانِ  
 وَمِنْهَا تَبْرِيزُ وَالْبَيْدَقَانُ وَفِي الرَّائِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ السَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ نِيطَش  
 وَهُوَ بَحْرُ الْخَزَرِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَنُوبِهِ مُعْظَمُ بِلَادِ الْهَلُوسِ  
 وَفِيهَا هَمْدَانُ وَقُرُونُ وَبَيْتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَفِيهَا هُنَالِكَ أَصْبَهَانُ وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ  
 الْجَنُوبِ جَبَلٌ يَخْرُجُ مِنْ غَرْبِهَا وَيَسُرُّ بِالْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مِنْ الْجُزْءِ السَّادِسِ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْوَرَاقِ فِي شَرْقِيهِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ هُنَالِكَ وَإِنَّهُ مُحِيطٌ  
 بِبِلَادِ الْهَلُوسِ فِي الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَهْطُ هَذَا الْجَبَلُ الْمُحِيطُ بِأَصْبَهَانٍ مِنْ الْإِقْلِيمِ  
 الثَّلَاثِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ السَّابِعِ فَيُحِيطُ بِبِلَادِ الْهَلُوسِ مِنْ شَرْقِهَا  
 وَتَحْتَهُ هُنَالِكَ قَاشَانُ ثُمَّ قُمْ وَيَنْعَطِفُ فِي قُرْبِ النِّصْفِ مِنْ طَرِيقِهِ مُغْرِبًا بَعْضَ الشَّيْءِ ثُمَّ  
 يَرْجِعُ مُسْتَدِيرًا فَيَذْهَبُ مُشْرِقًا وَمُنْخَرِفًا إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَيَشْتَمِلُ عَلَى مُنْعَطِفِهِ وَأَسْتِدَارَتِهِ عَلَى بَلَدِ الرَّيِّ فِي شَرْقِيهِ وَيَبْدَأُ مِنْ مُنْعَطِفِهِ جَبَلٌ  
 آخَرُ يَسُرُّ غَرْبًا إِلَى آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ وَمِنْ جَنُوبِهِ مِنْ هُنَالِكَ قُرُونُ وَمِنْ جَانِبِهِ الشَّمَالِيِّ  
 وَجَانِبِ جَبَلِ الرَّيِّ الْمُتَّصِلِ مَعَهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ثُمَّ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ بِلَادُ طَبْرِسْتَانَ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ  
 وَيَدْخُلُ مِنْ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي نَحْوِ النِّصْفِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَيَعْتَزُّزُ  
 عِنْدَ جَبَلِ الرَّيِّ وَعِنْدَ أَنْعَاطِهِ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ يَسُرُّ عَلَى سَمْتِهِ مُشْرِقًا وَبِأَنْحِرَافٍ  
 قَلِيلٍ إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ وَيَبْقَى بَيْنَ جَبَلِ الرَّيِّ وَهَذَا  
 الْجَبَلِ مِنْ عِنْدِ مَبْدَأِهَا بِلَادُ جَرْجَانِ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَمِنْهَا يَسْطَامُ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ  
 قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا بَيْتَةُ الْمَفَازَةِ الَّتِي بَيْنَ فَارِسَ وَخُرَاسَانَ وَهِيَ فِي شَرْقِي قَاشَانَ  
 وَفِي آخِرِهَا عِنْدَ هَذَا الْجَبَلِ بَلَدُ أَسْتَرَابَادَ وَحَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 بِلَادُ نِيْسَابُورَ مِنْ خُرَاسَانَ فَنُفِي جَنُوبِ الْجَبَلِ وَشَرْقِ الْمَفَازَةِ بَلَدُ نِيْسَابُورَ ثُمَّ مَرُّ الشَّاهِبَانَ  
 آخِرَ الْجُزْءِ وَفِي شَمَالِهِ وَشَرْقِي جَرْجَانِ بَلَدُ مَهْرَجَانَ وَخَازْدُونَ وَطُوسَ آخِرَ الْجُزْءِ شَرْقًا



وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ الْجَبَلِ وَفِي الشَّامِلِ عَنْهَا بِلَادٌ نَسَاوِيحُطُ بِهَا عِنْدَ زَاوِيَةِ الْجَزَيْنِ الشَّامِلِ وَالشَّرْقِ  
مَقَاوِزُ مُعْطَلَّةٌ. وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِي غَرْبِيَّةِ نَهْرٍ جَيْحُونُ ذَاهِبًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى  
الشَّامِلِ فَنَقِي عُدْوَتِهِ الْغَرْبِيَّةِ رَمَمُ وَأَمْلُ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَالْجَرْجَانِيَّةِ مِنْ بِلَادِ  
خَوَارِزْمٍ وَيُحِيطُ بِالزَّوَاوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ جَبَلٌ اسْتَدَايَاذُ الْمُعْتَرِضُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ  
قَبْلَهُ وَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ غَرْبِيَّةِ وَيُحِيطُ بِهِذِهِ الزَّوَاوِيَّةُ وَفِيهَا بَقِيَّةُ بِلَادِ هَرَاةَ وَالْجُوزْكَانِ  
حَتَّى يَتَّصِلَ بِجَبَلِ الْبَلَمِّ كَمَا ذَكَرْنَاهُ هُنَاكَ وَفِي شَرْقِيَّ نَهْرٍ جَيْحُونُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْجَنُوبِ  
مِنْهُ بِلَادُ بُخَارَى ثُمَّ بِلَادُ الصَّفَدِ وَقَاعِدُهَا سَمَرْقَنْدُ ثُمَّ سَرْدَارَا وَأَشْنَةُ وَمِنْهَا خَجَنْدَةُ آخِرُ الْجُزْءِ  
شَرْقَاوِيَّ الشَّامِلِ عَنْ سَمَرْقَنْدٍ وَسَرْدَارَا وَأَشْنَةُ أَرْضُ إِيْلَاقٍ (١) ثُمَّ فِي الشَّامِلِ عَنْ إِيْلَاقِ أَرْضِ  
الشَّاشِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَيَأْخُذُ قِطْعَةً مِنَ الْجُزْءِ الثَّامِنِ فِي جَنُوبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ بَقِيَّةُ أَرْضِ  
فَرُغَانَةَ وَيَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْقِطْعَةِ الَّتِي فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ نَهْرُ الشَّاشِ يَسُرُّ مُعْتَرِضًا فِي الْجُزْءِ  
الثَّامِنِ إِلَى أَنْ يَنْصَبَّ فِي نَهْرٍ جَيْحُونُ عِنْدَ مَخْرَجِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّامِنِ فِي شَمَالِهِ إِلَى الْإِقْلِيمِ  
الْحَامِسِ وَيَخْتَلِطُ مَعَهُ فِي أَرْضِ إِيْلَاقِ نَهْرٌ يَأْتِي مِنَ الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ تَحُومِ  
بِلَادِ التُّبَّتِ وَيَخْتَلِطُ مَعَهُ قَبْلَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّامِنِ نَهْرُ فَرُغَانَةَ وَعَلَى سَنَتِ نَهْرِ الشَّاشِ  
جَبَلٌ جَبْدَاغُونُ يَبْدَأُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْحَامِسِ وَيَنْعَطِفُ شَرْقًا وَمُنْخَرِفًا إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى  
يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ الثَّامِنِ مُحِيطًا بِأَرْضِ الشَّاشِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ فَيُحِيطُ  
بِالشَّاشِ وَفَرُغَانَةَ هُنَاكَ إِلَى جَنُوبِهِ فَيَدْخُلُ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَبَيْنَ نَهْرِ الشَّاشِ وَطَرَفِ  
هَذَا الْجَبَلِ فِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ بِلَادُ فَرَاابَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْضِ بُخَارَى وَخَوَارِزْمٍ مَقَاوِزُ مُعْطَلَّةٌ  
وَفِي زَاوِيَةِ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الشَّامِلِ وَالشَّرْقِ أَرْضُ خَجَنْدَةَ وَفِيهَا بَلَدٌ إِسْمُهَا بَلَدُ إِسْمِجَابَ وَطَرَاوُ .  
وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةِ بَعْدَ أَرْضِ فَرُغَانَةَ وَالشَّاشِ أَرْضُ الْخُرْجَانِيَّةِ  
فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ الْخَلِيجَةِ فِي الشَّامِلِ وَفِي شَرْقِ الْجُزْءِ كُلِّهِ أَرْضُ الْكِيْمَاكِيَّةِ وَيَتَّصِلُ  
فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى جَبَلٍ قُوقِيَا آخِرُ الْجُزْءِ شَرْقًا وَعَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
هُنَاكَ وَهُوَ جَبَلُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَذِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا مِنْ شُعُوبِ التُّرْكِ . انتهى

الْإِقْلِيمُ الْحَامِسُ \* الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ أَكْثَرُهُ مَعْمُورٌ بِالنَّاسِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ جَنُوبِهِ  
وَشَرْقِهِ لِأَنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ بِهِذِهِ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ دَخَلَ فِي الْإِقْلِيمِ الْحَامِسِ وَالسَّادِسِ

(١) فِي الْمَشْرُوكِ اِقْلِيمِ اِيْلَاقِ مُتَّصِلَ بِاِقْلِيمِ الشَّاشِ لَا فُصْلَ بَيْنَهُمَا وَهُوَ بِكُسرِ الْهَمْزَةِ وَمُسْكُونِ اِيْلَا بَعْدَهَا . اهـ

وَالسَّابِعُ عَنِ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْإِقْلِيمِ فَأَمَّا الْمُنْكَشِفُ مِنْ جَنُوبِهِ فَيَقْطَعُهُ عَلَى شَكْلِ  
مِثْلٍ مُتَّصِلَةٍ مِنْ هُنَاكَ بِالْأَنْدَلُسِ وَعَلَيْهَا بَقِيَّتُهَا وَيُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ جِهَتَيْنِ كَأَنَّهَا ضِلْعَانِ  
مُحِيطَانِ بِزَاوِيَةِ الْمِثْلِ قَعْبًا مِنْ بَيْتِهِ غَرْبَ الْأَنْدَلُسِ سَعِيرُ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ أَوَّلِ الْخُرْءِ  
مِنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ وَسَلْسَكَةُ شَرْقًا عَنْهَا وَفِي جُوفِهَا سَثُورَةٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ سَلْسَكَةِ  
أَيْلَةٍ آخِرِ الْجَنُوبِ وَأَرْضُ قَسَالِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَفِيهَا مَدِينَةٌ شَقُونِيَّةٌ وَفِي شَمَالِهَا أَرْضُ لِيُونِ  
وَبَرْغَشْتُ ثُمَّ وَرَاءَهَا فِي الشَّمَالِ أَرْضُ جَلِيمِيَّةٍ إِلَى زَاوِيَةِ الْقِطْعَةِ وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
فِي آخِرِ الضِّلْعِ الْغَرْبِيِّ بِلَادُ شَتِيَاقُو وَمَعْنَاهُ يَغُوبُ وَفِيهَا مِنْ شَرْقِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَدِينَةٌ  
سَطْلِيَّةٌ عِنْدَ آخِرِ الْخُرْءِ فِي الْجَنُوبِ وَشَرْقًا عَنْ قَسَالِيَّةٍ وَفِي شَمَالِهَا وَشَرْقِيًّا وَشَقَّةٌ وَبَنْبُلُونَةٌ  
عَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا وَشَمَالًا وَفِي غَرْبِ بَنْبُلُونَةٍ قَسَالَةٌ ثُمَّ نَاجِزَةٌ فَيَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْغَشْتِ  
وَيَعْتَزُّ وَسَطُ هَذِهِ الْقِطْعَةِ جَبَلٌ عَظِيمٌ مُخَاذٌ لِلْبَحْرِ وَلِلضِّلْعِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ وَعَلَى  
قَرْبٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ وَيَطْرَفُ الْبَحْرِ عِنْدَ بَنْبُلُونَةٍ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلٍ أَنْ  
يَتَّصِلَ فِي الْجَنُوبِ بِالْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَصِيدُ حَجَرًا عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ  
مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَتَنَائِيَاهُ لَهَا أَبْوَابٌ تُفْضِي إِلَى بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ مِنْ أَمَمِ الْفَرَنْجِ فَمِنْهَا مِنْ  
الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ بَرْشَلُونَةٌ وَأَرْبُونَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَخَرِيدَةٌ وَقَرْقَشُونَةٌ وَرَاءَهُمَا  
فِي الشَّمَالِ وَمِنْهَا مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ طَلُوشَةٌ شَمَالًا عَنْ خَرِيدَةٍ . وَأَمَّا الْمُنْكَشِفُ فِي  
هَذَا الْخُرْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فَيَقْطَعُهُ عَلَى شَكْلِ مِثْلٍ مُسْتَطِيلٍ زَاوِيَتُهُ آخِذَةٌ وَرَاءَ  
الْبُرْنَاتِ شَرْقًا وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ عَلَى رَأْسِ الْقِطْعَةِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلُ الْبُرْنَاتِ بِلَادُ  
نِيُونَةٍ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْخُرْءِ أَرْضُ بَنْطُورِنِ  
الْفَرَنْجِ إِلَى آخِرِ الْخُرْءِ . وَفِي الْخُرْءِ الثَّانِي مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ أَرْضُ غَشْكُونِيَّةٍ وَفِي  
شَمَالِهَا أَرْضُ بَنْطُورِنِ وَبَرْغَشْتُ وَقَدْ ذَكَرْنَا هَاتَيْنِ وَفِي شَرْقِ بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ فِي شَمَالِهَا  
قِطْعَةٌ أَرْضٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْخُرْءِ كَالضَّرْسِ مَائِلَةً إِلَى الشَّرْقِ قَلِيلًا  
وَصَارَتْ بِلَادُ غَشْكُونِيَّةٍ فِي غَرْبِهَا دَاخِلَةٌ فِي جُودٍ مِنَ الْبَحْرِ وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
شَمَالًا بِلَادُ جَنُودَةٍ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّمَالِ جَبَلٌ نِيْتٌ جُونٌ وَفِي شَمَالِهِ وَعَلَى سَمْتِهِ أَرْضُ  
بَرْغُونَةٍ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ طَرَفِ جَنُودَةِ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ طَرَفٌ آخَرُ خَارِجٌ  
مِنْهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا جُونٌ دَاخِلٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْبَحْرِ فِي غَرْبِهِ نِيْشٌ وَفِي شَرْقِهِ مَدِينَةُ رُومَةٍ



الْعُظْمَى كُرْسَى مَلِكِ الْإِفْرَنْجَةِ وَمَسْكِنِ الْبَابَا بِطَارِكِهِمُ الْأَعْظَمِ وَفِيهَا مِنَ التَّبَانِي  
 الضَّخْمَةِ وَالْهَيَا كُلِّ الْهَائِلَةِ وَالْكَتَائِسِ الْعَادِيَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفُ الْأَخْبَارِ وَمِنْ عَجَائِبِهَا  
 النَّهْرُ الْجَارِي فِي وَسْطِهَا مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَفْرُوشٌ قَاعُهُ بِبِلَاطِ الْخَاسِ وَفِيهَا  
 كَنِيسَةُ بَطْرُسَ وَيُولُسَ مِنَ الْخَوَارِيزِيِّينَ وَهُمَا مَدْفُونَانِ بِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ بِلَادِ  
 رُومَةَ بِلَادُ أَقْرَنْصِيصَةَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَعَلَى هَذَا الطَّرَفِ مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي فِي جَنْبِهِ  
 رُومَةُ بِلَادُ نَابِلَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ قَلُورِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفِي شَمَالِهَا  
 طَرَفٌ مِنْ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مُغْرِبًا وَمُخَازِيًا لِلشَّمَالِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَأَنْتَهَى إِلَى نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَعَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الْبَنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ مِنْ جَنْبِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَمِنْ شَمَالِهِ بِلَادُ إِنْكِلَايَةِ فِي الْإِقْلِيمِ  
 السَّادِسِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بِلَادُ قَلُورِيَّةَ بَيْنَ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ  
 وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ يُحِيطُ بِهَا مِنْ شَرْقِهِ يَصِلُ مِنْ بَرِّهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
 فِي جُونِ بَيْنَ طَرَفَيْنِ خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ عَلَى سَنَتِ الشَّمَالِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ فِي شَرْقِهِ بِلَادُ  
 قَلُورِيَّةَ بِلَادُ أَنْكِيدَةَ فِي جُونِ بَيْنَ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيَدْخُلُ طَرَفٌ مِنْ  
 هَذَا الْجُزْءِ فِي الْجُونِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُحِيطُ بِهِ مِنْ شَرْقِهِ خَلِيجُ  
 الْبَنَادِقَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ذَاهِبًا إِلَى سَنَتِ الشَّمَالِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْغَرْبِ مُخَازِيًا لِآخِرِ  
 الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ وَيَخْرُجُ عَلَى سَنَتِهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُؤَارِيهِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ  
 إِلَى الشَّمَالِ ثُمَّ يُغْرِبُ مَعَهُ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ قِبَالَ خَلِيجِ فِي شَمَالِهِ  
 فِي بِلَادِ إِنْكِلَايَةِ مِنْ أُمَمِ الْأَلْمَانِيِّينَ كَمَا نَذَكُرُ وَعَلَى هَذَا الْخَلِيجِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا  
 الْجَبَلِ مَا دَامَا ذَاهِبَيْنِ إِلَى الشَّمَالِ بِلَادُ الْبَنَادِقَةِ فَإِذَا ذَهَبَا إِلَى الْمَغْرِبِ فَيَنْتَهِيَا بِلَادِ  
 حَرَوَايَا ثُمَّ بِلَادُ الْأَلْمَانِيِّينَ عِنْدَ طَرَفِ الْخَلِيجِ . وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مُضْرَسَةٌ كُلُّهَا يَقْطَعُ مِنَ  
 الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ وَبَيْنَ كُلِّ ضَرْسَيْنِ مِنْهَا طَرَفٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْجُونِ بَيْنَهُمَا  
 وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا قِطْعٌ مِنَ الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَخْرُجُ  
 مِنْ هَذَا الطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ وَيَذْهَبُ عَلَى سَنَتِ الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ  
 وَيَنْعَطِفُ مِنْ هُنَاكَ عَنْ قُرْبٍ مُشْرِقًا إِلَى بَحْرِ نِيطَشَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَبَعْضُ الرَّابِعِ

قَبْلَهُ وَالسَّادِسَ بَعْدَهُ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذَرُوا وَبِلَدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي شَرْقِي هَذَا  
الْخَلِيجِ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْحَظِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ كُرْسِيَّ الْقِيَاصَةِ  
وَبِهَا مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَالضَّخَامَةِ مَا كَثُرَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالْقِطْعَةُ الَّتِي مَا بَيْنَ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ وَخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِيهَا بِلَادُ مَقْدُونِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ لِلْيُونَانِيِّينَ  
وَمِنْهَا أَوَّلُ بَدْءِ مُلْكِهِمْ وَفِي شَرْقِي هَذَا الْخَلِيجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ بَاطُوسَ  
وَأُظْهِرْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَجَالَاتِ لِلتُّرُكْمَانِ وَبِهَا مُلْكُ ابْنِ عُثْمَانَ وَقَاعِدَتُهُ بِهَا بَرَصَةٌ وَكَانَتْ  
مِنْ قَبْلِهِمْ لِلرُّومِ وَعَلَبَهُمْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ إِلَى أَنْ صَارَتْ لِلتُّرُكْمَانِ . وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِيهِ وَجَنُوبِيهِ أَرْضُ بَاطُوسَ وَفِي الشَّمَالِ عَنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
بِلَادُ عُمُورِيَّةَ وَفِي شَرْقِي عُمُورِيَّةَ نَهْرُ قَبَاقِبِ الَّذِي يُبْدَأُ الْفُرَاتَ وَيَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ هُنَالِكَ  
وَيَذْهَبُ فِي الْجُزْبِ حَتَّى يُخَالِطَ الْفُرَاتَ قَبْلَ وَصُولِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ إِلَى مَرِّهِ فِي الْإِقْلِيمِ  
الرَّابِعِ وَهُنَالِكَ فِي غَرْبِيهِ آخِرُ الْجُزْءِ فِي مَبْدَأِ نَهْرِ سِيحَانَ ثُمَّ نَهْرُ جِيحَانَ غَرْبِيَّةَ الدَّاهِبِينَ  
عَلَى سَمْتِهِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُمَا وَفِي شَرْقِهِ هُنَالِكَ مَبْدَأُ نَهْرِ دِجْلَةَ الدَّاهِبِ عَلَى سَمْتِهِ وَفِي  
مَوَازِيَرَتِهِ حَتَّى يُخَالِطَهُ عِنْدَ بَغْدَادَ وَفِي الزَّوَايَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجُزْبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ دِجْلَةَ بِلَدُ مَيَّافَارِقِينَ وَنَهْرُ قَبَاقِبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَقْسِمُ  
هَذَا الْجُزْءَ بِقِطْعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا غَرْبِيَّةَ جَنُوبِيَّةَ وَفِيهَا أَرْضُ بَاطُوسَ كَمَا قُلْنَا وَأَسَافِلُهَا  
إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالاً وَوَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ قَبَاقِبِ أَرْضُ عُمُورِيَّةَ كَمَا  
قُلْنَا وَالْقِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ شَرْقِيَّةَ شَمَالِيَّةَ عَلَى الثَّلَاثِ فِي الْجُزْبِ مِنْهَا مَبْدَأُ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَفِي  
الشَّمَالِ بِلَادُ السِّلْقَانِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ عُمُورِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ جَبَلِ قَبَاقِبِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ وَفِي  
آخِرِهَا عِنْدَ مَبْدَأِ الْفُرَاتِ بِلَدُ حَرَشْتَةَ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ  
فِيطُسَ الَّذِي يُبْدَأُ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي جَنُوبِهِ  
وَعَرْبِهِ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ مُتَّصِلَةٌ إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَ وَسَطَ الْجُزْءِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ وَفِيهَا بِلَدَانِ  
أَرْدُنَّ فِي الْجُزْبِ وَالْعَرَبِ وَفِي شَمَالِهَا تَقْلِسُ وَدُبَيْلُ وَفِي شَرْقِ أَرْدُنَّ مَدِينَةُ خِلَاطُ ثُمَّ  
بَرْدَعَةُ فِي جَنُوبِهَا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ مَدِينَةُ أَرْمِينِيَّةَ وَمِنْ هُنَالِكَ مَخْرَجُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ  
إِلَى الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِيهَا هُنَالِكَ بِلَدُ الْمَرَاغَةِ فِي شَرْقِي جَبَلِ الْأَكْرَادِ الْمُسَمَّى بِأَرْمِي  
وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ وَيَتَاجَمُ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ فِي هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْإِقْلِيمِ



الرَّابِعَ قَبْلَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِيهَا بِلَادُ أَذَرَبَيْجَانٍ وَآخِرُهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ شَرْقًا بِلَادُ أَرْدَبِيلٍ  
أَعْلَى قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ دَخَلَتْ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ الْجُزْءِ السَّابِعِ وَيُسَمَّى بَحْرُ  
طَبْرِسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ شَمَالِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْخَزَرِ وَهُمْ التُّرْكَمَانُ وَيَبْدَأُ  
مِنْ عِنْدِ آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ فِي الشَّمَالِ جِبَالٌ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى سَنَتِ الْغَرْبِ  
إِلَى الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَتَمُرُّ فِيهِ مُنْعَلِفَةٌ وَمُحِيطَةٌ بِبَلَدٍ مَيَّافَارِقِينَ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ  
الرَّابِعِ عِنْدَ أَمْدٍ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ السِّلْسِلَةِ فِي آسَافِلِ الشَّامِ وَمِنْ هُنَاكَ يَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْكَامِ  
كَأَمْرٍ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ الشَّمَالِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ثَنَاءٌ كَأَلْبَابٍ تُغْضِي مِنَ الْجَانِبَيْنِ  
فِي جَنُوبِيَّهَا بِلَادُ الْأَبْوَابِ مُتَّصِلَةٌ فِي الشَّرْقِ إِلَى بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ  
مَدِينَةُ بَابِ الْأَبْوَابِ وَتَتَّصِلُ بِبِلَادِ الْأَبْوَابِ فِي الْغَرْبِ مِنْ نَاحِيَةِ جَنُوبِيَّهَا بِبَلَدٍ أَرْمِينِيَّةٍ  
وَبَيْنَهُمَا فِي الشَّرْقِ وَبَيْنَ بِلَادِ أَذَرَبَيْجَانِ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادُ الْأَبْوَابِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ  
وَفِي شَمَالِ هَذِهِ الْجِبَالِ قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا تَمْلِكَةُ السَّرِيرِ فِي الزَّاوِيَةِ  
الزَّرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهَا وَفِي زَاوِيَةِ الْجُزْءِ كُلِّهِ قِطْعَةٌ أَيْضًا مِنْ بَحْرِ نِيطِشَ الَّذِي يُبَدَأُ  
خَلِيجُ التُّسْتَنْطِينِيَّةِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ وَيَخْفُ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ نِيطِشَ بِلَادُ السَّرِيرِ وَعَلَيْهَا  
مِنْهَا بَلَدٌ أَطْرَازِيدَةٌ وَتَتَّصِلُ بِبِلَادِ السَّرِيرِ بَيْنَ جَبَلِ الْأَبْوَابِ وَالْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ الْجُزْءِ  
إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ شَرْقًا إِلَى جَبَلٍ حَاجِرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ الْخَزَرِ وَعِنْدَ آخِرِهَا مَدِينَةُ صَوْلِ  
وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ الْحَاجِرِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ تَنْتَهِي إِلَى الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَآخِرُ الْجُزْءِ شَمَالًا . وَالْجُزْءُ السَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
غَرْبِيَّةٌ كُلُّهُ مَغْمُورٌ بِبَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَخَرَجَ مِنْ جَنُوبِهِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ الْقِطْعَةُ الَّتِي  
ذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ عَلَيْهَا بِلَادَ طَبْرِسْتَانَ وَجِبَالُ الدَّيْلَمِ إِلَى قَرَوِينَ وَفِي غَرْبِي تِلْكَ الْقِطْعَةُ  
مُتَّصِلَةٌ بِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ شَمَالِهَا  
الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شَرْقِهِ أَيْضًا وَيَنْكَشِفُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ عِنْدَ زَاوِيَةِ  
الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ أَثَلٌ فِي هَذَا الْبَحْرِ وَيَبْقَى مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي نَاحِيَةِ  
الشَّرْقِ قِطْعَةٌ مُنْكَشِفَةٌ مِنَ الْبَحْرِ هِيَ مَجَالَاتُ الْغُرِّ مِنْ أَمَمِ التُّرْكِ يُحِيطُ بِهَا جَبَلٌ مِنْ جِهَةِ  
الْجَنُوبِ دَاخِلٌ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ وَيَذْهَبُ فِي الْغَرْبِ إِلَى مَا دُونَ وَسَطِهِ فَيَنْعَطِفُ إِلَى  
الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يُبْلَغَ بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ فَيَحْتَفُّ بِهِ ذَاهِبًا مَعَهُ إِلَى بَيْتِهِ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ

ثُمَّ يَنْعَلِفُ مَعَ طَوْرِهِ وَيُفَارِقُهُ وَيُسَمَّى هُنَالِكَ جَبَلُ سِيَاهٍ وَيَذْهَبُ مُغْرِبًا إِلَى الْجُزْءِ  
الْسادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَنُوبًا إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
وَهَذَا الطَّرَفُ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي اعْتَرَضَ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ أَرْضِ السَّرِيرِ وَأَرْضِ الْخَزَرِ  
وَاتَّصَلَتْ بِأَرْضِ الْخَزَرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ حَاقَاتُ هَذَا الْجَبَلِ السَّمِيُّ جَبَلُ  
سِيَاهٍ كَمَا سَيَأْتِي . وَالْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ كُلُّهُ مَجَالَاتٌ لِلْقُرَى مِنْ أَمَمِ  
الْثَّرَكِ وَفِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ بُحَيْرَةٌ خَوَارِزْمُ الَّتِي يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ يَجِيحُونَ دَوْرَهَا  
ثَلَاثِينَ مِيلًا وَيَصُبُّ فِيهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَرْضِ هَذِهِ الْمَجَالَاتِ وَفِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ بُحَيْرَةٌ عُرْعُونُ دَوْرَهَا أَرْبَعِينَ مِيلًا وَمَاوُهَا حُلُوفٌ فِي الْبَاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَبَلُ مِرْغَارٍ وَمَعْنَاهُ جَبَلُ الثَّلْجِ لِأَنَّهُ لَا يَذُوبُ فِيهِ وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِآخِرِ الْجُزْءِ  
وَفِي الْجَنُوبِ عَنْ بُحَيْرَةِ عُرْعُونُ جَبَلٌ مِنْ الْحَجَرِ الصَّلْدِ لَا يُذَبُّ شَيْئًا يُسَمَّى عُرْعُونُ وَبِهِ  
سَمِيَتْ الْبُحَيْرَةُ وَيَنْجَلِبُ مِنْهُ وَمِنْ جَبَلِ مِرْغَارِ شَمَالِي الْبُحَيْرَةِ أَنْهَارٌ لَا تَنْخَصِرُ عِدَّتُهَا فَتَصُبُّ  
فِيهَا مِنْ الْجَانِبَيْنِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ أَرْكُسَ مِنْ أَمَمِ الثَّرَكِ فِي  
غَرْبِ بِلَادِ الْقُرَى وَشَرْقِ بِلَادِ الْكِيَاكِيَّةِ وَيَحْفُ بِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ آخِرُ الْجُزْءِ  
جَبَلٌ قُوقِيَا الْمُحِيطِ بِيَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ يَعْتَرِضُ هُنَالِكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَنْعَلِفَ  
أَوَّلَ دُخُولِهِ مِنَ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ وَقَدْ كَانَ دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
الرَّابِعِ قَبْلَهُ وَاحْتَفَ هُنَالِكَ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ ثُمَّ انْعَلَفَ مُغْرِبًا  
فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى مَا دُونَ نِصْفِهِ وَأَحَاطَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى هُنَا بِبِلَادِ  
الْكِيَاكِيَّةِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَذْهَبَ فِيهِ مُغْرِبًا إِلَى آخِرِهِ  
وَبَيَّتَتْ فِي جَنُوبِيهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ آخِرِ بِلَادِ الْكِيَاكِيَّةِ  
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ الثَّاسِعِ فِي شَرْقِيهِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْهُ وَانْعَلَفَ قَرِيبًا إِلَى الشَّمَالِ وَذْهَبَ  
عَلَى سَمْتِهِ إِلَى الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِيهِ السُّدُ هُنَالِكَ كَمَا نَذَكَّرُهُ  
وَبَيَّتَتْ مِنْهُ الْقِطْعَةُ الَّتِي أَحَاطَ بِهَا جَبَلُ قُوقِيَا عِنْدَ الزَّائِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
أَرْضُ يَأْجُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ كُلُّهَا إِلَّا قِطْعَةً مِنَ الْبَحْرِ غَمَرَتْ طَرَفًا فِي شَرْقِيهِ مِنْ جَنُوبِهِ  
إِلَى شَمَالِهِ إِلَّا الْقِطْعَةَ الَّتِي يَفْضُلُهَا إِلَى الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ جَبَلٌ قُوقِيَا حِينَ مَرَّ فِيهِ وَمَا



سوى ذلك فأرض يأجوج ومأجوج والله سبحانه وتعالى أعلم  
 الإقليم السادس . فالجزء الأول منه غمر البحر أكثر من نصفه واستدار شرقاً  
 مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية إلى الجنوب وانتهى قريباً من الناحية  
 الجنوبية فكشف قطعة من هذه الأرض في هذا الجزء داخله بين الطرفين وفي  
 الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالجون فيه ويتقسع طولاً وعرضاً وهي  
 كلها أرض بريطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا  
 الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد ينطو التي مر ذكرها في الجزء الأول والثاني من الإقليم  
 الخامس . والجزء الثاني من هذا الإقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فمن غربه  
 قطعة مستطيلة أكبر من نصفه الشمالي من شرق أرض بريطانية في الجزء الأول  
 واتصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه إلى شرقه وانفسخت في النصف  
 الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة أنكلترا وهي جزيرة عظيمة  
 مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الإقليم السابع وفي جوب هذه القطعة  
 وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد أرمنية وبلاد أفلاذ متصلين بها  
 ثم بلاد إفرنسية جنوباً وغرباً من هذا الجزء بلاد برغونية شرقاً عنها وكلها لأمم  
 الإفرنجة وبلاد اللمانيتين في النصف الشرقي من الجزء فجوبه بلاد أنكلارية ثم  
 بلاد برغونية شمالاً ثم أرض لهويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية  
 الشمالية الشرقية أرض أفريوة وكلها لأمم اللمانيتين . وفي الجزء الثالث من هذا  
 الإقليم في الناحية الغربية بلاد مراتية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية  
 الشرقية بلاد أنكورية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط  
 داخل من الجزء الرابع ويمر مغرباً باتجاه إلى الشمال إلى أن يقف في بلاد  
 شطونية آخر النصف الغربي . وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض جولية وتحتها  
 في الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزء غرباً إلى أن  
 يقف في النصف الشرقي وفي شرق أرض جولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية  
 الشرقية أرض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند  
 مدقعه في بحر نيطش فيقع قطعة من بحر نيطش في أعالي الناحية الشرقية من هذا

الجزء وبيدها الخليج وبيتها في الزاوية بلد مسينا وفي الجزء الخامس من الأقليم  
السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نييطش يتصل من الخليج في آخر الجزء  
الرابع ويخرج من سمته مشرقا فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول  
ألف وثلاثمائة ميل من مبداه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في  
الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها إلى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على  
ساحل بحر نييطش متصلة بأرض اليلقان من الأقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية  
وقاعدتها سوتلي على بحر نييطش وفي شمال بحر نييطش في هذا الجزء غربا أرض ترخان  
وشرقا بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان  
من شرقها في هذا الجزء من شمالها في الجزء الخامس من الأقليم السابع ومن غربها  
في الجزء الرابع من هذا الأقليم . وفي الجزء السادس في غربيه بقية بحر نييطش  
ويتخرف قليلا إلى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قانية وفي  
جنوبه منقسما إلى الشمال بما اتخرف هو كذلك بقية بلاد اللانية التي كانت آخر  
جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل أرض الحر وفي  
شرقها أرض بطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية أرض بلغار وفي الزاوية الشرقية  
الجنوبية أرض بلجر يعوزها هناك قطعة من جبل سياكوه المنعطف مع بحر الحر  
في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقه ممربا فيجوز في هذه القطعة ويدخل إلى  
الجزء السادس من الأقليم الخامس فيتصل هنالك بجبل الأبواب وعليه من هنالك  
ناحية بلاد الحر . وفي الجزء السابع من هذا الأقليم في الناحية الجنوبية ما جازه  
جبل سياه بعد مفارقه بحر طبرستان وهو قطعة من أرض الحر إلى آخر الجزء غربا  
وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يعوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء  
جبل سياه في الناحية الغربية الشمالية أرض بطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء  
أرض شرب ويخناك وهم أمم الترك . وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها  
أرض الجولخ من الترك في الناحية الشمالية غربا والأرض المنيئة وشرق الأرض التي  
يقال إن يأجوج ومأجوج خرباها قبل بناء السد وفي هذه الأرض المنيئة مبدأ نهر  
الأثل من أعظم أنهار العالم وتمره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الأقليم



الْحَامِسِ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِتِّعَافِ يَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ مِنَ الْأَرْضِ السَّنَةِ  
مِنْ ثَلَاثَةِ يَنَابِيعَ تَجْتَمِعُ فِي نَوْرٍ وَاحِدٍ وَيَسُرُّ عَلَى سَنَتِ الْغَرْبِ إِلَى آخِرِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا  
الْإِقْلِيمِ فَيَنْعَطِفُ شَمَالاً إِلَى الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ فَيَسُرُّ فِي طَرَفِهِ بَيْنَ  
الْجُنُوبِ وَالْمَغْرِبِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ السَّابِعِ وَيَذْهَبُ مُغْرَباً غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ  
يَنْعَطِفُ ثَانِيَةً إِلَى الْجُنُوبِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ  
جَدُولٌ يَذْهَبُ مُغْرَباً وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ نِيَطَشَ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ وَيَسُرُّهُوَ فِي قِطْعَةٍ بَيْنَ الشَّمَالِ  
وَالشَّرْقِ فِي بِلَادِ بَلْقَارَ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ ثَلَاثَةً  
إِلَى الْجُنُوبِ وَيَنْفُذُ فِي جَبَلٍ سِبَاهَ وَيَسُرُّ فِي بِلَادِ الْخَرَّ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْحَامِسِ  
فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ طَهْرَسْتَانَ فِي الْقِطْعَةِ الَّتِي أَنْكَشَفْتَ مِنْ  
الْجُزْءِ عِنْدَ الرَّأْوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ  
مِنْهُ بِلَادُ خَفْشَاخَ مِنَ الْأَرَكِ وَهُمْ قَفْجَاقُ وَبِلَادُ السَّرْكَسِ مِنْهُمْ أَيْضاً وَفِي الشَّرْقِ مِنْهُ  
بِلَادُ يَأْجُوجَ يَفْضُلُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ قَوْيَا الْمُحِيطُ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ يَبْدَأُ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
فِي شَرْقِ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى آخِرِ الْإِقْلِيمِ فِي الشَّمَالِ وَيُفَارِقُهُ مُغْرَباً  
وَيَأْتِيهِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْحَامِسِ فَيَرْجِعُ إِلَى  
سَنَتِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ مِنْ جَنْبِهِ إِلَى شَمَالِهِ  
بِأَنْعِرَافٍ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي وَسْطِهِ هَهُنَا السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَسْكَندَرُ ثُمَّ يَخْرُجُ عَلَى سَنَتِهِ  
إِلَى الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْهُ فَيَسُرُّ فِيهِ إِلَى الْجُنُوبِ إِلَى أَنْ يَلْقَى الْبَحْرَ  
الْمُحِيطَ فِي شَمَالِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَهُ مِنْ هُنَاكَ مُغْرَباً إِلَى الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ إِلَى الْجُزْءِ  
الْحَامِسِ مِنْهُ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِبَيْتَامَةِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فِي غَرْبِهِ وَفِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ  
التَّاسِعِ هُوَ السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَسْكَندَرُ كَمَا قُلْنَا وَالصَّحِيحُ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْقُرْآنِ  
وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُرْدَاذْبَةَ فِي كِتَابِهِ فِي الْجُغَرَفِيَا أَنَّ الْوَاتِقَ رَأَى فِي مَنَامِهِ  
كَأَنَّ السُّدَّ انْفَتَحَ فَأَنْتَبَهَ فَرَعَا وَبَعَثَ سَلَاماً إِلَى التُّرْجَمَانِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِخَبَرِهِ وَوَصَفِهِ  
فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ آتَتْ مِنْ مَقَاصِدِ كِتَابِنَا هَذَا وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
بِلَادُ مَأْجُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ أَحَاطَتْ بِهِ  
مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ مُسْتَطِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ وَعَرِيضَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الشَّرْقِ

الْأَقْلِيمُ السَّابِعُ \* وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ قَدْ غَمَرَ عَامَّتَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّامِلِ إِلَى وَسَطِ الْجَزْءِ  
 الْخَامِسِ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِجَبَلٍ قَوْيَا الْمُحِيطِ بِبَاجُوجَ وَمَاجُوجَ . فَالْجَزْءُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي  
 مَغْمُورَانِ بِأَمَّا إِلَّا مَا انْكَشَفَ مِنْ جَزِيرَةٍ أَنْكَلِتَرَا الَّتِي مُعْظَمُهَا فِي الثَّانِي وَفِي الْأَوَّلِ  
 مِنْهَا طَرَفٌ انْعَطَفَ بِانْحِرَافٍ إِلَى الشَّامِلِ وَبَقِيَّتُهَا مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُسْتَدِيرَةٌ عَلَيْهِ  
 فِي الْجَزْءِ الثَّانِي مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَالْمَجَازُ مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ فِي  
 هَذِهِ الْقِطْعَةِ سَعَةً اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا وَوَرَاءَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي شَمَالِ الْجَزْءِ الثَّانِي جَزِيرَةٌ  
 رَسْلَانْدَةُ مُسْتَطِيلَةٌ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ . وَالْجَزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ مَغْمُورٌ  
 أَكْثَرُهُ بِالْبَحْرِ إِلَّا قِطْعَةً مُسْتَطِيلَةً فِي جَنْوبِهِ وَتَتَّسِعُ فِي شَرْقِهَا وَفِيهَا هُنَاكَ مُتَّصِلُ أَرْضِ  
 فَلُونِيَّةٍ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الثَّلَاثِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَأَنَّهَا فِي شَمَالِهَا وَفِي الْقِطْعَةِ مِنَ  
 الْبَحْرِ الَّتِي تَغْمُرُ هَذَا الْجَزْءَ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مُسْتَدِيرَةٌ فَسِيحَةٌ وَتَتَّصِلُ بِالْبَحْرِ مِنْ  
 بَابٍ فِي جَنْوبِهَا يُفْضِي إِلَى بِلَادِ فَلُونِيَّةٍ وَفِي شَمَالِهَا جَزِيرَةٌ بَرَعَاقِيَّةٌ ( وَفِي نَسْخَةِ يَوْقَاعَةَ )  
 مُسْتَطِيلَةٌ مَعَ الشَّامِلِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَالْجَزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ شَمَالُهُ  
 كُلُّهُ مَغْمُورٌ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَجَنْوبُهُ مُنْكَشَفٌ وَفِي غَرْبِهِ  
 أَرْضٌ قِيَاذُكَ مِنَ الْأُتْرُكِ وَفِي شَرْقِهَا بِلَادُ طُسْتٍ ثُمَّ أَرْضُ رَسْلَانٍ إِلَى آخِرِ الْجَزْءِ شَرْقًا  
 وَهِيَ دَائِمَةٌ الثَّلُوجِ وَغَمْرَانِهَا قَلِيلٌ وَيَتَّصِلُ بِبِلَادِ الرُّومِيَّةِ فِي الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي  
 الْجَزْءِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الْجَزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ  
 بِلَادُ الرُّومِيَّةِ وَيَنْتَهِي فِي الشَّامِلِ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلٌ  
 قَوْيَا كَمَا ذُكِرَ نَاهُ مِنْ قَبْلُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ أَرْضِ الْقَمَانِيَّةِ الَّتِي عَلَى  
 قِطْعَةٍ بِحَرٍ نِيَطُشٍ مِنَ الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَنْتَهِي إِلَى بُحَيْرَةِ طَرْمَسِي  
 مِنْ هَذَا الْجَزْءِ وَهِيَ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجِبَالِ عَنِ الْجَنُوبِ وَالشَّامِلِ  
 وَفِي شَمَالِ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجَزْءِ أَرْضُ السَّارِيَّةِ مِنَ الْأُتْرُكِ ( وَفِي نَسْخَةِ التَّرْكَانِ )  
 إِلَى آخِرِهِ . وَفِي الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنْبِيَّةِ مُتَّصِلُ بِلَادِ الْقَمَانِيَّةِ وَفِي  
 وَسَطِ النَّاحِيَةِ بُحَيْرَةٌ عَثُورٌ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْجِبَالِ فِي النُّوَاحِي الشَّرْقِيَّةِ  
 وَهِيَ جَامِدَةٌ دَائِمًا لَشِدَّةِ الْبَرْدِ إِلَّا قَلِيلًا فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَفِي شَرْقِ بِلَادِ الْقَمَانِيَّةِ بِلَادُ



الرُّوسِيَّةُ الَّتِي كَانَ مَبْدَأُهَا فِي الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الزَّائِيَةِ الْجُزْءِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بُلْغَرِ الَّتِي كَانَ مَبْدَأُهَا فِي الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ وَفِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ أَرْضِ بُلْغَرِ مُنْطَفُ نَهْرِ أَتْلُ الْقِدَاعَةِ الْأُولَى إِلَى الْجَنُوبِ كَمَا مَرَّ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شَمَالِهِ جَبَلٌ قُوقِيَا مُتَّصِلٌ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ أَرْضِ يَحْثَاكٍ مِنْ أَمَمِ التُّرْكِ وَكَانَ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ قَبْلَهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ مِنْ قَوْقِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ بَقِيَّةُ أَرْضِ سُحْرَبِ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْأَرْضِ الْمُتَنَتَّةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ جَبَلٌ قُوقِيَا الْمُحِيطُ مُتَّصِلًا مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ الْأَرْضِ الْمُتَنَتَّةِ وَفِي شَرْقِهَا الْأَرْضُ الْمَحْجُورَةُ وَهِيَ مِنَ الْعَجَائِبِ خَرَقٌ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدُ الْمَهْوَى فَسِيحُ الْأَقْطَارِ مُسْتَبْعُ الْوُضُولِ إِلَى قَعْرِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى عُمْرَانِهِ بِالدُّخَانِ فِي النَّهَارِ وَالْتِيْدَانِ فِي اللَّيْلِ قُضِيءٌ وَتَحْنَى وَرَبَّأٌ رُبِّيَ فِيهَا نَهْرٌ يَشُقُّهَا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الْبِلَادُ الْخَرَابُ الْمُتَاخِضَةُ لِلْسُدِّ وَفِي آخِرِ الشَّمَالِ مِنْهُ جَبَلٌ قُوقِيَا مُتَّصِلًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ خَفْشَاخَ وَهُمْ قَفْجَقُ يَجُوزُهَا جَبَلٌ قُوقِيَا حِينَ يَنْعَطِفُ مِنْ شَمَالِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَيَذْهَبُ فِي وَسْطِهِ إِلَى الْجَنُوبِ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَسُرُّ مَعْتَزًا فِيهِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَالِكَ سُدٌّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ يَأْجُوجَ وَرَاءَ جَبَلٍ قُوقِيَا عَلَى الْبَحْرِ قَلِيلَةَ الْعَرْضِ مُسْتَطِيلَةٌ أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ . وَالْجُزْءُ الْعَاشِرُ غَمَرُ الْبَحْرِ جَمِيعُهُ . هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ عَلَى الْجُغْرَافِيَا وَأَقَالِيمِهَا السَّبْعَةِ وَفِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ

## المقدمة الثانية

في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر

والكثير في احوالهم

قَدْ يَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّعْثُورَ مِنْ هَذَا الشُّكُوفِ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا هُوَ وَسْطُهُ لِإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ وَالْبَرْدِ فِي الشَّمَالِ . وَلَمَّا كَانَ الْجَانِبَانِ مِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ  
مُتَضَادَّيْنِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَجِبَ أَنْ تَتَدَرَّجَ الْكَيْفِيَّةُ مِنْ كِلَيْهِمَا إِلَى الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
مُعْتَدِلًا فَأَلْقَيْمُ الرَّابِعُ أَعْدَلُ الْعُمَرَانِ وَالَّذِي حَافَاتُهُ مِنَ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسُ أَقْرَبُ إِلَى  
الْإِعْتِدَالِ وَالَّذِي يَلِيهِمَا وَالْأَوَّلُ وَالْثَّانِي وَالسَّابِعُ  
أَبْعَدُ بِكَثِيرٍ فَلِهَذَا كَانَتْ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَالْتِبَاطِي وَالْمَلَابِسُ وَالْأَقْوَاتُ وَالزَّوَاكِيَةُ بَلْ  
وَالْحَيَوَانَاتُ وَجَمِيعُ مَا يَتَكَوَّنُ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ مَخْصُوصَةً بِالْإِعْتِدَالِ  
وَسُكَّانُهَا مِنَ الْبَشَرِ أَعْدَلُ أَجْسَامًا وَأَلْوَانًا وَأَخْلَاقًا وَأَدْيَانًا حَتَّى الثُّبُوتُ فَإِنَّمَا تُوجَدُ  
فِي الْأَكْثَرِ فِيهَا وَلَمْ تَبْقَ عَلَى خَبَرٍ بَعَثَ فِي الْأَقَالِيمِ الْجَنُوبِيَّةِ وَلَا الشَّمَالِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِنَّمَا يَخْصُ بِهِمْ أَكْمَلُ النَّوْعِ فِي خَلْقِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ قَالَ تَعَالَى كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَذَلِكَ لِيَتِمَّ الْقَبُولُ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَهْلُ  
هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَكْمَلُ لَوْجُودِ الْإِعْتِدَالِ لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي مَسَاكِينِهِمْ  
وَمَلَابِسِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ يَتَخَدُّونَ الثُّبُوتَ الْمُسَجَّدَةَ بِالْحِجَارَةِ الْمُشَقَّةِ بِالصَّنَاعَةِ  
وَيَتَنَاقُونَ فِي اسْتِجَادَةِ آلَاتٍ وَالنَّوَاعِينِ وَيَذْهَبُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَتُوجَدُ لَدَيْهِمْ  
الْمَعَادِنُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ وَالرِّصَاصِ وَالْأَصْدِرِ  
وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ بِالنَّقْدَيْنِ الْغَرِيزَيْنِ وَيَبْعُدُونَ عَنِ الْإِنْحِرَافِ فِي عَامَّةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالصِّينِ  
وَكَذَلِكَ الْأَنْدَلُسُ وَمَنْ قَرُبَ مِنْهَا مِنَ الْفَرَنْجَةِ وَالْجَلَالِقَةِ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِيِّينَ وَمَنْ كَانَ  
مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَلِهَذَا كَانَ الْعِرَاقُ وَالشَّامُ أَعْدَلُ  
هَذِهِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا وَسْطٌ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْزَاءِ . وَأَمَّا الْأَقَالِيمُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ مِثْلَ الْأَوَّلِ  
وَالثَّانِي وَالسَّادِسِ وَالسَّابِعِ فَأَهْلُهَا أَبْعَدُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ فَيَنَاقُضُهُمُ بِالْبَيِّنِ



وَالْقَصَبِ وَأَقْوَاتُهُمْ مِنَ الذُّرَّةِ وَالْعِشْبِ وَمَلَابِسُهُمْ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ يَخْصِفُونَهَا عَلَيْهِمْ  
أَوْ الْجُلُودِ وَأَكْثَرُهُمْ عَرَابًا مِنَ اللِّبَاسِ وَفَوَاكِهُ بِلَادِهِمْ وَأَدُمًا غَرِيبَةً التَّكْوِينِ مَائِلَةً  
إِلَى الْإِنْعِرَافِ وَمَعَامِلَاتُهُمْ بَغِيرِ الْحَجَرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ جُلُودٍ  
يَقْدِرُونَهَا لِلْمَعَامِلَاتِ وَأَخْلَاقُهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبَةٌ مِنْ تَخْلُقِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ حَتَّى لَيَنْقَلِ  
عَنِ الْكَثِيرِ مِنَ السُّودَانِ أَهْلُ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ الْكَهُوفَ وَالْغِيَاضَ  
وَيَأْكُلُونَ الْعِشْبَ وَأَنَّهُمْ مُتَوَحِّشُونَ غَيْرُ مُسْتَأْنِسِينَ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَكَذَا الصَّقَالِبَةُ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْإِعْتِدَالِ يَقْرُبُ عَرْضُ أَمْرَجِيَّتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ  
عَرْضِ أَخْيَرَانَاتِ الْعُجْمِ وَيَبْعُدُونَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ فِي  
الدِّيَانَةِ أَيْضًا فَلَا يَعْرِفُونَ نُبُوَّةَ وَلَا يَدِينُونَ بِشَرِيعَةٍ إِلَّا مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ مِنْ جَوَانِبِ  
لِإِعْتِدَالٍ وَهُوَ فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ مِثْلَ الْجَبَشَةِ الْمُجَاوِرِينَ لِلْيَمَنِ الدَّائِنِينَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ  
فِي قَبْلِ الْإِسْلَامِ وَمَا بَعْدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِثْلُ أَهْلِ مَالِي وَكُوكُو وَالتَّكُرُورِ الْمُجَاوِرِينَ  
لَارْضِ الْمَغْرِبِ الدَّائِنِينَ بِالْإِسْلَامِ لِهَذَا الْعَهْدِ يُقَالُ إِنَّهُمْ دَانُوا بِهِ فِي الْيَابَةِ السَّابِعَةِ  
وَمِثْلُ مَنْ دَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ مِنْ أُمَّمِ الصَّقَالِبَةِ وَالْأَفَرَنْجَةِ وَالتُّرْكَ مِنَ الشَّتَالِ وَمِنْ سِوَى  
هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَقَايِمِ الْمُتَنَحِرَةِ جَنُوبًا وَشَمَالًا فَالَّذِينَ مَجْهُولٌ عَنْدهُمْ وَالْعِلْمُ مَفْقُودٌ  
بَيْنَهُمْ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِمْ بِمِثْلَةِ مَنْ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ قَرِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ وَيَخْلُقُ مَا  
لَا تَعْلَمُونَ . وَلَا يُعْتَدُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بِوُجُودِ الْيَمَنِ وَحَضْرَتِ مَوْتِ وَالْأَحْقَافِ وَبِلَادِ  
الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَإِنَّ جَزِيرَةَ  
الْعَرَبِ كُلَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْبَحَارُ مِنْ أَلْجَمَاتِ الثَّلَاثِ كَمَا ذَكَرْنَا فَكَانَ لِرُطُوبَتِهَا أَثَرٌ فِي  
رُطُوبَةِ هَوَانِهَا فَتَقْصَ ذَلِكَ مِنَ الْيَمَنِ وَالْإِنْعِرَافِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَرُّ وَصَارَ فِيهَا بَعْضُ  
الْإِعْتِدَالِ بِسَبَبِ رُطُوبَةِ الْبَحْرِ . وَقَدْ تَوَهَّمُ بَعْضُ النَّسَابِينَ يَمْنُ لَا عِلْمَ لَهُ بِطَبَائِعِ  
الْكَاثِنَاتِ أَنَّ السُّودَانَ هُمْ وَلَدُ حَامٍ بْنِ نُوحٍ اخْتَصَمُوا بِلَوْنِ السَّوَادِ لِذَعْوَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَبِيهِ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي لَوْنِهِ وَفِي مَا جَلَّ اللَّهُ مِنَ الرِّقِّ فِي عَقِيهِ وَيَتَقَلَّبُونَ فِي ذَلِكَ حِكَايَةً  
مِنْ خُرَافَاتِ الْقَصَاصِ وَذَعَاءِ نُوحٍ عَلَى ابْنِهِ حَامٍ قَدْ وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ  
السَّوَادِ وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ عَيْدًا لَوْلَدِ إِخْوَتِهِ لَا غَيْرُ وَفِي الْقَوْلِ بِنِسْبَةِ  
السَّوَادِ إِلَى حَامٍ غَفْلَةٌ عَنْ طَبِيعَةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَثَرِهَا فِي الْهَوَاءِ وَفِي مَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ

مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنُ شَمَلَ أَهْلَ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ مِزَاجِ هَوَانِهِمْ  
 لِلْحَرَارَةِ الْمُتَضَاعِفَةِ بِالْجُذُوبِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تَسَامَتْ رُؤُوسُهُمْ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ قَرِيبَةً  
 إِحْدَاهُمَا مِنْ الْأُخْرَى فَتَطُولُ الْمَسَامَتَةُ عَامَّةَ الْفُضُولِ فَيَكْثُرُ الضَّوُّ لِأَجْلِهَا وَيُلْحِقُ  
 الْقَيْظُ الشَّدِيدُ عَلَيْهِمْ وَتَسْوَدُّ جُلُودُهُمْ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَنَظِيرُ هَذَيْنِ الْأَقْلِيمَيْنِ بِمَا يُعَايِلُهُمَا  
 مِنَ الشَّمَالِ الْأَقْلِيمُ السَّابِعُ وَالسَّادِسُ شَمَلَ سُكَّانَهُمَا أَيْضًا الْبَيَاضُ مِنْ مِزَاجِ هَوَانِهِمْ  
 لِلْبَرْدِ الْمُفْرِطِ بِالشَّمَالِ إِذِ الشَّمْسُ لَا تَرَالُ بِأَفْقِهِمْ فِي دَائِرَةٍ مَرَأَى الْعَيْنِ أَوْ مَا قَرُبَ  
 مِنْهَا وَلَا تَرْتَفِعُ إِلَى الْمَسَامَتَةِ وَلَا مَا قَرُبَ مِنْهَا فَيَضَعُ الْحَرُّ فِيهَا وَيَشْتَدُّ الْبَرْدُ عَامَّةَ  
 الْفُضُولِ فَتَنِيصُ أَلْوَانُ أَهْلِهَا وَتَنْتَهِي إِلَى الزُّعُورَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ مِزَاجُ الْبَرْدِ  
 الْمُفْرِطِ مِنْ ذُرْقَةِ الْعُيُونِ وَبَرَشِ الْجُلُودِ وَصُهُوبَةِ الشُّعُورِ وَتَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا الْأَقَالِيمُ  
 الثَّلَاثَةُ الْخَامِسُ وَالرَّابِعُ وَالثَّالِثُ فَكَانَ لَهَا فِي الْإِعْتِدَالِ الَّذِي هُوَ مِزَاجُ الْمُتَوَسِّطِ  
 حَظٌّ وَافِرٌ وَالرَّابِعُ أَبْلَغُهَا فِي الْإِعْتِدَالِ غَايَةً لِنَهَائِيَّتِهِ فِي التَّوَسُّطِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ فَكَانَ لِأَهْلِ  
 مِنْ الْإِعْتِدَالِ فِي خُلُقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ مَا اقْتَضَاهُ مِزَاجُ أَهْوِيَّتِهِمْ وَتَبِعَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ الثَّلَاثُ  
 وَالْخَامِسُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغَا غَايَةَ التَّوَسُّطِ لِمَلِ هَذَا قَلِيلًا إِلَى الْجُذُوبِ أَطَارِ وَهَذَا قَلِيلًا إِلَى  
 الشَّمَالِ الْبَارِدِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَنْتَهِيَا إِلَى الْإِنْحِرَافِ وَكَانَتِ الْأَقَالِيمُ الْأَرْبَعَةُ مُنْحَرِفَةً وَأَهْلُهَا  
 كَذَلِكَ فِي خُلُقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي لِلْحَرِّ وَالسَّوَادُ وَالسَّابِعُ لِلْبَرْدِ وَالْبَيَاضُ وَيُسَمَّى  
 سُكَّانُ الْجُذُوبِ مِنَ الْأَقْلِيمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بِاسْمِ الْخَبْشَةِ وَالزَّرَنَجِ وَالسُّودَانِ أَسْمَاءً  
 مُتَرَادِفَةً عَلَى الْأُمَمِ الشَّقِيرَةِ بِالسَّوَادِ وَإِنْ كَانَ اسْمُ الْخَبْشَةِ مُخْتَصًّا بِبَعْضِهِمْ بَيْنَ تَجَاهِ  
 مَكَّةَ وَالْيَمَنِ وَالزَّرَنَجِ بَيْنَ تَجَاهِ بَحْرِ الْهِنْدِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ انْتِسَابِهِمْ  
 إِلَى أَدَمِيٍّ أَسْوَدَ لَا حَامٍ وَلَا غَيْرِهِ وَقَدْ نَجَدُ مِنْ السُّودَانِ أَهْلَ الْجُذُوبِ مَنْ يَسْكُنُ  
 الرَّبِيعَ الْمُعْتَدِلَ أَوْ السَّابِعَ الْمُنْحَرِفَ إِلَى الْبَيَاضِ فَتَنِيصُ أَلْوَانُ أَغَايِبِهِمْ عَلَى التَّدْرِيجِ  
 مَعَ الْأَيَّامِ وَبِالْعَكْسِ فَيَمُنُّ يَسْكُنُ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ أَوْ الرَّابِعِ بِالْجُذُوبِ فَتَسْوَدُّ  
 أَلْوَانُ أَغَايِبِهِمْ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّوْنَ تَابِعٌ لِمِزَاجِ الْهَوَاءِ قَالَ ابْنُ سِينَا فِي  
 أَرْجُوزِيَّتِهِ فِي الطَّبِّ

بِالزَّرَنَجِ حَرٌّ غَيْرُ الْأَجْسَادِ حَتَّى كَمَا جُلُودُهَا سَوَادًا  
 وَالصِّقْلِبُ اكْتَسَبَتْ الْبَيَاضَ حَتَّى غَدَتْ جُلُودُهَا بَيَاضًا



وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ فَلَمْ يُسَمَّوْا بِأَعْتَابِ الْوَانِيهِمْ لِأَنَّ الْبَيَاضَ كَانَ لَوْنًا لِأَهْلِ تِلْكَ الْأُمَّةِ  
الْوَاضِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ رَابِعَةٌ تُحِيلُ عَلَى أَعْتَابِهِ فِي التَّسْمِيَةِ لِمُوَافَقَتِهِ وَأَعْتَابِهِ  
وَوَجَدْنَا سُكَّانَهُ مِنَ الْتُورِكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالطُّغْرُغُرِ وَالْحَزَرِ وَاللَّانِ وَالْكَثِيرِ مِنَ الْإِفْرَنْجَةِ  
وَيَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ أَسْمَاءَ مُتَفَرِّقَةٍ وَأَجْيَالًا مُتَعَدِّدَةً مُسَمَّنِينَ بِأَسْمَاءَ مُتَوَعَّةٍ وَأَمَّا أَهْلُ  
الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ أَهْلُ الْأَعْدَالِ فِي خُلُقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَكَافَّةِ الْأَحْوَالِ  
الطَّبِيعِيَّةِ لِلْأَعْتَابِ لَدَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَسَاكِينِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَالرِّئَاسَاتِ  
وَالْمُلُوكِ فَكَانَتْ فِيهِمُ النَّبُوتَاتُ وَالْمُلُوكُ وَالْأَدُولُ وَالشَّرَائِعُ وَالْعُلُومُ وَالْبُلْدَانُ وَالْأَمْصَارُ  
وَالْمَبَانِي وَالْفِرَاسَةُ وَالصَّنَائِعُ الْإِنَائِقَةُ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الَّتِي  
وَقَفْنَا عَلَى أَخْبَارِهِمْ مِثْلُ الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَفَارِسَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْيُونَانِ وَأَهْلِ السِّندِ  
وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ . وَلَمَّا رَأَى النَّسَائُونُ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْأُمَمِ بِسِمَاتِهَا وَشَارِهَا حَسِبُوا ذَلِكَ  
لَأَجْلِ الْأَنْسَابِ فَجَعَلُوا أَهْلَ الْجَنُوبِ كُلَّهُمُ السُّودَانَ مِنْ وَلَدِ حَامٍ وَارْتَابُوا فِي الْوَانِيهِمْ  
فَتَكَلَّمُوا نَقْلَ تِلْكَ الْحِكَايَةِ أَوَامِيَةً وَجَعَلُوا أَهْلَ الشَّامِ كُلَّهُمْ أَوْ أَكْثَرَهُمْ مِنْ وَلَدِ  
يَافِثَ وَأَكْثَرَ الْأُمَمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلَ الْوَسْطِ الْمُشْتَجِبِينَ لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالْمِلَلِ  
وَالشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُلُوكِ مِنْ وَلَدِ سَامٍ وَهَذَا الرَّعْمُ وَإِنْ صَادَفَ الْحَقُّ فِي أَنْسَابِ  
هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَيَاسٍ مُطَرِّدٍ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ لَا أَنَّ تَسْمِيَةَ أَهْلِ الْجَنُوبِ  
بِالسُّودَانِ وَالْجَنْشَانِ مِنْ أَجْلِ أَنْسَابِهِمْ إِلَى حَامٍ الْأَسْوَدِ . وَمَا أَذَاهُمْ إِلَى هَذَا الْغَلَطِ  
إِلَّا أَعْتِقَادُهُمْ أَنَّ التَّيْزِينَ بَيْنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَقَعُ بِالْأَنْسَابِ فَقَطْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّيْزَ  
لِلْجِيلِ أَوِ الْأُمَّةِ يَكُونُ بِالنَّسَبِ فِي بَعْضِهِمْ كَمَا لِلْعَرَبِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْفُرسِ وَيَكُونُ  
بِالْجِهَةِ وَالسِّمَةِ كَمَا لِلزُّنُجِ وَالْجَنْشَةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالسُّودَانِ وَيَكُونُ بِالْعَوَائِدِ وَالشَّعَارِ  
وَالنَّسَبِ كَمَا لِلْعَرَبِ . وَيَكُونُ يَغْيَرُ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَخَوَاصِهِمْ وَتُمَيِّزَاتِهِمْ  
فَتَعْيِيمُ الْقَوْلِ فِي أَهْلِ جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ جَنُوبٍ أَوْ شَمَالٍ بِأَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ  
لِمَا سَمَّاهُمْ مِنْ نَحْلَةٍ أَوْ لَوْنٍ أَوْ سِمَةٍ وَجَدْتَ لِذَلِكَ الْأَبِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَنْغَالِيطِ الَّتِي أَوْقَعَ  
فِيهَا الْغَفْلَةَ عَنْ طَبَائِعِ الْأَكْوَانِ وَالْجِهَاتِ وَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَبَدَّلُ فِي الْأَعْقَابِ وَلَا يَجِبُ  
اسْتِمْرَارُهَا سُنَّةً اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِغَيْبِهِ  
وَأَحْكَمُ وَهُوَ التَّوَلَّى الْمُنْعِمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

## المقدمة الرابعة

في اثر الهواء في اخلاق البشر

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ خُلُقِ السُّودَانِ عَلَى الْعُمُومِ الْحِفَّةَ وَالطِّيشَ وَكَثْرَةَ الطَّرَبِ فَتَجِدُهُمْ  
مَوْلَعِينَ بِالرَّقْصِ عَلَى كُلِّ تَوْقِيعٍ مَوْصُوفِينَ بِالْحُمْرِ فِي كُلِّ قُطْرٍ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي  
ذَلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ هِيَ انْتِشَارُ الرُّوحِ  
الْحَيَوَانِيِّ وَتَفَشِيهِ وَطَبِيعَةُ الْحُزَنِ بِالْعَكْسِ وَهُوَ انْتِبَاضُهُ وَتَكَاثُفُهُ . وَتَقَرَّرَ أَنَّ الْحَرَارَةَ  
مَفْشِيَةً لِلْهَوَاءِ وَالْبُخَارِ مُخْلِجَةً لَهُ زَائِدَةً فِي كَيْفِيَّتِهِ وَلِهَذَا يَجِدُ الْمُتَشَبِّهِ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ  
مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ وَذَلِكَ بِأَيْدِاخِلِ بُخَارِ الرُّوحِ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَبْعُثُهَا  
سُورَةُ الْحُمْرِ فِي الرُّوحِ مِنْ مِزَاجِهِ فَيَتَفَشَّى الرُّوحُ وَتَجِيءُ طَبِيعَةُ الْفَرَحِ وَكَذَلِكَ نَجِدُ  
الْمُسْتَعْمِلِينَ بِالْحَمَامَاتِ إِذَا تَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهَا وَاتَّصَلَتْ حَرَارَةُ الْهَوَاءِ فِي أَرْوَاحِهِمْ فَاسْتَحَسَّتْ  
لِذَلِكَ حَدَثَ لَهُمْ فَرَحٌ وَرُبَّمَا انْبَعَثَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ بِالْغِنَاءِ النَّاشِئِ عَنْ السُّرُورِ . وَلَمَّا  
كَانَ السُّودَانُ سَاكِنِينَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَارِ وَأَسْتَوَلَى الْخَرُّ عَلَى أَمْزَجَتِهِمْ وَفِي أَصْلِ  
تَكْوِينِهِمْ كَانَ فِي أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَى نِسْبَةِ أَبْدَانِهِمْ وَإِقْلِيمِهِمْ فَتَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ  
بِالْقِيَاسِ إِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ أَشَدَّ حَرًّا فَتَكُونُ أَكْثَرُ تَفَشِيًّا فَتَكُونُ  
أَسْرَعَ فَرَحًا وَسُرُورًا وَأَكْثَرُ انْبِسَاطًا وَيَجِيءُ الطِّيشُ عَلَى أَثَرِ هَذِهِ وَكَذَلِكَ يَلْحَقُ بِهِمْ  
قَلِيلًا أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ لَمَّا كَانَ هَوَائُهَا مُتَضَاعِفَ الْحَرَارَةِ بِأَيْنَعَكْسٍ عَلَيْهِ مِنْ  
أَضْوَاءِ بَسِيطِ الْبَحْرِ وَأَشْعَتِهِ كَانَتْ حِصَّتُهُمْ مِنْ تَوَابِعِ الْحَرَارَةِ فِي الْفَرَحِ وَالْحِفَّةِ مَوْجُودَةً  
أَكْثَرًا مِنْ بِلَادِ الثَّلُولِ وَالْجِبَالِ الْبَارِدَةِ وَقَدْ نَجِدُ يَسِيرًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ الْخَرِيرِيَّةِ  
مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ لِتَوْفُرِ الْحَرَارَةِ فِيهَا وَفِي هَوَائِهَا لِأَنَّهَا عَرِيقَةٌ فِي أَجْنُوبٍ عَنْ الْأَرْيَافِ  
وَالثَّلُولِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّهَا مِثْلُ عَرْضِ الْبِلَادِ الْخَرِيرِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا  
كَيْفَ غَلَبَ الْفَرَحُ عَلَيْهِمْ وَالْحِفَّةُ وَالنَّفْلَةُ عَنْ الْعَوَاقِبِ حَتَّى أَنَّهُمْ لَا يَدْخُرُونَ أَقْوَاتَ  
سَنَتِهِمْ وَلَا شَهْرِهِمْ وَعَامَةً مَا كَلِمُهُمْ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ . وَلَمَّا كَانَتْ فَاسُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
بِالْعَكْسِ مِنْهَا فِي التَّوَعُّلِ فِي الثَّلُولِ الْبَارِدَةِ كَيْفَ تَرَى أَهْلَهَا مُطْرِقِينَ إِطْرَاقَ الْحُزَنِ  
وَكَيفَ أَفْرَطُوا فِي نَظَرِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَدْخُرُ قُوْتَ سَلْتَيْنِ مِنْ حُبُوبِ



أَلْحِظَةَ وَيَبَاكِرُ الْأَسْوَاقَ لِشَرَاءِ قُوَّتِهِ لِيَوْمِهِ مَخَافَةً أَنْ يُرْزَأَ شَيْئًا مِنْ مُدَّخَرِهِ وَتَلْبَسَ ذَلِكَ فِي الْأَقَالِيمِ وَالْبِلْدَانِ تَجْدُ فِي الْأَخْلَاقِ أَثَرًا مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْهَوَاءِ وَاللَّهِ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَسْعُودِيُّ لِلْبَحْثِ عَنِ السَّبَبِ فِي خِفَّةِ السُّودَانِ وَطَنِيَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ الطَّرَبِ فِيهِمْ وَحَاوَلَ تَعْلِيلَهُ فَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ تَقَلَّ عَنْ جَالِيئِيهِمْ وَيَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيَّ أَنَّ ذَلِكَ لِيُضْفَ أَدَمِيَّتُهُمْ وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ وَهَذَا كَلَامٌ لَا مُخَصَّلَ لَهُ وَلَا بُرْهَانَ فِيهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

### المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الحصب والجوع وما ينشأ عن ذلك

من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم

إِعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَقَالِيمَ الْمُتَعَدِّلَةَ لَيْسَ كُلُّهَا يُوجَدُ بِهَا الْخِصْبُ وَلَا كُلُّ سُكَّانِهَا فِي رَغْدٍ مِنَ الْعَيْشِ بَلْ فِيهَا مَا يُوجَدُ لِأَهْلِ خِصْبِ الْعَيْشِ مِنَ الْخُبُوبِ وَالْأَدَمِ وَالْحِظَةِ وَالْفَوَاكِهِ لِزَكَاةِ الْمَنَائِبِ وَاعْتِدَالِ الطَّيْنَةِ وَوُقُورِ الْعُمُرَانِ وَفِيهَا الْأَرْضُ الْحَرَّةُ الَّتِي لَا تَنْبِتُ زَرْعًا وَلَا عِشْبًا بِالْجُمْلَةِ فَسُكَّانُهَا فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ مِثْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَجَنُوبِ الْيَمَنِ وَمِثْلُ الْمُتَشِينِ مِنْ صُنْهَاجَةِ السَّاكِنِينَ بِصَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ وَأَطْرَافِ الرِّوَالِ فِيمَا بَيْنَ الْبَرْبَرِ وَالسُّودَانِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَغْتَدُونَ الْخُبُوبَ وَالْأَدَمَ جُمْلَةً وَإِنَّمَا أُغْدِيَتُهُمْ وَأَقْوَانُهُمُ الْأَلْبَانُ وَاللُّحُومُ وَمِثْلُ الْعَرَبِ أَيْضًا الْجَائِلِينَ فِي الْقَفَارِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الْخُبُوبَ وَالْأَدَمَ مِنَ التَّلُولِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَحْيَانِ وَتَحْتَ رُبْعَةٍ مِنْ حَامِيَّتِهَا وَعَلَى الْإِقْلَالِ لِقَلَّةِ وَجْدِهِمْ فَلَا يَتَوَصَّوْنَ مِنْهُ إِلَى سِدِّ الْخَلَّةِ أَوْ دُونِهَا فَضْلًا عَنِ الرِّغْدِ وَالْخِصْبِ وَتَجِدُهُمْ يَتَتَصَّرُونَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ عَلَى الْأَلْبَانِ وَتَعَوُّضُهُمْ مِنَ الْحِظَةِ أَحْسَنَ مَعَاضٍ وَتَجِدُ مَعَ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْفَاقِدِينَ لِلْخُبُوبِ وَالْأَدَمِ مِنْ أَهْلِ الْقَفَارِ أَحْسَنَ حَالًا فِي جُسُومِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّلُولِ الْمُتَعَسِّينَ فِي الْعَيْشِ فَأَلْوَانُهُمْ أَصْفَى وَأَبْدَانُهُمْ أَتْقَى وَأَشْكَالُهُمْ أَتَمُّ وَأَحْسَنُ وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْعَدُ مِنَ الْإِنْحِرَافِ وَأَذْهَابُهُمْ أَثَقَبُ فِي الْمَعَارِفِ وَالْإِدْرَاكَاتِ هَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ لَهُ التَّجَرِبَةُ فِي كُلِّ جِيلٍ مِنْهُمْ فَكَيْفَ مَا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِيمَا وَصَفْنَاهُ وَبَيْنَ الْمُتَشِينِ وَأَهْلِ التَّلُولِ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ خَبِرَهُ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَغْذِيَةِ وَكَثْرَةَ الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ الْغِنَى  
وَرُطُوبَاتِهَا تُؤَلِّدُ فِي الْجِسْمِ فَضْلَاتٍ رَدِيئَةً تَنْشَأُ عَنْهَا بَعْدَ إِقْطَارِهَا فِي غَيْرِ نِسْبَةٍ وَيَتَّبِعُ  
ذَلِكَ انْكِسَافُ الْأَلْوَانِ وَقُبْحُ الْأَشْكَالِ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ كَمَا قُلْنَا وَتُغْطِي الرُّطُوبَاتُ  
عَلَى الْأَذْهَانِ وَالْأَفْكَارِ بِمَا يَصْعَدُ إِلَى الدِّمَاغِ مِنْ أَبْجَرَتِهَا الرَّدِيَّةِ فَتَجِيءُ الْبَلَادَةُ  
وَالنَّفَلَةُ وَالْإِنْخِرَافُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ بِالْجُمْلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي حَيَوَانِ الْقَفَرِ وَمَوَاطِنِ  
الْجَذْبِ مِنَ الْغَزَالِ وَالنَّعَامِ وَالنَّهْمِ وَالزَّرَافَةِ وَالْخُمُرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْبَقَرِ مَعَ أَمْثَالِهَا مِنْ  
حَيَوَانِ الثَّلُولِ وَالْأَرْيَافِ وَالْعَرَاعِي الْحَصْبَةِ كَيْفَ تَجِدُ بَيْدًا يُونًا بَعِيدًا فِي صَفَاءِ أَدِيمِهَا  
وَحُسْنِ رَوْنِقِهَا وَأَشْكَالِهَا وَتَنَاسُبِ أَعْضَائِهَا وَحِدَّةِ مَدَارِكِهَا فَالْغَزَالُ الْخَوِ الْمَعْرِ وَالزَّرَافَةُ  
أَخُو الْبَعِيرِ وَالْخِمَارُ وَالْبَقَرُ أَخُو الْحِمَارِ وَالْبُونُ بَيْنَهُمَا مَا رَأَيْتَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَجْلِ  
أَنَّ الْحَصْبَ فِي الثَّلُولِ فَعَلَ فِي أَبْدَانِ هَذِهِ مِنَ الْفَضْلَاتِ الرَّدِيَّةِ وَالْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ مَا  
ظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُهُ وَالْجُوعُ لِحَيَوَانِ الْقَفَرِ حَسَنٌ فِي خَلْقِهَا وَأَشْكَالِهَا مَا شَاءَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي  
الْآدَمِيِّينَ أَيْضًا فَإِنَّا نَجِدُ أَهْلَ الْأَقَالِيمِ الْمُخَصَّصَةِ الْعَيْشِ الْكَثِيرَةِ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ  
وَالْأَدَمِ وَالْقَوَاكِمِ يَتَّصِفُ أَهْلُهَا غَالِبًا بِالْبَلَادَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَالْحُسُونَةِ فِي أَجْسَامِهِمْ وَهَذَا  
شَأْنُ الْبَدَنِ الْمُتَغَيِّسِينَ فِي الْآدَمِ وَالْخَطَّةِ مَعَ الْمُتَغَيِّفِينَ فِي عَيْشِهِمْ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى  
الشَّعِيرِ أَوْ الذَّرَّةِ مِثْلَ التَّصَامُدَةِ مِنْهُمْ وَأَهْلُ غِمَارَةِ وَالسُّوسِ فَتَجِدُ هَؤُلَاءِ أَحْسَنَ  
جَالًا فِي عَقُولِهِمْ وَجُسُومِهِمْ وَكَذَا أَهْلُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُتَغَيِّسِينَ فِي الْآدَمِ  
وَالْبَرِّ مَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْمَفْقُودِ بِأَرْضِهِمُ السَّنُّ جُمْلَةً وَغَالِبُ عَيْشِهِمُ الذَّرَّةُ فَتَجِدُ  
لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ ذِكَاةِ الْعُقُولِ وَخَفَّةِ الْأَجْسَامِ وَقَبُولِ التَّعْلِيمِ مَا لَا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ  
وَكَذَا أَهْلُ الصَّوَاغِي مِنَ الْمَغْرِبِ بِالْجُمْلَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَضَرِ وَالْأَمْصَارِ فَإِنَّ الْأَمْصَارَ  
وَإِنْ كَانُوا مُكَثَرِينَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْآدَمِ وَمُخَصَّصِينَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَهُمْ لِيَايَاها  
بَعْدَ الْعِلَاجِ بِالطَّبِخِ وَالتَّلْطِيفِ بِمَا يَخْطُطُونَ مَعَهَا فَيَذْهَبُ لِذَلِكَ غَلْظُهَا وَيَبْقَى قَوَامُهَا وَعَامَّةُ  
مَا كُلُّهُمْ لُحُومُ الضَّانِ وَالِدَّجَاجِ وَلَا يَخْطُطُونَ السَّنُّ مِنْ بَيْنِ الْآدَمِ لِتَنَاهَيْهِ فَتَقُلُ  
الرُّطُوبَاتُ لِذَلِكَ فِي أَغْذِيَتِهِمْ وَيَخْفُ مَا تُؤَدِّيهِ إِلَى أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْفَضْلَاتِ الرَّدِيَّةِ  
فَلِذَلِكَ تَجِدُ جُسُومَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ الطَّفَّ مِنْ جُسُومِ الْبَادِيَةِ الْمُحْسِنِينَ فِي الْعَيْشِ وَكَذَلِكَ  
تَجِدُ الْمُعَوَّدِينَ بِالْجُوعِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَا فَضْلَاتَ فِي جُسُومِهِمْ غَلِيظَةً وَلَا لَطِيفَةً. وَأَعْلَمُ



أَنَّ أَثَرَ هَذَا الْخُضْبِ فِي الْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ يَظْهَرُ حَتَّى فِي حَالِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ فَتَجِدُ  
الْمُتَّقِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَوْ الْخَاضِرَةِ يَمْنُ بِأَخْذِ نَفْسِهِ بِالْجُوعِ وَالتَّجَافِي عَنِ اللَّذَائِ  
أَحْسَنَ دِينًا وَإِقْبَالًا عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ الثَّرَفِ وَالْخُضْبِ بَلْ تَجِدُ أَهْلَ الدِّينِ قَلِيلِينَ  
فِي الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ لَمَّا يَعْمُرُهَا مِنَ الْقِسَاوَةِ وَالنَّفَقَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْإِكْثَارِ مِنَ اللَّحْمَانِ  
وَالْأَدَمِ وَلِبَابِ الْبَرِّ وَيَخْتَصُّ وَجُودَ الْعِبَادِ وَالرَّهَادِ لِذَلِكَ بِالْمُتَّقِينَ فِي غِذَائِهِمْ مِنْ  
أَهْلِ الْبَوَادِي وَكَذَلِكَ تَجِدُ هَؤُلَاءِ الْمُخْصِيَيْنِ فِي أَعْيَاشِ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي طَيِّبَاتِهِ مِنْ أَهْلِ  
الْبَادِيَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْخَوَاضِرِ وَالْأَمْصَارِ إِذَا تَوَلَّتْ بِهِمُ السِّنُونُ وَأَخَذَتْهُمْ الْمَجَاعَاتُ  
يَسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْهَلَاكُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَ بَرَابِرَةِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ مَدِينَةِ قَاسٍ وَمِصْرَ  
فَمَا يَبْلُغُنَا لَا مِثْلَ الْعَرَبِ أَهْلِ الْقَمَرِ وَالصَّخْرَاءِ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ بِلَادِ النَّخْلِ الَّذِينَ غَالِبَ  
عَيْشِهِمُ الشَّمْرُ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةَ لِهَذَا اللَّذِ الَّذِينَ غَالِبَ عَيْشِهِمُ الشَّعِيرُ وَالزَّيْتُ  
وَأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ غَالِبَ عَيْشِهِمُ الذَّرَّةُ وَالزَّيْتُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ وَإِنْ أَخَذَتْهُمْ السِّنُونُ  
وَالْمَجَاعَاتُ فَلَا تَنَالُ مِنْهُمْ مَا تَنَالُ مِنْ أَوْلَئِكَ وَلَا يَكْثُرُ فِيهِمُ الْهَلَاكُ بِالْجُوعِ بَلْ وَلَا  
يَنْدُرُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَلَهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي الْخُضْبِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلْأَدَمِ  
وَالسَّمَنِ خُصُوصًا تَكْتَسِبُ مِنْ ذَلِكَ أَمْعَاؤُهُمْ رَطُوبَةً فَوْقَ رَطُوبَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الْمَرَاجِيَّةِ  
حَتَّى تُجَاوِزَ حَدَّهَا فَإِذَا خُولِفَ بِهَا الْعَادَةُ بِقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَقَدْ دَانَ الْأَدَمُ وَاسْتَعْمَلَ  
الْحُسْنَ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ مِنَ الْغِذَاءِ أَسْرَعَ إِلَى الْمَعَالِيْسِ وَالْإِنْكَشَافِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي  
الْعَايَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِ الْمَرَضُ وَيَهْلِكُ صَاحِبُهُ دَفْعَةً لِأَنَّهُ مِنَ الْمَقَاتِلِ قَالَهُ الْكُوفِيُّ فِي  
الْمَجَاعَاتِ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الشَّبَعُ الْمُعْتَادُ السَّابِقُ لَا الْجُوعُ الْخَادِثُ الْآخِرُ. وَأَمَّا الْمُتَعَوِّدُونَ  
بِقِلَّةِ الْأَدَمِ وَالسَّمَنِ فَلَا تَرَالُ رَطُوبَتُهُمُ الْأَصْلِيَّةُ وَاقِفَةٌ عِنْدَ حَدِّهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ  
وَهِيَ قَابِلَةٌ لِجَمِيعِ الْأَغْذِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَا يَقَعُ فِي مَعَاهِمُ بِتَبَدُّلِ الْأَغْذِيَةِ بَيْسٌ وَلَا انْتِحَرَافٌ  
فَيَسْلَمُونَ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي يَعْرِضُ لِغَيْرِهِمْ بِالْخُضْبِ وَكَثْرَةِ الْأَدَمِ فِي  
الْمَأْكَلِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَغْذِيَةَ وَائْتِلَافَهَا أَوْ تَرَكَّهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْعَادَةِ  
فَمَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ غِذَاءً وَلَاءَ مَتْنَهُ تَنَاوُلُهُ كَانَ لَهُ مَأْلُوفًا وَصَارَ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبَدُّلُ بِهِ دَاءً  
مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ غَرَضِ الْغِذَاءِ بِالْجُمْلَةِ كَالسُّمُومِ وَالْيَشْوَعِ <sup>(١)</sup> وَمَا أَفْرَطَ فِي الْإِنْتِحَرَافِ

(١) قال في القاموس البتوع كصبورا او تور نبات له لبن دار سهل محرق مقطع والمشهور منه سبعة

فَأَمَّا مَا وَجَدَ فِيهِ التَّغْذِي وَالْمَلَأَمَةُ فَيَصِيرُ غِذَاءً مَأْلُوفًا بِالْعَادَةِ فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ  
نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ اللَّبَنِ وَالْبَقْلِ عَوْضًا عَنِ الْخَطَةِ حَتَّى صَارَ لَهُ دَيْدَنًا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ  
غِذَاءً وَاسْتَقْنَى بِهِ عَنِ الْخَطَةِ وَالْحُبُوبِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَكَذًا مِنْ عَوْدَ نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَى  
الْجُوعِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الطَّعَامِ كَمَا يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ فَإِنَّا نَسْمَعُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ  
أَخْبَارًا غَرِيبَةً يَكَادُ يُنْكِرُهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْعَادَةُ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَلِغَتْ  
شَيْئًا صَارَ مِنْ جَبَلَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا لِأَنَّهَا كَثِيرَةُ التَّلَوُّنِ فَإِذَا حَصَلَ لَهَا أَعْيَادُ الْجُوعِ  
بِالتَّدْرِيجِ وَالرِّيَاضَةِ فَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ عَادَةً طَبِيعَةً لَهَا وَمَا يَتَوَهَّمُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ أَنَّ  
الْجُوعَ مُهْلِكٌ فَلَيْسَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ إِلَّا إِذَا حَمَلَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ دَفْعَةً وَقَطَعَ عَنْهَا الْغِذَاءَ  
بِالْكُلْيَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَنْخَسِمُ الْمَاءُ وَيَنَالُهُ الْمَرَضُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ الْهَلَاكُ وَأَمَّا إِذَا  
كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ تَدْرِيجًا وَرِّيَاضَةً بِإِقْلَالِ الْغِذَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَصَوِّفَةُ  
فَهُوَ بِمَنْزِلٍ عَنِ الْهَلَاكِ وَهَذَا التَّدْرِيجُ ضَرُورِيٌّ حَتَّى فِي الرُّجُوعِ عَنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ  
فَإِنَّهُ إِذَا رَجَعَ بِهِ إِلَى الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ دَفْعَةً خِيفَ عَلَيْهِ الْهَلَاكُ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ بِهِ كَمَا  
بَدَأَ فِي الرِّيَاضَةِ بِالتَّدْرِيجِ وَلَقَدْ شَاهَدْنَا مَنْ يَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَصَالًا  
وَأَكْثَرَ وَحَضَرَ أَشْيَاخُنَا بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرَانِ مِنَ أَهْلِ  
خَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ وَرَنْدَةٍ حَبَسَا أَنْفُسَهُمَا عَنْ الْأَكْلِ جُمْلَةً مُنْذُ سِنِينَ وَسَاعَ أَمْرُهُمَا  
وَوَقَعَ اخْتِبَارُهُمَا فَصَحَّ شَأْنُهُمَا وَاتَّصَلَ عَلَى ذَلِكَ حَالُهُمَا إِلَى أَنْ مَاتَتَا وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنْ  
أَصْحَابِنَا أَيْضًا مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى حَلِيبِ شَاةٍ مِنَ الْمَعَرِ يَلْتَقِمُ تَدْيِهَا فِي بَعْضِ الثَّمَارِ أَوْ عِنْدَ  
الْإِفْطَارِ وَيَكُونُ ذَلِكَ غِذَاءَهُ وَاسْتَدَامَ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ  
وَلَا يُسْتَكْرُ ذَلِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْجُوعَ أَصْلَحُ لِلْبَدَنِ مِنْ إِكْثَارِ الْأَغْذِيَةِ بِكُلِّ وَجْهِ لِمَنْ  
قَدَرَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الْإِقْلَالِ مِنْهَا وَإِنَّ لَهُ أَثْرًا فِي الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ فِي صِفَاتِهَا وَصَلَابَتِهَا  
كَمَا قُلْنَا وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَثَرِ الْأَغْذِيَةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْهَا فِي الْجُسُومِ فَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَغَذِّينَ  
بِلُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْفَانِخَةِ الْعَظِيمَةِ الْجِثَمَانِ تَنْشَأُ أَجْيَالُهُمْ كَذَلِكَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ فِي أَهْلِ  
الْبَادِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْخَاضِرَةِ وَكَذَا الْمُتَعَدُّونَ بِالْبَنِ الْإِيلِ وَالْحَرَمِهَا أَيْضًا مَعَ مَا يُؤَثَّرُ فِي

الشبرم واللاعبة والعرطاشيا والماهودة واللازيون والفجلشت والعشروكل البتومات اذا استعملت في  
غير وجهها هلكت . اهـ



أَخْلَافِهِمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى تَحْمِلِ الْأَثْقَالِ التَّوَجُّودِ ذَلِكَ لِلْإِبِلِ  
وَتَنَشَأُ أَمْعَاؤُهُمْ أَيْضاً عَلَى نِسْبَةِ أَمْعَاءِ الْإِبِلِ فِي الصِّحَّةِ وَالْخِلَظِ فَلَا يَبَارِقُهَا الْوَهْنُ وَلَا  
يَنَالُهَا مِنْ مَدَارِ الْأَغْذِيَةِ مَا يَنَالُ غَيْرُهُمْ فَيَشْرَبُونَ الْيَتُونَاتِ لِاسْتِطْلَاقِ بُطُونِهِمْ غَيْرِ  
مَحْجُوبَةٍ كَالْخِظْلِ قَبْلَ طَبِخِهَا وَالْدَّرِيَّاسِ وَالْقَرَبِيِّونَ وَلَا أَمْعَاؤُهُمْ مِنْهَا ضَرَرٌ وَهِيَ لَوْ  
تَنَاولَهَا أَهْلُ الْخَضِرِ الرَّقِيقَةُ أَمْعَاؤُهُمْ بِمَا نَشَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ كَلِيفِ الْأَغْذِيَةِ لَكَانَ الْمَلَكُ  
أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرَفَةِ الْعَيْنِ لِمَا فِيهَا مِنَ السِّمَةِ وَمِنْ تَأْتِيرِ الْأَغْذِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ مَا  
ذَكَرَهُ أَهْلُ الْفَلَاحَةِ وَشَاهَدَهُ أَهْلُ التَّجَرِبَةِ أَنَّ الدَّجَاجَ إِذَا غُذِيَتْ بِالْحُبُوبِ الْمَطْبُوخَةِ  
فِي بَعْرِ الْإِبِلِ وَاتَّخَذَ بَيْضُهَا ثُمَّ حَضَنْتَ عَلَيْهِ جَاءَ الدَّجَاجُ مِنْهَا أَكْثَرُ مَا يَكُونُ وَقَدْ  
يَسْتَعُونُ عَنْ تَغْذِيَّتِهَا وَطَبَخِ الْحُبُوبِ بِطَرَحِ ذَلِكَ الْبَعْرِ مَعَ الْبَيْضِ الْمُحَضَّنِ فَيَجِيءُ  
دَجَاجُهَا فِي غَايَةِ الْعِظَمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَإِذَا رَأَيْنَا هَذِهِ الْأَثَرَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ فِي  
الْأَبْدَانِ فَلَا شَكَّ أَنَّ لِلْجُوعِ أَيْضاً آثَرًا فِي الْأَبْدَانِ لِأَنَّ الضَّدْتَيْنِ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي  
التَّأْتِيرِ وَعَدَمِهِ فَيَكُونُ تَأْتِيرُ الْجُوعِ فِي نَقَاءِ الْأَبْدَانِ مِنَ الزِّيَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالرُّطُوبَاتِ  
الْمُخْتَلِطَةِ الْمُخَلَّةِ بِالْجَنَمِ وَالْعَقْلِ كَمَا كَانَ الْغِذَاءُ مُؤَثَّرًا فِي وَجُودِ ذَلِكَ الْجَنَمِ  
وَاللَّهُ مُعِيطٌ بِعِلْمِهِ

### المقدمة السادسة

في اصناف المدركين من البشر بالفطرة او الرياضة

ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا

إِنَّمَا أَنْ لَلَّهِ سُبْحَانَهُ أَصْطَفَى مِنَ الْبَشَرِ أَشْخَاصًا فَضَّلَهُمْ بِخَطِّهِ وَفَطَّرَهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ  
وَجَعَلَهُمْ وَسَائِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يُعَرِّفُونَهُمْ بِصَالِحِهِمْ وَيُخَرِّضُونَهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ  
وَيَأْخُذُونَ بِحُجْرَانِهِمْ عَنِ النَّارِ وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَكَانَ فِيهَا يُلْتَمِزُ إِلَيْهِمْ مِنَ  
الْمَعَارِفِ وَيُظْهِرُهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْأَخْبَارِ الْكَائِنَاتِ الْمُغَيَّبَةِ عَنِ الْبَشَرِ  
إِلَّا لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنْ أَفْهَامِ بَوَاسِطَتِهِمْ وَلَا يَعْلَمُونَهَا إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ خَبْرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ  
خَاصِيَّتِهِ وَضُرُورَتِهِ الصِّدْقُ لِمَا يَتَّبِعُكَ عِنْدَ بَيَانِ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَعَلَامَةُ هَذَا الصِّنْفِ

مِنْ الْبَشَرِ أَنْ تُوجَدَ لَهُمْ فِي حَالِ الْوَحْيِ غَيْبَةٌ عَنْ الْخَاضِرِينَ مِنْهُمْ مَعَ غَطَاطٍ كَانَتْهَا  
 غُشْيٌ أَوْ إِيْظَامٌ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَآيَسَتْ مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِغْرَاقٌ  
 فِي لِقَاءِ الْمَلِكِ الرَّوْحَانِيِّ بِأَدْرَاكِهِمُ الْمُنَاسِبِ لَهُمْ الْخَارِجِ عَنْ مَدَارِكِ الْبَشَرِ بِالْكُلِّيَّةِ  
 ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ إِمَّا بِسَمَاعِ دَوِيِّ مِنَ الْكَلَامِ فَيَتَفَهَّمُهُ أَوْ بِتَمَثُّلٍ لَهُ  
 صُورَةً شَخْصٍ يُخَاطَبُهُ بِأَجَاءٍ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَنْجَلِي عَنْهُ تِلْكَ الْحَالُ وَقَدْ وَعَى مَا  
 الْتَقَى إِلَيْهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْوَحْيِ أَحْيَانًا يَأْتِيَنِي مِثْلَ صَلَافَةِ  
 الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا  
 فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ وَيَذَرِكُهُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِدَّةِ وَالْعَطْرِ مَا لَا يُعْبَدُ عَنْهُ فَنُفِي  
 الْحَدِيثِ كَانَ إِذَا يُعَالَجُ مِنَ التَّزْيِيلِ شِدَّةً وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جِئَتْهُ لِيَتَقَصَّدَ عَرَفًا وَقَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
 وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ فِي تَنْزِيلِ الْوَحْيِ كَانَ الْمُسْبِرُ كُونَ يَرْمُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْجُنُونِ وَيَقُولُونَ  
 لَهُ رَبِّي أَوْ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ بِأَشْهَادٍ مِنْ ظَاهِرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَمَنْ  
 يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمِنْ عَلَامَاتِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُ يُوجَدُ لَهُمْ قَبْلَ الْوَحْيِ خُلُقٌ اخْتِصَرَّ  
 وَالرَّكَاةَ وَمُجَانِبَةً التَّذْمُومَاتِ وَالْوَرَجِسَ أَجْمَعَ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعِصَّةِ وَكَأَنَّهُ مَقْطُورٌ  
 عَلَى التَّزْدَةِ عَنِ التَّذْمُومَاتِ وَالْمُنَافَرَةِ لَهَا وَكَأَنَّهُا مُنَافِيَةٌ لِحَلَّتِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ حَمَلَ  
 الْحَبَارَةَ وَهُوَ غَلَامٌ مَعَ نَمِّهِ الْعَبَّاسِ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَجَعَلَهَا فِي إِزَارِهِ فَأَنْكَشَفَ فَسَقَطَ  
 مَغْشِيًا عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَعَرَّ بِإِزَارِهِ وَدُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعٍ وَلَيْمَةٍ فِيهَا عُرْسٌ وَلَعِبٌ فَأَصَابَهُ  
 غُشْيٌ النَّوْمِ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يُخْضِرْ شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِمْ بَلْ نَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ حَتَّى إِذْهُ بِجَبَلَتِهِ يَتَذَرُهُ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ الْمُشْكِرَةِ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ لَا يَقْرُبُ الْبَصَلَ وَالْثُومَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أَنَا جِي مِنْ لَا تُتَاجُونَ وَأَنْظُرْ  
 لِمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحَالِ الْوَحْيِ أَوَّلَ مَا وَجَّأَتْهُ  
 وَأَرَادَتْ اخْتِبَارَهُ فَقَالَتْ أَجْلِنِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ ثَوْبِكَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ فَقَالَتْ  
 إِنَّهُ مَلَكٌ وَآيَسَ بِشَيْطَانٍ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ وَكَذَلِكَ سَأَلَتْهُ عَنْ أَحَبِّ الثِّيَابِ  
 إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهَا فَقَالَ الْبَيَاضُ وَالْخَضِرَةُ فَقَالَتْ إِنَّهُ الْمَلَكُ يَعْنِي أَنَّ الْبَيَاضَ وَالْخَضِرَةَ  
 مِنْ أَلْوَانِ الْخَيْرِ وَالْمَلَانِكَةِ وَالسَّوَادُ مِنَ أَلْوَانِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأَمثالُ ذَلِكَ .



وَمِنْ عِلَامَاتِهِمْ أَيْضاً دُعَاؤُهُمْ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَنَافِ وَقَدْ  
 اسْتَدَلَّتْ خَدِيجَةُ عَلَى صَدَقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَحْتَاجَا فِي  
 أَمْرِهِ إِلَى دَلِيلٍ خَارِجٍ عَنْ حَالِهِ وَخُلُقِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَحْضَرَ مَنْ وَجَدَ يَبْلُغُهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ  
 أَبُو سَفْيَانَ إِسْأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَ أَنْ قَالَ يَمُورُكُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ  
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعَنَافِ إِلَى آخِرِ مَا سَأَلَ فَأَجَابَهُ فَقَالَ إِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ  
 حَقًّا فَهَرَقْلُ نَبِيٌّ وَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَالْعَنَافُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هِرَقْلُ <sup>(١)</sup> هُوَ الْبَصَّةُ  
 فَانْظُرْ كَيْفَ أَخَذَ مِنَ الْبَصَّةِ وَالْدُّعَاءِ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَلَمْ  
 يَحْتَجْ إِلَى مُعْجَزَةٍ فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ . وَمِنْ عِلَامَاتِهِمْ أَيْضاً أَنْ يَكُونُوا  
 ذَوِي حَسَبٍ فِي قَوْمِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَفِي رِوَايَةٍ  
 أُخْرَى فِي تَرَوُّةٍ مِنْ قَوْمِهِ اسْتَدْرَكَهُ أَمَّا كَيْفَ عَلَى الصَّحِيحِينَ وَفِي مَسْئَلَةِ هِرَقْلَ لِأَبِي  
 سَفْيَانَ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيحِ قَالَ كَيْفَ هُوَ فِيكُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ فَقَالَ  
 هِرَقْلُ وَالرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا وَمَعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِمَّةٌ وَشُرَكَةٌ يَتَّبَعُهُ  
 عَنْ أَذَى الْكُفَّارِ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيُتِمَّ مُرَادَ اللَّهِ مِنْ إِكْمَالِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ . وَمِنْ  
 عِلَامَاتِهِمْ أَيْضاً وَقُوعُ الْخَوَارِقِ لَهُمْ شَاهِدَةٌ بِصِدْقِهِمْ وَهِيَ أَفْعَالُ بَعْضِ الْبَشَرِ عَنْ مِثْلِهَا  
 فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مُعْجَزَةً وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِ الْعِبَادِ وَإِنَّمَا تَقَعُ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ قُدْرَتِهِمْ  
 وَلِلنَّاسِ فِي كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا وَدِلَالَتِهَا عَلَى تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ خِلَافٌ فَالْمُتَكَلِّمُونَ بِنَاءً عَلَى  
 الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ نَائِلُونَ بِأَنَّهَا وَاقِعَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا بِفِعْلِ النَّبِيِّ وَإِنْ كَانَتْ أَفْعَالُ  
 الْعِبَادِ عِنْدَ الْمُعْتَرِثَةِ صَادِرَةً عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّ الْمُعْجَزَةَ لَا تَكُونُ مِنْ جِنْسِ أَفْعَالِهِمْ وَلَيْسَ  
 لِلنَّبِيِّ فِيهَا عِنْدَ سَائِرِ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا التَّحْدِي بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا  
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَقُوعِهَا عَلَى صَدَقِهِ فِي مُدْعَاهُ فَإِذَا وَقَعَتْ تَنَزَّلَتْ مَثَلَةُ الْقَوْلِ  
 النَّصْرِيحِ مِنْ اللَّهِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ وَتَكُونُ دِلَالَتُهَا حَيْثُ دَلَّ عَلَى الصِّدْقِ قَطْعِيَّةً فَالْمُعْجَزَةُ الدَّالَّةُ  
 بِمُجْمُوعِ الْخَارِقِ وَالتَّحْدِي وَلِذَلِكَ كَانَ التَّحْدِي جُزْأً مِنْهَا وَعِبَارَةً الْمُتَكَلِّمِينَ صِفَةً  
 نَفْسِهَا وَهُوَ وَاحِدٌ لِأَنَّهُ مَعْنَى الدَّائِي عَنْدهُمْ وَالتَّحْدِي هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكَرَامَةِ

(١) قوله الذي اشار اليه هرقل الظاهر ابو سفيان

وَالسِّحْرُ إِذْ لَا حَاجَةَ فِيهِمَا إِلَى التَّصْدِيقِ فَلَا وَجُودَ لِلتَّحْدِي إِلَّا إِنْ وَجِدَ اتِّفَاقًا وَإِنْ  
وَقَعَ التَّحْدِي فِي الْكَرَامَةِ عِنْدَ مَنْ يُجِدُّهَا وَكَانَتْ لَهَا دَلَالَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْوِلَايَةِ وَهِيَ  
غَيْرُ انْتِبُوَةٍ وَمِنْ هُنَا مَنَعَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَقُوعَ الْخَوَارِقِ كَرَامَةٍ فِرَارًا مِنْ  
الْإِلْتِبَاسِ بِالنُّبُوَةِ عِنْدَ التَّحْدِي بِالْوِلَايَةِ وَقَدْ أَرَيْنَاكَ الْمُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّهُ يَتَّحِدِي  
بِغَيْرِ مَا يَتَّحِدِي بِهِ النَّبِيُّ فَلَا لَبْسَ عَلَى أَنَّ النُّقْلَ عَنِ الْأُسْتَاذِ فِي ذَلِكَ لَيْسَ صَرِيحًا  
وَرَبَّمَا حَتَلَ عَلَى انْكَارِهِ لِأَنَّهُ تَقَعُ خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ بِنَاءً عَلَى اخْتِصَاصِ كُلِّ مَنْ  
الْقَرِيبَيْنِ بِخَوَارِقِهِ . وَأَمَّا الْمُنْعَزَلَةُ فَالْمَنَاعُ مِنْ وَقُوعِ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْخَوَارِقَ  
لَيْسَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَفْعَالُهُمْ مُعْتَادَةٌ فَلَا فَرْقَ وَأَمَّا وَقُوعُهَا عَلَى يَدِ الْكَاذِبِ تَلْيِيسًا  
فَهُوَ مُحَالٌ أَمَّا عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ فَلِأَنَّ صِفَةَ نَفْسِ الْمُعْجِزَةِ التَّصْدِيقُ وَالْهُدَايَةُ فَلَوْ وَقَعَتْ  
بِخِلَافِ ذَلِكَ انْقَلَبَ الدَّلِيلُ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً وَالتَّصْدِيقُ كَذِبًا وَاسْتَحَالَتْ الْحَقَائِقُ  
وَانْقَلَبَتْ صِفَاتُ النَّفْسِ وَمَا يَلْزَمُ مِنْ قَرْضِ وَقُوعِ الْمُحَالِ لَا يَكُونُ مُمَكِّنًا وَأَمَّا عِنْدَ  
لِْمُنْعَزَلَةِ فَلِأَنَّ وَقُوعَ الدَّلِيلِ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً فَيَحْتَاجُ فَلَا يَقَعُ مِنْ اللَّهِ . وَأَمَّا الْحُكَمَاءُ  
فَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ وَتَوَكَّنَ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْقُدْرَةِ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي  
الْإِيجَابِ الدَّائِي وَقُوعُ الْخَوَارِقِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُتَوَقَّفٌ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالشَّرُوطِ  
الْعَادِيَةِ مُسْتَنِدَةٌ أَخِيرًا إِلَى الْوَاجِبِ الْفَاعِلِ بِالذَّاتِ لَا بِالِاخْتِيَارِ وَإِنَّ النَّفْسَ النَّبَوِيَّةَ  
عِنْدَهُمْ لَهَا خَوَاصُّ ذَاتِيَّةٌ مِنْهَا صُدُورُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ بِقُدْرَتِهِ وَطَاعَةِ الْعَنَاصِرِ لَهُ فِي التَّكْوِينِ  
وَالنَّبِيُّ عِنْدَهُمْ مَجْبُولٌ عَلَى التَّضَرُّفِ فِي الْأَكْوَانِ مَهْمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَاسْتَجْمَعَ لَهَا بِمَا جَعَلَ  
لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ يَقَعُ لِلنَّبِيِّ سِوَاهُ كَانَ لِلتَّحْدِي أَمْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ شَاهِدٌ  
بِصِدْقِهِ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهُ عَلَى تَصَرُّفِ النَّبِيِّ فِي الْأَكْوَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ  
النَّبَوِيَّةِ لَا بِأَنَّهُ يَنْتَزِلُ مَتَزِلَةً الْقَوْلِ الصَّرِيحِ بِالتَّصْدِيقِ فَلِذَلِكَ لَا تَكُونُ دَلَالَتُهَا عِنْدَهُمْ  
قَطْعِيَّةً كَمَا هِيَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا يَكُونُ التَّحْدِي جَزْأً مِنَ الْمُعْجِزَةِ وَلَمْ يَصِحَّ  
فَارِقًا لَهَا عَنِ السِّحْرِ وَالْكَرَامَةِ وَفَارِقُهَا عِنْدَهُمْ عَنِ السِّحْرِ أَنَّ النَّبِيَّ مَجْبُولٌ عَلَى أَفْعَالِ  
الْخَيْرِ مَضْرُوفٌ عَنْ أَفْعَالِ الشَّرِّ فَلَا يُلِمُّ الشَّرُّ بِخَوَارِقِهِ وَالسَّاحِرُ عَلَى الضِّدِّ فَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا  
شَرٌّ وَفِي مَقَاصِدِ الشَّرِّ وَفَارِقُهَا عَنِ الْكَرَامَةِ أَنَّ خَوَارِقَ النَّبِيِّ مَخْصُوصَةٌ كَالْمُؤَدِّ إِلَى  
السَّمَاءِ وَالتَّقْوُودِ فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيَّةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَتَكْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ وَالطَّيْرَانِ



في الهواء وخوارق الولي دون ذلك ككثير القليل والحديث عن بعض المستحيل  
وأمثاله مما هو قاصر عن تضريف الأنبياء ويأتي النبي بجميع خوارقه ولا يقدر هو  
على مثل خوارق الأنبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقتهم ولقوه عن  
أخبارهم وإذا تقرر ذلك فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن  
الكريم المثل على نبي محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخوارق في الغالب تقع  
منايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه  
الوحي المدعى وهو الخارق المعجز شاهدة في عينه ولا يفتقر إلى دليل منايرة  
كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والتدلول فيه وهذا  
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتي من الآيات ما مثله  
آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى إلي فأنا أرجو أن أكون أكثرهم  
قابلاً يوم القيامة يُشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة  
الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصديق لها أكثر لوضوحها فكثرة المصدق  
المؤمن وهو التابع والأمة

ولندكر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شان العرافين

وغير ذلك من من مدارك الغيب فنقول

اعلم . أرشدنا الله وإياك أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة  
من الترتيب والإحكام وربط الأسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان  
واسخالة بعض الموجودات إلى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وأبدأ  
من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني وأولاً عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً  
من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض وكل واحد منها  
مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الأوقات والصاعد  
منها اللف من قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهو اللف من الكل على  
طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط وبه

يَهْتَدِي بَعْضُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا وَأَوْضَاعِهَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وُجُودِ الذَّوَاتِ الَّتِي لَهَا  
هَذِهِ الْأَثَارُ فِيهَا ثُمَّ انْظُرْ إِلَى عَالَمِ التَّكْوِينِ كَيْفَ ابْتَدَأَ مِنَ الْمَعَادِنِ ثُمَّ النَّبَاتِ ثُمَّ  
الْحَيَوَانَ عَلَى هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ مِنَ التَّدْرِيجِ آخِرُ أَفْقِ الْمَعَادِنِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلُ  
الْحَشَائِشِ وَمَا لَا بَذَرَ لَهُ وَآخِرُ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلُ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ  
الْحَيَوَانَ مِثْلُ الْخَزُونِ وَالصَّدَفِ وَلَمْ يُوْجَدْ لِهَئِمَّا إِلَّا قُوَّةُ اللَّسِّ فَقَطْ وَمَعْنَى الْإِتِّصَالِ  
فِي هَذِهِ الْمَكُونَاتِ أَنَّ آخِرَ أَفْقٍ مِنْهَا مُسْتَعِدٌّ بِالِاسْتِعْدَادِ الذَّرِيبِ لِأَنْ يَصِيرَ أَوَّلُ  
أَفْقٍ الَّذِي بَعْدَهُ وَاتَّسَعَ عَالَمُ الْحَيَوَانَ وَتَعَدَّدَتْ أَنْوَاعُهُ وَأَنْتَهَى فِي تَدْرِيجِ التَّكْوِينِ  
إِلَى الْإِنْسَانِ صَاحِبِ الْفِكْرِ وَالرَّوْيَةِ تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمِ الْقُدْرَةِ الَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ الْحَسُّ  
وَالْإِدْرَاكُ وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَى الرَّوْيَةِ وَالْفِكْرِ بِالْفِعْلِ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ أَفْقٍ مِنَ الْإِنْسَانِ  
بَعْدَهُ وَهَذَا غَايَةُ شُهُودِنَا ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ فِي الْعَوَالِمِ عَلَى اخْتِلَافِهَا آثَارًا مُتَّوَعَةً فِي عَالَمِ الْحَسِّ  
آثَارٌ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاقِ وَالْعَنَاصِرِ وَفِي عَالَمِ التَّكْوِينِ آثَارٌ مِنْ حَرَكَةِ النُّجُومِ وَالْإِدْرَاكِ  
تَشْهَدُ كُلُّهَا بِأَنَّ لَهَا مُؤَثَّرًا مُبَايِنًا لِلْأَجْسَامِ فَهُوَ رُوحَانِيٌّ وَيَتَّصِلُ بِالْمَكُونَاتِ لَوْجُودِ  
إِتِّصَالِ هَذَا الْعَالَمِ فِي وُجُودِهَا وَلِذَلِكَ هُوَ النَّفْسُ الْمُدْرِكَةُ وَالْمَحْرَكَةُ وَلَا بُدَّ فَوْقَهَا مِنْ  
وُجُودِ آخَرٍ يُعْطِيهَا قُوَّةَ الْإِدْرَاكِ وَالْحَرَكَةِ وَيَتَّصِلُ بِهَا أَيْضًا وَيَكُونُ ذَاتَهُ إِدْرَاكًا  
عَرَفًا وَتَعَقُّلًا مَحْضًا وَهُوَ عَالَمُ الْمَلَائِكَةِ فَوَجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ اسْتِعْدَادٌ  
لِلْإِنْسِلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ لِيَصِيرَ بِالْفِعْلِ مِنْ جِلْسِ الْمَلَائِكَةِ وَقْتًا مِنْ  
الْأَوْقَاتِ فِي لَمَحَةٍ مِنَ اللَّمَحَاتِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَكْمُلَ ذَاتُهَا الرُّوحَانِيَّةُ بِالْفِعْلِ كَمَا  
نَذَكَّرُهُ بَعْدُ وَيَكُونُ لَهَا إِتِّصَالٌ بِالْأَفْقِ الَّذِي بَعْدَهَا شَأْنُ الْمَوْجُودَاتِ الْمُرْتَبَةِ كَمَا  
قَدَّمَناه فَلَهَا فِي الْإِتِّصَالِ جِهَتَا الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَدَنِ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهَا وَتَكْتَسِبُ  
بِهِ الْمَدَارِكَ الْحَسِّيَّةَ الَّتِي تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْحُصُولِ عَلَى التَّعَقُّلِ بِالْفِعْلِ وَتُتَّصِلُ مِنْ جِهَةِ الْأَعْلَى  
مِنْهَا بِأَفْقِ الْمَلَائِكَةِ وَتَكْتَسِبُ بِهِ الْمَدَارِكَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْغَيْبِيَّةَ فَإِنَّ عَالَمَ الْخَوَاطِثِ  
مَوْجُودٌ فِي تَعَقُّلاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَهَذَا عَلَى مَا قَدَّمَناه مِنَ التَّرْتِيبِ الْمُحْكَمِ فِي الْوُجُودِ  
بِإِتِّصَالِ ذَوَاتِهِ وَقُوَّاهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ غَائِبَةً عَنِ الْعِيَانِ  
وَأَثَارُهَا ظَاهِرَةٌ فِي الْبَدَنِ فَكَأَنَّهُ وَجِيعُ أَجْزَائِهِ مُجْتَمِعَةٌ وَمُفَرِّقَةٌ آلَاتٌ لِلنَّفْسِ وَلِقَوَاهَا  
أَمَّا الْفَاعِلِيَّةُ فَالْبَطْشُ بِالْيَدِ وَالْمَشْيُ بِالرَّجْلِ وَالْكَلَامُ بِاللِّسَانِ وَالْحَرَكَةُ الْكُلِّيَّةُ



بِالْبَدَنِ مُتَدَافِعًا وَأَمَّا الْمُدْرِكَةُ وَإِنْ كَانَتْ قُوَى الْإِدْرَاكِ مُرْتَبَةً وَمُرْتَبَةً إِلَى الْقُوَّةِ  
 الْعُلْيَا مِنْهَا وَمِنْ الْمَفْكِرَةِ الَّتِي يُعْبَرُ عَنْهَا بِالنَّاطِقِيَّةِ فَقُوَى الْحِسِّ الظَّاهِرَةِ بِآلَاتِهِ مِنْ  
 السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرُهَا يَوْتَقِي إِلَى الْبَاطِنِ وَأَوَّلُهُ الْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ وَهُوَ قُوَّةٌ تُدْرِكُ  
 الْمُحْسُوسَاتِ مُبْصِرَةً وَمَسْمُوعَةً وَمَلْمُوسَةً وَغَيْرَهَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِذَلِكَ فَارَقَتْ قُوَّةُ  
 الْحِسِّ الظَّاهِرِ لِأَنَّ الْمُحْسُوسَاتِ لَا تَرْدَحِمُ عَلَيْهَا فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يُؤَدِّيهِ الْحِسُّ  
 الْمُشْتَرِكُ إِلَى الْخَيَالِ وَهِيَ قُوَّةٌ تُمَثِّلُ الشَّيْءَ الْمُحْسُوسَ فِي النَّفْسِ كَمَا هُوَ مُجَرَّدٌ عَنْ  
 الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ فَقَطْ وَآلَةُ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ فِي تَضَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْأَوَّلُ مِنَ الدِّمَاغِ  
 مَقْدَمُهُ الْأَوَّلَى وَمُؤَخَّرُهُ الثَّانِيَّةُ ثُمَّ يَوْتَقِي الْخَيَالُ إِلَى الْوَاهِمَةِ وَالْحَافِظَةِ فَالْوَاهِمَةُ لِإِدْرَاكِ  
 الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالشَّخْصِيَّاتِ كَعَدَاوَةٍ زَيْدٍ وَصَدَاقَةٍ عَمْرٍو وَرَحْمَةِ الْأَبِ وَأَقْدَاسِ  
 الذَّنْبِ وَالْحَافِظَةُ لِإِيْدَاعِ الْمُنْدَكَّاتِ كُلِّهَا مُتَحِيلَةً وَهِيَ لَهَا كَالْخُرَاقَةُ تَحْفَظُهَا لِوَقْتِ  
 الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَآلَةُ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ فِي تَضَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْمُؤَخَّرُ مِنَ الدِّمَاغِ أَوَّلُهُ لِلأَوَّلَى  
 وَمُؤَخَّرُهُ لِلْآخَرَى ثُمَّ تَرْتَقِي جَمِيعُهُمَا إِلَى قُوَّةِ الْفِكْرِ وَآلَتُهُ الْبَطْنُ الْأَوْسَطُ مِنَ الدِّمَاغِ وَهِيَ الْقُوَّةُ  
 الَّتِي يَقَعُ بِهَا حَرَكَةُ الرُّوْيَةِ وَالتَّوَجُّهُ نَحْوَ التَّعَلُّلِ فَتُحَرِّكُ النَّفْسُ بِهَا دَائِمًا لِمَا رُكِبَ فِيهَا  
 مِنَ الدُّوَعِ لِلتَّحَلُّصِ مِنْ دَرَكِ الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ الَّذِي لِلْبَشَرِيَّةِ وَتَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ  
 فِي تَعَقُّلِهَا مُتَشَبِّهَةً بِالْمَلَكِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ وَتَصِيرُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الرُّوحَانِيَّاتِ فِي  
 إِدْرَاكِهَا بِغَيْرِ آلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِيهِ مُتَحَرِّكَةً دَائِمًا وَمُتَوَجِّهَةً نَحْوَ ذَلِكَ وَقَدْ تَنَسَّلَخَ  
 بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَكِيَّةِ مِنَ الْأَفَقِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ اكْتِسَابِ  
 بَلْ يَأْتِي جَلَّ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْجَلِيلَةِ وَالْفُطْرَةِ الْأَوَّلَى فِي ذَلِكَ وَالنُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ  
 أَنْصَافٍ صَنَفٍ عَاجِزٍ بِالطَّبْعِ عَنْ الْوُصُولِ فَيَنْقَطِعُ بِالْحَرَكَةِ إِلَى الْجَهَةِ السُّفْلَى نَحْوَ  
 الْمُدَارِكِ الْحِسِّيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ وَتَرْكِيْبِ الْمَعَانِي مِنَ الْحَافِظَةِ وَالْوَاهِمَةِ عَلَى قَوَائِنِ مَحْصُورَةٍ  
 وَتَرْتِيبِ خَاصٍ يَسْتَفِيدُونَ بِهِ الْعُلُومَ التَّصَوُّرِيَّةَ وَالتَّصْدِيقِيَّةَ الَّتِي لِلْفِكْرِ فِي الْبَدَنِ وَكُلِّهَا  
 خَيَالِيٌّ مُنْخَصَرٌّ نِطَاقُهُ إِذْ هُوَ مِنْ جِهَةٍ مَبْدَإِهِ يَنْتَهِي إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَلَا يَتَجَاوِزُهَا وَإِنْ  
 فَسَدَ فَسَدَ مَا بَعْدَهَا وَهَذَا هُوَ فِي الْأَغْلَبِ نِطَاقُ الْإِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي  
 مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ وَفِيهِ تَرَسُّخُ أَقْدَامِهِمْ وَصَنَفٌ مُتَوَجِّهٌ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ نَحْوَ الْعِلِّ  
 بِالرُّوحَانِيِّ وَالْإِدْرَاكِ الَّذِي لَا يَفْتَتِرُ إِلَى آلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ بَلْ يُجِلُّ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ

لَذَلِكَ فَيَتَسَّعُ نِطَاقُ إِدْرَاكِهِ عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي هِيَ نِطَاقُ الْإِدْرَاكِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ  
وَيَسْرَحُ فِي فِضَاءِ الْمَشَاهِدَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ وَهِيَ وَجْدَانٌ كُلُّهَا نِطَاقٌ لَهَا مِنْ مَبْدِئِهَا وَلَا مِنْ  
مُنْتَهَاهَا وَهَذِهِ مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ الْأَوَّلِيَاءِ أَهْلِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَرَفِ الرَّبَّانِيَّةِ وَهِيَ  
أَخْصَصَةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الْبَرَزَخِ وَصَنَفَ مَقْطُورٌ عَلَى الْإِنْسِلَاخِ مِنْ  
الْبَشَرِيَّةِ جُمْلَةً جِسْمَانِيَّتَيْهَا وَرُوحَانِيَّتَيْهَا إِلَى الثَّلَاثَةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى لِيَصِيرَ فِي لَمَحَةٍ  
مِنَ اللَّحَاحَاتِ مَلَكًا بِالْفِعْلِ وَيَحْضُلُ لَهُ شُهُودُ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى فِي أَفْقِهِمْ وَسَمَاعِ الْكَلَامِ  
الْتَفْسَانِيِّ وَالْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ فِي تِلْكَ اللَّحَاحَةِ وَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ  
جَلَّ اللَّهُ لَهُمُ الْإِنْسِلَاخُ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ فِي تِلْكَ اللَّحَاحَةِ وَهِيَ حَالَةُ الْوَحْيِ فِطْرَةٌ فَطَرَهُمُ اللَّهُ  
عَلَيْهَا وَجَبَلَهُ صَوَرَهُمْ فِيهَا وَتَرَاهُمْ عَنْ مَوَانِعِ الْبَدَنِ وَعَوَانِقِهِ مَا دَامُوا مُلَابِسِينَ لَهَا بِالْبَشَرِيَّةِ  
بَارُكَبَ فِي غَوَايِرِهِمْ مِنْ الْقَصْدِ وَالْإِسْتِقَامَةِ الَّتِي يُخَازِنُونَ بِهَا تِلْكَ الْوُجْهَةَ وَرُكُزَ فِي  
طَبَائِعِهِمْ رَغْبَةً فِي الْعِبَادَةِ تُكْشِفُ بِتِلْكَ الْوُجْهَةِ وَتُسَيِّغُ نَحْوَهَا فَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى ذَلِكَ  
الْأَفْقِ بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْإِنْسِلَاخِ مَتَى شَاءُوا بِتِلْكَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا بِأَكْتِسَابٍ  
وَلَا صِنَاعَةٍ فَلِذَا تَوَجَّهُوا وَانْسَلَخُوا عَنْ بَشَرِيَّتِهِمْ وَتَلَقَّوْا فِي ذَلِكَ الْمَلَكِ الْأَعْلَى مَا يَتَلَقَّوْنَهُ  
عَاجِبًا بِهِ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ مُتَذَلِّفًا فِي قَوَاهَا لِحِكْمَةِ التَّبَايُغِ لِلْعِبَادِ فَتَارَةً يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ ذَوِيًا  
كَأَنَّهُ رَمَزٌ مِنَ الْكَلَامِ يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَعْنَى الَّذِي أُلْقِيَ إِلَيْهِ فَلَا يَنْقُضِي الدَّوِيَّ إِلَّا وَقَدْ  
وَعَاهُ وَفَهَّمَهُ وَتَارَةً يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُلْقِي إِلَيْهِ رَجُلًا فَيُكَلِّمُهُ وَيَمِيزُ مَا يَقُولُ  
وَالْتَلْقِي مِنَ الْمَلِكِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ وَفَهَّمَهُ مَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ كَلَامٌ كَأَنَّهُ فِي  
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَحْظِ الْبَصَرِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي زَمَانٍ بَلْ كُلُّهَا تَقَعُ جَمِيعًا فَيُظْهِرُ  
كَأَنَّهُا سَرِيعَةٌ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ وَحْيًا لِأَنَّ الْوَحْيَ فِي اللَّحْظَةِ الْإِسْرَاعُ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَوَّلَى وَهِيَ  
حَالَةُ الدَّوِيَّ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَا حَقَّقُوهُ وَالثَّانِيَّةُ وَهِيَ حَالَةُ تُمَثُّلِ  
الْمَلَكِ رَجُلًا يُخَاطَبُ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْمَلَ مِنَ الْأَوَّلَى وَهَذَا  
مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي قَسَرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ لَنَا سَأَلَهُ الْخَارِثُ بْنُ  
هَشَامٍ وَنَالَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاطَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ  
عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ  
وَإِنَّمَا كَانَتْ الْأَوَّلَى أَشَدَّ لِأَنِّيَا مَبْدَأُ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ



فَيُفَسِّرُ بَعْضَ الْعُمَرِ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَاجَ فَيَا عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ اخْتَصَّتْ بِالسَّمْعِ وَصَعِبَ  
مَا سِوَاهُ وَعِنْدَ مَا يَتَكَرَّرُ الْوَحْيُ وَيَكْثُرُ التَّلَاقِي يَسْهُلُ ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَعِنْدَ مَا يُعْرَجُ  
إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِهَا وَخُصُوصًا الْأَوْضَحِ مِنْهَا وَهُوَ إِدْرَاكُ الْبَصَرِ وَفِي  
الْعِبَارَةِ عَنِ الْوَعْيِ فِي الْأَوَّلَى بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَفِي الثَّانِيَةِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لَطِيفَةٌ مِنْ  
الْبَلَاغَةِ وَهِيَ أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ مَجِيءَ التَّشْيِيلِ خَالِي الْوَحْيِ فَمَثَلُ أَحَالَةِ الْأَوَّلَى  
بِالدَّوَرِ الَّذِي هُوَ فِي الْمُتَعَارِفِ غَيْرُ كَلَامٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْفَهْمَ وَالْوَعْيَ يَتَّبَعُهُ غَيْبٌ أَنْتِضَائِهِ  
فَنَاسَبَ عِنْدَ تَصْوِيرِ أَنْتِضَائِهِ وَأَنْتِضَالِهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْوَعْيِ بِالْمَاضِي الْمُنَاطِقِ لِلْإِنْتِضَاءِ  
وَالْإِنْتِطَاعِ وَمَثَلُ الْمَلَكِ فِي أَحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِرَجُلٍ يَخَاطَبُ وَيَتَكَلَّمُ وَالْكَلَامُ يُسَاوِفُهُ  
الْوَعْيُ فَنَاسَبَ الْعِبَارَةَ بِالْمُضَارِعِ الْمُقْتَضِي لِلتَّجَدُّدِ . وَاعْلَمْ أَنَّ فِي حَالَةِ الْوَحْيِ كُلِّهَا  
صُعُوبَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ وَشِدَّةٌ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ قَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ بِنَا يُعَانِي مِنَ التَّزْيِيلِ شِدَّةً وَقَالَتْ كَانَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَنَّتَهُ لَيَقْصِدُ عَرَفًا . وَلِذَلِكَ كَانَ يَحْدُثُ عَنْهُ فِي تِلْكَ  
أَحَالَةٍ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالنَّطِيطِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْيَ كَمَا قَرَرْنَا مُفَارَقَةً  
الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَدَارِكِ الْمَلَائِكِيَّةِ وَتَلْقَى كَلَامَ أَنْفُسٍ فَيَحْدُثُ عَنْهُ شِدَّةٌ مِنْ مُفَارَقَةِ  
الذَّاتِ ذَاتِهَا وَأَنْسِلَاحِهَا عَنْهَا مِنْ أَفْقَى إِلَى ذَلِكَ الْأَفْقِ الْآخِرِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْفَطْرِ الَّذِي  
عَبَّرَ بِهِ فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ فَقَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ أَقْرَأْ فَقُلْتُ  
مَا أَنَا بِقَارِئٍ وَكَذَا ثَانِيَةً وَثَلَاثَةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ يُفْضَى لِإِعْتْيَادِ بِاشْتِدَادِ فِيهِ  
شَيْئًا فَشِينًا إِلَى بَعْضِ السُّهُولَةِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ كَانَ تَنْزِيلُ نُجُومِ الْقُرْآنِ  
وَسُورِهِ وَآيِهِ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ أَقْصَرَ مِنْهَا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ وَأَنْظَرُ إِلَى مَا نُقِلَ فِي تَزْوِيلِ  
سُورَةٍ بَرَاءَةٍ فِي غُرُورَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهَا تُزِيلُ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ  
بَعْدَ أَنْ كَانَ بِمَكَّةَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ بَعْضُ السُّورَةِ مِنْ قِصَارِ الْفَصْلِ فِي وَقْتٍ وَيُنْزَلُ الْبَاقِي  
فِي حِينَ آخَرَ وَكَذَلِكَ كَانَ آخِرُ مَا نُزِّلَ بِالْمَدِينَةِ آيَةُ الدِّينِ وَهِيَ مَا هِيَ فِي الطُّولِ بَعْدَ  
أَنْ كَانَتْ آيَةُ تَنْزِيلِ بِمَكَّةَ مِثْلَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ وَالذَّارِيَاتِ وَالْمُدَّثِّرِ وَالضُّحَى  
وَالْفَلَقِ وَأَمْثَالِهَا وَاعْتَبَرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَامَةٌ تُعَيِّرُ بِهَا بَيْنَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدِينِيِّ مِنَ السُّورِ  
وَالْآيَاتِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ . هَذَا مُحْصَلُ أَمْرِ التَّبَوُّعِ وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فَهِيَ أَيْضَ

من خواص النفس الإنسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مر أن للنفس  
 الإنسانية استعداداً للإنسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من  
 ذلك لمحة للبشر في صنف الأنبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر أنه يحصل لهم من  
 غير اكتساب ولا استعانة بشيء من الممارك ولا من التصورات ولا من الأفعال  
 البدنية كلاماً أو حركة ولا بأمر من الأمور إنما هو إنسلاخ من البشرية إلى الملكية  
 بالقطرة في لحظة أقرب من لمح البصر وإذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد  
 موجوداً في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العظمي وإن هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً  
 عن رتبة الصنف الأول نقصان الضد عن ضده الكامل لأن عدم الاستعانة في ذلك  
 الإدراك ضد الاستعانة فيه وشأن ما بينهما فإذا أعطي تقسيم الوجود إلى هنا صنفاً  
 آخر من البشر منظوراً على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالإرادة  
 عندما يبعثها الذروع لذلك وهي ناقصة عنه بالجملة عندما يُورثها العجز عن ذلك تثبت  
 بأمر جزئية محسوسة أو متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع  
 الكلام وما سجع من طير أو حيوان فيستديم ذلك الإحساس أو التخيل مستعيناً به  
 في ذلك الإنسلاخ الذي يقصده ويكون كالشبح له وهذه القوة التي فيهم مبدأ  
 لذلك الإدراك هي الكهانة وليكون هذه النفوس مطورة على التقصير والقصور عن  
 الكمال كان إدراكها في الجزئيات أكثر من الكلّيات ولذلك تكون المخلقة فيهم  
 في غاية القوة لأنها آلة الجزئيات فتفقد فيها نفوذاً تاماً في نوم أو يقظة وتكون عندها  
 حاضرة عبدة تُحضرها المخلقة وتكون لها كالمرآة تنظر فيها دائماً ولا يقوى الكاهن  
 على الكمال في إدراك العقولات لأن وحيه من وحي الشيطان وأرفع أحوال  
 هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الخواص  
 ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيتهمس في قلبه عن تلك الحركة والذي  
 يشتمل من ذلك الأجنبي ما يثبته على لسانه فرجاً صدق ووافق الحق ورجاً كذب  
 لأنه يتم نقصه بأمر أجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له  
 الصدق والكذب جميعاً ولا يكون موثقاً به ورجاً يفرغ إلى الظنون والتخمينات  
 حرصاً على الظنر بالإدراك بزعمه وتوحيها على السائلين وأصحاب هذا السجع هم



الْمَخْصُوصُونَ بِأَسْمِ الْكُهَّانِ لِأَنَّهُمْ أَرْفَعُ سَائِرِ أَصْنَافِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فِي مِثْلِهِ هَذَا مِنْ سَجْعِ الْكُهَّانِ فَجَعَلَ السَّجْعَ مُخْتَصًّا بِهِمْ بِمُقْتَضَى الْإِضَافَةِ وَقَدْ قَالَ لِابْنِ  
صَيَّادٍ حِينَ سَأَلَهُ كَاشِفًا عَنْ حَالِهِ بِالْأَخْبَارِ كَيْفَ يَأْتِيكَ هَذَا الْأَمْرُ قَالَ يَأْتِيَنِي صَادِقًا  
وَكَاذِبًا فَقَالَ خَلَطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ يَعْنِي أَنَّ النَّبُوَّةَ خَاصَّتْهَا الصِّدْقُ فَلَا يَعْتَرِيهَا الْكَذِبُ  
بِحَالِ لَانَّهَا اتَّصَلَ مِنْ ذَاتِ النَّبِيِّ بِالْعِلَاءِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ مُشْتَبِعٍ وَلَا اسْتِغْنَاءٍ بِأَجْنَبِي  
وَالْكُهَّانَةُ لِأَنَّهَا أَحْتَاجَ صَاحِبِهَا بِسَبَبِ عَجْزِهِ إِلَى الْاسْتِغْنَاءِ بِالتَّصَوُّرَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَانَتْ  
دَاخِلَةً فِي إِدْرَاكِهِ وَالتَّبَسُّتِ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَصَارَ مُخْتَطِئًا بِهَا وَلَمْ يَرْفَعْ  
الْكَذِبُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَأَمْتَعَ أَنْ تَكُونَ نُبُوَّةً وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ أَرْفَعَ مَرَاتِبِ الْكُهَّانَةِ  
حَالَةُ السَّجْعِ لِأَنَّ مَعْنَى السَّجْعِ أَخْفُ مِنْ سَائِرِ الْمَعْنِيَاتِ مِنَ التَّرِيَّاتِ وَالتَّسْوُوعَاتِ  
وَتَدُلُّ نِجَّةُ الْمَعْنَى عَلَى قُرْبِ ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَالْبُعْدِ فِيهِ عَنِ الْعَجْزِ بَعْضُ  
الشَّيْءِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذِهِ الْكُهَّانَةُ قَدْ انْقَطَعَتْ مُنْذُ زَمَنِ النَّبُوَّةِ بِمَا وَقَعَ  
مِنْ شَأْنِ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهْبِ بَيْنَ يَدَيِ الْبَعْثَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِمَنْعِهِمْ مِنْ تَحْرِ  
السَّمَاءِ كَمَا وَقَعَ فِي التَّوْرَانِ وَالْكِتَابِ إِنَّمَا يَتَعَرَّفُونَ أَخْبَارَ السَّمَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَطَلَّتْ  
الْكُهَّانَةُ مِنْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَقُومُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ لِأَنَّ عُلُومَ الْكُهَّانِ كَمَا تَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ  
تَكُونُ مِنْ نُفُوسِهِمْ أَيْضًا كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَأَيْضًا فَالْآيَةُ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ  
نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِخَبَرِ الْبَعْثَةِ وَلَمْ يُنْعَمُوا بِمَا سِوَى ذَلِكَ وَأَيْضًا  
فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْإِتِّعَاطُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبُوَّةِ فَقَطْ وَلَعَلَّهَا عَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا كَانَتْ  
عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَدَارِكَ كُلَّهَا تَحْتَدُّ فِي زَمَنِ النَّبُوَّةِ كَمَا تَحْتَدُّ  
الْكَوَاكِبُ وَالشُّرُجُ عِنْدَ وُجُودِ الشَّمْسِ لِأَنَّ النَّبُوَّةَ هِيَ النُّورُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَحْتَضِي مَعَهُ  
كُلُّ نُورٍ وَيَذْهَبُ . وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا إِنَّمَا تُوجَدُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبُوَّةِ ثُمَّ تَنْقَطِعُ  
وَهَكَذَا كُلُّ نُبُوَّةٍ وَقَعَتْ لِأَنَّ وُجُودَ النَّبُوَّةِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وَضْعِ فَلَكَيٍّ يَقْتَضِيهِ وَفِي نَامِ  
ذَلِكَ الْوَضْعِ تَامُ بَلَكِ النَّبُوَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا وَنَقَصُ ذَلِكَ الْوَضْعِ عَنِ التَّامِّ يَقْتَضِي  
وُجُودَ طَبِيعَةٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَاقِصَةٌ وَهُوَ مَعْنَى الْكَاهِنِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ  
فَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ الْكَامِلُ يَقَعُ الْوَضْعُ النَّاقِصُ وَيَقْتَضِي وُجُودَ الْكَاهِنِ إِذَا  
وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ تَمَّ وُجُودُ النَّبِيِّ بِكَمَالِهِ وَانْقَضَتْ الْأَوْجَاعُ

الدَّالَّةُ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فَلَا يُوجَدُ مِنْهَا شَيْءٌ يَبْغُذُ وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْوَضْعِ  
الْفَلَكِيِّ يَقْتَضِي بَعْضَ أَثَرِهِ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلَّمٍ فَلَعَلَّ الْوَضْعَ إِنَّمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ الْأَثَرَ بِهَيْئَتِهِ  
الْخَالِصَةِ وَلَوْ نَقَصَ بَعْضُ أَجْزَائِهَا فَلَا يَقْتَضِي شَيْئاً لِأَنَّهُ يَقْتَضِي ذَلِكَ الْأَثَرَ نَاقِصاً كَمَا  
قَالُوهُ ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُهَّانَ إِذَا عَاصَرُوا زَمَنَ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُمْ عَارِفُونَ بِصِدْقِ النَّبِيِّ وَدِلَالَةِ  
مُعْجَزَتِهِ لِأَنَّ لَهُمْ بَعْضَ الْوُجْدَانِ مِنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ كَمَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ  
وَمَعْقُوبِيَّةِ تِلْكَ النَّسَبَةِ مُوجُودَةٌ لِلْكَاهِنِ بِأَشَدِّ مَا لِلنَّائِمِ وَلَا يَصُدُّهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيُوقِعُهُمْ  
فِي التَّكْذِيبِ إِلَّا قُوَّةُ الْمَطَامِعِ فِي أَنَّهَا نُبُوَّةٌ لَهُمْ فَيَقْعُونَ فِي الْعِنَادِ كَمَا وَقَعَ لِأُمِّيَّةِ  
ابْنِ أَبِي الصُّلْتِ فَإِنَّهُ كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يَتَّبِعَ وَكَذَلِكَ وَقَعَ لِابْنِ صَيَّادٍ وَلِمُسَيْلَمَةَ وَغَيْرِهِمْ  
فَإِذَا غَلَبَ الْإِيَّانُ وَأَنْقَطَعَتْ تِلْكَ الْأَمَانِيُّ آمَنُوا أَحْسَنَ إِيَّانٍ كَمَا وَقَعَ لِبَطْلِيحَةَ الْأَسَدِيِّ  
وَسَوَادِ بْنِ قَارِبَ وَكَانَ لَهُمَا فِي الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْأَثَارِ الشَّاهِدَةُ بِجُسْنِ  
الْإِيَّانِ . وَأَمَّا الرُّوْيَا فَحَقِيقَتُهَا مُطَالَعَةُ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ فِي ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لَمَحَّةٌ مِنْ صُورِ  
الْوَاقِعَاتِ فَإِنَّهَا عِنْدَمَا تَكُونُ رُوحَانِيَّةً تَكُونُ صُورُ الْوَاقِعَاتِ فِيهَا مُوجُودَةً بِالْفِعْلِ كَمَا  
هُوَ شَأْنُ الذَّوَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ كُلِّهَا وَتَصِيدُ رُوحَانِيَّةً بِأَنْ تَتَجَرَّدَ عَنِ الْمَوَادِّ الْجِسْمَانِيَّةِ  
وَالْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَقَدْ يَقَعُ لَهَا ذَلِكَ لَمَحَّةٌ بِسَبَبِ النَّوْمِ كَمَا نَذَكُرُ فَتَقْتَبِسُ بِهَا عِلْمَ مَا  
تَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ وَتَعُودُ بِهِ إِلَى مَدَارِكِهَا فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْإِقْتِيَاسُ  
ضَعِيفاً وَغَيْرَ جَلِيٍّ بِالْمُحَاكَاةِ وَالْمِثَالِ فِي الْخِيَالِ لِيَتَخَلَّصَ فَيَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمُحَاكَاةِ  
إِلَى التَّعْبِيرِ وَقَدْ يَكُونُ الْإِقْتِيَاسُ قَوِيّاً يُسْتَفْنَى فِيهِ عَنِ الْمُحَاكَاةِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ  
لِيُخْلُوصَ مِنَ الْمِثَالِ وَالْخِيَالِ وَالسَّبَبُ فِي وَتَوَعُّدِ هَذِهِ اللَّمَحَّةِ لِلنَّفْسِ أَنَّهَا ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ  
بِالْقُوَّةِ مُسْتَكْمِلَةٌ بِالْبَدَنِ وَمَدَارِكِهِ حَتَّى تَصِيدَ ذَاتِهَا تَعْقِلاً مَحْضاً وَيَكْمُلُ وَجُودُهَا  
بِالْفِعْلِ فَتَكُونُ حَيْثُ ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ مُدْرِكَةٌ بِغَيْرِ شَيْءٍ مِنَ آلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ إِلَّا أَنْ  
نُوعِهَا فِي الرُّوحَانِيَّاتِ دُونَ نَوْعِ التَّلَايِكَةِ أَهْلُ الْأَفُقِ الْأَعْلَى عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْتَكْمِلُوا  
ذَوَاتِهِمْ بِشَيْءٍ مِنْ مَدَارِكِ الْبَدَنِ وَلَا غَيْرِهِ فَهَذَا الْإِسْتِعْدَادُ حَاصِلٌ لَهَا مَا دَامَتْ فِي الْبَدَنِ  
وَمِنْهُ خَاصٌّ كَالَّذِي لِلْأَوْلِيَاءِ وَمِنْهُ عَامٌّ لِلْبَشَرِ عَلَى الْعُثُومِ وَهُوَ أَمْرُ الرُّوْيَا وَأَمَّا الَّذِي  
لِلْأَنْبِيَاءِ فَهُوَ اسْتِعْدَادٌ بِالْإِنْسِلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْمَحْضَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى  
الرُّوحَانِيَّاتِ وَيَخْرُجُ هَذَا الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِمْ مُتَكَرِّراً فِي حَالَاتِ الْوَحْيِ وَهُوَ عِنْدَمَا



يُغْرِجُ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَقَعُ فِيهَا مَا يَقَعُ مِنَ الْإِدْرَاكِ شَيْئاً جَبَالِ النَّوْمِ شَيْئاً  
يَتَنَبَّأُ وَإِنْ كَانَ حَالُ النَّوْمِ أَذْوَنَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ فَلِأَجْلِ هَذَا الشَّيْءِ عَدَّ الشَّارِعُ عَنِ الرُّوْيَا  
بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النَّبُوَّةِ وَفِي رِوَايَةٍ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعِينَ وَفِي رِوَايَةٍ  
سَبْعِينَ وَلَيْسَ الْعَدْدُ فِي جَمِيعِهَا مَقْصُوداً بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْكَثْرَةُ فِي تَفَاوُتِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ بِدَلِيلِ ذِكْرِ السَّعِينِ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَهُوَ لِلْكَثِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمَا ذَهَبَ  
إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فِي رِوَايَةِ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ فِي مَبْدَإِهِ بِالرُّوْيَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ  
وَهِيَ نِصْفُ سَنَةٍ وَمُدَّةُ النَّبُوَّةِ كُلُّهَا بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَنِصْفُ السَّنَةِ  
مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ فَكَلَامٌ بَعِيدٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَمْنٍ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَقَعَتْ لِعَلَّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
يُعْطَى نِسْبَةً زَمَنِ الرُّوْيَا مِنْ زَمَنِ النَّبُوَّةِ وَلَا يُعْطَى حَقِيقَتَهَا مِنْ حَقِيقَةِ النَّبُوَّةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ  
لَكَ هَذَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْجُزْءِ نِسْبَةُ الْإِسْتِعْدَادِ الْأَوَّلِ الشَّامِلِ  
لِلْبَشَرِ إِلَى الْإِسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ الْخَاصِّ بِصِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ الْفُطَرِيِّ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
إِذْ هُوَ الْإِسْتِعْدَادُ الْبَعِيدُ وَإِنْ كَانَ عَاماً فِي الْبَشَرِ وَمَعَهُ عَوَائِقُ وَمَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ  
حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ التَّوَانِعِ الْخَوَاسُ الظَّاهِرَةُ فَطَرَهُ اللَّهُ الْبَشَرَ عَلَى ارْتِنَاعِ  
حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ الَّذِي هُوَ جَلِيلٌ لَهُمْ فَتَعَرَّضُ النَّفْسُ عِنْدَ ارْتِفَاعِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
مَا تَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ فَتُذَكِّرُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ لَمَحَّةٌ يَكُونُ فِيهَا الظُّفَرُ  
بِالْمَطْلُوبِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا الشَّارِعُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ فَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ  
قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرُّوْيَا الصَّالِحَةُ يَوَاقِهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ  
وَأَمَّا سَبَبُ ارْتِنَاعِ حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ فَقَلَى مَا أَصْفَهُ لَكَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ  
إِنَّمَا إِدْرَاكُهَا وَأَفْعَالُهَا بِالرُّوحِ الْخِلَوَانِيِّ الْجَسْمَانِيِّ وَهُوَ بُخَارٌ خَلِيفٌ مَرَكَّزُهُ بِالتَّجْوِيفِ  
الْأَيْسَرِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى مَا فِي كِتَابِ الشَّرِيعِ لِلْجَالِيُوسِ وَغَيْرِهِ وَيَنْبَغُ مَعَ الدَّمِ فِي  
الشَّرْيَافَاتِ وَالْعُرُوقِ فَيُعْطَى الْحَسَّ وَالْحَرَكَةَ وَسَائِرَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَرْتَفِعُ لَطِيفُهُ إِلَى  
الدِّمَاغِ فَيَعْدِلُ مِنْ بَرْدِهِ وَتَتِمُّ أَفْعَالُ الْقُوَى الَّتِي فِي بُطُونِهِ فَالْنَّفْسُ النَّاطِقَةُ إِنَّمَا تُذَكِّرُ  
وَتَعْمَلُ بِهَذَا الرُّوحِ الْبُخَارِيِّ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ التَّكْوِينِ فِي أَنَّ  
الْأَلْطِيفَ لَا يُؤَثِّرُ فِي الْكَثِيفِ وَلَكِنَّا لَطَفَ هَذَا الرُّوحُ الْخِلَوَانِيُّ مِنْ بَيْنِ الْمَوَادِّ الْبَدَنِيَّةِ

حَارَ مَحَلًّا لَا تَرَى أَلَدَاتِ الْمُبَايَنَةِ لَهُ فِي جِسْمَانِيَّةٍ وَهِيَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ وَصَارَتْ آثَارُهَا  
 حَاصِلَةً فِي الْبَدَنِ بِوَاسِطَتِهِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ إِدْرَاكِهَا عَلَى نَوْعَيْنِ إِدْرَاكِ بِالظَّاهِرِ وَهُوَ  
 الْخَوَاسُ الْخَمْسُ وَإِدْرَاكِ بِالْبَاطِنِ وَهُوَ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةُ وَأَنَّ هَذَا الْإِدْرَاكِ كُلُّهُ  
 صَارِفٌ لَهَا عَنْ إِدْرَاكِهَا مَا فَوْقَهَا مِنْ ذَوَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ بِالْهَيْئَةِ وَلَكِنْ  
 كَانَتْ الْخَوَاسُ الظَّاهِرَةُ جِسْمَانِيَّةً كَانَتْ مُعَرَّضَةً لِلْوَسْنِ وَالنَّشْلِ بِمَا يُدْرِكُهَا مِنَ التَّعَبِ  
 وَالْكَلالِ وَتَغْشَى الرُّوحَ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فَخَلَقَ اللَّهُ لَهَا طَلَبَ الْإِسْتِجْمَامِ لِتَجَرُّدِ الْإِدْرَاكِ  
 عَلَى الصُّورَةِ الْكَامِلَةِ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِإِنْخِاسِ الرُّوحِ الْخَيَوَانِيِّ مِنَ الْخَوَاسِ  
 الظَّاهِرَةِ كُلِّهَا وَرُجُوعِهِ إِلَى الْخَمْسِ الْبَاطِنِ وَيُعَيَّنُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَغْشَى الْبَدَنَ مِنَ الْبَرْدِ  
 بِاللَّيْلِ فَتَطْلُبُ الْحَرَارَةَ الدَّرِيؤِيَّةَ أَعْمَاقَ الْبَدَنِ وَتَذْهَبُ مِنْ ظَاهِرِهِ إِلَى بَاطِنِهِ فَتَكُونُ  
 مَشِيعَةً مَرَكِبَهَا وَهُوَ الرُّوحُ الْخَيَوَانِيُّ إِلَى الْبَاطِنِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّوْمُ لِلْبَشَرِ فِي الزَّالِ  
 إِنَّمَا هُوَ بِاللَّيْلِ فَإِذَا انْخَسَ الرُّوحُ عَنْ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَرَجَعَ إِلَى الْقُوَى الْبَاطِنَةِ  
 وَخَفَتْ عَنِ النَّفْسِ شَوَاعِلُ الْخَمْسِ وَمَوَانِعُهُ وَرَجَعَتْ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي فِي الْحَافِظَةِ تَسْتَلِ  
 مِنْهَا بِالتَّرَكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ صُورَ خَيَالِيَّةٍ وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ مُعْتَادَةً لِأَنَّهَا مُنْتَدِعَةٌ مِنْ  
 الْمَذْرَكَاتِ الْمُتَعَاهِدَةِ قَرِيبًا ثُمَّ يُنَزِّلُهَا الْخَمْسُ الْمَشْتَرِكُ الَّذِي هُوَ جَامِعُ الْخَوَاسِ  
 الظَّاهِرَةِ فَيُدْرِكُهَا عَلَى أَنْعَاءِ الْخَوَاسِ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ وَرَبَّمَا انْتَفَتَحَتِ النَّفْسُ لِقَتَّةً إِلَى  
 ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ مُنَازَعَتِهَا الْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ فَتُدْرِكُ بِإِدْرَاكِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لِأَنَّهَا مَفْطُورَةٌ  
 عَلَيْهِ وَتَقْتَسِمُ مِنْ صُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي صَارَتْ مُتَعَلِّقَةً فِي ذَاتِهَا حِينَئِذٍ ثُمَّ يَأْخُذُ الْخَيَالُ  
 تِلْكَ الصُّورَ الْمَذْرُوكَةَ فَيَسْتَلِهَا بِالْحَقِيقَةِ أَوْ الْمُخَالَاتَةِ فِي الْقَوَالِبِ الْمَعْهُودَةِ وَالْمُخَالَاتَةِ  
 مِنْ هَذِهِ هِيَ الْمُخْتَاجَةُ لِلتَّعْيِيرِ وَتَصَرُّفِهَا بِالتَّرَكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ فِي صُورِ الْحَافِظَةِ قَبْلَ أَنْ  
 تُدْرِكَ مِنْ تِلْكَ اللَّحْمَةِ مَا تُدْرِكُهُ هِيَ أَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا  
 التَّفْصِيلُ مُطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَالْخَلْقِيُّ مِنَ اللَّهِ وَالْمُخَالَاتَةِ الدَّاعِيَةُ إِلَى التَّعْيِيرِ مِنَ الْمَلِكِ  
 وَأَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهَا كُلُّهَا بَاطِلٌ وَالشَّيْطَانُ يُنْبِغُ الْبَاطِلَ هَذِهِ حَقِيقَةُ  
 الرُّؤْيَا وَمَا يُسَبِّحُهَا وَيُسَبِّحُهَا مِنَ النَّوْمِ وَهِيَ خَوَاصُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُوجُودَةٌ فِي الْبَشَرِ  
 عَلَى الْعُثُومِ لَا يَخْلُو عَنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ رَأَى فِي نَوْمِهِ مَا صَدَرَ



لَهُ فِي يَقْظَتِهِ مِرَارًا غَيْرَ وَاحِدَةٍ وَحَصَلَ لَهُ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّ النَّفْسَ مُدْرِكَةٌ لِلْغَيْبِ فِي النَّوْمِ  
وَلَا بُدَّ وَإِذَا جَازَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ النَّوْمِ فَلَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْأَذَاتِ  
الْمُدْرِكَةَ وَاحِدَةً وَخَوَاصُّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِنَسَبِهِ وَفَضْلِهِ

فَصْلٌ \* وَوُقُوعُ مَا يَقَعُ لِلْبَشَرِ مِنْ ذَلِكَ غَالِيًا إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا قُدْرَةٍ عَلَيْهِ  
وَإِنَّمَا تَكُونُ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فَيَقَعُ لَهَا بَيْتُكَ اللَّيْلَةُ فِي النَّوْمِ لِأَنَّهَا تُتَّصِدُ  
إِلَى ذَلِكَ فَتَرَاهُ وَقَدْ وَقَعَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ ذِكْرُ  
أَسْمَاءِ تَذَكُّرُ عِنْدَ النَّوْمِ فَتَسْكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا فَيَأْتِي بِتَشَوُّفٍ إِلَيْهِ وَيُسْمَوْنَ بِالْحَالُومَةِ  
وَذَكَرَ مِنْهَا مُسَلِّمَةُ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ حَالُومَةً سَمَّاهَا حَالُومَةُ الطَّبَاعِ الثَّامِرِ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ  
عِنْدَ النَّوْمِ بَعْدَ فَرَاغِ التَّوَجُّهِ وَصِحَّةِ التَّوَجُّهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَعْجَبِيَّةُ وَهِيَ تَمَاسُّ بَعْدَ  
أَنْ يَسْوَدَ وَغَدَاسُ نَوْمِنَا غَدَاسٌ وَيَذَكُّرُ حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ يَرَى الْكَشْفَ عَمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ  
فِي النَّوْمِ \* وَحِكْمِي أَنْ رَجُلًا فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ رِيَاضَةٍ لَيْلٍ فِي مَأْكَلِهِ وَذَكَرَهُ  
فَتَسَلَّلَ لَهُ شَخْصٌ يَقُولُ لَهُ أَنَا طَبَّاعُكَ الثَّامِرُ فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ عَمَّا كَانَ يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَقَدْ  
وَقَعَ لِي أَنَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ مَرَّاءَ عَجِيبَةٍ وَأَطَّلْتُ بِهَا عَلَى أُمُورٍ كُنْتُ أَتَشَوَّفُ عَلَيْهَا مِنْ  
أَحْوَالِي وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ لِلرُّؤْيَا يُحْدِثُهَا وَإِنَّمَا هَذِهِ الْحَالُومَاتُ تُحْدِثُ  
اِسْتِعْدَادًا فِي النَّفْسِ لَوُقُوعِ الرُّؤْيَا فَإِذَا قَوِيَ اِلْتِمَادُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ مَا  
يُسْتَعْدُّ لَهُ وَالشَّخْصُ أَنْ يَفْعَلَ مِنْ اِلْتِمَادٍ مَا أَحَبَّ وَلَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى إِتْقَانِ  
الْمُسْتَعْدِّ لَهُ فَالْقُدْرَةُ عَلَى اِلْتِمَادٍ غَيْرُ الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَتَدَبَّرْهُ فِيمَا  
تَجِدُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

فَصْلٌ \* ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ أَشْخَاصًا يُخْبِرُونَ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا  
بِطَبِيعَةٍ فِيهِمْ يَتَمَيَّزُ بِهَا صَنَفُهُمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ وَلَا يَرْجِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى صِنَاعَةٍ وَلَا  
يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِنَ النُّجُومِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا إِنَّمَا نَجِدُ مَدَارِكَهُمْ فِي ذَلِكَ يَقْتَضِي  
فَطَرَتِهِمْ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا وَذَلِكَ مِثْلُ الْعَرَّافِينَ وَالنَّاطِرِينَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّقَافَةِ كَالْعَرَّافِيَا  
وَالسِّبَاعِ وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْحُبُوبِ مِنَ الْخِطَّةِ وَالنَّوَى وَهَذِهِ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي  
عَالَمِ الْإِنْسَانِ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَعْدُهَا وَلَا أَنْكَارُهَا وَكَذَلِكَ الْمَجَانِينُ يُلْقَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ

كَلِمَاتٍ مِنَ الْغَيْبِ فَيُخْبِرُونَ بِهَا وَكَذَلِكَ الْتَائِمُ وَالْتَمِيتُ لِأَوَّلِ مَوْتِهِ أَوْ نَوْمِهِ يَتَكَلَّمُ بِالْغَيْبِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيَاضَاتِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ لَهُمْ مَدَارِكُ فِي الْغَيْبِ عَلَى سَبِيلِ الْكَرَامَةِ مَعْرُوفَةٌ . وَنَحْنُ الْآنَ نَتَكَلَّمُ عَنْ هَذِهِ الْإِدْرَاكَاتِ كُلِّهَا وَنَبْتَدِئُ مِنْهَا بِالْكَهَانَةِ ثُمَّ نَأْتِي عَلَيْهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً إِلَى آخِرِهَا وَنُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ مُقَدِّمَةً فِي أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ كَيْفَ تَسْتَعِدُّ لِإِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي جَمِيعِ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ مُوجُودَةٍ بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِالْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ وَهَذَا أَمْرٌ مُدْرِكٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَكُلُّ مَا بِالْقُوَّةِ فَلَهُ مَادَّةٌ وَصُورَةٌ . وَصُورَةُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ وُجُودُهَا هُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ وَالتَّعَلُّلِ فِيهِ تَوْجِدٌ أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ مُسْتَعِدَّةٌ لِلإِدْرَاكِ وَقَبُولِ الصُّورِ الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ ثُمَّ يَتِمُّ نَشُوءُهَا وَوُجُودُهَا بِالْفِعْلِ بِصَاحِبَةِ الْبَدَنِ وَمَا يَعُودُهَا بِوُجُودِ مُدْرَكَاتِهَا الْمُحْسُوسَةِ عَلَيْهَا وَمَا تَنْتَرِعُ مِنْ تِلْكَ الْإِدْرَاكَاتِ مِنَ الْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ فَتَتَعَلَّلُ الصُّورُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَحْصُلَ لَهَا الْإِدْرَاكِ وَالتَّعَلُّلُ بِالْفِعْلِ فَتَتِمُّ ذَاتُهَا وَتَبْقَى النَّفْسُ كَالْهَيُولَى وَالصُّورُ مُتَعاقِبَةٌ عَلَيْهَا بِالْإِدْرَاكِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ وَلِذَلِكَ نَجِدُ الصَّبِيَّ فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِدْرَاكِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا لَا بِنَوْمٍ وَلَا بِكُشْفٍ وَلَا بِغَيْرِهِمَا وَذَلِكَ أَنَّ صُورَتَهَا الَّتِي هِيَ عَيْنُ ذَاتِهَا وَهِيَ الْإِدْرَاكِ وَالتَّعَلُّلُ لَمْ تَتِمَّ بَعْدُ بَلْ لَمْ يَتِمَّ لَهَا انْتِزَاعُ الْكُلِّيَّاتِ ثُمَّ إِذَا تَمَّتْ ذَاتُهَا بِالْفِعْلِ حَصَلَ لَهَا مَا دَامَتْ مَعَ الْبَدَنِ نَوْعَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ بِآلَاتِ الْجِسْمِ تُؤَدِّيهِ إِلَيْهَا الْمَدَارِكُ الْبَدَنِيَّةُ وَإِدْرَاكِ بِذَاتِهَا مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ عَنْهُ بِالْإِنْفِاسِ فِي الْبَدَنِ وَالْحَوَاسِ وَبِشَوَاعِلِهَا لِأَنَّ الْحَوَاسَ أَبَدًا جَاذِبَةٌ لَهَا إِلَى الظَّاهِرِ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الْإِدْرَاكِ الْجِسْمَانِيِّ وَرَبَّيَا تَنْفَعِسُ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ فَيَدْتَفِعُ حِجَابُ الْبَدَنِ لَحْظَةً إِمَّا بِالْخَاصِيَّةِ الَّتِي هِيَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ مِثْلَ النَّوْمِ أَوْ بِالْخَاصِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ لِبَعْضِ الْبَشَرِ مِثْلَ الْكَهَانَةِ وَالطَّرْقِ أَوْ بِالرِّيَاضَةِ مِثْلَ أَهْلِ الْكُشْفِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فَتَلْتَفِتُ حِينَئِذٍ إِلَى الذَّوَاتِ الَّتِي فَوْقَهَا مِنَ الْمَلَايِمَا بَيْنَ أَفْقِهَا وَأَقْفِهَا مِنْ الْإِتِّصَالِ فِي الْوُجُودِ كَمَا قَرَرْنَا قَبْلُ وَتِلْكَ الذَّوَاتُ رُوحَانِيَّةٌ وَهِيَ إِدْرَاكِ مُحْضٌ وَعَقُولٌ بِالْفِعْلِ وَفِيهَا صُورُ الْمَوْجُودَاتِ وَحَقَائِقِهَا كَمَا مَرَّ فَيَتَجَلَّى فِيهَا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ وَتَنْفَعِسُ مِنْهَا عُلُومًا وَرَبَّيَا دُفِعَتْ تِلْكَ الصُّورُ الْمُدْرَكَةُ إِلَى الْخَيَالِ فَيَصْرِفُهَا فِي الْقَوَالِبِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يَوَاجِعُ الْحِسَّ بِمَا أَدْرَكَتْ إِمَّا مُجَرَّدًا أَوْ فِي



قَوَالِيهِ فَتُخْبِرُ بِهِ . هَذَا هُوَ شَرْحُ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ لِهَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ . وَارْجِعْ إِلَى  
مَا وَعَدْنَا بِهِ مِنْ بَيَانِ أَصْنَافِهِ . وَأَمَّا النَّاطِرُونَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّائِقَةِ مِنَ الْمَرَايَا وَطِبَاسِ  
الْمِيَاهِ وَقُلُوبِ الْحَيَوَانِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْخَصِيِّ وَالنَّوَى فَكُلُّهُمْ مِنْ  
قَبِيلِ الْكُهَّانِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَضْعَفُ رُتَبَةً فِيهِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِمْ لِأَنَّ الْكَاهِنَ لَا يَحْتَاجُ فِي  
رَفْعِ حِجَابِ الْحِسِّ إِلَى كَثِيرٍ مُنَافَةٍ وَهَوْلَاءُ يُعَانُونَهُ بِأَنْحِصَارِ الدَّارِكِ الْحِسِّيَّةِ كُلِّهَا فِي  
نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا وَأَشْرَفُهَا الْبَصَرُ فَيَعَكِفُ عَلَى الْعَرَبِيِّ الْبَسِيطِ حَتَّى يَبْذُولَهُ مُدْرَكَةً  
الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ وَرَبَّمَا يَظُنُّ أَنَّ مُشَاهَدَةَ هَوْلَاءُ لِمَا يَرَوْنَهُ هُوَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ بَلْ لَا يَزَالُونَ يَنْظُرُونَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ إِلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِ الْبَصَرِ وَيَبْذُرُوا فِي أَبْيَتِهِمْ  
وَبَيْنَ سَطْحِ الْمِرَاةِ حِجَابٌ كَأَنَّهُ غَلَمٌ يَتَمَثَّلُ فِيهِ صُورٌ هِيَ مَدْرِكُهُمْ فَيُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ  
بِالْمَقْصُودِ لِمَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ زَنْبِي أَوْ إِبْطَاتٍ فَيُخْبِرُونَ بِذَلِكَ عَلَى نَحْوِ مَا  
أَدْرَكُوهُ وَأَمَّا الْمِرَاةُ وَمَا يُدْرِكُ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَلَا يُدْرِكُونَهُ فِي تِلْكَ أَتَالٍ وَإِنَّمَا يَنْشَأُ  
لَهُمْ بِهَا هَذَا النَّوْعُ الْآخَرُ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَهُوَ نَفْسَانِي لَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْبَصَرِ بَلْ  
يَتَشَكَّلُ بِهِ الْمُدْرِكُ النَّفْسَانِي لِلْحِسِّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا يَغْرِضُ النَّاطِرِينَ  
فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَلِلنَّاطِرِينَ فِي الْمَاءِ وَالْطِبَاسِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . وَقَدْ  
شَاهَدْنَا مِنْ هَوْلَاءُ مَنْ يُشْغِلُ الْحِسَّ بِالْبَحْرِ فَقَطُّ ثُمَّ بِالْعَرَائِمِ لِاسْتِعْدَادِهِ ثُمَّ يُخْبِرُ كَمَا  
إِدْرَاكِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الصُّورَ مُتَشَخِّصَةً فِي الْهَوَاءِ تَحْكِي لَهُمْ أَحْوَالَ مَا يَتَوَجَّهُونَ  
لِي إِدْرَاكِهِ بِالْمِثَالِ وَالْإِشَارَةِ وَغَيْبَةُ هَوْلَاءُ عَنِ الْحِسِّ أَخْفُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْعَالَمِ  
أَيُّ الْعَرَائِمِ . وَأَمَّا الرَّجْرُ وَهُوَ مَا يَخْذُلُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ  
مَشْرِحِ طَائِرٍ أَوْ حَيَوَانٍ وَالْفِكْرُ فِيهِ بَعْدَ مَغِيبِهِ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْثُ عَلَى الْخَرَصِ  
وَالْفِكْرِ فِيمَا زَجَرَ فِيهِ مِنْ مَرْنِيٍّ أَوْ مَسْمُوعٍ وَتَكُونُ قُوَّتُهُ الْمُخَيَّلَةُ كَمَا قَدْ مَنَاهُ قُوَّةُ  
فِي بَعْثِهَا فِي الْبَحْثِ مُسْتَمِينًا بِأَرَاءِ أَوْ سَمِعَةٍ فَيُؤَدِّيهِ ذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْقُوَّةُ  
الْمُخَيَّلَةُ فِي النَّوْمِ وَعِنْدَ رُكُودِ الْخَوَاسِ تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْمَحْسُوسِ الْعَرَبِيِّ فِي يَقْظَتِهِ وَتَجْمَعُهُ  
مَعَ مَا عَالَمَتْهُ فَيَكُونُ عَنَاءُ الرُّوْيَا . وَأَمَّا الْمَجَازِينُ فَتُنَوِّسُهُمُ النَّاطِقَةُ ضَعِيفَةُ التَّعَلُّقِ بِالْبَدَنِ  
إِنْسَادِ أَمْرِجَتِهِمْ إِلَيْنَا وَضَعْفِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِيهَا فَتَكُونُ نَفْسُهُ غَيْرَ مُسْتَعْرِقَةٍ فِي  
الْخَوَاسِ وَلَا مُنْغِمَسَةٍ فِيهَا بِمَا شَغَلَهَا فِي نَفْسِهَا مِنْ أَلَمِ النَّعْصِ وَمَرَضِهِ وَرَبَّارَاحِهَا عَلَى

اتَّعَلَّقَ بِهِ رُوحَانِيَّةٌ أُخْرَى شَيْطَانِيَّةٌ تَتَشَبَّثُ بِهِ وَتَضَعُ هَذِهِ عَنْ مُتَابَعَتِهَا فَيَكُونُ عَنْهُ  
 التَّخَبُّطُ فَإِذَا أَصَابَهُ ذَلِكَ التَّخَبُّطُ إِمَّا لِفَسَادِ مِرَاجِهِ مِنْ فُسَادٍ فِي ذَاتِهَا أَوْ لِمُزَاحَمَةٍ مِنْ  
 النُّفُوسِ الشَّيْطَانِيَّةِ فِي تَعَلُّقِهِ غَابَ عَنْ حِسِّهِ نُجْمَةٌ فَأَدْرَكَ لَمَحَّةً مِنْ عَالَمِ نَفْسِهِ وَأَنْطَبَعَ  
 فِيهَا بَعْضُ الصُّورِ وَصَرَفَهَا أَخْيَالُ وَرُبَّمَا نَطَقَ عَنْ لِسَانِهِ فِي تِلْكَ أَحْزَالٍ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ  
 النَّطْقِ وَإِدْرَاكَ هَوْلَاءَ كُلِّهِمْ مَشُوبٌ فِيهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ لِأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمُ الْإِتِّصَالُ  
 وَإِنْ فَقَدُوا الْحِسَّ إِلَّا بَعْدَ الْإِسْتِعَانَةِ بِالتَّصَوُّرَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَمِنْ ذَلِكَ يَجِيءُ  
 الْكُذِبُ فِي هَذِهِ الْمَدَارِكِ وَأَمَّا الْعَرَّافُونَ فَهُمْ الْمُتَعَمِّقُونَ بِهَذَا الْإِدْرَاكِ وَلَيْسَ لَهُمْ  
 ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَيَسْلُطُونَ الْفِكْرَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ فِيهِ بِالظَّنِّ  
 وَالْتَّخَبُّينِ بِنَاءً عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ مَبَادِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَيَدَّعُونَ بِذَلِكَ  
 مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ وَلَيْسَ مِنْهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَذَا تَحْصِيلُ هَذِهِ الْأُمُورِ وَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا الْمَسْعُودِي  
 فِي مُرُوجِ الذَّهَبِ فَمَا صَادَفَ تَحْقِيقًا وَلَا إِصَابَةً وَيَنْظُرُ مِنْ كَلَامِ الرَّجُلِ أَنَّهُ كَانَ  
 بَعِيدًا عَنِ الرُّسُوحِ فِي التَّعَارُفِ فَيَنْقُلُ مَا سَمِعَ مِنْ أَهْلِهِ وَمِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَهَذِهِ الْإِدْرَاكَاتُ  
 الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَوْجُودَةٌ كُلُّهَا فِي نَوْعِ الْبَشَرِ فَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ يَفْرَعُونَ إِلَى الْكُهَّانِ  
 فِي تَعْرِفِ الْحَوَادِثِ وَيَتَنَافَرُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْخُصُومَاتِ لِيَعْرِفُوهُمْ بِالْخَوَرِ فِيهَا مِنْ إِدْرَاكِ  
 غِيهِمْ وَفِي كُتُبِ أَهْلِ الْأَدَبِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ وَاشْتَهَرَ مِنْهُمْ فِي أَجَاهِلِيَّةِ يَشَقُ بْنُ أَمَّارٍ  
 ابْنُ زَوَّارٍ وَسَطِيعُ بْنُ مَازِنِ بْنِ غَسَّانٍ وَكَانَ يَدْرُجُ كَمَا يَدْرُجُ الثُّوبُ وَلَا عَظَمَ فِيهِ إِلَّا  
 الْجَمِجَمَةُ وَمِنْ مَشْهُورِ الْحِكَايَاتِ عَنْهَا تَأْوِيلُ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بْنِ مُضَرَ وَمَا أَخْبَرَاهُ بِهِ  
 مَلِكُ الْجَبَشَةِ لِلْيَمَنِ وَمَلِكُ مُضَرَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَظُهُورُ النَّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي قُرَيْشٍ وَرُؤْيَا  
 الْمُؤَبَّدَانِ الَّتِي أَوْلَاهَا سَطِيعُ لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ بِهَا كِسْرَى عَبْدَ الْمَسِيحِ فَأَخْبَرَهُ بِشَأْنِ النَّبُوَّةِ  
 وَخَرَابِ مُلْكِ فَارِسَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَشْهُورَةٌ وَكَذَلِكَ الْعَرَّافُونَ كَانَ فِي الْعَرَبِ مِنْهُمْ كَثِيرٌ  
 وَذَكَرُوهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ قَالَ

قُلْتُ لَعَرَّافِ الْيَمَامَةِ دَاوِيَنِي فَإِنَّكَ إِنْ دَاوَيْتَنِي لَطِيبُ

وقال الآخر

جَعَلْتُ لَعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ نَجْدٍ إِنْ هَا شَفِيَانِي  
 فَقَالَ شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا بِأَسْحَاتٍ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ



وَعَرَّافُ الْيَمَامَةِ هُوَ رِبَاحُ بْنُ عِجْلَةَ وَعَرَّافُ نَجْدِ الْأَبْلَقِ الْأَسَدِيُّ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَدَارِكِ  
الْغَيْبِيَّةِ مَا يَصْدُرُ لِبَعْضِ النَّاسِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقَظَةِ وَالْثَّابِتِ بِالنُّومِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى  
الشَّيْءِ الَّذِي يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ بِمَا يُعْطِيهِ غَيْبُ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَمَا يُرِيدُ وَلَا يَقَعُ ذَلِكَ إِلَّا فِي  
مَبَادِي النَّوْمِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقَظَةِ وَذَهَابِ الْإِخْتِيَارِ فِي الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ كَأَنَّهُ مَجْبُولٌ  
عَلَى النُّطْقِ وَغَايَةُ أَنْ يَسْمَعَهُ وَيَفْهَمَهُ وَكَذَلِكَ يَصْدُرُ عَنِ الْمُتَوَلِّينَ عِنْدَ مُفَارَقَةِ رُؤُوسِهِمْ  
وَأَوْسَاطِ أَبْدَانِهِمْ كَلَامٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَلَقَدْ بَلَّغْنَا عَنْ بَعْضِ الْجَبَّارَةِ الظَّالِمِينَ أَنَّهُمْ  
قَتَلُوا مِنْ سُجُونِهِمْ أَشْخَاصًا لِيَتَعَرَّفُوا مِنْ كَلَامِهِمْ عِنْدَ الْقَتْلِ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
فَاعْلَمُواهُمْ بِأَيُّ شَيْءٍ . وَذَكَرَ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنَّ آدَمِيًّا إِذَا  
جَلَّ فِي دَنْ مَمْلُوءٍ بِدِهْنِ التَّسْمِيمِ وَمَكَثَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُغْدَى بِالثَّيْنِ وَالْجُوزِ  
حَتَّى يَذْهَبَ لَحْمُهُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْعُرُوقُ وَشُؤُونُ رَأْسِهِ فَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْنِ  
فَإِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْهَوَاءُ يُجِيبُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ  
وَالْعَامَّةِ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ مَنَاكِيرِ أَفْعَالِ السَّحَرَةِ لَكِنْ يُفْهَمُ مِنْهُ عَجَائِبُ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ  
وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُحَاوِلُ حُصُولَ هَذَا الْمُدْرِكِ الْغَيْبِيِّ بِالرِّيَاضَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالْمُجَاهَدَةِ مَوْتًا  
صَنَاعِيًّا بِأَمَاتَةِ جَمِيعِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ مَخْرُ أَثَارِهَا الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا النَّفْسُ ثُمَّ تَغْذِيَّتُهَا  
بِالدِّكْرِ لِتَرْدَادِ قُوَّةٍ فِي نَفْسٍ وَيَعْمَلُ ذَلِكَ بِجَمْعِ الْفُجَعِ وَالْكَرِّ وَكَثْرَةِ الْجُوعِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ  
عَلَى الْقَطْعِ أَنَّهُ إِذَا تَوَلَّى الْمَوْتُ بِالْبَدَنِ ذَهَبَ الْحِسُّ وَحَجَابُهُ وَأَطْلَمَتِ النَّفْسُ عَلَى الْغُيُوبَاتِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الرِّيَاضَةِ السَّحَرِيَّةِ يَرْتَضُونَ بِذَلِكَ لِيَحْصُلَ لَهُمْ الْإِطْلَاقُ عَلَى الْغُيُوبَاتِ  
وَالْتَّصُرُّفَاتِ فِي الْعَوَالِمِ وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ فِي الْأَقَالِيمِ الْمُتَحَرِّفَةِ جَنُوبًا وَشَمَالًا خُصُوصًا بِبِلَادِ  
الْهِنْدِ وَيُسَمُّونَ هُنَاكَ الْخُوكِيَّةَ وَلَهُمْ كُتُبٌ فِي كَيْفِيَّةِ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارُ  
عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ غَرِيبَةٌ . وَأَمَّا الْمُتَصَرِّفَةُ فَرِيَاضَتُهُمْ دِينِيَّةٌ وَعَرَبِيَّةٌ عَنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ  
الْمَذْمُومَةِ وَإِنَّمَا يَقْضُدُونَ جَمْعَ إِلَهِيَّةٍ وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ لِيَحْصُلَ لَهُمْ أَذْوَاقُ  
أَهْلِ الْإِرْقَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَيَزِيدُونَ فِي رِيَاضَتِهِمْ إِلَى الْجَمْعِ وَالْجُوعِ التَّغْذِيَّةِ بِالدِّكْرِ  
فِيهَا تَمُّ وَجْهِتِهِمْ فِي هَذِهِ الرِّيَاضَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَشَأَتِ النَّفْسُ عَلَى الدِّكْرِ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى  
الْإِرْقَانِ بِاللَّهِ وَإِذَا عَرِيَتْ عَنِ الدِّكْرِ كَانَتْ شَيْطَانِيَّةً وَحُصُولُ مَا يَحْصُلُ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْغَيْبِ وَالتَّصَرُّفِ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَصَرِّفَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَرَضِ وَلَا يَكُونُ مَقْصُودًا مِنْ أَوَّلِ

الْأَمْرُ لِأَنَّهُ إِذَا قُصِدَ ذَلِكَ كَانَتْ الْوَجْهَةُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَإِنَّمَا هِيَ لِقَصْدِ التَّصَرُّفِ  
وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ وَأَخِيرَ بِهَا صَنْعَةً وَإِنَّمَا فِي الْحَقِيقَةِ شَرَكٌ قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ آثَرَ  
الْعِرْفَانَ لِلْعِرْفَانِ فَقَدْ قَالَ بِالثَّانِي فَهُمْ يَقْصِدُونَ بِوَجْهِهِمُ التَّعَبُّودَ لَا لِشَيْءٍ سِوَاهُ وَإِذَا  
حَصَلَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَا يَحْتَمِلُ فَيُالْعَرَضِ وَغَيْرُ مَقْصُودٍ لَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَفِرُّ مِنْهُ إِذَا  
عَرَضَ لَهُ وَلَا يَحْتَمِلُ بِهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِذَاتِهِ لَا لِعَبْرَةٍ وَحُصُولُ ذَلِكَ لَهُمْ مَعْرُوفٌ  
وَيُسْتَوْنِ مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَالْحَدِيثِ عَلَى الْخَوَاطِرِ فِرَاسَةً وَكَشْفًا وَمَا يَقَعُ لَهُمْ مِنَ  
التَّصَرُّفِ كَرَامَةٍ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِنَكِيرٍ فِي حَقِّهِمْ وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى إنْكَارِهِ الْأَسْتَاذُ  
أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايِينِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمَالِكِيُّ فِي آخِرِينَ فِرَاراً مِنَ التَّيَاسِ  
الْمُعْجَزَةِ بِغَيْرِهَا وَالْمَعُولِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ حُصُولُ التَّفَرُّقَةِ بِالتَّحْدِي فَهُوَ كَافٍ .  
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ فِيكُمْ مَخْدُودِينَ وَإِنْ  
مِنْهُمْ عُمَرُ وَقَدْ وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ مِنْ ذَلِكَ وَقَائِعٌ مَعْرُوفَةٌ تَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِ عُمَرَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا سَارِيَّةُ أَتَجَلَّيْ وَهُوَ سَارِيَّةُ بْنُ زَيْمٍ كَانَ قَائِداً عَلَى بَعْضِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ  
بِالْعِرَاقِ أَيَّامَ الْفُتُوحَاتِ وَتَوَرَّطَ مَعَ الْمُشْتَرِكِينَ فِي مُعْتَدِكِ وَهُمْ بِالْإِنْهَزَامِ وَكَانَ بِقُرْبِهِ  
جَبَلٌ يَتَخَيَّرُ إِلَيْهِ فَرُفِعَ لِعَمَرِ ذَلِكَ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَةِ فَنَادَاهُ يَا سَارِيَّةُ أَتَجَلَّيْ  
وَسِعَةُ سَارِيَّةُ وَهُوَ بِكَانِيهِ وَرَأَى شَخْصَهُ هُنَاكَ وَأَتَتْهُ مَعْرُوفَةٌ وَوَقَعَ مِثْلُهُ أَيْضاً لِأَبِي  
بَكْرٍ فِي وَصِيَّتِهِ عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي شَأْنٍ مَا نَحَلَّاهَا مِنْ أَوْسَقِ الثَّمَرِ مِنْ  
حَدِيثِهِ ثُمَّ نَبَّهَهَا عَلَى جَذَائِهِ لِتَحْوِيزِهِ عَنِ الْوَرَثَةِ فَقَالَ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ وَإِنَّمَا هُمَا  
أَخَوَاكِ وَأَخْنَاكِ فَقَالَتْ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنْ الْأُخْرَى فَقَالَ إِنَّ ذَا بَطْنُ بِنْتِ بَخَارِجَةَ أَرَاهَا  
جَارِيَةً فَكَانَتْ جَارِيَةً وَقَعَ فِي الْمَوْطِإِ فِي بَابٍ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ التَّحَلُّ وَمِثْلُ هَذِهِ  
الْوَقَائِعُ كَثِيرَةٌ لَهُمْ وَلَكِنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْإِقْتِدَاءِ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ التَّصَوُّفِ  
يَقُولُونَ إِنَّهُ يَقِلُّ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَا يَبْقَى لِلْمُرِيدِ حَالَةٌ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ حَتَّى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ  
إِنَّ الْمُرِيدَ إِذَا جَاءَ لِلْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَسْلُبُ حَالَهُ مَا دَامَ فِيهَا حَتَّى يُفَارِقَهَا وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا  
الْهُدَايَةَ وَيُرْشِدُنَا إِلَى الْحَقِّ

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُرِيدِينَ مِنَ الْمُتَصَرِّفَةِ قَوْمٌ بِهَالِيلٍ مَعْتَوُونَ أَشْبَهُ بِالْمَجَازِينَ مِنَ  
الْعُقَلَاءِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ صَعَّتْ لَهُمْ مَقَامَاتُ الْوِلَايَةِ وَأَحْوَالُ الصِّدِّيقِينَ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ



أَحْوَالِهِمْ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الذَّوْقِ مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ وَيَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ  
 عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ عَجَائِبُ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَقَيَّدُونَ بِشَيْءٍ فَيُطْلَقُونَ كَلَامَهُمْ فِي ذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْهُ  
 بِالْعَجَائِبِ وَرُبَّمَا يُنْكِرُ الْفُقَهَاءُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ سُقُوطِ  
 التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ وَالْوِلَايَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ غَلَطٌ فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
 يَشَاءُ وَلَا يَتَوَقَّفُ حُصُولُ الْوِلَايَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَلَا غَيْرَهَا وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ  
 ثَابِتَةً الْوُجُودِ فَاللَّهُ تَعَالَى يَخْصُمُهَا بِمَا شَاءَ مِنْ مَوَاهِبِهِ وَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَمْ تَعْدَمْ نُفُوسُهُمْ  
 النَّاطِقَةُ وَلَا فَسَدَتْ كَحَالِ الْمَجَانِينِ وَإِنَّمَا قُتِلَ لَهُمُ الْعَقْلُ الَّذِي يُنَاطُ بِهِ التَّكْلِيفُ  
 وَهِيَ صِفَةٌ خَاصَّةٌ لِلنَّفْسِ وَهِيَ عُلُومٌ ضَرُورِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ يَشْتَدُّ بِهَا نَظَرُهُ وَيَعْرِفُ أَحْوَالَ  
 مَعَاشِهِ وَاسْتِقَامَةَ مَنَزِلِهِ وَكَأَنَّهُ إِذَا مَيَّرَ أَحْوَالَ مَعَاشِهِ وَاسْتِقَامَةَ مَنَزِلِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ عُذْرٌ  
 فِي قَبُولِ التَّكَالِيفِ لِإِصْلَاحِ مَعَادِهِ وَلَيْسَ مَنْ فَقَدَ هَذِهِ الصِّفَةَ بِفَاقِدٍ لِنَفْسِهِ وَلَا ذَاهِلٍ  
 عَنْ حَقِيقَتِهِ فَيَكُونُ مُوْجُودَ الْحَقِيقَةِ مُعْدُومَ الْعَقْلِ التَّكْلِيفِيِّ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ الْمَعَاشِ  
 وَلَا اسْتِحَالَةٍ فِي ذَلِكَ وَلَا يَتَوَقَّفُ اصْطِفَاءُ اللَّهِ عِبَادَهُ لِلْمَعْرِفَةِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّكَالِيفِ  
 وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ رُبَّمَا يَلْتَبَسُ حَالُ هَؤُلَاءِ بِالْمَجَانِينِ الَّذِينَ تَنَسَّدَتْ نُفُوسُهُمْ  
 النَّاطِقَةُ وَيَلْتَحِثُونَ بِالْبَهَائِمِ وَكَانَ فِي تَمْيِيزِهِمْ عَلَامَاتٌ مِنْهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْبَهَائِلَ لَا تَجِدُ لَهُمْ  
 وَجْهَةً أَصْلًا وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُخْلَقُونَ عَلَى الْإِلَهِ مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ وَالْمَجَانِينُ يَعْزُضُ لَهُمْ  
 الْجَنُونُ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الْعُذْرِ لِعَوَارِضَ بَدَنِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ ذَلِكَ وَفَسَدَتْ نُفُوسُهُمْ  
 النَّاطِقَةُ ذَهَبُوا بِالْحَيَةِ وَمِنْهَا كَثْرَةُ تَصَرُّفِهِمْ فِي النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَوَقَّفُونَ  
 عَلَى إِذْنِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي حَقِّهِمْ وَالْمَجَانِينُ لَا تَصَرَّفُ لَهُمْ وَهَذَا فَضْلٌ أَنْتَهَى بِنَاءُ  
 الْكَلَامِ إِلَيْهِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ لِلصَّوَابِ

وَقَدْ يُزْعَمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هُنَا مَدَارِكَ الْغَيْبِ مِنْ دُونِ غَيْبَةٍ عَنِ الْحِسِّ فَمِنْهُمْ  
 الْمُتَجَمُّعُونَ الْقَائِلُونَ بِالْإِدْلَالِ النُّجُومِيَّةِ وَمُقْتَضَى أَوْضَاعِهَا فِي الْقَلَمِ وَآثَرُهَا فِي الْعَنَاصِرِ  
 وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْإِمْتِرَاجِ بَيْنَ طَبَاعِهَا بِالتَّنَاطُرِ وَيَتَأَدَّى مِنْ ذَلِكَ الْإِمْرَاجُ إِلَى الْهَوَاءِ  
 وَهُؤُلَاءِ الْمُتَجَمُّعُونَ لَيْسُوا مِنَ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ ظُنُونٌ حَدِيسِيَّةٌ وَتَخَيُّمَاتٌ مَنِيَّةٌ  
 عَلَى التَّأْيِيدِ النُّجُومِيَّةِ وَحُصُولُ الْإِمْرَاجِ مِنْهُ لِلْهَوَاءِ مَعَ مَزِيدِ حَدْسٍ يَقِفُ بِهِ النََّاظِرُ عَلَى  
 تَفْصِيلِهِ فِي الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْعَالَمِ كَمَا تَأَلَّاهُ بِطَلِيمُوسُ وَنَحْنُ نُبَيِّنُ بُطْلَانَ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ

إِنَّ شَاءَ اللَّهِ وَهُوَ لَوْ ثَبَتَ فَقَائِلُهُ حَدَسٌ وَتَحْمِينٌ وَلَيْسَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ فِي شَيْءٍ . وَمِنْ  
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ اسْتَنْبَطُوا لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ وَتَعَرُّفِ الْكَائِنَاتِ صِنَاعَةً سَمَّوْهَا خَطَّ  
 الرَّمْلِ نِسْبَةً إِلَى الْمَادَّةِ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا مَعْلَهُمْ وَمَحْصُولُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا  
 مِنَ النُّقْطِ أَشْكَالًا ذَاتَ أَرْبَعٍ مَرَاتِبٍ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا فِي الزَّوْجِيَّةِ وَالزَّرْدِيَّةِ  
 وَأَسْتَوَائِهَا فِيهِمَا فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ أَزْوَاجًا كُلُّهَا أَوْ أَفْرَادًا  
 كُلُّهَا فَشَكْلَانِ وَإِنْ كَانَ الْقَرْدُ فِيهِمَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطَّ فَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ  
 كَانَ الْقَرْدُ فِي مَرْتَبَتَيْنِ فَسِتَّةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ كَانَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ فَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ  
 جَاءَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا مَبْدُومًا كُلُّهَا بِأَسْمَائِهَا وَأَنْوَاعِهَا إِلَى سُودٍ وَنُحُوسٍ شَأْنِ  
 الْكَوَاكِبِ وَجَعَلُوا لَهَا سِتَّةَ عَشَرَ بَيْنًا طَبِيعِيَّةً بِزَعْمِهِمْ وَكَانَ الْبُرُوجُ الْإِثْنَا عَشَرَ الَّتِي  
 لِلْفَلَكَ وَالْأَوْتَادِ الْأَرْبَعَةُ وَجَعَلُوا لِكُلِّ شَكْلٍ مِنْهَا بَيْنًا وَخُطُوطًا وَدِلَالَةً عَلَى صِنْفٍ  
 مِنْ مَوْجُودَاتِ عَالَمِ الْعَنَاصِرِ يَخْتَصُّ بِهِ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ ذَلِكَ فَنَّا حَازُوا بِهِ فَنَّ النِّجَامَةِ  
 وَنَوْعَ فُضَائِهِ إِلَّا أَنَّ أَحْكَامَ النِّجَامَةِ مُسْتَنَدَةٌ إِلَى أَوْضَاعٍ طَبِيعِيَّةٍ كَمَا يَزْعُمُ بَطْلِيمُوسُ  
 وَهَذِهِ إِنَّا مُسْتَنَدُهَا أَوْضَاعٌ تَحْكِيمِيَّةٌ وَأَهْوَاءٌ اتِّفَاقِيَّةٌ وَلَا دَلِيلَ يَثُومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا  
 وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْعَالَمِ وَرَبَّنَا نَسُبُهَا إِلَى دَانِيَالٍ أَوْ  
 إِلَى أُدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا شَأْنُ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَرَبَّنَا يَدْعُونَ مَشْرُوعِيَّتَهَا وَيَحْتَجُّونَ  
 بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيٌّ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ  
 عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ خَطِّ الرَّمْلِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ مَنْ لَا تَحْصِيلَ لَدَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَانَ  
 نَبِيٌّ يَخْطُ فَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطِّ وَلَا اسْتِحَالَةَ فِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَادَةً لِبَعْضِ  
 الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَهُوَ ذَلِكَ أَيْ فَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ بَيْنِ الْخَطِّ وَأَمَّا عَضْدُهُ  
 مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ عِنْدَ الْخَطِّ بَلَا إِذَا أَخَذَ  
 ذَلِكَ مِنَ الْخَطِّ مُجَرَّدًا مِنْ غَيْرِ مُوَافَقَةٍ وَحْيٍ فَلَا وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِذَا  
 أَرَادُوا اسْتِخْرَاجَ مُغَيِّبِ بَزَعْمِهِمْ عَمَدُوا إِلَى قِرْطَاسٍ أَوْ رَمْلِ أَوْ دَقِيقٍ فَوَضَعُوا النُّقْطَ  
 سَطُورًا عَلَى عَدَدِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ كَوَّرُوا ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَاتٍ فَتَجِيءُ سِتَّةَ عَشَرَ  
 سَطْرًا ثُمَّ يَطْرَحُونَ النُّقْطَ أَزْوَاجًا وَيَضَعُونَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ سَطْرِ زَوْجًا كَانَ أَوْ فَرْدًا  
 فِي مَرْتَبَتِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ فَتَجِيءُ أَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ يَضَعُونَهَا فِي سَطْرِ مُتَالِيَةٍ ثُمَّ يُوَلِّدُونَ مِنْهَا



أَرْبَعَةَ أَشْكَالٍ أُخْرَى مِنْ جَانِبِ الْعَرَضِ بِاعْتِبَارِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ وَمَا قَابِلَهَا مِنْ الشَّكْلِ  
الَّذِي بِإِزَائِهِ وَمَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمَا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ ثَمَانِيَةَ أَشْكَالٍ مَوْضُوعَةٍ فِي  
سَطْرٍ ثُمَّ يُوَلَّدُونَ مِنْ كُلِّ شَكْلَيْنِ شَكْلًا تَحْتَهُمَا بِاعْتِبَارِ مَا يَجْتَمِعُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ  
مِنْ مَرَاتِبِ الشَّكْلَيْنِ أَيْضًا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ أَرْبَعَةَ أُخْرَى تَحْتَهَا ثُمَّ يُوَلَّدُونَ  
مِنْ الْأَرْبَعَةِ شَكْلَيْنِ كَذَلِكَ تَحْتَهَا مِنْ الشَّكْلَيْنِ شَكْلًا كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا ثُمَّ مِنْ هَذَا  
الشَّكْلِ الْخَامِسَ عَشَرَ مَعَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ شَكْلًا يَكُونُ آخِرَ السِّتَةِ عَشَرَ ثُمَّ يَحْكُمُونَ  
عَلَى الْخَطِّ كُلِّهِ بِمَا اقْتَضَتْ أَشْكَالُهُ مِنَ السُّعُودَةِ وَالنُّحُوسَةِ بِالذَّاتِ وَالنَّظَرِ وَالْحُلُولِ  
وَالْإِمْتِزَاجِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى أَصْنَافِ التَّوَجُّدَاتِ وَسَائِرِ ذَلِكَ تَحْكُمًا غَرِيبًا وَكَثُرَتْ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْعُمَرَانِ وَوُضِعَتْ فِيهَا التَّأْلِيفُ وَاشْتَهَرَ فِيهَا الْأَعْلَامُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتَ تَحْكُمُ وَهَوَى وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نُصْبُ  
فِكْرِكَ أَنْ الْغُيُوبَ لَا تُدْرِكُ بِصِنَاعَةِ الْبَيِّنَةِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَعْرِفِهَا إِلَّا لِلْخَوَاصِّ مِنَ الْبَشَرِ  
الْمُعْطُوبِينَ عَلَى الرَّجُوعِ مِنْ عَالَمِ الْخَيْرِ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْمُتَجَمُّعُونَ هَذَا  
الصَّنْفَ كُلَّهُمْ بِالزُّهَرِيِّينَ نِسْبَةً إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ دِلَالَةُ الزُّهْرَةِ بِزَعِيمِهِمْ فِي أَصْلِ مَوَالِيدِهِمْ  
عَلَى إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فَالْخَطُّ وَغَيْرُهُ مِنْ هَذِهِ إِنْ كَانَ النَّازِرُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَاصِيَّةِ  
وَقَصَدَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ النُّقْطِ أَوْ الْعِظَامِ أَوْ غَيْرِهَا إِشْغَالَ الْخَيْرِ لِيَرْجِعَ  
النَّفْسُ إِلَى عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ لَحْظَةً مَا فَهُوَ مِنْ بَابِ الطَّرِيقِ بِالصَّصَى وَالنَّظَرِ فِي قُلُوبِ  
الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَرَايَا الشَّفَافَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَصَدَ مَعْرِفَةَ  
الْغَيْبِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَأَنَّهَا تُفِيدُهُ ذَلِكَ فَهَذَا مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.  
وَالْعَلَامَةُ لِهَذِهِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ أَنَّهُمْ عِنْدَ تَوَجُّهِهِمْ  
إِلَى تَعْرِفِ الْكَائِنَاتِ يَعْثَرِيهِمْ خُرُوجٌ عَنْ حَالَتِهِمِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالشَّائِبِ وَالْمُتَطَطِّطِ  
وَمُبَادِيءِ الْغَيْبَةِ عَنِ الْخَيْرِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِالْقُوَّةِ وَالضَّغْفِ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُودِهَا فِيهِمْ  
فَمَنْ لَمْ تَوْجَدْ لَهُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ فَلَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ سَاعِرٌ فِي  
تَنْفِيقِ كَذِبِهِ

وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ يَضَعُونَ قَوَائِينَ لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ لَيْسَتْ مِنَ الطُّورِ الْأَوَّلِ الَّذِي  
هُوَ مِنْ مَدَارِكِ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَا مِنْ الْعَدَسِ الْمَبْنِيِّ عَلَى تَأْيِيدَاتِ النُّجُومِ كَمَا

زَعَمَهُ بَطْلِيمُوسُ وَلَا مِنَ الظَّنِّ وَالتَّخمينِ الَّذِي يُحَاوِلُ عَلَيْهِ الْعَرَّافُونَ وَإِنَّمَا هِيَ مَعَالِطٌ  
يَعْمَلُونَهَا كَالْمَضَائِدِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ الْمُسْتَضَعَّةِ وَلَسْتُ أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ  
الْمُصَنِّفُونَ وَوَلَعَ بِهِ الْخَوَاصُّ فَمِنْ تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْحِسَابُ الَّذِي يُسَمُّونَهُ حِسَابَ التِّيمِ وَهُوَ  
مَذْكَورٌ فِي آخِرِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ الْمُنْسُوبِ لِأَرِسْطُو يُعَرَّفُ بِهِ الْغَالِبُ مِنَ الْمَغْلُوبِ فِي  
الْمُتَخَارِبِينَ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ أَنْ تُحَسَّبَ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي اسْمِ أَحَدِهِمَا بِحِسَابِ الْجَمَلِ  
الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي حُرُوفِ أُبْجَدَ مِنْ الْوَاحِدِ إِلَى الْأَلْفِ آجَادًا وَعَشْرَاتٍ وَمِثْنٍ وَالْوَفَا  
فَإِذَا حُسِبَتِ الْأَسْمَاءُ وَتَحَصَّلَ لَكَ مِنْهُ عَدَدٌ فَاحْسِبِ اسْمَ الْآخَرِ كَذَلِكَ ثُمَّ أَطْرَحْ مِنْ كُلِّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمَا تِسْعَةً تِسْعَةً وَاحْظِ بَقِيَّةَ هَذَا وَبَقِيَّةَ هَذَا ثُمَّ أَنْظُرْ بَيْنَ الْعَدَدَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ  
مَنْ حِسَابِ الْأَسْمَيْنِ فَإِنْ كَانَ الْعَدَدَانِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَكَانَا مَعًا زَوْجَيْنِ أَوْ  
فَرْدَيْنِ مَعًا فَصَاحِبُ الْأَقَلِّ مِنْهُمَا هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا زَوْجًا وَالْآخَرُ فَرْدًا  
فَصَاحِبُ الْأَكْثَرِ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانََا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَهُمَا مَعًا زَوْجَانِ  
فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانََا مَعًا فَرْدَيْنِ فَالطَّالِبُ هُوَ الْغَالِبُ وَيُقَالُ هُنَاكَ بَيْتَانِ فِي  
هَذَا الْعَمَلِ اشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ وَهُمَا

أَرَى الزَّوْجَ وَالْأَفْرَادَ يَسْتَوِ أَقْلَهَا  
وَيُغْلَبُ مَطْلُوبٌ إِذَا الزَّوْجُ يَسْتَوِي  
وَأَكْثَرُهَا عِنْدَ التَّخَالُفِ غَالِبٌ  
وَعِنْدَ امْتِثَالِ الْفَرْدِ يُغْلَبُ طَالِبٌ

ثُمَّ وَضَعُوا لِلْمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الْحُرُوفِ بَعْدَ طَرَحِهَا بِتِسْعَةٍ قَانُونًا مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ فِي طَرَحِ  
تِسْعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْحُرُوفَ الدَّالَّةَ عَلَى الْوَاحِدِ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ (أ)  
الدَّالَّةُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ (ي) الدَّالَّةُ عَلَى الْعَشْرَةِ وَهِيَ وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْعَشْرَاتِ وَ (ق)  
الدَّالَّةُ عَلَى الْبَيَّاتَةِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْمِئَةِ وَ (ش) الدَّالَّةُ عَلَى الْأَلْفِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ  
فِي مَرْتَبَةِ الْأَلْفِ وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَلْفِ عَدَدٌ يُدَلُّ عَلَيْهِ بِالْحُرُوفِ لِأَنَّ الشَّيْءَ هِيَ آخِرُ  
حُرُوفِ أُبْجَدِ ثُمَّ رَتَّبُوا هَذِهِ الْأَحْرَفَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى نَسَبِ الْمَرَاتِبِ فَكَانَ مِنْهَا كَلِمَةٌ  
رُبَاعِيَّةٌ وَهِيَ (اَيْقَش) ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ بِالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ  
وَأَسْقَطُوا مَرْتَبَةَ الْأَلْفِ مِنْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آخِرَ حُرُوفِ أُبْجَدِ فَكَانَ مَجْمُوعُ حُرُوفِ  
الْإِثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ثَلَاثَةَ حُرُوفٍ وَهِيَ (ب) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْآحَادِ  
وَ (ك) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْعَشْرَاتِ وَهِيَ عِشْرُونَ وَ (ر) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمِئَةِ



وَهِيَ مِائَتَانِ وَصَيَّرُوها كَلِمَةً وَاحِدَةً ثَلَاثِيَّةً عَلَى نَسَقِ التَّرَاتِبِ وَهِيَ بَكْرٌ ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ  
بِالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ فَنَشَأَتْ عَنْهَا كَلِمَةٌ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ حُرُوفِ أُمُجِدٍ  
وَصَارَتْ تِسْعَ كَلِمَاتٍ زَايَةً عَدَدِ الْآحَادِ وَهِيَ اَيْقَشَ بَكْرٍ جَلَسَ دَمَتَ هَنْتَ وَصَنَعَ زَعَدَ  
حَفْظَ طَضَعَ مُرْتَبَةً عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا الَّذِي هِيَ فِي مَرْتَبَتِهِ  
فَأَوَّاحِدُ لِكَلِمَةِ اَيْقَشَ وَالْإِثْنَانِ لِكَلِمَةِ بَكْرٍ وَالثَّلَاثَةِ لِكَلِمَةِ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى التَّاسِعَةِ  
الَّتِي هِيَ طَضَعَ فَتَكُونُ لَهَا التَّسْعَةُ فَإِذَا أَرَادُوا طَرَحَ الْأَسْمِ بِتِسْعَةِ نَظَرُوا كُلَّ حَرْفٍ  
مِنْهُ فِي أَيِّ كَلِمَةٍ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَأَخَذُوا عَدَدَهَا مَكَانَهُ ثُمَّ جَمَعُوا الْأَعْدَادَ  
الَّتِي يَأْخُذُونَهَا بَدَلًا مِنْ حُرُوفِ الْأَسْمِ فَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى التَّسْعَةِ أَخَذُوا مَا فَضَلَ  
عَنْهَا وَإِلَّا أَخَذُوهُ كَمَا هُوَ ثُمَّ يَفْعَلُونَ كَذَلِكَ بِالْأَسْمِ الْآخِرِ وَيَنْظُرُونَ بَيْنَ الْخَارِجِينَ  
بِمَقْدَمَاتِهِ وَالسِّرِّيِّ هَذَا بَيِّنٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَاقِيَّ مِنْ كُلِّ عَقْدٍ مِنْ عُقُودِ الْأَعْدَادِ بِطَرَحِ  
تِسْعَةٍ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ فَكَأَنَّهُ يَجْمَعُ عَدَدَ الْعُقُودِ خَاصَّةً مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ فَصَارَتْ أَعْدَادُ  
الْعُقُودِ كَأَنَّهَا آحَادٌ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ وَالْعِشْرِينَ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْأَلْفَيْنِ وَكُلُّهَا اثْنَانِ  
وَكَذَلِكَ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ وَالْثَلَاثِيَّةُ وَالْثَلَاثَةُ الْأَلْفُ كُلُّهَا ثَلَاثَةٌ فَوُضِعَتْ  
الْأَعْدَادُ عَلَى التَّوَالِي دَالَّةً عَلَى أَعْدَادِ الْعُقُودِ لَا غَيْرَ وَجُعِلَتْ الْحُرُوفُ الدَّالَّةُ عَلَى أَصْنَافِ  
الْعُقُودِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْآحَادِ وَالْعِشْرَاتِ وَالْمِائِينَ وَالْأَلُوفِ (١) وَصَارَ عَدَدُ الْكَلِمَةِ  
الْمَوْضُوعِ عَلَيْهَا نَائِبًا عَنْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهَا سِوَاهُ دَلٌّ عَلَى الْآحَادِ أَوِ الْعِشْرَاتِ أَوِ الْمِائِينَ  
فَيُؤْخَذُ عَدَدُ كُلِّ كَلِمَةٍ عِوَضًا مِنْ الْحُرُوفِ الَّتِي فِيهَا وَتُجْمَعُ كُلُّهَا إِلَى آخِرِهَا كَمَا قُلْنَا  
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَتَدَاوِلُ بَيْنَ النَّاسِ مُنْذُ الْأَمْرِ الْقَدِيمِ وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَقِينَاهُ مِنْ شُيُوخِنَا  
يَرَى أَنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا كَلِمَاتٌ أُخْرَى تِسْعَةٌ مَكَانَ هَذِهِ وَمُتَوَالِيَةٌ كَتَوَالِيهَا وَيَفْعَلُونَ  
بِهَا فِي الطَّرَحِ بِتِسْعَةٍ مِثْلَ مَا يَفْعَلُونَهُ بِالْأُخْرَى سِوَاهُ وَهِيَ هَذِهِ اِرْبَ يَسْقُكُ جِرْلُطَ مَدُوصَ  
هَفَ نَحْذَنَ عَشَ خَمَ نَضَطَ تِسْعَ كَلِمَاتٍ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا  
الَّذِي فِي مَرْتَبَتِهِ فِيهَا الثَّلَاثِيُّ وَالرُّبَاعِيُّ وَالثَّنَائِيُّ وَلَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى أَصْلِ مُطَرِدٍ كَمَا  
تَرَاهُ لَكِنْ كَانَ شُيُوخُنَا يَنْقُلُونَهَا عَنْ شَيْخِ الْمَغْرِبِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ مِنَ السِّيَمَاءِ  
وَأَسْرَارِ الْحُرُوفِ وَالنِّجَامَةِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْبَنَاءِ وَيَقُولُونَ عَنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ بِهِمْ

(١) قوله والالوف فيه نظر لان الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامه

الْكَلِمَاتِ فِي طَرَحِ حِسَابِ النِّمِ أَصَحُّ مِنَ الْعَمَلِ بِكَلِمَاتِ آيَتِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ  
 ذَلِكَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَدَارِكُ الْغَيْبِ غَيْرَ مَعْرُوفٍ إِلَى أَرِسْطُو عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 الْأَرَاءِ الْبَعِيدَةِ عَنِ التَّحْقِيقِ وَالْبَرْهَانِ يَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ تَصَفُّحُهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ  
 الرُّسُوحِ اهـ . وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَائِنِ الصَّنَاعِيَّةِ لِاسْتِخْرَاجِ الْغُيُوبِ فِيمَا يَزْعُمُونَ الزَّايِرَجَةَ  
 الْمُسَمَّاةُ بِزَايِرَجَةِ الْعَالِمِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ السَّنِّيِّ مِنْ أَعْلَامِ  
 الْمُتَصَوِّفَةِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي آخِرِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ بِرَاكِشَ وَلِئَهْدِ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ  
 مِنْ مُلُوكِ الْمُرُوحِدِينَ وَهِيَ غَرِيبَةُ الْعَمَلِ صِنَاعَةٌ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِ يُوَلِّغُونَ بِإِفَادَةِ  
 الْغَيْبِ مِنْهَا بِعَمَلِهَا الْمَعْرُوفِ الْمَقْشُورِ فَيُخَرِّضُونَ بِذَلِكَ عَلَى حَلِّ رَمْزِهِ وَكَشْفِ غَايِضِهِ  
 وَصُورَتِهَا الَّتِي يَقَعُ الْعَمَلُ عَنْدهُمْ فِيهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي دَاخِلِهَا دَوَائِرُ مُتَوَازِيَةٌ لِلْأَفْلَاكِ  
 وَالْعَنَاصِرِ وَالْمُكَوِّنَاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْكَائِنَاتِ وَالْعُلُومِ  
 وَكُلُّ دَائِرَةٍ مَقْسُومَةٌ بِأَقْسَامٍ فَلِكُلِّهَا إِمَّا الْيُرُوجُ وَإِمَّا الْعَنَاصِرُ أَوْ غَيْرُهَا وَخُطُوطُ  
 كُلِّ قِسْمٍ مَرَّةً إِلَى الْمَرْكَزِ وَيُسَمُّونَهَا الْأَوْتَارَ وَعَلَى كُلِّ وَتَرٍ حُرُوفٌ مُتَابِعَةٌ مَوْضُوعَةٌ  
 فِيهَا بِرُشُومٍ <sup>(١)</sup> الرَّامِ الَّتِي هِيَ أَشْكَالُ الْأَعْدَادِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوَائِرِ وَالْحِسَابِ بِالْمَغْرِبِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِنْهَا بِرُشُومِ الْغُبَارِ الْمُتَعَارِفَةِ فِي دَاخِلِ الزَّايِرَجَةِ وَبَيْنَ الدَّوَائِرِ أَسْمَاءُ الْعُلُومِ  
 وَمَوَاضِعُ الْأَكْوَانِ وَعَلَى ظَاهِرِ الدَّوَائِرِ جَدُولٌ مُتَكَثِّرُ الْبُيُوتِ الْمُتَقَاطِعَةِ طَوِيلًا وَعَرْضًا  
 يَشْتَبِلُ عَلَى خَمْسَةٍ وَتَمْسِينِ بَيْتًا فِي الْعَرْضِ وَمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ فِي الطُّولِ جَوَانِبُ مِنْهُ  
 مَعْبُورَةُ الْبُيُوتِ ثَلَاثَةٌ بِالْعَدَدِ وَأُخْرَى بِالْحُرُوفِ وَجَوَانِبُ خَالِيَةُ الْبُيُوتِ وَلَا تَعْلَمُ نِسْبَةُ  
 تِلْكَ الْأَعْدَادِ فِي أَوْضَاعِهَا وَلَا الْقِسْمَةُ الَّتِي عِيَّنتِ الْبُيُوتَ الْعَامِرَةَ مِنَ الْخَالِيَةِ وَحَافَاتِ  
 الزَّايِرَجَةِ آيَاتٌ مِنْ عَرُوضِ الطَّرِيقِ عَلَى رُويِ الْأَمِّ الْمَنْصُوبَةِ تَتَضَمَّنُ صُورَةَ الْعَمَلِ  
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَطْلُوبِ مِنْ تِلْكَ الزَّايِرَجَةِ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ قَبِيلِ الْأَلْمَازِ فِي عَدَمِ الْوُضُوحِ  
 وَالْجَلَاءِ وَفِي بَعْضِ جَوَانِبِ الزَّايِرَجَةِ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ مَنْسُوبٌ لِبَعْضِ أَكْبَرِ أَهْلِ الْخَلْدَانِ  
 بِالْمَغْرِبِ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ وَهَّابٍ مِنْ عُلَمَاءِ أَشْجَلِيَّةٍ كَانَ فِي الدَّوَلَةِ الْاَلْمُتُونِيَّةِ وَنَصُّ الْبَيْتِ  
 سُؤَالَ عَظِيمٍ اخْتَلَفَ خُزَتْ فَصْنُ إِذْنٍ غَرَابِ سَكِّ ضَبْطُهُ الْجِدَّ مَثَلًا  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَتَدَاوِلُ عَنْدهُمْ فِي الْعَمَلِ لِاسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ السُّؤَالِ فِي هَذِهِ الزَّايِرَجَةِ

(١) قوله برشوم اي موضوعة بضم الراء جمع رشم بالشين المعجمة اهـ



وغيرها فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يُسأل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفاً ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا إلى الزاوية ثم إلى الوتر المكتشف فيها بالبرج الطالع من أوله ماراً إلى المركز ثم إلى محيط الدائرة قبالة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله إلى آخره والأعداد المرسومة بينهما ويصيرونها حروفاً بحساب الجمل وقد ينقلون أحادها إلى العشرات وعشرات إلى المئين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون إلى ذلك جميع ما على الوتر المكتشف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والأعداد من أوله إلى المركز فقط لا يتجاوزونه إلى المحيط ويغفلون بالأعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها إلى الحروف لأخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وتأنونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج وأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر التراتيب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب فإنه عندهم البعد عن أول التراتيب ثم يضربونه في عدد آخر يسوونه الأس الأكبر والدور الأصلي ويدخلون بما تجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويسقطون أخرى ويقاؤون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون إلى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسوونها الأدوار ويخرجون في كل دور لحرف الذي ينتهي عنده الدور ويباودون ذلك بعدد الأدوار المعتبر عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبنا نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزاوية وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لأنه قد مر لك أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وإنما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الإفهام والتوافق في الخطاب حتى يكون

الْجَوَابُ مُسْتَقِيمًا أَوْ مُوَافِقًا لِلسُّؤَالِ وَوُقُوعُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَكْسِيرِ الْحُرُوفِ  
الْمُجْتَمِعَةِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَرِ وَالْدُّخُولِ فِي الْجَدُولِ بِالْأَعْدَادِ الْمُجْتَمِعَةِ مِنْ ضَرْبِ  
الْأَعْدَادِ الْمَفْرُوضَةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنَ الْجَدُولِ بِذَلِكَ وَطَرَحِ أُخْرَى وَمَعَاوِذَ  
ذَلِكَ فِي الْأَدْوَارِ الْمَعْدُودَةِ وَمُقَابَلَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُرُوفِ الْبَيْتِ عَلَى التَّوَالِي غَيْرُ مُسْتَكْرَرٍ  
وَقَدْ يَقَعُ الْإِطْلَاقُ مِنْ بَعْضِ الْأَذْكِيَاءِ عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَيَقَعُ لَهُ مَعْرِفَةُ  
الْمَجْهُولِ فَالتَّنَاسُبُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ سَبَبُ الْحُصُولِ عَلَى الْمَجْهُولِ مِنَ الْمَعْلُومِ الْخَاصِلِ  
بِالنَّفْسِ وَطَرِيقُ الْحُصُولِ سَيِّئًا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً عَلَى الْقِيَاسِ وَزِيَادَةً  
فِي الْفِكْرِ وَقَدْ مَرَّ تَعْلِيلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَنْسُبُونَ هَذِهِ الرَّاوِجَةَ  
فِي الْغَالِبِ لِأَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِلْسَّبْتِيِّ وَلَقَدْ وَفَّقْتُ عَلَى أُخْرَى مَنْسُوبَةٍ لِسَهْلِ  
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَلَعَمْرِي إِنَّهَا مِنْ الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ وَالْمَعَانَةِ الْعَجِيبَةِ وَالْجَوَابُ الَّذِي  
يَخْرُجُ مِنْهَا فَالْتَبَرُ فِي خُرُوجِهِ مَنْظُومًا يَظْهَرُ لِي إِنَّمَا هُوَ الْمُقَابَلَةُ بِحُرُوفِ ذَلِكَ الْبَيْتِ  
وَلِهَذَا يَكُونُ التَّنْظِيمُ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوِيهِ وَيَبْدُلُ عَلَيْهِ أَنَا وَجَدْنَا أَعْمَالًا أُخْرَى لَهُمْ فِي مِثْلِ  
ذَلِكَ اسْتَقَطُوا فِيهَا الْمُقَابَلَةَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَخْرُجِ الْجَوَابُ مَنْظُومًا كَمَا تَرَاهُ عِنْدَ الْكَلَامِ  
عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَضَيُّعُ مَدَارِكِهِمْ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهَذَا الْعَمَلِ وَتَفُؤْدِهِ  
إِلَى الْمَطْلُوبِ فَيُنْكِرُ صِحَّتَهَا وَيَحْسِبُ أَنَّهَا مِنَ التَّحْيِلَاتِ وَالْإِيهَامَاتِ وَأَنَّ صَاحِبَ  
الْعَمَلِ بِهَا يُثَبِّتُ حُرُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي يَنْظُمُهُ كَمَا يُرِيدُ بَيْنَ أَثْنَاءِ حُرُوفِ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَرِ  
وَيَفْعَلُ تِلْكَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَلَا قَانُونٍ ثُمَّ يَجِيءُ بِالْبَيْتِ وَيُوهِمُ أَنَّ الْعَمَلِ جَاءَ  
عَلَى طَرِيقَةٍ مُنْضَبِطَةٍ وَهَذَا الْحَسْبَانُ تَوَهُمٌ فَاسِدٌ حَمَلٌ عَلَيْهِ الْقُصُورُ عَنْ فَهْمِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ  
الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ الْمَدَارِكِ وَالْعُقُولِ وَلَكِنْ مِنْ شَأْنِ كُلِّ  
مَدْرِكٍ إِنْكَارُ مَا لَيْسَ فِي طَوْقِهِ إِدْرَاكُهُ وَيَكْفِينَا فِي رَدِّ ذَلِكَ مُشَاهَدَةُ الْعَمَلِ بِبَيْتِهِ  
الصَّنَاعَةِ وَالْحَدْسُ الْقَطْعِيُّ فَإِنَّهَا جَاءَتْ بِعَمَلٍ مُطَرِّدٍ وَقَانُونٍ صَحِيحٍ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ  
يَبَاسِرُ ذَلِكَ يَمُنُ لَهُ ذِكَاؤُهُ وَحَدْسٌ وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَايَاةِ فِي الْعَدَدِ الَّذِي هُوَ  
أَوْضَحُ الْوَاضِحَاتِ يَعْسُرُ عَلَى الْفَهْمِ إِدْرَاكُهُ لِبُعْدِ النِّسْبَةِ فِيهِ وَخِائِرًا فَمَا ظَنُّكَ بِمِثْلِ  
هَذَا مَعَ خِفَاءِ النِّسْبَةِ فِيهِ وَغَرَابَتِهَا فَلْتَذْكُرْ مَسْئَلَةً مِنَ الْمَعَايَاةِ يَتَضَحُّ لَكَ بِهَا شَيْءٌ يَمَّا  
ذَكَرْنَا مِثَالَهُ لَوْ قِيلَ لَكَ خُذْ عَدَدًا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَأَجْعَلْ بِإِزَاءِ كُلِّ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةً مِنْ



الْفُلُوسِ ثُمَّ أَجْمَعَ الْفُلُوسَ الَّتِي أَخَذَتْ وَأَشْتَرِ بِهَا طَائِرًا ثُمَّ أَشْتَرِ بِالْدَّرَاهِمِ كُلِّهَا طَيْرًا  
 بِسَعْرِ ذَلِكَ الطَّائِرِ فَكَمْ الطَّيُورُ الْمُشْتَرَاةُ بِالْدَّرَاهِمِ فَجَوَابُهُ أَنْ تَقُولَ هِيَ تِسْعَةٌ لِأَنَّكَ  
 تَعْلَمُ أَنَّ فُلُوسَ الدَّرَاهِمِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ تَمْتَحِنُ وَأَنَّ عِدَّةَ اثْنَانِ الْوَاحِدِ  
 ثَمَانِيَةٌ فَإِذَا جَمَعْتَ الثَّمَنَ مِنَ الدَّرَاهِمِ إِلَى الثَّمَنِ الْآخِرِ فَكَانَ كُلُّهُ ثَمَنَ طَائِرٍ فَهِيَ  
 ثَمَانِيَةٌ طَيْرٍ عِدَّةُ اثْنَانِ الْوَاحِدِ وَتَرِيدُ عَلَى الثَّمَانِيَةِ طَائِرًا آخَرَ وَهُوَ الْمُشْتَرَى بِالْفُلُوسِ  
 التَّائِيْدَةُ أَوَّلًا وَعَلَى سَعْرِهِ أَشْتَرَيْتَ بِالْدَّرَاهِمِ فَتَكُونُ تِسْعَةٌ فَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ خَرَجَ  
 لَكَ الْجَوَابُ الْمُضْمَرُ بِسَرِّ التَّنَاسُبِ الَّذِي بَيْنَ أَعْدَادِ الْمَسْئَلَةِ وَالْوَهْمِ أَوَّلَ مَا يُقَالُ  
 إِلَيْكَ هَذِهِ وَأَمَّا هَذَا إِنَّمَا يَجْعَلُهُ مِنْ قِيلِ الْعَيْبِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَظَهَرَ أَنَّ التَّنَاسُبَ  
 بَيْنَ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ مَبْهُوْلَهَا مِنْ مَعْلُومِهَا وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْوَاقِعَاتِ الْخَاصَّةِ فِي  
 الْوُجُودِ أَوِ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْكَائِنَاتُ الْمُسْتَقْبَلَةُ إِذَا لَمْ تَعْلَمْ أَسْبَابُ وَفُوعِهَا وَلَا يَثْبُتُ لَهَا  
 خَبَرٌ صَادِقٌ عَنْهَا فَهُوَ غَيْبٌ لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ فَالْأَعْمَالُ الْوَاقِعَةُ  
 فِي الرَّاْيَرَجَةِ كُلُّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ الْفَظِ السُّؤَالِ لِأَنَّهَا كَمَا رَأَيْتَ  
 اسْتِنْبَاطُ حُرُوفٍ عَلَى تَرْتِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ بِعَيْنِهَا عَلَى تَرْتِيبٍ آخَرَ وَسِرٌّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ تَنَاسُبِ بَيْنَهُمَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ بَعْضُ دُونَ بَعْضٍ فَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ التَّنَاسُبَ تَيَسَّرَ عَلَيْهِ  
 اسْتِخْرَاجُ ذَلِكَ الْجَوَابِ بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ وَالْجَوَابُ يَدُلُّ فِي مَقَامٍ آخَرَ مِنْ حَيْثُ مَوْضُوعُ  
 الْفَظِ وَتَرَكَيبِهِ عَلَى وَفُوعِ أَحَدِ طَرَفِي السُّؤَالِ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ  
 الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بَلْ إِنَّمَا يَرْجِعُ لِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمَا فِي الْخَارِجِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى  
 مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بَلِ الْبَشَرُ مُحْجُوبُونَ عَنْهُ وَقَدْ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ  
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ



## الباب الثاني

في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه فصول وتمهيدات

### الفصل الاول

في ان احيال البدو والحضر طبيعية

إِعْلَمُ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَجْيَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ نَحْلَتِهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ فَإِنَّ اجْتِمَاعَهُمْ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى تَحْصِيلِهِ وَالْإِبْتِدَاءِ بِمَا هُوَ ضَرُورِيٌّ مِنْهُ وَنَشِيطٌ قَبْلَ الطَّالِبِ وَالْكَتَالِي فَيَنْتَهِي مَنْ يَسْتَعِيلُ الْفَلَحَ مِنَ الْغِرَاسَةِ وَالزَّرَاعَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَحِلُ الْقِيَامَ عَلَى الْحَيَوَانِ مِنَ النَّمِ وَالْبَقَرِ وَالْمَعَزِ وَالنَّحْلِ وَالذُّودِ لِنَتَاجِهَا وَاسْتِخْرَاجِ فَضْلَاتِهَا وَهَؤُلَاءِ الْقَائِمُونَ عَلَى الْفَلَحِ وَالْحَيَوَانِ تَدْعُوهُمْ الضَّرُورَةُ وَلَا بُدَّ إِلَى الْبَدْوِ لِأَنَّهُ مُشِيعٌ لِمَا لَا يَتَسَعُّ لَهُ الْخَوَاضِرُ مِنَ التَّرَارِيعِ وَالْفُتُنِ وَالْمَسَارِحِ لِلْحَيَوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَكَانَ اخْتِصَاصُ هَؤُلَاءِ بِالْبَدْوِ أَمْرًا ضَرُورِيًّا لَهُمْ وَكَانَ حَيْثُ اجْتَمَعَهُمْ وَتَعَاوَنُهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ وَغَمَرَانِهِمْ مِنَ الْقُوتِ وَالْكِنِ وَالْدِفْءِ إِنَّمَا هُوَ بِالْمِقْدَارِ الَّذِي يَحْفَظُ الْحَيَاةَ وَيُحْصِلُ بُلْغَةَ الْعَيْشِ مِنْ غَيْرِ مَزِيدٍ عَلَيْهِ لِلْعَجْرِ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ ثُمَّ إِذَا اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ هَؤُلَاءِ الْمُتَحِيلِينَ لِلْمَعَاشِ وَحَصَلَ لَهُمْ مَا فَوْقَ الْحَاجَةِ مِنَ الْغِنَى وَالرَّفَةِ دَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَى السُّكُونِ وَالْدَّعَةِ وَتَعَاوَنُوا فِي الرِّائِدِ عَلَى الضَّرُورَةِ وَاسْتَكْتَرُوا مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْمَلَابِسِ وَالتَّائِقِ فِيهَا وَتَوَسَّعَ الْبُيُوتُ وَاخْتِطَاطِ الْمُدُنِ وَالْأَمْصَارِ لِلتَّحْضُرِ ثُمَّ تَرِيدُ أَحْوَالُ الرَّفَةِ وَالْدَّعَةِ فَتَجِيءُ عَوَائِدُ التَّرَفِ الْبَالِغَةِ مَبَالِغًا فِي التَّائِقِ فِي عِلَاجِ الْقُوتِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَطَابِخِ وَانْتِقَاءِ الْمَلَابِسِ الْخَاصَةِ فِي أَنْوَاعِهَا مِنَ الْحَرِيرِ وَالذِّبَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَمُعَالَاةِ الْبُيُوتِ وَالصُّرُوحِ وَإِحْكَامِ وَضْعِهَا فِي تَنْجِيدِهَا وَالْإِنْتِهَاءِ فِي الصَّنَائِعِ فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْقِلِّ إِلَى غَايَتِهَا فَيَتَّخِذُونَ الْقُصُورَ وَالْمَنَازِلَ وَيَجْرُونَ فِيهَا الْبِيَاهَ وَيُعَالُونَ فِي صَرْحِهَا وَيُبَالِغُونَ فِي تَنْجِيدِهَا وَيَخْتَلِفُونَ فِي اسْتِجَادَةِ مَا يَتَّخِذُونَهُ لِمَعَاشِهِمْ مِنْ مَلْبُوسٍ أَوْ فِرَاشٍ أَوْ آيَةٍ أَوْ مَاعُونٍ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْحَضَرُ وَمَعْنَاهُ الْخَاضِرُونَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَالْبُلْدَانِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَنْتَحِلُ فِي مَعَاشِهِ الصَّنَائِعَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَحِلُ التِّجَارَةَ



وَتَكُونُ مَكَاسِبُهُمْ أَنْتَى وَأَرْقَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ  
وَمَعَاشُهُمْ عَلَى نِسْبَةِ وَجْدِهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَجْيَالَ الْبَدْوِ وَالْخَضِرِ طَبِيعَةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا

## الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الحلقة طبعي

قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْأَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ هُمُ الْمُتَحِلُّونَ لِلْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ النَّالِجِ  
وَالْقِيَامِ عَلَى الْأَنْعَامِ وَأَنَّهُمْ مُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْمَلَايِسِ وَالْمَسَاكِينِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَمُقْتَصِرُونَ عَمَّا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ حَاجِيٍّ أَوْ كُنَّالِيٍّ يَتَّخِذُونَ  
الْيُوتَ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ أَوْ الشَّجَرِ أَوْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ غَيْرَ مُنَجَّدَةً إِنَّمَا هُوَ قَصْدُ  
الْإِسْتِظْلَالِ وَالْكِنِّ لَا مَا وَرَاءَهُ وَقَدْ يَأْوُونَ إِلَى الْغِيَدَانِ وَالْكُهُوفِ وَأَمَّا أَقْوَاتُهُمْ  
فَيَتَنَاوَلُونَ بِهَا يَسِيرًا بِعِلَاجٍ أَوْ بِغَيْرِ عِلَاجٍ أَلْبَنَةً إِلَّا مَا مَسَّتْهُ النَّارُ فَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ مِنْهُمْ  
فِي الرِّعَاةِ وَالْقِيَامِ بِالنَّاحِ كَانَ الْقَمَامُ بِهِ أَوَّلَى مِنَ الظَّنِّ وَهُوَ لَا سُكَّانُ الْحَدَرِ  
وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ وَهُمْ عَامَّةُ الْبَرِّ وَالْأَعَاجِمِ وَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ فِي السَّائِمَةِ مِثْلَ النَّمِ  
وَالْبَقَرِ فَهُمْ ظَنٌّ فِي الْأَغْلَبِ لِارْتِيَادِ الْمَسَارِحِ وَالْمِيَاهِ لِحَيَوَانَاتِهِمْ فَالتَّقَلُّبُ فِي الْأَرْضِ  
أَصْلَحُ بِهِمْ وَيَسْتَوْنَ شَاوِيَةً وَمَعْنَاهُ الْقَائِمُونَ عَلَى الشَّاءِ وَالْبَقَرِ وَلَا يُعِدُّونَ فِي الْقَفْرِ  
لِقُدَانِ الْمَسَارِحِ الطَّبِيعَةِ وَهُوَ لَا مِثْلُ الْبَرِّ وَالْثَرَكِ وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ الثَّرَكَّانِ وَالصَّقَالِيَّةِ  
وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَاشُهُمْ فِي الْأَيْلِ فَهُمْ أَكْثَرُ ظَنًّا وَأَبْعَدُ فِي الْقَفْرِ مَجَالًا لِأَنَّ مَسَارِحَ  
الْثَّلُولِ وَنَبَاتَاتِهَا وَشَجَرَاتِهَا لَا يَسْتَعْنِي بِهَا الْأَيْلُ فِي قَوَامِ حَيَاتِهَا عَنْ مَرَاغِي الشَّجَرِ بِالْقَفْرِ  
وَوُرُودِ مِيَاهِهِ الْمِلْحَةِ وَالتَّقَلُّبِ فَضَلَ الْقِشَاءِ فِي تَوَاجِيهِ فِرَارًا مِنْ أَذَى الْبَدْوِ إِلَى دِفْءِ  
هَوَاتِهِ وَطَلَبًا لِلْخَضِرِ الْيَتَاجِرِ فِي رِمَالِهِ إِذَا الْأَيْلُ أَصْعَبُ الْحَيَوَانِ فَصَالًا وَمَخَاضًا  
وَأَحْوَجًا فِي ذَلِكَ إِلَى الدِّفْءِ فَاضْطُرُّوا إِلَى إِبْعَادِ النُّجْعَةِ وَرَبًّا زَادَتْهُمْ الْحَاجِيَّةُ عَنْ  
الْثَّلُولِ أَيْضًا فَأَوَّغَلُوا فِي الْقِفَارِ نَفَرَةً عَنْ الضِّعَةِ مِنْهُمْ فَكَانُوا لِذَلِكَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَحُّشًا  
وَيَتَزَلُّونَ مِنْ أَهْلِ الْخَوَاضِرِ مَتَزِلَّةَ الْوَحْشِ غَيْرَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَالْمَقْتَرِسِ مِنَ الْحَيَوَانِ  
الْعُجْمِ وَهُوَ لَا هُمْ الْعَرَبُ وَفِي مَعْنَاهُمْ ظُفُونُ الْبَرِّ وَزَنَاتُهُ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَكْرَادِ وَالْثَّرَكَّانِ  
وَالْثَرَكِ بِالْمَشْرِقِ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ نُّجْعَةً وَأَشَدَّ بِدَاوَةً لِأَنَّهُمْ مُحْتَضُونَ بِالْقِيَامِ عَلَى

الْأَبْلَ فَقَطْ وَهَؤُلَاءِ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى الشَّيْءِ وَالْبَقَرِ مَعَهَا فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ جِيلَ الْعَرَبِ  
طَبِيعِيٌّ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْعُمُرَانِ وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية اصل العمران

والامصار مدد لها

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْبَدُوَّ هُمُ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ فِي أَحْوَالِهِمُ الْعَاجِزُونَ عَمَّا  
خَوَافُهُ وَأَنَّ الْحَضَرَ الْمُعْتَمِدُونَ بِحَاجَاتِ الثَّرَفِ وَالْكَتَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَلَا  
شَكَّ أَنَّ الضَّرُورِيَّ أَقْدَمُ مِنَ الْعَاجِزِ وَالْكَتَالِيِّ وَمَسَابِقٌ عَلَيْهِ وَلِأَنَّ الضَّرُورِيَّ أَصْلُ  
وَالْكَتَالِيِّ فَرَعٌ نَاشِئٌ عَنْهُ فَالْبَدُوُّ أَصْلُ لِلْمَدُنِ وَالْحَضَرِ وَمَسَابِقٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّ أَوَّلَ  
مَطَالِبِ الْإِنْسَانِ الضَّرُورِيَّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى الْكَتَالِ وَالثَّرَفِ إِلَّا إِذَا كَانَ الضَّرُورِيَّ  
حَاصِلًا فَخُشُونَةُ الْبِدَاوَةِ قَبْلَ رِقَّةِ الْحَضَارَةِ وَلِهَذَا نَجِدُ التَّمَدُّنَ غَايَةً لِلْبَدَوِيِّ يَجْرِي إِلَيْهَا  
وَيَنْتَهِي بِسَعْيِهِ إِلَى مُتَدَرِّجٍ مِنْهَا وَمَتَى حَصَلَ عَلَى الرِّيشِ الَّذِي يَحْضُلُ لَهُ بِهِ أَحْوَالُ  
الثَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ عَاجَ إِلَى الدَّعَةِ وَأَمَكَنَ نَفْسَهُ إِلَى قِيَادِ الْمَدِينَةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الْقَبَائِلِ  
الْمُسْتَبَدِيَةِ كُلِّهِمْ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَتَشَوَّفُ إِلَى أَحْوَالِ الْبَادِيَةِ إِلَّا لَضَرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَيْهَا  
أَوْ لِتَقْصِيرٍ عَنْ أَحْوَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ وَمِمَّا يَشْهَدُ لَنَا أَنَّ الْبَدُوَّ أَصْلُ لِلْحَضَرِ وَمُتَقَدِّمٌ  
عَلَيْهِ أَنَا إِذَا قَفَّضْنَا أَهْلَ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ وَجَدْنَا أَوْلِيَّةَ أَكْثَرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدَوِ الَّذِينَ  
بِنَاحِيَةِ ذَلِكَ الْمِصْرِ وَعَدَلُوا إِلَى الدَّعَةِ وَالثَّرَفِ الَّذِي فِي الْحَضَرِ وَذَلِكَ يُدِلُّ عَلَى أَنَّ  
أَحْوَالَ الْحَضَارَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ أَحْوَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّهَا أَصْلُ لَهَا فَتَفَهَّمْهُ . ثُمَّ إِنَّ كُلَّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْبَدَوِ وَالْحَضَرِ مُتَفَاوِتُ الْأَحْوَالِ مِنْ جِلْسِهِ قُرْبَ حَيٍّ أَعْظَمُ مِنْ حَيٍّ وَقَبِيلَةٍ  
وَعَظَمُ مِنْ قَبِيلَةٍ وَمِصْرٍ أَوْسَعُ مِنْ مِصْرٍ وَمَدِينَةٍ أَكْثَرُ عُثْرَانًا مِنْ مَدِينَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ  
أَجُودَ الْبَدَوِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وَجُودِ الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ وَأَصْلُ لَهَا بِمَا أَنَّ وَجُودَ الْمَدُنِ  
وَالْأَمْصَارِ مِنْ عَوَائِدِ الثَّرَفِ وَالدَّعَةِ الَّتِي هِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ عَوَائِدِ الضَّرُورَةِ الْمَعَاشِيَةِ  
وَلِلَّهِ أَعْلَمُ



## الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر

وَسَيِّئُهُ أَنَّ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى الْإِطْرَةِ الْأُولَى كَانَتْ مُتَهَيِّئَةً لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا وَيَنْطَبِعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَيُّوَاهُ يَهْرُدَانِهِ أَوْ يُنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ وَيَقْدِرُ مَا سَبَقَ إِلَيْهَا مِنْ أَحَدِ الْخَلْقَيْنِ تَبَعْدُ عَنْ الْآخَرِ وَيَضَعُ عَلَيْهَا أَكْتِسَابَهُ فَصَاحِبُ الْخَيْرِ إِذَا سَبَقَتْ إِلَى نَفْسِهِ عَوَائِدُ الْخَيْرِ وَحَصَلَتْ لَهَا مَلَكَتُهُ بَعْدَ عَنِ الشَّرِّ وَصَعِبَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَكَذَا صَاحِبُ الشَّرِّ إِذَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ أَيْضًا عَوَائِدُهُ وَأَهْلُ الْخَضِرِ لِكَثْرَةِ مَا يُعَانُونَ مِنْ قُنُونِ التَّلَازِي وَعَوَائِدِ التَّرَفِّ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْعُكُوفِ عَلَى شَهَوَاتِهِمْ مِنْهَا وَقَدْ تَلَوْتُ أَنْفُسَهُمْ بِكَثِيرٍ مِنْ مَذْمُومَاتِ الْخَلْقِ وَالشَّرِّ وَبَعْدَتْ عَلَيْهِمْ طُرُقُ الْخَيْرِ وَمَسَالِكُهُ بِقَدْرِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى أَقْدَ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُ الْحَيَاةِ فِي أَحْوَالِهِمْ فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَقْدَعُونَ فِي أَقْوَالِ الْفَحْشَاءِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَبَيْنَ كِبَرَانِهِمْ وَأَهْلٍ مَخَارِبِهِمْ لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهُ وَازِعُ الْحَيَاةِ لَمَّا أَخَذَتْهُمْ بِهِ عَوَائِدُ السُّوءِ فِي التَّظَاهَرِ بِالْفَوَاحِشِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَأَهْلُ الْبَدْوِ وَإِنْ سَكَنُوا مُقِيلِينَ عَلَى الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْقِيَادَةِ الصَّرُورِيِّ لَا فِي التَّرَفِّ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ وَدَوَائِعِهَا فَتَوَائِدُهُمْ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ عَلَى نِسْبَتِهَا وَمَا يَحْضُرُ فِيهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ السُّوءِ وَمَذْمُومَاتِ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْخَضِرِ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ فَهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِهْرَةِ الْأُولَى وَأَبْعَدُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ مِنْ سُوءِ الْمَلَكَاتِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْمَذْمُومَةِ وَقُبْحِهَا فَيَسْهُلُ عَلَيْهِمْ عَنْ عِلَاجِ الْخَضِرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَقَدْ يَتَوَضَّحُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّ الْخَضِرَ هِيَ نِهَازَةُ الْعُمَرَانِ وَخُرُوجُهُ إِلَى النَّسَادِ وَنِهَازَةُ الشَّرِّ وَالْبُعْدُ عَنِ الْخَيْرِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ أَقْرَبُ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَضِرِ وَاللَّهُ يُجِبُ الْمُتَّقِينَ وَلَا يَعْزِضُ عَلَى ذَلِكَ بَأْ وَرَدَّ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ قَوْلِ الْحَجَّاجِ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْرَعِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى سُكْنَى الْبَادِيَةِ فَقَالَ لَهُ ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِيكَ تَعَرَّبْتَ فَقَالَ لَا وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ فَأَعْلَمْتُ أَنَّ الْهِجْرَةَ أَفْضَلُ مِنْ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِيَكُونُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ حَلَّ مِنَ الْمَوَاطِنِ يَنْصُرُونَهُ وَيُظَاهِرُونَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَيَخْرِسُونَهُ وَلَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَى الْأَعْرَابِ

أَهْلُ الْبَادِيَةِ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَمَسُّهُمْ مِنْ عَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُظَاهَرَةِ  
وَالْحِرَاسَةِ مَا لَا يَمَسُّ غَيْرَهُمْ مِنْ بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ وَقَدْ كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَسْتَعِيدُونَ بِاللَّهِ  
مِنَ التَّعَرُّبِ وَهُوَ سُكْنَى الْبَادِيَةِ حَيْثُ لَا تَجِبُ الْهَجْرَةُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عِنْدَ مَرَضِهِ بِمَكَّةَ اللَّهُمَّ أَصْرِي لِأَصْحَابِي هُجْرَتُهُمْ وَلَا  
تُرُدُّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَمَعْنَاهُ أَنْ يُؤَفِّقَهُمْ لِلْمَلَاذِمَةِ الْمَدِينَةِ وَعَدَمِ التَّحَوُّلِ عَنْهَا فَلَا يَرْجِعُوا  
عَنْ هُجْرَتِهِمْ الَّتِي ابْتَدَأُوا بِهَا وَهُوَ مِنْ بَابِ الرُّجُوعِ عَلَى الْعَيْبِ فِي السَّعْيِ إِلَى وَجْدِهِ مِنْ  
الْوُجُوهِ وَقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ خَاصًّا بِمَا قَبْلَ الْفَتْحِ حِينَ كَانَتْ الْحَاجَةُ دَاعِيَةً إِلَى الْهَجْرَةِ  
لِللَّهِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا بَعْدَ الْفَتْحِ وَحِينَ كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَاعْتَدُوا وَتَكَثَّلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ  
بِالْعَصَةِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ الْهَجْرَةَ سَاقِطَةٌ حِينَئِذٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ  
الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ إِنْشَاؤها عَنْ يُسْلِمَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ وَجُوبُهَا عَنْ أَسْلَمَ وَمَاجِرِ  
قَبْلَ الْفَتْحِ وَالْكُلُّ مُجْبِعُونَ عَلَى أَنَّهَا بَعْدَ الْوَفَاةِ سَاقِطَةٌ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ أَفْتَرَقُوا مِنْ يَوْمِئِذٍ  
فِي الْأَفَاقِ وَانْتَشَرُوا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فَضْلُ السُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ هَجْرَةُ فَقَوْلُ الْحَجَّاجِ  
سَلَمَةَ حِينَ سَكَنَ الْبَادِيَةَ أَرْتَدَدْتَ عَلَى عَهْدِكَ تَعَرَّبْتَ نَعَى عَلَيْهِ فِي تَرْكِ السُّكْنَى  
بِالْمَدِينَةِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى الدَّعَاءِ الْمَأْثُورِ الَّذِي قَدَّمَاهُ وَهُوَ قَوْلُهُ لَا تُرُدُّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ  
وَقَوْلُهُ تَعَرَّبْتَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ صَارَ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يُهَاجِرُونَ وَأَجَابَ سَلَمَةَ  
بِإِنْكَارِ مَا أَلْزَمَهُ مِنَ الْأَمْرِ وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْنَى لَهُ فِي الْبَدْوِ وَيَكُونُ  
ذَلِكَ خَاصًّا بِهِ كَشَهَادَةِ خُزَيْمَةَ وَخِثَاقِ أَبِي بُرْدَةَ أَوْ يَكُونُ الْحَجَّاجُ إِذَا نَعَى عَلَيْهِ  
تَرْكَ السُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ فَقَطُّ لِعَلِّهِ بِسُقُوطِ الْهَجْرَةِ بَعْدَ الْوَفَاةِ وَأَجَابَهُ سَلَمَةُ بِأَن  
أَغْنَاهُ لِإِذْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى وَأَفْضَلُ فَمَا آثَرُهُ بِهِ وَأَخْتَصَّهُ إِلَّا لِمَعْنَى  
عَلَيْهِ فِيهِ وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَلَيْسَ دَلِيلًا عَلَى مَذْمَةِ الْبَدْوِ الَّذِي عَرَّ عَنْهُ بِالتَّعَرُّبِ لِأَن  
مَشْرُوعِيَّةَ الْهَجْرَةِ إِذَا كَانَتْ كَمَا عَلِمْتَ لِمُظَاهَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِرَاسَتِهِ  
لَا لِمَذْمَةِ الْبَدْوِ فَلَيْسَ فِي النَّعْيِ عَلَى تَرْكِ هَذَا الْوَاجِبِ دَلِيلٌ عَلَى مَذْمَةِ التَّعَرُّبِ وَاللَّهُ  
سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ



## الفصل الخامس

في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ أَلْقَوْا جُتُوبَهُمْ عَلَى مِهَادِ الرَّاحَةِ وَالِدَّعَةِ وَأَنْفَعَسُوا فِي النَّعِيمِ وَالْتَفَّ وَوَكَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي الْمُدَافَعَةِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى وَالِيهِمْ وَأَخْلَا كَيْمَ الَّذِي يَسُوسُهُمْ وَالْحَاطِمِيَّةَ الَّتِي تَوَلَّى حِرَاسَتَهُمْ وَاسْتَنَامُوا إِلَى الْأَسْوَارِ الَّتِي تَحُوطُهُمْ وَالْحُرُزِ الَّذِي يَحُولُ دُونَهُمْ فَلَا تَهَيِّجُهُمْ هَيْعَةٌ وَلَا يَنْفَرُ لَهُمْ صَيْدٌ فَهُمْ غَارُونَ آمِنُونَ قَدْ أَلْقَوْا السِّلَاحَ وَتَوَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَحْيَالُ وَتَنَزَّلُوا مَنَزِلَةَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى أَبِي مَشَرَاهُمْ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ خُلُقًا يَنْتَزِلُ مَنَزِلَةَ الطَّبِيعَةِ وَأَهْلُ الْبَدْوِ لِيَنْفِرُوا عَنْ الْمَجْتَمَعِ وَتَوَحُّشِهِمْ فِي الصَّوَاخِي وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَاطِمِيَّةِ وَانْتِبَازِهِمْ عَنِ الْأَسْوَارِ وَالْأَبْوَابِ قَائِمُونَ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا يَكِلُونَهَا إِلَى سِوَاهُمْ وَلَا يَتَّقُونَ فِيهَا بَغْيَهُمْ فَهُمْ دَائِمًا يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ وَيَتَلَقَّوْنَ عَنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الطَّرْقِ وَيَتَجَافُونَ عَنِ الْهُجُوعِ إِلَّا غَرَارًا فِي الْمَجَالِسِ وَعَلَى الرِّحَالِ وَفَرَقَ الْأَقْتَابِ وَيَتَوَجَّسُونَ لِلنَّبَاتِ وَالْهَيْعَاتِ وَيَتَفَرَّدُونَ فِي الْقَفْرِ وَالسِّدَاءِ مُدْلِينَ بِبَاسِهِمْ وَائْتِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ قَدْ صَارَ لَهُمُ الْبَاسُ خُلُقًا وَالشَّجَاعَةُ سَجِيَّةً يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَتَى دَعَاهُمْ دَاعٍ أَوْ اسْتَنْفَرَهُمْ صَارِخٌ وَأَهْلُ الْحَضَرِ مَهْمَا خَالَطُوهُمْ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ صَاحَبُوهُمْ فِي السَّفَرِ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ أَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ سَتَى فِي مَعْرِفَةِ النَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ وَمَوَارِدِ الْبِيَاهِ وَمَشَارِعِ السُّبُلِ وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا شَرَحْنَاهُ وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ابْنُ عَوَائِدِهِ وَمَأْلُوفِهِ لَا ابْنَ طَبِيعَتِهِ وَمِزَاجِهِ فَالَّذِي أَلْفَهُ فِي الْأَحْوَالِ حَتَّى صَارَ خُلُقًا وَمَلَكَهَ وَعَادَةً تَنَزَّلُ مَنَزِلَةَ الطَّبِيعَةِ وَاجْتَلَبَتْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي الْأَدَمِيِّينَ تَجِدُهُ كَثِيرًا صَحِيحًا وَلَهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

## الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مَالِكٌ أَمْرٍ نَفْسِهِ إِذِ الرُّؤَسَاءُ وَالْأُمَرَاءُ الْمَالِكُونَ لِأَمْرِ النَّاسِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ فَمِنْ الْعَالِبِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي مَلَكَهَ غَيْرِهِ وَلَا بُدَّ فَإِنْ كَانَتِ الْمَلَكَهَ رَفِيقَةً وَعَادِلَةً لَا يُعَانِي مِنْهَا حُكْمٌ وَلَا مَنَعٌ وَصَدَّكَ كَانَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ

يدها مدين يا في أنفسهم من شجاعة أو جبن واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم  
 الأدلال جيلة لا يعرفون سواها وأما إذا كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة  
 والإخافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب النعمة عنهم لما يكون من  
 التكاسل في النفوس المضطهدة كما نيتة وقد نهى عمر سعداً رضي الله عنهما عن  
 مثلها لما أخذ زهرة بن جوبة سلب الجالوس وكانت قيمته خمسة وسعين ألفاً من  
 الذهب وكان أتبع الجالوس يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فازترعه منه سعد وقال  
 له هلا انتظرت في اتباعي إذني وكتب إلى عمر يستأذنه فكتب إليه عمر تعمد إلى  
 مثل زهرة وقد صلى يا صلى به وبتي عليك ما بتي من حربك وتكسر فوقه وتفسد  
 قلبه وأمضى له عمر سلبه وأما إذا كانت الأحكام بالعقاب فمذهبة للبأس بالكلية  
 لأن وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه  
 بلا شك وأما إذا كانت الأحكام تأديبية وتعليلية وأخذت من عهد الصبا أثرت  
 في ذلك بعض الشيء لمرابه على المحافة والآتياد فلا يكون مدلاً ببأسه ولهذا نجد  
 المترحشين من العرب أهل البدو أشد بأساً بمن نأخذ الأحكام ونجد أيضاً الذين  
 يمانون الأحكام وملكته من لدن مرابهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم  
 والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيراً ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم عادية  
 يوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المتبحرين للرأفة والأخذ عن المشايخ  
 والأئمة الممارسين للتعليم والتأديب في مجالس أوقار والهيئة فيهم هذه الأحوال  
 وذهابها بالنعمة والبأس ولا تستنكر ذلك يا وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام  
 الدين والشرعة ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا أشد الناس بأساً لأن الشارع  
 صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من أنفسهم لما  
 تلي عليهم من التغيب والترهيب ولم يكن يتعلم صناع ولا تأديب تعليمي إنما  
 هي أحكام الدين وآدابه المتلثة تقرأ يأخذون أنفسهم بها يا رسخ فيهم من عقائد  
 الإيمان والتصديق فلم يزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تغدشها أظفار  
 التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصاً  
 على أن يكون الوازع لكل أحد من نفسه وبيتنا بأن الشارع أعلم بمصالح العباد



وَلَمَّا تَنَاقَصَ الدِّينُ فِي النَّاسِ وَأَخَذُوا بِالْأَحْكَامِ الْوَارِثَةِ ثُمَّ صَارَ الشَّرْعُ عِلْمًا وَصِنَاعَةً  
يُؤْخَذُ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَخُلِقَ الْإِتْقَانُ إِلَى الْأَحْكَامِ  
نَقَصَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْبَاسِ فِيهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَحْكَامَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ مُفِيدَةٌ  
لِلْبَاسِ لِأَنَّ الْوَارِثَ فِيهَا ذَاتِي وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ وَالتَّعْلِيمِيَّةُ مِمَّا  
تَوَثَّرَ فِي أَهْلِ الْحَوَاضِرِ فِي ضَعْفِ نَفْسِهِمْ وَخَضِ الشُّوْكَةِ مِنْهُمْ بِمُعَانَاتِهِمْ فِي وَلِيدِهِمْ  
وَكَهُولِهِمْ وَالْبَدْوُ بِمَعَزَلٍ مِنْ هَذِهِ الْمَثَلَةِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ أَحْكَامِ السُّلْطَانِ وَالتَّعْلِيمِ  
وَالْأَدَابِ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَحْكَامِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالتَّعَلِّمِينَ  
أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤَدِّبِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الصِّبْيَانِ فِي التَّعْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ نَقْلَهُ  
عَنْ شَرِيحِ الْقَاضِي وَاحْتِجَّ لَهُ بَعْضُهُمْ بِمَا وَقَعَ فِي حَدِيثٍ بَدَأَ أَوْحَى مِنْ شَأْنِ النُّقْطِ وَأَنَّهُ  
كَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَا يَصْلُحُ شَأْنُ النُّقْطِ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ لِبُعْدِهِ  
عَنِ التَّعْلِيمِ الْمُتَعَارَفِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

### الفصل السابع

في ان سكتي البدو لا تكون الا للقبائل اهل العصية

إِعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَكَّبَ فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهَدَيْنَاهُ  
النَّجْدَيْنِ وَقَالَ فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وَالشَّرُّ أَقْرَبُ الْحَلَالِ إِلَيْهِ إِذَا أَهْلٌ فِي مَرْعَى  
عَوَائِدِهِ وَلَمْ يُهْدَبْهُ إِلَّا تَدَاءً بِالْدِّينِ وَعَلَى ذَلِكَ الْجَمُّ الْخَيْرُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَمِنْ  
أَخْلَاقِ الْبَشَرِ فِيهِمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَمَنْ أَمْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى مَتَاعِ  
أَخِيهِ فَقَدْ أَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَصُدَّهُ وَارِثُ كَمَا قَالَ

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدَّدَ دَا عَيْنُهُ فَلَعَلَّةٌ لَا يَظْلِمُ

فَأَمَّا الْمُدُنُ وَالْأَمْصَارُ فَعُدْوَانُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَدْفَعُهُ الْحُكُومُ وَالْدَّوْلَةُ بِمَا قَبَضُوا  
عَلَى أَيْدِي مَنْ تَحْتَهُمْ مِنَ الْكَافَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ يَعْدُو عَلَيْهِ فَهُمْ  
مَكْبُوحُونَ بِحِكْمَةِ الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ عَنِ الظُّلْمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِكُمْ يَنْفُسِهِ وَأَمَّا  
الْعُدْوَانُ الَّذِي مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ فَيَدْفَعُهُ سِيَاحُ الْأَسْوَارِ عِنْدَ الْقَلْعَةِ أَوْ الْغُرَّةِ لَيْلًا  
أَوْ الْعَجْرِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ نَهَارًا أَوْ يَدْفَعُهُ أَزْدِيَادُ الْحَامِيَةِ مِنْ أَعْوَانِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْأَسْتِعْدَادِ  
وَالْمَقَاوِمَةِ وَأَمَّا أَحْيَاءُ الْبَدْوِ فَيَدْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ مَشَانِيهِمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ بِمَا وَفَّرَ فِي

نُفُوسِ الْكَافَّةِ لَهُمْ مِنَ الْوَقَارِ وَالْتِجَلَّةِ وَأَمَّا حِلْلُهُمْ فَإِنَّمَا يَدُودُ عَنْهَا مِنْ خَارِجِ حَامِيَةِ  
الْحَيِّ مِنْ أَنْجَادِهِمْ وَفَتْيَانِهِمْ الْمَعْرُوفِينَ بِالسَّجَاعَةِ فِيهِمْ وَلَا يَصْدُقُ دِفَاعُهُمْ وَذِيَادُهُمْ  
إِلَّا إِذَا كَانُوا عَصِيَّةً وَأَهْلَ نَسَبٍ وَاحِدٍ لَأَنَّهُمْ بِذَلِكَ تَشَدُّ شُرَكَهُمْ وَيُخْشَى جَانِبُهُمْ  
إِذَا نُفِرَ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى نَسَبِهِ وَعَصِيَّتِهِ أَهْمٌ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ الشَّقَّةِ  
وَالنُّعْرَةِ<sup>(١)</sup> عَلَى ذَوِي أَرْحَامِهِمْ وَقُرْبَاهُمْ مَوْجُودَةً فِي الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِهَا يَكُونُ  
التَّعَاظِدُ وَالتَّنَاصُرُ وَتَعْظُمُ رَهْبَةُ الْعَدُوِّ لَهُمْ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْ إِخْوَةِ  
يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالُوا لِأَبِيهِ لِمَنْ أَكَلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا حُلَّاسِرُونَ  
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُتَوَكَّمُ الْعَدُوَانُ عَلَى أَحَدٍ مَعَ وُجُودِ الْعِصْبَةِ لَهُ وَأَمَّا الْمُتَفَرِّدُونَ فِي  
أَنْسَابِهِمْ فَقُلَّ أَنْ تُصِيبَ أَحَدًا مِنْهُمْ نُعْرَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ فَإِذَا أَظْلَمَ الْجَوُّ بِالشَّرِّ يَوْمَ  
الْحَرْبِ تَسَلَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِغِيٍّ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ خِيفَةً وَأَسْتِيحَاشًا مِنَ التَّخَاذُلِ فَلَا  
يُقْدِرُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَى سُكْنَى الْفَقْرِ لِمَا أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ طُعْمَةٌ لِمَنْ يَلْتَهُمُهُمْ مِنْ  
الْأُمَمِ سِوَاهُمْ وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي السُّكْنَى الَّتِي تَحْتَاجُ لِلْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَيَسْتَلِهُ  
يَتَبَيَّنُ لَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحِلُّ النَّاسَ عَلَيْهِ مِنْ نُبُوَّةٍ أَوْ إِقَامَةِ مَلِكٍ أَوْ دَعْوَةٍ إِذَا بُلُوغُ  
الْعَرَضِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالْقِتَالِ عَلَيْهِ لِمَا فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ مِنَ الْإِسْتِعْصَاءِ وَلَا  
يَبْدُ فِي الْقِتَالِ مِنَ الْعَصِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا فَاتَّخِذْهُ إِمَامًا تَقْتَدِي بِهِ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ  
بَعْدَ وَلَّاهُ الْمُؤَفَّقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن

في ان العصية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه  
وَذَلِكَ أَنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ إِلَّا فِي الْأَقْلَى وَ مِنْ صَلَاتِهَا النُّعْرَةُ عَلَى ذَوِي  
الْقُرْبَى وَأَهْلِ الْأَرْحَامِ أَنْ يَنَالَهُمْ ضِمٌّ أَوْ تُصِيبَهُمْ هَلَكَةٌ فَإِنَّ الْقَرِيبَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ  
غَضَاضَةً مِنْ ظُلْمِ قَرِيبِهِ أَوْ الْعَدَاءِ عَلَيْهِ وَيُودُّ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَصِلُهُ مِنَ التَّعَاظِبِ  
وَالْتِهَالِكِ تَوَعُّدٌ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ مُذْ كَانُوا فَإِذَا كَانَ النَّسَبُ الْمُتَوَاصِلُ بَيْنَ الْمُتَنَاصِرِينَ  
قَرِيبًا جَدًّا بَحِثُ حَصَلَ بِهِ الْإِتِّعَادُ وَالْإِلْتِمَامُ كَانَتْ الْوَصْلَةُ ظَاهِرَةً فَاسْتَدْعَتْ ذَلِكَ  
بِمُجَرَّدِهَا وَوُضُوحِهَا وَإِذَا بَعُدَ النَّسَبُ بَعْضُ الشَّيْءِ قَرِيبًا تُنَوِّمِي بَعْضُهَا وَيَبْقَى مِنْهَا سُورَةٌ

(١) النعرة والنعار بالضم فيها والنعر الصراخ والصياح في حرب او شركا في القاموس



فَتَحِيلُ عَلَى الثُّغْرَةِ لِذَوِي ذِمَّةٍ بِالْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْهُ فِرَاراً مِنَ الْغَضَاظَةِ الَّتِي يَتَوَهَّمُ فِي  
نَفْسِهِ مِنْ ظُلْمٍ مَنْ هُوَ مَنُسوبٌ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْوَلَاءُ وَالْحَلْفُ إِذْ نُغْرَةُ كُلِّ  
أَحَدٍ عَلَى أَهْلِهِ وَلَا يَتِيهِ وَحَلْفُهُ إِلَّا لِقَةِ الَّتِي تَلْحَقُ النَّفْسَ مِنْ اهْتِضَامِ جَارِهَا أَوْ قَرِيبِهَا أَوْ  
نَسَبِيٍّ أَوْ بَوَاجِدٍ مِنْ وَجْهِهِ النَّسَبِ وَذَلِكَ لِأَجْلِ اللَّحْمَةِ الْخَالِصَةِ مِنَ الْوَلَاءِ مِثْلَ لُحْمَةِ النَّسَبِ  
أَوْ قَرِيباً مِنْهَا وَمِنْ هَذَا تَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا  
تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِنَّمَا فَائِدَتُهُ هَذَا الْإِلْتِحَامُ الَّذِي يُوجِبُ صَلَةَ  
لِلْأَرْحَامِ حَتَّى تَقَعَ الْمُنَاصَرَةُ وَالْبُغْرَةُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مُسْتَقْنَى عَنْهُ إِذَا النَّسَبُ أَمْرٌ وَهَمِي  
لَا حَقِيقَةً لَهُ وَنَفْعُهُ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْوَصْلَةِ وَالْإِلْتِحَامِ فَإِذَا كَانَ ظَاهِراً وَاضِحاً حَلَّ  
النَّفُوسَ عَلَى طَبِيعَتِهَا مِنَ الثُّغْرَةِ كَمَا قُلْنَا وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْخَبَرِ الْبَعِيدِ ضَعُفٌ  
فِيهِ الْوَهْمُ وَذَهَبَتْ فَائِدَتُهُ وَصَارَ الشُّغْلُ بِهِ مَجَاناً وَمِنْ أَعْمَالِ اللَّهِوِ التَّنْهِي عَنْهُ وَمِنْ  
هَذَا الْإِعْتِبَارِ مَعْنَى قَوْلِهِمُ النَّسَبُ عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجَهَالَةٌ لَا تُضُرُّ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِذَا  
خَرَجَ عَنِ الْوُضُوحِ وَصَارَ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ ذَهَبَتْ فَائِدَةُ الْوَهْمِ فِيهِ عَنِ النَّفْسِ وَأَنْتَفَتْ  
الثُّغْرَةُ الَّتِي تَحِيلُ عَلَيْهَا الْعَصِيَّةُ فَلَا مَنَفْعَةَ فِيهِ حِينَئِذٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب

ومن في معنائهم

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اخْتَصَوْا بِهِ مِنْ نَكْدِ الْعَيْشِ وَشَطَفِ الْأَحْوَالِ وَسُوءِ الْمَوَاطِنِ حَمَلَتُهُمْ  
عَلَيْهَا الضَّرُورَةُ الَّتِي عَيَّنَتْ لَهُمْ تِلْكَ التَّسَمَةَ وَهِيَ لَمَّا كَانَ مَعَاشُهُمْ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأَيْلِ  
وَنَتَاجِهَا وَرِعَايَتِهَا وَالْأَيْلُ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ لِرِعَايَتِهَا مِنْ شَجَرِهِ وَنَتَاجِهَا فِي  
رِمَالِهِ كَمَا تَقَدَّمَ وَالْقَفْرُ مَكَانُ الشَّطَفِ وَالسَّغْبِ فَصَارَ لَهُمْ الْفَاوَعَادَةُ وَرَبِيتُ فِيهِ  
أَجْيَالُهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَتْ خُلُقًا وَجِيلَةً فَلَا يَتَرَعُّ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ أَنْ يُسَاسَهُمْ فِي  
حَالِهِمْ وَلَا يَأْنِسُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ بَلْ لَوْ وَجَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ السَّبِيلَ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ  
حَالِهِ وَأَمَكْنَهُ ذَلِكَ لَمَّا تَرَكَهُ فَيُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَاطِ أَنْسَابِهِمْ وَفَسَادِهَا  
وَلَا تَرَالُ يَتِيهِمْ مَخْذُوظَةٌ صَرِيحَةٌ وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ فِي مُضَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَتَقِيفٍ وَبَنِي  
أَسَدٍ وَهَذِيلٍ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنْ خُرَاعَةٍ لَمَّا كَانُوا أَهْلَ شَطَفٍ وَمَوَاطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زَرْعٍ

وَلَا ضَرْعَ وَبَعْدُوا مِنْ أَرْيَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعَادِنِ الْأَدَمِ وَالْحُبُوبِ كَيْفَ كَانَتْ  
 أَنْسَابُهُمْ صَرِيحَةً مَحْفُوظَةً لَمْ يَدْخُلْهَا اخْتِلَاطٌ وَلَا عُرِفَ فِيهَا شُوبٌ وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ  
 كَانُوا بِالتَّلُولِ وَفِي مَعَادِنِ الْحَضْبِ لِلْمَرَاغِي وَالْعَيْشِ مِنْ خَمِيرٍ وَكَيْهْلَانٍ مِثْلَ لَحْمٍ وَجَذَامٍ  
 وَغَسَّانٍ وَطَيِّرٍ وَقَضَاعَةٍ وَإِيَادٍ فَأَخْتَلَطَتْ أَنْسَابُهُمْ وَتَدَاخَلَتْ شُعُوبُهُمْ فَنَبِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 بِيُوتِهِمْ مِنْ اخْتِلَافٍ عِنْدَ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ وَمَخَالِطَتِهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ الْمُحَافَظَةَ عَلَى النَّسَبِ فِي بِيُوتِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا لِلْعَرَبِ فَقَطْ .  
 قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَعَلَّمُوا النَّسَبَ وَلَا تَكُونُوا كَنَبَطِ السَّوَادِ إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ  
 عَنْ أَصْلِهِ قَالَ مِنْ قَرْيَةٍ كَذَا هَذَا أَيْ مَا لِحَقَّ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ أَهْلَ الْأَرْيَافِ مِنَ الْإِزْدِجَامِ  
 مَعَ النَّاسِ عَلَى الْبَلَدِ الطَّيِّبِ وَالْمَرَاغِي الْخَصِيَّةِ فَكَثُرَ الْإِخْتِلَاطُ وَتَدَاخَلَتْ الْأَنْسَابُ  
 وَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ الْإِتِّمَاءُ إِلَى الْمَوَاطِنِ فَيَقَالُ جُنْدٌ قَذَرِيْنُ جُنْدٌ  
 دِمَشْقِي جُنْدٌ الْعَوَاصِمِ وَأَنْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُنْ لِإِطْرَاحِ الْعَرَبِ أَمْرَ النَّسَبِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ لِإِخْتِصَاصِهِمْ بِالْمَوَاطِنِ بَعْدَ الْفَتْحِ حَتَّى عُرِفُوا بِهَا وَصَارَتْ لَهُمْ عَلَامَةٌ  
 زَائِدَةٌ عَلَى النَّسَبِ يَتَمَيَّزُونَ بِهَا عِنْدَ أَمْرَانِهِمْ ثُمَّ وَقَعَ الْإِخْتِلَاطُ فِي الْخَوَاصِرِ مَعَ الْعَجَمِ  
 وَغَيْرِهِمْ وَفَسَدَتْ الْأَنْسَابُ بِالْجُمْلَةِ وَفُقِدَتْ ثَمَرَتُهَا مِنَ الْعَصِيَّةِ فَأُطْرِحَتْ ثُمَّ تَلَاشَتْ  
 الْقَبَائِلُ وَذُبُوتْ فَذُبُوتِ الْعَصِيَّةُ بِذُبُورِهَا وَبَقِيَ ذَلِكَ فِي الْبَدْوِ كَمَا كَانَ وَاللَّهُ وَارِثُ  
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

## الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

إِعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ السِّينِ أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَنْسَقُطُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرَ بِقَرَابَةِ  
 إِلَيْهِمْ أَوْ حِلْفٍ أَوْ وِلَاءٍ أَوْ لِفِرَاقٍ مِنْ قَوْمِهِ بِجُنَايَةٍ أَصَابَهَا فَيُدْعَى بِنَسَبِ هَؤُلَاءِ وَيُعَدُّ  
 مِنْهُمْ فِي ثَمَرَاتِهِ مِنَ الثَّغَرَةِ وَالْقَوْدِ وَتَحْمِلِ الدِّيَاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِذَا وَجِدَتْ ثَمَرَاتُ  
 النَّسَبِ فَكَانَتْ وَجَدَ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِكُونِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا جَرَيَانُ أَحْكَامِهِمْ  
 وَأَحْوَالِهِمْ عَلَيْهِ وَكَانَتْ التَّحَمُّ بِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَنَاسَى النَّسَبَ الْأَوَّلَ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيَذْهَبُ  
 أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ فَيَتَخَفَى عَلَى الْأَكْثَرِ وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَنْسَقُطُ مِنْ شُعْبٍ إِلَى شُعْبٍ وَيَلْتَحِمُ  
 قَوْمٌ بِآخَرِينَ فِي أَتَاهِلِيَّةٍ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَنْظُرْ خِلَافَ النَّاسِ فِي نَسَبِ



آلِ الْمُنْذِرِ وَغَيْرِهِمْ يَتَّبِعَنَّ لَكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُ شَأْنُ بَيْعِلَةَ فِي عَرْفَجَةَ بْنِ هَرَثَمَةَ لَمَّا  
وَلَاهُ عُمَرُ عَلَيْهِمْ فَسَأَلُوهُ الْإِغْثَاءَ مِنْهُ وَقَالُوا هُوَ فِينَا لَزِيئٌ أَيْ دَخِيلٌ وَلَصِيقٌ وَطَلَبُوا  
أَنْ يُؤَلِّيَ عَلَيْهِمْ جَرِيرًا فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ عَرْفَجَةُ صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا  
رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ أَصَبْتُ دَمًا فِي قَوْمِي وَلَحِثْتُ بِهِمْ وَأَنْظُرُ مِنْهُ كَيْفَ اخْتَلَطَ عَرْفَجَةُ بِبَيْعِلَةَ  
وَأَبْسَ جِلْدَتَهُمْ وَدُعِيَ بِنَسَبِهِمْ حَتَّى تَرَشَّحَ لِلرِّئَاسَةِ عَلَيْهِمْ لَوْلَا عِلْمُ بَعْضِهِمْ بِوَسَائِلِهِ  
وَلَوْ غَفَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَآمَنُوا لَرَمَنُ لَثُوسِي بِالْجُمْلَةِ وَعَدَّ مِنْهُمْ بِكُلِّ وَجْدٍ وَمَذْهَبٍ فَأَفْهَمَهُ  
وَأَعْتَبَهُ سِرَّ اللَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْعُجُودِ وَاللَّهُ  
الْمُوفِيُّ لِلصَّوَابِ بِسِتِّهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

### الفصل الحادي عشر<sup>(١)</sup>

في ان الرئاسة لا ترال في نصابها المخصوص من اهل العصية

إِعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ أَوْ بَطْنٍ مِنَ الْقَبَائِلِ وَإِنْ كَانُوا عَصَابَةً وَاحِدَةً إِنْسِبَهُمُ الْعَامَ  
فَفِيهِمْ أَيْضًا عَصِيَّاتٌ أُخْرَى لِانْتِسَابِ خَاصَّةٍ هِيَ أَشَدُّ اتِّخَامًا مِنَ النَّسَبِ الْعَامِ لَهُمْ مِثْلُ  
عَشِيرٍ وَاحِدٍ أَوْ أَهْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ أَوْ إِخْوَةٍ بَنِي أَبِي وَاحِدٍ لَا مِثْلَ بَنِي الْعَمِّ الْأَقْرَبِينَ أَوْ  
الْأَبْعَدِينَ فَهَؤُلَاءِ أَقْعَدُ بِنَسَبِهِمُ الْمَخْصُوصِ وَيُشَارِ كُونَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَصَائِبِ فِي  
النَّسَبِ الْعَامِ وَالْثُّغْرَةُ تَقَعُ مِنْ أَهْلِ نَسَبِهِمُ الْمَخْصُوصِ وَمِنْ أَهْلِ النَّسَبِ الْعَامِ إِلَّا أَنَّهَا  
فِي النَّسَبِ الْخَاصِّ أَشَدُّ يُقْرَبُ اللَّحْمَةُ وَالرِّئَاسَةُ فِيهِمْ إِنَّمَا تَكُونُ فِي نِصَابٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
وَلَا تَكُونُ فِي الْكُلِّ وَلَمَّا كَانَتْ الرِّئَاسَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْغَلْبِ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ عَصِيَّةً  
ذَلِكَ لِانْتِسَابِ أَقْوَى مِنْ سَائِرِ الْعَصَائِبِ لِيَقَعَ الْغَلْبُ بِهَا وَتَتِمَّ الرِّئَاسَةُ لِأَهْلِهَا فَإِذَا وَجَبَ  
ذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ الرِّئَاسَةَ عَلَيْهِمْ لَا تَرَالُ فِي ذَلِكَ لِانْتِسَابِ الْمَخْصُوصِ بِأَهْلِ الْغَلْبِ  
عَلَيْهِمْ إِذَا لَوْ خَرَجَتْ عَنْهُمْ وَصَارَتْ فِي الْعَصَائِبِ الْأُخْرَى النَّازِلَةِ عَنْ عَصَائِبِهِمْ فِي  
الْغَلْبِ لَمَّا تَمَّتْ لَهُمُ الرِّئَاسَةُ فَلَا تَرَالُ فِي ذَلِكَ لِانْتِسَابِ مُتَاقِلَةٍ مِنْ فُرْعٍ مِنْهُمْ إِلَى  
فُرْعٍ وَلَا تَنْتَقِلُ إِلَّا إِلَى الْأَقْوَى مِنْ فُرُوعِهِ لَمَّا قُلْنَا مِنْ سِرِّ الْغَلْبِ لِأَنَّ الْإِجْتِمَاعَ  
وَالْعَصِيَّةَ بِمِثَابَةِ الْمِزَاجِ لِلْمُتَكَوِّنِ وَالْمِزَاجُ فِي الْمُسَكُونِ لَا يَصْلُحُ إِذَا تَكَافَأَتْ

(١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية وموجود في النسخة التونسية واثباته اول ليطابق كلامه

اول الفصل ١٢ اه قاله نصر الهوريني

الْعَاصِرُ فَلَا بُدَّ مِنْ غَلَبَةِ أَحَدِهَا وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ التَّكْوِينُ فَهَذَا هُوَ سِرُّ اسْتِرَاطِ الْغَلَبِ فِي  
الْعَصِيَّةِ وَمِنْهُ تَعَيَّنَ اسْتِمْرَارُ الرِّئَاسَةِ فِي الْإِصَابِ الْمَخْصُوصِ بِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ

### الفصل الثاني عشر

في ان الرئاسة على اهل العصية لا تكون في غير نسبهم  
وَذَلِكَ أَنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْغَلَبِ وَالْغَلَبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ  
فَلَا بُدَّ فِي الرِّئَاسَةِ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عَصِيَّةٍ غَالِيَةٍ لِعَصِيَّاتِهِمْ وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ  
لَأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ مِنْهُمْ إِذَا أَحْتَت بِغَلَبِ عَصِيَّةِ الرَّئِيسِ لَهُمْ أَقْرَوُا بِالْإِذْعَانِ وَالْإِتْبَاعِ  
وَالسَّاقِطُ فِي نَسَبِهِمْ بِالْجُمْلَةِ لَا تَكُونُ لَهُ عَصِيَّةٌ فِيهِمْ بِالنَّسَبِ إِنَّمَا هُوَ مُلْصَقٌ لَزِيْقٍ  
وَعَايَةُ التَّعَصُّبِ لَهُ بِالْوَلَاءِ وَالْخِلَافِ وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ لَهُ غَلَبًا عَلَيْهِمْ أَلَبَّةً وَإِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ  
قَدْ اتَّخَمَ بِهِمْ وَاتَّخَطَ وَتَنَوَّسَى عِنْدَهُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَأَبَسَ جِلْدَتُهُمْ وَدَّعَى  
بِنَسَبِهِمْ فَكَيْفَ لَهُ الرِّئَاسَةُ قَبْلَ هَذَا الْإِلْتِخَامِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ سَلَفِهِ وَالرِّئَاسَةُ عَلَى الْقَوْمِ  
إِنَّمَا تَكُونُ مُتَاقِلَةً فِي مَنْبَتٍ وَاحِدٍ تُعَيَّنُ لَهُ الْغَلَبُ بِالْعَصِيَّةِ فَالْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لِهَذَا  
الْمُلْصَقِ قَدْ عُرِفَ فِيهَا الْإِصَاقَةُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَمِنْهُ ذَلِكَ الْإِلْتِصَاقُ مِنَ الرِّئَاسَةِ حِينَئِذٍ  
فَكَيْفَ تُدَوِّقُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى حَالِ الْإِلْتِصَاقِ وَالرِّئَاسَةِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ مَوْرُوثَةً عَنْ  
مُسْتَحِقِّهَا لِمَا قُلْنَا مِنْ اتِّغَابِ الْعَصِيَّةِ وَقَدْ يَتَشَوَّفُ كَثِيرٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ عَلَى الْقَبَائِلِ  
وَالْعَصَائِبِ إِلَى أَنْسَابٍ يَلْهَجُونَ بِهَا إِمَّا لِحُصُوصِيَّةٍ فَضِيلَةٍ كَانَتْ فِي أَهْلِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ  
شَجَاعَةٍ أَوْ كَرَمٍ أَوْ ذِكْرِ كَيْفَ اتَّفَقَ فَيَتَرَعُونَ إِلَى ذَلِكَ النَّسَبِ وَيَتَوَرَّطُونَ بِالِدَّعْوَى فِي  
شُعُوبِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يَتَوَقَّعُونَ فِيهِ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الْقُدْحِ فِي رِئَاسَتِهِمْ وَالطَّنِ فِي شَرَفِهِمْ  
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّاسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَدَّعِيهِ زَنَاتُهُ جُمْلَةً أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْهُ  
أَدِغَاءُ أَوْلَادِ رَبَّابِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحِجَازِيِّينَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَحَدِ شُعُوبِ رَغَبَةِ أَنَّهُمْ مِنْ  
بَنِي سُلَيْمٍ مِنَ الشَّرِيدِ مِنْهُمْ لِحَقِّ جَدُّهُمْ بَنِي عَامِرٍ تَجَاراً يَصْنَعُ الْحَرْجَانَ<sup>(١)</sup> وَاتَّخَلَطَ  
بِهِمْ وَالتَّخَمَ بِنَسَبِهِمْ حَتَّى رَأَسَ عَلَيْهِمْ وَيُسَمُّوهُ الْحِجَازِيَّ . وَمِنْ ذَلِكَ أَدِغَاءُ بَنِي عَبْدِ  
الْقَوِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ تَوْجِينَ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَغَبَةً فِي هَذَا  
النَّسَبِ الشَّرِيفِ وَغَلَطًا بِاسْمِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَطِيَّةٍ أَبِي عَبْدِ الْقَوِيِّ وَلَمْ يُعْلَمْ دُخُولُ أَحَدٍ

(١) قوله الحرجان بكسر الحاء جمع حرج بفتحين نفس الموتى . اهـ



مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ إِلَى الْمُتَرَبِّ لَأَنَّهُ كَانَ مُنْذُ أَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ عَلَى دَعْوَةِ الْعُلَوِيِّينَ أَعْدَائِهِمْ  
 مِنَ الْأَدَارِسَةِ وَالْعَبِيدِيِّينَ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ سِبْطِ الْعَبَّاسِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَةِ الْعُلَوِيِّينَ . وَكَذَلِكَ  
 مَا يَدَّعِيهِ أَبْنَاءُ زِيَّانَ مُلُوكُ تَلُمَسَّانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ بْنِ  
 أَدْرِيسَ ذَهَابًا إِلَى مَا اشتهَرَ فِي نَسَبِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ فَيَقُولُونَ بِلِسَانِهِمُ الرِّثَائِي  
 أَنْتَ الْقَاسِمُ أَيْ بَنُو الْقَاسِمِ ثُمَّ يَدَّعُونَ أَنَّ الْقَاسِمَ هَذَا هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ أَدْرِيسَ أَوْ الْقَاسِمِ  
 بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فَتَأْيِيدُ الْقَاسِمِ هَذَا أَنَّهُ قَرٌّ مِنْ مَكَانِ  
 سُلْطَانِهِ مُسْتَجِيرًا بِهِمْ فَكَيْفَ تَمَّ لَهُ الرِّثَاسَةُ عَلَيْهِمْ فِي بَادِيَّتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ غَلَطٌ مِنْ قَبْلِ  
 أَهْلِ الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ أَنْوَاجٌ فِي الْأَدَارِسَةِ فَتَوَهَّمُوا أَنَّ قَاسِمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ وَهُمْ  
 عِدَّةٌ مُتَحَاجِينَ لِذَلِكَ فَإِنَّ مَنَالَهُمُ الْمُلُوكَ وَالْإِزَّةَ إِنَّمَا كَانَ بِعَصَائِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ بِإِدْعَاءِ  
 عُلَوِيَّةٍ وَلَا عَبَّاسِيَّةٍ وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْأَنْسَابِ وَإِنَّمَا يَحِيلُ عَلَى هَذَا التَّقَرُّبُونَ إِلَى الْمُلُوكِ  
 بِمَنَازِعِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَيَشْتَهَرُ حَتَّى يَبْعُدَ عَنِ الرَّدِّ وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ يَغْمُرَاسِنَ بْنِ زِيَّانَ  
 مَوْثِلَ سُلْطَانِهِمْ أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ وَقَالَ بَلَغَنِي الرِّثَائِيَّةُ مَا مَعْنَاهُ أَمَا الدُّنْيَا  
 وَالْمُلُوكُ فَتَلَنَاهُمَا بِسُيُوفِنَا لَا بِهَذَا النَّسَبِ وَأَمَّا نَفْسُهُمَا فِي الْآخِرَةِ فَمَرْدُودٌ إِلَى اللَّهِ  
 وَأَعْرَضَ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَدَّعِيهِ بَنُو سَعْدِ شَيْخُ بَنِي يَزِيدَ  
 مِنْ ذُرِّيَّةِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَنُو سَلَامَةَ شَيْخُ بَنِي يَدْلَانَ  
 مِنْ تَوْجِينَ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمٍ وَالرَّوَاوِدَةُ شَيْخُ رِيَّاحٍ أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِ الْبَرَامِكَةِ وَكَذَا  
 بَنُو مُهَنَّا أُمَرَاءُ طَيِّءٍ بِالْمَشْرِقِ يَدَّعُونَ فِيمَا بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ  
 وَرِثَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مَانِعَةٌ مِنْ إِدْعَاءِ هَذِهِ الْأَنْسَابِ كَمَا ذَكَرْنَا بَلْ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونُوا  
 مِنْ صَرِيحِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَأَقْوَى عَصَائِيَّتِهِ فَاعْتَبَرَهُ وَاجْتَنَبَ التَّغَالُطَ فِيهِ وَلَا تَجْعَلْ مِنْ  
 هَذَا الْبَابِ لِمَاقٍ مَهْدِيٍّ الْمُوَحِّدِينَ بِنَسَبِ الْعُلَوِيَّةِ فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَنْبَتِ  
 الرِّثَاسَةِ فِي هَرِثَمَةَ قَوْمِهِ وَإِنَّمَا رَأْسُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ اشتهاره بِالْعَالَمِ وَالَّذِينَ وَدُّوا  
 قِبَائِلَ الْمَصَامِدَةِ فِي دَعْوَتِهِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ التَّمَانِيَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِيهِمْ وَاللَّهُ  
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

## الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصية

ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرْفَ وَالْحَسَبَ إِنَّمَا هُوَ بِالْخِلَالِ وَمَعْنَى اللَّيْتِ أَنْ يُعَدَّ الرَّجُلُ فِي آبَائِهِ أَشْرَافًا مَذْكُورِينَ يَكُونُ لَهُ بَوْلَادَتِهِمْ إِيَّاهُ وَالْإِنْتِسَابُ إِلَيْهِمْ تَجَلُّةٌ فِي أَهْلِ جِلْدَتِهِ لِمَا وَقَرَّ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ تَجَلُّةِ سَلَفِهِ وَشَرَفِهِمْ بِخِلَالِهِمُ وَالنَّاسُ فِي نَشَاتِهِمْ وَتَنَاسُلِهِمْ مَعَادِنُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي أَجَاهِلِيَّةٍ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَتَهُوا فَمَعْنَى الْحَسَبِ رَاجِعٌ إِلَى الْأَنْسَابِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ ثَمَرَةَ الْأَنْسَابِ وَقَائِدَتَهَا إِنَّمَا هِيَ الْعَصِيَّةُ لِلشُّعْرَةِ وَالْتِمَاضِ فَحَيْثُ تَكُونُ الْعَصِيَّةُ مَرهُوبَةً وَالْمَنْبِتُ فِيهَا ذِكِّيٌّ مَخْجِيٌّ تَكُونُ فَائِدَةُ الْأَنْسَابِ أَوْضَحَ وَثَمَرَتُهَا أَقْوَى وَتَعْدِيدُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْأَبَاءِ زَائِدٌ فِي فَائِدَتِهَا فَيَكُونُ الْحَسَبُ وَالشَّرْفُ أَصْلِيَيْنِ فِي أَهْلِ الْعَصِيَّةِ لَوْجُودِ ثَمَرَةِ الْأَنْسَابِ وَتَفَاوُتِ الْبُيُوتِ فِي هَذَا الشَّرْفِ بِتَفَاوُتِ الْعَصِيَّةِ لِأَنَّهُ سِرُّهَا وَلَا يَكُونُ لِلْمُتَشَرِّدِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بَيْتٌ إِلَّا بِالْمَجَازِ وَإِنْ تَوَهَّمُوا فَرُخْرُفٌ مِنَ الدَّعَاوَى وَإِذَا اعْتَبَرْتَ الْحَسَبَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَجَدْتَ مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّجُلَ وَنَهْمُ يُعَدُّ سَلَفًا فِي خِلَالِ الْخَيْرِ وَمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ مَعَ الرُّكُونِ إِلَى الْعَافِيَةِ مَا اسْتَطَاعَ وَهَذَا مُغَايِرٌ لِسِرِّ الْعَصِيَّةِ الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ الْأَنْسَابِ وَتَعْدِيدِ الْأَبَاءِ لِكِنَّةِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ حَسَبٌ وَبَيْتٌ بِالْمَجَازِ لِعَلَاقَةِ مَا فِيهِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ الْمُتَعَاقِبِينَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْخَيْرِ وَمَسَالِكِهِ وَلَيْسَ حَسَبًا بِالْحَقِيقَةِ وَعَلَى الْإِطْلَاقِ وَإِنْ ثُبِتَ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ فِيهِمَا بِالْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ فَيَكُونُ مِنَ الْمُشَكِّكِ الَّذِي هُوَ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِهِ أَوْلَى وَقَدْ يَكُونُ لِلْبَيْتِ شَرَفٌ أَوَّلٌ بِالْعَصِيَّةِ وَالْخِلَالِ ثُمَّ يَنْسَلِخُونَ وَنَهْمٌ لَذَاهِبًا بِالْحَضَارَةِ كَمَا تَقَدَّمَ وَيَخْتَلِطُونَ بِالْغَمَارِ وَيَبْقَى فِي نُفُوسِهِمْ وَسْوَاسُ ذَلِكَ الْحَسَبِ يَعُدُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَشْرَافِ الْبُيُوتِ أَهْلِ الْعَصَائِبِ وَلَيْسُوا وَنَهْمًا فِي شَيْءٍ لِيَذْهَابِ الْعَصِيَّةِ جُمْلَةً وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ النَّاشِئِينَ فِي بُيُوتِ الْعَرَبِ أَوْ الْعَجَمِ لِأَوَّلِ عَهْدِهِمْ مُوسُوسُونَ بِذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَا رَسَخَ الْوَسْوَاسُ فِي ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ بَيْتٌ مِنْ أَعْظَمِ بُيُوتِ الْعَالَمِ بِالْمَنْبِتِ أَوَّلًا لِمَا تَعَدَّدَ فِي سَلَفِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ لَدُنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُوسَى صَاحِبِ مِلَّتِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ ثُمَّ بِالْعَصِيَّةِ ثَانِيًا وَمَا



أَنَّهُمْ لَئِنْ بَيَّاهُ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ ثُمَّ انْسَلَخُوا مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
 الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ فِي الْأَرْضِ وَانْفَرَدُوا بِالْاِسْتِعْبَادِ لِلْكَفَرِ  
 آفَاةً مِنَ السِّبْنِ وَمَا زَالَ هَذَا الْوَسْوَاسُ مُصَاحِبًا لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ هَذَا هَارُونِي هَذَا  
 مِنْ نَسْلِ يُوشَعَ هَذَا مِنْ عَقَبِ كَالِبِ هَذَا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا مَعَ ذَهَابِ الْعَصِيَّةِ وَرُسُخِ الدَّلِّ  
 فِيهِمْ مِنْذُ أَنْحَابِ مُتَطَاوِلَةٍ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهِمُ الْمُنْقَطِعِينَ فِي أَنْسَابِهِمْ  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْهَذْيَانِ . وَقَدْ غَلَطَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ فِي هَذَا لَمَّا ذَكَرَ  
 الْحَسْبَ فِي كِتَابِ الْخُطَابَةِ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ الْمُعْلِمِ الْأَوَّلِ وَالْحَسْبُ هُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ  
 قَوْمٍ قَدِيمٍ تُزَلُّهُمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَنْفَعُهُ  
 قَدَمُ تُزَلُّهُمْ بِالْمَدِينَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَصَابَةٌ يُرْهَبُ بِهَا بَاجِبُهُ وَتَحِيلُ غَيْرُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ  
 مِنْهُ فَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ الْحَسْبَ عَلَى تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ فَقَطْ مَعَ أَنَّ الْخُطَابَةَ إِنَّمَا هِيَ اسْتِمَالَةٌ مِنْ  
 تَوْثُرِ اسْتِمَالَتِهِ وَهُمْ أَهْلُ الْخَلِّ وَالْعَقْدِ وَأَمَّا مَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ الْبَتَّةَ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَلَا  
 يَقْدَرُ عَلَى اسْتِمَالَةِ أَحَدٍ وَلَا يُسْتَمَالُ هُوَ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ مِنْ الْخَضِرِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا  
 أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ رَبَّاهُ فِي جَبَلٍ وَبَلَدٍ وَلَمْ يُبَارِسُوا الْعَصِيَّةَ وَلَا أَنْسَوْا أَحْوَالَهَا فَبَقِيَ فِي أَمْرِ  
 الْبَيْتِ وَالْحَسْبِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يُرَاجِعْ فِيهِ  
 حَقِيقَةَ الْعَصِيَّةِ وَبَرَّهَا فِي الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

#### الفصل الرابع عشر

فِي أَنَّ الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ لِلْوَالِي وَاهْلِ الْأَصْطِنَاعِ إِنَّمَا هُوَ بِوَالِيهِمْ لَا بِأَنْسَابِهِمْ  
 وَذَلِكَ أَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الشَّرَفَ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ فَإِذَا أَصْطَنَعَ  
 أَهْلُ الْعَصِيَّةِ قَوْمًا مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِمْ أَوْ اسْتَرْقُوا الْعِبْدَانِ وَالْأَحْوَالِي وَالتَّحَنُّوا بِهِ كَمَا قُلْنَا  
 ضَرَبَ مَعَهُمْ أُولَئِكَ التَّوَالِي وَالْبُصْطَنُوعُونَ بِنَسَبِهِمْ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَلَبَسُوا جِلْدَتَهَا  
 كَأَنَّهُمْ عَصَبَتُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْإِنْتِظَامِ فِي الْعَصِيَّةِ مُسَاعِمَةٌ فِي نَسَبِهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
 تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَسَوَاءٌ كَانَ مَوْلَى رِقٍّ أَوْ مَوْلَى أَصْطِنَاعٍ وَحَلَفَ  
 وَلَيْسَ نَسَبُ وَلَادَتِهِ يَنْفَعُ لَهُ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ إِذْ هِيَ مُبَايَنَةٌ لِذَلِكَ النَّسَبِ وَعَصِيَّةُ ذَلِكَ  
 النَّسَبِ مَفْقُودَةٌ لِذَهَابِ شَرِّهَا عِنْدَ التَّحَامِيهِ بِهَذَا النَّسَبِ الْآخِرِ وَفُقْدَانِهِ أَهْلَ عَصِيَّتِهَا  
 فَيَصِيرُ مِنْ هَوْلَاءِ وَيَنْدَرِجُ فِيهِمْ فَإِذَا تَعَدَّدَتْ لَهُ الْأَبَاءُ فِي هَذِهِ الْعَصِيَّةِ كَانَ لَهُ بَيْتُهُمْ

شَرَفٌ وَبَيْتٌ عَلَى نَسَبِهِ فِي وِلَايَتِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ لَا يَتَجَاوِزُهُ إِلَى شَرَفِهِمْ بَلْ يَكُونُ  
أَدُونَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذَا شَأْنُ الْمَوَالِي فِي الدُّوَلِ وَالْخِدْمَةِ كُلِّهِمْ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا  
يُشْرَفُونَ بِالرُّسُوخِ فِي وِلَاةِ الدُّوَلَةِ وَخِدْمَتِهَا وَتَعَدُّ الْآبَاءُ فِي وِلَايَتِهَا أَلَا تَرَى إِلَى مَوَالِي  
الْأَثَرَاكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَنِي نُوبَخْتٍ كَيْفَ أَدْرَكُوا  
الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ وَبَنُوا الْمَجْدَ وَالْأَصَالََةَ بِالرُّسُوخِ فِي وِلَاةِ الدُّوَلَةِ فَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى  
بْنِ خَالِدٍ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ بَيْتًا وَشَرَفًا بِإِلَاقَتِهِ إِلَى وِلَاةِ الرَّشِيدِ وَقَوْمِهِ لَا بِإِلَاقَتِهِ  
فِي الْفُرْسِ وَكَذَا مَوَالِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَخِدْمَتِهَا إِنَّمَا يَكُونُ لَهُمُ الْبَيْتُ وَالْحَسَبُ بِالرُّسُوخِ  
فِي وِلَايَتِهَا وَالْأَصَالََةَ فِي أَصْطِنَاعِهَا وَيَضْمَحِلُّ نَسَبُ الْأَقْدَمِ مِنْ غَيْرِ نَسَبِهَا وَيَبْقَى مُلغًى لَا  
عِبْرَةَ بِهِ فِي أَصَالَتِهِ وَمَجْدِهِ وَإِنَّمَا الْمُتَعَبُّ نَسَبُ وِلَايَتِهِ وَأَصْطِنَاعِهِ إِذَا فِيهِ سِرُّ الْعَصِيَّةِ  
الَّتِي بِهَا الْبَيْتُ وَالشَّرَفُ فَكَانَ شَرْفُهُ مُشْتَقًّا مِنْ شَرَفِ مَوَالِيهِ وَبِنَاوُهُ مِنْ بِنَائِهِمْ فَلَمْ  
يَنْفَعْهُ نَسَبُ وِلَادَتِهِ وَإِنَّمَا بَنَى مَجْدَهُ نَسَبُ الْوِلَاةِ فِي الدُّوَلَةِ وَلَحْنَةُ الْإِصْطِنَاعِ فِيهَا  
وَالْتَرَبِيبَةُ وَقَدْ يَكُونُ نَسَبُ الْأَوَّلِ فِي لَحْنَةِ عَصِيَّتِهِ وَدَوْلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَتْ وَصَارَ وِلَاوُهُ  
رَاصِدِينَاعُهُ فِي أُخْرَى لَمْ تَنْفَعْهُ الْأَوَّلَى لِذَهَابِ عَصِيَّتِهَا وَانْتَفَعَ بِالثَّانِيَةِ لِوُجُودِهَا وَهَذَا  
حَالُ بَنِي بَرْمَكٍ إِذَا التَّمَقُّلُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْفُرْسِ مِنْ سِدَنَةِ بُيُوتِ النَّارِ عِنْدَهُمْ  
وَلَكِنَّا صَارُوا إِلَى وِلَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يَكُنْ بِالْأَوَّلِ اعْتِبَارٌ وَإِنَّمَا كَانَ شَرَفُهُمْ مِنْ حَيْثُ  
وَلَايَتُهُمْ فِي الدُّوَلَةِ وَأَصْطِنَاعُهُمْ وَمَا سِوَى هَذَا فَوَهُمْ تُوسَّسُ بِهِ النَّفُوسُ الْجَامِعَةُ وَلَا  
حَقِيقَةُ لَهُ وَالْوُجُودُ شَاهِدٌ بِأَقْلَانِهِ وَإِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ وَأَقْلَهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

### الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في القرب الواحد اربعة اباء

إِعْلَمُ أَنَّ الْعَالَمَ الْعَنْصَرِيَّ بِنَا فِيهِ كَائِنٌ فَاسِدٌ لَا مِنْ ذَوَاتِهِ وَلَا مِنْ أَحْوَالِهِ  
فَالْمُكُونَاتُ مِنَ الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ كَائِنَةٌ فَاسِدَةٌ  
بِالْمَعَانِيَةِ وَكَذَلِكَ مَا يَغْرِضُ لَهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَخُصُوصًا الْإِنْسَانِيَّةُ فَالْعُلُومُ تَنْشَأُ ثُمَّ  
تَلْدَسُ وَكَذَا الصَّنَائِعُ وَأَمْثَالُهَا وَالْحَسَبُ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تَغْرِضُ لِلْإِدْمِيقِ فَهُوَ كَائِنٌ  
فَاسِدٌ لَا مَعَالَةَ وَلَيْسَ يُوجَدُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ شَرَفٌ مُتَّصِلٌ فِي آبَائِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ  
إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَامَةٍ بِهِ وَحَيَاةً عَلَى السَّرْرِ فِيهِ



وَأَوَّلُ كُلِّ شَرْفٍ خَارِجِيَّةٌ كَمَا قِيلَ وَهِيَ الْخُرُوجُ عَنِ الرَّئَاسَةِ وَالشَّرَفِ إِلَى الْخُذَّةِ  
وَالْإِبْتِدَالِ وَعَدَمِ الْحَسَبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ شَرْفٍ وَحَسَبٍ قَعْدُهُ سَابِقٌ عَلَيْهِ شَأْنٌ كُلُّ  
مُحَدَّثٍ ثُمَّ إِنَّ نِهَائِيَّةً فِي أَرْبَعَةِ آبَاءٍ وَذَلِكَ أَنَّ بَابِي الْمَجْدِ عَالِمٌ بِأَعَانِهِ فِي بِنَائِهِ وَمُحَافِظِ  
عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ كَرْنِهِ وَبَقَايِهِ وَأَبْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ مُبَاشِرٌ لِأَبِيهِ فَقَدْ سَبَّحَ مِنْهُ ذَلِكَ  
وَأَخَذَهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ مُقَصِّرٌ فِي ذَلِكَ تَقْصِيرَ السَّامِعِ بِالشَّيْءِ عَنِ الْمَعَانِي لَهُ ثُمَّ إِذَا جَاءَ  
الثَّلَاثُ كَانَ حَقُّهُ الْإِقْتَاءُ وَالْتِقْلِيدُ خَاصَّةً فَقَصَّرَ عَنِ الثَّانِي تَقْصِيرَ الْمُقْلِدِ عَنِ الْمُجْتَهِدِ  
ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّابِعُ قَصَّرَ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ جُمْلَةً وَأَضَاعَ الْخِلَالَ الْخَافِظَةَ لِبِنَاءِ مُجَدِّهِمْ  
وَأَحَقَّرَهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّ ذَلِكَ الْبُتْيَانُ لَمْ يَكُنْ بِمُعَانَةٍ وَلَا تَكْلُفٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَجِبَ  
لَهُمْ مُنْذُ أَوَّلِ النِّشَاءِ بِمُجَرَّدِ انْتِسَابِهِمْ وَلَيْسَ بِعَصَابَةٍ وَلَا بِخِلَالٍ لِمَا يَرَى مِنَ التَّجَلَّةِ  
بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ حَدُوثُهَا وَلَا سَبِيلُهَا وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ النَّسَبُ فَقَطْ فَيَرْبَأُ بِنَسَبِهِ  
عَنِ أَهْلِ عَصِيَّتِهِ وَيَرَى النُّضْلَ لَهُ عَلَيْهِمْ وَثُوقًا بِأَرْبَابِي فِيهِ مِنْ اسْتِثْبَاعِهِمْ وَجَهْلًا بِأَوْجَبِ  
أَوْجَبِ ذَلِكَ الْإِسْتِثْبَاعُ مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي مِنْهَا التَّرَاضُعُ لَهُمْ وَالْأَخْذُ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ  
فِيَحْتَرِّمُهُمْ بِذَلِكَ فَيَنْتَصُونَ عَلَيْهِ وَيَحْتَرِّمُونَهُ وَيُدَيَّيُونَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَمَلِ ذَلِكَ الْمَنْبَتِ  
وَمِنْ فُرُوعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْعَقَبِ لِلْإِذْعَانِ لِعَصِيَّتِهِمْ كَمَا قُلْنَا بَعْدَ الْوُثُوقِ بِأَوْضُوئِهِ  
مِنْ خِلَالِهِ فَتَسْمُو فُرُوعُ هَذَا وَتَذْوِي فُرُوعُ الْأَوَّلِ وَيَنْهَدِمُ بِنَاءُ بَيْتِهِ هَذَا فِي الْمَأْوَكِ  
وَهَكَذَا فِي بُيُوتِ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الْعَصِيَّةِ أَجْمَعِ ثُمَّ فِي بُيُوتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
إِذَا انْحَطَّتْ بُيُوتُ نَشَأَتْ بُيُوتٌ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ إِنْ يَشَأُ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِ  
بِمُخْلَقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَأَشْتَرَاطُ الْأَرْبَعَةِ فِي الْأَحْسَابِ إِنَّمَا هُوَ فِي  
الْعَالِبِ وَإِلَّا فَقَدْ يَدْرُؤُ الْبَيْتُ مِنْ دُونِ الْأَرْبَعَةِ وَيَتَلَاشَى وَيَنْهَدِمُ وَقَدْ يَتَّصِلُ أَمْرُهَا إِلَى  
الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ إِلَّا أَنَّهُ فِي انْحِطَاطٍ وَذَهَابٍ وَأَعْيَارُ الْأَرْبَعَةِ مِنْ قَبْلِ الْأَجْيَالِ  
الْأَرْبَعَةِ بَانَ وَمُبَاشِرٌ لَهُ وَمُقْلِدٌ وَهَادِمٌ وَهُوَ أَقْلٌ مَا يُسْكِنُ وَقَدْ اعْتَدَّتِ الْأَرْبَعَةُ فِي  
نِهَائَةِ الْحَسَبِ فِي بَابِ الْمَدْحِ وَالنِّسَاءِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ  
الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِشَارَةً  
إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ النِّهَايَةَ مِنَ الْمَجْدِ وَفِي التَّوَرَاتِ مَا مَعْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ رَبَّكَ طَائِقٌ غُورٌ مُطَالِبٌ  
بِذُنُوبِ الْأَبَاءِ لِلْبَنِينَ عَلَى الثَّلَاثِ وَالرَّوَابِعِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَعْقَابَ غَايَةَ

فِي الْأَنْسَابِ وَالْحَسَبِ . وَفِي كِتَابِ الْأَنْبَاءِ فِي أَخْبَارِ عَزِيفِ الْغَوَايِ أَنْ كَسَرَى قَالَ  
لِلنُّعْمَانِ هَلْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ تَتَشَرَّفُ عَلَى قَبِيلَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ بِأَيِّ شَيْءٍ قَالَ مَنْ كَانَ لَهُ  
ثَلَاثَةُ آبَاءٍ مُتَوَالِيَةٍ رُؤَسَاءُ ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بِكَمَالِ الرَّابِعِ فَأَلْبَيْتُ مِنْ قَبِيلَتِهِ وَطَلَبَ ذَلِكَ  
فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي آلِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَرَارِيِّ وَهُمْ بَيْتُ قَيْسِ آلِ ذِي الْجَدَيْنِ بَيْتُ  
شَيْبَانَ وَآلِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مِنْ كِنْدَةَ وَآلِ حَاجِبِ بْنِ زُرَّادَةَ وَآلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ  
الْمَنْشُورِيِّ مِنْ بَنِي تَيْمٍ فَجَمَعَ هَؤُلَاءِ الرِّهْطَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمُ  
الْحُكَّامَ وَالْعُدُولَ فَقَامَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرِ ثُمَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ إِبْرَائِيهِ مِنَ النُّعْمَانِ ثُمَّ  
بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَيْبَانَ ثُمَّ حَاجِبُ بْنُ زُرَّادَةَ ثُمَّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَخَطَبُوا وَنَثَرُوا فَقَالَ  
كَسَرَى كُلُّهُمْ سَيِّدٌ يَصْلُحُ لِمَوْضِعِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْبُيُوتُ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْعَرَبِ  
بَعْدَ بَنِي هَاشِمٍ وَمَعَهُمْ بَيْتُ بَنِي الذُّبْيَانِ مِنْ بَنِي الْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ الْيَمَنِيِّ وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَبَاءَ نَهَايَةُ فِي الْحَسَبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

#### الفصل السادس عشر

فِي أَنَّ الْأُمَمَ الْوَحْشِيَّةَ أَقْدَرُ عَلَى التَّغْلِبِ مِنْ سَوَاهَا  
إِعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْبِدَاوَةُ سَيِّئًا فِي الشَّجَاعَةِ كَمَا قُلْنَا فِي الْمَقْدَمَةِ الثَّلَاثَةِ لَا  
جَرَمَ كَانَ هَذَا الْجِيلُ الْوَحْشِيُّ أَشَدَّ شَجَاعَةً مِنْ الْجِيلِ الْآخِرِ فَهُمْ أَقْدَرُ عَلَى التَّغْلِبِ  
وَأَنْتِرَاعِ مَا فِي أَيْدِي سَوَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ بَلِ الْجِيلُ الْوَاحِدُ يَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُ فِي ذَلِكَ  
بِاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ فَكُلَّمَا نَزَلُوا الْأَرْيَافَ وَتَفَتَّقُوا النَّعِيمَ وَالْفُؤَادَ عَوَائِدَ الْخَضْبِ فِي  
الْمَعَاشِ وَالنَّعِيمِ نَقَصَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ بِمِقْدَارِ مَا نَقَصَ مِنْ تَوْحُّشِهِمْ وَبِدَاوَتِهِمْ وَاعْتَبِرْ  
ذَلِكَ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمِ بِدَوَاجِنِ الطَّيْرِ وَالْبَقَرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْحُمُرِ إِذَا زَالَ تَوْحُّشُهَا  
بِحَاطَةِ الْأَدَمِيِّينَ وَأَخْصَبَ عَيْشُهَا كَيْفَ يَخْتَلِفُ حَالُهَا فِي الْإِنْتِهَاضِ وَالشَّدَةِ حَتَّى فِي  
مَشْيَتِهَا وَحُسْنِ أَدْبِهَا وَكَذَلِكَ الْأَدَمِيُّ الْمُتَوَحِّشُ إِذَا أُنِسَ وَأَلْفَ وَسَبِيَّهُ أَنَّ تَكُونُ  
السَّجَايَا وَالطَّبَائِعُ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْمَالُوفَاتِ وَالْعَوَائِدِ وَإِذَا كَانَ الْغَلْبُ لِلأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ  
بِالْإِقْدَامِ وَالْبَسَالَةِ فَتَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْيَالِ أَعْرَقَ فِي الْبِدَاوَةِ وَأَكْثَرَ تَوْحُّشًا  
كَانَ أَقْرَبَ إِلَى التَّغْلِبِ عَلَى سَوَاهُ إِذَا تَقَارَبَا فِي الْعَدَدِ وَتَكَافَا فِي الثَّرْوَةِ الْعَصِيَّةِ وَأَنْظُرْ  
فِي ذَلِكَ سَأْنُ مُضَرٍّ مَعَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ حَمِيرٍ وَكَهْلَانِ السَّابِقِينَ إِلَى الْمُلْكِ وَالنَّعِيمِ وَمَعَ



رَبِيعَةَ الْمُتَرَطِّينَ أَرْيَافَ الْعِرَاقِ وَنَعِيمِهِ لَمَّا بَتِيَ مُضَرُّ فِي بِدَاوَتِهِمْ وَتَقَدَّمَتْهُمُ الْآخَرُونَ إِلَى خَضِبِ الْعَيْشِ وَغَضَارَةِ النَّعِيمِ كَيْفَ أَرْهَفَتْ الْبِدَاوَةُ حَدَّهُمْ فِي التَّغْلِبِ فَغَلِبُواهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَذَرَعُوهُ مِنْهُمْ وَهَذَا حَالُ بَنِي طَيٍّ وَبَنِي عَامِرٍ بْنِ صُصَعَةَ وَبَنِي سُلَيْمِ ابْنِ مَنْصُورٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لَمَّا تَأَخَّرُوا فِي بَادِيَتِهِمْ عَنْ سَائِرِ قَبَائِلِ مُضَرَ وَأَيْمَنَ وَلَمْ يَتَلَبَّسُوا بِشَيْءٍ مِنْ دُنْيَاهُمْ كَيْفَ أَمْسَكَتْ حَالُ الْبِدَاوَةِ عَلَيْهِمْ قُوَّةَ عَصِيَّتِهِمْ وَلَمْ تَخْلُفَا مَذَاهِبَ التَّوْفِ حَتَّى صَارُوا أَغْلَبَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَكَذَا كُلُّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ يَلِي نَعِيًا وَعَيْشًا خَصِيًّا دُونَ الْحَيِّ الْآخَرِ فَإِنَّ الْحَيَّ الْمُبْتَدِيَّ يَكُونُ أَغْلَبَ لَهُ وَأَقْدَرَ عَلَيْهِ إِذَا تَكَافَأَا فِي الْقُوَّةِ وَالْعَدَدِ سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصية هي الملك

وَذَلِكَ لِأَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الْعَصِيَّةَ بِهَا تَكُونُ إِحْمَايَةٌ وَالْمُدَافَعَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَكُلُّ أَمْرٍ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْأَدَمِيَّ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَحْتَاجُونَ فِي كُلِّ أَجْرَاعٍ إِلَى وَازِعٍ وَحَاكِمٍ يَزُغُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَإِلَّا لَمْ تَتِمَّ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّغْلِبُ هُوَ الْمُلْكُ وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الرَّئَاسَةِ لِأَنَّ الرِّئَاسَةَ إِنَّمَا هِيَ سُودْدٌ وَصَاحِبُهَا مَشْبُوعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمُلْكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَوْرِ وَصَاحِبُ الْعَصِيَّةِ إِذَا بَلَغَ إِلَى رُتَبَةٍ طَلَبَ مَا فَوْقَهَا فَإِذَا بَلَغَ رُتَبَةَ السُّودْدِ وَالْإِتْبَاعِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ لَا يَتَذَكَّرُ لِأَنَّهُ مَطْلُوبٌ لِلنَّفْسِ وَلَا يَتِمُّ اقْتِدَارُهَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مَشْبُوعًا فَالتَّغْلِبُ الْمُلْكِي غَايَةُ لِلْعَصِيَّةِ كَمَا رَأَيْتَ ثُمَّ إِنَّ الْقَلِيلَ الْوَاحِدَ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ بُيُوتٌ مُفْتَرِقَةٌ وَعَصِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ عَصِيَّةٍ تَكُونُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِهَا تَغْلِبُهَا وَتَسْتَبْعُهَا وَتَلْتَجِمُ جَمِيعَ الْعَصِيَّاتِ فِيهَا وَتَصِيرُ كَأَنَّهَا عَصِيَّةٌ وَاحِدَةٌ كُبْرَى وَإِلَّا وَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ الْمُنْضِي إِلَى الْإِخْتِلَافِ وَالتَّزَاوُعِ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَنَسَدَتْ الْأَرْضُ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ التَّغْلِبُ بِتِلْكَ الْعَصِيَّةِ عَلَى قَوْمِهَا طَلَبَتْ بِطَاعِهَا التَّغْلِبَ عَلَى أَهْلِ عَصِيَّةٍ أُخْرَى بَعِيدَةٍ عَنْهَا فَإِنْ كَفَاتَهَا أَوْ مَانَعَتْهَا كَانُوا اقْتَالًا وَأَنْظَارًا وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا التَّغْلِبُ عَلَى حَوَازَتِهَا

وَقَوْمَهَا شَأْنَ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْمُفْتَرَقَةِ فِي الْعَالَمِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا وَأَسْتَبَعَتْهَا أَلْتَحَمَتْ بِهَا أَيْضاً وَزَادَتْ قُوَّةً فِي التَّغْلِبِ إِلَى قُوَّتِهَا وَطَلَبَتْ غَايَةَ مِنَ التَّغْلِبِ وَالتَّحْكُمِ أَعْلَى مِنَ الْغَايَةِ الْأُولَى وَأَبْعَدَ وَهَكَذَا دَائِماً حَتَّى تُكَافِيَ بِقُوَّتِهَا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ فِي هَرَمِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَنَاعٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ أَهْلِ الْعَصِيَّاتِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا وَأَنْتَرَعَتْ الْأَمْرَ مِنْ يَدِهَا وَصَارَ الْمَلِكُ أَجْمَعُ لَهَا وَإِنْ انْتَهَتْ قُوَّتُهَا وَلَمْ يُقَارِنْ ذَلِكَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا قَارَنَ حَاجَتُهَا إِلَى الْإِسْتِظَارِ بِأَهْلِ الْعَصِيَّاتِ أَنْتَظَمَتِهَا الدَّوْلَةُ فِي أَوْلِيَائِهَا تَسْتَظْهِرُ بِهَا عَلَى مَا يَبِينُ مِنْ مَقَاصِدِهَا وَذَلِكَ مَلِكٌ آخَرُ دُونَ الْمَلِكِ الْمُسْتَبِدِّ وَهُوَ كَمَا وَقَعَ الْتَرَكُّ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَلِصْنَهَا جَهَ وَزَنَاتَهُ مَعَ كِتَامَةِ وَلِيِّي خُذَانَ مَعَ مُلُوكِ الشَّيْعَةِ مِنَ الْعُلَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ فَقَدْ نَهَرَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ غَايَةُ الْعَصِيَّةِ وَأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ إِلَى نَاقِصِهَا حَصَلَ لِلْقَبِيلَةِ الْمَلِكُ إِمَّا بِالْإِسْتِزَادِ أَوْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَسَعُهُ أَوَقْتُ الْمُقَارِنِ لِذَلِكَ وَإِنْ عَاقَبَهَا عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ عَوَانِقُ كَمَا نُفِيتُ وَقَفْتُ فِي مَقَامِهَا إِلَى أَنْ يَقْنِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانتمس القليل في النعم  
وسبب ذلك أَنَّ الْقَلِيلَ إِذَا غَلَبَتْ بِعَصِيَّةٍ بَعْضَ الْغَلْبِ اسْتَوْلَتْ عَلَى النِّعْمَةِ بِبِقْدَارِهِ وَشَارَكَتْ أَهْلَ النِّعَمِ وَالْجُذْبِ فِي نِعْمَتِهِمْ وَخِصَمِهِمْ وَضَرَبَتْ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ بِسَهْمٍ وَحِصَّةٍ بِبِقْدَارِ غَايَتِهَا وَاسْتِظَارِ الدَّوْلَةِ بِهَا فَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَنْتَرَاعِ أَمْرِهَا وَلَا مُشَارَكَتِهَا فِيهِ أَذِنَ ذَلِكَ الْقَلِيلُ لَوَلَايَتِهَا وَالْقُرُوعِ بِمَا يُسَوِّغُونَ مِنْ نِعْمَتِهَا وَيُشْرِكُونَ فِيهِ مِنْ جَبَائِيَتِهَا وَلَمْ تَنْمُ أَمَالُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَلَا أَسْبَابِهِ إِنَّمَا هِمَّتْهُمْ النِّعَمُ وَالْكَسْبُ وَخِصْبُ الْعَيْشِ وَالسُّكُونُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ إِلَى الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْأَخْذِ بِمَذَاهِبِ الْمَلِكِ فِي الْمَبَانِي وَالْمَلَابِسِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ وَالتَّانُّقِ فِيهِ بِبِقْدَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الرِّيشِ وَالتَّرَفِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ فَتَذْهَبُ خَشُونَةُ الْبِدَاوَةِ وَتَضَعُفُ الْعَصِيَّةُ وَالْبَسَالَةُ وَيَتَعَمَّوْنَ فِيمَا أَتَاهُمْ اللَّهُ مِنَ الْبَسْطَةِ وَتَلْشَأُ بَنُوهُمْ وَأَعْقَابُهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ التَّرَفِ عَنْ خِدْمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَوَلَايَةِ حَاجَاتِهِمْ وَيَسْتَكْفُونَ عَنْ سَائِرِ الْأُمُورِ اضْرُورِيَّةٍ فِي الْعَصِيَّةِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ خُلُقاً لَهُمْ وَسَجِيَّةً فَتَقْصُرُ عَصِيَّتُهُمْ وَيَسْأَلَتُهُمْ فِي الْأَجْيَالِ بَعْدَهُمْ يَتَعَاقَبُوا إِلَى أَنْ تَقْرُضَ الْعَصِيَّةُ



فَيَاذُنُونَ بِالْأَذْرَاضِ وَعَلَى قَدْرِ تَرْفِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ يَكُونُ إِشْرَافُهُمْ عَلَى الْإِنَاءِ فَضْلاً عَنْ الْمُلْكِ فَإِنَّ عَوَارِضَ التَّرَفِ وَالْفَرْقِ فِي التَّعِيمِ كَاسِرٌ مِنْ سُورَةِ الْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا التَّغْلِبُ وَإِذَا انْقَرَضَتِ الْعَصِيَّةُ قَصَرَ الْقَبِيلُ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَضْلاً عَنْ الْمُطَالَبَةِ وَالتَّهْمَتِ الْأَمَمِ سِوَاهُمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّرَفَ مِنْ عَوَائِقِ الْمُلْكِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك المذلة للقبيل والانتقياذ الى سواهم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْإِزْيَادَ كَاسِرَانِ لِسُورَةِ الْعَصِيَّةِ وَشِدَّتِهَا فَإِنَّ انْتِيَادَهُمْ وَمَذَلَّتَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى فَقْدَانِهَا فَمَا رَتَبُوا لِلْمَذَلَّةِ حَتَّى عَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ فَأُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا عَاجِزِينَ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُلْكِ الشَّامِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ مُلْكَهَا كَيْفَ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهَا أَيْ يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا بِضَرْبٍ مِنْ قُدْرَتِهِ غَيْرَ عَصِيَّتِنَا وَتَكُونُ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ يَا مُوسَى وَلَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِمْ لَجُوءًا وَارْتَكَبُوا الْإِيْيَانَ وَقَالُوا لَهُ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أُنْسُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ آيَةٌ وَمَا يُؤَثِّرُ فِي تَفْسِيرِهَا وَذَلِكَ بِمَا حَصَلَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ الْإِزْيَادِ وَمَا رَتَبُوا مِنَ الدَّلِيلِ لِلْقَبِيلِ أَحْقَابًا حَتَّى ذَهَبَتِ الْعَصِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِدُوا حَتَّى الْإِيْيَانِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَنَّ الشَّامَ لَهُمْ وَأَنَّ الْعِمَالِقَةَ الَّذِينَ كَانُوا يَارِيهَا فَرِيْسَتُهُمْ بِحُكْمٍ مِنَ اللَّهِ قُدْرَهُ لَهُمْ فَأَقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَءَزَوْا تَعْوِيلًا عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُطَالَبَةِ لَمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ خُلُقِ الْمَذَلَّةِ وَطَعَنُوا فِيهَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَقَابَهُمُ اللَّهُ بِأَلَّتِيهِ وَهُوَ أَنَّهُمْ تَاهُوا فِي قَفْرِ مِنَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَمِصْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْوُوا فِيهَا الْعُمَرَانَ وَلَا تَزَلُّوا مِصْرًا وَلَا تَخَالُطُوا بَشَرًا كَمَا قَصَّه الْقُرْآنُ لِعِلَظَةِ الْعِمَالِقَةِ بِالشَّامِ وَالْقَبِيلِ بِمِصْرَ عَلَيْهِمْ لِعَجْزِهِمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ كَمَا زَعَمُوهُ وَيُظْهَرُ مِنْ مَسَاقِ الْآيَةِ وَمَقْهُومِهَا أَنَّ حِكْمَةَ ذَلِكَ أَلَّتِيهِ مَقْصُودَةٌ وَهِيَ فَنَاءُ الْحِيلِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ قَبْضَةِ الدَّلِيلِ وَالْقَهْرِ وَالْقُوَّةِ وَتَجَلَّقُوا بِهِ وَأَفْسَدُوا مِنْ عَصِيَّتِهِمْ حَتَّى نَشَأَ فِي ذَلِكَ أَلَّتِيهِ حِيلٌ آخَرُ عَزِيزٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا حُكَامَ وَالْقَهْرَ وَلَا يُسَامُ بِالْمَذَلَّةِ فَتَشَأَتْ بِذَلِكَ عَصِيَّةٌ أُخْرَى اقْتَدَرُوا بِهَا

عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَالْتِمَاسِ وَيُظْهِرُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً أَقَلُّ مَا يَأْتِي فِيهَا فَنَاءُ جِيلٍ وَنَشَأُ جِيلٍ آخَرَ سُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَفِي هَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى شَأْنِ الْعَصِيَّةِ وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْمُدَافَعَةُ وَالْمُقَاوَمَةُ وَالْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَأَنَّ مَنْ قَتَلَهَا عَجَزَ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُنَاقِضُ بِهَذَا الْفَصْلِ فِيمَا يُوجِبُ الْمَذَلَّةَ لِلْقَلِيلِ شَأْنَ الْمَغَارِمِ وَالضَّرَائِبِ فَإِنَّ الْقَلِيلَ الْغَارِمِينَ مَا أَعْطُوا أَلَيْدَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى رَضُوا بِالْمَذَلَّةِ فِيهِ لِأَنَّ فِي الْمَغَارِمِ وَالضَّرَائِبِ ضِمًّا وَمَذَلَّةً لَا تَحْتَمِلُهَا النَّفُوسُ إِلَّا يَبِيتُ إِذَا اسْتَهْوَتْهُ عَنِ الْقَتْلِ وَالتَّلَفِ وَأَنَّ عَصِيَّتَهُمْ حِينَئِذٍ ضَعِيفَةٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ وَمَنْ كَانَتْ عَصِيَّتُهُ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ الظُّمَّ فَكَيْفَ لَهُ بِالْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْإِثْقَادُ لِلذَّلِّ وَالْمَذَلَّةِ بَانِيَةً كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنُ الْحَرْثِ لَنَا رَأَى سِكَّةَ الْحِرَاثِ فِي بَعْضِ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُمُ الدَّلُّ فَهُوَ دَلِيلٌ صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْمَغْرَمَ مُوجِبٌ لِذِلَّةٍ هَذَا إِلَى مَا يَضَعُ ذَلِكَ الْمَغَارِمَ مِنْ خُلُقِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ بِسَبَبِ مَلَكَهَ الْقَهْرُ فَإِذَا رَأَيْتَ الْقَلِيلَ بِالْمَغَارِمِ فِي رُبْعَةٍ مِنَ الدَّلِّ فَلَا تَطْمَئِنِّ لَهَا بِمُلْكٍ آخَرَ الدَّهْرِ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ زَنَاتَهُ بِالْمَغْرِبِ كَانُوا مُشَاوِرَةً يُؤَدُّونَ الْمَغَارِمَ لِمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ غَلْطٌ فَاحِشٌ كَمَا رَأَيْتَ إِذْ لَوْ وَقَعَ ذَلِكَ لَمَا اسْتَتَبَ لَهُمْ مُلْكٌ وَلَا تَمَّتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَأَنْظُرْ فِيمَا قَالَهُ شَهْرَ بَرَّازٍ مَلِكُ الْبَابِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ رُبَيْعَةَ لَنَا أَطْلٌ عَلَيْهِ وَسَّالَ شَهْرَ بَرَّازٍ أَمَانَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فَقَالَ أَنَا الْيَوْمَ مِنْكُمْ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ وَصَعْرِي مَعَكُمْ فَمَرَحَبًا بِكُمْ وَبَارَكَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ وَجَزَيْتُنَا إِلَيْكُمْ النَّصْرُ لَكُمْ وَالْإِيمَانُ بِنَا تُحِبُّونَ وَلَا تُدَاوِنَا بِأَجْزِيَةٍ فَيَوْهُونَا لِعَدُوِّكُمْ فَاعْتَبِرْ هَذَا فِيمَا قُلْنَا فَإِنَّهُ كَافٍ

### الفصل العشرون

فِي إِنْ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُلْكِ التَّنَافُسِ فِي الْخِلَالِ الْحَمِيدَةِ وَبِالْعَكْسِ  
لَنَا كَانَ الْمُلْكُ طَبِيعِيًّا لِلْإِنْسَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِجْتِمَاعِ كَمَا قُلْنَا وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ إِلَى خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ بِأَصْلِهِ وَطَبِيعَتِهِ وَقُوَّتِهِ النَّاطِقَةِ الْعَاقِلَةِ  
لَأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي فِيهِ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ فَهُوَ  
إِلَى الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ أَقْرَبُ وَالْمُلْكُ وَالسِّيَاسَةُ إِنَّمَا كَانَا لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ لِأَنَّهَا



لِلْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَا لِلْحَيَوَانِ فَإِذَا خِلَالَ الْخَيْرِ فِيهِ هِيَ الَّتِي تُنَاسِبُ السِّيَاسَةَ وَالْمُلْكَ إِذَا  
الْخَيْرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاسَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَجْدَ لَهُ أَصْلٌ يُبْنَى عَلَيْهِ وَتَتَحَقَّقُ بِهِ  
حَقِيقَتُهُ وَهُوَ الْعَصِيَّةُ وَالْعَشِيدُ وَفَرَعٌ يُتِمُّمْ وَجُودُهُ وَيُكْبِلُهُ وَهُوَ الْحِلَالُ وَإِذَا كَانَ  
الْمُلْكُ غَايَةً لِلْعَصِيَّةِ فَهُوَ غَايَةُ لِفُرُوعِهَا وَمُسْتَمَاتِهَا وَهِيَ الْحِلَالُ لِأَنَّ وَجُودَهُ دُونَ مُسْتَمَاتِهِ  
كَوُجُودِ شَخْصٍ مَقْطُوعِ الْأَعْضَاءِ أَوْ ظُهُورِهِ عُرْيَانًا بَيْنَ النَّاسِ وَإِذَا كَانَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ  
فَقَطٌّ مِنْ غَيْرِ أَنْتَحَالَ الْحِلَالِ الْحَمِيدَةِ نَقْصًا فِي أَهْلِ السُّيُوتِ وَالْأَحْسَابِ فَمَا ظَنُّكَ  
بِأَهْلِ الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ لِكُلِّ مَجْدٍ وَنِهَايَةُ لِكُلِّ حَسَبٍ وَأَيْضًا فَالسِّيَاسَةُ وَالْمُلْكُ  
هِيَ كِفَالَةُ الْخَلْقِ وَخِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ لِتَفْذِيرِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ وَأَحْكَامُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ  
وَعِبَادِهِ إِنَّمَا هِيَ بِالْخَيْرِ وَمُرَآةُ الْمَصَالِحِ كَمَا تَشْهَدُ بِهِ الشَّرَائِعُ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِ إِنَّمَا  
هِيَ مِنَ الْجَبَلِ وَالشَّيْطَانِ بِخِلَافِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقُدْرِهِ فَإِنَّهُ فَاعِلٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا  
وَمُقَدِّرُهُمَا إِذَا لَا فَاعِلَ سِوَاهُ فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ الْكَفِيلَةُ بِالْقُدْرَةِ وَأُوْنِسَتْ مِنْهُ  
خِلَالَ الْخَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ لِتَفْذِيرِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْخِلَافَةِ فِي الْعِبَادِ وَكَفَالَةِ  
الْخَلْقِ وَوُجِدَتْ فِيهِ الصَّلَاحِيَّةُ لِذَلِكَ وَهَذَا الْبَرَهُانُ أَوْثَقُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَصَحُّ مِنْهُ فَقَدْ  
تَبَيَّنَ أَنَّ خِلَالَ الْخَيْرِ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِ الْمُلْكِ لِمَنْ وَجِدَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ فَإِذَا نَظَرْنَا فِي  
أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْغَلْبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّوَاجِحِ وَالْأَمَمِ فَوَجَدْنَا هُمْ  
يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالْعَفْوِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْإِحْتِمَالِ مِنْ غَيْرِ الْقَادِرِ  
وَالْإِزْيَافِ وَالضُّيُوفِ وَحَمَلِ الْكُلِّ وَكَسْبِ الْمُعْدِمِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ  
وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي صَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَتَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ وَإِجْلَالِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ لَهَا  
وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا يُخَدِّدُونَهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتِقَادِ أَهْلِ الدِّينِ  
وَالْتَبَرُّكَ بِهِمْ وَرَغْبَةِ الدُّعَاءِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ مِنَ الْأَكْبَارِ وَالْمَشَايِرِ وَتَوْقِيرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ  
وَالْإِنِّيَادِ إِلَى الْحَقِّ مَعَ الدَّاعِي إِلَيْهِ وَإِنْصَافِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالتَّبَدُّلِ فِي  
أَحْوَالِهِمْ وَالْإِنِّيَادِ لِلْحَقِّ وَالتَّوَاضُّعِ لِلْمَسْكِينِ وَاسْتِمَاعِ شَكْوَى الْمُسْتَغِيثِينَ وَالتَّدْيُنِ  
بِالشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَيَّامِ عَلَيْهَا وَعَلَى أَسْبَابِهَا وَالتَّجَافِي عَنِ الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيثَةِ  
وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ خُلُقُ السِّيَاسَةِ قَدْ حَصَلَتْ لَدَيْهِمْ وَاسْتَحْضَرُوا بِهَا  
أَنَّ يَكُونُوا سَاسَةً لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ أَوْ عَلَى الْعُيُومِ وَأَنَّهُ خَيْرٌ سَاقَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ

مُنَاسِبٌ لِعَصِيَّتِهِمْ وَعَلَيْهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ سُئِي فِيهِمْ وَلَا وَجِدَ عَثَا مِنْهُمْ وَالْمُلْكُ النَّسَبُ  
التراتب والحدوات لعصيتهم فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَأْذَنَ لَهُمْ بِالْمُلْكِ وَسَاقَهُ إِلَيْهِمْ  
وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ بِإِزْرَاضِ الْمُلْكِ مِنْ أُمَّةٍ حَمَلَهُمْ عَلَى أَرْكَابِ  
الْمَذْمُومَاتِ وَأَنْتَحَلَ الرِّذَالِ وَسُلُوكِ طُرُقًا فَتَقَدَّرَ النِّصَائِلُ السِّيَاسِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً وَلَا  
تَرَالُ فِي انْتِقَاصِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْمُلْكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَتَبَدَّلَ بِهِ سَوَاهُمُ لِيَكُونَ نَعْيًا  
عَلَيْهِمْ فِي سَلْبٍ مَا كَانَ اللَّهُ قَدْ آذَنَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ وَجَعَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَإِذَا  
أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيهَا الْقَوْلُ فدمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَأَسْتَشْرَى  
ذَلِكَ وَتَتَبَعُهُ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ تَجِدُ كَثِيرًا مِمَّا قُلْنَاهُ وَوَسَّيْنَاهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ خِلَالِ الْكَمَالِ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْقَبَائِلُ أَوْ لَوْ الْعَصِيَّةُ وَتَكُونُ شَاهِدَةً  
لَهُمْ بِالْمُلْكِ إِكْرَامُ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الْأَحْدَابِ وَأَصْنَافِ التِّجَارِ  
وَالْغُرَبَاءِ وَإِزْوَاجِ النَّاسِ مَنَازِلُهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِكْرَامَ الْقَبَائِلِ وَأَهْلِ الْعَصِيَّاتِ وَالْعَشَائِرِ  
لَمَنْ يُنَافِسُهُمْ فِي الشَّرَفِ وَيُجَادِبُهُمْ حَبْلُ الْعَشِيرِ وَالْعَصِيَّةِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي اتِّسَاعِ  
الْجَاهِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ يَجْعَلُ عَلَيْهِ فِي الْأَكْثَرِ الرِّغْبَةَ فِي الْجَاهِ أَوْ الْمَخَافَةَ مِنْ قَوْمِ  
الْمُكْرَمِ أَوْ الْيَتَسُّ مِثَالًا مِنْهُ وَأَمَّا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ عَصِيَّةٌ تُتَّقَى وَلَا جَاهٌ  
يُرْتَجَى فَيَتَدَفَّعُ الشُّكُّ فِي شَأْنِ كِرَامَتِهِمْ وَيَتَمَحَّضُ الْفَضْدُ فِيهِمْ أَنَّهُ لِلْمَجْدِ وَأَنْتَحَلَ  
الْكَمَالِ فِي الْخِلَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى السِّيَاسَةِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّ إِكْرَامَ أَقْبَالِهِ وَأَمْثَالِهِ  
ضُرُورِيٌّ فِي السِّيَاسَةِ الْخَاصَّةِ بَيْنَ قَبِيلِهِ وَنُظَرَانِهِ وَإِكْرَامُ الطَّارِنِينَ مِنْ أَهْلِ النِّصَائِلِ  
وَالْخُصُوصِيَّاتِ كَمَالٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ فَالصَّالِحُونَ لِلدِّينِ وَالْعُلَمَاءُ لِلْجَانِي إِلَيْهِمْ فِي  
إِقَامَةِ مَرَامِ الشَّرِيعَةِ وَالتِّجَارِ لِلتَّرْغِيبِ حَتَّى تَعِمَّ الْمَنْفَعَةُ بِأَيِّ أَيْدِيهِمْ وَالْغُرَبَاءُ مِنْ  
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِزْوَاجِ النَّاسِ مَنَازِلُهُمْ مِنَ الْإِنْصَافِ وَهُوَ مِنَ الْعَدْلِ فَيَعْلَمُ بِوُجُودِ  
ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِ أَنْبَاءُهُمْ لِلْسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَهِيَ الْمُلْكُ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَأْذَنَ بِوُجُودِهَا  
فِيهِمْ لِوُجُودِ عِلَامَاتِهَا وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَا يَذْهَبُ مِنَ الْقَبِيلِ أَهْلُ الْمُلْكِ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ  
تَعَالَى بِسَلْبِ مُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ إِكْرَامَ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ الْخَلْقِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ ذَهَبَ  
مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَضَائِلَ قَدْ أَخَذَتْ فِي الدَّهَابِ عَنْهُمْ وَأَرْتَبَ زَوَالَ الْمُلْكِ  
مِنْهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ



## الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى التَّغْلِبِ وَالْإِسْتِدَادِ كَمَا قُلْنَا وَاسْتِعْبَادِ الطَّوَائِفِ  
لِقُدْرَتِهِمْ عَلَى مُخَارَبَةِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ وَلِأَنَّهُمْ يَتَذَلُّونَ مِنَ الْأَهْلِينَ مَثَرَةَ الْمُفْتَرِسِ مِنَ  
الْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمِ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ الْعَرَبِ وَزَنَاتِهِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالْثُرَكَانِ  
وَأَهْلِ اللَّثَامِ مِنْ صَنَهَاجَةٍ وَأَيْضاً هَؤُلَاءِ الْمُتَوَحِّشُونَ لَيْسَ لَهُمْ وَطَنٌ يَرْتَافُونَ مِنْهُ وَلَا  
بَلَدٌ يَجْنَحُونَ إِلَيْهِ فَنِسْبَةُ الْأَقْطَارِ وَالْمَوَاطِنِ إِلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ فَلِهَذَا لَا يَتَصَرُّونَ عَلَى  
مَلَكَهٍ قُطْرِهِمْ وَمَا جَاوَرَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا يَقْبَلُونَ عِنْدَ حُدُودِ أَقْيَمِهِمْ بَلْ يَطْفُرُونَ إِلَى  
الْأَقَالِمِ الْبَعِيدَةِ وَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأُمَمِ النَّائِيَةِ وَانْظُرْ مَا يُحْكِي فِي ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ  
اللهُ عَنْهُ لَمَّا بُويعَ وَقَامَ يُخْرِضُ النَّاسَ عَلَى الْعِرَاقِ فَقَالَ إِنَّ الْحِجَازَ لَيْسَ لَكُمْ بِدَارٍ  
إِلَّا عَلَى التَّجَعَّةِ وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ إِلَّا بِذَلِكَ أَمِنْ الثُّرَاءِ الْمُوَاجِرُونَ عَنْ مَوْعِدِ اللهِ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ كُمْ اللهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ يُورِثَكُمُوهَا فَقَالَ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَاسْتَبْرَ ذَلِكَ أَيْضاً بِحَالِ الْعَرَبِ السَّالِقَةِ مِنْ قَبْلُ مِثْلُ  
الْتَّبَاعَةِ وَحَمِيدٍ كَيْفَ كَانُوا يَخْطُونَ مِنَ الَّتِي إِلَى الْمَغْرِبِ مَرَّةً وَإِلَى الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ  
أُخْرَى وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ الْعَرَبِ مِنَ الْأُمَمِ وَكَذَا حَالُ الْمُتَسِينَ مِنَ الْمَغْرِبِ لَمَّا  
تَرَعُوا إِلَى الْمُلْكِ طَفَرُوا مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَمَحَالَاتِهِمْ مِنْهُ فِي جَوَارِ السُّودَانِ إِلَى  
الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ فِي مَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ وَهَذَا شَأْنُ هَذِهِ الْأُمَمِ  
الْوَحْشِيَّةِ فَلِذَلِكَ تَكُونُ دَوْلَتُهُمْ أَوْسَعَ نِطَاقاً وَأَبْعَدَ مِنْ مَرَاكِزِهَا نِهَايَةً وَاللهُ يُقَدِّرُ  
الْأَلِيلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا شَرِيكَ لَهُ

## الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لهم العصية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ إِذَا حَصَلَ لَهُمْ بَعْدَ مَوَرَةِ الْغُلْبِ وَالْإِذْعَانِ لَهُمْ مِنْ  
سَائِرِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ فَيَتَعَيَّنُ مِنْهُمْ الْمُبَاشِرُونَ لِلْأَمْرِ الْعَامِلُونَ سَرِيَّةَ الْمُلْكِ وَلَا يَكُونُ

ذَلِكَ لِجَمِيعِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَضِيقُ عَنْهَا نِطاقُ الْمَرَاحَةِ وَالْغَيْرَةِ الَّتِي  
تَجْدَعُ أَنْفَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَطَاوِلِينَ لِارْتَبَةِ فَإِذَا تَعَيَّنَ أُولَئِكَ الْقَائِدُونَ بِالدَّوْلَةِ انْتَمَسُوا  
فِي النَّعِيمِ وَغَرِقُوا فِي بَحْرِ التَّرَفِ وَالْحَضْبِ وَاسْتَعْبَدُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجَلِيلِ وَأَنْدَقُواهُمْ  
فِي وُجُوهِ الدَّوْلَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَبَقِيَ الَّذِينَ بَعْدُوا عَنْ الْأَمْرِ وَكَبَحُوا عَنْ الْمُشَارَكَةِ فِي ظِلِّ  
مَنْ عَزَا الدَّوْلَةَ الَّتِي شَارَكُوهَا بِنَسَبِهِمْ وَبِصَنْجَاعِهِ مِنَ الْمَرْمِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ  
فَإِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْأَيَّامُ وَأَبَادَ غَضَرَاءُ هُمْ الْوَرَمُ فَطَبَحَتْهُمْ الدَّوْلَةُ وَأَكَلَ الدَّهْرُ  
عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ بِأَرْهَفِ النَّعِيمِ مِنْ حَدِيثِهِمْ وَاسْتَقَّتْ غَرِيزَةُ التَّرَفِ مِنْ مَانِعِهِمْ وَبَلَّغُوا  
غَايَتَهُمْ مِنْ طَبِيعَةِ التَّمَدُّنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْثَقَلِ السِّيَاسِيِّ (شعر)

كَدُودِ الْقَرَرِ يَنْسَجُ ثُمَّ يَفْنَى بِمَرَكَزِ نَسْجِهِ فِي الْإِنْعِكَاسِ  
كَانَتْ حِينَئِذٍ عَصِيَّةُ الْآخِرِينَ مَوْفُورَةً وَسُورَةٌ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَاسِرِ مَحْذُوظَةٌ وَشَارَتْهُمْ  
فِي الْغَلَبِ مَعْلُومَةٌ فَتَسْمُوا آمَالَهُمْ إِلَى الْمُلْكِ الَّذِي كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ مِنْ  
جَنْسِ عَصِيَّتِهِمْ وَتَرْتَفِعُ الْمُنَازَعَةُ لِمَا عُرِفَ مِنْ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَوْلُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَيَصِيرُ  
إِلَيْهِمْ وَكَذَا يَتَّفِقُ فِيهِمْ مَعَ مَنْ بَقِيَ أَيْضًا مُنْتَبِذًا عَنْهُ مِنْ عَشَائِرِ أُمَّتِهِمْ فَلَا يَزَالُ الْمُلْكُ  
مَلْجَأً فِي الْأُمَّةِ إِلَى أَنْ تَنْكَسِرَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ مِنْهَا أَوْ يَفْنَى سَائِرُ عَشَائِرِهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ وَاعْتَبِرْ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الْعَرَبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
مُلْكُ عَادٍ قَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ تَبُودٍ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ الْعَمَالِقَةُ وَمِنْ  
بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ حَمِيرٍ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ التَّبَابِيعَةُ مِنْ حَمِيرٍ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ  
الْأَذْوَاءُ كَذَلِكَ ثُمَّ جَاءَتْ الدَّوْلَةُ لِلْمُضَرِّ وَكَذَا الْفُرْسُ لَمَّا أَنْقَرَضَ أَمْرُ الْكِنِيزَةِ مَلِكَ  
مِنْ بَعْدِهِمْ السَّاسَانِيَّةُ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِإِنْتِرَاضِهِمْ أَجْمَعَ بِالْإِسْلَامِ وَكَذَا الْيُونَانِيُّونَ  
أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَانْتَقَلَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَكَذَا الْبَرْبُرُ بِالْمَغْرِبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
أَمْرُ مَغْرَاوَةَ وَكُنَامَةَ الْمَلُوكِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَى صَنْجَاعِهِ ثُمَّ الْمُلْكِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ  
مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعُوبِ زَنَاطَةَ وَهَكَذَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ وَأَصْلُ هَذَا كَلَامُهُ إِنَّمَا  
يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْأَجْيَالِ وَالْمُلْكُ يُخْلَقُ التَّرَفُ وَيُذْهِبُهُ كَمَا سَنَذْكُرُهُ  
بَعْدُ فَإِذَا أَنْقَرَضَتْ دَوْلَةٌ فَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَصِيَّةٌ مُشَارِكَةٌ لِعَصِيَّتِهِمْ  
الَّتِي عُرِفَ لَهَا التَّسْلِيمُ وَالْإِنْقِيَادُ وَأَوْنِسَ مِنْهَا الْغَلَبُ لِجَمِيعِ الْعَصِيَّاتِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يُوجَدُ



فِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ مِنْهُمْ لِأَنَّ تَفَاوُتَ الْعَصِيَّةِ بِحَسَبِ مَا قُرْبَ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ الَّتِي هِيَ فِيهِ أَوْ بَعْدَ حَتَّى إِذَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ تَبْدِيلٌ كَبِيرٌ مِنْ تَحْوِيلِ مِلَّةٍ أَوْ ذَهَابِ عُمَرَانِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ قُدْرَتِهِ فَجَيِّدٌ يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ الْجِيلِ إِلَى الْجِيلِ الَّذِي يَأْذَنُ اللَّهُ بِقِيَامِهِ بِذَلِكَ التَّبْدِيلِ كَمَا وَقَعَ لِمُضَرَ حِينَ غَلَبُوا عَلَى الْأَمَمِ وَالِدُولِ وَأَخَذُوا الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الْعَالَمِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَكْبُوحِينَ عَنْهُ أَحْقَابًا

### الفصل الثالث والعشرون

في ان المظلوب مولع ابدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه

ومخلته وسائر احواله وعوائده

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فِي مَنْ غَلَبَهَا وَانْتَقَدَتْ إِلَيْهِ إِمَّا لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِنَا وَفَرَعِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ مِنْ أَنَّ اتِّقَادَهَا لَيْسَ إِنْغَلَبَ طَبِيعِيًّا إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ فَإِذَا غَالَطَتْ بِذَلِكَ وَاتَّصَلَ لَهَا اعْتِقَادُهَا فَانْتَحَلَتْ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِقْتِدَاءُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنْ غَلَبَ الْغَالِبُ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ بِأَسْرِ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا انْتَحَلَتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنْ الْغَلَبِ وَهَذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا بَلْ وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ وَأَنْظُرْ ذَلِكَ فِي الْأَبْنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ تَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِاعْتِقَادِهِمْ الْكَمَالَ فِيهِمْ وَأَنْظُرْ إِلَى كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِ زِيٍّ أَهْلِيَّةٍ وَجُنْدُ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهُمْ الْغَالِبُونَ لَهُمْ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ تُجَارِهُ أُخْرَى وَلَمَّا الْغَلَبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشَبُّهِ وَالْإِقْتِدَاءِ حَظٌّ كَبِيرٌ كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَعَ أَمَمِ الْجَلَالَةِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَالْكَثِيرُ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ حَتَّى فِي رَسْمِ التَّمَاثِيلِ فِي الْجُدُرَانِ وَالْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ حَتَّى لَقَدْ يَسْتَشْعِرُ مِنْ ذَلِكَ النَّاطِرُ بَعِينَ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِسْتِيلَاءِ وَالْأَمْرِ لِلَّهِ . وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا سِرَّ قَوْلِهِمُ الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ إِذَا الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ وَالرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لِاعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِيهِ اعْتِقَادَ الْأَبْنَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِهِمْ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنَ التَّكَاسُلِ إِذَا مَلَكَ أَمْرُهَا عَلَيْهَا  
وَصَارَتْ بِالْإِسْتِعْبَادِ آلَةً لِسَوَاهَا وَعَالَةً عَلَيْهِمْ فَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَضْعُفُ التَّكَاسُلُ وَالْإِعْتِمَارُ  
إِنَّمَا هُوَ عَنْ مُجْدَّةِ الْأَمَلِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ النَّشَاطِ فِي الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَإِذَا ذَهَبَ الْأَمَلُ  
بِالتَّكَاسُلِ وَذَهَبَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَكَانَتِ الْعَصِيَّةُ ذَاهِبَةً بِالْغَلَبِ الْحَاصِلِ  
عَلَيْهِمْ تَنَاقُصَ عُمرَانِهِمْ وَتَلَامُتْ مَكَايِسُهُمْ وَمَسَاعِيَهُمْ وَعَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ عَنْ  
أَنْفُسِهِمْ يَا خُضَّدَ الْغَلَبِ مِنْ شَوْكَتِهِمْ فَأَصْبَحُوا مُغْلِبِينَ لِكُلِّ مُتَلَبٍ وَطَعْمَةٍ لِكُلِّ  
آكِلٍ وَسَوَاءٌ كَانُوا حَصُلُوا عَلَى غَايَتِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ أَمْ لَمْ يَحْصُلُوا. وَفِيهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِسِرِّ آخِرِ  
وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ رَئِيسٌ بِطَبِيعِهِ يُقْتَضَى الْإِسْتِخْلَافُ الَّذِي يُخَاطَبُ لَهُ وَالرَّئِيسُ إِذَا غَلَبَ عَلَى  
رِئَاسَتِهِ وَكَبَحَ عَنْ غَايَةِ عِزِّهِ تَكَاسَلَ حَتَّى عَنْ شَبَعِ بَطْنِهِ وَرِي كِبْدِهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي  
أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ . وَلَقَدْ يُقَالُ مِثْلُهُ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ وَإِنَّهَا لَا تُسَافِدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ  
فِي مَلَكَةِ الْآدَمِيِّينَ فَلَا يَزَالُ هَذَا الْقَبِيلُ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فِي تَنَاقُصٍ وَأَضْيَاحٍ  
إِلَى أَنْ يَأْخُذَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ وَأَعْتَبْ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْفُرْسِ كَيْفَ كَانَتْ قَدْ مَلَأَتْ  
الْعَالَمَ كَثْرَةً وَلَمَّا فَنِيَتْ حَامِيَتُهُمْ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ بَقِيَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ  
يُقَالُ إِنَّ سَعْدًا أَحْصَى مَا وَرَاءَ الْمَدَائِنِ فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ  
سَبْعَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا رُبُّ بَيْتٍ وَلَمَّا تَحَصَّلُوا فِي مَلَكَةِ الْعَرَبِ وَقَبْضَةِ الْقَهْرِ لَمْ يَكُنْ  
بَقَاؤُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَذُبُّوا سَكَنَ لَمْ يَكُونُوا وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لِظُلْمٍ نَزَلَ بِهِمْ أَوْ عُذْوَانِ  
شَمْلَهُمْ فَمَلَكَةُ الْإِسْلَامِ فِي الدَّلِيلِ مَا عَلِمْتَ وَإِنَّمَا هِيَ طَبِيعَةٌ فِي الْإِنْسَانِ إِذَا غَلَبَ  
عَلَى أَمْرِهِ وَصَارَ آلَةً لِعَبِيدِهِ وَلِهَذَا إِنَّمَا تُذْعَنُ لِلرِّقِّ فِي الْغَالِبِ أُمَمُ السُّودَانِ لِنَقْصِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ عَرَضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ كَمَا قُلْنَا أَوْ مَنْ يَرْجُو بِأَنْتِظَامِهِ  
فِي رِبْقَةِ الرِّقِّ حُصُولَ رُتْبَةٍ أَوْ إِفَادَةِ مَالٍ أَوْ عِزٍّ كَمَا يَقَعُ لِمَمَالِكِ التُّرْكِ بِالشَّرْقِ  
وَالْمُلُوجِ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْإِفْرَنْجَةِ فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً بِإِسْتِخْلَاصِ الدَّوْلَةِ لَهُمْ فَلَا يَأْتُونَ  
مِنَ الرِّقِّ لَنَا يَأْمُلُونَهُ مِنْ أَجْلِهِ وَالرُّتْبَةِ بِأَصْطِفَاءِ الدَّوْلَةِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ  
وَبِهِ التَّوْفِيقُ



## الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِطَبِيعَةِ التَّوَحُّشِ الَّذِي فِيهِمْ أَهْلُ انْتِهَابٍ وَعَيْثُ يَنْتَهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ وَلَا زُكُوبٍ خَطَرٍ وَيَفِرُّونَ إِلَى مُنْتَجِعِهِمْ بِالْقَفْرِ وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَى الْمُرَاحَةِ وَالْمُحَارَبَةِ إِلَّا إِذَا دَفَعُوا بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَكُلُّ مَقِيلٍ أَوْ مُسْتَضْعَبٍ عَلَيْهِمْ فَهُمْ تَلَرِكُوهُ إِلَى مَا يَسْهُلُ عَنْهُ وَلَا يَغْرِضُونَ لَهُ وَالْقَبَائِلُ الْمُنْتَمِعَةُ عَلَيْهِمْ بِأَوْعَارِ الْجِبَالِ بِسُجَاةٍ مِنْ عَيْثِهِمْ وَفَسَادِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَسَمَّوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْهَضَابِ وَلَا يَرْكَبُونَ الصَّعَابَ وَلَا يَجَاوِرُونَ الْخَطَرَ وَأَمَّا الْبَسَائِطُ فَمَتَى اقْتَدَرُوا عَلَيْهَا يَفْقِدَانِ الْخَلَامِيَّةَ وَضَعْفَ الدَّوَلَةِ فَهِيَ نَهْبٌ لَهُمْ وَطُعْمَةٌ لَا كِلَاهُمْ يُودِدُونَ عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالْتِهَابَ وَالزَّخْفَ لِسُهُولَتِهَا عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يُضِيحَ أَهْلُهَا مُغْلِبِينَ لَهُمْ ثُمَّ يَتَعَاوَرُونَهُمْ بِاخْتِلَافِ الْأَيْدِي وَانْجِرَافِ السِّيَاسَةِ إِلَى أَنْ يَنْقَرِضَ عُمَرَانُهُمْ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

## الفصل السادس والعشرون

في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الحراب

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَحِشِيَّةٌ بِاسْتِحْكَامِ عَوَائِدِ التَّوَحُّشِ وَأَسْبَابِهِ فِيهِمْ فَصَارَ لَهُمْ خُلُقًا وَجِلَّةً وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَلَذُودًا لِأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ الْحُكْمِ وَعَدَمِ الْإِنْقِيَادِ لِلْسِّيَاسَةِ وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ مُنَافِيَةٌ لِلْعُمَرَانِ وَمُنَاقِضَةٌ لَهُ فَنَاقِضَةُ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَّةِ كُلِّهَا عِنْدَهُمْ الرِّحْلَةُ وَالْتَّغَابُ وَذَلِكَ مُنَاقِضٌ لِلسُّكُونِ الَّذِي بِهِ الْعُمَرَانُ وَمُنَافٍ لَهُ فَالْحَجَرُ مَثَلًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِنَصْبِهِ أَثَاقِي التَّدْرِيقِ فَيَنْقَلِبُونَ مِنَ التَّبَاقِي وَيُخَرَّبُونَهَا عَلَيْهِ وَيُعِدُّونَهُ لِذَلِكَ وَالْحَشَبُ أَيْضًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِيَعْبُرُوا بِهِ خِيَامَهُمْ وَيَتَّخِذُوا الْأَوْتَادَ مِنْهُ لِيُؤَيِّتَهُمْ فَيُخَرَّبُونَ السَّقْفَ عَلَيْهِ لِذَلِكَ فَصَارَتْ طَبِيعَةُ وَجُودِهِمْ مُنَافِيَةً لِلْبِنَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعُمَرَانِ هَذَا فِي حَالِهِمْ عَلَى الْعُيُومِ وَأَيْضًا فَطَبِيعَتُهُمْ انْتِهَابُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَنْ رَزَقَهُمْ فِي ظِلَالِ رِمَاجِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي اخْتِذِ أَمْوَالِ النَّاسِ حَدٌّ يَنْتَهَوْنَ إِلَيْهِ بَلْ كُنَّا أَمْتَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ إِلَى مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ أَوْ مَاعُونٍ انْتَهَبُوهُ فَإِذَا تَمَّ اقْتِدَارُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّغْلِبِ وَالْمُلْكِ بَطَلَتْ السِّيَاسَةُ فِي حِفْظِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَخَرِبَ الْعُمَرَانُ وَأَيْضًا فَلِأَنَّهُمْ

يَكْلِفُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْخِرَافِ أَعْمَالَهُمْ لَا يَرَوْنَ لَهَا قِيَمَةً وَلَا قِسْطًا مِنَ الْأَجْرِ وَالثَمَنِ وَالْأَعْمَالُ كَمَا سَنَذْكُرُهُ هِيَ أَصْلُ التَّكَاسِبِ وَحَقِيقَتُهَا وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَعْمَالُ وَصَارَتْ مَبْنًى ضَعُفَتْ أَلَامَالُ فِي التَّكَاسِبِ وَانْقَبَضَتِ الْأَيْدِي عَنْ الْعَمَلِ وَابْتَدَعَ السَّاكِنُ وَفَسَدَ الْعُمَرَانُ وَأَيْضًا فَإِنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِالْأَحْكَامِ وَزَجَرَ النَّاسِ عَنِ الْمَفَاسِدِ وَدِفَاعِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ إِنَّمَا هُمُومُهُمْ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ نَهَبًا أَوْ غَرَامَةً فَإِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ وَحَصَلُوا عَلَيْهِ أَعْرَضُوا عَمَّا بَعْدَهُ مِنْ تَسْيِيدِ أَحْوَالِهِمْ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَقَهَرِ بَعْضِهِمْ عَنْ أَغْرَاضِ الْمَنَاسِدِ وَرَبَّيَا فَرَضُوا الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْقَائِدَةِ وَالْجَبَايَةِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا كَمَا هُوَ شَأْنُهُمْ وَذَلِكَ لَيْسَ بِمُعْنٍ فِي دَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَزَجَرَ الْمُتَعَرِّضِ لَهَا بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ زَائِدًا فِيهَا لِإِسْتِنْمَالِ الْغُرْمِ فِي جَانِبِ حُصُولِ الْفَرْضِ فَتَبْقَى الرِّعَايَا فِي مَلَكَتِهِمْ كَانُوا فَوْضَى<sup>(١)</sup> دُونَ حُكْمِ وَالنَّوْضَى مُهْلِكَةٌ لِلْبَشَرِ مُفْسِدَةٌ لِلْعُمَرَانِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ وُجُودَ الْمَلِكِ خَاصَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ لَا يَسْتَقِيمُ وَجُودُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ إِلَّا بِهَا وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْفَضْلِ وَأَيْضًا فَهُمْ مُتَفَافِسُونَ فِي الرِّئَاسَةِ وَقَلَّ أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَمْرٍ لِبَعْدِهِ وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ أَوْ كَبِيرَ عَشِيرَتِهِ إِلَّا فِي الْأَقْلَرِ وَعَلَى كُرْهِهِ مِنْ أَجْلِ الْحَيَاءِ فَيَتَعَدَّدُ الْحُكَّامُ مِنْهُمْ وَالْأَمْرَاءُ وَتَخْتَلِفُ الْأَيْدِي عَلَى الرِّعْيَةِ فِي الْجَبَايَةِ وَالْأَحْكَامِ فَيَفْسُدُ الْعُمَرَانُ وَيَنْتَقِضُ قَالِ الْأَعْرَاجِيُّ الْوَافِدُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ الْحِجَابِ وَأَرَادَ الشَّاءَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالْعُمَرَانِ فَقَالَ تَرَكْتُهُ يَظْلِمُ وَحْدَهُ وَانْظُرْ إِلَى مَا مَلَكَوهُ وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْطَانِ مِنْ لَدُنِ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقْوُضُ عُمَرَانُهُ وَأَقْوَرُ سَاكِنُهُ وَبَدِلَتْ الْأَرْضُ فِيهِ غَيْرَ الْأَرْضِ فَالَيْتُمْ قَرَارَهُمْ خَرَابٌ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْأَمْصَارِ وَعِرَاقُ الْعَرَبِ كَذَلِكَ قَدْ خَرِبَ عُمَرَانُهُ الَّذِي كَانَ لِلْفُرْسِ أَجْمَعَ وَالشَّامُ لِهَذَا الْعَهْدِ كَذَلِكَ وَأَفْرِيْقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَارَ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مُنْذُ أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَتَمَرَّسُوا بِهَا لِثَلَاثِيَّةٍ وَخَمْسِينَ مِنَ السِّنِينَ قَدْ حَلَقَ بِهَا وَعَادَتْ بِسَانِطَةُ خَرَابًا كُلُّهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ كُلِّهِ عُمَرَانًا تَشْهَدُ بِذَلِكَ آثَارُ الْعُمَرَانِ فِيهِ مِنَ الْعَالِمِ وَتَمَائِيلِ الْبِنَاءِ وَشَوَاهِدِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ وَأَهْلِهِ

وما يعزى الى سيدنا علي لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهاهم سادوا



يُورِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية

او اثر عظيم من الدين على الجملة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَخُلُقِ التَّوَحُّشِ الَّذِي فِيهِمْ أَصْعَبُ الْأُمَمِ انْتِقَادًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِلْغِلَظَةِ وَالْأَنَفَةِ وَبُعْدِ الْهَمَّةِ وَالْمُنَافَسَةِ فِي الرِّئَاسَةِ فَقَلَّمَا تَجَمَّعَ أَهْوَاؤُهُمْ فَإِذَا كَانَ الدِّينُ بِالنُّبُوَّةِ أَوْ الْوِلَايَةِ كَانَ الْوَارِثُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَذَهَبَ خُلُقُ الْكِبَرِ وَالْمُنَافَسَةِ مِنْهُمْ فَسَهَّلَ انْتِقَادُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ وَذَلِكَ بِمَا يَسْتَلْهُمُ مِنَ الدِّينِ الْمَذْهَبِ لِلْغِلَظَةِ وَالْأَنَفَةِ الْوَارِثُ عَنِ التَّكَاوُفِ وَالْمُنَافَسَةِ فَإِذَا كَانَ فِيهِمُ النَّبِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي يَبْعَثُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ يُذْهِبُ عَنْهُمْ مَذْمُومَاتِ الْأَخْلَاقِ وَيَأْخُذُهُمْ بِجُودِهَا وَيُؤَلِّفُ كَلِمَتَهُمْ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ تَمَّ اجْتِمَاعُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمُ التَّغَلُّبُ وَالْمَلَكُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَسْرَعُ النَّاسِ قُبُولًا لِلْحَقِّ وَالْهُدَى لِسَلَامَةِ طَبَاعِهِمْ مِنْ عَوَجِ التَّلِكَاتِ وَبَرَاءَتِهَا مِنْ ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خُلُقِ التَّوَحُّشِ الْقَرِيبِ الْمَعَانَةِ الْمُتَهَيِّءِ لِقَبُولِ الْخَيْرِ بَبْقَائِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَبُعْدِهِ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ مِنْ قَبِيحِ الْعَوَائِدِ وَسُوءِ الْمَلَائِكَاتِ فَإِنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ

### الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب أبعد الامم عن سياسة الملك

وَأَسْبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ بِدَاوَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا فِي الْفَقْرِ وَأَعْنَى عَنْ حَاجَاتِ التَّلَوُّلِ وَحُبُوبِهَا لِاجْتِمَاعِهِمُ الشُّطْفَ وَخُشُونَةَ الْعَيْشِ فَأَسْتَقْتُوا عَنْ غَيْرِهِمْ فَصَعِبَ انْتِقَادُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لِإِيْلَافِهِمْ ذَلِكَ وَلِلتَّوَحُّشِ وَرَبِّيْسُهُمْ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ غَالِيًا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا الْمُدَافَعَةُ فَكَانَ مُضْطَرًّا إِلَى إِحْسَانِ مَلَكَتِهِمْ وَتَرْكِ مُرَافَعَتِهِمْ لِكَلَّا يَخْتَلَّ عَلَيْهِ شَأْنُ عَصِيَّتِهِ فَيَكُونُ فِيهَا هَلَاكُهُ وَهَلَاكُهُمْ وَسِيَاسَةُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ السَّائِسُ وَارِعًا بِالْقَهْرِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَقِمْ سِيَاسَتُهُ وَآيْضًا فَإِنَّ مِنْ طَبَاعِهِمْ كَمَا قَدْ مَنَاهُ أَخَذَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ خَاصَّةً وَالتَّجَافِي عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنْ

الْأَحْكَامَ بَيْنَهُمْ وَدِفَاعَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فَإِذَا مَلَكَوا أُمَّةً مِنْ الْأُمَمِ جَعَلُوا  
غَايَةَ مُلْكِهِمْ الْإِتِّفَاعَ بِأَخْذِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرْكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ بَيْنَهُمْ  
وَرُبَّمَا جَعَلُوا الْعُقُوبَاتِ عَلَى الْمَفَاسِدِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَكْثِيرِ الْجَبَايَاتِ وَتَحْصِيلِ  
الْفَوَائِدِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَازِعًا وَرُبَّمَا يَكُونُ بَاعِثًا بِحَسَبِ الْأَغْرَاضِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْمَفَاسِدِ  
وَأَسْتِهَانَةٍ مَا يُعْطِي مِنْ مَالِهِ فِي جَانِبِ غَرَضِهِ فَتَشْتَوِ الْمَفَاسِدُ بِذَلِكَ وَيَقَعُ تَخْرِيبُ  
الْعُمَرَانِ فَتَبْقَى تِلْكَ الْأُمَّةُ كَأَنَّهَا فَوْضَى مُسْتَطِيلَةٌ أَيْدِي بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَلَا يَسْتَقِيمُ  
لَهَا عُمَرَانٌ وَتَتَخَرَّبُ سَرِيعًا شَأْنُ الْفَوْضَى كَمَا قَدَمْنَاهُ فَبَعْدَتْ طِبَاعُ الْعَرَبِ لِذَلِكَ كُلِّهِ  
عَنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ انْقِلَابِ طِبَاعِهِمْ وَتَبَدُّلِهَا بِصِبْغَةِ دِينِهِ  
تَمْحُو ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتَجْعَلُ الْوَازِعَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى دِفَاعِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ  
عَنْ بَعْضٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِدَوْلَتِهِمْ فِي اللَّيْلَةِ لَمَّا شَيْدَ لَهُمُ الدِّينُ أَمْرُ  
السِّيَاسَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا الْمُرَاعِيَةِ لِصَالِحِ الْعُمَرَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَتَابَعَ فِيهَا  
الْخُلَفَاءُ عَظَمَ حَيْثُ مَلِكُهُمْ وَقَوِيَ سُلْطَانُهُمْ كَانَ رُسْمٌ إِذَا رَأَى الْمُسْلِمِينَ  
يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ أَكُلْ عُمْرُ كَيْدِي يُعَلِّمُ الْكِلَابَ الْأَدَابَ ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ  
انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ عَنِ الدَّوْلَةِ أَجْيَالٌ نَبَذُوا الدِّينَ فَتَسُوا السِّيَاسَةَ وَرَجَعُوا إِلَى قَفَرِهِمْ وَجَعَلُوا  
شَأْنَ عَصِيَّتِهِمْ مَعَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ يَبْغِدُهُمْ عَنِ الْإِتِّقَادِ وَإِعْطَاءِ النَّصِيقَةِ فَتَوَحَّشُوا كَمَا  
كَانُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَسْمِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ جَنْسِ الْخُلَفَاءِ وَمِنْ جِيلِهِمْ وَلَمَّا ذَهَبَ  
أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَأَمَّحِيَ رُسْمُهَا انْقَطَعَ الْأَمْرُ جُمْلَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَجَمُ دُونَهُمْ  
وَأَقَامُوا فِي بَادِيَةِ قَفَارِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ الْمَلِكَ وَلَا سِيَاسَتَهُ بَلْ قَدْ يَجْهَلُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ  
قَدْ كَانَ لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْقَدِيمِ وَمَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ فِي الْخَلِيقَةِ مَا كَانَ  
لَأَجْيَالِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَدَوْلِ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَخَمِيرَ وَالتَّبَابِعَةَ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ثُمَّ  
دَوَّلَةُ مُضَرَ فِي الْإِسْلَامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ لَكِنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لَمَّا  
نَسُوا الدِّينَ فَرَجَعُوا إِلَى أَصْلِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَقَدْ يَحْضُلُ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ غَلَبُ  
عَلَى الدَّوْلَةِ الْمُسْتَضْعَفَةِ كَمَا فِي الشَّرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا يَكُونُ مَالُهُ وَغَايَتُهُ إِلَّا تَخْرِيبُ  
مَا يَسْتَرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُمَرَانِ كَمَا قَدَمْنَاهُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ



## الفصل التاسع والعشرون

في أن البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لأهل الأمصار

قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْبَادِيَةِ نَاقِصٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَوَاضِرِ وَالْأَمْصَارِ لِأَنَّ الْأُمُورَ  
الضَّرُورِيَّةَ فِي الْعُمَرَانِ لَيْسَ كُلُّهَا مَوْجُودَةً لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ  
أُمُورُ الذَّلْجِ وَمَوَادُّهَا مَعْدُومَةٌ وَمُعْظَمُ الصَّنَائِعِ فَلَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي الْكَلْبَةِ مِنْ نَجَارٍ  
وَحَيَاطٍ وَحَدَادٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ بِمَا يُقِيمُ لَهُمْ ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فِي الْقَلْعِ وَغَيْرِهِ وَكَذَا  
الدَّنَائِدِ وَالْدَّرَاهِمِ مَقْشُودَةٌ لَدَيْهِمْ وَإِنَّمَا بِأَيْدِيهِمْ أَعْوَاضُهَا مِنْ مُغَلِّ الرِّزَاعَةِ وَأَعْيَانِ  
الْحَيَوَانِ أَوْ فَضْلَاتِهِ الْبَانَا وَأَوْبَارًا وَأَشْعَارًا وَإِهَابًا بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ فَيَعْرِضُونَ لَهُمْ  
عَنْ الدَّنَائِدِ وَالْدَّرَاهِمِ إِلَّا أَنَّ حَاجَتَهُمْ إِلَى الْأَمْصَارِ فِي الضَّرُورِيِّ وَحَاجَةُ أَهْلِ  
الْأَمْصَارِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجِيِّ وَالْكُتَالِيِّ فَهُمْ مُخْتَاجُونَ إِلَى الْأَمْصَارِ بِطَبِيعَةِ وَجُودِهِمْ  
فَمَا دَامُوا فِي الْبَادِيَةِ وَلَمْ يَحْضُرْ لَهُمْ مُلْكٌ وَلَا اسْتِيلَاءٌ عَلَى الْأَمْصَارِ فَهُمْ مُخْتَاجُونَ إِلَى  
أَهْلِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَتَى دَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَطَالَبُوهُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ  
فِي الْبَصْرِ مَلِكٌ كَانَ خُضُوعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِعَلْبِ الْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَصْرِ مَلِكٌ  
فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رِئَاسَةٍ وَنَوْعِ اسْتِبْدَادٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَلَى الْبَاقِينَ وَإِلَّا انْتَقَضَ عُمَرَانُهُ  
وَذَلِكَ الرَّئِيسُ يَجْعَلُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِهِ إِمَّا طَوْعًا يَبْذُلُ الدَّالِ لَهُمْ ثُمَّ  
يَبْذِي لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فِي مَضَرِّهِ فَيَسْتَقِيمُ عُمَرَانُهُمْ وَإِمَّا كَرْهًا  
إِنْ تَمَتَّ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ بِالتَّغْرِيبِ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَحْضُرَ لَهُ جَانِبٌ مِنْهُمْ يُغَالِبُ بِهِ  
الْبَاقِينَ فَيَضْطَرُّ الْبَاقُونَ إِلَى طَاعَتِهِ بِمَا يَتَوَقَّعُونَ لِذَلِكَ مِنْ فَسَادِ عُمَرَانِهِمْ وَرُبَّمَا لَا يَسْعُهُمْ  
مِفَارَقَةُ تِلْكَ التَّوَاجِيهِ إِلَى جِهَاتٍ أُخْرَى لِأَنَّ كُلَّ أَلْجِهَاتٍ مَعْتُورٌ بِالْبَدْوِ الَّذِينَ غَلَبُوا  
عَلَيْهَا وَمَنْعُوهَا مِنْ غَيْرِهَا فَلَا يَجِدُ هَوْلًا مُلْجَأً إِلَّا طَاعَةَ الْبَصْرِ فَهُمْ بِالضَّرُورَةِ مَغْلُوبُونَ  
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ

## الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والحلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك  
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

### الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصية  
وذلك انا قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصية لا  
فيها من الثغرة والتدأمر واسياسة كل واحد منهم دون صاحبه . ثم ان الملك منصب  
شريف مملوؤ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذات الفسائية  
فيقع فيه التنافس غالباً وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه فتقع المنازعة  
وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع إلا بالعصية كما ذكرناه انفاً  
هذا الأمر بعيد عن أفهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لأنهم نسوا عهد تهديد الدولة  
منذ أولها وطال أمد مرابهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلاً بعد جيل فلا يعرفون ما  
فعل الله أول الدولة انما يدركون أصحاب الدولة وقد استحكمت صفتهم ووقع  
الاسليم لهم والاستغناء عن العصية في تهديد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الأمر  
من أوله وما لقي أولهم من الساعب دونه وخموصاً أهل الأندلس في نسيان هذه  
العصية وأثرها لطول الأمد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصية بما تلدش وطمهم  
وخلا من العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حنبنا ونعم الوكيل

### الفصل الثاني

في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغي عن العصية  
والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصب على النفوس الانتقاد لها إلا  
بقوة قوية من القلب للعرابة وأن الناس لم يألوا ملكها ولا أعادوه فإذا استقرت  
الرئاسة في أهل التصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحداً بعد آخر في  
أعقاب كبرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الأولية واستحكمت لأهل ذلك  
التصاب صبة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الانتقاد لهم والاسليم وقاتل الناس معهم



عَلَى أَمْرِهِمْ قِتَالَهُمْ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فَلَمْ يَحْتَاجُوا حِينَئِذٍ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى كَبِيرِ عَصَابَةٍ  
بَلْ كَانَ طَاعَتَهَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُعْلَمُ خِلَافُهُ وَلَا أَمْرٌ مَا يُوضَعُ الْكَلَامُ فِي  
الْإِمَامَةِ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ كَأَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ عُقُودِهَا وَيَكُونُ اسْتِظْهَارُهُمْ  
حِينَئِذٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ الْمَخْصُوصَةِ إِمَّا بِالْمَوَالِي وَالْمُصْطَفِينَ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي  
ظِلِّ الْعَصِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَإِمَّا بِالْعَصَائِبِ الْخَارِجِينَ عَنْ نَسَبِهَا الدَّائِلِينَ فِي وِلَايَتِهَا وَمِثْلُ  
هَذَا وَقَعَ لِنَبِيِّ الْعَبَّاسِ فَإِنَّ عَصِيَّةَ الْعَرَبِ كَانَتْ فَسَدَتْ لِعَهْدِ دَوْلَةِ الْمُعْتَصِمِ وَآبِيهِ  
الْوَالِثِ وَاسْتِظْهَارُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ وَالْثُرُكِ وَالْدَيْلَمِ وَالسُّلْجُوقِيَّةِ  
وغيرِهِمْ ثُمَّ تَغَلَّبَ الْعَجَمُ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى النَّوَاجِحِ وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ فَلَمْ تَكُنْ تَعْدُو أَعْمَالُ  
بَغْدَادَ حَتَّى زَحَفَ إِلَيْهَا الدَّيْلَمُ وَمَلَكُوهَا وَصَارَ الْخِلَائِقُ فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ  
وَمَلَكَ السُّلْجُوقِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارُوا فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَزَحَفَ آخِرُ الشَّارِ  
فَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ وَمَحَوُا رَسْمَ الدَّوْلَةِ وَكَذَا صَنَاجِدُهَا بِالْمَغْرِبِ فَسَدَتْ عَصِيَّتُهُمْ مِنْذُ الْيَمَانَةِ  
الْخَامِسَةِ أَوْ مَا قَبْلَهَا وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمُ الدَّوْلَةُ مُتَقَلِّصَةً الظِّلِّ بِالْمَنْدِيَّةِ وَبِجَايَةِ وَالْقَلْعَةِ  
وَسَائِرِ ثُغُورِ أَفْرِيقِيَّةٍ وَرُبَّمَا أَنْزَى بِتِلْكَ الثُّغُورِ مَنْ نَادَعَهُمُ الْمَلِكُ وَاعْتَصَمَ فِيهَا وَالسُّلْطَانُ  
وَالْمَلِكُ مَعَ ذَلِكَ مُسَلِّمٌ لَهُمْ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْتِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَجَاءَ الْمُوَحِّدُونَ بِقُوَّةٍ  
قُرْبِيَّةٍ مِنَ الْعَصِيَّةِ فِي الْمَصَامِدَةِ فَمَحَوُا آدَارَهُمْ وَكَذَا دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ لَمَّا فَسَدَتْ  
عَصِيَّتُهَا مِنَ الْعَرَبِ اسْتَوَى مُلُوكُ الطَّوَانِفِ عَلَى أَمْرِهَا وَأَقْدَمُوا بِخَطِّهَا وَتَنَافَسُوا بَيْنَهُمْ  
وَتَوَزَّعُوا مَمَالِكَ الدَّوْلَةِ وَأَنْزَتِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَ فِي وِلَايَتِهِ وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ وَبَلَغَهُمْ  
شَأْنُ الْعَجَمِ مَعَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فَتَلَقَّبُوا بِالْقَابِ الْمَلِكِ وَأَيُّسُوا شَارَتَهُ وَأَمِنُوا بِمَنْ يَنْقُضُ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُغَيِّرُهُ لِأَنَّ الْأَنْدَلُسَ لَيْسَ بِدَارِ عَصَائِبٍ وَلَا قَبَائِلَ كَمَا سَنَذْكُرُهُ  
وَاسْتَمَرَّ لَهُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ شَرَفٍ

بِمَا يُزْهَدُ فِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسِ      أَسْمَاءُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ

الْقَابُ تَمْلِكُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا      كَالْهَرِّ يَحْكِي أَنْتِقَاخًا صُورَةَ الْأَسَدِ

فَاسْتِظْهَرُوا عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْمَوَالِي وَالْمُصْطَفِينَ وَالطَّرَاءَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الْعُدْوَةِ  
مِنْ قَبَائِلِ الْبَرْبَرِ وَزَمَانَةِ وَغَيْرِهِمْ أَقْبَدَاءُ بِالدَّوْلَةِ فِي آخِرِ أَمْرِهَا فِي الْإِسْتِظْهَارِ بِهِمْ حِينَ  
ضَعُفَتْ عَصِيَّةُ الْعَرَبِ وَاسْتَبَدَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى الدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُمْ دَوْلٌ عَظِيمَةٌ

اَسْتَبَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَحَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْمُلْكِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ  
الَّتِي اقْتَسَمُوهَا وَلَمْ يَزَالُوا فِي سُلْطَانِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى جَازَ إِلَيْهِمُ الْبُحْرُ الْمُرَابِطُونَ أَهْلَ  
الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ مِنْ لَمْتُونَةٍ فَاسْتَبَدُّوا بِهِمْ وَأَزَالُوهُمْ عَنْ مَرَاكِبِهِمْ وَمَحَوْا آثَارَهُمْ وَلَمْ يَقْتَدِرُوا  
عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ لَدَيْهِمْ فَبِهِذِهِ الْعَصِيَّةِ يَكُونُ تَمْهِيدُ الدَّوْلَةِ وَحِمَايَتُهَا مِنْ  
أَوَّلِهَا وَقَدْ ظَنَّ الطَّرُوشِيُّ أَنَّ حَامِيَةَ الدَّوْلِ بِإِطْلَاقِ هُمْ الْجُنْدِ أَهْلُ الْعَطَاءِ الْمَفْرُوضِ  
مَعَ الْأَهْلَةِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِرَأْسِ الْمُلُوكِ وَكَلَامُهُ لَا يَتَنَاوَلُ تَأْسِيسَ  
الدَّوْلِ الْعَامَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَإِنَّمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِالدَّوْلِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ التَّمْهِيدِ وَاسْتِثْقَارِ  
الْمُلْكِ فِي النَّصَابِ وَاسْتِحْكَامِ الصِّبْغَةِ لِأَهْلِهِ فَأَنْزَجُلُ إِنَّمَا أَذْرَكَ الدَّوْلَةَ عِنْدَ هَرَمِهَا  
وَخَلَقَ جَدَّتَهَا وَرَجُوعَهَا إِلَى الْإِسْطِظْهَارِ بِالْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ ثُمَّ إِلَى الْمُسْتَعْدَمِينَ مِنْ  
وَرَائِهِمْ بِالْأَجْرِ عَلَى الْمُدَافَعَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَذْرَكَ دَوْلَ الطَّوَانِفِ وَذَلِكَ عِنْدَ اخْتِلَالِ بَنِي  
أُمَيَّةٍ وَأَنْتَرَاضِ عَصِيَّتِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَاسْتِبْدَادِ كُلِّ أَمِيرٍ بِقَطْرِهِ وَكَانَ فِي إِيَالَةِ الْمُسْتَعِينَ  
أَبْنِ هُودَ وَأَبْنِ الْمُظَنَّرِ أَهْلُ سِرْقَسْطَةَ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَصِيَّةِ شَيْءٌ لِاسْتِيلَاءِ  
الْأَرْبِ عَلَى الْعَرَبِ مِنْذُ ثَلَاثِينَ مِنَ السِّنِينَ وَهَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَرَ إِلَّا سُلْطَانًا مُسْتَبْدًا بِالْمُلْكِ  
عَنْ شَأْنِهِ قَدْ اسْتَحْكَمَتْ لَهُ صِبْغَةُ الْإِسْتِبْدَادِ مِنْذُ عَهْدِ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَّةِ الْعَصِيَّةِ فَهُوَ  
لِذَلِكَ لَا يُنَازِعُ فِيهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَجْرَاءِ مِنَ الْمُرْتَقَةِ فَاطْلَقَ الطَّرُوشِيُّ الْقَوْلَ  
فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَتَّطِنْ لِكَيْفِيَّةِ الْأَمْرِ مِنْذُ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ  
فَتَقَطَّنَ أَنْتَ لَهُ وَأَفْهَمَ سِرَّ اللَّهِ فِيهِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثالث

في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصية  
وذلك أنه إذا كان لعصية غلبٌ كَبِيرٌ عَلَى الْأَمْرِ وَالْأَجْيَالِ وَفِي نُفُوسِ الْقَائِمِينَ  
بَأَمْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَاصِبَةِ إِذْعَانٌ لَهُمْ وَأَنْتِيَادٌ فَإِذَا تَرَعَّ إِلَيْهِمْ هَذَا الْخَارِجُ وَأَنْتَبَذَ عَنْ  
مَقَرِّ مُلْكِهِ وَمَنْبَتِ عِزِّهِ اسْتَشَارُوا عَلَيْهِ وَقَامُوا بِأَمْرِهِ وَظَاهَرُوهُ عَلَى شَأْنِهِ وَغَنُوا بِتَمْهِيدِ  
دَوْلَتِهِ يَرْجُونَ اسْتِثْقَارَهُ فِي نَصَائِهِ وَتَنَاوُلَهُ الْأَمْرَ مِنْ يَدِ أَعْيَاصِهِ وَجَزَاءَهُ لَهُمْ عَلَى مُظَاهَرَتِهِ  
بِأَصْطِقَانِهِمْ لِتَبِ الْمُلْكِ وَخِطَطِهِ مِنْ وَزَارَةٍ أَوْ قِيَادَةٍ أَوْ وِلَايَةٍ تُغَرِّ وَلَا يَطْمَعُونَ فِي  
مَشَارَكَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ تَسْلِيًا لِعَصِيَّتِهِ وَأَنْتِيَادًا لِمَا اسْتَحْكَمَ لَهُ وَلِقَوْمِهِ مِنْ



صَبَغَةَ الْغَلَبِ فِي الْعَالَمِ وَعَتِيدَةً إِنِّيئَةً اسْتَقَرَّتْ فِي الْإِذْعَانِ لَهُمْ فَلَوْ رَأَوْهَا مَعَهُ أَوْ  
دُونَهُ لَزَلَزَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلْأَدَارِسَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْعَبِيدِيِّينَ  
بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَمِصْرَ لَمَّا انْتَبَذَ الطَّالِبِيُّونَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْقَاصِيَةِ وَابْتَعَدُوا عَنْ مَقَرِ  
الْخِلَافَةِ وَسَمَوْا إِلَى طَلَبِهَا مِنْ أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْكَمَتِ الصَّبْغَةُ لِبَنِي عَبْدِ  
مَنَافٍ لِبَنِي أُمَيَّةٍ أَوَّلًا ثُمَّ لِبَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِمْ فَخَرَجُوا بِالْقَاصِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَدَعَوْا  
لِأَنْفُسِهِمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمُ الْبَرَايِرَةُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَأَوْرُبَةُ وَمَغِيلَةُ لِلْأَدَارِسَةِ وَكُتَّامَةُ  
وَصَنْهَاجَةُ وَهَوَّارَةُ لِلْعَبِيدِيِّينَ فَسَيِّدُوا دَوْلَتَهُمْ وَمَهَّدُوا بِعَصَائِبِهِمْ أَمْرَهُمْ وَاقْتَطَعُوا مِنْ  
مَمَالِكِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمَغْرِبَ كُلَّهُ ثُمَّ أَفْرِيقِيَّةً وَلَمْ يَزَلْ ظِلُّ الدَّوْلَةِ يَتَقَلَّصُ وَظِلُّ الْعَبِيدِيِّينَ  
يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ مَلَكَوا مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَقَاسَمُوهُمْ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ شَقَّ  
الْأَبْلَمَةَ وَهَوَّاءَ الْبَرَايِرَةَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ لِلْعَبِيدِيِّينَ أَمْرَهُمْ  
مَذْعُونٌ لِمَلِكِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي الرُّتَبَةِ عِنْدَهُمْ خَاصَّةً تَسْلِيًا لِمَا حَصَلَ مِنْ  
صَبْغَةِ الْمُلِكِ لِبَنِي هَاشِمٍ وَلِمَّا اسْتَحْكَمَ مِنَ الْغَلَبِ لِقُرَيْشٍ وَمِصْرَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ فَلَمْ  
يَزَلِ الْمُلِكُ فِي أَعْقَابِهِمْ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ بِأَسْرِهِا وَأَلَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَيَّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين

اما من نبوة او دعوة حق

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالتَّغْلِبِ وَالتَّغْلِبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَاتِّفَاقِ  
الْأَهْوَاءِ عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ وَتَأْلِيْفِهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعُونَةِ مَنْ لَّهُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ  
قَالَ تَعَالَى لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَسِرُّهُ أَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا  
تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفَشَا الْخِلَافُ وَإِذَا انْصَرَفَتْ  
إِلَى الْحَقِّ وَرَفَضَتْ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ اتَّحَدَتْ وَجِهَتُهَا فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ  
الْخِلَافُ وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُذُ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِذَلِكَ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ كَمَا  
نَسَبْنَا لَكَ بَعْدُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تريد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية

التي كانت لها من عددها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّ الصِّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ تَذْهَبُ بِالتَّافُسِ وَالتَّحَاسُدِ الَّذِي فِي أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَتُفَرِّدُ الْوُجْهَةَ إِلَى الْحَقِّ فَإِذَا حَصَلَ لَهُمْ الْإِسْتِبْصَارُ فِي أَمْرِهِمْ لَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ لِأَنَّ الْوُجْهَةَ وَاحِدَةً وَالْمَطَاوِبُ مُتَسَاوٍ عَنْدهُمْ وَهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ عَلَيْهِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الَّتِي هُمْ طَالِبُوهَا وَإِنْ كَانُوا أَضْعَافَهُمْ فَأَغْرَاضَهُمْ مُتَبَايِنَةٌ بِالْبَاطِلِ وَتَحَاضُّهُمْ لِتَقِيَّةِ الْمَوْتِ حَاصِلٌ فَلَا يُقَارِبُهُمْ وَنَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ بَلْ يَغْلِبُونَ عَلَيْهِمْ وَيُعَاجِلُهُمُ الْفَنَاءُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ التَّرَفِ وَالذَّلِّ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلْعَرَبِ صَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي الْفُتُوحَاتِ فَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَادِسِيَّةِ وَالْيَرْمُوكِ بِضِعْفَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا فِي كُلِّ مُعْسَكٍ وَجُنُودُ فَارِسَ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا بِالْقَادِسِيَّةِ وَجُنُودُ هِرَقْلٍ عَلَى مَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ فَلَمْ يَقِفْ لِلْعَرَبِ أَحَدٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَهَزَمُوهُمْ وَغَلِبُوهُمْ عَلَى مَا بِأَيْدِيهِمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي دَوْلَةِ لِمُتُونَةَ وَدَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ فَقَدْ كَانَ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْقَبَائِلِ كَثِيرٌ يَمُنُّ بِقَارِبِهِمْ فِي الْعَدَدِ وَالْعَصِيَّةِ أَوْ يَشْفُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّ الْإِجْتِمَاعَ الدِّينِيَّ ضَاعَفَ قُوَّةَ عَصِيَّتِهِمْ بِالْإِسْتِبْصَارِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ إِذَا حَالَتْ صِبْغَةُ الدِّينِ وَفَسَدَتْ كَيْفَ يَنْتَشِرُ الْأَمْرُ وَيَصِيدُ الْقَلْبُ عَلَى نِسْبَةِ الْعَصِيَّةِ وَحَدَّهَا دُونَ زِيَادَةِ الدِّينِ فَتَغْلِبُ الدَّوْلَةُ مَنْ كَانَ تَحْتَ يَدِهَا مِنَ الْعَصَائِبِ الْمُكَافِئَةِ لَهَا أَوْ الزَّائِدَةِ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا الَّذِينَ غَلِبَتْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الدِّينِ لِقُوَّتِهَا وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَصِيَّةً مِنْهَا وَأَشَدَّ بِدَاوَةً وَاعْتَبِرَ هَذَا فِي الْمُوَحِّدِينَ مَعَ زَنَاتَةِ لَمَّا كَانَتْ زَنَاتَةُ أَبَدَى مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَأَشَدَّ تَوَحُّشًا وَكَانَ لِلْمَصَامِدَةِ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ بِاتِّبَاعِ الْمَهْدِيِّ فَلَابَسُوا صِبْغَتَهَا وَتَضَاعَفَتْ قُوَّةُ عَصِيَّتِهِمْ بِهَا فَغَلِبُوا عَلَى زَنَاتَةِ أَوَّلًا وَاسْتَبَعَوْهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ حَيْثُ الْعَصِيَّةُ وَالْبِدَاوَةُ أَشَدَّ مِنْهُمْ فَلَمَّا خَلَوْا مِنْ تِلْكَ الصِّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِمْ زَنَاتَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغَلِبُوهُمْ عَلَى الْأَمْرِ وَازْتَرَعُوهُ مِنْهُمْ وَلَقَدْ غَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ



## الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بحرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تحرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع التلحين في التصوف ثار بالأندلس داعياً إلى الحق وسمي أصحابه بالمرايطين قيل دعوة المهدي فاستتب له الأمر قليلاً لشغل المشونة بما دهمهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك عصابات ولا قبائل يدفعونه عن شأنه فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعتهم من معقله بخصن أركش وأمكتهم من ثغره وكان أول داعية لهم بالأندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرايطين ومن هذا الباب أحوال الثوار القائين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيراً من المنتهين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف ورجاء في الثواب عليه من الله فيكثروا أتباعهم والمتكثرون بهم من الفوضى والدماء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهلك وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسانه فإن لم يستطع فليقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يوحزها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والمصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققاً قصر به الأنفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما إن كان من المتكثرين بذلك في

طلب الرئاسة فأجدر أن تروقه العوائد وتنتزع به المهالك لأنه أمر الله لا يتم إلا  
 برضاه وإعانتة والإخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب  
 فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه الزعة في اليلة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر  
 وقتل الأمين وأبطل المأمون بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد إعلي بن موسى  
 الرضى من آل الحسين فكشف بنو العباس عن وجه التكبر عليه وتداعوا للتيام  
 وخلع طاعة المأمون والاستبدال منه ويبيع إبراهيم بن المهدي فوقع الهرج  
 ببغداد وانطلقت أيدي الزعة بها من الشطار والحريية على أهل العافية والصون  
 وقطعوا السبل وأمتلات أيديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الأسواق واستعدى  
 أهلها الحكم فلم يقدوهم فتوافر أهل الدين والصلاح على منع الفساق وكف  
 عادييهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف  
 والنهي عن المنكر فأجابته خلق وقاتل أهل الزعارة فغلّبهم وأطلق يده فيهم  
 بالضرب والتكيل ثم قام من بعده رجل آخر من سواد أهل بغداد يعرف بسهل  
 بن سلامة الأنصاري ويكنى أبا حاتم وعلق مصحفاً في عنقه ودعا الناس إلى الأمر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم  
 خاتبة الناس كافة من بين شريف ووضع من بني هاشم فمن دونهم وتزل قصر  
 طاهر وأخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع الحفارة  
 لأولئك الشطار وقال له خالد الدريوس أنا لا أعيب على السلطان فقال له سهل لكنني  
 أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان وذلك سنة إحدى ومائتين  
 وجهز له إبراهيم بن المهدي العساكر فغلبه وأسرته وأنحل أمره سريعاً وذهب ونجا  
 بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بإقامة الحق  
 ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من العصية ولا يشعرون بعبء أمرهم ومال  
 أحوالهم والذي يحتاج إليه في أمر هؤلاء إما المداواة إن كانوا من أهل الجنون وإما  
 التكيل بالقتل أو الضرب إن أحدثوا هرجاً وإما إذاعة السخرية منهم وعدّهم  
 من جملة الصّاعين وقد ينسب بعضهم إلى الفاطمي المنتظر إما بأنه هو أو بأنه داع  
 له وليس مع ذلك على علم من أمر الفاطمي ولا ما هو وأكثر المتحليين ليشل هذا



تَجِدُهُمْ مُوسِرِينَ أَوْ مَجَانِينَ أَوْ مُلَابِسِينَ يَطْلُبُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ رِثَاسَةً أَمْتَلَّتْ  
بِهَا جَوَانِحُهُمْ وَعَجَزُوا عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا الْعَادِيَةِ فَيَحْسِبُونَ أَنَّ هَذَا  
مِنْ الْأَسْبَابِ الْبَالِغَةِ بِهِمْ إِلَى مَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُهُمْ فِيهِ مِنْ  
الْهَلَكَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْقَتْلُ بِمَا يُخْدِثُونَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَتَسْوَةِ عَاقِبَةِ مَكْرِهِمْ وَقَدْ كَانَ  
لأَوَّلِ هَذِهِ الْبَائَةِ خَرَجَ بِالسُّوسِ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ يُدْعَى التُّوبَذَرِيُّ عَمَدًا إِلَى  
مَسْجِدِ مَاسَةِ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ هُنَاكَ وَزَعَمَ أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُتَنَظِّرُ تَلِيْسًا عَلَى الْعَامَةِ هُنَاكَ  
بِمَا مَلَأَ قُلُوبَهُمْ مِنْ الْخُلْدَيْنِ بِأَنْتِظَارِهِ هُنَاكَ وَأَنَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ يَكُونُ أَصْلُ دَعْوَتِهِ  
فَتَهَافَّتَ عَلَيْهِ طَوَائِفُ مِنْ عَامَةِ الْبَرِّ تَهَافَّتَ الْفَرَاشُ ثُمَّ خَشِيَ رُؤْسَهُمْ اتَّسَاعَ  
نَطَاقِ الْفِتْنَةِ فَدَسَّ إِلَيْهِ كَيْدُ الْمَصَامِدَةِ يَوْمَئِذٍ عَمْرُ السَّكْسِيوِيِّ مَنْ قَتَلَهُ فِي  
فَرَاشِهِ وَكَذَلِكَ خَرَجَ فِي غَمَارِهِ أَيْضًا لِأَوَّلِ هَذِهِ الْبَائَةِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ  
وَأَدْعَى مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَاتَّبَعَ نَعِيقَهُ الْأَرْدَازُونَ مِنْ سُفَهَاءِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَأَغْمَارِهِمْ  
وَزَحَفَ إِلَى بَادِسَ مِنْ أَمْصَارِهِمْ وَدَخَلَهَا غُرَّةً ثُمَّ قَبِلَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ ظُهُورِ  
دَعْوَتِهِ وَمَضَى فِي الْهَالِكِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَالْفَاطِطُ فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ  
عَنِ اعْتِبَارِ الْعَصِيَّةِ فِي مِثْلِهَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ التَّلِيْسُ فَأُخْرَى أَنْ لَا يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ وَأَنْ  
يُبْوءَ بِبَائِهِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الدَّالِّينَ وَلَقَدْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَارَبَّ غَيْرُهُ  
وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ

### الفصل السابع

في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تريد عليها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِصَابَةَ الدَّوْلَةِ وَقَوْمَهَا الْقَائِمِينَ بِهَا الْمُتَمَهِّدِينَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ  
تَوْزِيْعِهِمْ حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالْثُغُورِ الَّتِي تَصِيرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوَلُونَ عَلَيْهَا لِجَمَاعِيَّتِهَا مِنْ  
الْإِدْوِ وَإِمْطَاءِ أَحْكَامِ الدَّوْلَةِ فِيهَا مِنْ جِبَايَةِ وَرَدْعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِذَا تَوَزَّعَتِ الْعِصَابُ  
كُلُّهَا عَلَى الثُّغُورِ وَالْمَمَالِكِ فَلَا بُدَّ مِنْ نِفَادِ عَدَدِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَمَالِكُ حَيْثُ إِلَى  
حَدٍّ يَكُونُ تَفَرُّقًا لِلدَّوْلَةِ وَتَخْمًا لِطَنْهَا وَنِطَاقًا لِمَرَكَزِ مُلْكِيَّهَا فَإِنْ تَكَفَّلَتِ الدَّوْلَةُ بَعْدَ  
ذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِهَا بَتَّى دُونَ حَاطِيَةٍ وَكَانَ مَوْضِعًا لِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَالْمُبَازِيرِ وَيَعُوذُ وَبِالْ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّجَاسُرِ وَخَوْقِ سِيَاحِ الْهَيْبَةِ

وَمَا كَانَتْ الْعَصَابَةُ مَوْفُورَةً وَلَمْ يَنْفَدْ عَدَدُهَا فِي تَوَزِيْعِ الْخَصَصِ عَلَى الْغُورِ وَالنَّوَاحِي  
بِقِي فِي الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ عَلَى تَنَاوُلِ مَا وَرَاءَ الْغَايَةِ حَتَّى يَنْفَسِحَ نِطَاقُهَا إِلَى غَايَتِهِ وَالْعِلَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ  
فِي ذَلِكَ هِيَ قُوَّةُ الْعَصِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ وَكُلُّ قُوَّةٍ يَصْدُرُ عَنْهَا فِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ  
فَشَأْنُهَا ذَلِكَ فِي فِعَالِهَا وَالدَّوْلَةُ فِي مَرْكَزِهَا أَشَدُّ ثِمًا يَكُونُ فِي الطَّرَفِ وَالنِّطَاقِ وَإِذَا  
انْتَهَتْ إِلَى النِّطَاقِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ عَجِزَتْ وَأَقْصَرَتْ عَمَّا وَرَاءَهُ شَأْنُ الْأَشْعَةِ وَالْأَنْوَارِ  
إِذَا انْبَعَثَتْ مِنَ الْمَرَكَزِ وَالِدَوَائِرِ الْمُنْفَسِحَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ التَّقَرُّ عَلَيْهِ ثُمَّ إِذَا  
أَدْرَكَهَا الْهَرَمُ وَالضُّعْفُ فَإِنَّمَا تَأْخُذُ فِي التَّنَاقُصِ مِنْ جِهَةِ الْأَطْرَافِ وَلَا يَزَالُ الْمَرْكَزُ  
مَحْظُوظًا إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِ الْأَمْرِ جُمْلَةً فَيُحْيِيهِ يَكُونُ انْقِرَاضُ الْمَرْكَزِ  
وَإِذَا غُلِبَ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنْ مَرْكَزِهَا فَلَا يَنْفَعُهَا بَقَاءُ الْأَطْرَافِ وَالنِّطَاقِ بَلْ تَضْمَحِلُ لَوْقَتِهَا  
فَإِنَّ الْمَرْكَزَ كَالْقَلْبِ الَّذِي تَنْبِثُ مِنْهُ الرُّوحُ فَإِذَا غُلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَمُلِكَ انْهَزَمَ جَمِيعُ  
الْأَطْرَافِ وَأَنْظُرْ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ كَانَ مَرْكَزُهَا الْمَدَائِنُ فَلَمَّا نَلَبَّ الْمُسْلِمُونَ  
عَلَى الْمَدَائِنِ انْقَرَضَ أَمْرُ فَارِسَ أَجْمَعٍ وَلَمْ يَنْفَعْ يَوْذُجَرْدَ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنْ أَطْرَافِ  
مَمَالِكِهِ وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ الدَّوْلَةُ الرُّومِيَّةُ بِالشَّامِ لَمَّا كَانَ مَرْكَزُهَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَنَلَبَّهُمُ  
الْمُسْلِمُونَ بِالشَّامِ تَحَدَّوْا إِلَى مَرْكَزِهِمْ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يَضُرَّهُمْ انْتِزَاعُ الشَّامِ مِنْ  
أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا بِهَا إِلَى أَنْ تَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهَا وَأَنْظُرْ أَيْضًا شَأْنُ  
الْعَرَبِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لَمَّا كَانَتْ عَصَائِبُهُمْ مَوْفُورَةً كَيْفَ غَلَبُوا عَلَى مَا جَاوَرَهُمْ مِنْ  
الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ لِأَسْرَعِ وَقْتٍ ثُمَّ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ السِّنْدِ وَالْحَبَشَةِ  
وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا تَفَرَّقُوا حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالْغُورِ وَتَزَلُّوْهَا  
حَامِيَةً وَنَفَدَ عَدَدُهُمْ فِي ذَلِكَ التَّوَزِيْعَاتِ أَقْصَرُوا عَنْ الْقُوَّاتِ بَعْدُ وَأَنْتَهَى أَمْرُ الْإِسْلَامِ  
وَلَمْ يَتَجَاوَزْ تِلْكَ الْخُدُودَ وَمِنْهَا تَرَاجَعَتِ الدَّوْلَةُ حَتَّى تَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهَا وَكَذَا كَانَ  
حَالُ الدُّوَلِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ وَعِنْدَ  
نِفَادِ عَدَدِهِمْ بِالتَّوَزِيْعِ يَنْقَطِعُ لَهُمُ الْبَتُّ وَالْأَسْتِيلَاءُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ



## الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القاعين بها  
في التلة والكثرة

وَأَسَبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّةِ هُمُ الْخَامِيَّةُ الَّذِينَ  
يَتَرَلُونَ بِمَمَالِكِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا وَيَنْتَقِسُونَ عَلَيْهَا فَمَا كَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَامَّةِ قَبْلِهَا  
وَأَهْلُ عَصَابَتِهَا أَكْثَرُ كَانَتْ أَقْوَى وَأَكْثَرُ مَمَالِكِ وَأَوْطَانًا وَكَانَ مُلْكُهَا أَوْسَعَ لِذَلِكَ  
وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمَّا أَلْفَ اللَّهُ كَلِمَةَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَدَدُ  
الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرَ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً أَلْفٍ وَعَشْرَةَ  
أَلْفٍ مِنْ مُضَرَ وَقُحْطَانَ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَرَاجِلَ إِلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْوَفَاةِ  
فَلَمَّا تَوَجَّهُوا لِطَلَبِ مَا فِي أَيْدِي الْأُمَمِ مِنَ الْمُلْكِ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ حِمَى وَلَا وَزْرٌ فَاسْتَسْجَحَ  
حَتَّى فَارِسَ وَالرُّومَ أَهْلَ الدَّوْلَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ لِعَهْدِهِمْ وَالتُّرْكَ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْأَفْرَاجَةِ وَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ وَالْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَخَطُّوا مِنْ الْحِجَازِ إِلَى الْبُحْرَيْنِ الْأَقْصَى  
وَمِنْ الْيَمَنِ إِلَى التُّرْكِ بِأَقْصَى الشَّامِ وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ ثُمَّ أَنْظَرَ بَعْدَ ذَلِكَ  
دَوْلَةً صَنْهَاجَةَ وَالْمُوحِدِينَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ قَبْلَهُمْ لَمَّا كَانَ كِتَامَةُ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ  
أَكْثَرَ مِنْ صَنْهَاجَةَ وَمِنْ التَّصَامِدَةِ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَعْظَمَ فَمَلَكُوا أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ  
وَالشَّامَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازَ ثُمَّ أَنْظَرَ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْلَةً زَنَاتَةَ لَمَّا كَانَ عَدَدُهُمْ أَقَلَّ مِنَ التَّصَامِدَةِ  
قَصَرَ مَلِكُهُمْ عَنْ مَالِكِ الْمُوحِدِينَ لِقُصُورِ عَدِيدِهِمْ عَنْ عَدَدِ التَّصَامِدَةِ مُنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ  
ثُمَّ أَعْتَبِرْ بَعْدَ ذَلِكَ حَالَ الدَّوْلَتَيْنِ لِهَذَا الْعَهْدِ لِرَوَانَةِ بَنِي مُرَيْنَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانَتْ  
دَوْلَتُهُمْ أَقْوَى مِنْهَا وَأَوْسَعَ نِطَاقًا وَكَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الْغَلْبُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يُقَالُ إِنْ  
عَدَدَ بَنِي مُرَيْنَ لِأَوَّلِ مُلْكِهِمْ كَانَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَإِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانُوا أَلْفًا إِلَّا  
أَنَّ الدَّوْلَةَ بِالرِّفَةِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ كَثُرَتْ مِنْ أَعْدَادِهِمْ وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ فِي أَعْدَادِ  
الْمُتَعَلِّينَ لِأَوَّلِ الْمُلْكِ يَكُونُ اتِّسَاعُ الدَّوْلَةِ وَقُوَّتُهَا وَأَمَّا طُولُ أَمْدِهَا أَيْضًا فَعَلَى تِلْكَ  
النِّسْبَةِ لِأَنَّ عُمرَ السَّلاطِينِ مِنْ قُوَّةِ مِزَاجِهِ وَمِزَاجِ الدَّوْلِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ  
الْعَصِيَّةُ قُوَّةً كَانَ الْمِزَاجُ تَابِعًا لَهَا وَتَانَ أَمْدُ الْعُمَرِ طَوِيلًا وَالْعَصِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِكَثْرَةِ  
الْعَدَدِ وَوُقُورِهِ كَمَا قُلْنَا وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النُّقْصَ إِنَّمَا يَبْدُو فِي الدَّوْلَةِ مِنْ

الْأَطْرَافِ فَإِذَا كَانَتْ مَمَالِكُهَا كَثِيرَةً كَانَتْ أَطْرَافُهَا بَعِيدَةً عَنْ مَرْكَزِهَا وَكَثِيرَةً وَكُلُّ  
 نَقْصٍ يَقَعُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَمَنٍ فَكَثُرُ أَزْمَانُ النِّقْصِ لِكثَرَةِ الْمَمَالِكِ وَاخْتِصَاصِ  
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِنَقْصٍ وَزَمَانٍ فَيَكُونُ أَمْدُهَا أَطْوَلَ الدُّوَلِ لَا بَنُو الْعَبَّاسِ أَهْلُ الْمَرْكَزِ  
 وَلَا بَنُو أُمَيَّةِ الْمُسْتَبْدُونَ بِالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَنْقُصْ أَمْرُ جَمِيعِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِائَةِ مِنْ  
 الْهَجْرَةِ وَدَوْلَةُ الْعَبَّاسِيِّينَ كَانَ أَمْدُهَا قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدَوْلَةُ صُنْهَاجَةَ  
 دُونَهُمْ مِنْ لَدُنْ تَقْلِيدِ مُعِزِّ الدَّوَلَةِ أَمْرَ أَفْرِيقَةَ لِيَلْكِينِ بْنِ زَيْرِي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ  
 وَثَلَاثِينَ إِلَى حِينَ اسْتِيْلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى الْقَلْعَةِ وَبِجَايَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ  
 وَدَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ ثَنَاهِزُ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَهَكَذَا نَسَبُ الدُّوَلِ فِي  
 أَعْمَارِهَا عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

### الفصل التاسع

فِي أَنَّ الْأَوْطَانَ الْكَثِيرَةَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ قُلُوبُهَا تَسْتَحْكِمُ فِيهَا دَوْلَةً  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافُ الْأَرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَأَنَّ وَرَاءَ كُلِّ رَأْيٍ مِنْهَا وَهْوَى  
 عَصِيَّةٌ تُنَافِعُ دُونَهَا فَيَكْثُرُ الْإِتِّقَاضُ عَلَى الدَّوَلَةِ وَالْخُرُوجُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَإِنْ  
 كَانَتْ ذَاتَ عَصِيَّةٍ لِأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ يَمُنُّ تَحْتَ يَدِهَا تَظُنُّ فِي نَفْسِهَا مَنَعَةً وَقُوَّةً وَتَنْظُرُ  
 مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَفْرِيقَةَ وَالْمَغْرِبِ مُنْذُ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ سَاكِنَ هَذِهِ  
 الْأَوْطَانِ مِنَ الْبَرَبْرِ أَهْلُ قَبَائِلٍ وَعَصِيَّاتٍ فَلَمْ يُغْنِ فِيهِمْ الْغَلْبُ الْأَوَّلُ الَّذِي كَانَ لِأَبْنِ  
 أَبِي سَرْحٍ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْإِفْرَنْجَةِ شَيْئًا وَعَاوَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ الثَّوْرَةَ وَالرَّدَّةَ مَرَّةً بَعْدَ  
 أُخْرَى وَعَظُمَ الْإِثْعَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الدِّينُ عِنْدَهُمْ عَادُوا إِلَى الثَّوْرَةِ  
 وَالْخُرُوجِ وَالْأَخْذِ بِدِينِ الْخَوَارِجِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ ارْتَدَّتِ الْبَرَابِرَةُ  
 بِالْمَغْرِبِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَلَمْ تَسْتَقِرَّ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ فِيهِمْ إِلَّا لِعَهْدِ وَلَايَةِ مُوسَى  
 ابْنِ نُصَيْرٍ قَبْلَ بَعْدِهِ وَهَذَا مَعْنَى مَا يُنْقَلُ عَنْ عُمَرَ أَنَّ أَفْرِيقَةَ مُزَقَّةٌ لِقُأُوبِ أَهْلِهَا إِشَارَةً  
 إِلَى مَا فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الْعَصَائِبِ وَالْقَبَائِلِ الْخَامِلَةِ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ الْإِذْعَانِ وَالْإِتِّقَادِ وَلَمْ  
 يَكُنِ الْعِرَاقُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ يَتِلْكَ الصِّقَّةَ وَلَا الشَّامُ إِنَّمَا كَانَتْ حَامِيَّتُهَا مِنْ فَارِسَ  
 وَالرُّومِ وَالْكَافَّةِ ذَهَاءُ أَهْلِ مَدُنٍ وَأَمْصَارٍ فَلَمَّا غَابَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَأَنْتَدَعَوْهُ  
 مِنْ أَيْدِيهِمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا ثَمَانِعٌ وَلَا مُشَاقٌّ وَالْبَرَبْرِ قَبَائِلُهُمْ بِالْمَغْرِبِ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّ



تَحْصِي وَكُلُّهُمْ بَادِيَّةٌ وَأَهْلُ عَصَائِبٍ وَعَشَائِرُ وَكُلُّنَا هَلَكْتَ قَبِيلَةٌ عَادَتْ الْأُخْرَى  
مَكَانَهَا وَإِلَى دِينِهَا مِنْ الْخِلَافِ وَالرَّدَّةِ فَطَالَ أَمْرُ الْعَرَبِ فِي تَهْيِيدِ الدَّوْلَةِ بِوَطْنِ  
أَفْرِيتِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِالشَّامِ لِعَهْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ فِيهِ مِنْ قَبَائِلِ  
فَلَسْطِينَ وَكَنْعَانَ وَبَنِي عِيصُو وَبَنِي مَدْيَنَ وَبَنِي لُوطٍ وَالرُّومَ وَالْيُونَانَ وَالْعَمَلَقَةَ وَأَكْرِيكَشَ  
وَالنَّبَطَ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْتَّوَصِلَ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً وَتَشْرَعًا فِي الْعَصِيَّةِ فَصَعِبَ عَلَى  
بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهْيِيدُ دَوْلَتِهِمْ وَرُسُوحُ أَمْرِهِمْ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى  
وَسَرَى ذَلِكَ الْخِلَافُ إِلَيْهِمْ فَاتَّخَفُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُلْكٌ  
مَوْطِدٌ سَائِرَ أَيَّامِهِمْ إِلَى أَنْ غَلَبَهُمُ الْفَرَسُ ثُمَّ يُونَانُ ثُمَّ الرُّومُ آخِرَ أَمْرِهِمْ عِنْدَ الْجَلَاءِ  
وَلَقَدْ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَيَعَكْسُ هَذَا أَيْضًا الْأَوْطَانُ الْحَالِيَةُ مِنَ الْعَصِيَّاتِ يَسْهُلُ تَهْيِيدُ  
الدَّوْلَةِ فِيهَا وَيَكُونُ سُلْطَانُهَا وَازِعًا لِقَلَّةِ الْخُرُوجِ وَالْإِتِّقَاضِ وَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ فِيهَا إِلَى  
كَثِيرٍ مِنَ الْعَصِيَّةِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ إِذْ هِيَ مُخْلُوفَةٌ مِنَ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَصِيَّاتِ كَانَ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ مَعْدِنًا لَهُمْ كَمَا قُلْنَا فَمَلِكٌ مِصْرَ فِي غَايَةِ الدَّعَةِ وَالرُّسُوحِ  
لِقَلَّةِ الْخَوَارِجِ وَأَهْلُ الْعَصَائِبِ إِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ وَدَوْلَتُهَا قَائِمَةٌ بِمُلُوكِ التُّرُكِ  
وَعَصَائِبِهِمْ يَغْلِبُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَنْتَقِلُ الْأَمْرُ فِيهِمْ مِنْ مَنَابِتٍ إِلَى مَنَابِتٍ  
وَالْخِلَافَةُ مُسْتَأَنَةً لِلْعَبَّاسِيِّ مِنْ أَعْقَابِ الْخُلَفَاءِ بِبَغْدَادَ وَكَذَا شَأْنُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنْ  
عَصِيَّةُ ابْنِ الْأَحْمَرِ سُلْطَانُهَا لَمْ تَكُنْ لِأَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ بِقُوَّةٍ وَلَا كَانَتْ كِرَاتٍ إِنَّمَا يَكُونُ  
أَهْلُ بَنَاتٍ مِنْ بُيُوتِ الْعَرَبِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ الْأُمْرِيَّةِ يَقْوَا مِنْ ذَلِكَ الْقِلَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ  
الْأَنْدَلُسِ لَمَّا أَنْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْهُمْ وَمَلِكُهُمُ الْبَرْبَرُ مِنْ لِمَثُونَةِ وَالْمُوحِدِينَ  
سَيَّمُوا مَلِكَتَهُمْ وَتَثَلَّتْ وَطَائِفُهُمْ عَلَيْهِمْ فَأَشْرَبَتْ الْقَاوِبُ بَغْضَاءَهُمْ وَأَمَكْنَ الْمُوَحِّدُونَ  
وَالسَّادَةُ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ كَثِيرًا مِنَ الْخُصُونِ لِطَاغِيَةِ فِي سَبِيلِ الْإِسْطِظْهَارِ بِهِ عَلَى شَأْنِهِمْ  
مَنْ تَمَلَّكَ الْخَضِرَةَ مَرَاكِشَ فَاجْتَمَعَ مَنْ كَانَ بَيْتِي بِهَا مِنْ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مُعَادِنِ  
مِنْ بُيُوتِ الْعَرَبِ تَجَافَى بِهِمُ الْمَنَابِتُ عَنْ الْخَضِرَةِ وَالْأَمْصَارِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَرَسَّخُوا فِي  
الْعَصِيَّةِ مِثْلَ ابْنِ هُوْدٍ وَابْنِ الْأَحْمَرِ وَابْنِ مَرْدِيْنِشَ وَأَمْثَالِهِمْ فَقَامَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ  
وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالشَّرْقِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ  
فَنَبَذُوا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَأَخْرَجُوهُمْ وَأَسْتَقَلَّ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ سَمَّا ابْنَ

الْأَحْمَرِ لِلْأَمْرِ وَخَالَفَ ابْنُ هُودٍ فِي دَعْوَتِهِ فَدَنَا هَوْلَاءُ لِابْنِ أَبِي حَفْصٍ صَاحِبِ أَفْرِيقَةَ  
 مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَقَامَ بِالْأَمْرِ وَتَنَاوَلَهُ بِعَصَابَةِ قَرِيبَةٍ مِنْ قَرَابَتِهِ كَانُوا يُسَمِّرُونَ الرُّؤْسَاءَ وَلَمْ  
 يَخْتَجِ لِأَكْثَرِ مِنْهُمْ لِقَلَّةِ الْعَصَابِ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِنَّهَا سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ عَلَى الطَّاعِيَةِ بَيْنَ يُجَيْزٍ إِلَيْهِ الْبَحْرَ مِنْ أَعْيَاصِ زَنَاطَةِ فَصَارُوا مَعَهُ عُصَبَةً عَلَى  
 الْمَتَاغِيرَةِ وَالرِّيَاطِ ثُمَّ سَمَا لِصَاحِبِ مِنْ مُلُوكِ زَنَاطَةِ أَمَلٌ فِي الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ  
 فَصَارَ أُولَئِكَ الْأَعْيَاصُ عَصَابَةً أَنَّ الْأَحْمَرَ عَلَى الْإِمْتِسَاعِ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَأْتَلَ  
 أَمْرُهُ وَرَسَعَ وَأَلْتَمَتِ النُّفُوسُ وَعَجَزَ النَّاسُ عَنْ مُطَالَبَتِهِ وَوَرِثَتْهُ أَعْقَابُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا تَظُنُّ  
 أَنَّهُ بَغَيْرِ عَصَابَةٍ فَلَيْسَ كَذَلِكَ وَقَدْ كَانَ مَبْدَأُهُ بِعَصَابَةٍ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلَةٌ وَعَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ  
 فَإِنَّ قَطْرَ الْأَنْدَلُسِ لِقَلَّةِ الْعَصَابِ وَالْعَبَائِلِ فِيهِ يُغْنِي عَنْ كَثْرَةِ الْعَصِيَّةِ فِي التَّغْلِبِ  
 عَلَيْهِمْ وَأَلَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ كَمَا قَدَّمَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ وَالْعَصِيَّةُ مُتَأَلِّفَةٌ مِنْ عُصَبَاتٍ  
 كَثِيرَةٍ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا أَقْوَى مِنَ الْآخَرَى كُلِّهَا فَتَغْلِبُهَا وَتَسْتَوِلِي عَلَيْهَا حَتَّى تُصَوِّرَهَا  
 جَمِيعاً فِي ضَمْنِهَا وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِجْتِمَاعُ وَالْغَلْبُ عَلَى النَّاسِ وَالْدُّوْلُ وَسِرُّهُ أَنَّ الْعَصِيَّةَ  
 الْعَامَّةَ لِلْقَلِيلِ هِيَ مِثْلُ الزَّاجِ لِلْمَشْكُونِ وَالزَّاجُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْعَاصِرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ  
 فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْعَاصِرَ إِذَا اجْتَمَعَتْ مُتَكَافِئَةٌ فَلَا يَقَعُ مِنْهَا زَاجٌ أَصْلًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ  
 أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا هِيَ الْغَالِيَةُ عَلَى الْكُلِّ حَتَّى تَجْمَعَهَا وَتُوَلِّفَهَا وَتُصَوِّرَهَا عَصِيَّةً  
 وَاحِدَةً شَامِلَةً لِجَمِيعِ الْعَصَابِ وَهِيَ مُوجُودَةٌ فِي ضَمْنِهَا وَتِلْكَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى إِنَّمَا  
 تَكُونُ لِقَوْمِ أَهْلِ بَيْتٍ وَرِئَاسَةٍ فِيهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رَئِيساً لَهُمْ غَالِياً  
 عَلَيْهِمْ فَيَتَعَيَّنُ رَئِيساً لِلْعَصِيَّاتِ كُلِّهَا لِقَلْبِ مَنْتَبِهٍ لِجَمِيعِهَا وَإِذَا تَعَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ فَمِنْ الطَّبِيعَةِ  
 الْحَيَوَانِيَّةِ خُلِقَ الْكِبَرُ وَالْأَزَنَّةُ فَيَأْتِي حِينَئِذٍ مِنَ الْمُسَاهَمَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي اسْتِثْبَاعِهِمْ  
 وَالتَّحْكُمِ فِيهِمْ وَيَجِيءُ خُلُقُ النَّالَةِ الَّذِي فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ السِّيَاسَةُ مِنْ  
 أَنْفِرَادِ أَهْلَاكُمْ لِقَسَادِ الْكُلِّ بِاخْتِلَافِ الْحُكَّامِ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَفَسَدَتْ  
 فَتُجَدِّعُ حِينَئِذٍ أَنْفُ الْعَصِيَّاتِ وَتُفْلَحُ شَكَائُهُمْ عَنْ أَنْ يَسْمُوا إِلَى مُشَارَكَتِهِ فِي التَّحْكُمِ



وَتُفَرِّغُ عَصِيَّتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَفَرَّدُ بِهِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى لَا يَبْرُكَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْأَمْرِ لَا نَاقَةَ وَلَا جَمَلًا فَيَتَفَرَّدُ بِذَلِكَ الْمَجْدُ بِكُلِّيَّتِهِ وَيُدْفَعُهُمْ عَنْ مَمَاهِمِهِ وَقَدْ يَتِمُّ ذَلِكَ لِلأَوَّلِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِلثَّانِي وَالثَّلَاثِ عَلَى قَدْرِ نَمَانَةِ الْعَصِيَّاتِ وَقُوَّتِهَا إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الدُّوَلِ سُنَّةٌ لِلَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا تَغَلَّبَتْ وَمَلَكَتْ مَا بِأَيْدِي أَهْلِ الْمُلْكِ قَبْلَهَا كَثُرَ رِيَاسُهَا وَنِعْمَتُهَا فَكَثُرَ عَوَائِدُهُمْ وَتَجَاوَزُونَ ضَرُورَاتِ الْعَيْشِ وَخُشُونَتُهُ إِلَى نَوَافِلِهِ وَرِقَّتِهِ وَزِينَتِهِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى اتِّبَاعِ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَتَصِيرُ لِيَتْلِكَ النَّوَافِلِ عَوَائِدُ ضَرُورِيَّةٌ فِي تَحْصِيلِهَا وَيَتَزَعُونَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى رِقَّةِ الْأَحْوَالِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْفُرُشِ وَالْآلِيَةِ وَيَتَفَاخَرُونَ فِي ذَلِكَ وَيُفَاخِرُونَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَكْلِ الطَّيِّبِ وَلِبْسِ الْأَنْيَقِ وَرُكُوبِ الْفَارِهِ وَيُنَاقِضُ خَلْقَهُمْ فِي ذَلِكَ سَلَفُهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَعَلَى قَدْرِ مُلْكِهِمْ يَكُونُ حَقُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرَفُّهُمْ فِيهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَهَا بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَعَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهَا سُنَّةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثاني عشر

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا يَحْصِلُ لَهَا الْمُلْكُ إِلَّا بِالْمُطَابَةِ وَالْمُطَابَةِ غَايَتُهَا الْغَلَبُ وَالْمُلْكُ وَإِذَا حَصَلَتِ الْغَايَةُ انْقَضَى السَّعْيُ إِلَيْهَا ( قَالَ الشَّاعِرُ )

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
فَإِذَا حَصَلَ الْمُلْكُ أَقْصَرُوا عَنِ السَّعْيِ الَّتِي كَانُوا يَتَكَلَّفُونَهَا فِي طَلَبِهِ وَاتَّزُوا الرَّاحَةَ وَالسُّكُونَ وَالِدَّعَةَ وَرَجَعُوا إِلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْأَمْبَانِي وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِسِ فَيُتْبَنُونَ الْقُصُورَ وَيُجْرُونَ الْيَمَاهُ وَيَغْرِسُونَ الرِّيَاضَ وَيَسْتَمْتِعُونَ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا وَيُؤَثِّرُونَ الرَّاحَةَ عَلَى السَّعْيِ وَيَتَأَنَّقُونَ فِي أَحْوَالِ الْمَلَابِسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْآلِيَةِ وَالْفُرُشِ مَا اسْتَطَاعُوا وَيَأْلَفُونَ ذَلِكَ وَيُورِثُونَهُ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَجْيَالِهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَوَارَدُ فِيهِمْ

إِلَى أَنْ يَتَذَنَّ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث عشر

في انه اذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة

اقبلت الدولة على الهرم

وَبَيَانُهُ مِنْ وَجْهِ . الْأَوَّلُ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ كَمَا قُلْنَا . وَمَهْمَا كَانَ  
الْمَجْدُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْعِصَابَةِ وَكَانَ سَعْيُهُمْ لَهُ وَاحِدًا كَانَتْ هِمُّهُمْ فِي التَّغْلِبِ عَلَى الْغَيْرِ  
وَالذَّبِّ عَنِ الْحِزَةِ أَسْوَةً فِي طُغْيَانِهَا وَقُوَّةِ شَكَايَتِهَا وَمَرَمَاهُمْ إِلَى الْغَزَا جَمِيعًا يَسْتَطِيعُونَ  
الْمَوْتَ فِي بِنَاءِ مَجْدِهِمْ وَيُؤْثِرُونَ الْهَلَكَةَ عَلَى فُسَادِهِ وَإِذَا انْفَرَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالْمَجْدِ  
قَرَعَ عَصِيَّتَهُمْ وَكَسَحَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَأَسَاثَرَ بِالْأَمْوَالِ دُونَهُمْ فَتَكَاسَلُوا عَنِ الْغَزَا وَفُشِلَ  
رُبُّهُمْ وَرَبَّمَا الْمَذَلَّةَ وَالْإِسْتِعَادَ ثُمَّ رُبِّي الْحِيلُ الثَّانِي مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُهُمْ  
مِنَ الْعَطَاءِ أَجْرًا مِنَ السُّلْطَانِ لَهُمْ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْمَعُونَةِ لَا يَجْرِي فِي عُقُولِهِمْ سِوَاهُ وَقُلْ  
أَنْ يَسْتَأْجِرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ وَهْنًا فِي الدَّوْلَةِ وَخَضَعًا مِنْ الشُّوْكَةِ  
وَتَقْلِيلُ بِهِ عَلَى مَنَاجِي الضَّعْفِ وَالْهَرَمِ لِفَسَادِ الْعَصِيَّةِ بِذَهَابِ الْبَاسِ مِنْ أَهْلِهَا . وَالْوَجْهُ  
الثَّانِي أَنَّ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْتَضِي التَّرَفَ كَمَا قَدْ مَنَاهُ فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَتَرِيدُ نَفَقَاتُهُمْ  
عَلَى أُعْطِيَاتِهِمْ وَلَا يَفِي دَخْلُهُمْ بِخَرْجِهِمْ فَالْتَقِيَتْ مِنْهُمْ يَهْلِكُ وَالْمُتَرَفُ يَسْتَفْرِقُ عَطَاءَهُ  
بَدْرِهِ ثُمَّ يَزْدَادُ ذَلِكَ فِي أَجْيَالِهِمُ الْمُتَأَخِّرَةِ إِلَى أَنْ يَنْصَرَّ الْعَطَاءُ كُلُّهُ عَنِ التَّرَفِ  
وَعَوَائِدِهِ وَتَمَسَّهُمُ الْحَاجَةُ وَتُطَالِبُهُمْ مُأْوَكُهُمْ بِخَضَعِ نَفَقَاتِهِمْ فِي الْغَزَا وَالْخُرُوبِ فَلَا  
يَجِدُونَ وَلِجَةَ عَنْهَا فَيُوقِعُونَ بِهِمُ الْعُقُوبَاتِ وَيَنْتَرِعُونَ مَا فِي أَيْدِي الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَسْتَأْثِرُونَ  
بِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ يُؤْثِرُونَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ وَصَنَائِعَ دَوْلَتِهِمْ فَيَضَعُونَهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِقَامَةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَيَضَعُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِضَعْفِهِمْ وَأَيْضًا إِذَا كَثُرَ التَّرَفُ فِي الدَّوْلَةِ وَصَارَ عَطَاؤُهُمْ  
مَقْصَرًا عَنْ حَاجَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِهِمْ أَحْتَاجَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الَّذِي هُوَ السُّلْطَانُ إِلَى الزِّيَادَةِ  
فِي أُعْطِيَاتِهِمْ حَتَّى يَسُدَّ خَلْلَهُمْ وَيُزِيلَ عِلْلَهُمْ وَالْحَيَاةُ مِثْدَارُهَا مَعْلُومٌ وَلَا تَرِيدُ وَلَا  
تَنْقُصُ وَإِنْ زَادَتْ بَا يُسْتَحْدَثُ مِنَ الْمَكُوسِ فَيَصِيرُ مِثْدَارُهَا بَعْدَ الزِّيَادَةِ مَعْدُودًا  
فَإِذَا وَزَعَتْ الْحَيَاةُ عَلَى الْأَعْطِيَاتِ وَقَدْ حَدَّثَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بَا حَدَثٌ مِنْ  
تَرْفِهِمْ وَكَثْرَةِ نَفَقَاتِهِمْ نَقَصَ عَدَدُ الْحَامِيَةِ حِينَئِذٍ عَمَّا كَانَ قَبْلَ زِيَادَةِ الْأَعْطِيَاتِ ثُمَّ



يُعْظَمُ الْتَرَفُ وَتَكْثُرُ مَقَادِيرُ الْأَعْطِيَّاتِ لِذَلِكَ فَيَنْتَقِصُ عَدَدُ الْحَامِيَةِ وَثَلَاثًا وَرَابِعًا إِلَى  
أَنْ يَعُودَ الْمَسْكْرُ إِلَى أَقَلِّ الْأَعْدَادِ فَتَضَعُ الْحِمَايَةُ لِذَلِكَ وَتَسْقُطُ قُوَّةُ الدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ  
عَلَيْهَا مَنْ يُجَاوِرُهَا مِنَ الدُّوَلِ أَوْ مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهَا مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَيَأْذَنُ اللَّهُ  
فِيهَا بِالْفَنَاءِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَأَيْضًا فَالْتَرَفُ مُفْسِدٌ لِلخَلْقِ بِمَا يَحْدُثُ فِي النَّفْسِ مِنْ  
الْوَانِ الشَّرِّ وَالسَّفَنَةِ وَعَوَائِدِهَا كَمَا يَأْتِي فِي فَعْلِ الْخَضَارَةِ فَتَذْهَبُ مِنْهُمْ خِلَالِ  
الْخَيْرِ الَّتِي كَانَتْ عَلَامَةً عَلَى الْمُلْكِ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَيَتَصَدُّونَ بِمَا يُتَاقَضُهَا مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ  
فَيَكُونُ عَلَامَةً عَلَى الْإِدْبَارِ وَالْإِنْقِرَاضِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ وَتَأْخُذُ  
الدَّوْلَةُ مَبَادِيءَ الْعَطَبِ وَتَتَضَعُ أحوَالَهَا وَتَتَزَلُّ بِهَا أَمْرَاضُ زُرْمَةٍ مِنَ الزَّرْمِ إِلَى أَنْ  
يَقْضَى عَلَيْهَا . الْوَجْهُ الثَّلَاثُ أَنَّ طَبِيعَةَ الْمُلْكِ تَقْتَضِي الدَّعَةَ كَمَا ذَكَرْنَا وَإِذَا اتَّخَذُوا  
الدَّعَةَ وَالرَّاحَةَ مَأْلَفًا وَخُلُقًا صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ طَبِيعَةً وَجِلَّةً شَأْنُ الْعَوَائِدِ كَلَامًا وَإِبْلَافًا  
فَتَرَبَّى أَجْيَالُهُمْ الْخَالِدَةُ فِي غَضَارَةِ الْعَيْشِ وَمِهَادِ التَّرَفِ وَالْدَّعَةِ وَيَنْقَلِبُ خُلُقُ التَّوَحُّشِ  
وَيَلْسُونُ عَوَائِدَ الدَّوَاةِ الَّتِي كَانَ بِهَا الْمُلْكُ مِنْ شِدَّةِ الْبَاسِ وَتَعُودُ الْإِفْتِرَاسِ وَرُكُوبِ  
السَّيِّئِ وَهِدَايَةِ الْفَقْرِ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّوقَةِ مِنَ الْخَضِرِ إِلَّا فِي الثَّقَافَةِ وَالشَّارَةِ  
فَتَضَعُ حِمَايَتَهُمْ وَيَذْهَبُ بِأَسْمِهِمْ وَتَنْخَضُ شَوْكَتُهُمْ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا  
تَلْبَسُ مِنْ ثِيَابِ الْهَرَمِ ثُمَّ لَا يَزَالُونَ يَتَلَوَّنُونَ بِعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْخَضَارَةِ وَالسُّكُونِ وَالْدَّعَةِ  
وَرِقَّةِ الْحَاشِيَةِ فِي جَمِيعِ أحوَالِهِمْ وَيَنْغَمِسُونَ فِيهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَبْغُدُونَ مِنَ الدَّوَاةِ  
وَالْحَشْرَةِ وَيَسْلِحُونَ عَنْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَنْسَوْنَ خُلُقَ الْبَسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُدَافَعَةُ  
حَتَّى يَعُودُوا عِيَالًا عَلَى حَامِيَةٍ أُخْرَى إِنْ كَانَتْ لَهُمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ الَّتِي أَخْبَارُهَا  
فِي الصُّحُفِ لَدَيْكَ تَجِدُ مَا قُلْنَا لَكَ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ فِي الدَّوْلَةِ  
إِذَا طَرَقَهَا هَذَا الْهَرَمُ بِالتَّرَفِ وَالرَّاحَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْصَارًا وَشِيعَةً مِنْ غَيْرِ  
جِلْدَتِهِمْ يَمُنُّ تَعُودَ الْحَشْرَةِ فَيَتَّخِذُهُمْ جُنْدًا يَكُونُ أَصْدَرًا عَلَى الْحَرْبِ وَأَقْدَرًا عَلَى مُعَانَاةِ  
الشَّدَائِدِ مِنَ الْجُوعِ وَالسَّطَفِ وَيَكُونُ ذَلِكَ دَوَاءً لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي عَسَاهُ أَنْ  
يَطْرُقَهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهَا بِأَمْرِ هَذَا كَمَا وَقَعَ فِي دَوْلَةِ الْأَنْدَلُسِ بِالْمَشْرِقِ فَإِنَّ غَالِبَ  
جُنْدِهَا الْمَوَالِي مِنَ الْأَنْدَلُسِ فَتَخَيَّرَ مُلُوكُهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمَمَالِكِ الْمَجْلُوبِينَ إِلَيْهِمْ فُرْسَانًا  
وَجُنْدًا فَيَكُونُونَ أَجْرًا عَلَى الْحَرْبِ وَأَصْدَرًا عَلَى السَّطَفِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَمَالِكِ الَّذِينَ

كَانُوا قَبْلَهُمْ وَرَبُّوا فِي مَاءِ النَّعِيمِ وَالسُّلْطَانِ وَظِلِّهِ وَكَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِأَفْرِيقَةٍ  
فَإِنْ صَاحِبَهَا كَثِيرًا مَا يَتَّخِذُ أَجْنَادَهُ مِنْ زَنَاتِهِ وَالْعَرَبِ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُمْ وَيَتَذَكُّ أَهْلَ  
الدَّوْلَةِ الْمُتَعَرِّدِينَ لِلتَّرَفِ فَتَسْتَجِدُّ الدَّوْلَةُ بِذَلِكَ عُمرًا آخَرَ سَالِمًا مِنَ الْهَرَمِ وَاللَّهِ  
وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للأشخاص

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُمَرَ الطَّبِيعِيَّ لِلْأَشْخَاصِ عَلَى مَا زَعَمَ الْأَطِبَّاءُ وَالْمُتَجَمُّونَ مِائَةً وَعِشْرُونَ  
سَنَةً وَهِيَ سِنُو الْقَمَرِ الْكَبِيرِ عِنْدَ الْمُتَجَمِّينَ وَيَخْتَلِفُ الْعُمَرُ فِي كُلِّ جِيلٍ بِحَسَبِ  
الْقِرَآنَاتِ فَيُرِيدُ عَنْ هَذَا وَيَنْقُصُ مِنْهُ فَتَكُونُ أَعْمَارُ بَعْضِ أَهْلِ الْقِرَآنَاتِ مِائَةً تَامَةً  
وَبَعْضُهُمْ خَمْسِينَ أَوْ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ أُدِلَّةُ الْقِرَآنَاتِ عِنْدَ النَّاطِرِينَ فِيهَا  
وَأَعْمَارُ هَذِهِ الِيلَةِ مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السِّعِينَ كَمَا فِي الْخُلْدِثِ وَلَا يُؤَيَّدُ عَلَى الْعُمَرِ  
الطَّبِيعِيِّ الَّذِي هُوَ مِائَةً وَعِشْرُونَ إِلَّا فِي الصُّورِ النَّادِرَةِ وَعَلَى الْأَوْضَاحِ الْغَرِيبَةِ مِنْ  
الْفَلَكَ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَلِيلٍ مِنْ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَمَّا أَعْمَارُ  
الدُّوَلِ أَيْضًا وَإِنْ كَانَتْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقِرَآنَاتِ إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي الْغَالِبِ لَا تَعْدُو  
أَعْمَارَ ثَلَاثَةِ أَجْيَالٍ وَأَجِيلٌ هُوَ عُمرُ شَخْصٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعُمَرِ الْوَسَطِ فَيَكُونُ  
أَرْبَعِينَ الَّذِي هُوَ أَنْثِيَاءُ النُّثْوِ وَالنُّشْوِ إِلَى غَايَتِهِ قَالَ تَعَالَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ عُمرَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ هُوَ عُمرُ الْجِيلِ وَيُؤَيَّدُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ  
فِي حِكْمَةِ التَّيِّهِ الَّذِي وَقَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْأَرْبَعِينَ فِيهِ فَنَاءُ الْجِيلِ  
الْأَحْيَاءِ وَنَشْأَةُ جِيلٍ آخَرَ لَمْ يَعْهَدُوا الذَّلَّ وَلَا عَرُفُوهُ فَذَلَّ عَلَى أَعْتَابِ الْأَرْبَعِينَ فِي  
عَمْرِ الْجِيلِ الَّذِي هُوَ عُمرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ عُمرَ الدَّوْلَةِ لَا يَعْدُو فِي الْغَالِبِ  
ثَلَاثَةَ أَجْيَالٍ لِأَنَّ الْجِيلَ الْأَوَّلَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى خُلُقِ الْبِدَاوَةِ وَخُشُونَتِهَا وَتَوَحُّشِهَا مِنْ  
سُظْفِ الْعَيْشِ وَالْبَسَالَةِ وَالْإِفْتِرَاسِ وَالْإِسْتِرَاكِ فِي الْمَجْدِ فَلَا تَرَالُ بِذَلِكَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ  
مَحْفُوظَةٌ فِيهِمْ فَحَدُّهُمْ مُرْهَفٌ وَجَانِبُهُمْ مُرْهُوبٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ مَغْلُوبُونَ وَالْجِيلُ الثَّانِي  
تَحَوَّلَ حَالُهُمْ بِالْمُلْكِ وَالتَّرَفِ مِنَ الْبِدَاوَةِ إِلَى الْخِصَارَةِ وَمِنْ السُّظْفِ إِلَى التَّرَفِ  
وَالْخُصْبِ وَمِنْ الْإِسْتِرَاكِ فِي الْمَجْدِ إِلَى انْفِرَادِ الْوَاحِدِ بِهِ وَكَسَلِ الْبَاقِينَ عَنْ



السَّعْيِ فِيهِ وَمِنْ غَيْرِ الْإِسْطِطَالَةِ إِلَى ذَلِكَ الْإِسْكَانَةِ فَتَشْكِرُ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ بَعْضَ  
الشَّيْءِ وَتُؤَنِّسُ مِنْهُمْ أَلَمَ أُنَانَةٍ وَالْخُضُوعَ وَيَبْقَى لَهُمُ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ أَدْرَكُوا الْحِيلَ  
الْأَوَّلَ وَبَاشَرُوا أَحْوَالَهُمْ وَشَاهَدُوا اعْتِزَّازَهُمْ وَسَعْيَهُمْ إِلَى الْمَجْدِ وَمَوَاسِيهِمْ فِي الْمُدَافَعَةِ  
وَالْحِمَايَةِ فَلَا يَسْعُهُمْ تَرْكُ ذَلِكَ بِالْكَلِمَةِ وَإِنْ ذَهَبَ مِنْهُ مَا ذَهَبَ وَيَكُونُونَ عَلَى رَجَاءٍ  
مِنْ مُرَاجَعَةِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانَتْ لِلْجِيلِ الْأَوَّلِ أَوْ عَلَى ظَنٍّ مِنْ وَجُودِهَا فِيهِمْ وَأَمَّا  
الْجِيلُ الثَّلَاثُ فَيَنْسُونُ عَهْدَ الْبِدَاوَةِ وَالْخُشُونَةَ كَأَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ وَيَقْتَدُونَ حَلَاوَةَ الْعِزِّ  
وَالْعَصِيَّةِ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ مَلَكَاتِ الْعِزِّ وَيَبْلُغُ فِيهِمْ التَّرَفُ غَايَتَهُ بِأَنَّ تَبَنُّوهُ مِنْ النِّعَمِ  
وَعُضَارَةِ الْعَيْشِ فَيَصِيرُونَ عِيَالًا عَلَى الدَّوْلَةِ وَمِنْ نَجْمَةِ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الْمُحْتَاجِينَ  
لِلْمُدَافَعَةِ عَنْهُمْ وَتَنْقُطُ الْعَصِيَّةُ بِالْجُمْلَةِ وَيَنْسُونَ الْحِمَايَةَ وَالْمُدَافَعَةَ وَالْمُطَالَبَةَ  
وَيَلْبِسُونَ عَلَى النَّاسِ فِي الشَّارَةِ وَالزَّرِيِّ وَرُكُوبِ الْحِيلِ وَحَسَنِ الْبِقَافَةِ يُتَوَرَّهُونَ بِهَا وَهُمْ  
فِي الْأَكْثَرِ أَجَبْنَ مِنَ النِّسْوَانِ عَلَى ظُهُورِهَا فَإِذَا جَاءَ الْمُطَالِبُ لَهُمْ لَمْ يُقَاوِمُوا  
مُدَافَعَتَهُ فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى الْإِسْطِطَارِ بِسِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ النِّجْدَةِ وَيَسْتَكْثِرُ  
بِالْمَوَالِي وَيَصْطَنِعُ مَنْ يُغْنِي عَنْ الدَّوْلَةِ بَعْضَ الْغِنَاءِ حَتَّى يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهَا فَتَذْهَبُ  
الدَّوْلَةُ بِمَا حَمَلَتْ فَهَذِهِ كَمَا تَرَاهُ ثَلَاثَةُ أَجْيَالٍ فِيهَا يَكُونُ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَتَخْلُفُهَا  
وَلِهَذَا كَانَ انْقِرَاضُ الْحَسْبِ فِي الْجِيلِ الرَّابِعِ كَمَا مَرَّ فِي أَنَّ الْمَجْدَ وَالْحَسْبَ إِنَّمَا هُوَ  
أَرْبَعَةُ آبَاءٍ وَقَدْ أَتَيْنَاكَ فِيهِ بِدُرْهَانٍ طَبِيعِي كَافٍ ظَاهِرٍ مَبْنِيٍّ عَلَى مَا مَهَّدْنَاهُ قَبْلُ مِنْ  
الْمُقَدِّمَاتِ فَتَأَمَّلْهُ فَلَنْ تَعْدُو وَجْهَ الْحَقِّ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْإِنْصَافِ وَهَذِهِ الْأَجْيَالُ  
الثَّلَاثَةُ عُمْرُهَا مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً عَلَى مَا مَرَّ وَلَا تَعْدُو الدَّوْلُ فِي النَّالِبِ هَذَا الْعُمُرَ بِتَقْرِيبِ  
قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ إِلَّا إِنْ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ آخَرُ مِنْ وَثْدَانِ الْمُطَالِبِ فَيَكُونُ الْهَرَمُ حَاصِلًا  
مُسْتَوِيلًا وَالْمُطَالِبُ لَمْ يَحْضُرْهَا وَلَوْ قَدْ جَاءَ الْمُطَالِبُ لَمَّا وَجَدَ مُدَافِعًا فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ  
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ فَهَذَا الْعُمُرُ لِلدَّوْلَةِ بِثَابِتِهِ عُمُرُ الشَّخْصِ مِنَ التَّزْيِيدِ  
إِلَى سِنِ الْوُقُوفِ ثُمَّ إِلَى سِنِ الرَّجُوعِ وَلِهَذَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي الْمَشْهُورِ أَنَّ  
عُمُرَ الدَّوْلَةِ مِائَةٌ سَنَةً وَهَذَا مَعْنَاهُ فَاعْتَبِرْهُ وَاتَّخِذْ مِنْهُ قَانُونًا يُصَحِّحُ لَكَ عَدَدَ الْأَبَاءِ فِي  
عُمُودِ النَّسَبِ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ السِّنِينَ الْمَاضِيَةِ إِذَا كُنْتَ قَدْ اسْتَرَبْتَ فِي  
عَدَدِهِمْ وَكَانَتْ السُّنُونَ الْمَاضِيَةُ مُنْذُ أَوَّلِهِمْ مُحْصَلَةً لَدَيْكَ فَعَدَّ لِكُلِّ مِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ

ثلاثة من الآباء فإن نفذت على هذا التماس مع تعود عددهم فهو صحيح وإن نقصت عنه مجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عموم النسب وإن زادت بمثل فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد التين من عددهم إذا كان مخصصاً لديك فتأمل تجده في الغالب صحيحاً والله يُقدر الليل والنهار

### الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

إعلم أن هذه الأطوار طبيعية الدول فإن الغلب الذي يكون به الملك إنما هو بالعصية وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الإقتراس ولا يكون ذلك غالباً إلا مع البداوة فطور الدولة من أولها بدعوة ثم إذا حصل الملك تبعه الرفق واتساع الأحوال والحضارة إنما هي تنبئ في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوه ومذاهب من الطبايع والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنيق فيه تختص به ويتأثر بعضها بعضاً وتتكدأ باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتسعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفق للملك وأهل الدول أبداً يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة فقد حكي أنه قدم لهم الرقيق فكأنوا يحسبونه رقاء وعثروا على الكافور في خزان كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا ومثال ذلك كثير فلما استعبدوا أهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم التهرة في أمثال ذلك والقومة عليهم أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في أحواله فبدؤوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الأحوال واستجددة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والأبنية وسائر الماعون والخرنبي وكذلك أحوالهم في أيام المباحاة والولائهم وليالي الأعراس فأتوا من ذلك وراء الغاية وأنظر



مَا نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ وَالطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا فِي أَعْرَاسِ التَّائُمُونَ بِبُورَانَ بَنَتْ الْحَسَنَ  
 ابْنَ سَهْلٍ وَمَا بَذَلَ أَبُو هَاجِلِيشَةَ التَّائُمُونَ حِينَ وَاقَاهُ فِي خَطْبَتِهَا إِلَى دَارِهِ بِفَهْمِ الصُّلَحِ  
 وَرَكِبَ إِلَيْهَا فِي السَّفِينِ وَمَا أَنْفَقَ فِي أَمْلَاكِهَا وَمَا نَحَلَهَا التَّائُمُونَ وَأَنْفَقَ فِي عَرَسِهَا  
 تَتَفَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْعَجَبِ فَبَيَّنَهُ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نَزَرَ يَوْمَ الْأَمْلَاكِ فِي الصَّنِيعِ الَّذِي  
 حَضَرَهُ حَاشِيَةُ التَّائُمُونَ فَتَنَزَّ عَلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ بِنَادِقِ الْمِسْكِ مَلْثُوتَةً عَلَى  
 الرِّقَاعِ بِالضِّيَاعِ وَالْعَقَارِ مُسْرَعَةً لَمَنْ خَصَلَتْ فِي يَدِهِ يَقَعُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا  
 أَذَاهُ إِلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ وَالْبَحْثُ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ بُدْرَ الدَّنَانِيرِ فِي كُلِّ بُدْرَةٍ عَشْرَةَ  
 آلَافٍ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ بُدْرَ الدَّرَاهِمِ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقَ عَلَى مَقَامَةِ التَّائُمُونَ  
 بِدَارِهِ أَضَافَ ذَلِكَ وَمِنَهُ أَنَّ التَّائُمُونَ أَعْطَاهَا فِي مَهْرِهَا لَيْلَةً زَفَافِهَا أَلْفَ حَصَاةٍ مِنْ  
 الْيَاقُوتِ وَأَوْقَدَ شُمُوعَ الْعَنْبَرِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَةَ مَنْ وَهُوَ رِطْلٌ وَثَلَاثَانِ (١)  
 وَبَسَطَ لَهَا فُرْشًا كَنْ الْحَصِيدِ مِنْهَا مَنَسُوجًا بِالذَّهَبِ مُكَلَّلًا بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَقَالَ  
 التَّائُمُونَ حِينَ رَأَوْهُ قَاتِلَ اللَّهِ أَبَا نُوَّاسٍ كَأَنَّهُ أَبْصَرَ هَذَا حَيْثُ يَقُولُ فِي صِفَةِ الْحَمْرِ  
 كَانَ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِيَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَأَعَدَّ بِدَارِ الطَّبَخِ مِنَ الْخَطْبِ لِلَّيْلَةِ الْوَلِيمَةِ نَقْلَ مِائَةِ وَأَرْبَعِينَ بَغْلًا مُدَّةَ عَامٍ كَامِلٍ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي الْخَطْبِ لِلثَّلَاثِينَ وَأَوْقَدُوا الْجَرِيدَ يَصُوبُونَ عَلَيْهِ الرِّيتَ  
 وَأَوْغَرُوا إِلَى النَّوَاتِيَةِ بِإِحْضَارِ الشُّفْنِ لِإِجَازَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ النَّاسِ بِدَجَلَةٍ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى  
 قُصُورِ التَّلَكِ بِمَدِينَةِ التَّائُمُونَ لِخُضُورِ الْوَلِيمَةِ فَكَانَتْ الْحَرَاقَاتُ (٢) الْمُعَدَّةُ لِذَلِكَ  
 ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَجَازُوا النَّاسَ فِيهَا أَخْرِيَاتِ نَهَارِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا وَأَمثَالِهِ وَكَذَلِكَ عَرَسَ  
 التَّائُمُونَ بْنُ ذِي الثُّونِ بِطَلِيَّةٍ لَمَّا نَقَلَ ابْنُ سَامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ وَأَبْنُ حَيَّانَ بَعْدَ أَنْ  
 كَانُوا كُلُّهُمْ فِي الطُّورِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبِدَاوَةِ نَاجِرِينَ عَنْ ذَلِكَ جُمْلَةً لِيَتَدَانَ أَسْبَابُهُ  
 وَالْقَائِمِينَ عَلَى صَنَائِعِهِ فِي غَضَاضَتِهِمْ وَسَدَاجَتِهِمْ يُذَكِّرُ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَوَّلَ فِي اخْتِانِ  
 بَعْضٍ وَلَدِهِ فَاسْتَحْضَرَ بَعْضَ الدَّهَاقِينَ يَسْأَلُهُ عَنْ وَلَايَةِ الْهَرَسِ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِأَعْظَمِ  
 صَنِيعٍ شَهِدْتَهُ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ شَهِدْتُ بَعْضَ مَرَازِيَةِ كِنَرِي وَقَدْ صَنَعَ لِأَهْلِ

(١) قوله وثلثان الذي كتب في اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية ثلثان

(٢) الحراقات بالفتح جمع حراقة سفينة فيها مرامي نار يرمى بها العدو اه مختار

فَارِسَ صَنِيعًا أَحْضَرَ فِيهِ صَخَافَ الذَّهَبِ عَلَى أَخْوَنَةِ الْفِضَّةِ أَرْبَعًا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَتَحِيلُهُ  
أَرْبَعُ وَصَائِفَ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا طَعِمُوا اتَّبَعُوا أَرْبَعَتَهُمُ الْتَائِدَةَ  
بِصَخَافِهَا وَوَصَفَاهَا فَقَالَ الْحَبَّاجُ يَا غَلَامُ أَنْخِرِ الْجُزْرَ وَأَطْعِمِ النَّاسَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيلُ  
بِهَذِهِ الْأَثْبَةِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أُعْطِيَتْ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَوَائِزُهُمْ فَإِنَّمَا كَانَ  
أَكْثَرُهَا الْإِبِلَ أَخَذَا بِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَبَدَاوَتِهِمْ ثُمَّ كَانَتْ الْجَوَائِزُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
وَالْعَبِيدِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَحْصَالِ الدَّالِ وَتُخَوِّتِ الشَّيَابِ وَإِعْدَادِ الْخَيْلِ بِمَرَاكِهَا  
وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ كِتَابَةِ مَعَ الْأَغَالِبَةِ بِأَفْرِيقَةٍ وَكَذَا بَنِي طَفِجٍ بِمِصْرَ وَشَأْنُ لِمُتُونَةَ  
مَعَ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمُوحِدِينَ كَذَلِكَ وَشَأْنُ زَنَاتَةَ مَعَ الْمُوحِدِينَ وَهَلُم  
جَرَأَ تَنْتَقِلُ الْحِضَارَةُ مِنَ الدَّوَلِ السَّالِفَةِ إِلَى الدَّوَلِ الْخَالِفَةِ فَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ الْفُرْسِ لِلْعَرَبِ  
بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى مُلُوكِ الْمَغْرِبِ مِنْ  
الْمُوحِدِينَ وَزَنَاتَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الدَّيْلَمِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ ثُمَّ  
إِلَى السَّاجُوقِيَّةِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ السَّمَايَلِكِ بِمِصْرَ وَالتُّرْكِ بِالْمِرَاقِينَ وَعَلَى قَدْرِ عِظَمِ الدَّوَلَةِ  
يَكُونُ شَأْنًا فِي الْحِضَارَةِ إِذْ أُمُورُ الْحِضَارَةِ مِنْ تَوَابِعِ التَّرَفِ وَالتَّرَفُ مِنْ تَوَابِعِ  
الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ وَالثَّرْوَةُ وَالنِّعْمَةُ مِنْ تَوَابِعِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارُ مَا يَسْتَوِلِي عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّوَلَةِ  
فَعَلَى نِسْبَةِ الْمَلِكِ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ فَاعْتَبِرْهُ وَتَفَهَّمْهُ وَتَأَمَّلْهُ تَجِدْهُ صَحِيحًا فِي الْعُمُرَانِ  
وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَِا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السادس عشر

في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْقِيْلَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمُلْكُ وَالتَّرَفُ كَثُرَ التَّاسُلُ وَالْوُلْدُ  
وَالْعُمُومِيَّةُ فَكَثُرَتِ الْعِصَابَةُ وَانْتَشَكَّرُوا أَيْضًا مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ وَرَبَّيَتْ أَجْيَالُهُمْ  
فِي جَرِّ ذَلِكَ النِّعَمِ وَالرَّفَةِ فَازْدَادُوا بِهِ عَدَدًا إِلَى عَدَدِهِمْ وَقُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِمْ بِسَبَبِ  
كَثْرَةِ الْعَصَائِبِ حِينَئِذٍ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَيْلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَأَخَذَتِ الدَّوَلَةُ  
فِي الْهَرَمِ لَمْ تَسْتَغْلِلْ أُولَئِكَ الصَّنَائِعُ وَالْمَوَالِي بِأَنْفُسِهِمْ فِي تَأْسِيسِ الدَّوَلَةِ وَتَمْهِيدِ  
مَلِكِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِنَّمَا كَانُوا عِيَالًا عَلَى أَهْلِهَا وَمَعُونَةً لَهَا فَإِذَا  
ذَهَبَ الْأَصْلُ لَمْ يَسْتَغْلِلْ الْفَرْعُ بِالرُّسُوحِ فَيَذْهَبُ وَيَتَلَاشَى وَلَا تَبْقَى الدَّوَلَةُ عَلَى حَالِهَا



من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الإسلام كان عدد العرب كما قلناه  
لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين ألفاً وما يقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ اتدف  
مبالغة في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنائع  
بلغ ذلك العدد إلى أضعافه يقال إن المعتصم نازل غورية لما افتتحها في تسعين  
ألف ولا يبعد مثل هذا العدد أن يكون صحيحاً إذا اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية  
والقاصية شرقاً وغرباً إلى الجند الحاملين سرير الملك والموالى والمضطعين وقال  
التسعودي أحصى بنو العباس ابن عبد المطلب خاصة أيام التأمون للإتفاق عليهم  
فكانوا ثلاثين ألفاً بين ذكران وإناث فأنظر مبالغ هذا العدد لأقل من مائتي سنة  
وأعلم أن سببه الرقة والتعم الذي حصل للدولة ورقي فيه أجيالهم وإلا فعدد العرب  
الأول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريباً منه والله الخلاق العليم

### الفصل السابع عشر

في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار  
إعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون  
بها في كل طور خلقاً من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر لأن  
خلق تابع بالطبع ليزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في  
الغالب خمسة أطوار . الطور الأول طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع والمنايع  
والاستيلاء على الملك وأزواجه من أيدي الدولة في هذا الطور أسوة قومه في  
اكتساب المجد وحيابة المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد ذووهم بشيء  
لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها القلب وهي لم تزل بعد بحالها . الطور الثاني  
طور الاستبداد على قومه والإنفراد ذووهم بالملك وكبيهم عن التناول للمساهمة  
والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنياً بأصطناع الرجال واتخاذ  
الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك لجذع أنوف أهل عصبية وعشيرة المقاسمين  
له في نسبة الضاربين في الملك يمشر سهمه فهو يدافعهم عن الأمر ويصددهم عن  
موارده ويؤددهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه حتى يقر الأمر في نصايه ويقرده أهل  
بيته بما ينبي من مجده فيعاني من مدافعتهم ومخالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب

الأمير أو أشد لأن الأولين دافعوا الأجانب فكان ظهورهم على مدافعتهم أهل  
العصية بأجمعهم وهذا يدافع الأقارب لا يظهره على مدافعتهم إلا الأقل من  
الأبعد فتركب صعباً من الأمر . الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات  
الملك بما تترغ طماع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت  
فيستفرغ نفسه في الجباية وضبط الدخل والخرج وإحصاء الفقات والقصد فيها  
وتشديد المباني الخافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة رآها كل المرتبة  
وإجازة الوفود من أشرف الأمم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهله هذا مع  
التوسعة على صنائعه وحاشيته في أحوالهم بالمال وأجابه وأغراض جنوده وإدراار  
أرزاقهم وإنصافهم في أعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملايسهم  
وشكهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويذهب الدول المحاربة  
وهذا الطور آخر أطوار الاستعداد من أصحاب الدولة لأنهم في هذه الأطوار كلوا  
مستقنون بآرائهم بأنون لغزهم موضعون المروق لمن بعدهم . الطور الرابع طور  
الفرع والمسالمة ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما بنى أوله سلماً لأنظاره  
من الملوك وأقاته مقلداً للتاضين من سلفه فيبسط آثرهم حذو النعل بالنعل ويقتفي  
طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم  
أبصر بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الإسراف والتبذير ويكون صاحب  
الدولة في هذا الطور مثلاً لما جمع أوله في سبيل الشهوات والتلاذ والكرم على  
بطانته وفي مجالسه وأصطناع أخذان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الأمور  
التي لا يستملون بحملها ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها مستفيدة الكبار الأولياء  
من قومه وصنائع سلفه حتى يضطخوا عليه ويتخاذلوا عن نصرتهم مضيقاً من جنده  
بما أنشئ من أعطياتهم في شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتنفذه فيكون مخرباً  
لما كان سلفه يؤسسون وهادماً لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة  
الهرم ويستوي عليها المرمم المرمم الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه  
برنة إلى أن تنقرض كما نبتة في الأحوال التي تسريها والله خير الوارئين



## الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَثَرَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عَنِ الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا كَانَتْ أَوَّلًا وَعَلَى قَدَرِهَا يَكُونُ الْأَثَرُ فَمِنْ ذَلِكَ مَبَانِي الدَّوْلَةِ وَهِيَ كِبَاهَا الْعَظِيمَةُ فَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ الدَّوْلَةِ فِي أَصْلِهَا لِأَنَّهَا لَا تَتِمُّ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَعْلَةِ وَاجْتِمَاعِ الْأَيْدِي عَلَى الْعَمَلِ بِالتَّائُونَ فِيهِ فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً فَبِحِثَّةِ الْجَوَانِبِ كَثِيرَةِ الْمَمَالِكِ وَالرَّعَايَا كَانَ الْفَعْلَةُ كَثِيرِينَ جَدًّا وَحُشِرُوا مِنْ أَفَاقِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا فَتَمَّ الْعَمَلُ عَلَى أَعْظَمِ هَيَاكِلِهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَصَانِعِ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَمَا قَصَّهُ الْقُرْآنُ عَنْهُمَا وَأَنْظُرْ بِالشَّاهِدَةِ إِيوَانَ كِبَرَى وَمَا اقْتَدَرَ فِيهِ الْفَرَسُ حَتَّى إِنَّهُ عَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَتَحْرِيبِهِ فَتَكَاءَ عَنْهُ وَبَشَرَ فِيهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ وَقِصَّةُ اسْتِثَارَتِهِ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فِي شَأْنِهِ مَعْرُوفَةٌ فَأَنْظُرْ كَيْفَ تَقْدِيرُ دَوْلَةٍ عَلَى بِنَاءٍ لَا تَسْتَلْبِغُ أُخْرَى عَلَى هَدْمِهِ مَعَ يُونِ مَا بَيْنَ الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ فِي السُّهُولةِ تَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ يُونِ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَأَنْظُرْ إِلَى بِلَاطِ الْأَوَّلِيدِ بِدِمَشْقَ وَجَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ بِقُرْطَبَةَ وَالْفَنْطَرَةَ الَّتِي عَلَى وَادِيهَا وَكَذَلِكَ بِنَاءُ أَخْنَايَا لِحُلِبِ الْمَاءِ إِلَى قُرْطَابَةَ فِي الْقَنَاءِ الرَّائِكَةِ عَلَيْهَا وَأَثَارِ شَرْشَالِ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَهْرَامِ بِمِصْرَ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ الْبَائِلَةِ لِلْيَمَانِ يُعْلَمُ مِنْهُ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالِ لِلْأَقْدَمِينَ إِنَّمَا كَانَتْ بِالْهِنْدَامِ وَاجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثْرَةِ الْأَيْدِي عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ تُشِيدُ تِلْكَ أَلْهِيَا كُلُّهَا وَالمَصَانِعُ وَلَا تَتَوَهَّمُ مَا تَتَوَهَّمُ الْعَامَّةُ أَنَّ ذَلِكَ لِيُظْمَ أَجْسَامِ الْأَقْدَمِينَ عَنْ أَجْسَامِنَا فِي أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا فَلَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ كَيْدٌ يُونِ كَمَا نَجِدُ بَيْنَ أَلْهِيَا كُلِّ وَالْأَثَارِ وَلَقَدْ وَلَعَ الْقُصَاصُ بِذَلِكَ وَتَمَالَوْا فِيهِ وَسَطَرُوا عَنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا عَرِيقَةً فِي الْكَذِبِ مِنْ أَغْرِبِهَا مَا يَحْكُونُ عَنْ عَوْجِ بْنِ عِنَاقٍ <sup>(١)</sup> رَجُلٍ مِنْ الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الشَّامِ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِطَوْلِهِ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ وَيُشْوِيهِ إِلَى الشَّمْسِ وَيَزِيدُونَ إِلَى جَهَنَّمَ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ الْجَهْلَ بِأَحْوَالِ الْكَوَاكِبِ لَنَا ائْتَقَدُوا أَنَّ الشَّمْسَ حَرَارَةٌ وَأَنَّا شَدِيدَةٌ فِيمَا قُرْبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ

(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب الجيم عوج بن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس

عنق بالنون قاله نصر الهوريني

أَنَّ الْحَرَّ هُوَ الضَّوُّ وَأَنَّ الضَّوَّ فِيمَا قَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ أَكْثَرُ لِأَنِّي كَمَا سِرَ الْأَشْعَةُ  
مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ بِمَقَابِلَةِ الْأَضْوَاءِ فَتَضَافُ الْحَرَارَةُ هُنَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَإِذَا تَجَاوَزَتْ  
مَطَارِحَ الْأَشْعَةِ الْمُنْعَكِسَةِ فَلَا حَرَّ هُنَاكَ بَلْ يَكُونُ فِيهِ الْبَرْدُ حَيْثُ مَجَارِي السَّحَابِ  
وَأَنَّ الشَّمْسَ فِي نَفْسِهَا لَا حَارَّةً وَلَا بَارِدَةً وَإِنَّمَا هِيَ جِسْمٌ بَسِيطٌ مُضِيٌّ لَا مِزَاجَ لَهُ  
وَكَذَلِكَ عُوجُ بَنِي عِثَاقٍ هُوَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْعَمَالِقَةِ أَوْ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ  
كَانُوا قَرِيبَةً بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ فَتْحِهِمُ الشَّامَ وَأَطْوَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجِسْمَانُهُمْ لِذَلِكَ  
الْعَهْدِ قَرِيبَةٌ مِنْ هَاهُنَا كَمَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَبْوَابُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَإِنَّهَا وَإِنْ تُخْرِبَتْ  
وُجِدَتْ لَمْ تَزَلِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى أَشْكَالِهَا وَمَقَادِيرِ أَبْوَابِهَا وَكَيْفَ يَكُونُ التَّأَوُّتُ بَيْنَ  
عِجٍ وَبَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ بِهَذَا الْقَدَارِ وَإِنَّمَا مَثَارُ غَلْطِهِمْ فِي هَذَا أَنَّهُمْ اسْتَعْظَمُوا آثَرَ  
الْأَمَمِ وَلَمْ يَفْهَمُوا حَالَ الدُّوَلِ فِي الْإِجْتِمَاعِ وَالْتِمَاعِ وَمَا يَحْتَضِرُ بِذَلِكَ وَبِالْهِنْدَامِ مِنْ  
الْآثَرِ الْعَظِيمَةِ فَصَرَفُوهُ إِلَى قُوَّةِ الْأَجْسَامِ وَشَدَّتْهَا بِعَظَمِ هَاهُنَا كِلَاهَا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
وَقَدْ زَعَمَ السُّعُودِيُّ وَنَقَلَهُ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ مَرْعَمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ وَهُوَ أَنَّ  
الطَّبِيعَةَ الَّتِي هِيَ جَبَلَةٌ لِلْأَجْسَامِ لَمَّا بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَانَتْ فِي تَامِ الْكُرَّةِ وَنِزَايَةِ الْقُوَّةِ  
وَالْكَمَالِ وَكَانَتْ الْأَعْمَارُ أَطْوَلَ وَالْأَجْسَامُ أَقْوَى لِكَمَالِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فَإِنْ طُرِئَ  
الْمَوْتُ إِنَّمَا هُوَ بِانْجِلَالِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةٌ كَانَتْ الْأَعْمَارُ أَزِيدَ فَكَانَ  
الْعَالَمُ فِي أَوَّلِيَّةِ نَشْأَتِهِ تَمَّ الْأَعْمَارُ كَامِلَ الْأَجْسَامِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَنَاقَصُ لِنُتْقَانِ الْمَادَّةِ  
إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْأَحْزَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَنَاقَصُ إِلَى وَقْتِ الْإِنْجِلَالِ  
وَأَثَرِ رَاضِ الْعَالَمِ وَهَذَا رَأْيِي لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ كَمَا تَرَاهُ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ  
وَلَا سَبَبٌ بُرْهَانِيٌّ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ مَسَاكِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَبْوَابَهُمْ وَطُرُقَهُمْ فِيمَا أَحْدَثُوهُ مِنْ  
الْبُنْيَانِ وَالْهَيْئَاتِ كُلِّ الدِّيَارِ وَالْمَسَاكِينِ كَدْيَارِ تَمُودَ الشَّجُورَةِ فِي الصَّلْدِ مِنَ الصَّخْرِ يُدَوُّونَ  
صَوَارًا وَأَبْوَابَهَا ضَيِّقَةً وَقَدْ أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّهَا دِيَارُهُمْ وَنَهَى عَنْ اسْتِعْمَالِ  
مِيَاهِهِمْ وَطَرَحَ مَا عُجِنَ بِهِ وَأَهْرَقَ وَقَالَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا  
أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ وَكَذَلِكَ أَرْضُ عَادٍ وَمِصْرَ وَالشَّامِ وَسَائِرُ  
بِقَاعِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَالْحَقُّ مَا قَرَّرْنَاهُ وَمِنْ آثَرِ الدُّوَلِ أَيْضًا حَالُهَا فِي الْأَعْرَاسِ  
وَأَوَّلَانِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي وَلِيَّةِ بُورَانَ وَصَنِيعِ الْحَبَّاجِ وَابْنِ ذِي النُّونِ وَقَدْ مَرَّ



ذَلِكَ كُلُّهُ وَمِنْ أَثَرِهَا أَيْضًا عَطَايَا الدُّوَلِ وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَتِهَا وَيُظْهَرُ ذَلِكَ  
 فِيهَا وَلَوْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْهَرَمِ فَإِنَّ إِلَهُمَ الَّتِي لِأَهْلِ الدَّوَلَةِ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ مُلْكِهِمْ  
 وَعَلَيْهِمْ لِلنَّاسِ وَالْإِلَهُمُ لَا تَرَالُ مُصَاحِبَةٌ لَهُمْ إِلَى أَنْتِقَاضِ الدَّوَلَةِ وَاعْتِبَرُ ذَلِكَ بِجَوَازِ  
 ابْنِ ذِي يُونُسَ لَوْفِدِ قُرَيْشٍ كَيْفَ أَعْطَاهُمْ مِنْ أَرْطَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَعْبُدِ  
 وَالْوَصَائِفِ عَشْرًا عَشْرًا وَمِنْ كَرِشِ الْعَبَرِ وَاحِدَةً وَأَضْفَ ذَلِكَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهِ  
 لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَإِنَّمَا مُلْكُهُ يَوْمَئِذٍ قَرَارَةٌ أَلِيَمِنَ خَاصَّةً تَحْتَ اسْتِبدَادِ فَارِسَ وَإِنَّمَا حَمَلُهُ  
 عَلَى ذَلِكَ هِمَّةٌ نَفْسِهِ بِمَا كَانَ لِقَرْمِهِ التَّابِعَةِ مِنَ الْمُلْكِ فِي الْأَرْضِ وَالْغَلْبِ عَلَى الْأُمَمِ  
 فِي الْعِرَاقَيْنِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ وَكَانَ الصَّنَهَاجِيُّونَ بِأَفْرِيقَةٍ أَيْضًا إِذَا أَجَازُوا الْوَفْدَ مِنْ  
 أُمَرَاءِ زَنَاطَةِ الْوَافِدِينَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّمَا يُعْطُونَهُمُ الْمَالُ أَتْمَالًا وَالْكِسَاءُ تُخْرَتًا مَمْلُوءَةً  
 وَالْحَمَلَاتِ جَنَائِبَ عَدِيدَةً وَفِي تَرْيُخِ ابْنِ الرَّفِيقِ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ  
 كَانَ عَطَاءُ الْبَرَامِكَةِ وَجَوَازُهُمْ وَنَفَقَاتُهُمْ وَكَانُوا إِذَا كَسَبُوا مُعْدِمًا فَإِنَّمَا هُوَ الْوِلَايَةُ  
 وَالنِّعْمَةُ آخِرَ الدَّهْرِ لَا الْعَطَاءُ الَّذِي يَسْتَنْفِذُهُ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرَةٌ مَنْطُورَةٌ وَهِيَ كُلُّهَا عَلَى نِسْبَةِ الدُّوَلِ جَارِيَةٌ هَذَا جَوْهَرُ الصِّلَافِيِّ الْكَاتِبِ  
 قَائِدُ جَيْشِ الْعَبَسِيِّينَ لَمَّا ارْتَحَلَ إِلَى فَتْحِ مِصْرَ اسْتَعَدَّ مِنَ الْقَيْدَوَانِ بِأَلْفِ حِمْلٍ مِنْ  
 الْمَالِ وَلَا تَنْتَهِي الْيَوْمَ دَوْلَةٌ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَكَذَلِكَ وَجَدَ يَحْطِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ  
 عَبْدِ الْحَمِيدِ عَمَلٌ بِمَا يَحْبِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ بِبَغْدَادَ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاجِي  
 نَقْلَتْهُ مِنْ جَوَابِ الدَّوَلَةِ (عَلَاتِ السَّوَادِ) سَبْعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِيَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ أَحْلَالِ النَّجْرَانِيَّةِ مِائَتًا حِلَّةً وَمِنْ طِينِ الْحِمْرِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ  
 رِطْلًا (كَنْكَر) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (كُورْد حِلَّة) عَشْرُونَ  
 أَلْفَ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَةَ دَرَاهِمٍ (حُلْوَان) أَرْبَعَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 (الْأَهْوَازِ) خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَمِنْ السُّكَّرِ ثَلَاثُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (فَارِس) سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنْ مَاءِ الْوَرْدِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 قَارُورَةٍ وَمِنْ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (سُكْرَمَان) أَرْبَعَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَمِائَتَا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنْ السَّاعِ الْيَمَانِيِّ خَمْسِيَةَ ثَوْبٍ وَمِنْ الشَّرِّ عِشْرُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (مُكْرَان) أَرْبَعِيَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّةً (السُّنْدُ وَمَا يَلِيهِ) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ

ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن اللود الهندي مائة وخمسون رطلا  
 ( سجستان ) أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلاثمائة ثوب ومن  
 الفانيد عشرون رطلا ( خراسان ) ثمانية وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن نقر  
 الفضة ألفا نقرة ومن البراذين أربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع  
 عشرون ألف ثوب ومن الإهليلج ثلاثون ألف رطل ( جرجان ) اثنا عشر ألف  
 ألف درهم مرتين ومن الإبريسم ألف شقة ( قوس ) ألف ألف مرتين وخمسمائة  
 من نقر الفضة ( طبرستان والروبان ونهاوند ) ستة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف  
 ومن الفرش الطبري ستمائة قطعة ومن الأكسية مائتان ومن الثياب خمسمائة ثوب  
 ومن المتاديل ثلاثمائة ومن الخبامات ثلاثمائة ( الري ) اثنا عشر ألف ألف درهم  
 مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل ( همدان ) أحد عشر ألف ألف درهم  
 مرتين وثلاثمائة ألف ومن رب الرمان ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل  
 ( ما بين البصرة والكوفة ) عشرة آلاف ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم  
 ( ماسبدان والدينار <sup>(١)</sup> ) أربعة آلاف ألف درهم مرتين ( شهرزور ) ستة آلاف  
 ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم ( الموصل وما يليها ) أربعة وعشرون ألف  
 ألف درهم مرتين ومن العسل الأبيض عشرون ألف ألف رطل ( أذربيجان ) أربعة  
 آلاف ألف درهم مرتين ( الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات ) أربعة وثلاثون ألف  
 ألف درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف زق ومن  
 البراة <sup>(٢)</sup> عشرة ومن الأكسية عشرون ( ارمينية ) ثلاثة عشر ألف ألف درهم  
 مرتين ومن البسط <sup>(٣)</sup> المحفور عشرون ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا ومن  
 المسايح السور ما هي عشرة آلاف رطل ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن  
 الغلال مائتان ومن الميرة ثلاثون ( قنسرين ) أربعمائة ألف دينار ومن الزيت ألف  
 حمل ( دمشق ) أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار ( الاردن ) سبعة  
 وتسعون ألف دينار ( فلسطين ) ثلاثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن

(١) قوله والدينار والظاهر انها الدينور وفي الترجمة التركية ماسبدان وربان اه (٢) قوله ومن  
 البراة في التركية ومن السكر عشرة متاديق اه (٣) وفي نسخة البسط



الرَّيْتِ ثَلَاثِيَّةَ أَلْفِ رِطْلٍ ( مصر ) أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ وَتِسْعِيَّةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ  
أَلْفَ دِينَارٍ ( برقة ) أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ ( افريقية ) ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْبَسِطِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ ( اليمن ) ثَلَاثِيَّةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ  
سِوَى الْمَتَاعِ ( الحجاز ) ثَلَاثِيَّةَ أَلْفِ دِينَارٍ أَنْتَهَى وَأَمَّا الْأَنْدَلُسُ فَأَلَّذِي ذَكَرَهُ  
الْبِقَاتُ مِنْ مُوَرِّخِيهَا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ خَلَفَ فِي بُيُوتِ أَمْوَالِهِ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ  
أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَكُونُ جُمْلَتُهَا بِالْقَنَاطِيرِ خَمْسِيَّةَ أَلْفِ قَنْطَارٍ  
وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ تَوَارِيخِ الرَّشِيدِ أَنَّ الْمَحْمُولَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فِي أَيَّامِهِ سَبْعَةُ آلَافِ  
قَنْطَارٍ وَخَمْسِيَّةَ قَنْطَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي نِسْبِ الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَلَا  
تَنْكِرَنَّ مَا لَيْسَ بِمَعْهُودٍ عِنْدَكَ وَلَا فِي عَصْرِكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْثَالِهِ فَتَضَيِّقَ حَوْصَلَتَكَ عِنْدَ مُلْتَقَطِ  
الْمُسْكِنَاتِ فَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِرِ إِذَا سَمِعُوا أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنِ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ  
بَادَرُوا بِالْإِنْكَارِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الصَّوَابِ فَإِنَّ أَحْوَالَ الْوُجُودِ وَالْعُمُرَانِ مُتَاوَتَةٌ وَمَنْ  
أَدْرَكَ مِنْهَا رُتَبَةً سُفْلَى أَوْ وَسْطَى فَلَا يَحْضُرُ الْمَدَارِكُ كُلُّهَا فِيهَا وَنَحْنُ إِذَا اعْتَبَرْنَا مَا  
يَنْقَلُ لَنَا عَنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَنِي أُمَيَّةٍ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَنَاسَبْنَا الصَّحِيحَ مِنْ ذَلِكَ وَالَّذِي  
لَا شَكَّ فِيهِ بِالَّذِي نَشَاهِدُهُ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ الَّتِي هِيَ أَقَلُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا وَجَدْنَا بَيْنَهَا يُونًا  
وَهُوَ لِمَا بَيْنَهَا مِنَ التَّفَاوُتِ فِي أَصْلِ قُوَّتَيَا وَعُمُرَانِ تَمَالِكِيهَا فَالْآثَارُ كُلُّهَا جَارِيَةٌ عَلَى  
نِسْبَةِ الْأَصْلِ فِي الْقُوَّةِ كَمَا قَدَمْنَا وَلَا يَسَعُنَا إِنْكَارُ ذَلِكَ عَنْهَا إِذْ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ  
الْأَحْوَالِ فِي غَايَةِ الشُّوْرَةِ وَالْوُضُوحِ بَلْ فِيهَا مَا يُلْحَقُ بِالنُّسْتَفِيزِ وَالْمُتَوَاتِرِ وَفِيهَا  
الْمُعَايِنُ وَالْمُشَاهِدُ مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ فَخُذْ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمَشْقُولَةِ مَرَاتِبَ الدُّوَلِ  
فِي قُوَّتِهَا أَوْ ضَعْفِهَا وَضَخَامَتِهَا أَوْ صِغَرِهَا وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا نَقَّضَهُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ  
الْمُسْتَظَرَفَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَرَدَ بِالْمَغْرِبِ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي مُرَّةٍ  
رَجُلٌ مِنْ مَشِيخَةِ طَنْجَةَ يُعْرَفُ بِأَبْنِ بَطْرُوطَةَ <sup>(١)</sup> كَانَ رَجُلٌ مِنْدُ عِشْرِينَ سَنَةً قَبْلَهَا  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَقَلَّبَ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ وَالْهِنْدِ وَدَخَلَ مَدِينَةَ دِهْلِي حَاضِرَةَ مَلِكِ  
الْهِنْدِ وَهُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهٍ وَاتَّصَلَ بِمَلِكِهَا لِذَلِكَ الْعَوْدِ وَهُوَ فَيُوزُجُوهُ وَكَانَ لَهُ مِنْهُ  
مَكَانٌ وَاسْتَعْمَلَهُ فِي خِطَّةِ الْقَضَاءِ بِمَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ فِي عَمَلِهِ ثُمَّ انْقَلَبَ إِلَى الْمَغْرِبِ

(١) كان اجلاء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانشاؤها سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة ٧ كراريس اهـ

وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَيْنَانَ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِ رِحْلَتِهِ وَمَا رَأَى مِنْ الْعَجَائِبِ  
بِمَمْلَكَةِ الْأَرْضِ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ دَوْلَةِ صَاحِبِ الْهِنْدِ وَيَأْتِي مِنْ أحوَالِهِ  
بِمَا يَسْتَعْرِبُهُ السَّامِعُونَ مِثْلَ أَنَّ مَلِكَ الْهِنْدِ إِذَا خَرَجَ إِلَى السَّفَرِ أَحْصَى أَهْلَ مَدِينَتِهِ  
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَفَرَضَ لَهُمْ رِزْقَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهِ وَأَنَّهُ  
عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَفَرِهِ يَدْخُلُ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ يَبْرُزُ فِيهِ النَّاسُ كَافَّةً إِلَى صُحْرَاءِ الْبَلَدِ  
وَيَطُوفُونَ بِهِ وَيُنْصَبُ أَمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْحَقْلِ مَنْجَنِيقاتٌ عَلَى الظُّورِ تُرْمَى بِهَا سُكَّاتُ  
الدَّرَاهِمِ وَالْدَّنَانِيرِ عَلَى النَّاسِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ إِيوَانَهُ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ فَتَسَاحِي  
النَّاسُ بِتَكْذِيبِهِ وَلَقِيتُ أَيَّامُنِي وَزِيرَ السُّلْطَانِ فَارِسَ بْنِ وَرْدَارَ الْبَعِيدِ الْبَصِيَّتِ  
فَقَاوَضْتُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَأَرَيْتُهُ أَنْكَارَ أَخْبَارِ ذَلِكَ الرَّجُلِ لِمَا اسْتَفَاضَ فِي النَّاسِ  
مِنْ تَكْذِيبِهِ فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ فَارِسُ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَكْبِرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ أحوَالِ الدُّوَلِ  
بِمَا أَنَّكَ لَمْ تَرَهُ فَتَكُونَ كَأَنَّ الْوَزِيرَ النَّاشِيءَ فِي السِّجْنِ وَذَلِكَ أَنَّ وَزِيرًا اعْتَقَلَهُ  
سُلْطَانُهُ وَمَكَثَ فِي السِّجْنِ سِنِينَ رُبِّيَ فِيهَا أَبْنُهُ فِي ذَلِكَ التَّحْسِينِ فَلَمَّا أُدْرِكَ وَعَقِلَ  
سَأَلَ عَنِ اللَّحْمَانِ الَّتِي كَانَ يَتَعَذَّى بِهَا فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ هَذَا لَحْمُ الْغَنَمِ فَقَالَ وَمَا الْغَنَمُ فَيَصِفُهَا  
لَهُ أَبُوهُ بِشَيَاطِينِهَا وَنُعُوتِهَا فَيَقُولُ يَا أَبَتِ تَرَاهَا مِثْلَ الْفَارِ فَيَنْكِرُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أَيْنَ الْغَنَمُ  
مِنَ الْفَارِ وَكَذًا فِي لَحْمِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ إِذْ لَمْ يُعَايِنِ فِي مَحْبِسِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا الْفَارَ  
فَيَحْسِبُهَا كُلَّهَا أَبْنَاءَ جَنْسِ الْفَارِ وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يَعْتَرِي النَّاسَ فِي الْأَخْبَارِ كَمَا يَعْتَرِيهِمْ  
الْوَسْوَاسُ فِي الزِّيَادَةِ عِنْدَ قَصْدِ الْإِغْرَابِ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ أَوَّلَ الْكِتَابِ فَلْيَرْجِعِ  
الْإِنْسَانُ إِلَى أَصُولِهِ وَلْيَكُنْ مُهَيِّئًا عَلَى نَفْسِهِ وَتَمَيِّزًا بَيْنَ طَبِيعَةِ الْمُتَمَكِّنِ وَالْمُسْتَمْتِعِ  
بِصَرِيحِ عَقْلِهِ وَمُسْتَقِيمِ فِطْرَتِهِ فَمَا دَخَلَ فِي نِطَاقِ الْإِمْكَانِ قَبْلَهُ وَمَا خَرَجَ عَنْهُ رَفْضُهُ  
وَلَيْسَ مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ الْعَقْلِيَّ الْمُطْلَقَ فَإِنَّ نِطَاقَهُ أَوْسَعُ شَيْءٍ فَلَا يُفَرِّضُ حَدًّا بَيْنَ  
الْوَاقِعَاتِ وَإِنَّمَا مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ بِحَسَبِ الْمَادَّةِ الَّتِي لِلشَّيْءِ فَإِنَّمَا إِذَا نَظَرْنَا أَصْلَ الشَّيْءِ  
وَجِنْسَهُ وَصِنْفَهُ وَمِقْدَارَ عِظَمِهِ وَقُوَّتِهِ أَجْرَيْنَا الْحُكْمَ مِنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ عَلَى أحوَالِهِ  
وَحَكَمْنَا بِالْإِمْتِنَاعِ عَلَى مَا خَرَجَ مِنْ نِطَاقِهِ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ  
وَاللَّهُ مُبْدِيَانُهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ



## الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين  
 اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهوراؤه  
 على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته  
 وجباية أمواله لأنهم أعوانه على القلب وشركاؤه في الأمر ومساهموه في سائر مهنتاته  
 هذا ما دام الطور الأول للدولة كما قلناه فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد  
 عنهم والإنفراد بالمجد ودافعهم عنه بالمرح صاروا في حقيقة الأمر من بغض  
 أعدائه وأحتاج في مدافعهم عن الأمر وصديهم عن المشاركة إلى أولياء آخرين من  
 غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب إليه من سائرهم  
 وأخص به قربا وأصطناعا وأولى إثارا وجاها لما أنهم يستشيئون دونه في مدافعة  
 قومه عن الأمر الذي كان لهم والرتبة التي ألقوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب  
 الدولة ويخصهم بتريده التكرمة والإيثار ويقسم لهم مثل ما لكثير من قومه ويقلدتهم  
 جليل الأعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه وتكون  
 خالصة له دون قومه من ألقاب المملكة لأنهم حينئذ أولياؤه الأقربون ونصحاؤه  
 المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتظام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد  
 العصبية التي كان بناء القلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حينئذ من الإمتحان وعداوة  
 السلطان فيضطعنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبأل ذلك على الدولة ولا يطمع  
 في برئها من هذا الداء لأنه ما مضى يتأكد في الأعقاب إلى أن يذهب رسمها واعتبر  
 ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولايات أعمالهم  
 برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن زياد بن أبي سفيان  
 والحجاج بن يوسف والتهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة  
 وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم  
 من رجالات العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضا  
 برجالات العرب فلما صارت الدولة للإنفراد بالمجد وكبح العرب عن الطاول  
 للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني

طَاهِرٌ ثُمَّ بَنِي يُؤَيَّةَ وَمَوَالِي الذُّكْرِ مِثْلَ بَنَاتِ وَوَصِيْبٍ وَأَنْلَشٍ وَبَاكِتَاكَ وَأَبْنِ طُولُونَ  
وَأَبْنَانِهِمْ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ فَتَكُونُ الدَّوْلَةُ لِقَوْمٍ مِنْ مَهْدَهَا وَالْعِزُّ لِقَوْمٍ مِنْ  
أَجَلِّهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَقَدْ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في احوال الموالى والمصطنعين في الدول

إِعْلَمُ أَنَّ الْمُصْطَنِعِينَ فِي الدُّوَلِ يَتَقَاوَتُونَ فِي الْإِلْتِحَامِ بِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ بِتَقَاوُتِ  
قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ فِي الْإِلْتِحَامِ بِصَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ التَّعَرُّدَ فِي الْعَصِيَّةِ مِنْ  
الْمُدَافَعَةِ وَالْمُنَاقَبَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالنَّسَبِ لِأَجْلِ التَّنَاصُرِ فِي ذَوِي الْأَرْحَامِ وَالْقُرْبَى وَالْتِحَاطِ  
فِي الْأَجَانِبِ وَالْبُعْدَاءِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَالْوِلَايَةُ وَالْمُخَالَفَةُ بِالرَّقْدِ أَوْ بِالْخَلْفِ تَنْزِلُ مَثَرَةً  
ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ النَّسَبِ وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا فَإِنَّمَا هُوَ وَهْيٌ وَالْمَعْنَى الَّذِي كَانَ بِهِ الْإِلْتِحَامُ  
إِنَّمَا هُوَ الْعِشْرَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَطَوْلُ الْمُنَاسَرَةِ وَالصُّحْبَةِ بِالْقُرْبَى وَالرِّضَاعِ وَسَائِرِ  
أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَإِذَا حَصَلَ الْإِلْتِحَامُ بِذَلِكَ جَاءَتِ الثَّرْوَةُ وَالتَّنَاصُرُ وَهَذَا مُشَاهِدٌ  
بَيْنَ النَّاسِ وَاعْتَبِرْ مِثْلَهُ فِي الْأَصْطِنَاعِ فَإِنَّهُ يَحْدُثُ بَيْنَ الْمُصْطَنِعِ وَمَنْ أَصْطَنَعَهُ نِسْبَةً  
خَاصَّةً مِنَ الْوُصْلَةِ تَنْزِلُ هَذِهِ الْمَثَرَةُ وَتُؤَكِّدُ اللَّحْمَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسَبٌ فَشَرَاتِ  
النَّسَبِ مَوْجُودَةٌ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْوِلَايَةُ بَيْنَ الْقَبِيلِ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِمْ قَبْلَ حُصُولِ الْمُلْكِ  
لَهُمْ كَانَتْ عُزُوفُهَا أَوْشَجَ وَتَعَانِدُهَا أَصَحَّ وَنَسَبُهَا أَمْرَحَ لِأَجْنَحِينَ أَحَدُهَا أَنَّهُمْ قَبْلَ  
الْمُلْكِ أَسْرَةٌ فِي حَالِهِمْ فَلَا يَتَمَيَّزُ النَّسَبُ عَنِ الْوِلَايَةِ إِلَّا عِنْدَ الْأَقْلِ مِنْهُمْ فَيَتَنَزَّلُونَ  
مِنْهُمْ مَثَرَةً ذَوِي قَرَابَتِهِمْ وَأَهْلُ أَرْحَامِهِمْ وَإِذَا أَصْطَنَعُوهُمْ بَعْدَ الْمُلْكِ كَانَتْ مَرْتَبَةُ  
الْمُلْكِ مُنْمِرَةً لِلسَّيِّدِ عَنِ الْمَوْلَى وَلِأَهْلِ الْقَرَابَةِ عَنِ أَهْلِ الْوِلَايَةِ وَالْأَصْطِنَاعِ لِمَا  
تَقْضِيهِ أَحْوَالُ الرِّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ مِنْ تَمَيُّزِ الرُّتَبِ وَتَقَاوُتِهَا فَتَمَيَّزُ حَالَتُهُمْ وَيَتَنَزَّلُونَ  
مَثَرَةً الْأَجَانِبِ وَيَكُونُ الْإِلْتِحَامُ بَيْنَهُمْ أَضْعَفَ وَالتَّنَاصُرُ لِذَلِكَ أَبْعَدَ وَذَلِكَ أَنْقَصَ  
مِنَ الْإِصْطِنَاعِ قَبْلَ الْمُلْكِ . الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ الْأَصْطِنَاعَ قَبْلَ الْمُلْكِ يَبْعُدُ عَمْدَهُ عَنِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ بِطَوْلِ الزَّمَانِ وَيُخْفِي شَأْنَ تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَيُظَنُّ بِوَافِي الْأَكْثَرِ النَّسَبِ  
فَيَقْوَى حَالُ الْعَصِيَّةِ وَأَمَّا بَعْدَ الْمُلْكِ فَيَقْرُبُ الْعَوْدُ وَيَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ الْأَكْثَرُ فَتَتَبَيَّنُ  
اللَّحْمَةُ وَتَتَمَيَّزُ عَنِ النَّسَبِ فَتَضَعُ الْعَصِيَّةُ بِالنَّسَبِ إِلَى الْوِلَايَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ



الدولة واعتبر ذلك في الدول والرئاسات تجده فكل من كان أصطناعه قبل حصول  
الرئاسة والملك لمصطنعه تجده أشد الإحكام به وأقرب قرابة إليه ويتنزل منه منزلة  
أبنائه وإخوانه وذوي رحمه ومن كان أصطناعه بعد حصول الملك والرئاسة لمصطنعه  
لا يكون له من القرابة واللحمة ما للأولين وهذا مشاهد بالبيان حتى إن الدولة في  
آخر عمرها ترجع إلى استعمال الأجانب وأصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناء  
المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بأوليئهم ومشاركة الدولة على الإنقراض  
فيكونون منخطين في مهاوي الضمة وإنما يحيل صاحب الدولة على أصطناعهم  
والعدول إليهم عن أوليائها الأقدمين وصنائعها الأولين ما يعتريهم في أنفسهم من  
العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة يا ينظره به قبيلة وأهل نسبه لتأكده  
اللحمة منذ العصور المتطاولة بالتربى والاتصال بابائهم وسلف قومه ولانظام مع  
كبراء أهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه وأعتزاز فينافرهم بسببها صاحب الدولة  
ويتعدل عنهم إلى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم وأصطناعهم قريباً فلا  
يلغون رتب المجد ويقون على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في أواخرها  
وأكثر ما يظلم اسم الصنائع والأولياء على الأولين وأما هؤلاء المحدثون فخدم  
وأعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شيء وكيل

### الفصل الحادي والعشرون

فما يعرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القليل القائمين بالدولة  
وأنفردوا به ودفعوا سائر القليل عنه وتداوله بذوهم واحداً بعد واحد بحسب الترشيع  
فربما حدث التغلب على المنصب من وراثتهم وحاشيتهم وسببه في الأكثر ولاية  
صبي صغير أو مضغف من أهل المنبت يترشح للولاية بعهد أبيه أو بترشيح ذويه  
وخوله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وراء أبيه وحاشيته  
ومواليه أو قبيلة ويؤري يحظر أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك  
ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده إليها ترف أحواله ويسيه في مراعيها  
متى أمكنه ويؤسسه النظر في الأمور السلطانية حتى يستبد عليه وهو يا عوده يعتقد

أَنَّ حَظَّ السُّلْطَانِ مِنَ الْمُلْكِ إِنَّمَا هُوَ جُلُوسُ السَّرِيرِ وَإِعْطَاءُ الصَّفَقَةِ وَخِطَابُ التَّهْوِيلِ وَالْعُقُودُ مَعَ النِّسَاءِ خَلْفَ الْحِجَابِ وَأَنَّ الْحَلَ وَالرَّبْطَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَمُبَاشَرَةَ الْأَحْوَالِ الْمُلُوكِيَّةِ وَتَقْدِيمَهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجَيْشِ وَالْمَالِ وَالشُّعُورِ إِنَّمَا هُوَ لِلْوَزِيرِ وَيُسَلِّمُ لَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَسْتَحْكِمَ لَهُ صِبْغَةُ الرِّئَاسَةِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَيَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ إِلَيْهِ وَيُؤَثِّرَ بِهِ عَشِيرَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ مِنْ تَعْدِهِ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي بُؤَيْهِ وَالثُّرَكِ وَكَافُورِ الْأَنْخِشِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَدْ يَتَقَطَّنُ ذَلِكَ الْمَحْجُورُ الْمُغْلَبُ لِشَأْنِهِ فَيُحَاوِلُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ رِبْقَةِ الْحَجَرِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَيَرْجِعُ الْمُلْكُ إِلَى نَصَابِهِ وَيَضْرِبُ عَلَى أَيْدِي الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِ إِمَّا بِقَتْلِ أَوْ بِرَفْعٍ عَنِ الرُّتْبَةِ فَقَطْ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ فِي النَّادِرِ الْأَقْلَى لِأَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا أَخَذَتْ فِي تَغْلِبِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ اسْتَسَرَّتْ لَهَا ذَلِكَ وَقَلَّ أَنْ تَخْرُجَ عَنْهُ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُوجَدُ فِي الْأَكْثَرِ عَنْ أَحْوَالِ اللَّذِّفِ وَنَشْأَةِ أَبْنَاءِ الْمُلْكِ مِنْغَمِسِينَ فِي نَعِيمِهِ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الرُّجُولَةِ وَالْفُؤَادَ أَخْلَاقَ الدَّيَّانَاتِ وَالْأَظْطَارَ وَرَبُّوا عَلَيْهَا فَلَا يَتَزَعُونَ إِلَى رِئَاسَةٍ وَلَا يَعْرِفُونَ اسْتِبْدَادًا مِنْ تَغْلِبِ إِنَّمَا هُمُّهُمْ فِي الْقُنُوعِ بِالْأُتْبَهَةِ وَالنَّفْسِ فِي اللَّذَّاتِ وَأَنْوَاعِ اللَّذِّفِ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ لِلتَّوَالِي وَالْمُضْطَّعِينَ عِنْدَ اسْتِبْدَادِ عَشِيرَةِ الْمُلْكِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَأَنْفِرَادِهِمْ بِهِ دُونَهُمْ وَهُوَ عَارِضٌ لِلدَّوْلَةِ ضَرُورِيٌّ كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَهَذَانِ مَرَضَانِ لَا بُدَّ لِلدَّوْلَةِ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

### الفصل الثاني والعشرون

في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك وذلك أَنَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ حَصَلَ لِأَوَّلِيهِ مُذْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ بِعَصِيَّةِ قَوْمِهِ وَعَصِيَّةِ أَلِّي اسْتَبَعَتْهُمْ حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ لَهُ وَقَوْمِهِ صِبْغَةُ الْمُلْكِ وَالْقَلْبِ وَهِيَ لَمْ تَرَلْ بَاقِيَةً وَبِهَا أَنْحَظَ رَسْمُ الدَّوْلَةِ وَبَقَاؤُهَا وَهَذَا الْمُتَغْلِبُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ عَصِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ الْمُلْكِ أَوْ التَّوَالِي وَالصَّنَائِعِ فَعَصِيَّتُهُ مُنْدرِجَةٌ فِي عَصِيَّةِ أَهْلِ الْمُلْكِ وَتَابِعَةٌ لَهَا وَلَيْسَ لَهُ صِبْغَةٌ فِي الْمُلْكِ وَهُوَ لَا يُحَاوِلُ فِي اسْتِبْدَادِهِ أَنْتِرَاعَ تَمَرَاتِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَلَ وَالْعَقْدِ وَالْإِبْرَامِ وَالنَّفْضِ يُوْهِمُ فِيهَا أَهْلَ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ عَنْ سُلْطَانِهِ مُنْفِذٌ فِي ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ لِأَحْكَامِهِ فَهُوَ يَتَجَافَى عَنْ مِمَاتِ الْمُلْكِ وَشَارَاتِهِ



وَالْقَابِ بِهِ جُهْدَهُ وَيُبْعِدُ نَفْسَهُ عَنِ التُّهْمَةِ بِذَلِكَ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْإِسْتِبْدَادُ لِأَنَّهُ مُسْتَرَفٍ فِي  
 اسْتِبْدَادِهِ وَذَلِكَ بِالْحِجَابِ الَّذِي ضَرَبَهُ السُّلْطَانُ وَأَوَّلُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنِ الْقَيْلِ مِنْذُ  
 أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَمُخَالَطُهُ عَنْهُ بِالْثِيَابَةِ وَلَوْ تَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ  
 وَقِيلَ الْمَلِكُ وَحَاوَلُوا الْإِسْتِثَارَ بِهِ دُونَهُ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْتَحْكِمْ لَهُ فِي ذَلِكَ صِبْغَةً تَحِيلُهُمْ  
 عَلَى التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْإِثْمِيَادِ فِيهِلِكَ لِأَوَّلِ وَهَلَةٍ وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّاصِرِ  
 بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ حِينَ سَمَا إِلَى مُشَارَكَةِ هِشَامٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فِي لَقَبِ الْخِلَافَةِ وَلَمْ  
 يَقْعُ بِمَا قَبِعَ بِهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مِنَ الْإِسْتِبْدَادِ بِالْخَلِّ وَالْعَقْدِ وَالْمَرَّاسِمِ الْمُسَائِبَةِ فَطَلَبَ  
 مِنْ هِشَامٍ خَلِيفَتَهُ أَنْ يَعْمِدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فَتَفَسَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَنُو مروانَ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ وَبَايَعُوا  
 لِابْنِ عَمِّ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِي ذَلِكَ  
 خَرَابُ دَوْلَةِ الْعَامِرِيِّينَ وَهَلَاكُ الْمُؤَيَّدِ خَلِيفَتِهِمْ وَاسْتَبْدِلَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَعْيَاصِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَى آخِرِهَا وَآخَلَّتْ مَرَّاسِمُ مُلْكِهِمْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

الْمَلِكُ مَنْصِبٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُمَكِّنُ حَيَاتُهُمْ وَوُجُودُهُمْ  
 إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ وَضَرُورِيَّاتِهِمْ وَإِذَا اجْتَمَعُوا دَعَتْ الضَّرُورَةُ  
 إِلَى الْمَعَامَلَةِ وَاقْتِضَاءِ الْحَاجَاتِ وَمَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ إِلَى حَاجَتِهِ بِأَخْذِهَا مِنْ  
 صَاحِبِهَا لِمَا فِي الطَّبِيعَةِ اخْتِوَانِيَّةٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَانِعَةٍ الْآخَرِ  
 عَنْهَا بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ وَالْأَنْتِةِ وَمُقْتَضَى الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ فَيَقَعُ التَّنَازُعُ الْمُفْضِي  
 إِلَى الْمُقَاتَلَةِ وَهِيَ تُؤَدِّي إِلَى الْهَرَجِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِذْهَابِ النَّفْسِ الْمُفْضِي ذَلِكَ إِلَى  
 انْقِطَاعِ النَّوْعِ وَهُوَ بِمَا خَصَّهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ بِالْمَحَافَظَةِ فَاسْتَحَالَ بِقَاوُئِهِمْ قَوْضَى دُونَ  
 حَاكِمِهِمْ يَزْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَاحْتَاوُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى الْوَازِعِ وَهُوَ الْحَاكِمُ  
 عَلَيْهِمْ وَهُوَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ الْمُتَحَكِّمُ وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ  
 الْعَصِيَّةِ لِمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَطَالِبَاتِ كُلَّهَا وَالْمُدَافَعَاتِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَهَذَا الْمَلِكُ  
 كَمَا تَرَاهُ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ تَتَوَجَّهُ نَحْوُهُ الْمَطَالِبَاتُ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْمُدَافَعَاتِ وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ

(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر القاء يقال نفس عليه الشيء كفرح لم يره أهلا له كما في القاموس

من ذلك إلا بالعصيات كما مر والعصيات متاوتة . وكل عصية فلها تحكّم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصية وإننا الملك على الحقيقة لمن يستعيد الرعية ويحيي الأموال ويبعث البعث ويحيي الثور ولا تكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به عصيته عن بعضها مثل حماية الثور أو جاية الأموال أو بعث البعث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة الأغالبه بالقيروان ولماوك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصيته أيضا عن الاستعلاء على جميع العصيات والضرب على سائر الأيدي وكان فوقه حكم غيره فهو أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهؤلاء مثل أمراء النواحي ورؤساء الجوات الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق أعني توجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يديون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيدين وزناتة مع الأمويين تارة والعبيدين تارة أخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الإسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والله القاهر فوق عباده

#### الفصل الرابع والعشرون

في ان ارهاق الخدم مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

إعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجنسه ون حسن شكله أو ملاحه وجهه أو عظم جثمانه أو اتساع عليه أو جودة خطه أو ثوب ذهبه وإننا مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية وهي نسبة بين متسبين فحقيقته السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث إضافته إليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم فإذا كانت هذه الملكة وتوايعها من الجودة بمكان حصل التصود من السلطان على أتم الوجوه فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وإهلاكا لهم ويعود حسن الملكة إلى الرفق فإن الملك إذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات متقيا عن عورات الناس وتغديده ذنوبهم سملهم الخوف والدل ولاذوا منه بالكذب والمكر



وَالْحَدِيثَ فَتَحَلَّقُوا بِهَا وَفَسَدَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ وَرَبَّنَا خَذَاوُهُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ  
وَالْمُدَافَعَاتِ فَفَسَدَتْ الْحِمَايَةُ بِفَسَادِ النِّيَّاتِ وَرَبَّنَا أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ لِذَلِكَ فَتَفْسَدَ الدَّوْلَةُ  
وَيُحْرَبَ السِّيَاحُ وَإِنْ دَامَ أَمْرُهُ عَلَيْهِمْ وَقَهَرُهُ فَسَدَتْ الْمَصِيَّةُ لِمَا قُلْنَا أَوَّلًا وَفَسَدَ السِّيَاحُ  
مِنْ أَصْلِهِ بِالْعَجْزِ عَنِ الْحِمَايَةِ وَإِذَا كَانَ رَفِيقًا بِهِمْ مُتَجَاوِزًا عَنْ سِتْنَاتِهِمْ أَسْتَنَامُوا إِلَيْهِ  
وَلَاذُوا بِهِ وَأَشْرَبُوا مَحَبَّتَهُ وَأَسْتَمَاتُوا دُونَهُ فِي مُطَارَبَةِ أَعْدَائِهِ فَاسْتَقَامَ الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ وَأَمَّا تَوَابِعُ حُسْنِ الْمَلَكَةِ فَهِيَ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ فَالْمُدَافَعَةُ بِنَا  
تَمِّمُ حَقِيقَةَ الْمَلِكِ وَأَمَّا النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانُ لَهُمْ فَمِنْ جُمْلَةِ الرِّفْقِ بِهِمْ وَالنَّظَرِ  
لَهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَهِيَ أَصْلُ كَثِيرٍ مِنَ التَّحَبُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّ قَلْبًا تَكُونُ مَلَكَةُ  
الرِّفْقِ فِي مَنْ يَكُونُ يَقْظًا شَدِيدَ الذِّكَاةِ مِنَ النَّاسِ وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الرِّفْقُ فِي  
الْعَمَلِ وَالْمُسْتَقِيلِ وَأَقْلُ مَا يَكُونُ فِي الْيَقِظِ لِأَنَّهُ يُكَلِّفُ الرَّعِيَّةَ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ لِنُفُوذِ  
نَظَرِهِ فِيمَا وَرَاءَ مَدَارِكِهِمْ وَأِطْلَاعِهِ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ فِي مَبَادِئِهَا بِالْمَعِيَّةِ فَيَهْلِكُونَ  
لِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيرُوا عَلَى سَبِيلِ أَصْحَابِكُمْ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ اشْتَرَطَ الشَّارِعُ  
فِي أَتْلَاحِهِمْ قَلَّةَ الْإِفْرَاطِ فِي الذِّكَاةِ وَمَا خَذَهُ مِنْ قِصَّةِ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ لَمَّا غَزَاهُ  
عُمَرُ عَنِ الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُ لِمَ غَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَجْزُ أَمْ لِيخَانَةٌ فَقَالَ عُمَرُ لَمْ  
أَغْزِلْكَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَحْمِلَ فَضْلَ عَقْلِكَ عَنِ النَّاسِ فَأَخَذَ مِنْ  
هَذَا أَنَّ أَتْلَاحَهُمْ لَا يَكُونُ مُفْرِطَ الذِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِثْلَ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَعُمَرُ  
ابْنُ الْعَاصِ لَمَّا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ التَّعَسُّفِ وَسُوءِ الْمَلَكَةِ وَحَمَلِ الْوُجُودِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي  
طَبْعِهِ كَمَا يَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَالِكِينَ وَتَقَرَّرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْكَيْسَ  
وَالذِّكَاةَ عَيْبٌ فِي صَاحِبِ السِّيَاسَةِ لِأَنَّهُ إِفْرَاطٌ فِي الْفِكْرِ كَمَا أَنَّ الْبَلَادَةَ إِفْرَاطٌ فِي  
الْجُمُودِ وَالطَّرْفَانِ مَذْمُومَانِ مِنْ كُلِّ صِفَةِ إِنْسَانِيَّةٍ وَالْمَحْمُودُ هُوَ التَّوَسُّطُ كَمَا فِي الْكَرَمِ  
مَعَ التَّبَذِيرِ وَالْبُخْلِ وَكَمَا فِي الشَّجَاعَةِ مَعَ الْهَوَجِ وَالْجَنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِهَذَا يُوصَفُ الشَّدِيدُ الْكَيْسِ بِصِفَاتِ الشَّيْطَانِ فَيَقَالُ شَيْطَانٌ وَمُتَشَيْطِنٌ  
وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ

## الفصل الخامس والعشرون

### في معنى الخلافة والامامة

لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْمُلْكِ أَنَّهُ الْاجْتِمَاعُ الضَّرُورِيُّ لِلْبَشَرِ وَمُقْتَضَاهُ التَّعَلُّبُ وَالْقَهْرُ  
الَّذَانِ هُمَا مِنْ آثَارِ الْغَضَبِ وَالْخِيَوَانِيَّةِ كَانَتْ أَحْكَامُ صَاحِبِهِ فِي الْغَالِبِ جَائِزَةً عَنْ  
الْحَقِّ مُبْجَنَةً بَيْنَ تَحْتِ يَدِهِ مِنْ الْخَلْقِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ لِحِمْلِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْغَالِبِ عَلَى  
مَا لَيْسَ فِي طَوْقِهِمْ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ مِنْ اخْتَلَفِ  
وَالسَّلَفِ مِنْهُمْ فَتَعَسَّرُ طَاعَتُهُ لِذَلِكَ وَتَجِيءُ الْعَصِيَّةُ الْمُفْضِيَّةُ إِلَى الْهَرَجِ وَالْقَتْلِ فَوَجِبَ  
أَنْ يُرْجَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوَائِنَ سِيَاسِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ يُسَلِّمُهَا الْكَافَّةُ يَنْقَادُونَ إِلَى أَحْكَامِهَا  
كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَإِذَا خَلَّتِ الدَّوْلَةُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ  
لَمْ يَسْتَبِأْ أَمْرُهَا وَلَمْ يَتِمَّ اسْتِيلَاؤُهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ . فَإِذَا كَانَتْ  
هَذِهِ الْقَوَائِنُ مَفْرُوضَةً مِنَ الْعُقَلَاءِ وَأَكْبَارِ الدَّوْلَةِ وَبُصَرَانِهَا كَانَتْ سِيَاسَةً عَقْلِيَّةً وَإِذَا  
كَانَتْ مَفْرُوضَةً مِنَ اللَّهِ بِشَارِعٍ يُقَرِّرُهَا وَيَشْرَعُهَا كَانَتْ سِيَاسَةً دِينِيَّةً نَافِعَةً فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ دُنْيَاهُمْ فَقَطْ فَإِنَّهَا كُلُّهَا عِبَتْ  
وَبَاطِلٌ إِذْ غَايَتُهَا الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَقُولُ أَفْخِسْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَادًا فَالْمَقْصُودُ  
بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ دِينُهُمُ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ فِي آخِرَتِهِمْ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَجَاءَتْ الشَّرَائِعُ بِحَمْلِهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ  
عِبَادَةٍ وَمُعَامَلَةٍ حَتَّى فِي الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ طَبِيعِيٌّ لِلْاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ فَأَجْرَتُهُ عَلَى  
مَنْهَاجِ الدِّينِ لِيَكُونَ الْكُلُّ مَخُوطًا بِنَظَرِ الشَّارِعِ فَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى الْقَهْرُ وَالتَّعَلُّبُ  
وَإِهْمَالُ الْقُوَّةِ الْعَصِيَّةِ فِي مَرَعَاهَا فَجُورٌ وَعُدْوَانٌ وَمَذْمُومٌ عِنْدَهُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى  
الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى السِّيَاسَةُ وَأَحْكَامُهَا فَمَذْمُومٌ أَيْضًا لِأَنَّهُ نَظَرٌ  
بِغَيْرِ نُورِ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ لِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِصَالِحِ  
الْكَافَّةِ فِيمَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِمْ وَأَعْمَالِ الْبَشَرِ كُلُّهَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي  
مُعَادِهِمْ مِنْ مُلْكٍ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ  
وَأَحْكَامُ السِّيَاسَةِ إِنَّمَا تُطْلَعُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَقَطْ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَمَقْصُودُ الشَّارِعِ بِالنَّاسِ صَلَاحُ آخِرَتِهِمْ فَوَجِبَ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ حَمْلُ الْكَافَّةِ



عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَكَانَ هَذَا الْحُكْمُ لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ قَامَ فِيهِ مَقَامُهُمْ وَهُمْ الْخُلَفَاءُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَأَنَّ الْمَلِكَ الطَّبِيعِيَّ هُوَ جَمْلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى الْغَرَضِ وَالشَّهْوَةِ وَالسِّيَاسِيِّ هُوَ حَمْلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَالْخِلَافَةُ هِيَ حَمْلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ فِي مَصَالِحِهِمُ الْآخِرَوِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ الرَّاجِعَةِ إِلَيْهَا إِذَا أَحْوَالُ الدُّنْيَا تَرَجَّعُ كُلُّهَا عِنْدَ الشَّارِعِ إِلَى اعْتِبَارِهَا بِمَصَالِحِ الْآخِرَةِ فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ خِلَافَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَأَعْتَبَرَهُ هَيْمًا نُورِدُهُ نَمْلِكَ مِنْ بَعْدِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

### الفصل السادس والعشرون

فِي اخْتِلَافِ الْأَمَةِ فِي حُكْمِ هَذَا الْمَنْصِبِ وَشُرُوطِهِ  
وَإِذَا قَدْ بَيَّنَّا حَقِيقَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ وَأَنَّهُ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ تُسَمَّى خِلَافَةً وَإِمَامَةً وَالْقَائِمُ بِهِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامًا فَأَمَّا تَسْمِيَّتُهُ إِمَامًا فَتَشْبِيهُهُ بِإِمَامِ الصَّلَاةِ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَلِهَذَا يُقَالُ الْإِمَامَةُ الْكُبْرَى وَأَمَّا تَسْمِيَّتُهُ خَلِيفَةً فَلِكُونِهِ يَخْلُفُ النَّبِيَّ فِي أُمَّتِهِ فَيُقَالُ خَلِيفَةُ بِإِطْلَاقٍ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَاخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَّتِهِ خَلِيفَةُ اللَّهِ فَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ اقْتِبَاسًا مِنَ الْخِلَافَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لِلَادَمِيِّينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَوْلِهِ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَمَنْعَ الْجَنَّهُورُ مِنْهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ عَنْهُ لَمَّا دُعِيَ بِهِ وَقَالَ لَسْتُ خَلِيفَةَ اللَّهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَنَّ الْإِسْتِخْلَافَ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الْغَائِبِ وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَلَا تُحْتَمُّ إِنْ نَصِبَ الْإِمَامَ وَاجِبٌ قَدْ عُرِفَ وَجُوبُهُ فِي الشَّرْعِ بِاجْتِمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّائِبِينَ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وَقَاتِهِ بَادَرُوا إِلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَسْلِيمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَلَمْ تُتْرَكِ النَّاسُ فَوْضَى فِي عَصْرِ مِنْ الْأَعْصَارِ وَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ إِجْمَاعًا ذَالًا عَلَى وَجُوبِ نَصِبِ الْإِمَامِ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ مُدْرِكَ وَجُوبِهِ الْعَقْلُ وَأَنَّ الْإِجْمَاعَ الَّذِي وَقَعَ إِنَّمَا هُوَ قَضَاءُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فِيهِ قَالُوا وَإِنَّمَا وَجِبَ بِالْعَقْلِ لِضَرُورَةِ الْإِجْمَاعِ لِلْبَشَرِ وَاسْتِحَالَةِ حَيَاتِهِمْ وَوُجُودِهِمْ مُتَمَرِّدِينَ وَمِنْ ضَرُورَةِ

الاجتماع التنازع لأذدحام الأغراض فما لم يكن الحاكم الوازع أفضى ذلك إلى  
أخرج المؤذن بهلاك البشر وأنتطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع  
الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في البشر  
وقد نبهنا على فسادِه وأن إحدى مقدماتِه أن أوازع إنما يكون بشرع من الله تسلم  
له الكافة تسلم إيمان واعتقاد وهو غير مسلم لأن أوازع قد يكون بسطوة الملك  
وقر أهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في أمم الجوس وغيرهم ممن ليس له  
كتاب أو لم تلبث الدعوة أو تقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بشعير  
الظلم عليه بحكم العقل فأدعاهم أن ارتفع التنازع إنما يكون بوجود الشرع  
هناك ونصب الإمام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود  
الرؤساء أهل الشوكة أو بامتناع الناس عن التنازع وأنظلم فلا ينهض دليلهم  
العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على أن مدرك وجوبه إنما هو بالشرع وهو  
الاجتماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأساً لا  
بالعقل ولا بالشرع منهم الأصم من المعترلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب  
عند هؤلاء إنما هو إمضاء الحكم الشرع فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ  
أحكام الله تعالى لم يحتاج إلى إمام ولا يجب نصبه وهؤلاء معجوبون بالاجتماع  
والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفوار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة  
والغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممثلة بدم ذلك والتعير على أهله  
ومرغبة في رفضه وأعلم أن الشرع لم يدم الملك لذاته ولا خطر القيام به وإنما دم  
المناسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتعير بالذات ولا شك أن في هذه مفاسد  
مخظورة وهي من توابعها كما أثنى على العدل والنصفة وإقامة مراسم الدين والذب  
عنه وأوجب بإزائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فإذا وقع الذم للملك  
على صفة وحال دون حال أخرى ولم يدمه لذاته ولا طلب تركه كما دم الشهوة  
والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لدعاية الضرورة إليهما وأما  
المراد تضریفهما على مقتضى الخبر وقد كان لداود وسليمان صاوات الله وسلامه  
عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده



ثُمَّ نَقُولُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الْفِرَارَ عَنِ الْمُلْكِ بَعْدَمِ وَجُوبِ هَذَا النَّصْبِ لَا يُغْنِيكُمْ شَيْئًا لِأَنَّكُمْ  
مُورِثُونَ عَلَى وَجُوبِ إِقَامَةِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَذَلِكَ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَالشُّوْكَةِ  
وَالْعَصِيَّةِ مُتَقَضِيَةٌ بِطَاعَتِهَا لِلْمُلْكِ فَيَحْصُلُ الْمُلْكُ وَإِنْ لَمْ يُنْصَبْ إِمَامٌ وَهُوَ عَيْنُ مَا قَرَّرْتُمْ  
عَنْهُ وَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ هَذَا النَّصْبَ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعٍ فَهُوَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ وَرَاجِعٌ  
إِلَى اخْتِيَارِ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْخَلْقِ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ نَصْبُهُ وَيَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا طَاعَتُهُ لِقَوْلِهِ  
تَعَالَى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَأَمَّا سُرُوطُ هَذَا النَّصْبِ فَهِيَ  
أَرْبَعَةُ الْعِلْمُ وَالْعَدَالَةُ وَالْكِفَايَةُ وَسَلَامَةُ الْخَوَاصِّ وَالْأَعْضَاءِ بِمَا يُؤَثِّرُ فِي الرَّأْيِ  
وَالْعَمَلِ وَاخْتِلَافٌ فِي شَرْطٍ خَامِسٍ وَهُوَ النَّسَبُ الْقُرْبِيُّ فَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْعِلْمِ فَظَاهِرٌ لِأَنَّهُ  
إِنَّمَا يَكُونُ مُتَقَدِّمًا لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمْهَا لَا يَصِحُّ تَقْدِيرُهُ  
لَهَا وَلَا يَكْفِي مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا لِأَنَّ التَّغْلِيدَ نَقْصٌ وَالْإِمَامَةُ تَسْتَدْعِي  
الْكَمَالَ فِي الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ وَأَمَّا الْعَدَالَةُ فَلِأَنَّهُ مَنْصِبٌ دِينِيٌّ يَنْظَرُ فِي سَائِرِ  
الْمَنَاصِبِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلَى بِاشْتِرَاطِهَا فِيهِ وَلَا خِلَافَ فِي انْتِفَاءِ الْعَدَالَةِ فِيهِ  
مِنْ أَجْزَائِهِ مِنْ لَدُنْكَابِ الْمَحْظُورَاتِ وَأَمَّا عَالِمًا وَفِي انْتِفَائِهَا بِالْبَدْعِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ  
خِلَافٌ وَأَمَّا الْكِفَايَةُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ جَرِيئًا عَلَى إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاقْتِحَامِ الْحُرُوبِ بِصِدْقٍ  
بِهَا كَفِيلًا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهَا عَارِفًا بِالْعَصِيَّةِ وَأَحْوَالِ الدَّهَاءِ قَوِيًّا عَلَى مُعَانَةِ السِّيَاسَةِ  
لِيَصِحَّ لَهُ بِذَلِكَ مَا يُجِلُّ إِلَيْهِ مِنْ حِمَايَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ وَإِقَامَةِ الْأَحْكَامِ وَتَذْيِيدِ  
الْمَصَالِحِ وَأَمَّا سَلَامَةُ الْخَوَاصِّ وَالْأَعْضَاءِ مِنَ النِّقْصِ وَالْعُطْلَةِ كَالْجُنُونِ وَالْعَمَى وَالصَّمِّ  
وَالْخَرَسِ وَمَا يُؤَثِّرُ فَقَدُهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ فِي الْعَمَلِ كَقَدْرِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَالْأُنْثَيْنِ  
فَتَشْتَرِطُ السَّلَامَةُ مِنْهَا كُلِّهَا لِتَأْثِيرِ ذَلِكَ فِي تَامِ عَمَلِهِ وَقِيَامِهِ بِمَا يُجِلُّ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ  
إِنَّمَا يَشِينُ فِي الْمَنْظَرِ فَقَطْ كَقَدْرِ إِحْدَى هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَشَرَطُ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطُ  
كَمَالِ وَيُلْحَقُ بِفَقْدَانِ الْأَعْضَاءِ الْمَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَهُوَ ضَرْبَانِ ضَرْبٌ يُلْحَقُ بِهِذِهِ فِي  
اشْتِرَاطِ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطٌ وَجُوبٌ وَهُوَ الْقَهْرُ وَالْعَجْزُ عَنِ التَّصَرُّفِ جُمْلَةً بِالْأَمْرِ وَمِثْلِهِ  
وَضَرْبٌ لَا يُلْحَقُ بِهِذِهِ وَهُوَ الْحَجْرُ بِاسْتِيلَاءِ بَعْضِ أَعْوَانِهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَانٍ وَلَا مُشَاقَّةٍ  
فَيَتَنَبَّلُ النَّظَرُ فِي حَالِ هَذَا الْمُسْتَوِيِّ فَإِنْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الدِّينِ وَالْعَدْلِ وَحَمِيدِ  
السِّيَاسَةِ جَازَ قَرَارُهُ وَإِلَّا اسْتَنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ بِمَنْ يَقِضُ يَدَهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَدْفَعُ عِلَّتَهُ

حَتَّى يُنْفَذَ فِعْلُ الْخُلَيْفَةِ وَأَمَّا النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَلِاجْتِمَاعِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ السَّيْفَةِ عَلَى ذَلِكَ  
وَاتَّحَجَّتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْأَنْصَارِ لَمَّا هُمَا يَوْمَئِذٍ بَيْعَةَ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ وَقَالُوا مِنَّا أَمِيرٌ  
وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَثِمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ وَبِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ أَوْصَانَا بِأَنْ نُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِكُمْ وَنَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ وَلَوْ كَانَتْ الْإِمَارَةُ فِيكُمْ  
لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِكُمْ فَحُجُّوا الْأَنْصَارَ وَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ  
وَعَدَلُوا عَمَّا كَانُوا هُمَا بِهِ مِنْ بَيْعَةِ سَعْدٍ لِذَلِكَ وَتَبَتِ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ لَا يَزَالُ هَذَا  
الْأَمْرُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضُفَّ أَمْرُ  
قُرَيْشٍ وَتَلَأَتْ عَصِيَّتُهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنَ الْتَرَفِ وَالنِّعَمِ وَبِأَنَّهُمْ أَنْفَقَتْهُمْ الدَّوْلَةُ فِي سَائِرِ  
أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَجَزُوا بِذَلِكَ عَنْ تَحْمِلِ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ وَصَارَ الْحُلُّ  
وَالْعَقْدُ لَهُمْ فَاسْتَبَدَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ حَتَّى ذَهَبُوا إِلَى تَغْيِيرِ اسْتِثْرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ  
وَعَوَّلُوا عَلَى ظَوَاهِرٍ فِي ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ وُلِيَ  
عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ذُو زَبِيَّةٍ وَهَذَا لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّمْثِيلِ  
وَالْعَرَضِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي إِيْجَابِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَمِثْلَ قَوْلِ عُمَرَ لَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى حَذِيفَةَ  
حَيًّا لَوَلِيْتُهُ أَوْ لَمَّا دَخَلْتَنِي فِيهِ الْظَنَّةُ وَهُوَ أَيْضًا لَا يُفِيدُ ذَلِكَ لِمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَذْهَبَ  
الصَّحَابَةِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ وَأَيْضًا فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَعَصِيَّةُ الْوَلَاءِ حَاصِلَةٌ لِسَالِمٍ فِي قُرَيْشٍ  
وَهِيَ الْفَائِدَةُ فِي اسْتِثْرَاطِ النَّسَبِ وَلَمَّا اسْتَعْظَمَ عُمَرُ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَرَأَى شُرُوطَهَا كَانَتْهَا  
مَقْشُودَةً فِي ظَنِّهِ عَدَلَ إِلَى سَالِمٍ لِتَوْفُرِ شُرُوطِ الْخِلَافَةِ عِنْدَهُ فِيهِ حَتَّى مِنَ النَّسَبِ الْمُنْفِي  
لِلْعَصِيَّةِ كَمَا نَذَرْنَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُرَاحَةُ النَّسَبِ فَرَأَاهُ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ إِذَا لَانِدَّةُ  
فِي النَّسَبِ إِنَّمَا هِيَ الْعَصِيَّةُ وَهِيَ حَاصِلَةٌ مِنَ الْوَلَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ حِرْصًا مِنْ عُمَرَ رِضَى اللَّهُ  
عَنْهُ عَلَى النَّظَرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَقْلِيدِ أَمْرِهِمْ لِمَنْ لَا تَلَحُّهُ فِيهِ لَائِمَةٌ وَلَا عَلَيْهِ فِيهِ عَهْدَةٌ  
وَمِنَ الْقَائِلِينَ بِنَفْيِ اسْتِثْرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ لَمَّا أُذِرِكَ عَلَيْهِ عَصِيَّةُ  
قُرَيْشٍ مِنَ التَّلَاشِيِّ وَالْأَضْيَحَالِ وَاسْتِئْذَادِ مُأْوَكِ الْعَجَمِ مِنَ الْخُلَاءِ فَاسْقَطَ شَرْطَ  
الْقُرَشِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِرَأْيِ الْخَوَارِجِ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ حَالُ الْخُلَفَاءِ لِعَهْدِهِ وَبَقِيَ  
الْجُمْهُورُ عَلَى الْقَوْلِ بِاسْتِثْرَاطِهَا وَصِحَّةِ الْإِمَامَةِ الْقُرَشِيَّةِ وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ الْقِيَامِ بِأُمُورِ  
الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّ عَلَيْهِمْ سُقُوطُ شَرْطِ الْكِفَايَةِ الَّتِي يَتَوَى بِهَا عَلَى أَمْرِهِ لِأَنَّهُ إِذَا ذَهَبَتْ



الشُّوْكَةُ بِذَهَابِ الْعَصِيَّةِ فَقَدْ ذَهَبَتِ الْكَذَابَةُ وَإِذَا وَقَعَ الْإِخْلَالُ بِشَرَطِ الْكِفَايَةِ  
تَطَرَّقَ ذَلِكَ أَيْضًا إِلَى الْعِلْمِ وَالْدِينِ وَسَقَطَ أَعْتِبَارُ شُرُوطِ هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُوَ خِلَافُ  
الْإِجْتِمَاعِ . وَلَنْتَكَلَّمَ الْآنَ فِي حِكْمَةِ اشْتِرَاطِ النَّسَبِ لِيَتَحَقَّقَ بِهِ الصَّرَافُ فِي هَذِهِ  
الْمَذَاهِبِ فَقُولُ . إِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَقَاصِدَ وَحُكْمٍ تَشْتَمِلُ  
عَلَيْهَا وَتُشْرَعُ لِأَجْلِهَا وَنَحْنُ إِذَا بَحَثْنَا عَنْ الْحِكْمَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ الْقُرَشِيِّ وَمَقْصِدِ  
الشَّارِعِ مِنْهُ لَمْ يُقْتَصَرْ فِيهِ عَلَى التَّبَرُّكِ يَوْصَلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هُوَ فِي  
الْمَشْهُورِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْوُصْلَةُ مُوجُودَةً وَالتَّبَرُّكُ بِهَا حَاصِلًا لَكِنَّ التَّبَرُّكَ لَيْسَ مِنْ  
الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ كَمَا عَلِمْتَ فَلَا بُدَّ إِذَنْ مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَهِيَ  
الْمَقْصُودَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّتِهَا وَإِذَا سَبَرْنَا وَقَسَمْنَا لَمْ نَجِدْهَا إِلَّا أَعْتِبَارَ الْعَصِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ  
بِهَا الْحَيَاةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَيُوتَفَعُ الْخِلَافُ وَالْفُرْقَةُ بِوُجُودِهَا لِصَاحِبِ الْمَنْصِبِ فَتَسْكُنُ  
إِلَيْهِ أَلِمَّةُ وَأَهْلُهَا وَيَنْتَظِمُ حُبُّ الْإِلْفَةِ فِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا عِصَّةَ مُضَرَ وَأَصْلَهُمْ  
وَأَهْلَ الْغَلَبِ مِنْهُمْ وَكَانَ لَهُمْ عَلَى سَائِرِ مُضَرَ الْعِزَّةُ بِالْكَثَرَةِ وَالْعَصِيَّةُ وَالشَّرَفُ  
فَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَيَسْتَكِينُونَ لِعَلِيهِمْ فَلَوْ جُلِيَ الْأَمْرُ فِي سِوَاهُمْ  
لَتَوَقَّعَ اقْتِرَاقُ الْكَلِمَةِ بِمُخَالَفَتِهِمْ وَعَدَمُ انْتِيَادِهِمْ وَلَا يَثْبُرُ غَيْرُهُمْ مِنْ قِبَائِلِ مُضَرَ  
أَنْ يَرُدَّهُمْ عَنِ الْخِلَافِ وَلَا يَحْبِلُهُمْ عَلَى الْكُرَّةِ فَتَتَفَرَّقَ الْجَمَاعَةُ وَتَخْتَلِفَ الْكَلِمَةُ  
وَالشَّارِعُ مُخَذَّرٌ مِنْ ذَلِكَ حَرِيصٌ عَلَى اتِّفَاقِهِمْ وَرَفَعَ الشَّارِعُ وَالشَّتَاتِ بَيْنَهُمْ لِيَحْصُلَ  
الْأَلْحَمَةُ وَالْعَصِيَّةُ وَتَحْسُنَ الْحَيَاةُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لِأَنَّهُمْ قَادِرُونَ  
عَلَى سَوْقِ النَّاسِ بَعْضًا الْغَلَبِ إِلَى مَا يُرَادُ مِنْهُمْ فَلَا يُخْشَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ خِلَافِ عَلَيْهِمْ  
وَلَا فُرْقَةٍ لِأَنَّهُمْ كَفِيلُونَ جِينِدٌ بِدَفْعِهَا وَمَنْعِ النَّاسِ مِنْهَا فَأَشْطَرَطَ نَسَبَهُمُ الْقُرَشِيِّ  
فِي هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُمْ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي أَنْتِظَامِ أَلِمَّةٍ وَاتِّفَاقِ  
الْكَلِمَةِ وَإِذَا انْتَضَمَتْ كَلِمَتُهُمْ انْتَضَمَتْ بِأَنْتِظَامِهَا كَلِمَةُ مُضَرَ أَجْمَعَ فَأَذْعَنَ لَهُمْ  
سَائِرُ الْعَرَبِ وَأَتَقَادَتِ الْأُمَمُ سِوَاهُمْ إِلَى أَحْكَامِ أَلِمَّةٍ وَوُطِئَتْ جُودُهُمْ قَاصِيَةَ الْإِلَادِ  
كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ الْفُتُوحَاتِ وَاسْتَسَرَّ بَعْدَهَا فِي الدَّوْلَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَضْمَحَلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ  
وَتَلَاشَتْ عَصِيَّةُ الْعَرَبِ وَيَعْلَمُ مَا كَانَ لِقُرَيْشٍ مِنَ الْكَثَرَةِ وَالْغَلَبِ عَلَى بُطُونِ مُضَرَ  
مِنْ مَارَسِ أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَسِيَرِهِمْ وَتَفْطُنَ لِذَلِكَ فِي أَحْوَالِهِمْ . وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ ابْنَ اسْحَاقَ

فِي كِتَابِ التَّيْرِ وَغَيْرِهِ فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ اشْتِرَاطَ الْقُرْشِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ التَّنَازُعِ بِمَا كَانَ  
 لَهُمْ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْغَلْبِ وَعَلَيْنَا أَنَّ الشَّارِعَ لَا يَخْصُّ الْأَحْكَامَ بِجِيلٍ وَلَا قَصْرٍ وَلَا  
 أُمَّةٍ عَلَيْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْكِفَايَةِ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهَا وَطَرَدْنَا الْعِلَّةَ الشَّشِيلَةَ عَلَى  
 الْمُتَصَوِّدِ مِنَ الْقُرْشِيَّةِ وَهِيَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ فَاشْتَرَطْنَا فِي الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ  
 يَكُونَ مِنْ قَوْمٍ أُولِي عَصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ غَالِبَةٍ عَلَى مَنْ مَعَهَا لِعَضْرِبِهَا إِنْ شِئُوا مِنْ سِوَاهُمْ  
 وَتَجَمُّعِ الْكَلِمَةِ عَلَى حُسْنِ الْحَتَايَةِ وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ كَمَا كَانَ فِي  
 الْقُرْشِيَّةِ إِذِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَامَّةً وَعَصِيَّةُ الْعَرَبِ كَانَتْ  
 وَافِيَةً بِهَا فَغَلَبُوا سَائِرَ الْأُمَمِ وَإِنَّمَا يَخْصُّ لِهَذَا الْعَهْدِ كُلُّ قَطْرِ بِمَنْ تَكُونُ لَهُ فِيهِ الْعَصِيَّةُ  
 الْغَالِبَةُ وَإِذَا نَظَرْتَ سِرَّ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ لَمْ تَعُدْ هَذَا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْخِلَافَةَ  
 نَائِبًا عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِأُمُورِ عِبَادِهِ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَيُرُدَّهُمْ عَنْ مَضَارِهِمْ وَهُوَ  
 مُحَاطَبٌ بِذَلِكَ وَلَا يُحَاطَبُ بِالْأَمْرِ إِلَّا مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ أَلَا تَرَى مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ  
 ابْنُ الْخَطِيبِ <sup>(١)</sup> فِي شَأْنِ النِّسَاءِ وَأَنَّهُنَّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ يُجْعَلْنَ تَبَعًا  
 لِلرِّجَالِ وَلَمْ يَدْخُلْنَ فِي الْخُطَابِ بِالْوَضْعِ وَإِنَّمَا دَخَلْنَ عِنْدَهُ بِالْإِيَّاسِ وَذَلِكَ لَمَّا لَمْ  
 يَكُنْ لَهُنَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَكَانَ الرِّجَالُ قَوَّامِينَ عَلَيْهِنَّ اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي كُلُّ  
 أَحَدٍ فِيهَا قَائِمٌ عَلَى نَفْسِهِ فَيُخَاطَبُ فِيهَا بِالْوَضْعِ لَا بِالْإِيَّاسِ ثُمَّ إِنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِذَلِكَ  
 فَإِنَّهُ لَا يَثُومُ بِأَمْرِ أُمَّةٍ أَوْ جِيلٍ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ وَقُلْ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الشَّرْعِيُّ مُخَالَفًا  
 لِلْأَمْرِ الْوُجُودِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السابع والعشرون

فِي مَذَاهِبِ الشَّيْعَةِ فِي حُكْمِ الْإِمَامَةِ

إَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْعَةَ لُغَةً هُمُ الصَّحْبُ وَالْأَتْبَاعُ وَيُطْلَقُ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ  
 مِنَ الْخَلْفِ وَالسَّلَفِ عَلَى اتِّبَاعِ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَذَاهِبُهُمْ جَمِيعًا مُتَّفِقِينَ عَلَيْهِ  
 أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي تُنَوِّضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ وَيَتَعَيَّنُ الْقَائِمُ بِهَا  
 بِتَعَيُّنِهِمْ بَلْ هِيَ رُكْنُ الدِّينِ وَقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ وَلَا يَجُوزُ لِنَبِيِّ إِخْفَاؤُهُ وَلَا تَفْوِيضُهُ إِلَى  
 الْأُمَّةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ وَيَكُونُ مَعْصُومًا مِنَ الْكِبَايِرِ وَالصَّغَايِرِ وَإِنْ

(١) قوله الامام ابن الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر



عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي عَيَّنَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِنُصُوصٍ يَتَقَالَوْنَهَا وَيُؤْوِلُونَهَا  
 عَلَى مُقْتَضَى مَذْهَبِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا جَهَابُذَةُ السُّنَّةِ وَلَا نَقْلَةُ الشَّرِيعَةِ بَلْ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ  
 أَوْ مَطْعُونٌ فِي طَرِيقِهِ أَوْ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ النَّاسِئِدَةُ وَتَنْقِسُ هَذِهِ النُّصُوصُ عِنْدَهُمْ إِلَى  
 جَلِيٍّ وَخَفِيِّ فَأَخْلِي مِثْلُ قَوْلِهِ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ قَالُوا وَلَمْ تُطْرَدْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ  
 إِلَّا فِي عَلِيٍّ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُمَرُ أَصَبْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمِنْهَا قَوْلُهُ أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ  
 وَلَا مَعْنَى لِلْإِمَامَةِ إِلَّا الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِأُولَى الْأَمْرِ الْوَاجِبَةِ طَاعَتُهُمْ  
 بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَالْمُرَادُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ وَلِهَذَا  
 كَانَ حُكْمًا فِي قَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ يَوْمَ السَّيْفَةِ دُونَ غَيْرِهِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى  
 رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي فَلَمْ يُبَايِعْهُ إِلَّا عَلِيٌّ وَمِنْ أَخْفَى عِنْدَهُمْ بَعَثَ  
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا إِبْرَاءَةَ سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي الْمَوْسِمِ حِينَ أَتَرَلْتُ فَإِنَّهُ بَعَثَ  
 بِهَا أَوَّلًا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ لِيَلْعَنَهُ رَجُلٌ مِنْكَ أَوْ مِنْ قَوْمِكَ فَبَثَ عَلِيًّا لِيَكُونَ  
 الْقَارِيءُ الْمُبَلِّغُ قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ وَأَيْضًا فَلَمْ يُعْرِفْ أَنَّهُ قَدَّمَ أَحَدًا عَلَى  
 عَلِيٍّ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا فِي غَزَوَتَيْنِ أَسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ مَرَّةً وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ  
 أُخْرَى وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدِلَّةٌ شَاهِدَةٌ بِتَعْيِينِ عَلِيٍّ لِلْخِلَافَةِ دُونَ غَيْرِهِ فَبِنَهَا مَا هُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ  
 وَمِنْهَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ عَلِيٍّ  
 وَتَشْخِصِهِ وَكَذَلِكَ تَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْإِمَامِيَّةُ وَيَتَّبِعُونَ مِنَ الشَّيْخِينَ  
 حَيْثُ لَمْ يُقَدِّمُوا عَلِيًّا وَيُبَايِعُوهُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ النُّصُوصِ وَيَغْمِضُونَ فِي إِمَامَتَيْهِمَا وَلَا يُلْتَفَتُ  
 إِلَى نَقْلِ الْقَدَحِ فِيهِمَا مِنْ غُلَاتِهِمْ فَهُوَ مَرْدُودٌ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ وَهَنُهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ  
 الْأَدِلَّةَ إِنَّمَا اقْتَضَتْ تَعْيِينَ عَلِيٍّ بِالْوَصْفِ لَا بِالشَّخْصِ وَالنَّاسُ مُقَصِّرُونَ حَيْثُ لَمْ يَضَعُوا  
 الْوَصْفَ مَوْضِعَهُ وَلَا هُمْ الرِّيْذِيَّةُ وَلَا يَتَّبِعُونَ مِنَ الشَّيْخِينَ وَلَا يَغْمِضُونَ فِي إِمَامَتَيْهِمَا مَعَ  
 قَوْلِهِمْ بِأَنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْهُمَا لَكِنَّهُمْ يُجَوِّزُونَ إِمَامَةَ الْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْأَفْضَلِ ثُمَّ  
 اخْتَلَفَتْ نُقُولُ هَؤُلَاءِ الشَّيْعَةِ فِي مَسَاقِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ عَلِيٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ  
 بِالنَّصِّ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى مَا يَذْكُرُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ الْإِمَامِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى  
 مَقَالَتِهِمْ بِأَسْطَرَاطِ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَتَعْيِينِهِ فِي الْإِيَانِ وَهِيَ أَصْلٌ عِنْدَهُمْ وَهَنُهُمْ مَنْ سَاقَهَا  
 فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ لَكِنْ بِالْإِخْتِيَارِ مَعَ الشُّيُوخِ وَيَشْتَرِطُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مِنْهُمْ عَالِمًا

زَاهِدًا جَوَادًا شَجَاعًا وَيَخْرُجُ دَاعِيًا إِلَى إِمَامَتِهِ وَهُوَ لَهُمُ الرَّيْدِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى صَاحِبِ  
الْمَذْهَبِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّبْطِ وَقَدْ كَانَ يُنَاطِرُ أَخَاهُ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ عَلَى  
أَشْرَاطِ الْخُرُوجِ فِي الْإِمَامِ فَيَلْزِمُهُ الْبَاقِرُ أَنْ لَا يَكُونَ أَبُوهُمَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ إِمَامًا  
لَأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ وَلَا تَعَرَّضْ لِلْخُرُوجِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَتَّبِعِي عَلَيْهِ مَذَاهِبَ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَخَذَهُ  
إِيَّاهَا عَنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ وَلَكِنَّا نَظَرْنَا إِلَى إِمَامِيَّةِ زَيْدٍ فِي إِمَامَةِ الشَّيْخَيْنِ وَرَأَوْهُ يَقُولُ  
بِإِمَامَتِهِمَا وَلَا يَتَّبِعُهُمَا مِنْهُمَا رَفْضُهُ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَبِذَلِكَ سُئِلُوا رَافِضَةً وَمِنْهُمْ  
مَنْ سَأَلَهَا بَعْدَ عَلِيٍّ وَآبِنِيهِ السَّبْطَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَى إِخِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ  
ثُمَّ إِلَى وَلَدِهِ وَهُمْ الْكَيْسَانِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى كَيْسَانَ مَوْلَاهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ اخْتِلَافَاتٌ  
كَثِيرَةٌ تَرَكَّاهَا اخْتِصَارًا وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ يُسَمُّونَ الْغُلَاةَ تَجَاوَزُوا حَدَّ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ  
أَفِي الْقَوْلِ بِأَلُوْهِيَّةِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ إِمَامًا عَلَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ اتَّصَفُوا بِصِفَاتِ الْأَلُوْهِيَّةِ أَوْ أَنَّ  
لِلَّهِ حُلَّ فِي ذَاتِهِ الْبَشَرِيَّةِ وَهُوَ قَوْلٌ بِالْحُلُولِ يُوَافِقُ مَذْهَبَ النَّصَارَى فِي عَيْسَى صَلَوَاتِ  
اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَقَدْ حَرَّقَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ مَنْ ذَهَبَ فِيهِ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَخَّطَ  
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ لَنَا بَلَقَهُ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْهُ فَصَرَّحَ بِلَعْنَتِهِ وَالْبَرَاءَةِ  
مِنْهُ وَكَذَلِكَ فَعَلَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِمَنْ بَلَقَهُ مِثْلُ هَذَا عَنْهُ وَبَيْنَهُمْ  
مَنْ يَقُولُ إِنَّ كَمَالَ الْإِمَامِ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ فَإِذَا مَاتَ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ  
لِيَكُونَ فِيهِ ذَلِكَ الْكَمَالُ وَهُوَ قَوْلٌ بِالتَّاسُخِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ وَاحِدٍ  
مِنَ الْأَئِمَّةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ بِحَسَبِ مَنْ يُعَيِّنُ لِذَلِكَ عَنْدهُمْ وَهُوَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْوَاقِفِيَّةُ  
فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هُوَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ إِلَّا أَنَّهُ غَائِبٌ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَيَسْتَشْهِدُونَ لِذَلِكَ  
بِقِصَّةِ الْخَضِرِ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنَّهُ فِي السَّحَابِ وَالرَّعْدُ صَوْتُهُ  
وَالْبَرْقُ فِي صَوْتِهِ وَقَالُوا مِثْلَهُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَإِنَّهُ فِي جَبَلٍ رَضَوِيٍّ مِنْ أَرْضِ  
الْحِجَازِ وَقَالَ شَاعِرُهُمْ

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ	وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ	هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاءٌ
فَسَبْطٌ سَبْطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ	وَسَبْطٌ غَيْبَتُهُ كَرَبَلَاءُ
وَسَبْطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى	يَقُودَ الْجَيْشَ يَقْدُمُهُ اللِّوَاءُ



تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا يَرْضَوْنَ عِنْدَهُ عَمَلٌ وَمَاءٌ  
 وَقَالَ مِثْلُهُ غُلَاةُ الْإِمَامِيَّةِ وَخُصُوصًا الْإِثْنَا عَشَرِيَّةُ مِنْهُمْ يُزْعَمُونَ أَنَّ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ  
 أَنْبِيَائِهِمْ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْسَنِ الْعَسْكَرِيِّ وَيُلَقَّبُونَهُ الْمَهْدِيَّ دَخَلَ فِي سِرْدَابٍ بِدَارِهِمْ  
 فِي الْحِلَّةِ وَتَغَيَّبَ حِينَ أُعْتُقِلَ مَعَ أُمِّهِ وَغَابَ هُنَاكَ وَهُوَ يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ  
 عَدْلًا يُشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ الْوَاقِعِ فِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ فِي الْمَهْدِيِّ وَهُمْ إِلَى  
 الْآنَ يَنْتَظِرُونَهُ وَيُسَمُّونَهُ الْمُنْتَظَرَ لِذَلِكَ وَيَقْعُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بِبَابِ  
 هَذَا السِّرْدَابِ وَقَدْ قَدَّمُوا مَرَكَبًا فَيَهْتَفُونَ بِأَسْمِهِ وَيَدْعُونَهُ لِلخُرُوجِ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ  
 ثُمَّ يَنْفَضُونَ وَيُزْجُونَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ  
 الْوَاقِفِيَّةِ يَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي مَاتَ يَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَيَسْتَشْهَدُونَ لِذَلِكَ بِمَا  
 وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَقَتِيلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 حِينَ ضُرِبَ بِعِظَامِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِذَبْحِهَا وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنْ الْخَوَارِقِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى  
 طَرِيقِ الْمُعْجِزَةِ وَلَا يَصِحُّ الْإِسْتِشْهَادُ بِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدِ  
 الْحَمِيرِيِّ وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ

إِذَا مَا الْمَرْءُ سَابَ لَهُ قَذَالٌ      وَعَلَّةَ التَّوَاسِطُ بِالْخَضَابِ  
 فَقَدْ ذَهَبَتْ بَقَاشَتُهُ وَأَوْدَى      فَقُمْ يَا صَاحِبَ نَبْكَ عَلَى السَّبَابِ  
 إِلَى يَوْمٍ تَثُوبُ النَّاسُ فِيهِ      إِلَى دُنْيَاهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ  
 فَلَيْسَ بِعَانِدٍ مَا قَاتَ مِنْهُ      إِلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْإِيَابِ  
 أَدِينُ بِأَنَّ ذَلِكَ دِينُ حَقٍّ      وَمَا أَنَا فِي النُّشُورِ بِذِي أَرْتِيَابِ  
 كَذَلِكَ اللَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَاسٍ      حَيُوا مِنْ بَعْدِ دُرُسٍ فِي الثَّرَابِ

وَقَدْ كَفَّانَا مَوْوَنَةً هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ أَنَّهُ الْشَّيْعَةُ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَا وَيُبْطِلُونَ أَحْتِجَاجَاتِهِمْ  
 عَلَيْهَا وَأَمَّا الْكَيْسَانِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُفَيْفَةِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ  
 وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْهَاشِمِيَّةُ ثُمَّ أَفْتَدَوْا فَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ أَحْسَنِ  
 ابْنِ عَلِيٍّ وَآخَرُونَ يُزْعَمُونَ أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ لَمَّا مَاتَ بِأَرْضِ السَّرَاقَةِ مُنْصَرَفًا مِنَ الشَّامِ  
 أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَوْصَى مُحَمَّدٌ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ  
 بِالْإِمَامِ وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِيَّةِ الْمُنَاقِبِ بِالسَّفَاحِ وَأَوْصَى هُوَ

إلى أخيه عبد الله أبي جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت في ولده بالنصر والعهد واحدًا  
بعد واحد إلى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس وكان منهم  
أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الحلال وغيرهم من شيعة العباسية ورثت  
يعضدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس لأنه كان حيًا وقت  
الوفاة وهو أولى بالوراثة بعصية العمومة وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم  
فيها وإنها باختيار أهل الحل والعقد لا بالنصر فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم  
أخيه الحسين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعية  
إلى الإمامة قُتل وُصِب بالكِنَاسَة وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من بعده فمضى  
إلى خراسان وقُتل بأخوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن  
الحسن السبط ويُقال له النفس الركية فخرج بالحجاز وتلقب بالهندي وجاءته عساكر  
المنصور قُتل وعُهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي  
فوجه إليهم المنصور عساكره فهزم وقتل إبراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخبرهم  
بذلك كله . وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم إلى أن الإمام بعد محمد  
بن عبد الله النفس الركية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخو زيد  
ابن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسبق إلى المعتصم فحبسه  
ومات في حبه وقال آخرون من الزيدية إن الإمام بعد يحيى بن زيد هو أخوه  
عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله في قتاله مع منصور ونهّلوا الإمامة في نفيه  
وإليه انتسب دعي الرنج كما نذكره في أخبارهم وقال آخرون من الزيدية إن  
الإمام بعد محمد بن عبد الله أخوه أديس الذي فر إلى المغرب ومات هنالك  
وقام بإمره ابنه أديس وأخطت مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكًا بالمغرب  
إلى أن انقرضوا كما نذكره في أخبارهم وبقي أمر الزيدية بعد ذلك غير منظم  
وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل  
بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة  
في الديلم الناصر الأتروش منهم وأسلوا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن  
ابن علي بن عمر وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبيته بطبرستان دولة وتوصل



الدَّيْلَمُ مِنْ نَسَبِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَالْإِسْتِبدَادِ عَلَى الْخُلَفَاءِ يَبْغَدَادَ كَمَا نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِمْ .  
 وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ مِنْ عَلِيٍّ الرِّضَى إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ بِالْوَصِيَّةِ ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ  
 الْحُسَيْنِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَمِنْ هُنَا أَفْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً سَاقُواهَا إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَيَعْرِفُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالْإِمَامِ  
 وَهُمْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَفِرْقَةً سَاقُواهَا إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْكَاطِمِ وَهُمْ الْأَثْنَا عَشَرِيَّةُ لَوْ قُوفِهِمْ  
 عِنْدَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْأَثْنَةِ وَقَوْلُهُمْ بِغَيْبِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا مَرَّ فَأَمَّا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ  
 فَقَالُوا بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامِ بِالنَّصِّ مِنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ وَفَائِدَةُ النَّصِّ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ وَإِنْ  
 كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ بَقَاءُ الْإِمَامَةِ فِي عَقِبِهِ كَقِصَّةِ هَارُونَ مَعَ مُوسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالُوا ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْإِمَامَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ وَهُوَ أَوَّلُ  
 الْأَثْنَةِ الْمَشْهُورِينَ لِأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ شُرَكَةٌ فَيَسْتَرُ وَتَكُونُ دُعَاؤُهُ  
 ظَاهِرِينَ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَإِذَا كَانَتْ لَهُ شُرَكَةٌ ظُورَ وَأُظْهِرَ دَعْوَتُهُ نَأَوَا وَبَعْدَ  
 مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَبِيبُ وَهُوَ آخِرُ الْمَشْهُورِينَ  
 وَبَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُهْدِيُّ الَّذِي أَظْهَرَ دَعْوَتَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ فِي كِتَابَةِ وَتَتَابَعَ  
 النَّاسُ عَلَى دَعْوَتِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ مُعْتَقَلِهِ بِسِجْلَمَاسَةَ وَمَلِكُ الْقَيْدَوَانِ وَالْمُتَرْبِ وَمَلِكُ  
 بَنْوَهٍ مِنْ بَعْدِ مَضَرٍ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ نِسَبَةً إِلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَةِ  
 إِسْمَاعِيلَ وَيُسَمَّوْنَ أَيْضًا بِالْبَاطِنِيَّةِ نِسَبَةً إِلَى قَوْلِهِمْ بِالْإِمَامِ الْبَاطِنِ أَيْ الْمَشْهُورِ وَيُسَمَّوْنَ  
 أَيْضًا الْمُلْحِدَةَ لِمَا فِي ضَمَنِ مَقَالَتِهِمْ مِنَ الْإِلْعَادِ وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ قَدِيمَةٌ وَمَقَالَاتٌ جَدِيدَةٌ  
 دَعَا إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَمَلِكُ حُطُونَا بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ  
 وَلَمْ تَرَلْ دَعْوَتُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَزَّعَ الْهَلَاكُ بَيْنَ مُلُوكِ التُّرْكِ بِبِضْرٍ وَمُلُوكِ التُّتَرِ بِالْعِرَاقِ  
 فَأَنْقَرَضَتْ وَمَقَالَةٌ هَذَا الصَّبَّاحِ فِي دَعْوَتِهِ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ الْبَلَلِ وَالْتَحَلَ لِشَهْرِ سَنَانِي \*  
 وَأَمَّا الْأَثْنَا عَشَرِيَّةُ فَرُبَّمَا خُصُّوا بِاسْمِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ  
 مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ لَوْ فَاةِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِمَا  
 جَعْفَرٍ فَنَصَّ عَلَى إِمَامَةِ مُوسَى هَذَا ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيٌّ الرِّضَى الَّذِي عَهْدَ إِلَيْهِ التَّائِمُونَ وَمَاتَ  
 قَبْلَهُ فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْقَيِّمُ ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيٌّ الْهَادِي ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ  
 الْعَسْكَرِيِّ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمُهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي قَدَّمَ نَاهُ قَبْلُ وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ

هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير إلا أن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فليكتب الكتاب اللال والتحل لابن خزم والشهرستاني وغيرهما فيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

## الفصل الثامن والعشرون

### في انقلاب الخلافة إلى الملك

إعلم أن الملك غاية طبيعية للعصية ليس وقوعه عنها باختيار إنما هو بضرورة ألوجود وترتيب كذا قلناه من قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يجعل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصية إذ المطالبة لا تتم إلا بها كذا قدمناه . فالعصية ضرورية للملك ويوجدها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيًا إلا في منعة من قومه ثم وجدنا الشارع قد ذم العصية وندب إلى أطراحها وتركها فقال إن الله أذهب عنكم عييتكم<sup>(١)</sup> الجاهلية وفخرها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضًا قد ذم الملك وأهله ونعى على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلاف والإسراف في غير القصد والتكسب عن صراط الله وإنما حض على الإلغة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة \* وأعلم أن الدنيا كلها وأحوالها مبطية لآخرة ومن فقد البطية فقد ألوصول وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه إهماله بالكلية أو اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية إنما قصده تضريرها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتجد الوجبة كذا قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يترجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الإنسان فإنه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الإنصار للحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله وإنما يذم الغضب للشيطان وللأغراض الدائمة فإذا كان الغضب لذلك كان مذمومًا وإذا كان الغضب في الله وفيه كان ممدوحًا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات أيضًا ليس المراد إبطالها بالكلية فإن من بطلت شهوته كان نقصًا في حقه وإنما المراد تضريرها فيما أيسر له باستئاله

(١) عية بضم العين وكسر الواو مشددة وتشديد المثناة التحتية الكبر والفخر والنخوة مقاموس



عَلَى الْمَصَالِحِ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا مُتَّصِرًا فَاطَّوَعَ الْأَوَامِرَ الْإِلَهِيَّةَ وَكَذًا الْعَصِيَّةُ حَيْثُ  
 ذَمَّهَا الشَّارِعُ وَقَالَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ فَإِنَّمَا مُرَادُهُ حَيْثُ تَكُونُ  
 الْعَصِيَّةُ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَحْوَالِهِ كَمَا كَانَتْ فِي إِبَاهِلِيَّةٍ وَأَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فَخْرٌ بِهَا أَوْ حَقٌّ  
 عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّ ذَلِكَ مِجَانٌ مِنْ أَفْعَالِ الْعُقَلَاءِ وَغَيْرُ نَافِعٍ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْعَصِيَّةُ فِي الْحَقِّ وَإِقَامَةُ أَمْرِ اللَّهِ فَامْرٌ مَطْلُوبٌ وَلَوْ بَطَلَ لَبَطَلَتِ الشَّرَائِعُ  
 إِذْ لَا يَتِمُّ قَوَامُهَا إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ وَكَذًا الْمَلِكُ لَمَّا ذَمَّهُ الشَّارِعُ لَمْ يَذُمَّ  
 مِنْهُ الْغَلْبُ بِالْحَقِّ وَقَهَرُ الْكَافَّةِ عَلَى الدِّينِ وَمِرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ وَإِنَّمَا ذَمُّهُ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 التَّغَلُّبِ بِالْبَاطِلِ وَتَضْرِيْبِ الْأَدَمِيَّةِ طَوَعَ الْأَغْرَاضِ وَالشَّهَوَاتِ كَمَا قُلْنَا فَلَوْ كَانَ  
 الْمَلِكُ مُخْلِصًا فِي غَلْبِهِ لِلنَّاسِ أَنَّهُ فِيهِ وَحَلِيمٌ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ لَمْ يَكُنْ  
 ذَلِكَ مَذْمُومًا وَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبِّ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ  
 بَعْدِي لِمَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ بِمَعْرِفٍ عَنِ الْبَاطِلِ فِي الثُّبُوتِ وَالْمُلْكِ \* وَلَمَّا لَقِيَ مُعَاوِيَةَ  
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ فِي أُنْبَاءِ الْمَلِكِ وَزِيَرِهِ مِنْ  
 الْعَدِيدِ وَالْعُدَّةِ اسْتَشْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ أَكْسَرِيَّةٌ يَا مُعَاوِيَةُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَنَا فِي تَغَرٍّ تَجَاهَ الْعَدُوِّ وَبَنَّا إِلَى مُبَاهَايَتِهِمْ بِزِينَةِ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ حَاجَةٌ فَسَكَتَ وَلَمْ يُجِيبْهُ  
 لَمَّا احْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الْحَقِّ وَالِدِّينِ فَلَوْ كَانَ الْقَصْدُ رَفْضَ الْمَلِكِ مِنْ  
 أَصْلِهِ لَمْ يُفْرَعْهُ الْجَوَابُ فِي تِلْكَ الْكِسْرِيَّةِ وَأَنْتَحَالَهَا بَلْ كَانَ يُخْرِضُ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهَا  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِالْكِسْرِيَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَارِسَ فِي مُلْكِهِمْ مِنْ  
 أَرْكَابِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَسُلُوكِ سُيْلِهِ وَالْعَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَنَّ الْقَصْدَ  
 بِذَلِكَ لَيْسَ كَسْرِيَّةِ فَارِسَ وَبَاطِلُهُمْ وَإِنَّمَا قَصْدُهُ دِينًا وَجْهَ اللَّهِ فَسَكَتَ \* وَهَكَذَا  
 كَانَ شَأْنُ الصَّحَابَةِ فِي رَفْضِ الْمَلِكِ وَأَحْوَالِهِ وَنَسْيَانِ عَوَائِدِهِ حَذَرًا مِنَ التَّيَاسُفِ بِالْبَاطِلِ  
 فَلَمَّا اسْتَشْعَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ إِذْ هِيَ أَهَمُّ  
 أُمُورِ الدِّينِ وَأَرْتَضَاهُ النَّاسُ لِلْخَلَاةِ وَهِيَ تَحْمِلُ الْكَافَّةَ عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَجْرَ  
 لِلْمَلِكِ ذِكْرٌ لِمَا أَنَّهُ مَظَنَّةٌ لِلْبَاطِلِ وَنِجْلَةٌ يَوْمِنَا لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ فَقَامَ  
 بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ مَا شَاءَ اللَّهُ مُتَّبِعًا سُنَنَ صَاحِبِهِ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَّةِ حَتَّى اجْتَمَعَ الْعَرَبُ  
 عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ عُهِدَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْتَفَى أثرَهُ وَقَاتَلَ الْأُمَمَ فَغَلَبَهُمْ وَأَذِنَ لِلْعَرَبِ بِانْتِزَاعِ

مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْمُلْكِ فَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ وَأَنْتَدَعُوهُ مِنْهُمْ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ  
 عُمَانَ ثُمَّ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْكُلُّ مُتَبَرِّئُونَ مِنَ الْمُلْكِ مُنْكَبُونَ عَنْ طُرُقِهِ  
 وَأَكَّدَ ذَلِكَ لَدَيْهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ غَضَاظَةِ الْإِسْلَامِ وَبِدَاوَةِ الْعَرَبِ فَقَدْ كَانُوا أَبْعَدَ  
 الْأَمَمِ عَنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَتَرْفِهَا لَا مِنْ حَيْثُ دِينُهُمُ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي النَّعِيمِ  
 وَلَا مِنْ حَيْثُ بَدَاوَتُهُمْ وَمَوَاطِنُهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ وَشُظْفِهِ الَّذِي أَلْفُوهُ  
 فَلَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ مِنَ الْأَمَمِ أَسْعَبَ عَيْشًا مِنْ مُضَرِّ لَمَّا كَانُوا بِالْحِجَازِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ  
 زَرْعٍ وَلَا ضَرْعٍ وَكَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنَ الْأَرْيَافِ وَجُوبِهَا لِيُعْدِمَهَا وَأَخْتِصَاصِهَا بِبَنِي وَلِيَّهَا  
 مِنْ رِبِيعَةٍ وَالْيَمَنِ فَلَمْ يَكُونُوا يَتَطَاوَلُونَ إِلَى خِصْبِهَا وَلَقَدْ كَانُوا كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ  
 الْعَقَارِبَ وَالْخَنَافِسَ وَيَفْخَرُونَ بِأَكْلِ الْعَلَّازِ وَهُوَ وَبُرُّ الْإِبِلِ يَنْهَوْنَهُ بِالْحِجَارَةِ فِي الدَّمِ  
 وَيَطْبُخُونَهُ وَقَرِيبًا مِنْ هَذَا كَانَتْ حَالُ قُرَيْشٍ فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ  
 عَصِيَّةُ الْعَرَبِ عَلَى الدِّينِ يَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَحَفُوا  
 إِلَى أَمَمِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَطَلَبُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِوَعْدِ الصِّدْقِ فَأَبْرَأُوا  
 مَلِكَهُمْ وَأَسْتَبَاحُوا دُنْيَاهُمْ فَزَحَرَتْ بِحَارِ أَرْفِهِ لَدَيْهِمْ حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ الْوَاحِدُ يُقَسِّمُ  
 لَهُ فِي بَعْضِ الْغُرَوَاتِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ نَحْوَهَا فَاسْتَوَلُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ  
 الْخَصْرُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى خُدُونَةِ عَيْشِهِمْ فَكَانَ عُمَرُ يُرْقِعُ ثَوْبَهُ بِابِلِدٍ وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ  
 يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غَرِي غَرِي وَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَجَافَى عَنْ أَكْلِ الدَّجَاجِ لِأَنَّهُ لَمْ  
 يَعْهَدْهَا لِلْعَرَبِ إِلَّا بِهَا يَوْمَئِذٍ وَكَانَتْ الْمَتَاخِلُ مَفْقُودَةً عِنْدَهُمْ بِالْجُمْلَةِ وَلَمَّا يَأْكُلُونَ  
 الْحِنْطَةَ يَنْخَالُوا وَمَكَايِسُهُمْ مَعَ هَذَا أَتَمَّ مَا كَانَتْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ نَالَ الْمَسْعُودِي  
 فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ أَقْتَنَى الصَّحَابَةُ الصِّيَاعَ وَالْمَالَ فَكَانَ لَهُ يَوْمَ قُتِلَ عِنْدَ خَازِنِهِ خَمْسُونَ  
 وَمِائَةً أَلْفٍ دِينَارٍ وَأَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَقِيَمَةُ صِيَاعِهِ بِوَادِي الْقُرَيْ وَحَيْنَ وَغَيْرِهَا  
 مِائَةً أَلْفٍ دِينَارٍ وَخَلْفَ إِبِلًا وَخَيْلًا كَثِيرَةً وَبَلَغَ الثَّمَنُ الْوَاحِدُ مِنْ مَثْوُوكِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ  
 وَفَاتِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلْفَ أَلْفِ فَرَسٍ وَأَلْفَ أَمَةٍ وَكَانَتْ غَلَّةُ طَلْحَةَ مِنَ الْعِرَاقِ  
 أَلْفَ دِينَارٍ كُلَّ يَوْمٍ وَمِنْ نَاحِيَةِ السَّرَاقَةِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ عَلَى مَرْبِطِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 ابْنِ عَوْفٍ أَلْفُ فَرَسٍ وَلَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ وَعَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ الْغَنَمِ وَبَلَغَ الرَّبْعُ مِنْ مَثْوُوكِهِ  
 بَعْدَ وَفَاتِهِ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَخَلْفَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الْبَيْضَةِ وَالذَّهَبِ مَا كَانَ يُكْسَرُ



بالفؤوس غيرَ ما خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَبَنَى الرَّبِيعُ دَارَهُ  
 بِالْبَصْرَةِ وَكَذَلِكَ بَنَى بَيْضَرَ وَالْكُوفَةَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَكَذَلِكَ بَنَى طَلْحَةُ دَارَهُ  
 بِالْكُوفَةِ وَشَيْدَ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَبَنَاهَا بِالْجَصْرِ وَالْأَجْرَ وَالسَّاجَ وَبَنَى سَعْدُ بْنُ أَبِي  
 وَقَّاصٍ دَارَهُ بِالْعَمِيقِ وَرَفَعَ سِنَكَهَا وَأَوْسَعَ فُضَاءَهَا وَجَعَلَ عَلَى أَعْلَاهَا شُرُفَاتٍ وَبَنَى  
 الْبُقْدَادُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَجَعَلَهَا مُجَصَّصَةً الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَخَلَفَ عَلِيٌّ بْنُ مُسَبِّحٍ خَنَسِينَ  
 أَلْفَ دِينَارٍ وَعَمَّاراً وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا قَيْسُهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ إِيَّاهُ كَلَامُ السُّعُودِيِّ  
 فَكَانَتْ مَكَايِبُ الْقَوْمِ كَمَا تَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَنِيْعاً عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ إِذْ هِيَ أَمْوَالٌ  
 حَلَالٌ لِأَنَّهُمْ غَنَائِمٌ وَقُيُوءٌ وَلَمْ يَكُنْ تَصَرُّفُهُمْ فِيهَا بِإِسْرَافٍ إِنَّمَا كَانُوا عَلَى قَصْدٍ فِي  
 أَحْوَالِهِمْ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ الْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الدُّنْيَا مَذْمُوماً  
 فَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْخُرُوجِ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ وَإِذَا كَانَ  
 حَالُهُمْ قَصْداً وَنَفَقَاتُهُمْ فِي سُبُلِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِ الْإِسْتِكْثَارِ عَوْناً لَهُمْ عَلَى  
 طَرُقِ الْحَقِّ وَاكْتِسَابِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَمَّا تَدَرَّجَتِ الْبِدَاوَةُ وَالْفَضَاضَةُ إِلَى نِهَائَيْهَا  
 وَجَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ كَمَا قُلْنَا وَحَصَلَ التَّغْلِبُ وَالْقَهْرُ كَانَ  
 حُكْمُ ذَلِكَ الْمُلْكِ عِنْدَهُمْ حُكْمَ ذَلِكَ الرَّفِيقِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَضُرُّوا  
 ذَلِكَ التَّغْلِبَ فِي بَاطِلٍ وَلَا خَرَجُوا بِهِ عَنْ مَقَاصِدِ الدِّيَانَةِ وَمَذَاهِبِ الْحَقِّ \* وَلَمَّا وَقَعَتْ  
 الْقِتَّةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَهِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ كَانَ طَرِيقُهُمْ فِيهَا الْحَقُّ وَالْإِجْتِهَادُ وَلَمْ  
 يَكُونُوا فِي مُخَارَبَتِهِمْ لِعَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ لِإِيثَارٍ بَاطِلٍ أَوْ لِاسْتِشْعَارٍ حَقْدٍ كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ  
 مِنْهُمْ وَيَتَزَعُّ إِلَيْهِ مُلْحِدٌ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ فِي الْحَقِّ وَسَفَهُ كُلُّ وَاحِدٍ نَظَرَ  
 صَاحِبِهِ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْحَقِّ فَاقْتَلُوا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصِيبُ عَلِيّاً فَلَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةُ قَانِئاً  
 فِيهَا بِقَصْدِ الْبَاطِلِ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَقَّ وَأَخْطَأَ وَالْكُلُّ كَانُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى حَقٍّ ثُمَّ  
 اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ وَاسْتِثْنَارَ الْوَاحِدِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَةَ أَنْ  
 يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ فَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ سَاقَتْهُ الْعَصِيَّةُ بِطَبِيعَتِهَا وَاسْتَشْعَرَتْهُ بَنُو أُمَيَّةٍ وَمَنْ  
 لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ مُعَاوِيَةَ فِي اقْتِنَاءِ الْحَقِّ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَأَعَصَوْا عَلَيْهِ وَاسْتَمَاتُوا  
 دُونَهُ وَلَوْ حَمَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفَهُمْ فِي الْإِنْفِرَادِ بِالْأَمْرِ لَوُقُوعٍ فِي  
 أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّتِي كَانَ جَمْعُهَا وَتَأْلِيلُهَا أَهَمَّ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ آيِسٍ وَرَأَاهُ كَبِيرُ مُخَالَفَةِ

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْغَرِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ  
أَبِي بَكْرٍ لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوَلَّيْتُهِ الْخِلَافَةَ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ لَفَعَلَ وَلَكِنَّهُ  
كَانَ يَخْشَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُحَوِّلَ الْأَمْرَ  
عَنْهُمْ لِئَلَّا تَقَعَ الْفُرْقَةُ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا حَمَلَ عَلَيْهِ مَنَازِعُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ  
فَالْمَلِكُ إِذَا حَصَلَ وَفَرَضْنَا أَنَّ الْوَاحِدَ أَنْفَرَدَ بِهِ وَصَرَفَهُ فِي مَذَاهِبِ الْحَقِّ وَوُجُوهِهِ  
لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ نَكِيرٌ عَلَيْهِ وَلَقَدْ أَنْفَرَدَ سُلَيْمَانُ وَأَبُوهُ دَاوُدُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بِمُلْكِهِ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا أَقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْإِنْفِرَادِ بِهِ وَكَانُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ النَّبُوَّةِ  
وَالْحَقِّ وَكَذَلِكَ عَهْدُ مُعَاوِيَةَ إِلَى يَزِيدَ خَوْفًا مِنْ أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ بِنَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ  
لَمْ يَرْضُوا تَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَلَوْ قَدْ عَهِدَ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ ظَنَّهُمْ  
كَانَ بِهِ صَالِحًا . وَلَا يَوْتَبُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلَا يُظَنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُهُ فَلَمْ يَكُنْ لِيُعْهَدَ إِلَيْهِ  
وَهُوَ يَتَقَدُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفِسْقِ حَاشَا لِلَّهِ لِمُعَاوِيَةَ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ كَانَ مَرْوَانَ  
ابْنَ الْحَكَمِ وَأَبْنَهُ وَإِنْ كَانُوا مُلُوكًا لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ فِي الْمُلْكِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ  
وَالْبَغْيِ إِنَّمَا كَانُوا مُتَحَرِّينَ لِمَقَاصِدِ الْحَقِّ جُهْدُهُمْ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ تَحِيلُهُمْ عَلَى بَعْضِهَا  
مِثْلَ خَشْيَةِ أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ لَدَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصِدٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانُوا  
عَلَيْهِ مِنَ الْإِتِّبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَمَا عَلِمَ السَّلَفُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ فَقَدْ أَحْتَجَّ مَالِكُ  
فِي الْمَوْظِعِ بِعَمَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَمَّا مَرْوَانُ فَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّائِبِينَ وَعَدَالَتِهِمْ  
مَعْرُوفَةٌ ثُمَّ تَدَرَّجَ الْأَمْرُ فِي وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانُوا مِنَ الدِّينِ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ  
وَتَوَسَّطَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْغَرِيزِ فَتَرَعَ إِلَى طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَالصَّحَابَةِ جُهْدُهُ وَلَمْ  
يَهَيْلْ ثُمَّ جَاءَ خَلَفُهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا طَبِيعَةَ الْمَلِكِ فِي أَغْرَاضِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَقَاصِدِهِمْ وَنَسُوا  
مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ مِنْ تَحَرِّيِ الْقَصْدِ فِيهَا وَاعْتِمَادِ الْحَقِّ فِي مَذَاهِبِهَا فَكَانَ ذَلِكَ بِمَا  
دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ نَعُوا عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ وَأَدَالُوا بِالِدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْهُمْ وَوَلَّيَ رِجَالُهَا الْأَمْرَ  
فَكَانُوا مِنَ الْعَدَالَةِ بِمَكَانٍ وَصَرَفُوا الْمُلْكَ فِي وَجْهِهِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى  
جَاءَ بَنُو الرَّشِيدِ مِنْ بَعْدِهِ فَكَانَ مِنْهُمْ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ ثُمَّ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَيْنِهِمْ  
فَأَعْطُوا الْمُلْكَ وَالتَّرَفَ حَقَّهُ وَانْعَمَسُوا فِي الدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا وَنَبَذُوا الدِّينَ وَرَأَاهُمْ ظَهْرِيًّا  
فَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِحَرْبِهِمْ وَأَنْتَرَعَ الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ جُمْلَةً وَأَمَكْنَ سِوَاهُمْ وَاللَّهُ لَا



يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَمَنْ تَأَمَّلَ سَيْرَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَاخْتِلَافَهُمْ فِي تَحْرِي الْحَقِّ  
 مِنَ الْبَاطِلِ عَلِمَ صِحَّةَ مَا قُلْنَاهُ وَقَدْ حَكَاهُ السُّعُودِيُّ مِثْلَهُ فِي أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ عَنْ  
 أَبِي جَعْفَرٍ الْمُتَّصِرِ وَقَدْ حَضَرَ عُثْمَانُ وَذَكَرُوا بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ أَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ فَكَانَ  
 جَبَّاراً لَا يُبَالِي بِأَصْنَعٍ وَأَمَّا سُليْمَانُ فَكَانَ هُمُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَأَمَّا عُمرُ فَكَانَ أَعْوَرَ  
 بَيْنَ عُثْمَانَ وَكَانَ رَجُلٌ الْقَوْمِ هِشَامٌ قَالَ وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمَيَّةٍ ضَايِبِينَ لِمَا مُهَّدَ لَهُمْ مِنْ  
 السُّلْطَانِ يُحَوِّطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ مَعَ تَسْتِيهِمْ مَعَالِي الْأُمُورِ وَرَفَضِهِمْ  
 دُنْيَايَتَهَا حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرَفِّينَ فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ قَصْدَ الشَّهَوَاتِ وَرُكُوبَ  
 اللَّذَاتِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِهِ وَأَمَّا لِمَكْرِهِ مَعَ أَطْرَاحِهِمْ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ  
 وَاسْتِخْفَافِهِمْ بِحَقِّ الرِّئَاسَةِ وَضَعْفِهِمْ عَنِ السِّيَاسَةِ فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْغِرَّ وَالْبَسَهُمُ الدُّلَّ وَنَفَى  
 عَنْهُمْ النِّعْمَةَ ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَبْدُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> بْنُ مَرْوَانَ فَخَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ مَعَ مَلِكِ التُّوْبَةِ لَنَّا  
 دَخَلَ أَرْضَهُمْ فَأَرَا أَيَّامَ السَّفَاحِ قَالَ أَقَمْتُ مَلِيًّا ثُمَّ أَتَانِي مَلِكُهُمْ فَقَعَدَ عَلَيَّ الْأَرْضَ  
 وَقَدْ بَسِطْتُ لِي فُرْشٌ ذَاتُ قِيَمَةٍ فَقُلْتُ مَا مَنَعَكَ عَنِ الْقُعُودِ عَلَيَّ ثِيَابِنَا فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ  
 وَحَقٌّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعِظْمَةِ اللَّهِ إِذْ رَفَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لِي لَمْ تَشْرَبُونَ الْخَمْرَ  
 وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ فَقُلْتُ أَجَدّاً عَلَى ذَلِكَ عَيْدُنَا وَاتَّبَاعُنَا قَالَ فَلِمَ تَطْطُونَ  
 الرَّرْعَ بِدَوَائِبِكُمْ وَالْفَسَادَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ قُلْتُ فَعَلَ ذَلِكَ عَيْدُنَا وَاتَّبَاعُنَا بِجَهْلِهِمْ قَالَ  
 فَلِمَ تَلْبَسُونَ الدِّيَابِجَ وَالذَّهَبَ وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ قُلْتُ ذَهَبَ مِنَّا  
 الْمَلِكُ وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبَسُوا ذَلِكَ عَلَى الْكُرْهِ مِنَّا فَأُطْرَقَ  
 يَنْكِثُ بِيَدِهِ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ عَيْدُنَا وَاتَّبَاعُنَا وَأَعَاجِمُ دَخَلُوا فِي دِينِنَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ  
 إِلَيَّ وَقَالَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَتَيْتُمْ مَا عَنْهُ  
 نَهَيْتُمْ وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكَتُمْ فَسَلَبَكُمْ اللَّهُ الْغِرَّ وَالْبَسَكُمْ الدُّلَّ بِذُنُوبِكُمْ وَهُوَ نَقْمَةٌ لَمْ  
 تَبْلُغْ غَايَتَهَا فِيكُمْ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَحُلَّ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِيَلَدِي فِينَا أَنِي مَعَكُمْ وَإِنَّمَا  
 الضِّيَافَةُ ثَلَاثٌ فَتَرَوُذُ مَا أَحْتَجُّ إِلَيْهِ وَلَرْتَحِلْ عَنِ أَرْضِي فَتَعَجَّبَ الْمُتَّصِرُ وَأُطْرَقَ فَقَدْ  
 تَبَيَّنَ لَكَ كَيْفَ انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ فِي أَوَّلِهِ خِلَافَةً وَوَاذِعَ  
 كُلِّ أَحَدٍ فِيهَا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَكَانُوا يُؤَيِّزُونَهُ عَلَى أُمُورِ دُنْيَاهُمْ وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى

(١) قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض الفارسية وفي بعضها عبد الملك واطنه تصحيحاً قاله نصر

هَلَاكِهِمْ وَحَدُّهُمْ دُونَ الْكَافَّةِ فَهَذَا عُثْمَانُ لَمَّا حُصِرَ فِي الدَّارِ جَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ جَعْفَرٍ وَأَمْثَالُهُمْ يُرِيدُونَ الْمُدَافَعَةَ عَنْهُ فَأَبَى وَمَنَعَ مِنْ سَلِ السُّيُوفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَخَافَةَ الْفُرْقَةِ وَحِفْظًا لِلْإِلَهَةِ الَّتِي رَبًّا حِفْظُ الْكَلِمَةِ وَلَوْ أَدَّى إِلَى هَلَاكِهِ وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَشَارٍ عَلَيْهِ الْمَغِيْرَةُ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ بِاسْتِيقَاءِ الزُّبَيْرِ وَمُعَاوِيَةَ وَطَلْحَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَتِهِ وَتَتَقَيَّ الْكَلِمَةُ رَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ مِنْ أَمْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ فَأَبَى فِرَاراً مِنَ النَّشْرِ الَّذِي يُتَافِيهِ الْإِسْلَامُ وَغَدَا عَلَيْهِ الْمَغِيْرَةُ مِنَ الْغَدَاةِ فَقَالَ لَقَدْ أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِالْأَمْسِ يَا أَشْرْتُ ثُمَّ عُدتُ إِلَى نَظْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنَّ الْحَقَّ فِيمَا رَأَيْتَهُ أَنْتَ فَقَالَ عَلِيُّ لَا وَاللَّهِ مِنْ أَعْلَمُ أَنَّكَ نَصَحْتَنِي بِالْأَمْسِ وَغَشَشْتَنِي الْيَوْمَ وَلَكِنْ مَنَعَنِي ثَمًّا أَشْرْتُ بِهِ زَائِدَ الْحَقِّ وَهَكَذَا تَأَنَّتْ أَحْوَالُهُمْ فِي إِصْلَاحِ دِينِهِمْ بِفَسَادِ دُنْيَاهُمْ وَنَحْنُ

نُزِقُ دُنْيَانَا بِتَشْرِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُزِقُ

فَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَلِكِ وَبَيَّتْ مَعَايِنِي الْخِلَافَةَ مِنْ تَحْرِيِ الدِّينِ وَمَذَاهِبِهِ وَالْجَرِيِ عَلَى مِنْهَاجِ الْحَقِّ وَلَمْ يَظْهَرْ التَّغْيُرُ إِلَّا فِي الْوَاظِعِ الَّذِي كَانَ دِينًا ثُمَّ انْقَلَبَ عَصِيَّةً وَسَيْفًا وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ وَمُرْوَانَ وَابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالصِّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَعْضُ وَلَدِهِ ثُمَّ ذَهَبَتْ مَعَايِنِي الْخِلَافَةَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَسْمُهَا وَصَارَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَعْثًا وَجَرَتْ طَبِيعَةُ التَّغْلِبِ إِلَى غَايَتِهَا وَاسْتَعْمِلَتْ فِي أَغْرَاضِهَا مِنَ الْقَهْرِ وَالتَّقَابِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لَوْلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمَّا جَاءَ بَعْدَ الرَّشِيدِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَسْمُ الْخِلَافَةِ بَاقِيًا فِيهِمْ لِبَقَاءِ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَالْخِلَافَةُ وَالْمُلْكُ فِي الطُّورَيْنِ مُلْتَبِسٌ بَعْضُهُمَا بِبَعْضٍ ثُمَّ ذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَأَثَرُهَا بِذَهَابِ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَفَنَاءِ جِيلِهِمْ وَتَلَاشِي أَحْوَالِهِمْ وَبَيَّتِي الْأَمْرُ مُلْكًا بَعْثًا كَمَا كَانَ الشَّانُ فِي مُلُوكِ الْجَهْمِ بِالْمَشْرِقِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَبْذُكًا وَالْمَلِكِ بِجَمِيعِ الْقَابِ وَمَنَاحِيهِ لَهُمْ وَلَيْسَ لِلْخَلِيفَةِ مِنْهُ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُلُوكُ زَنَاقَةِ الْمَغْرِبِ مِثْلَ صَنْهَاجَةِ مَعَ الْعَبِيدِيْنَ وَمِثْرَاوَةِ وَبَنِي يَفْرُونَ أَيْضًا مَعَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبِيدِيْنَ بِالْقَيْرَوَانِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ وَجِدَتْ بِدُونِ الْمَلِكِ أَوَّلًا ثُمَّ أَلَسَتْ مَعَانِيَهُمَا وَاخْتَلَطَتْ ثُمَّ أَنْفَرَدَ الْمَلِكُ حَيْثُ اقْتَدَتْ عَصِيَّتُهُ مِنْ عَصِيَّةِ الْخِلَافَةِ وَاللَّهِ



مَقْدِرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

## الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة<sup>(١)</sup>

إِعْلَمُ أَنَّ الْبَيْعَةَ هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ كَانَ الْمُبَايَعُ يُعَاهِدُ أَمِيرَهُ عَلَى أَنَّهُ يُسَلِّمُ لَهُ  
النَّظَرَ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُنَازِعُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيُطِيعُهُ فِيمَا يَكُلِّمُهُ  
بِهِ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى الْمُنْشِطِ وَالْمُكْرِهِ وَكَانُوا إِذَا بَايَعُوا الْأَمِيرَ وَعَقَدُوا عِنْدَهُ جَعَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي يَدِهِ تَأْكِيداً لِلْعَهْدِ فَأُشْبِهَ ذَلِكَ فِعْلَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي فَسُمِّيَ بَيْعَةً مُصْدَر  
بِاعٍ وَصَارَتِ الْبَيْعَةُ مُصَافَحَةً بِأَيْدِي هَذَا مَدْلُولَهَا فِي عُرْفِ اللُّغَةِ وَهُوَ الْقَرِيبُ مِنَ الْبَيْعِ  
الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ فِي بَيْعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَعِنْدَ الشَّجَرَةِ وَحَيْثُمَا  
وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ وَمِنْهُ بَيْعَةُ الْخُلَفَاءِ وَمِنْهُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ كَانَ الْخُلَفَاءُ يُسْتَخْلَعُونَ عَلَى الْعَهْدِ  
وَيَسْتَوْعِبُونَ الْأَيْمَانَ كُلَّهَا لِذَلِكَ فَسُمِّيَ هَذَا الْإِسْتِيعَابُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ وَكَانَ الْإِكْرَاهُ  
فِيهَا أَكْثَرَ وَأَغْلَبَ وَلِهَذَا لَمَّا أَفْتَى مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُقُوطِ بَيِّنِ الْإِكْرَاهِ أَنْكَرَهَا  
الْوَلَاةُ عَلَيْهِ وَرَأَوَهَا قَادِحَةً فِي أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ مَحَنَةِ الْإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَأَمَّا الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ الْكِسْرَوِيَّةِ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ  
أَوْ الْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ أَوْ الذَّنْبِلِ أَطْلُقَ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ مَجَازاً لِمَا  
كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّعِيَّةِ وَالْإِزَامِ الْآدَابِ مِنْ لَوَازِمِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا وَغَلَبَ فِيهِ  
حَتَّى صَارَتْ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً وَاسْتَعْنَى بِهَا عَنْ مُصَافَحَةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي  
الْأَصْلِ لِمَا فِي الْمُصَافَحَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ التَّذَلُّ وَالْإِيتِدَالِ الْمُنَافَيْنِ لِلرَّئَاسَةِ وَصَوْنِ  
الْمَنْصِبِ الْمُلْكِيِّ إِلَّا فِي الْأَقْلَرِ يَمْنُ يَقْصِدُ التَّوَاضُّعَ مِنَ الْمُلُوكِ فَيَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ مَعَ  
خَوَاصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ فَأَفْهَمَ مَعْنَى الْبَيْعَةِ فِي الْعُرْفِ فَإِنَّهُ أَكِيدُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهُ لِمَا يَلْزَمُهُ مِنْ حَقِّ سُلْطَانِهِ وَإِمَامِهِ وَلَا تَكُونُ أَفْعَالُهُ عِبَادَةً وَمَجَانًا  
وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكَ مَعَ الْمُلُوكِ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(١) البيعة بفتح الوجة اما بكسرها على وزن شعبة بسكون الباء فيها فهي معبد النصارى . اهـ

## الفصل الثلاثون

### في ولاية العهد

إِعْلَمُ أَنَّا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي الْإِمَامَةِ وَمَشْرُوعِيَّتِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا لِلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ لِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ وَالْأَمِينُ عَلَيْهِمْ يَنْظُرُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَيُقِيمَ لَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ كَمَا كَانَ هُوَ يَتَوَلَّاهَا وَيَتَّقُونَ بِنَظَرِهِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا وَثَقُوا بِهِ فِيمَا قَبْلُ وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْعِ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِهِ وَأَنْعِقَادِهِ إِذْ وَقَعَ بِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَمْرِ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَجَازُوهُ وَأَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِ طَاعَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَكَذَلِكَ عَهْدَ عُمَرَ فِي الشُّرُوزِ إِلَى السِّتَةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِقْهًا بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَاجْتَهَدَ وَنَظَرَ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدَهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى عُثْمَانَ وَعَلَى عَلِيٍّ فَأَثَرُ عُثْمَانَ بِالْبَيْعَةِ عَلَى ذَلِكَ لِموافقته إِيَّاهُ عَلَى لُزُومِ الْأَقْدَاءِ بِالشَّيْخَيْنِ فِي كُلِّ مَا يَبْنِي دُونَ اجْتِهَادِهِ فَأَنْعَقَدَ أَمْرُ عُثْمَانَ لِذَلِكَ وَأَوْجَبُوا طَاعَتَهُ وَالْمَلَأُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَاضِرُونَ لِلأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْعَهْدِ عَارِفُونَ بِمَشْرُوعِيَّتِهِ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ كَمَا عُرِفَ وَلَا يُتَّهَمُ الْإِمَامُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَإِنْ عَهْدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ لِأَنَّهُ مَا مُمَوَّنٌ عَلَى النَّظَرِ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَأَوْلَى أَنْ لَا يَحْتَمِلَ فِيهَا تَبَعَةً بَعْدَ مَمَاتِهِ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ بِاتِّهَامِهِ فِي الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ أَوْ لِمَنْ خَصَّصَ التُّخَمَةَ بِالْوَلَدِ دُونَ الْوَالِدِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الظَّنِّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَاعِيَةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ إِثَارِ مَضَاحَةٍ أَوْ تَوَقُّعِ مَفْسَدَةٍ فَتَنْتَفِي الظَّنُّ فِي ذَلِكَ رَأْسًا كَمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يُزَيْدَ وَإِنْ كَانَ فِعْلُ مُعَاوِيَةَ مَعَ وِفَاقِ النَّاسِ لَهُ حُجَّةٌ فِي الْبَابِ وَالَّذِي دَعَا مُعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يُزَيْدَ بِالْعَهْدِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ إِنَّمَا هُوَ مُرَاعَاةُ الْمَصْلَحَةِ فِي أَجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْخَلِّ وَالْعَقْدِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِذْ بَنُوا أُمَيَّةً يَوْمَئِذٍ لَا يَرْضَوْنَ سِوَاهُمْ وَهُمْ عَصَابَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلُ الْبِلَّةِ أَجْمَعٍ وَأَهْلُ الْعَلْبِ مِنْهُمْ فَأَثَرُهُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ يَمُنُّ بِظَنِّ أَنَّهُ أَوْلَى بِهَا وَعَدَلٌ عَنِ الْفَاضِلِ إِلَى الْمُفْضُولِ حِرْصًا عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَاجْتِمَاعِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي شَأْنُهُ أَهَمُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَإِنْ كَانَ لَا يُظَنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرَ هَذَا فَعَدَالَتُهُ



وَصَحْبُهُ مَانِعَةٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ وَحُضُورُ أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ لِذَلِكَ وَسُكُوتُهُمْ عَنْهُ دَلِيلٌ  
عَلَى انْتِزَاءِ الرَّيْبِ فِيهِ فَلْيَسُوا يَمَنْ يَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ هَوَادَةٌ وَلَيْسَ مُعَاوِيَةُ يَمَنْ تَأْخُذُهُ  
الْعِزَّةُ فِي قَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَالَتُهُمْ مَانِعَةٌ مِنْهُ وَفِرَارُ عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنِ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مَحْضُولٌ عَلَى تَوَرُّعِهِ مِنَ الدُّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ مُبَاحًا  
كَانَ أَوْ مَحْظُورًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمُخَالَفَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي اتَّفَقَ  
عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ إِلَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَنُدُورُ الْمُخَالَفِ مَعْرُوفٌ ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ  
مُعَاوِيَةَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ مِثْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانَ  
مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالسَّفَّاحَ وَالْمَنْصُورَ وَالْمَهْدِيَّ وَالرَّشِيدَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَمْثَالِهِمْ يَمَنْ  
عَرَفَتْ عَدَالَتُهُمْ وَحَسَنُ رَأْيِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرُ لَهُمْ وَلَا يُعَابُ عَلَيْهِمْ إِثَارُ أَبْنَائِهِمْ  
وَأَخْوَانِهِمْ وَخُرُوجُهُمْ عَنْ سُنَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي ذَلِكَ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِ أَوْلِيكَ  
الْخُلَفَاءِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حِينٍ لَمْ تَحْدُثْ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ وَكَانَ الْوَارِعُ دِينِيًّا فَعِنْدَ كُلِّ  
أَحَدٍ وَارِعٌ مِنْ نَفْسِهِ فَعَهَدُوا إِلَى مَنْ يَرْضِيهِ الدِّينُ فَقَطُّ وَأَثَرُوهُ عَلَى غَيْرِهِ وَوَكَّلُوا كُلَّ  
مَنْ يَسْمُو إِلَى ذَلِكَ إِلَى وَارِعِهِ وَأَمَّا مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ لَدُنْ مُعَاوِيَةَ فَكَانَتِ الْعَصِيَّةُ قَدْ  
أَشْرَفَتْ عَلَى غَايَتِهَا مِنَ الْمُلْكِ وَالْوَارِعِ الدِّينِيِّ قَدْ ضَعُفَ وَاحْتِجَجَ إِلَى الْوَارِعِ السُّلْطَانِي  
وَالْعِصْيَانِي فَأَوْعُوهُ إِلَى غَيْرِ مَنْ تَرْضِيهِ الْعَصِيَّةُ لَوَدَّتْ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَأَنْتَقَضَ أَمْرُهُ  
سَرِيعًا وَصَارَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ . سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بَالُ  
الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ وَلَمْ يَخْتَلَفُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ  
كَانَا وَالْيَمِينَ عَلَى مِثْلِي وَأَنَا الْيَوْمَ وَالْإِثْمُ عَلَى مِثْلِكَ يُشِيرُ إِلَى وَارِعِ الدِّينِ أَفَلَا تَرَى إِلَى  
الْمَأْمُونِ لَمَّا عَهَدَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَسَمَّاهُ الرِّضَا كَيْفَ أَنْكَرَتْ  
الْعَبَّاسِيَّةُ ذَلِكَ وَنَقَضُوا بَيْعَتَهُ وَبَايَعُوا لِعَبِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ وَظَهَرَ مِنَ الْهَرَجِ  
وَالْخِلَافِ وَأَنْقَطَاعِ السُّبُلِ وَتَعَدُّدِ الثُّوَارِ وَالْحَوَارِجِ مَا كَادَ أَنْ يَصْطَلِمَ الْأَمْرَ حَتَّى بَادَرَ  
الْمَأْمُونُ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ وَرَدَّ أَمْرَهُمْ لِمَعَاهِدِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَعْيَارِ ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ  
فَالْمَصُورُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ وَالْقَبَائِلِ وَالْعَصِيَّاتِ وَتَخْتَلِفُ  
بِاخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُكْمٌ يَحْكُمُهُ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَأَمَّا أَنْ  
يَكُونَ الْقَصْدُ بِالْعَهْدِ حِفْظَ التِّرَاثِ عَلَى الْأَبْنَاءِ فَلَيْسَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ إِذْ هُوَ أَمْرٌ

مِنْ اللَّهِ يَخْصُّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَلْبِغِي أَنْ تُحَسِّنَ فِيهِ النِّيَّةُ مَا أَمَكَّنَ خَوْفًا مِنْ  
 الْعَبَثِ بِالتَّصَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَلِكُ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ \* وَعَرَضَ هُنَا أُمُورٌ تَدْعُو  
 الضَّرُورَةَ إِلَى بَيَانِ الْحَقِّ فِيهَا \* فَالْأَوَّلُ مِنْهَا مَا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مِنَ الْفِسْقِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ  
 فَإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ بِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ يَزِيدَ فَإِنَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَفْضَلُ بَلْ كَانَ يَغْدُلُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي سَمَاعِ الْغَنَاءِ وَيَنْهَاهُ عَنْهُ وَهُوَ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِيهِ مُخْتَلِفَةً وَلَكِنَّا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مَا حَدَّثَ مِنَ الْفِسْقِ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ  
 حِينَئِذٍ فِي شَأْنِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَنَقَضَ بَيْعَتَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ  
 الْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ اتَّبَعَهُمَا فِي ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ لِمَا  
 فِيهِ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَكَثْرَةِ الْقَتْلِ مَعَ الْعِزِّ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ لِأَنَّ شَوْكَةَ يَزِيدَ يَوْمَئِذٍ هِيَ  
 عَصَابَةُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجُمْهُورِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَسْتَبِيعُ عَصِيَّةَ مُضَرَ أَجْمَعَ وَهِيَ  
 أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَوْكَةٍ وَلَا تُطَاقُ مُقَاوَمَتُهُمْ فَأَقْصَرُوا عَنْ يَزِيدَ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَأَقَامُوا عَلَى  
 الدُّعَاءِ بِهَدَايَتِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْهُ وَهَذَا كَانَ شَأْنُ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُلُّ مُجْتَهِدُونَ وَلَا  
 يَنْكُرُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَمَقَاصِدُهُمْ فِي الْإِثْرِ وَتَحْرِي الْحَقِّ مَعْرُوفَةٌ وَفَقْنَا اللَّهَ  
 لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ \* وَالْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ شَأْنُ الْعَهْدِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَدَّعِيهِ  
 الشَّيْعَةُ مِنْ وَصِيَّتِهِ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَصِحَّ وَلَا نَقْلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الثَّقَلَيْنِ  
 وَالَّذِي وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَلَبِ الدَّوَاةِ وَالْقِرْطَاسِ لِيَكْتُبَ الْوَصِيَّةَ وَأَنَّ عُمَرَ مَنَعَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعِنَ وَسُئِلَ  
 فِي الْعَهْدِ فَقَالَ إِنْ أَعْهَدَ فَقَدْ عَهِدَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ أَثْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ  
 مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْهَدْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَلِيٍّ لِلْعَبَّاسِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ دَعَاهُ لِلدُّخُولِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِهِ عَنْ  
 شَأْنِهِمَا فِي الْعَهْدِ فَأَبَى عَلِيُّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ إِنْ مَنَعْنَا مِنْهَا فَلَا نَطْمَعُ فِيهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُوصَرْ وَلَا عَهِدَ إِلَى أَحَدٍ وَشُبْهَةُ الْإِمَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ الْإِمَامَةِ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ كَمَا يُزْعَمُونَ وَأَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ  
 الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الْمَفْرُوضَةِ إِلَى نَظَرِ الْخَلْقِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ لَكَانَ شَأْنُهَا  
 شَأْنَ الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يُسْتَخْلَفُ فِيهَا كَمَا اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ فِي الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يَشْتَهَرُ



كَمَا اُسْتَشْهَرَ اَمْرُ الصَّلَاةِ وَاجْتِنَاجُ الصَّحَابَةِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بِمِثَالِهَا عَلَى الصَّلَاةِ  
فِي قَوْلِهِمْ ارْتَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذِينَا أَفْلَا تَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا دَلِيلٌ عَلَى  
أَنَّا نُوَصِّيَّةَ لَمْ تَقْعَ وَيَدُلُّ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَالْعِدْرَ بِهَا لَمْ يَكُنْ مُهْمًا  
كَمَا هُوَ الْيَوْمَ وَشَأْنُ الْعَصِيَّةِ الْمُرَاعَاةُ فِي الْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقُ فِي مَجَارِي الْعَادَةِ  
لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ الْإِعْتِبَارِ لِأَنَّ أَمْرَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ كَانَ كُلُّهُ بِخَوَارِقِ الْعَادَةِ  
مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ وَاسْتِمَاتَةِ النَّاسِ دُونَهُ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا  
يُشَاهِدُونَهَا فِي حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ لِنُصْرِهِمْ وَتَرَدُّدِ خَيْرِ السَّمَاءِ بَيْنَهُمْ وَتَجَدُّدِ خُطَابِ  
اللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ تُتْلَى عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُحْتَجْ إِلَى مُرَاعَاةِ الْعَصِيَّةِ لِمَا شَتَلَ النَّاسَ مِنْ صِبْغَةِ  
الْإِنْتِيَادِ وَالْإِذْعَانِ وَمَا يَسْتَقِرُّهُمْ مِنْ تَتَابُعِ الْمُعْجَزَاتِ الْخَارِقَةِ وَالْأَحْوَالِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَاقِعَةِ  
وَالْمَلَائِكَةِ الْمُتَرَدِّدَةِ الَّتِي وَجَّهُوا مِنْهَا وَدَهَشُوا مِنْ تَتَابُعِهَا فَكَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَالْمُلْكِ  
وَالْعَهْدِ وَالْعَصِيَّةِ وَسَائِرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مُنْدَرِجًا فِي ذَلِكَ الْقَبِيلِ كَمَا وَقَعَ فَلَمَّا انْحَصَرَ  
ذَلِكَ الْمَدَدُ بِذَهَابِ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ ثُمَّ بِنَاءِ الْقُرُونِ الَّذِينَ شَاهَدُوهَا فَاسْتَحَالَتْ تِلْكَ  
الصِّبْغَةُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَذَهَبَتْ الْخَوَارِقُ وَصَارَ الْحُكْمُ لِلْعَادَةِ كَمَا كَانَ فَاعْتَدِ أَمْرُ  
الْعَصِيَّةِ وَمَجَارِي الْعَوَائِدِ فِيمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ وَأَصَحَّ الْمُلْكُ وَالْخِلَافَةُ  
وَالْعَهْدُ بِهَا مُهْمًا مِنْ الْمُهْمَاتِ الْأَكِيدَةِ كَمَا زَعَمُوا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ فَأَنْظُرْ  
كَيْفَ كَانَتْ الْخِلَافَةُ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُهْمَةٍ فَلَمْ يَعْهَدْ فِيهَا ثُمَّ تَدَرَّجَتْ  
الْأَهَمِّيَّةُ زَمَانَ الْخِلَافَةِ بَعْضُ الشَّيْءِ بِمَا دَعَتْ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ فِي الْحِمَايَةِ وَالْجِهَادِ وَشَأْنِ  
الرَّدِّ وَالْفُتُوحَاتِ فَكَانُوا بِالْخِيَارِ فِي الْفِعْلِ وَالْتِزَاكِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
ثُمَّ صَارَتْ الْيَوْمَ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ لِلْإِلَافَةِ عَلَى الْحِمَايَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ فَاعْتَدِ فِيهَا  
الْعَصِيَّةُ الَّتِي هِيَ سِرُّ الْوَانِعِ عَنِ التَّمَرُّقَةِ وَالتَّخَاذُلِ وَمَنْشَأُ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّوَافُقِ وَالْكَنْبَلِ  
بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا \* وَالْأَمْرُ الثَّلَاثُ شَأْنُ الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ فِي الْإِسْلَامِ  
بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّالِيَيْنِ فَاعْلَمْ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيَنْشَأُ عَنْ  
الْاجْتِهَادِ فِي الْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ وَالْمُجْتَهِدُونَ إِذَا اخْتَلَفُوا فَإِنْ قُلْنَا  
إِنَّ الْحَقَّ فِي الْمَسَائِلِ الْاجْتِهَادِيَّةِ وَاحِدٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ وَمَنْ لَمْ يُصَادِقْهُ فَهُوَ مُخْطِئٌ \*  
فَإِنَّ جِهَتَهُ لَا تَتَعَيَّنُ بِاجْتِمَاعِ فَيَبْقَى الْكُلُّ عَلَى أَحْتِمَالِ الْإِصَابَةِ وَلَا يَتَعَيَّنُ الْمُخْطِئُ \*

مِنْهَا وَالْثَّائِمُ مَدْفُوعٌ عَنِ الْكُلِّ إِجْمَاعًا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْكُلَّ بِحَقٍّ وَإِنْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ  
 مُصِيبٌ فَأُخْرَى بِنَفْيِ الْخَطَا وَالْثَّائِمِ وَغَايَةُ الْخِلَافِ الَّذِي بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالْثَّائِبِينَ أَنَّهُ  
 خِلَافُ اجْتِهَادِيٍّ فِي مَسَائِلَ دِينِيَّةٍ ظَنِّيَّةٍ وَهَذَا حُكْمُهُ وَالَّذِي وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ  
 إِنَّمَا هُوَ وَاقِعَةٌ عَلَيَّ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَ الزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَوَاقِعَةُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ  
 وَوَاقِعَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّا وَاقِعَةُ عَلَيٍّ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ  
 مُقْتَرِقِينَ فِي الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَشْهَدُوا بَيْعَةَ عَلِيٍّ وَالَّذِينَ شَهِدُوا فَمِنْهُمْ مَنْ بَايَعَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَوَقَّفَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ وَيَتَّقُوا عَلَى إِمَامِ كَسَعِدٍ وَسَعِيدٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ  
 وَالْمُعِيزَةَ ابْنَ سَعْدَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَقُدَامَةَ ابْنَ مَطْعُونٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَكَعْبَ  
 ابْنِ مَالِكٍ وَالنُّعْمَانَ ابْنَ بَشِيرٍ وَحَسَّانَ ابْنَ ثَابِتٍ وَمُسْلِمَةَ ابْنَ مُخَلَّدٍ وَفَضَالََةَ ابْنَ عُيَيْدٍ وَأَمْثَالِهِمْ  
 مِنْ أَكَايِرِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَمْصَارِ عَدَاوًا عَنْ بَيْعَتِهِ أَيْضًا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ  
 عُثْمَانَ وَتَرْكُوا الْأَمْرَ فَوْضَى حَتَّى يَكُونَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ يُولُونَهُ وَظَنُّوا بِعَلِيٍّ  
 هَوَادَةً فِي السُّكُوتِ عَنْ نَصْرِ عُثْمَانَ مِنْ قَاتِلِهِ لَا فِي الْمُمَالَاةِ عَلَيْهِ فَخَاشَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَلَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ إِذَا صَرَخَ بِمَلَامَتِهِ إِنَّمَا يُوجِّهَهَا عَلَيْهِ فِي سُكُوتِهِ فَقَطُّ ثُمَّ اخْتَلَفُوا  
 بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى عَلِيٌّ أَنَّ بَيْعَتَهُ قَدْ انْعَقَدَتْ وَكُرِّمَتْ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا بِاجْتِمَاعٍ مَنْ اجْتَمَعَ  
 عَلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْطِنِ الصَّحَابَةِ وَأَرْجَا الْأَمْرَ فِي  
 الْمُطَالَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ فَيَتِمَّ كُنْ حِينَئِذٍ مِنْ ذَلِكَ  
 وَرَأَى الْآخَرُونَ أَنَّ بَيْعَتَهُ لَمْ تَنْعِدْ لِإِفْتِرَاقِ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ بِالْآفَاقِ وَلَمْ  
 يَحْضُرْ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَكُونُ الْبَيْعَةُ إِلَّا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ وَلَا تُلْزِمُ بِعَقْدِ  
 مَنْ تَوَلَّاهَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ الْقَلِيلِ مِنْهُمْ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينَئِذٍ فَوْضَى قِيَطَالِبُونَ  
 أَوَّلًا بِدَمِ عُثْمَانَ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ عَلَى إِمَامٍ وَذَهَبَ إِلَى هَذَا مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ  
 وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَطَلْحَةُ وَابْنَةُ مُحَمَّدٍ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ  
 وَالنُّعْمَانُ ابْنُ بَشِيرٍ وَمُعَاوِيَةُ ابْنُ خَدِيجٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ  
 تَخَلَّفُوا عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْعَصْرِ آتَيْنِي مِنْ بَعْدِهِمْ  
 اتَّفَقُوا عَلَى انْعِقَادِ بَيْعَةِ عَلِيٍّ وَأُزِدْمَهَا لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ وَتَضْرِبُ رَأْيَهُ فِيمَا ذَهَبَ  
 إِلَيْهِ وَتَعْيِينَ الْخَطَا مِنْ جِهَةِ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ وَخُصُوصًا طَلْحَةَ



وَالزُّبَيْرُ لَا نَتَقاضُهُمَا عَلَى عَلِيٍّ بَعْدَ السَّيِّئَةِ لَهُ فِيمَا نُقِلَ مَعَ دَفْعِ التَّائِبِينَ عَنْ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
كَالشَّانِ فِي الْمُجْتَهِدِينَ وَصَارَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الثَّانِي عَلَى أَحَدِ قَوْلِي أَهْلِ  
الْعَصْرِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَلَقَدْ سُلِّىَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَتْلِ الْجَمَلِ وَصِفَيْنِ  
فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَلْبُهُ نَتِيٌّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ يُشِيرُ إِلَى  
الْفَرِيقَيْنِ نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ فَلَا يَقَعَنَّ عِنْدَكَ رَيْبٌ فِي عَدَالَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَدْحٌ فِي  
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ وَأَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ إِنَّمَا هِيَ عَنِ الْمُسْتَنَدَاتِ وَعَدَالَتُهُمْ  
مَفْرُوعٌ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا قَوْلًا لِلْمُعْتَرِكِ فَيَمْنُ قَاتِلٌ عَلِيًّا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ  
أَهْلِ الْحَقِّ وَلَا عَرَّجَ عَلَيْهِ وَإِذَا نَظَرْتَ بَعَيْنِ الْإِنْصَافِ عَذَرْتَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ فِي شَأْنِ  
الْإِخْتِلَافِ فِي عُثْمَانَ وَاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ مِنْ بَعْدِ وَعَلِمْتَ أَنَّهَا كَانَتْ فِتْنَةً أَبْتَلَى اللَّهُ  
بِهَا الْأُمَّةَ بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَدُوَّهُمْ وَمَلَكَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَتَزَلُّوا  
الْأَمْصَارَ عَلَى حُدُودِهِمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
تَزَلُّوا هَذِهِ الْأَمْصَارَ جُفَاءً لَمْ يَسْتَكْبَرُوا مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا  
أُرْتَاضُوا بِخُلُقِهِ مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعَصِيَّةِ وَالْتِفَاحِ وَالْبُعْدِ عَنِ  
سَكِينَةِ الْإِيمَانِ وَإِذَا بِهِمْ عِنْدَ اسْتِغْطَالِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَصْبَحُوا فِي مِلْكَةِ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَثَقِيفٍ وَهَذِيلٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَيَثْرِبَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ  
إِلَى الْإِيمَانِ فَاسْتَكْفُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَضُّوا بِهِ لِمَا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّقَدُّمِ بِالنِّسَابِ بِهِمْ  
وَكَثَرَتْهُمْ وَمُصَادِمَةُ فَارِسٍ وَالرُّومِ مِثْلَ قَبَائِلِ بَكْرِ بْنِ وَائِلَ وَعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ رَيْعَةَ  
وَقَبَائِلِ كِنْدَةَ وَالْأَزْدِ مِنَ الْيَمَنِ وَتَجِيمٍ وَقَيْسٍ مِنْ مُضَرَ فَصَارُوا إِلَى الْغَضِّ مِنْ قُرَيْشٍ  
وَالْأَزْدِ عَلَيْهِمْ وَالتَّسْرِيسِ فِي طَاعَتِهِمْ وَالتَّعَالِي فِي ذَلِكَ بِالتَّظْلُمِ مِنْهُمْ وَالْإِسْتِعْدَاءِ  
عَلَيْهِمْ وَالطُّغْنِ فِيهِمْ بِالْعَجْرِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الْقِسْمِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَفُشَّتِ الْمَقَالَةُ  
بِذَلِكَ وَأَنْتَهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ فَأَعْظَمُوهُ وَأَبْلَغُوهُ عُثْمَانُ فَبَعَثَ إِلَى الْأَمْصَارِ  
مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْخَبَرَ بَعَثَ ابْنَ عُمَرَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَمَّا لَهُمْ فَلَمْ  
يَنْكِرُوا عَلَى الْأُمَرَاءِ شَيْئًا وَلَا رَأَوْا عَلَيْهِمْ طَعْنًا وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا عَلِمُوهُ فَلَمْ يَنْقُطِعِ  
الطُّغْنُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَمَا زَالَتِ الشَّاعَاتُ تَنْشُو وَرُمِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ وَهُوَ عَلَى  
الْكُوفَةِ بِشَرْبِ الْخَمْرِ وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَحَدَّه عُثْمَانُ وَعَزَلَهُ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ

مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ يَسْأَلُونَ غَزَلَ الْعُمَالِ وَشَكُوا إِلَى عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَغَزَلَ  
 لَهُمْ عُثْمَانُ بَعْضَ الْعُمَالِ فَلَمْ تَنْقَطِعْ بِذَلِكَ أَلْسِنَتُهُمْ بَلْ وَقَدْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ  
 عَلَى الْكُوفَةِ فَلَمَّا رَجَعَ اعْتَرَضُوهُ بِالطَّرِيقِ وَرَدُّوهُ مَغْرُولًا ثُمَّ انْتَقَلَ الْخِلَافَ بَيْنَ  
 عُثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّخَابَةِ بِالْمَدِينَةِ وَنَقَمُوا عَلَيْهِ امْتِنَاعَهُ مِنَ الْغَزْلِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 عَلَى جُرْحَةٍ ثُمَّ نَقَلُوا النَّكِيرَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِالْإِجْتِهَادِ وَهُمْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ ثُمَّ تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنَ الْغَوَاةِ وَجَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يُظْهِرُونَ طَلَبَ النَّصْفَةِ مِنْ عُثْمَانَ  
 وَهُمْ يُضْمِرُونَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِ وَفِيهِمْ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِصْرَ وَقَامَ مَعَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ عَلِيٌّ وَعَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرُهُمْ يُحَاوِلُونَ تَسْكِينَ الْأُمُورِ وَرُجُوعَ عُثْمَانَ إِلَى  
 رَأْيِهِمْ وَغَزَلَ لَهُمْ عَامِلٌ مِصْرَ فَأَنْصَرَفُوا قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعُوا وَتَدَلَّسُوا بِكِتَابٍ مُدَلَّسٍ يُزْعَمُونَ  
 أَنَّهُمْ لَقَوْهُ فِي يَدِ حَامِلِهِ إِلَى عَامِلٍ مِصْرَ بِأَنْ يَمْتَلِكُهُمْ وَحَلَفَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا مَكِينًا  
 مِنْ مَرْوَانَ فَإِنَّهُ كَاتِبُكَ فَحَلَفَ مَرْوَانُ فَقَالَ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا فَخَاصَرُوهُ  
 بِدَارِهِ ثُمَّ بَيَّتُوهُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَتْلُوهُ وَأَنْفَتَحَ بَابُ الْفِتْنَةِ فَلِكُلِّ مِنْ هَؤُلَاءِ  
 عَذْرٌ فِيمَا وَقَعَ وَكُلُّهُمْ كَانُوا مُهْتَبِينَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَلَا يُضِيعُونَ شَيْئًا مِنْ تَعَلُّقَاتِهِ ثُمَّ نَظَرُوا  
 بَعْدَ هَذَا الْوَاقِعِ وَاجْتَهَدُوا وَلِلَّهِ مُطْلَعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَتَالِمٌ بِهِمْ وَنَحْنُ لَا نَظُنُّ بِهِمْ إِلَّا  
 خَيْرًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْوَالُهُمْ وَمَقَالَاتُ الصَّادِقِ فِيهِمْ وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ فِسْقُ  
 يُزَيْدٍ عِنْدَ الْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ بَعَثَتْ شِيعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْكُوفَةِ لِلْحُسَيْنِ أَنْ  
 يَأْتِيَهُمْ فَيَقْرَؤُوا بِأَمْرِهِ فَرَأَى الْحُسَيْنُ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يُزَيْدٍ مُتَعَيْنٌ مِنْ أَجْلِ فِسْقِهِ لَا  
 سِيَّامَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ وَظَنُّهَا مِنْ نَفْسِهِ بِأَهْلِيَّتِهِ وَشُرُوكَتِهِ فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَكَانَتْ  
 كَمَا ظَنُّ وَزِيَادَةٌ وَأَمَّا الشَّرَكَةُ فَغَلَطَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ فِيمَا لَانَ عَصِيَّةُ مِصْرَ كَانَتْ فِي قُرَيْشٍ  
 وَعَصِيَّةُ عَبْدِ مَنَافٍ إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ تَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُمْ قُرَيْشٌ وَسَائِرُ النَّاسِ وَلَا  
 يَنْكِرُونَهُ وَإِنَّمَا نُسِيَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لِمَا شَغَلَ النَّاسَ مِنَ الدُّهُولِ بِالْخَوَارِقِ  
 وَأَمْرِ الْوَحْيِ وَتَرَدُّدِ التَّلَايِكَةِ لِضُرَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَعْمَلُوا أُمُورَ عَوَائِدِهِمْ وَذَهَبَتْ  
 عَصِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَازِعُهَا وَنُسِيَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَصِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْحِمَايَةِ وَالِدِفَاعِ  
 يَنْتَفِعُ بِهَا فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالدِّينُ فِيهَا مُحْكَمٌ وَالْعَادَةُ مَغْرُولَةٌ  
 حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْرُ النُّورَةِ وَالْخَوَارِقِ الْمَهُولَةِ تَرَاجَعَ الْحُكْمُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلْعَوَائِدِ



فَعَادَتْ الْعَصِيَّةُ كَمَا كَانَتْ وَلَمَنْ كَانَتْ وَأَصْبَحَتْ مُضْرُاطَرَعٌ لِنَبِيِّ أُمِّيَّةٍ مِنْ سِوَاهُمْ  
بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَبْلُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ غَلَطُ الْحُسَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ لَا يُضِرُّهُ  
الْغَلَطُ فِيهِ وَأَمَّا الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فَلَمْ يَغْلَطْ فِيهِ لِأَنَّهُ مُنَوِّطٌ بِظَنِّهِ وَكَانَ ظَنُّهُ الْقُدْرَةُ عَلَى  
ذَلِكَ وَلَقَدْ عَذَّكَ ابْنُ الْعَبَّاسِ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أَخُوهُ وَغَيْرُهُ  
فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَلِمُوا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ لِمَا أَرَادَهُ  
اللَّهُ وَأَمَّا غَيْرُ الْحُسَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِجَازِ وَمَعَ يُزَيْدَ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِنْ  
الَّتَابِعِينَ لَهُمْ فَرَأَوْا أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يُزَيْدٍ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَجُوزُ لِمَا يَأْتِي عَنْهُ مِنْ  
الْخُرُوجِ وَالِدِمَاءِ فَأَقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يُتَابِعُوا الْحُسَيْنَ وَلَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَلَا أَتُّوهُ  
لِأَنَّهُ مُجْتَهِدٌ وَهُوَ أَسْرَةُ الْمُجْتَهِدِينَ وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْغَلَطُ أَنْ تَقُولَ بِتَأْيِيدِهِ هَؤُلَاءِ يُخَالِفُونَ  
الْحُسَيْنَ وَقُعُودِهِمْ عَنْ نَصْرِهِ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا مَعَ يُزَيْدٍ وَلَمْ يَرَوْا الْخُرُوجَ  
عَلَيْهِ وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَسْتَشْهَدُ بِهِمْ وَهُوَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى فَضْلِهِ وَحَقِّهِ وَيَقُولُ سَلُوا جَابِرَ بْنَ  
عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَسَيْلَ بْنَ سَعِيدٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَأَمْثَالَهُمْ  
وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ قُعُودَهُمْ عَنْ نَصْرِهِ وَلَا تَعَرَّضَ لِذَلِكَ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ عَنْ اجْتِهَادٍ وَإِنْ  
كَانَ هُوَ عَلَى اجْتِهَادٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَمَا يَحُدُّ الشَّافِعِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالْحَنَفِيُّ عَلَى شَرْبِ  
النَّبِيذِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَقَالَ لَمْ يَكُنْ عَنْ اجْتِهَادٍ هَؤُلَاءِ وَإِنْ كَانَ خِلَافُهُ  
عَنْ اجْتِهَادِهِمْ وَإِنَّمَا أَنْزَلَ بِقِتَالِهِ يُزَيْدَ وَأَصْحَابَهُ وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ يُزَيْدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا  
وَلَمْ يُجْزِ هَؤُلَاءِ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فَأَفْعَالُهُ عِنْدَهُمْ صَحِيحَةٌ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَنْفِذُ مِنْ أَعْمَالِ  
الْفَاسِقِ مَا كَانَ مَشْرُوعًا وَقِتَالُهُ الْبَغَاةِ عِنْدَهُمْ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ  
وَهُوَ مَقْنُونٌ فِي مَسْئَلَتِنَا فَلَا يَجُوزُ قِتَالُ الْحُسَيْنِ مَعَ يُزَيْدٍ وَلَا لِزَيْدٍ بَلْ هِيَ مِنْ فَعَلَاتِهِ  
الْمُؤَكَّدَةِ لِنَسَقِهِ وَالْحُسَيْنُ فِيهَا شَهِيدٌ مُثَابٌ وَهُوَ عَلَى حَقٍّ وَاجْتِهَادٍ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ  
كَانُوا مَعَ يُزَيْدٍ عَلَى حَقٍّ أَيْضًا وَاجْتِهَادٍ وَقَدْ غَلِطَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ  
فِي هَذَا فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ مَا مَعْنَاهُ . إِنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ  
بِشَرْعِ جَدِّهِ وَهُوَ غَلَطٌ حَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ عَنْ اشْتِرَاطِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَمَنْ أَعْدَلُ مِنْ  
الْحُسَيْنِ فِي زَمَانِهِ فِي إِمَامَتِهِ وَعَدَالَتِهِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْآرَاءِ وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ رَأَى  
فِي مَنَامِهِ مَا رَأَاهُ الْحُسَيْنُ وَظَنَّ كَمَا ظَنَّ وَغَلِطَ فِي أَمْرِ الشُّوَكَةِ أَعْظَمُ لِأَنَّ بَنِي أَسَدِ

لَا يُقَاوِمُونَ بَنِي أُمَيَّةَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ وَالْقَوْلُ يَتَعَيَّنُ اَلْخَطَا فِي جِهَةِ مُكََاوِبَةٍ مَعَ عَلِيٍّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ . لِأَنَّ اَلْإِجْمَاعَ هُنَاكَ قَضَى لَنَا بِهِ وَلَمْ نَجِدْهُ هَاهُنَا . وَأَمَّا يَزِيدُ فَعَيَّنَ خَطَاهُ فِسْقُهُ وَعَبْدُ اَلْمَلِكِ صَاحِبُ ابْنِ اَلرُّبَيْدِ أَكْثَمُ اَلنَّاسِ عَدَالَةً وَنَاهِيكَ بِعَدَالَتِهِ اَحْتِجَاجُ مَالِكِ بِفِعْلِهِ وَعُدُولُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ إِلَى بَيْعَتِهِ عَنْ ابْنِ اَلرُّبَيْدِ لَمْ تَنْعَقِدْ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْهَا أَهْلُ اَلْعَدْلِ وَاَلْحِلِّ كَبِيَّةَ مَرْوَانَ وَابْنُ اَلرُّبَيْدِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَاَلْكُلُّ مُحْتَمِدُونَ مَحْمُولُونَ عَلَى اَلْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ فِي جِهَةِ مِنْهُمَا وَاَلْقَتْلُ اَلَّذِي نَزَلَ بِهِ بَعْدَ تَقْرِيرِ مَا قَرَّرْنَاهُ يَجِيءُ عَلَى قَوَاعِدِ اَلْفِقْهِ وَقَوَائِنِهِ مَعَ أَنَّهُ شَهِيدٌ مُثَابٌّ بِاِعْتِبَارِ قَضَدِهِ وَتَحَرُّيهِ اَلْحَقَّ هَذَا هُوَ اَلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تُحْمَلَ عَلَيْهِ أَفْعَالُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُمْ خِيَارُ اَلْأُمَّةِ وَإِذَا جَعَلْنَاهُمْ عُرْضَةً لِلْقُدْحِ فَتَمَّ اَلَّذِي يَخْتَصُّ بِاَلْعَدَالَةِ وَالتَّيْبِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ اَلنَّاسِ قَرِيبِي ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ يَفْشُو اَلْكَذِبُ فَجَعَلَ اَلْخَيْرَ وَهِيَ اَلْعَدَالَةُ مُخْتَصَّةٌ بِاَلْقَرْنِ اَلأَوَّلِ وَاَلَّذِي يَلِيهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ نَفْسِكَ أَوْ لِسَانِكَ اَلتَّعَرُّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا يُشَوِّشُ قَلْبَكَ بِاَلرَّيْبِ فِي شَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُمْ وَالتَّيْسُ لَهُمْ مَذَاهِبُ اَلْخَيْرِ وَطُرُقُهُ مَا اسْتَطَعَتْ فَهُمْ أَوْلَى اَلنَّاسِ بِذَلِكَ وَمَا اَخْتَلَفُوا إِلَّا عَنْ بَيِّنَةٍ وَمَا قَاتَلُوا أَوْ قَتَلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ جِهَادٍ أَوْ إِظْهَارِ حَقٍّ وَاعْتَقَدَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اَخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ اَلْأُمَّةِ لِيَقْتَدِيَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ وَيَجْعَلُهُ إِمَامَةً وَهَادِيَةً وَدَلِيلَةً فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ حِكْمَةُ اَللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَكْوَانِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِلَيْهِ اَلْمُنْجَا وَاَلْمَصِيرُ وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في الخطط الدينية الخلافية

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ اَلْخِلَافَةِ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا فَصَاحِبُ الشَّرْعِ مُتَصَرِّفٌ فِي الْأَمْرِينِ أَمَّا فِي الدِّينِ فَيُمِثِّتُضِي التَّكَالِيفِ اَلشَّرْعِيَّةِ اَلَّذِي هُوَ مَأْمُورٌ بِتَقْلِيدِهَا وَحَمَلِ اَلنَّاسِ عَلَيْهَا وَأَمَّا سِيَاسَةُ الدُّنْيَا فَيُمِثِّتُضِي رِعَايَتِهِ لِمَصَالِحِهِمْ فِي الْعُمُرَانِ اَلْبَشَرِيِّ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْعُمُرَانُ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ وَأَنَّ رِعَايَةَ مَصَالِحِهِ كَذَلِكَ لِكَلَّا يَفْسُدَ إِنْ أَهْمَلْتُمْ وَقَدَّمْنَا أَنَّ اَلْمَلِكَ وَسَطَوَتُهُ كَافٍ فِي حُصُولِ هَذِهِ اَلْمَصَالِحِ نَعَمْ إِنَّمَا تَكُونُ أَكْمَلُ إِذَا كَانَتْ بِاَلْأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ



الْمَصَالِحِ فَقَدْ صَارَ الْمَلِكُ يَنْدَرِجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ إِذَا كَانَ إِسْلَامِيًّا وَيَكُونُ مِنْ تَوَابِعِهَا  
 وَقَدْ يَنْتَرِدُ إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ الْمِلَّةِ وَلَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَاتِبُ خَادِمَةٍ وَوُظَائِفُ تَابِعَةٍ  
 تَعَيَّنَ خَطَطًا وَتَتَوَزَّعُ عَلَى رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَوُظَائِفُ فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ بِوُظَيْفَتِهِ حَسَبَ يَمِينَتِهِ  
 الْمَلِكُ الَّذِي تَكُونُ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَيْهِمْ فَيَمُتُّ بِذَلِكَ أَمْرُهُ وَيَحْسُنُ قِيَامُهُ بِسُلْطَانِهِ وَأَمَّا  
 الْمَنْصِبُ الْخِلَافِيُّ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَتَصَرُّفُهُ  
 الدِّينِي يَخْتَصُّ بِخَطَطِ وَمَرَاتِبِ لَا تُعْرَفُ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ فَلَقَدْ كُرِيَ الْآنَ الْخَطَطُ  
 الدِّينِيَّةُ الْمُخْتَصَّةُ بِالْخِلَافَةِ وَزُجِعَ إِلَى الْخَطَطِ الْمَأْوَكِيَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ فَأَعْلَمَ أَنَّ الْخَطَطَ  
 الدِّينِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْفَتَا وَالْقَضَاءِ وَالْجِهَادِ وَالْحِسْبَةِ كُلِّهَا مُنْدرِجَةٌ تَحْتَ  
 الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى أَنَّتِي هِيَ الْخِلَافَةُ فَكَانَهَا الْإِمَامُ الْكَبِيرُ وَالْأَصْلُ الْجَامِعُ وَهَذِهِ  
 حِكْمًا مُتَرَعَّةٌ عَنْهَا وَدَاخِلَةٌ فِيهَا لِعُومُ نَظَرِ الْخِلَافَةِ وَتَصَرُّفِهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِ الْمِلَّةِ  
 الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ وَتَنْفِيذِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فِيهَا عَلَى الْعُومِ فَأَمَّا إِمَامَةُ الصَّلَاةِ فَهِيَ أَرْفَعُ  
 هَذِهِ الْخَطَطِ كُلِّهَا وَأَرْفَعُ مِنَ الْمَلِكِ بِمُخَوِّصِهِ الْمُنْدرِجِ مَعَهَا تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَلَقَدْ  
 يَشْهَدُ لِذَلِكَ اسْتِدْلَالُ الصَّحَابَةِ فِي شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي  
 الصَّلَاةِ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ فِي السِّيَاسَةِ فِي قَوْلِهِمْ ارْتَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِدِينِنَا أَفَلَا رَضَاهُ لِدُنْيَانَا فَلَوْلَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْفَعُ مِنَ السِّيَاسَةِ لَأَصَحَّ الْقِيَاسُ وَإِذَا  
 ثُبُتَ ذَلِكَ فَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ فِي الْمَدِينَةِ صَنَفَانِ مَسَاجِدُ عَظِيمَةٍ كَثِيرَةُ الْغَاشِيَةِ  
 مَعْدَّةٌ لِلصَّلَاةِ الْمَشْهُودَةِ وَأُخْرَى دُونَهَا مُخْتَصَّةٌ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ وَلَيْسَتْ لِلصَّلَاةِ  
 الْعَامَّةِ فَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْعَظِيمَةُ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَوْ مَنْ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ  
 مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ وَزِيرٍ أَوْ قَاضٍ فَيَنْصَبُ لَهَا الْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ الْخَمْسِ  
 وَالْجُمُعَةِ وَالْمِيدَنِ وَالْخُسُوفَيْنِ وَالْإِسْتِسْقَاءِ وَتَعَيَّنَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ  
 الْأَوَّلَى وَالْإِسْتِحْسَانِ وَلَوْلَا يَفْتَاتُ الرَّعَايَا عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ  
 وَقَدْ يَقُولُ بِالتَّوَجُّبِ فِي ذَلِكَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فَيَكُونُ نَصَبُ الْإِمَامِ  
 لَهَا عِنْدَهُ وَاجِبًا وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْمُخْتَصَّةُ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخِيَرَانِ  
 وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرِ خَلِيفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ وَأَحْكَامُ هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَشُرُوطُهَا وَالْمَوَالِي فِيهَا  
 مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ النِّفَهِ وَمَنْبُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلْمَأْوَرِدِيِّ وَغَيْرِهِ

فَلَا تُطَوَّلُ بِذِكْرِهَا وَلَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ لَا يُقِلُّونَهَا لِغَيْرِهِمْ مِنْ النَّاسِ وَأَنْظُرْ  
مِنْ طَعْنٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَسِيدِ عِنْدَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ وَتَرَصَّدْهُمْ لِذَلِكَ فِي أَوْقَاتِهَا  
يُشْهَدُ لَكَ ذَلِكَ بِمُبَاشَرَتِهِمْ لَهَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَخْلِفِينَ فِيهَا وَكَذَا كَانَ رِجَالُ  
الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتِشَارًا بِهَا وَاسْتِعْظَامًا بِرُتْبَتِهَا يُحْكَمُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ  
أَنَّهُ نَالَ حَاجِبِهِ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ حِجَابَةً يَأْتِي إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ صَاحِبِ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ  
بِالتَّأْخِيرِ إِنْ أَوَّلَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَالْبَرِيدِ فَإِنْ فِي تَأْخِيرِهِ فَسَادُ الْقَاصِصَةِ  
فَلَمَّا جَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمُلِكِ وَعَوَارِضُهُ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالْتِفَاعِ عَنْ مُسَاوَاةِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ  
وَدُنْيَاهُمْ اسْتَنَابُوا فِي الصَّلَاةِ فَكَانُوا يَسْتَأْذِنُونَ بِهَا فِي الْأَحْيَانِ وَفِي الصَّلَوَاتِ الْعَامَّةِ  
كَالْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ إِشَارَةً وَتَنْوِيهَا فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ  
صَدَرَ دَوْلَتِهِمْ وَأَمَّا الْفُتَيَّا فَلِلْخَلِيفَةِ تَصَفُّحُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسُ وَرَدُّ الْفُتَيَّا إِلَى مَنْ  
هُوَ أَهْلٌ لَهَا وَإِعَانَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْعُ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا وَزَجْرُهُ لِأَنَّهَا مِنْ مَصَالِحِ  
الْمُسْلِمِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ فَتَجِبُ عَلَيْهِ مُرَاعَاتُهَا لِئَلَّا يَتَعَرَّضَ لِذَلِكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ  
النَّاسَ وَالْمُدْرِسَ الْإِنْتِصَابُ لِتَعْلِيمِ الْعِلْمِ وَبَيْتِهِ وَالْجُلُوسُ لِذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ فَإِنْ كَانَتْ  
مِنْ الْمَسَاجِدِ الْعِظَامِ الَّتِي لِلْسلْطَانِ الْوَلَايَةُ عَلَيْهَا وَالنَّظَرُ فِي أَسْمَائِهَا كَمَا مَرَّ فَلَا بُدَّ مِنْ  
اسْتِذْنَائِهِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَسَاجِدِ الْعَامَّةِ فَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى إِذْنِهِ عَلَى أَنَّهُ  
يَلْتَبِغِي أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُفْتِينَ وَالْمُدْرِسِينَ زَاجِرٌ مِنْ نَفْسِهِ يَمْتَنِعُ عَنْ  
الْبَصْدِي إِمَّا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَهْدِي وَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَرْشِدُ وَفِي الْأَثَرِ  
أَجْرَاكُمْ عَلَى الْفُتَيَّا أَجْرَاكُمْ عَلَى جَرَائِمِ جَهَنَّمَ فَلِلْسلْطَانِ فِيهِمْ لِذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ  
مَا تُوجِبُهُ الْمَضْلَعَةُ مِنْ إِجَازَةٍ أَوْ رَدٍّ وَأَمَّا الْقَضَاءُ فَهُوَ مِنَ الْوِظَائِفِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ  
الْخِلَافَةِ لِأَنَّهُ مَنْصِبُ الْفَضْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْخُصُومَاتِ حَسَبًا لِلتَّدَاعِي وَقِطْعًا لِلتَّزَاوُعِ إِلَّا  
أَنَّهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَلَقَّاةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَكَانَ لِذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ  
الْخِلَافَةِ وَمُنْدَرِجًا فِي عُمُومِهَا وَكَانَ الْخُلَفَاءُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يُبَاشِرُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا  
يَجْعَلُونَ الْقَضَاءَ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَأَوَّلُ مَنْ دَفَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَقَوَّضَهُ فِيهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ فَوَلَّى أَبَا الدَّرْدَاءِ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ وَوَلَّى شُرَيْحًا بِالْبَصْرَةِ وَوَلَّى أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِي  
بَالْكُوفَةِ وَكُتِبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ الْمَشْهُورِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ



وَهِيَ مُسْتَوْفَاةٌ فِيهِ يَقُولُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ فَافْهَمِ  
إِذَا أَدْرِي إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْتَعِ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ وَأَسْ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ  
وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ وَلَا يَتَأَسَّ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ أَلَيْتَهُ عَلَى مَنْ  
أَدْعَى وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَالصُّلْحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحْلَ حَرَامًا أَوْ  
حَرَمًا حَلَالًا وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ أَمْسٍ فَرَاغَتْ الْيَوْمَ فِيهِ عَقْلُكَ وَهُدَيْتَ فِيهِ  
لِشُدِّكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي  
الْبَاطِلِ الْفَهْمُ فِيمَا يَتَلَجَّجُ فِي صُدْرِكَ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ثُمَّ أَعْرِفِ الْأَمْثَالَ  
وَالْأَنْشِبَاءَ وَقِسِ الْأُمُورَ بِتَطَاثُرِهَا وَاجْعَلْ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَانِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ  
فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَخْلَلْتَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَى لِلشَّكِّ  
وَأَجْلَى لِلْعَمَى . الْمُسْلِمُونَ عُذُولُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ أَوْ مُجْرِيًا عَلَيْهِ  
شَهَادَةً زُورٍ أَوْ ظَنِينًا فِي نَسَبٍ أَوْ وَلَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَفَا عَنِ الْإِيتَانِ وَدَرَأَ  
بِالْيَتَاتِ وَإِيَّاكَ وَالْقَلَقِ وَالضُّجْرَ وَالْثَأْفَ بِالْخُذُومِ فَإِنَّ اسْتِثْرَارَ الْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ  
الْحَقِّ يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ وَيُخْسِنُ بِهِ الذِّكْرَ وَالسَّلَامُ . إِنَّتَهَى كِتَابُ عُمَرَوِ بْنِ  
كَانُوا يُقْلِدُونَ الْقَضَاءَ لِغَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ ثَمَّ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ لِتَيَامِيهِمْ بِالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَكَثْرَةِ  
أَشْغَالِهَا مِنْ الْجِهَادِ وَالْمُتَوَحَّاتِ وَسِدِّ الثُّغُورِ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يَقُومُ بِهِ  
غَيْرُهُمْ لِعَظَمِ الْعِنَايَةِ فَاسْتَحْضُوا الْقَضَاءَ فِي الْوَاقِعَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَاسْتَخْلَفُوا فِيهِ مَنْ يَقُومُ  
بِهِ تَخْفِيفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقْلِدُونَهُ أَهْلَ عَصِيَّتِهِمْ بِالنَّسَبِ أَوْ الْوَلَاءِ  
وَلَا يُقْلِدُونَهُ لِمَنْ بَعْدَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَمَّا أَحْكَامُ هَذَا الْمَنْصِبِ وَشُرُوطُهُ فَمَعْرُوفَةٌ  
فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَخُصُوصًا كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَّا أَنَّ الْقَاضِيَّ إِنَّمَا كَانَ لَهُ  
فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ النَّصْلُ بَيْنَ الْخُصُومِ فَقَطْ ثُمَّ دُفِعَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورٌ أُخْرَى عَلَى  
التَّدْرِيجِ بِحَسَبِ اشْتِغَالِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِالسِّيَاسَةِ الْكُبْرَى وَاسْتَقَرَّ مَنْصِبُ الْقَضَاءِ  
آخِرَ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ يَجْعَلُ مَعَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْخُصُومِ اسْتِيفَاءَ بَعْضِ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ  
لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّظَرِ فِي أَمْوَالِ الْمَحْجُورِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِينِ وَالْيَتَامَى وَالْمَغْلِبِينَ وَأَهْلِ  
السَّفَرِ وَفِي وَصَايَا الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَافِهِمْ وَتَرْوِيجِ الْآيَامِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى رَأْيٍ مَنْ  
رَأَاهُ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الطَّرِيقَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ وَتَصْفِيحِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ وَالنُّوَابِ وَاسْتِيفَاءِ

الْعِلْمِ وَالْخُبْرَةِ فِيهِمْ بِالْعَدَالَةِ وَالْجَرَحِ لِيَحْضَلَ لَهُ الْوُثُوقُ بِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ كَمَا  
 مِنْ تَعَلُّقَاتِ وَظِيفَتِهِ وَتَوَابِعِ وَلَايَتِهِ وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ قَبْلُ يَجْعَلُونَ لِلْقَاضِي النَّظَرَ  
 فِي الْمَظَالِمِ وَهِيَ وَظِيفَةٌ مُمْتَرِجَةٌ مِنْ سَطْوَةِ السَّلْطَنَةِ وَنَصْفَةِ الْقَضَاءِ وَتَحْتَاجُ إِلَى عُلُوِّ  
 يَدٍ وَعَظِيمِ رَهْبَةٍ تَقْشَعُ الظَّالِمَ مِنَ الْخُصْمِينَ وَتَرْجُو الْمُتَعَدِّيَ وَكَأَنَّهُ يُمَضِّي مَا عَجَزَ  
 الْقَضَاءُ أَوْ غَدُّهُمْ عَنْ إِمضَائِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ فِي الْيَتَامَى وَالتَّقَرِيرِ وَاعْتِدَادِ الْأَمَارَاتِ  
 وَالْقَرَائِنِ وَتَأْخِيرِ الْحُكْمِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ الْحَقِّ وَحَمْلِ الْخُصْمِينَ عَلَى الصُّلْحِ وَاسْتِحْلَافِ  
 الشُّهُودِ وَذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي \* وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ يُبَاشِرُونَهَا بِأَنْفُسِهِمْ  
 إِلَى أَيَّامِ الْمُتَعَدِّي مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِقَضَائِهِمْ كَمَا فَعَلَ عُمرُ رَضِي  
 اللَّهُ عَنْهُ مَعَ قَاضِيهِ أَبِي أَدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَكَأَنَّ فَعْلَهُ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ  
 وَالْمُعْتَصِمُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَ لِلْقَاضِي قِيَادَةَ الْجِهَادِ فِي عَسَاكِرِ  
 الطَّوَائِفِ وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ يَخْرُجُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ بِالطَّائِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ  
 وَكَذَا مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ تَوَلِيَّةُ  
 هَذِهِ الْوُظَائِفِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْخُلَفَاءِ أَوْ مَنْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لَهُ مِنْ وَزِيرٍ مُفَوَّضٍ أَوْ  
 سُلْطَانٍ مُتَعَلِّبٍ وَكَانَ أَيْضًا النَّظَرُ فِي الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ الْخُدُودِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 وَالْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبْدِيِّينَ بِبِصْرَ وَالْمَغْرِبِ رَاجِعًا إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَهِيَ  
 وَظِيفَةٌ أُخْرَى دِينِيَّةٌ كَانَتْ مِنْ الْوُظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تِلْكَ الدَّوَلِ تَوْسَعُ النَّظَرُ فِيهَا عَنْ  
 أَحْكَامِ الْقَضَاءِ قَلِيلًا فَيَجْعَلُ لِلثُّمَّةِ فِي الْحُكْمِ مَجَالًا وَيَفْرِضُ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةَ قَبْلَ  
 ثُبُوتِ الْجَرَائِمِ وَيُتِمُّ الْخُدُودَ الثَّابِتَةَ فِي مَحَالِّهَا وَيَحْكُمُ فِي الْقَوَدِ وَالْإِصَاصِ وَيُتِمُّ  
 التَّعْزِيرَ وَالتَّأْدِيبَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الْجَرِيمَةِ ثُمَّ تُنَوِّسُ شَأْنُ هَاتَيْنِ الْوُظِيفَتَيْنِ  
 فِي الدَّوَلِ الَّتِي تُنَوِّسُ فِيهَا أَمْرُ الْخِلَافَةِ فَصَارَ أَمْرُ الْمَظَالِمِ رَاجِعًا إِلَى السُّلْطَانِ كَانَ  
 لَهُ تَفْوِيزٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَأَنْقَسَمَتِ وَظِيفَةُ الشَّرْطَةِ قِسْمَيْنِ وَنَهَا  
 وَظِيفَةُ الثُّمَّةِ عَلَى الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ خُدُودِهَا وَمُبَاشَرَةُ الْقَطْعِ وَالْقِصَاصِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ  
 وَنُصِبَ لِذَلِكَ فِي هَذِهِ الدَّوَلِ حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِيهَا بِمُتَوَجِبِ السِّيَاسَةِ دُونَ مُرَاجَعَةِ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُسَمَّى ثَلَاثَةً بِاسْمِ الْوَالِي وَثَلَاثَةً بِاسْمِ الشَّرْطَةِ وَبِئْسَ قِسْمُ  
 التَّعَازِيرِ وَإِقَامَةِ الْخُدُودِ فِي الْجَرَائِمِ الثَّابِتَةِ شَرْعًا فَجُمِعَ ذَلِكَ لِلْقَاضِي مَعَ مَا تَقَدَّمَ وَصَارَ



ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِ وَظِيفَةِ وِلَايَتِهِ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِوَذَا الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ وَخَرَجَتْ هَذِهِ  
 الْوِظِيفَةُ عَنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ لَنَا كَانَ خِلَافَةَ دِينِيَّةٍ وَهَذِهِ الْخِطَّةُ مِنْ  
 مَرَايِسِ الدِّينِ فَكَانُوا لَا يُؤَلُّونَ فِيهَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ بِالْخِلْفِ  
 أَوْ بِالرِّقِّ أَوْ بِالْأَصْطِنَاعِ ثَمَّنَ يُوثَقُ بِكِفَايَتِهِ أَوْ غَنَائِهِ فِيمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ \* وَلَكِنَّا أَنْقَرَضَ  
 شَأْنُ الْخِلَافَةِ وَطَوْرُهَا وَصَارَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مُلْكًا أَوْ سُلْطَانًا صَارَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ الدِّينِيَّةُ  
 بَعِيدَةً عَنْهُ بَعْضَ الشَّيْءِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقَابِ الْمَلِكِ وَلَا مَرَايِسِهِ ثُمَّ خَرَجَ الْأَمْرُ  
 جَمَلَةً مِنَ الْعَرَبِ وَصَارَ الْمُلْكُ لِسَوَاهِمٍ مِنْ أُمَمِ الثُّرُكِ وَالْبَرْبَرِ فَازْدَادَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ  
 الْخِلَافِيَّةُ بُعْدًا عَنْهُمْ بِمَنَاطِهَا وَعَصِيَّتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَوْنُونَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ دِينُهُمْ  
 وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ وَأَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَهُ نِعَاطُهُمْ بِيَدِ الْأَمْرِ وَطَرِيقُهُمْ  
 وَغَيْرُهُمْ لَا يَوْنُونَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤَلُّونَهَا جَانِبًا مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَا دَانُوا بِالْإِلَهَةِ فَقَطُّ فَصَارُوا  
 يَقْلُدُونَهَا مِنْ غَيْرِ عَصَابَتِهِمْ ثَمَّنَ كَانَ تَأَهَّلَ لَهَا فِي دَوْلِ الْخُلَفَاءِ السَّالِفَةِ وَكَانَ أُولَئِكَ  
 الْمُتَأَهِّلُونَ بِمَا أَخَذَهُمْ تَرْفُ الدَّوْلِ مِنْذُ مِثْنِ مِنَ السِّنِينَ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الْبِدَاوَةِ وَخُشُونَتَهَا  
 وَالتَّبَسُّوَا بِالْحَضَارَةِ فِي عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَدَعَوْتِهِمْ وَقِلَّةِ الْمُتَانَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ  
 الْخِطَّةُ فِي الدَّوْلِ الْمُلُوكِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُخْتَصَةً بِهَذَا الصِّنْفِ مِنَ الْمُسْتَظْعَمِينَ فِي  
 أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَتَوَلَّى أَهْلُهَا عَنْ مَرَاتِبِ الْغِرِّ لِفَقْدِ الْأَهْلِيَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
 الْحَضَارَةِ فَلَحِثَهُمْ مِنَ الْإِحْتِقَارِ مَا لَحِقَ الْخَضِرِ الْمُتَغَيِّبِينَ فِي التَّوْفِ وَالْدَّعَةِ الْبُعْدَاءِ عَنْ  
 عَصِيَّةِ الْمُلِكِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَلَامِيَّةِ وَصَارَ أَعْيَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ أَجْلِ قِيَامِهَا  
 بِالْإِلَهَةِ وَأَخَذَهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِمَا أَنَّهُمْ أَخْلَامِلُونَ لِلْأَحْكَامِ الْمُقْتَدُونَ بِهَا وَلَمْ  
 يَكُنْ إِثَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِكْرَامًا لِذَوَاتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَتَلَمَّجُ مِنَ التَّجَمُّلِ  
 بِمَكَانِهِمْ فِي مَجَالِسِ الْمُلِكِ لِتَعْظِيمِ الرُّتَبِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِنْ الْخَلِ  
 وَالْعَقْدِ شَيْءٌ وَإِنْ حَضَرُوهُ فَحُضُورٌ رَسْمِيٌّ لَا حَقِيقَةٌ وَرَاءَهُ إِذْ حَقِيقَةُ الْخَلِّ وَالْعَقْدِ إِنَّمَا  
 هِيَ لِأَهْلِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ فَلَا حِلَّ لَهُ وَلَا عَقْدَ لَدَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَخَذَ  
 الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ عَنْهُمْ وَتَلَقَّى الْفَتَاوَى مِنْهُمْ فَتَعَمَّ وَأَلَّهُ الْمَوْفِقُ وَرُبَّمَا يَظُنُّ بَعْضُ  
 النَّاسِ أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَأَنَّ فِعْلَ الْمُلُوكِ فِيمَا فَعَلُوهُ مِنْ إِخْرَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْقَضَاءِ  
 مِنَ الشُّورَى مَرْجُوحٌ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمَ أَنَّ

ذَلِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ وَحُكْمُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِنَّمَا يَجْرِي عَلَى مَا تَنْتَضِيهِ طَبِيعَةُ  
 الْعُمَرَاءِ وَإِلَّا كَانَ بَعِيداً عَنِ السِّيَاسَةِ فَطَبِيعَةُ الْعُمَرَاءِ فِي هَؤُلَاءِ لَا تَقْضِي لَهُمْ شَيْئاً  
 مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّرَى وَالْحُلَّ وَالْعَقْدَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ عَصِيَّةٍ يَتَشَدَّرُ بِهَا عَلَى حُلِّ  
 أَوْ عَقْدٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ وَآمَّا مَنْ لَا عَصِيَّةَ لَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئاً وَلَا مِنْ  
 حَايَتِهَا وَإِنَّمَا هُوَ عِيَالٌ عَلَى غَيْرِهِ فَأَيُّ مَدْخَلٍ لَهُ فِي الشُّرَى أَوْ أَيُّ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى  
 مَعْتَبَرِهِ فِيهَا اللَّهُمَّ إِلَّا شُورَاهُ فِيمَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَوْجُودَةٌ فِي  
 الْإِسْتِفْتَاءِ خَاصَّةً وَآمَّا شُورَاهُ فِي السِّيَاسَةِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا لِتَقْدَانِهِ الْعَصِيَّةَ وَالْيَأَمَ عَلَى  
 مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا وَإِنَّمَا إِكْرَامُهُمْ مِنْ تَبَرُّعَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ الشَّاهِدَةِ  
 لَهُمْ بِجَبِيلِ الْإِعْتِقَادِ فِي الدِّينِ وَتَعْظِيمِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ بِأَيِّ جِهَةٍ انْتَسَبَ وَآمَّا قَوْلُهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفُقَهَاءَ فِي الْأَغْلَبِ إِذَا الْعَهْدُ وَهُوَ أَحْتَفَ  
 بِهِ إِنَّمَا حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَقْوَالاً فِي كَيْفِيَّةِ الْأَعْمَالِ فِي الْعِبَادَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الْقَضَاءِ فِي  
 الْمَعَامَلَاتِ يَنْصُونَهَا عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا هَذِهِ غَايَةُ أَكْبَارِهِمْ وَلَا يَتَصِفُونَ إِلَّا  
 بِالْأَقْلِ مِنْهَا وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالسَّلَفُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ مِنْ  
 الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ اتِّصَافاً بِهَا وَتَحَقُّقاً بِمَذَاهِبِهَا فَمَنْ حَمَلَهَا اتِّصَافاً وَتَحَقُّقاً دُونَ نَثْلِ  
 فَهُوَ مِنَ الْوَارِثِينَ مِثْلَ أَهْلِ رِسَالَةِ الْقُسَيْرِيِّ وَمَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الْأَمْرَانِ فَهُوَ الْعَالِمُ وَهُوَ  
 الْوَارِثُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِثْلَ فُقَهَاءِ الثَّائِبِينَ وَالسَّلَفِ وَالْأَثْنَةِ الْأَرْبَعَةِ وَمَنْ أَقْتَفَى طَرِيقَهُمْ  
 وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِمْ وَإِذَا انْفَرَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأُمَمِ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ فَالْعَابِدُ أَحَقُّ بِالْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لِأَنَّ الْعَابِدَ وَرِثَ بَصِيفَةٍ وَالْفَقِيهُ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لَمْ يَرِثْ  
 شَيْئاً إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ أَقْوَالٍ يَنْصُهَا عَلَيْنَا فِي كَيْفِيَّاتِ الْعَمَلِ وَهُؤُلَاءِ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ  
 عَصْرِنَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

(العدالة) \* وَهِيَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِلْقَضَاءِ وَمِنْ مَوَادِّ تَضْرِيْفِهِ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ  
 الْوُظِيفَةُ الْقِيَامُ عَنْ إِذْنِ الْقَاضِي بِالشَّهَادَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ تَحْمُلاً عِنْدَ  
 الْإِشْهَادِ وَأَدَاءً عِنْدَ التَّنَازُعِ وَكُتِبَ فِي السِّجِلَاتِ تُحْفَظُ بِهِ حُقُوقُ النَّاسِ وَأَمْلَا كُهُمْ  
 وَدُيُونُهُمْ وَسَاوَرُ مَعَامَلَاتِهِمْ وَشَرَطُ هَذِهِ الْوُظِيفَةِ الْإِتِّصَافُ بِالْعَدَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْبَرَاءَةِ  
 مِنَ الْجُرْحِ ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُتْبِ السِّجِلَاتِ وَالْعُقُودِ مِنْ جِهَةِ عِبَارَاتِهَا وَانْتِظَامِ فُصُولِهَا وَمِنْ



جهة أحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ إلى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج إليه من الإران<sup>(١)</sup> على ذلك والممارسة له أخص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القانمون به كأنهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصحح أحوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالهذه عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه وإذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة في تعيين من تحق عدالته على القضاة بسبب اتساع الأمصار واشتباة الأحوال واضطرار القضاة إلى الانصراف بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيعزلون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الأمصار ذكاكين ومخاطب يختصون بالجلوس علينا فيتماهدتهم أصحاب المعاملات للإشهاد وتشيده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركاً بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي أخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله تعالى أعلم

### الحسبة والسكة

أما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحيل الناس على التصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الخلاين وأهل السفن من الإكثار في الحمل والحكم على أهل الباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين في المسكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل إلى عليه من ذلك ويوقع إليه وليس له إمضاء الحكم في الدناوي مطلقاً بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها في المكاييل والموازين وله أيضاً حمل المطاطلين على الإنصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بيعة ولا إنفاذ حكم وكأنها أحكام

(١) المران بكسر الميم التمرن والاعتياد على الشيء اهـ

يَتَذَرُ الْقَاضِي عَنْهَا لِعُمُومِهَا وَسُهُولَةِ اغْرَاضِهَا فَتُدْفَعُ إِلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْوِظِيَّةِ لِيَقُومَ بِهَا  
فَوْضُوعُهَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ خَادِمَةً لِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ وَقَدْ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ الْعَبْدِيِّينَ بِبِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَمُورِيِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ دَاخِلَةً فِي عُمُومِ  
وِلَايَةِ الْقَاضِي يُورِي فِيهَا بِاخْتِيَارِهِ ثُمَّ لَمَّا انْفَرَدَتْ وَظِيَّةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخِلَافَةِ صَارَ  
نَظَرُهُ عَامًّا فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ أَنْدَرَجَتْ فِي وَظَائِفِ الْمَلِكِ وَأُفْرِدَتْ بِالْوِلَايَةِ .

وَأَمَّا السِّكَّةُ فَفِي النَّظَرِ فِي التَّقْوِدِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَحِفْظِهَا تَمَّا يُدَاخِلُهَا  
مِنَ الْغَشْرِ أَوْ النَّقْصِ إِنْ كَانَ يُتَعَامَلُ بِهَا عَدَدًا أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَيُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ  
جَمِيعِ الْإِعْتِبَارَاتِ ثُمَّ فِي وَضْعِ عَلَامَةِ السُّلْطَانِ عَلَى تِلْكَ التَّقْوِدِ بِالِاسْتِجَادَةِ وَالْخُلُوصِ  
بِرُسْمِ تِلْكَ الْعَلَامَةِ فِيهَا مِنْ خَاتَمِ حَدِيدٍ تُخَذُ لَذَلِكَ وَتُنَشَّ فِيهِ نُقُوشٌ خَاصَّةٌ بِهِ فَيُوضَعُ  
عَلَى الدِّينَارِ بَعْدَ أَنْ يُقَدَّرَ وَيُضْرَبَ عَلَيْهِ بِالْمِطْرَقَةِ حَتَّى تُرْسَمَ فِيهِ تِلْكَ النُّقُوشُ وَتَكُونَ  
عَلَامَةً عَلَى جُودَتِهِ بِحَسَبِ الْغَايَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا السِّبْكُ وَالتَّخْلِيصُ فِي مُتَعَارِفِ أَهْلِ  
الْقَطْرِ وَمَذَاهِبِ الدَّوَلَةِ الْخَاسِمَةِ فَإِنَّ السِّبْكُ وَالتَّخْلِيصَ فِي التَّقْوِدِ لَا يَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ  
وَإِنَّمَا تَرْجِعُ غَايَتُهُ إِلَى الْاجْتِهَادِ فَإِذَا وَقَفَ أَهْلُ أَفْقٍ أَوْ قَطْرِ عَلَى غَايَةٍ مِنَ التَّخْلِيصِ  
وَقَفُوا عِنْدَهَا وَسَوَّوْهَا إِمَامًا وَعِيَارًا يَعْتَبِرُونَ بِهِ نُقُودَهُمْ وَيَتَقَدَّوْنَهَا بِمِثَالَتِهَا فَإِنْ نَقَصَ  
أَعْنُ ذَلِكَ كَانَ زَيْفًا وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْوِظِيَّةِ وَهِيَ دِينِيَّةٌ بِهَذَا  
الْإِعْتِبَارِ فَتُسَرِّجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَقَدْ كَانَتْ تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ وِلَايَةِ الْقَاضِي ثُمَّ أُفْرِدَتْ  
لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا وَقَعَ فِي الْجُمْلَةِ هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ فِي الْوِظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَبَيَّتْ مِنْهَا  
وَظَائِفُ ذَهَبَتْ بِذَهَابٍ مَا يُنْظَرُ فِيهِ وَآخَرَى صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً فَوْظِيَّةً الْإِمَارَةِ وَالْوِزَارَ  
وَالْحَرْبِ وَالْخَرَاجِ صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً نَسَكَلَمُ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِنِهَا بَعْدَ وَظِيَّةِ الْجِهَادِ وَوَظِيَّةِ  
الْجِهَادِ بَطَلَتْ بِبُطْلَانِهِ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنَ الدُّوَلِ يُعَارِسُونَهُ وَيُدْرِجُونَ أَحْكَامَهُ غَالِيًا فِيهِ  
السُّلْطَانِيَّاتِ وَكَذَا نَقَابَةُ الْأَنْسَابِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْخِلَافَةِ أَوْ الْحَقِّ فِي بَيْتِ الْمَالِ  
قَدْ بَطَلَتْ لِذُلُورِ الْخِلَافَةِ وَرُسُومِهَا وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ أَنْدَرَجَتْ رُسُومُ الْخِلَافَةِ وَوَظَائِفُهَا فِي  
رُسُومِ الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا مُصَرَفُ الْأُمُورِ كَيْفَ يَشَاءُ



## الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب بأمير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء  
وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم  
وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر  
على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استقلوا هذا اللقب بكثرة وطول إضافته وأنه  
يترايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى الهجئة ويذهب منه التثنية بتعدد الإضافات  
وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى  
به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو قيل من الإمارة وقد كان  
الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة  
أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية  
وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه  
يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه  
بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيل يزيد بن جندب  
بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير  
المؤمنين وسميها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين  
حقاً فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشار كهم  
فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بني أمية ثم إن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام نعتاً له  
بالإمامة التي هي أخت الخلافة وتغريضاً بذهيهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من  
أبي بكر لما هو مذهبهم ويدعهم فخصوه بهذا اللقب ولعن يسوقون إليه منصب  
الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخفاء  
حتى إذا استولون على الدولة يحولون اللقب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله  
شيعة بني العباس فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالإمام إلى إبراهيم الذي جهروا  
بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما هلك دعي أخوه السفاح بأمير المؤمنين  
وكذا الرافضة بأفريقية فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى

أَنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى عِيْدِ اللَّهِ الْهَيْدِيِّ وَكَانُوا أَيْضًا يَدْعُونَهُ بِالْإِمَامِ وَلِابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
 مِنْ بَعْدِهِ خَطْمًا اسْتَوْتَقَ لَهُمُ الْأَمْرُ دُعَا مِنْ بَعْدِهَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَا الْأَدَارِسَةُ  
 بِالْمَغْرِبِ كَانُوا يُلقِبُونَ أَدْرِيسَ بِالْإِمَامِ وَأَبْنَهُ أَدْرِيسَ الْأَصْفَرَ كَذَلِكَ وَهَكَذَا شَأْنُهُمْ  
 وَتَوَارَثَ الْخُلَفَاءُ هَذَا اللَّقَبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلُوهُ سِمَةً لِعَنْ يَمْلِكُ الْحِجَازَ وَالشَّامَ  
 وَالْعِرَاقَ وَالْمَوَاطِنَ الَّتِي هِيَ دِيَارُ الْعَرَبِ وَمَرَاكِزُ الدَّوْلَةِ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ وَالْفَتْحِ وَأَزْدَادُ  
 لَدَيْكَ فِي عُقُوفَانِ الدَّوْلَةِ وَبَذَخَهَا لِقَبِّ آخِرِ الْخُلَفَاءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لَنَا فِي  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الْأَشْرَافِ بَيْنَهُمْ فَاسْتَحْدَثَ لِدَيْكَ بَنُو الْعَبَّاسِ حِجَابًا لِأَسْمَائِهِمْ  
 الْأَعْلَامِ عَنْ أَمْتِهَانِهَا فِي أَلْسِنَةِ الشُّوْقَةِ وَصَوْنًا لَهَا عَنْ الْإِبْتِدَالِ فَتَلَقَّبُوا بِالسَّفَاحِ وَالْمَصُورِ  
 وَالْهَيْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَقْتَنَى أَثَرُهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَيْدِيُّونَ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
 وَمِصْرَ وَتَجَافَى بَنُو أُمَيَّةَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْرِقِ قَبْلَهُمْ مَعَ الْغَضَاضَةِ وَالسَّدَاجَةِ لِأَنَّ  
 الْعُرُوبِيَّةَ وَمَنَازِعَهَا لَمْ تُفَارِقْهُمْ حِينَئِذٍ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ شِعَارُ الدَّوَارَةِ إِلَى شِعَارِ الْحِضَارَةِ  
 وَأَمَّا بِالْأَنْدَلُسِ فَتَلَقَّبُوا كَسَلَفِهِمْ مَعَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ ذَلِكَ بِالْقُصُورِ  
 عَنْ مُلْكِ الْحِجَازِ أَصْلَ الْعَرَبِ وَالْمِلَّةِ وَالْبُعْدِ عَنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الَّتِي هِيَ مَرْكَزُ الْعَصِيَّةِ  
 وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا مَنَعُوا بِإِمَارَةِ الْقَاصِيَةِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مَهَالِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخِلُ الْآخِرُ مِنْهُمْ وَهُوَ النَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لِأَوَّلِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَأَشْهَرَ مَا قَالَ الْخِلَافَةَ بِالْمَشْرِقِ  
 مِنَ الْحَجْرِ وَاسْتَبْدَادِ الْمَوَالِي وَعَيْتِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ بِالْعَزْلِ وَالْإِسْتِبْدَالِ وَالْقَتْلِ وَالسُّلْ  
 ذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا إِلَى مِثْلِ مَذَاهِبِ الْخُلَفَاءِ بِالْمَشْرِقِ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَتَسَمَّى  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَأَخَذَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَادَةٌ وَمَذْهَبٌ لَقِّنَ عَنْهُ  
 وَلَمْ يَكُنْ لِأَبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَاسْتَمَرَّ أَتْلَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ عَصِيَّةُ  
 الْعَرَبِ أَجْمَعَ وَذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَ الْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَالصَّنَائِعِ  
 عَلَى الْعَيْدِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَصَنَاهَا عَلَى أُمَرَاءِ أَفْرِيقِيَّةِ وَزَنَاقَةِ عَلَى الْمَغْرِبِ وَمُلُوكِ  
 الطَّوَاتِفِ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى أَمْرِ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَقْتَسَمُوهُ وَأَفْتَرَقَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ فَأَخْتَلَفَتْ  
 مَذَاهِبُ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ فِي الْإِخْتِصَاصِ بِالْأَلْقَابِ بَعْدَ أَنْ تَسَمَّوْا جَمِيعًا  
 بِأَسْمِ السُّلْطَانِ . فَأَمَّا مُلُوكُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَجَمِ فَكَانَ الْخُلَفَاءُ يَحْصُونَهُمْ بِالْقَابِ



تَشْرِيفِيَّةٌ حَتَّى يُسْتَشْعَرَ مِنْهَا انْتِيَادُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ وَحُسْنُ وَلَايَتِهِمْ مِثْلَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَعُضْدِ الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَنَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَنِظَامِ الْمُلْكِ وَبِنَاءِ الدَّوْلَةِ وَذَخِيرَةِ الْمُلْكِ وَأَمثالُ هَذِهِ وَكَانَ الْعَبِيدِيُّونَ أَيْضًا يَحْذَرُونَ بِهَا أُمَرَاءَ صَنْهَاجَةَ فَلَمَّا اسْتَبَدُّوا عَلَى الْخِلَافَةِ قَنَعُوا بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ وَتَجَافَوْا عَنْ الْأَقْبَابِ الْخِلَافَةِ أَدْبًا مَعَهَا وَعُدُولًا عَنْ سِمَاتِهَا الْمُخْتَصَّةِ بِهَا شَأْنِ الْمُتَعَلِّقِينَ الْمُسْتَبْدِينَ كَمَا قُلْنَا وَتَزَعَّ الْمُتَأَخَّرُونَ أَعَاجِمَ الْمَشْرِقِ حِينَ قَوِيَ اسْتِبْدَادُهُمْ عَلَى الْمُلْكِ وَعَلَا كَهْمُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ وَتَلَاثَتِ عَصِيَّةُ الْخِلَافَةِ وَأَضْمَحَلَّتْ بِالْجُمْلَةِ إِلَى انْتِحَالِ الْأَلْقَابِ الْخَاصَّةِ بِالْمُلْكِ مِثْلِ النَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَزِيَادَةِ عَلَى الْأَقْبَابِ يَحْتَضِرُونَ بِهَا قَبْلَ هَذَا الْإِنْتِحَالِ مُشْعِرَةً بِالْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ الْوَلَاءِ وَالْإِصْطِنَاعِ بِأَضَافُوهَا إِلَى الدِّينِ فَقَطُّ فَيَقُولُونَ صَلَاحُ الدِّينِ أَسَدُ الدِّينِ نَوْرُ الدِّينِ . وَأَمَّا مُلُوكُ الطُّوَاغِ بِأَنْدَلُسٍ فَأَقْتَسَمُوا الْأَقْبَابَ الْخِلَافَةَ وَتَوَدَّعَوْهَا لِقُوَّةِ اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَيْهَا بِأَنَّ كَانُوا مِنْ قَبِيلِهَا وَعَصِيَّتُهَا فَتَلَقَّبُوا بِالنَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمُعْتَمِدِ وَالْمُظَفَّرِ وَأَمثالِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي شَرْفٍ يَتَعْنَى عَلَيْهِمْ

يَمَا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَسْمَاءُ مُعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
الْأَقْبَابُ تَمْلِكَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

وَأَمَّا صَنْهَاجَةُ فَأَقْتَصَرُوا عَنْ الْأَلْقَابِ الَّتِي كَانَ الْخُلَفَاءُ الْعَبِيدِيُّونَ يُلَقَّبُونَ بِهَا لِلتَّوْبِيهِ مِثْلَ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَأَتَّصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ لَمَّا أَدَاوُوا مِنْ دَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ ثُمَّ بَعُدَتِ الشُّقَّةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخِلَافَةِ وَنَسُوا عَهْدَهَا فَتَسَوَّاهُ هَذِهِ الْأَلْقَابَ وَأَقْتَصَرُوا عَلَى اسْمِ السُّلْطَانِ وَكَذَا شَأْنُ مُلُوكِ مَغْرَاوَةِ بِالْمَغْرِبِ لَمْ يَنْتَحِلُوا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَلْقَابِ إِلَّا اسْمَ السُّلْطَانِ جَوِيًّا عَلَى مَذَاهِبِ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاظَةِ وَلَمَّا مَجِيَّ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَنَطَّلَ دَسْتُهَا وَقَامَ بِالْمَغْرِبِ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ مَلِكُ لِمُتُونَةَ فَتَمَلَّكَ الْعُدَوَتَيْنِ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِقْتِدَاءِ تَزَعَّتْ بِهِ هِمَّتُهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَكْمِيلًا لِمَرَاسِمِ دِينِهِ فَخَاطَبَ الْمُسْتَظْهَرَ الْعَبَّاسِيَّ وَأَوْفَدَ عَلَيْهِ بَيْعَتَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبْنَهُ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مِنْ مَشِيخَةِ إِسْبِيلِيَّةٍ يَطْلُبَانِ تَوَلِيَّتَهُ إِيَّاهَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَتَهْلِيئَتَهُ ذَلِكَ فَانْقَلَبُوا إِلَيْهِ بِعَهْدِ الْخِلَافَةِ لَهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَشَارَ زَيْهَمَ فِي لُبُوسِهِ وَرُتْبَتِهِ وَخَاطَبَهُ فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفًا وَاخْتِصَاصًا فَأَتَّخَذَهَا لِقَبًا وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ دُعِيَ لَهُ بِأَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَدْبَاءٍ مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْمُرَاطِبُونَ مِنْ أَنْتِخَالِ  
الدِّينِ وَاتِّبَاعِ الشُّنَّةِ وَبَاءِ الْمَهْدِيِّ عَلَى أَثَرِهِمْ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ اخْتِذَا بِمَذَاهِبِ  
الْأَشْعَرِيَّةِ نَاعِيًا عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ عُدُولَهُمْ عَنْهَا إِلَى تَقْلِيدِ السَّلَفِ فِي تَرْكِ التَّأْوِيلِ  
لِظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَمَا يَوُولُ إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنَ التَّجَسُّمِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيَّةِ  
وَسَمَّى أَتْبَاعَهُ الْمُوَحِّدِينَ تَعْرِيفًا بِذَلِكَ الْكِبَرِ وَكَانَ يَرَى رَأْيَ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي  
الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ يُحَاطُ بِوُجُودِهِ نِظَامُ هَذَا الْعَالَمِ فَسُمِّيَ  
الْإِمَامُ لِمَا قُلْنَاهُ أَوَّلًا مِنْ مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ فِي الْقَابِ خُلَفَائِهِمْ وَأُرْدِفَ بِالْمَعْصُومِ  
إِشَارَةً إِلَى مَذْهَبِهِ فِي عِصْمَةِ الْإِمَامِ وَتَثَرَّةً عِنْدَ أَتْبَاعِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِذَا  
بِمَذَاهِبِ السُّنَنِيِّينَ مِنَ الشَّيْعَةِ وَلَمَّا فِيهَا مِنْ مُشَارَكَةِ الْأَعْمَارِ وَالْوِلْدَانِ مِنْ أَعْقَابِ  
أَهْلِ الْخِلَافَةِ يَوْمَئِذٍ بِالشَّرْقِ ثُمَّ أَنْتَحَلَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَلِيُّ عَهْدِهِ الْقَبَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَجَرَى عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ خُفَاءُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَآلُ أَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتِثْنَاءً بِهِ  
عَنْ سِوَاهُمْ لَمَّا دَعَا إِلَيْهِ شَيْخُهُمُ الْعَبْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَأَوَّلِيَاؤُهُ مِنْ  
بَعْدِهِ كَذَلِكَ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ لِانْتِفَاءِ عَصِيَّةِ قُرَيْشٍ وَتَلَاشِيهَا فَكَانَ ذَلِكَ دَائِبُهُمْ وَلَمَّا  
انْتَقَضَ الْأَمْرُ بِالْمَغْرِبِ وَأَنْزَعَتْ زَنَاقَةُ ذَهَبِ أَوْلَهُمْ مَذَاهِبَ الدَّوَاةِ وَالسَّذَاجَةِ وَأَتْبَاعَ  
لِثَوْنَةٍ فِي أَنْتِخَالِ الْقَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدْبَاءٌ مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَى طَاعَتِهَا  
لِبَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَوَّلًا وَلِبَنِي أَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ تَوَعَّ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَبِّ  
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَحَلُوهُ لِهَذَا الْعَهْدِ اسْتِغْلَاغًا فِي مَنَازِعِ الْمُلْكِ وَتَشْيِيمًا لِمَذَاهِبِهِ  
وَسِمَاتِهِ وَأَلْفَهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

### الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود  
إِعْلَمُ أَنَّ أَلِئْلَةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ قَائِمٍ عِنْدَ غَيْبَةِ النَّبِيِّ يَحْمِلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِهَا وَشَرَائِعِهَا  
وَيَكُونُ كَالْخَلِيفَةِ فِيهِمْ لِلنَّبِيِّ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ وَالتَّوَعُّعِ الْإِنْسَانِي أَيْضًا بِأَ  
تَقَدَّمَ مِنْ ضَرُورَةِ السِّيَاسَةِ فِيهِمْ لِلْإِجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ شَخْصٍ يَحْمِلُهُمْ عَلَى  
مَصَالِحِهِمْ وَيُزَعِّمُهُمْ عَنْ مَفَاسِدِهِمْ بِالْقَمَرِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمَلِكِ وَالْمِلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَمَّا  
كَانَ الْجِهَادُ فِيهَا مَشْرُوعًا لِعُمُومِ الدَّعْوَةِ وَحَمْلِ الْكَافَّةِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ طَوْعًا أَوْ



كُرْهًا اتَّخَذَتْ فِيهَا الْخِلَافَةَ وَالْمُلْكُ إِتَوْجِهَ الشُّوْكَةُ مِنْ الْقَائِدِينَ بِهَا إِلَيْهَا مَعًا وَأَمَّا  
مَا سِوَى الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلَمْ تَكُنْ دَعْوَتُهُمْ عَامَّةً وَلَا الْجَوَادُ عِنْدَهُمْ مَشْرُوعًا إِلَّا  
فِي الْمُدَافَعَةِ فَقَطَّ فَصَارَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الدِّينِ فِيهَا لَا يَغْنِيهِ شَيْءٌ مِنْ سِيَاسَةِ الْمُلْكِ وَإِنَّمَا  
وَقَعَ الْمُلْكُ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بِالْعَرَضِ وَالْأَمْرُ غَيْرُ دِينِي وَهُوَ مَا اقْتَضَتْ لَهُمُ الْعَصِيَّةُ لِمَا  
فِيهَا مِنْ الطَّلَبِ لِلْمُلْكِ بِالطَّبَعِ لِمَا قَدَّمَاهُ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ بِالْتَّعَابِ عَلَى الْأُمَمِ  
كَمَا فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِنَّمَا هُمْ مَطْلُوبُونَ بِإِقَامَةِ دِينِهِمْ فِي خَاصَّتِهِمْ وَلِذَلِكَ بَقِيَ  
بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَيُوشَعَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَعْتُشُونَ  
بشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْمُلْكِ إِنَّمَا هُمُومُهُمْ إِقَامَةُ دِينِهِمْ فَقَطَّ وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ بَيْنَهُمْ يُسَمَّى  
الْكُوهَنَ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُتِمُّ لَهُمْ أَمْرَ الصَّلَاةِ وَالْقُرْبَانِ وَيَشْتَرِطُونَ  
فِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُعَقِّبْ ثُمَّ اخْتَارُوا  
لِلْإِقَامَةِ السِّيَاسَةَ الَّتِي هِيَ لِلْبَشَرِ بِالطَّبَعِ سَعِينَ شَيْخًا كَانُوا يَتَأَوَّنُ أَحْكَامَهُمُ الْعَامَّةُ  
وَالْكُوهَنُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ رُتَبَةً فِي الدِّينِ وَأَبْعَدُ عَنْ شُغْلِ الْأَحْكَامِ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ  
إِلَى أَنْ اسْتَحْكَمَتْ طَبِيعَةُ الْعَصِيَّةِ وَتَمَحَّضَتِ الشُّوْكَةُ لِلْمُلْكِ فَغَلَبُوا الْكَنْعَانِيِّينَ عَلَى  
الْأَرْضِ الَّتِي أَوْزَعَتْهُمُ اللَّهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَمَا جَاوَرَهَا كَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَارِبَتْهُمْ أُمَمُ الْفِلِسْطِينِ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْأَرَمِيِّينَ وَأَرْدُنَّ وَعَمَّانُ  
وَمَارِبُ وَرَبَّاسَتُهُمْ فِي ذَلِكَ رَاحَةً إِلَى شُيُوخِهِمْ وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ  
سَنَةً وَلَمْ تَكُنْ بِهِمْ صَوْلَةُ الْمُلْكِ وَضَجَرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَلِبَ الْأُمَمُ وَقُتِلَ جَاوَتْ مَلِكُ  
الْفِلِسْطِينِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ دَاوُدُ ثُمَّ سُلَيْمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَاسْتَفْعَلَ مُلْكُهُ وَامْتَدَّ  
إِلَى الْحِجَازِ ثُمَّ أَطْرَافَ الْيَمَنِ ثُمَّ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِ الرُّومِ ثُمَّ افْتَرَقَ الْأَسْبَاطُ مِنْ بَعْدِ  
سُلَيْمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمُتَضَيِّ الْعَصِيَّةِ فِي الدُّوَلِ كَمَا قَدَّمَاهُ إِلَى دَوْلَتَيْنِ كَانَتْ  
إِحْدَاهُمَا بِالْجَزِيرَةِ وَالتَّوَصَّلَ لِلْأَسْبَاطِ الْعَشْرَةِ وَالْأُخْرَى بِالْقُدْسِ وَالشَّامِ لِبَنِي يَهُوذَا  
وَبَنِيَامِينَ ثُمَّ غَلَبَهُمْ بَحْتُ نَصْرٍ مَلِكُ بَابِلَ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمُلْكِ أَوَّلًا الْأَسْبَاطُ  
الْعَشْرَةُ ثُمَّ تَانِيًا بَنِي يَهُوذَا وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ بَعْدَ اتِّصَالِ مُلْكِهِمْ نَحْوَ أَلْفِ سَنَةٍ وَخَرَّبَ  
مَسْجِدَهُمْ وَأَحْرَقَ تَوَارِثَهُمْ وَأَمَاتَ دِينَهُمْ وَنَقَلَهُمْ إِلَى أَصْبَهَانَ وَبِلَادِ الْعِرَاقِ إِلَى أَنْ  
رَدَّهُمْ بَعْضُ مُلُوكِ الْكِلْيَانِيَّةِ مِنَ الْفُرسِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ بَعْدِ سَعِينَ سَنَةً مِنْ

خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأول للكهنة فقط والملك  
للفرس ثم غلب الإسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكيتهم ثم  
فشل أمر اليونانيين فآثر اليهود عليهم بالعصية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء  
عليهم وقام بملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمتاي وقاتلوا يونان حتى  
انقرض أمرهم وغلّبهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا إلى بيت المقدس وفيها  
بنو هيرودس أصهار بني حشمتاي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها غنوة  
وأفحشوا في القتل والهدم والتحريق وخرّبوا بيت المقدس وأجلّوهم عنها إلى رومة وما  
وراءها وهو الخراب الثاني للمسجد ويسميه اليهود بالجلوة الكبرى فلم يبق لهم  
بعدها ملك لفقدان العصية منهم وبقيوا بعد ذلك في ملكة الروم من بعدهم يقيم  
لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكرون \* ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه  
عليه بنا جاءهم به من الدين والنسخ لبعض أحكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق  
العجيبة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى واجتماع عليه كثير من الناس  
وآمنا به وأكثرهم الخواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلًا إلى  
الآفاق داعين إلى إلمته وذلك أيام أوغسطس أول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس  
ملك اليهود الذي أذرع الملك من بني حشمتاي أصهاره فحسده اليهود وكذبوه  
وكاتب هيرودس مديكهم ملك القياصرة أوغسطس يغريه به فأذن لهم في قتله  
ورفع ما تلاه القرآن من أمره وأفترق الخواريون شيعا ودخل أكثرهم بلاد الروم  
داعين إلى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم قتل برومة دار ملك القياصرة ثم  
كتبوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف  
رواياتهم فكتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي  
منهم إلى اللسان اللاتيني وكتب لوقا ومنهم إنجيله باللاتيني إلى بعض أكابر الروم  
وكتب يوحنا بن زبدي منهم إنجيله برومة وكتب بطرس إنجيله باللاتيني ونسبه  
إلى مرقاس تلميذه واختلت هذه النسخ الأربع من الإنجيل مع أنها ليست كلها  
وحيًا صرفًا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الخواريين وكلها مواظ  
وقصص والأحكام فيها قليلة جدًا واجتمع الخواريون الرسل لذلك العهد برومة



وَوَضَعُوا قَوَانِينَ أَلِيلَةَ النَّصْرَانِيَّةِ وَصَيَّرُوهَا بِيَدِ أَقْلِيْمَنْطُسَ بَلْبِيْدِ بِطْرُسَ وَكَتَبُوا فِيهَا  
عَدَدَ الْكُتُبِ الَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا فَمِنْ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ التَّوْرَةُ وَهِيَ خَمْسَةُ  
أَسْفَارٍ وَكِتَابُ يُوشَعَ وَكِتَابُ الْقَضَاءِ وَكِتَابُ رَاعُوثَ وَكِتَابُ يَهُوذَا وَأَسْفَارُ الْمُلُوكِ  
أَرْبَعَةٌ وَسِفْرُ بَنِيَامِينَ وَكُتُبُ الْمَتَّائِيَّيْنَ لِابْنِ كَرِيُونَ ثَلَاثَةٌ وَكِتَابُ عَزْرَا الْإِمَامِ  
وَكِتَابُ أُوشِيرَ وَقِصَّةُ هَامَانَ وَكِتَابُ أُيُوبَ الصِّدِّيقِ وَمَزَامِيرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُتُبُ  
أَبْنَيْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَنُبُوءَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ سِتَّةٌ عَشَرَ وَكِتَابُ  
يَشُوعَ بْنِ شَارِخَ وَزَيْرِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ شَرِيعَةِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَتْلَقَاتُ مِنَ  
الْحَوَارِيِّينَ دُمُخُ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعِ وَكُتُبُ الْيَتَا لِيَقُونَ مَسْعُ رَسَائِلَ وَدُمُهَا الْإِبْرِيكْسِيسُ  
فِي قِصَصِ الرُّسُلِ وَكِتَابُ بُولُسَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ رِسَالَةً وَكِتَابُ أَقْلِيْمَنْطُسَ وَفِيهِ الْأَحْكَامُ  
وَكِتَابُ أَبُوغَالِيسِيسَ وَفِيهِ رُؤْيَا يُوْحَنَّا بْنِ زَبْدِي وَأَخْتَلَفَ شَأْنُ الْقِيَاصِرَةِ فِي الْأَخْذِ  
بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ ثَلَاثَةً وَتَعْظِيمِ أَهْلِهَا ثُمَّ تَرَكَهَا أُخْرَى وَالتَّسَاطُ عَلَيْهِمُ بِالْقَتْلِ وَالْبَغْيِ إِلَى  
أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ وَأَخَذَ بِهَا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا وَكَانَ صَاحِبُ هَذَا الدِّينِ وَالْمُتِمِّمِ  
إِبْرَاهِيمَ يُسَمُّونَهُ الْبَطْرَكَ وَهُوَ رَئِيسُ أَلِيلَةِ عِنْدَهُمْ وَخَلِيفَةُ الْمَسِيحِ فِيهِمْ يَبْعَثُ  
نَوَابَهُ وَخُلَفَاءَهُ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُ مِنْ أُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْأُسْقُفَ أَيْ نَائِبَ الْبَطْرَكَ  
وَيُسَمُّونَ الْإِمَامَ الَّذِي يُتِمُّ الصَّلَوَاتِ وَيُفْتِيهِمْ فِي الدِّينِ بِالْقِسْيسِ وَيُسَمُّونَ الْمُنْقَطِعَ  
الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْخَلْوَةِ لِلْعِبَادَةِ بِالرَّاهِبِ وَأَكْثَرُ خَلَوَاتِهِمْ فِي الصَّوَامِعِ وَكَانَ  
بَطْرُسُ الرَّسُولُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَكَبِيرُ التَّلَامِيذِ بِرُومَةِ يُتِمُّ بِهَا دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى  
أَنْ قَتَلَهُ زَيْدُونَ خَامِسُ الْقِيَاصِرَةِ فَيَمْنُ قَتَلَ مِنْ الْبَطَارِيقِ وَالْأَسَاقِفَةِ ثُمَّ قَامَ بِخِلَافَتِهِ فِي  
كُرْسِيِّ رُومَةِ أَرِيُوسُ وَكَانَ مَرْقَاسُ الْإِنْجِيلِيِّ بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَهَضَرَ وَالْمَغْرِبِ دَاعِيًا  
مَسْعُ سِنِينَ فَقَامَ بَعْدَهُ خَنَانِيَا وَلَسَمَى بِالْبَطْرَكَ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَطَارِكَةِ فِيهَا وَجَعَلَ مَعَهُ  
اَثْنَيْ عَشَرَ قِسًّا عَلَى أَرْزِهِ إِذَا مَاتَ الْبَطْرَكَ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنْ اِلَاثْنَيْ عَشَرَ مَكَانَهُ وَيَخْتَارُ  
مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا مَكَانَ ذَلِكَ اَلثَّانِي عَشَرَ فَكَانَ أَمْرُ الْبَطَارِكَةِ إِلَى الْقُسُوسِ ثُمَّ لَمَّا  
وَقَعَ الْأَخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي قَوَاعِدِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِ وَاجْتَمَعُوا بِبَنِيَّةِ أَيَّامِ قُسْطَنْطِينِ  
لِتَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي الدِّينِ وَاتَّفَقَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَنَانِيَّةٌ عَشَرَ مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ فِي  
الدِّينِ فَكَتَبُوهُ وَسَمَّوْهُ الْإِمَامَ وَصَيَّرُوهُ أَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ فِيْنَا كُتُبُهُ أَنْ

الْبَطْرِكَ الْقَائِمَ بِالْدِّينِ لَا يُوجَعُ فِي تَعْيِينِهِ إِلَى أَجْتِهَادِ الْأَقْسَةِ كَمَا قَرَّرَهُ حَنَانِيًّا تَلِيدَ  
 مَرْقَاسٍ وَأَبْطَلُوا ذَلِكَ الرَّأْيَ وَإِنَّمَا يُقَدَّمُ عَنْ بَلَاءٍ وَآخْتِبَارٍ مِنْ أَيْمَةِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَرُؤَسَائِهِمْ فَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَقْرِيرِ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَكَانَتْ لَهُمْ  
 مَجْتَمَعَاتٌ فِي تَقْرِيرِهِ وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ اللَّاعِدَةِ فَبَقِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ وَاتَّصَلَ  
 فِيهِمْ نِيَابَةُ الْأَسَاقِفَةِ عَنِ الْبَطَارِكَةِ وَكَانَ الْأَسَاقِفَةُ يَدْعُونَ الْبَطْرِكَ بِالْأَبِ أَيْضًا  
 تَعْظِيمًا لَهُ فَاسْتَبَدَّ الْأَسْمُ فِي أَصَارِ مُتَطَاوِلَةٍ يُقَالُ آخِرُهَا بَطْرَكِيَّةٌ هَرَقْلَ بِإِسْكَندَرِيَّةَ  
 خَارَآدُوا أَنْ يُعَيِّرُوا الْبَطْرِكَ عَنِ الْأَسْقَفِ فِي التَّعْظِيمِ فَدَعَوْهُ الْآبَا وَمَعْنَاهُ أَبُورِ الْآبَاءِ  
 وَظَهَرَ هَذَا الْأَسْمُ أَوَّلَ ظُهُورِهِ بِمِصْرَ عَلَى مَا زَعَمَ جَرَجِيسُ بْنُ الْعَمِيدِ فِي تَارِيخِهِ ثُمَّ  
 نَقَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الْكُرْسِيِّ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمْ وَهُوَ كُرْسِيُّ بَطْرُسَ الرَّسُولِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ  
 فَلَمْ يَزَلْ سِمَةً عَلَيْهِ حَتَّى الْآنَ ثُمَّ اخْتَلَفَتْ النَّصَارَى فِي دِينِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَفِيمَا يَعْتَقِدُونَهُ  
 فِي الْمَسِيحِ وَصَارُوا طَوَائِفَ وَفِرْقًا وَاسْتَظْهَرُوا بِمُلُوكِ النُّصْرَانِيَّةِ كُلِّ عَلَى صَاحِبِهِ  
 فَاخْتَلَفَ الْكُلُّ فِي الْعُصُورِ فِي ظُهُورِ فِرْقَةٍ دُونَ فِرْقَةٍ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّتْ لَهُمْ ثَلَاثُ  
 طَوَائِفَ هِيَ فِرْقَتُهُمْ وَلَا يَلْتَقُونَ إِلَى غَيْرِهَا وَهُمْ الْمَلِكِيَّةُ وَالْيَعْقُوبِيَّةُ وَالنِّسْطُورِيَّةُ ثُمَّ  
 تَخَصَّصَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ بِبَطْرِكَ فَبَطْرِكَ رُومَةَ الْيَوْمِ الْمُسَمَّى بِالْآبَا عَلَى رَأْيِ  
 الْمَلِكِيَّةِ وَرُومَةَ لِإِفْرَنْجِيَّةٍ وَمَلِكُهُمْ قَائِمٌ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ وَبَطْرِكَ الْمَعَاهِدِينَ بِمِصْرَ  
 عَلَى رَأْيِ الْيَعْقُوبِيَّةِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّتِهِمُ وَالْحَبْشَةِ يُدَبِّتُونَ بِدِينِهِمْ وَلِبَطْرِكَ مِصْرَ  
 فِيهِمْ أَسَاقِفَةُ يَتُوبُونَ عَنْهُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِمْ هُنَالِكَ وَاخْتَصَّ اسْمُ الْآبَا بِبَطْرِكَ رُومَةَ  
 بِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا تُسَمَّى الْيَعَاقِبَةُ بَطْرَكُهُمْ بِهَذَا الْأَسْمِ وَضَبَطُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ بِبَاءٍ مِنْ مُوَحَّدَتَيْنِ  
 مِنْ أَسْفَلُ وَالنُّطْقُ بِهَا مُنْجَمَةٌ وَالثَّانِيَّةُ مُشَدَّدَةٌ وَمِنْ مَذَاهِبِ الْآبَا عِنْدَ الْإِفْرَنْجِيَّةِ أَنَّهُ  
 يَخْصُصُهُمْ عَلَى الْإِنْتِيَادِ لِمَلِكٍ وَاحِدٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ تَخَرُّجًا مِنْ  
 أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ وَيُتَخَرَّى بِهِ الْعَصِيَّةُ الَّتِي لَا فَوْقَهَا مِنْهُمْ لِتَكُونَ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَى  
 جَمِيعِهِمْ وَيُسَمُّونَهُ الْإِنْبَرْدُورَ <sup>(١)</sup> وَحَرْفُهُ الْوَسْطُ بَيْنَ الذَّالِ وَالظَّاءِ الْمُعْجَمَتَيْنِ وَمُبَاشَرُهُ  
 يَضَعُ النَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ لِلتَّبَرُّكِ فَيُسَمَّى الْمَتَوَجَّحَ وَلَعَلَّهُ مَعْنَى لَفْظَةِ الْإِنْبَرْدُورِ وَهَذَا

(١) المشهور قديماً إمبراطور بالطاء المهملة والقرنيس تقول إمبرور ومعناها عندهم ملك الملوك



مَلَخَصُ مَا أوردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله يُبذل  
من يشاء ويهدي من يشاء

### الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقابها

إِعلم أن السُّلْطَانَ في نفسه ضَعِيفٌ يُحْتَمَلُ أَمْرًا ثَقِيلًا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ  
جَنَسِهِ وَإِذَا كَانَ يَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي ضَرُورَةٍ مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مِهْنِهِ <sup>(١)</sup> فَمَا ظَنُّكَ بِسِيَاسَةِ نَوْعِهِ  
وَمَنْ أَسْتَرَعَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ وَهُوَ مُنْتَجِحٌ إِلَى حَيَاةِ الْكَافَّةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ بِالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهُمْ وَإِلَى كَفِّ عُدْوَانِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي أَنْفُسِهِمْ بِإِمضاءِ الْأَحْكَامِ الْوَازِعَةِ  
فِيهِمْ وَكَفِّ الْعُدْوَانِ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ بِإِصْلَاحِ سَابِلَتِهِمْ وَإِلَى تَحْلِيلِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ  
وَمَا تَعْتُمُّهُمْ بِهِ الْبَاوِي فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَامَلَاتِهِمْ مِنْ تَقْضِ الْمَعَايِشِ وَالْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ  
حَذْرًا مِنَ التَّلَفِيفِ وَإِلَى النَّظَرِ فِي السَّكَّةِ بِحِفْظِ الثُّقُودِ الَّتِي يَتَعَامَلُونَ بِهَا مِنَ الْغَشِّ  
وَإِلَى سِيَاسَتِهِمْ بِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِزْتِيَادِ لَهُ وَالتَّرَضَى بِتَقَاصِدِهِ مِنْهُمْ وَأَنْفِرَادِهِ  
بِالْمَجْدِ ذُونَهُمْ فَيَتَحَمَّلُ مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ الْغَايَةِ مِنْ مُعَانَاةِ الْقُلُوبِ قَالَ بَعْضُ الْأَشْرَافِ  
مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُعَانَاةِ نَثْلِ الْجِبَالِ مِنْ أَمَّا كِنْهَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مُعَانَاةِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ  
إِنَّ الْإِسْتِعَانَةَ إِذَا كَانَتْ بِأُولِي الْقُرْبَى مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ أَوْ التَّزْيِينَةِ أَوْ الْإِصْطِنَاعِ  
الْقَدِيمِ لِلدَّوْلَةِ كَانَتْ أَكْمَلَ لِمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنْ مُجَانَسَةِ خُلُقِهِمْ لِحُلُقِهِ فَنِمَّ الْمَشَاكَلَةُ  
فِي الْإِسْتِعَانَةِ قَالَ تَكَلَّى وَآجَلُ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي  
وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَوْ قَلْبِهِ أَوْ رَأْيِهِ أَوْ مَنَافِقِهِ  
أَوْ بِحُجَابِهِ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَزْدَحُمُوا عَلَيْهِ فَيُشْغَلُوهُ عَنِ النَّظَرِ فِي مُهْمَاتِهِمْ أَوْ يَدْفَعِ النَّظَرَ  
فِي الْمُلْكِ كُلِّهِ وَيُعَوِّلَ عَلَى كِفَايَتِهِ فِي ذَلِكَ وَاضْطِلَاعِهِ فَلِذَلِكَ قَدْ تَوَجَّدُ فِي رَجُلٍ  
وَاحِدٍ وَقَدْ تَفَتَّرَ فِي أَشْخَاصٍ وَقَدْ يَنْفَرَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ كَالْقَلَمِ  
يَنْفَرَعُ إِلَى قَلَمِ الرِّسَالَةِ وَالْمُخَاطَبَاتِ وَقَلَمِ السُّكُوكِ وَالْإِقْطَاعَاتِ وَإِلَى قَلَمِ الْمُحَاسَبَاتِ  
وَهُوَ صَاحِبُ الْجَبَايَةِ وَالْعَطَاءِ وَدِيْوَانِ الْخَيْشِ وَكَالسَّيْفِ يَنْفَرَعُ إِلَى صَاحِبِ الْخَرْبِ

(١) المهنة الخدمة وجمعها من بكسر الميم

وَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ وَوَلَايَةِ الثُّورِ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْوُظَائِفَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُنْدرِجَةٌ تَحْتَ الْخِلَافَةِ لِأَحْيَالِ مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا كَمَا قَدْ مَنَاهُ فَلَا أَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ مُتَمَلِّقَةً بِجَبِيئِهَا وَمَوْجُودَةٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فِي سَائِرِ وُجُوهِهَا لِعُمُومِ تَعَلُّقِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالنَّاسِ يَنْظُرُ فِي مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَشُرُوطِ تَقْلِيدِهَا اسْتِبدَادًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَهُوَ مَعْنَى السُّلْطَانِ أَوْ تَعْرِيفًا مِنْهَا وَهُوَ مَعْنَى الْوِزَارَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا يَأْتِي فِي نَظَرِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأَمْوَالِ وَسَائِرِ السِّيَاسَاتِ مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا وَفِي مُوجِبَاتِ الْعَزْلِ إِنْ عَرَضَتْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَكَذَا فِي سَائِرِ الْوُظَائِفِ الَّتِي تَحْتَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ وَزَارَةٍ أَوْ جَبَايَةِ أَوْ وَلَايَةٍ لَا بُدَّ لِلْفَقِيهِ مِنْ النَّظَرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ كَمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ أَنْسَحَابِ حُكْمِ الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنْ كَلَامُنَا فِي وُظَائِفِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَرُتْبَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِمُقْتَضَى طَبِيعَةِ الْعُمَرَانِ وَوُجُودِ الْبَشَرِ لَا بِأَنْ يَخْصُهَا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا كَمَا قُلِمَتْ فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ مَعَ أَتْرَافِ مُسْتَوْفَاتٍ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ مِثْلَ كِتَابِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْمَوْرَدِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْلَامِ الشُّفَهَاءِ فَإِنْ أَرَدْتَ اسْتِيفَاءَهَا فَعَلَيْكَ بِمُطَالَعَتِهَا هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي الْوُظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَأَفْرَدْنَاهَا لِتَمَيِّزِ بَيْنِهَا وَبَيْنِ الْوُظَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ فَقَطْ لَا لِتَحْقِيقِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ بِأَنْ تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ فِي الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

الوزارة \* وَهِيَ أَمُّ الْخَطِّ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرُّتْبِ الْمُلُوكِيَّةِ لِأَنَّ اسْمَهَا يَدُلُّ عَلَى مُطْلَقِ الْإِعَانَةِ فَإِنَّ الْوِزَارَةَ مَأْخُودَةٌ إِمَّا مِنَ الْمَوَازَرَةِ وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ أَوْ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ الثَّقْلُ كَأَنَّهُ يَحْمِلُ مَعَ مَفَاعِيلِ أَوْزَارِهِ وَانْقَالَهُ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَعَاوَنَةِ الْمُطْلَقَةِ وَقَدْ كُنَّا قَدْ مَنَّا فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ أَنَّ أَحْوَالَ السُّلْطَانِ وَتَصَرُّفَاتِهِ لَا تَعْدُو أَرْبَعَةً لِأَنَّا إِذَا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ حَيَاةِ الْكَافَّةِ وَأَسْبَابِهَا مِنْ النَّظَرِ فِي الْجِدِّ وَالسِّلَاحِ وَالْحُرُوبِ وَسَائِرِ أُمُورِ الْحَيَاةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ الْمُتَعَارِفُ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ بِالشَّرْقِ وَإِذَا الْعَهْدُ بِالْمَغْرِبِ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ مُعَاظَلَاتِهِ لِمَنْ بَعْدَ عَنْهُ فِي



أُمُورِ جَبَايَةِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ وَضَبْطُ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمَضَبَّةٍ وَصَاحِبُ  
هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ وَالْجَبَايَةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوَزِيرِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالشَّرْقِ وَإِنَّمَا أَنْ  
يَكُونَ فِي مُدَافَعَةِ النَّاسِ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يُزِدَّجُوا عَلَيْهِ فَيُشْغَلُوا عَنْ فَهْمِهِ وَهَذَا  
رَاجِعٌ لِصَاحِبِ الْبَابِ الَّذِي يَحْبِبُهُ فَلَا تَعْدُو أَحْوَالُهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ بِوَجْهِهِ وَكُلُّ خِطَّةٍ  
أَوْ رُتْبَةٍ مِنْ رُتَبِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فَإِلَيْهَا يَرْجِعُ إِلَّا أَنْ الْأَرْفَعَ مِنْهَا مَا كَانَتْ الْإِعَانَةُ  
فِيهِ عَامَّةً فِيمَا تَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ مِنْ ذَلِكَ الصِّنْفِ إِذْ هُوَ يَقْضِي مُبَاشَرَةً السُّلْطَانِ دَائِمًا  
وَمُشَارَكَةً فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَحْوَالِ مُلْكِهِ وَأَمَّا مَا كَانَ خَاصًّا بِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ  
بِبَعْضِ أَلْجَهَاتِ فَيَكُونُ دُونَ الرُّتْبَةِ الْأُخْرَى كَقِيَادَةِ ثَغْرِ أَوْ وِلَايَةِ جَبَايَةِ خَاصَّةٍ أَوْ  
النَّظَرِ فِي أَمْرِ خَاصٍّ كَحِسْبَةِ الطَّعَامِ أَوْ النَّظَرِ فِي السِّكَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا نَظَرٌ فِي  
أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ فَيَكُونُ صَاحِبُهَا تَبَعًا لِأَهْلِ النَّظَرِ الْعَامِ وَتَكُونُ رُتْبَتُهُ مَرُوسَةً لِأُولَئِكَ  
وَمَا زَالَ الْأَمْرُ فِي الدُّوَلِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ هَكَذَا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ وَصَارَ الْأَمْرُ خِلَافَةً  
فَذَهَبَتْ تِلْكَ الْخِطَطُ كُلُّهَا بِذَهَابِ رَسْمِ الْمَلِكِ إِلَى مَا هُوَ طَبِيعِيٌّ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ بِالرَّأْيِ  
وَالْمُعَاوَضَةِ فِيهِ فَلَمْ يُمَكِّنْ زَوَالُهُ إِذْ هُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ وَيُذَوِّضُهُمْ فِي مُهِمَّاتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَيَخْصُ مَعَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ  
بِخُصُوصِيَّاتٍ أُخْرَى حَتَّى كَانَ الْعَرَبُ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّوَلَ وَأَحْوَالَهَا فِي كِنَرِي وَقِصَرِ  
وَالْتَجَاشِي يُسَمُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَزِيرَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَفْظُ الْوَزِيرِ يُعْرَفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِذَهَابِ  
رُتْبَةِ الْمَلِكِ بِسَدَاجَةِ الْإِسْلَامِ وَكَذَا عُمَرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٌّ وَعُثْمَانُ مَعَ عُمَرَ وَأَمَّا  
حَالُ الْجَبَايَةِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْحِسَابِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بِرُتْبَةٍ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عَرَبًا أَمِينِينَ  
لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ فَكَانُوا يَسْتَعِيلُونَ فِي الْحِسَابِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ أَفْرَادًا  
مِنْ مَوَالِي الْحَجَرِ مِمَّنْ يُجِيدُهُ وَكَانَ قَلِيلًا فِيهِمْ وَأَمَّا أَشْرَافُهُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يُجِيدُونَهُ  
لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ كَانَتْ صِفَتَهُمُ الَّتِي أَمْتَاؤُوا بِهَا وَكَذَا حَالُ الْمُحَاطَبَاتِ وَتَنْفِيذِ الْأُمُورِ لَمْ  
تَكُنْ عِنْدَهُمْ رُتْبَةٌ خَاصَّةٌ لِلْأُمِّيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَالْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ فِي كِتْمَانِ الْقَوْلِ  
وَتَأْدِيَتِهِ وَلَمْ تَخْرُجِ السِّيَاسَةُ إِلَى اخْتِيَارِهِ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا هِيَ دِينٌ لَيْسَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ  
الْمُلْكِيَّةِ فِي شَيْءٍ وَأَيْضًا فَلَمْ تَكُنِ الْكِتَابَةُ صِنَاعَةً فَيُسْتَجَادُ لِلْخَلِيفَةِ أَحْسَنُهَا لِأَنَّ  
الْكُلَّ كَانُوا يُعْبِرُونَ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ بِأَبْلَغِ الْعِبَارَاتِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَطُّ فَكَانَ الْخَلِيفَةُ

يَسْتَتِيبُ فِي كِتَابَتِهِ مَتَى عَنْ لَهُ مِنْ يُحْسِنُهُ وَأَمَّا مُدَافَعَةُ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ  
فَكَانَ مَحْظُورًا بِالشَّرِيعَةِ فَلَمْ يَفْعَلُوهُ فَلَمَّا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَجَاءَتْ رُسُومُ  
السُّلْطَانِ وَالْقَابِ بِكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ بُدِئَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ شَأْنُ الْبَابِ وَسَدُّهُ دُونَ الْجُمْهُورِ بِمَا  
كَانُوا يَخْشَوْنَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ اغْتِيَالِ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا وَقَعَ بِعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ  
وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَغَيْرِهِمْ مَعَ مَا فِي فَتْحِهِ مِنْ أَرْذِلَامِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ وَشُغْلِهِمْ بِهِمْ عَنْ  
الْمِهْمَاتِ فَاتَّخَذُوا مَنْ يَقُومُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَسَرُّهُ الْحَاجِبَ وَقَدْ جَاءَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا  
وَلَّى حَاجِبَهُ قَالَ لَهُ قَدْ وَلَيْتُكَ حِجَابَةً بَابِي إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةِ الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعِي  
إِلَى اللَّهِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ فَأَمْرٌ مَا جَاءَ بِهِ وَصَاحِبِ الطَّعَامِ لِئَلَّا يَفْسُدَ ثُمَّ اسْتَفْعَلَ الْمَلِكُ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَظَهَرَ الْمُشَاوِرُ وَالْمُعِينُ فِي أُمُورِ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَاسْتِثْلَافِهِمْ وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ  
الْوَزِيرِ وَبَقِيَ أَمْرُ الْحِسْبَانِ فِي الْمَوَالِي وَالذَّمِينِ وَاتَّخَذَ لِلسَّجَلَاتِ كَاتِبٌ مَخْصُوصٌ  
حَوْطَةً عَلَى أَسْرَارِ السُّلْطَانِ أَنْ تَشْتَهَرَ فَتَفْسُدَ سِيَاسَتُهُ مَعَ قَوْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِمَثَابَةِ  
الْوَزِيرِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَحْتِجَجُ لَهُ مِنْ حَيْثُ اخْطَأَ وَالْكِتَابُ لَا مِنْ حَيْثُ أَلْسَانُ الَّذِي هُوَ  
الْكَلَامُ إِذِ الْلسَانُ لِذَلِكَ الْعَبْدِ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَفْسُدْ فَكَانَتْ الْوِزَارَةُ لِذَلِكَ أَرْفَعَ رُتَبِهِمْ  
يَوْمَئِذٍ فِي سَائِرِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَكَانَ النَّظَرُ لِلْوَزِيرِ عَامًّا فِي أَحْوَالِ التَّدْبِيرِ وَالْمُعَاوَضَاتِ  
وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَاتِ وَالْمُطَالَبَاتِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ النَّظَرِ فِي دِيْوَانِ الْجُنْدِ وَفَرْضِ الْعَطَاءِ  
بِالْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَاسْتَفْعَلَ الْمَلِكُ وَعَظُمَتْ مَرَاتِبُهُ  
وَأَرْتَفَعَتْ وَعَظُمَ شَأْنُ الْوَزِيرِ وَصَارَتْ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ فِي إِنْفَاقِ الْخَرْقِ وَالْعَقْدِ تَعَيَّنَتْ مَرَاتِبُهُ  
فِي الدَّوْلَةِ وَعُتِّ لَهَا الْوُجُوهُ وَخُصِّمَتْ لَهَا الرِّقَابُ وَجُعِلَ لَهَا النَّظَرُ فِي دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ  
لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ خِطَّتُهُ مِنْ قِسْمِ الْأَعْطِيَاتِ فِي الْجُنْدِ فَاحْتَاجَ إِلَى النَّظَرِ فِي جَمِيعِهِ وَتَفْرِيقِهِ  
وَأُضِيفَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِيهِ ثُمَّ جُعِلَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْقَلَمِ وَالذَّمْسِيلِ لِصَوْنِ أَسْرَارِ السُّلْطَانِ  
وَلِحِفْظِ الْبَلَاغَةِ لِمَا كَانَ الْلسَانُ قَدْ فَسَدَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَجُعِلَ الْخَاتَمُ لِسَجَلَاتِ السُّلْطَانِ  
لِحِفْظِهَا مِنَ الذِّيَاعِ وَالشِّيَاعِ وَدُفِعَ إِلَيْهِ فَصَارَ اسْمُ الْوَزِيرِ جَامِعًا لِحِفْظِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ  
وَسَائِرِ مَعَانِي الْوِزَارَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ حَتَّى لَقَدْ دُعِيَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالسُّلْطَانِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ  
إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ نَظَرِهِ وَقِيَامِهِ بِالدَّوْلَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مِنَ الرُّتَبِ السُّلْطَانِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
الْحِجَابَةُ الَّتِي هِيَ الْيَتَامُ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ لِاسْتِكَافِهِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ فِي



الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى وصار الوزير إذا استبد مبحثاً إلى استنابة الخليفة إياه لذلك ليصح الأحكام الشرعية وتجي على حالها كما تقدمت فأنقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبداً عليه ثم استمر الاستبداد وصار الأمر للملوك العجم وتعلل رسم الخلافة ولم يكن لأولئك المتعلمين أن يتجاوزوا القاب الخلافة واستكفوا من مشاركة الوزراء في القاب لأنهم خول لهم فقتسوا بالإمارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الأمراء أو بالسلطان إلى ما يخليه به الخليفة من القاب كما تراه في القابهم وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة يتجملها بعض الناس فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولاتهم عجم وليست تلك البلاغة هي المصودة من لسانهم فتجبر لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع إليهما ويده مع ذلك عالية على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل إما نيابة أو استبداداً واستمر الأمر على هذا ثم جاءت دولة آلئك آخرها بضم فرأوا أن الوزارة قد ابتدئت بتدفع أولئك عنها ودفعوا لمن يقوم بها للخليفة المخجور ونظره مع ذلك متعقب ينظر الأمير فصارت مروسة ناقصة فاستكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنايب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الحياة . وأما دولة بني أمية بالاندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافاً وأفردوا لكل صنف وزيراً فجعلوا لحسان المال وزيراً وللرسيل وزيراً وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جيل له وأفرد للتدبير بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن

• بِجَالِسِهِمْ وَخَصُّهُ بِاسْمِ الْحَاجِبِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ هَذَا إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ فَأَرْتَمَتْ خِطَّةُ الْحَاجِبِ وَمَرْتَبَتُهُ عَلَى سَائِرِ الرُّتَبِ حَتَّى صَارَ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ يَنْتَحِلُونَ لِقَبَّهَا فَأَكْثَرُهُمْ يَوْمَئِذٍ يُسَمَّى الْحَاجِبَ كَمَا نَذَكَّرُهُ ثُمَّ جَاءَتْ دَوْلَةُ الشَّيْعَةِ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَالْقَيْدَوَانَ وَكَانَ لِلْقَائِمِينَ بِهَا رُسُخٌ فِي الْبِدَاوَةِ فَأَغْلَوْا أَمْرَ هَذِهِ الْخِطَطِ أَوَّلًا وَتَنْقِيحِ أَسْمَائِهَا كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِمْ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَغْلَتِ الْأَمْرَ أَوَّلًا بِالْبِدَاوَةِ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى انْتِحَالِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ وَكَانَ اسْمُ أَرْزِيرٍ فِي مَدَاوِلِهِ ثُمَّ اتَّبَعُوا دَوْلَةَ الْأُمُورِيِّينَ وَقَلَّدُوهَا فِي مَذَاهِبِ السُّلْطَانِ وَأَخْتَارُوا اسْمَ الْوَزِيرِ لِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانَ فِي مَجْلِسِهِ وَيَقِفُ بِالْوُقُودِ وَالْدَّاخِلِينَ عَلَى السُّلْطَانِ عِنْدَ الْخُدُودِ فِي تَحِيَّتِهِمْ وَخِطَابِهِمْ وَالْآدَابِ الَّتِي تَأْرَمُ فِي الْكُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا خِطَّةَ الْحِجَابَةِ عَنْهُ مَا شَاءُوا وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَيُسْتَوْنِ هَذَا الَّذِي يَتَقَفُ بِالنَّاسِ عَلَى حُدُودِ الْآدَابِ فِي الْقَاءِ وَالْجَنَّةِ فِي مَجَالِسِ السُّلْطَانِ وَالْتَقَدُّمِ بِالْوُقُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ الدَّوِيدَارِ وَيُضِيئُونَ إِلَيْهِ اسْتِيعَابَ كَاتِبِ السِّرِّ وَأَصْحَابِ الْبَرِيدِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي حَاجَاتِ السُّلْطَانِ بِالْقَاصِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ وَحَالِهِمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُوَلِّي الْأُمُورِ لِمَنْ يَشَاءُ

(الحجابه) \* قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ كَانَ مَخْصُوصًا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُورِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ بِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانَ عَنِ الْعَامَّةِ وَيُغْلِقُ بَابَهُ دُونَهُمْ أَوْ يَفْتَحُهُ لَهُمْ عَلَى قَدَرِهِ فِي مَوَاقِيْتِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ مُنْذَرَّةً يَوْمًا عَنِ الْخِطَطِ مَرُوسَةً لَهَا إِذِ الْوَزِيرُ مُتَصَرِّفٌ فِيهَا بِمَا يَرَاهُ وَهَكَذَا كَانَتْ سَائِرُ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى هَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ بِمَصْرَ مَرُوسَةً لِصَاحِبِ الْخِطَّةِ الْعُلْيَا الْمُسَمَّى بِالنَّائِبِ \* وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُورِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ الْحِجَابَةُ لِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانَ عَنِ الْعَامَّةِ وَالْعَاصَةِ وَيَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُزَرَاءِ فَتَنْ دُونَهُمْ فَكَانَتْ فِي دَوْلَتِهِمْ غَايَةً رَفِيعَةً كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِهِمْ كَأَنَّ حَدِيدَ وَغَيْرِهِ مِنْ حُجَّابِهِمْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْإِسْتِبدَادُ عَلَى الدَّوْلَةِ اخْتَصَّ الْمُسْتَبْدُ بِاسْمِ الْحِجَابَةِ إِشْرَافًا فَكَانَ الْمُتَصَوِّرُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنَاؤُهُ كَذَلِكَ وَلَمَّا بَدَّوْا فِي مَظَاهِرِ الْمُلْكِ وَأَطْوَارِهِ جَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ فَلَمْ يَتَوَكَّلُوا لِقَبَّهَا وَكَانُوا يَعُدُّونَهُ شَرَفًا لَهُمْ وَكَانَ أَعْظَمُهُمْ مُلْكًا بَعْدَ انْتِحَالِ الْقَابِ الْمُلْكِ وَأَسْمَائِهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذِكْرِ الْحَاجِبِ وَذِي الْوَزَارَاتَيْنِ



يَعُونُ بِهِ السِّيفَ وَالْقَلَمَ وَيَدُلُّونَ بِالْحِجَابَةِ عَلَى حِجَابَةِ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ  
وَيَبْذِي أَوْزَارَتَيْنِ عَنْ جَمْعِهِ لِيُخْطَى السِّيفُ وَالْقَلَمُ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِي دَوْلِ التَّغْرِبِ  
وَأَفْرِيقَةِ ذِكْرٍ لِهَذَا الْإِسْمِ لِلدَّوَاةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَرُبَّمَا يُوجَدُ فِي دَوْلَةِ الْعَبِيدِيْنَ  
بِمِصْرَ عِنْدَ اسْتِغْظَامِهَا وَحِضَارَتِهَا إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُؤَحِّدِينَ لَمْ  
تَسْتَمَكِنْ فِيهَا الْحِضَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى انْتِحَالِ الْأَلْقَابِ وَتَمْيِيزِ الْخِطَطِ وَتَعْيِينِهَا بِالْأَسْمَاءِ  
إِلَّا آخِرًا فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الرُّتَبِ إِلَّا الْوَزِيرُ فَكَانُوا أَوَّلًا يَخْصُونَ بِهَذَا الْإِسْمِ  
الْكَاتِبَ الْمُتَصَرِّفَ الْمُشَارِكَ لِلسُّلْطَانِ فِي تَخَاصُّرِ أَمْرِهِ كَاتِبِ عَطِيَّةٍ وَعَبْدِ السَّلَامِ  
الْكُومِيَّ وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْحِسَابِ وَالْأَشْغَالِ الْعَالِيَةِ ثُمَّ صَارَ بَعْدَ ذَلِكَ  
أَسْمُ الْوَزِيرِ لِأَهْلِ نَسَبِ الدَّوَلَةِ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ كَاتِبِ جَامِعٍ وَغَيْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ أَسْمُ  
الْحَاجِبِ مَعْرُوفًا فِي دَوْلَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ \* وَأَمَّا بَنُو أَبِي حَفْصٍ بِأَفْرِيقَةِ فَكَانَتْ الرِّئَاسَةُ  
فِي دَوْلَتِهِمْ أَوَّلًا وَالتَّقَدُّمُ لَوَزِيرٍ وَالرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ وَكَانَ يُخَصُّ بِأَسْمِ شَيْخِ الْمُؤَحِّدِينَ  
وَكَانَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْوَلَايَاتِ وَالْعَزَلِ وَقُدُورِ الْعَسَاكِرِ وَالْخُرُوبِ وَأَخْصَصَ الْحِسَابَ  
وَالدِّيَّانَ بِرُتَبَةٍ أُخْرَى وَيُسَمَّى مُتَوَلِّيَهَا بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ يَنْظُرُ فِيهَا النَّظَرُ الْمُطْلَقَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَيُخَاسِبُ وَيَسْتَخْلَصُ الْأَمْوَالَ وَيُعَاقِبُ عَلَى التَّفْرِيطِ وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ  
أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ وَأَخْصَصَ عِنْدَهُمُ الْقَلَمُ أَيْضًا بِمَنْ يُجِيدُ التَّرْسِيلَ وَيُؤْتِنُ  
عَلَى الْأَسْرَارِ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مُنْتَحَلِ الْقَوْمِ وَلَا التَّرْسِيلَ بِإِسَانِهِمْ فَلَمْ  
يَشْطَرَطْ فِيهِ النَّسَبُ وَاحْتِاجُ السُّلْطَانِ لِاتِّسَاعِ مُلْكِهِ وَكَثْرَةِ الْمُتَرْتِقِينَ بِدَارِهِ إِلَى  
قَوَرَمَانٍ خَاصٍّ بِدَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ يُجَرِّبُهَا عَلَى قَدَرِهَا وَتَرْتِيبُهَا مِنْ رِزْقٍ وَعَطَاءٍ وَكُسُوةٍ  
وَنَفَقَةٍ فِي الطَّابِغِ وَالْإِصْطِلَاقِ وَغَيْرِهَا وَحَضَرَ الدَّخِيلَةَ وَتَنْفِيدَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْجَبَايَةِ فَخَصَّوهُ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ وَرُبَّمَا أَضَافُوا إِلَيْهِ كِتَابَةَ الْعَلَامَةِ عَلَى  
السَّجَلَاتِ إِذَا اتَّفَقَ أَنَّهُ يُحْسِنُ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوهُ لغيرِهِ وَأَسْتَسَرَّ الْأَمْرَ عَلَى  
ذَلِكَ وَحَجَبَ السُّلْطَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ فَصَارَ هَذَا الْحَاجِبُ وَاسِطَةً بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَهْلِ  
الرُّتَبِ كُلِّهِمْ ثُمَّ جُمِعَ لَهُ آخِرُ الدَّوَلَةِ السِّيفُ وَالْحَرْبُ ثُمَّ الرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ فَصَارَتْ الْخِطَّةُ  
أَرْفَعَ الرُّتَبِ وَأَوْعَىهَا لِلْخِطَطِ ثُمَّ جَاءَ الْإِسْتِبْدَادُ وَالْحَجْرُ مُدَّةً مِنْ بَعْدِ السُّلْطَانِ الثَّانِي عَشَرَ  
مِنْهُمْ ثُمَّ اسْتَبَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَفِيدُهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَذْهَبَ آثَارُ الْحَجْرِ

وَالْإِسْتِدَادِ بِإِذْهَابِ خِطَّةِ الْحِجَابَةِ الَّتِي كَانَتْ سُلْمًا إِلَيْهِ وَبَاشَرًا أُمُورَهُ كُلَّهَا يَنْفُسِهِ مِنْ  
غَيْرِ اسْتِعَانَةٍ بِأَحَدٍ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ

وَأَمَّا دَوْلَةُ زَنَاتَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَعْظَمُهَا دَوْلَةُ بَنِي مُرَيْنَ فَلَا أَثَرَ لِاسْمِ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا رِئَاسَةُ الْحَرْبِ وَالْعَسَاكِرِ فَهِيَ لِلْوَزِيرِ وَرُتَبَةُ الْقَلَمِ فِي الْحِسْبَانِ وَالرَّسَائِلِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى مَنْ يُحْسِنُهَا مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ اخْتَصَّتْ بِبَعْضِ السُّيُوتِ الْمُصْطَنِعِينَ فِي دَوْلَتِهِمْ وَقَدْ  
تَجَمَّعَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ تَفَرَّقَ وَأَمَّا بَابُ السُّلْطَانِ وَحُجُبُهُ عَنِ الْعَامَّةِ فَهِيَ رُتَبَةٌ عِنْدَهُمْ فَيُسَمَّى  
صَاحِبُهَا عِنْدَهُمْ بِالْمِزْوَارِ وَمَعْنَاهُ الْمُقَدَّمُ عَلَى الْجُنَادِ الرَّصْرَفِينَ بِبَابِ السُّلْطَانِ فِي  
تَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ وَتَضْرِيفِ عُهُودَاتِهِ وَإِثْرَالِ سَطَوَاتِهِ وَحِفْظِ الْمُتَعَقِّلِينَ فِي سُجُونِهِ وَالْعَرِيفِ  
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ فَالْبَابُ لَهُ وَأَخْذُ النَّاسِ بِالرُّقُوفِ عِنْدَ الْخُدُودِ فِي دَارِ الْعَامَّةِ رَاجِعٌ  
إِلَيْهِ فَكَأَنَّهَا وَزَارَةُ صُغْرَى وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فَلَا أَثَرَ عِنْدَهُمْ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأَلْقَابِ وَلَا تُمَيِّزُ الْخِطَطِ لِبِدَاوَةِ دَوْلَتِهِمْ وَقُصُورِهَا وَإِنَّمَا يَحْضُرُونَ بِاسْمِ الْحَاجِبِ فِي  
بَعْضِ الْأَحْوَالِ مُنْقَذَ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَانِ فِي دَارِهِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ وَقَدْ  
يَجْمَعُونَ لَهُ الْحِسْبَانُ وَالسَّجَلُ كَمَا كَانَ فِيهَا حَمَلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الدَّوْلَةِ بِمَا كَانُوا فِي  
تَبَعِيَّتِهَا وَقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهَا مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَالْمَخْصُوصُ عِنْدَهُمْ بِالْحِسْبَانِ وَتَنْفِيزُ حَالِ السُّلْطَانِ  
وَسَائِرُ الْأُمُورِ النَّالِيَةِ يُسَمُّونَهُ بِالْوَكِيلِ وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَكَأَنَّ الْوَزِيرَ إِلَّا أَنَّهُ يُجْمَعُ لَهُ التَّرْسِيلُ  
وَالسُّلْطَانُ عِنْدَهُمْ يَضَعُ خِطَّةً عَلَى التَّجَلَّاتِ كُلِّهَا فَلَيْسَ هُنَاكَ خِطَّةُ الْعَلَامَةِ كَمَا لَقِبَ بِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ  
وَأَمَّا دَوْلَةُ الْتُرْكِ بِمَضَرَ فَاسْمُ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ مَوْضِعُ لِحَاكِمِهِ مِنْ أَهْلِ الشُّوَكَةِ وَهُمْ الْتُرْكُ  
يَنْقُذُ الْأَحْكَامَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ وَهُمْ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْوُظَيْفَةُ عِنْدَهُمْ تَحْتَ وَظَيْفَةِ  
اَلتَّيَابَةِ الَّتِي لَهَا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَفِي الْعَامَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلِلنَّائِبِ التَّوَلِيَةِ وَالْعَزَلِ  
فِي بَعْضِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْأَحْيَانِ وَيَتَطَّعُ الْقَلِيلُ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَيَبْتِهَا وَتُنْفَذُ أَوْامِرُهُ  
كَمَا تُنْفَذُ التَّرَاسِمُ السُّلْطَانِيَّةُ وَكَانَ لَهُ اَلتَّيَابَةُ الْمُطْلَقَةُ عَنِ السُّلْطَانِ وَلِلْحِجَابِ الْحُكْمُ فَقَطْ  
فِي طَبَقَاتِ الْعَامَّةِ وَالْجُنْدِ عِنْدَ التَّرَافِعِ إِلَيْهِمْ وَإِجْبَارِ مَنْ أَبَى اَلْإِتْيَادَ لِلْحُكْمِ وَطُورُهُمْ  
تَحْتَ طُورِ اَلتَّيَابَةِ وَالْوَزِيرُ فِي دَوْلَةِ الْتُرْكِ هُوَ صَاحِبُ جَبَابَةِ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ عَلَى  
اِخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا مِنْ خَرَاجٍ أَوْ مَكْسٍ أَوْ جِزْيَةٍ ثُمَّ فِي تَضْرِيفِهَا فِي الْإِتِنَاقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ



أَوْ الْجَرَائِزِ الْمُقَدَّرَةِ وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ التَّوَلُّيَةُ وَالْعَزْلُ فِي سَائِرِ الْعُمَالِ الْمُبَاشِرِينَ لَهُ هَذِهِ  
الْجَبَايَةِ وَالتَّنْفِيزِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَتَبَايُنِ أَصْنَافِهِمْ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
الْوَزِيرُ مِنْ صِنْفِ الْقَبِطِ الْقَانِصِينَ عَلَى دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ وَالْجَبَايَةِ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ فِي  
مَضَرٍّ مُنْذُ عُمُورٍ قَدِيمَةٍ وَقَدْ يُؤَلِّيهَا السُّلْطَانُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ لِأَهْلِ الشَّرَكَةِ مِنْ رِجَالَاتِ  
الْتَرَكِ أَوْ آبَنَائِهِمْ عَلَى حَسَبِ الدَّاعِيَةِ لِذَلِكَ وَأَلَّهُ مَدِيرُ الْأُمُورِ وَمُضَرِّفُهَا بِحِكْمَتِهِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### ديوان الاعمال والجبایات

إِعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مِنَ الْوُظَايِفِ الصَّرُورِيَّةِ لِلْمُلْكِ وَهِيَ الْقِيَامُ عَلَى أَعْمَالِ  
الْجَبَايَاتِ وَحِفْظِ حُقُوقِ الدَّوْلَةِ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَإِحْصَاءِ الْعَسَاكِرِ بِأَسْمَائِهِمْ وَتَقْدِيرِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَصَرْفِ أُعْطِيَاَتِهِمْ فِي إِبَائَاتِهَا وَالرُّجُوعِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَوَائِينِ الَّتِي يُرْتَبَهَا قَوْمَةُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَقَهَارِمَةُ الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا مَنْشُورَةٌ فِي كِتَابٍ شَاهِدٍ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ مَبْنِيٍّ عَلَى جُزْءٍ كَثِيرٍ مِنَ الْحِسَابِ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا التَّهَرَّةُ مِنْ أَهْلِ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْكِتَابُ بِالْدِيْوَانِ وَكَذَلِكَ مَكَانُ جُلُوسِ الْعُمَالِ  
الْمُبَاشِرِينَ لَهَا \* وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّ كِسْرَى نَظَرَ يَوْمًا إِلَى كِتَابِ  
دِيْوَانِهِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُعَادِرُونَ فَقَالَ دِيْوَانُهُ أَيُّ مَجَانِينَ بِلُغَةِ الْفُرْسِ  
فُسِّمِي مَوْضِعَهُمْ بِذَلِكَ وَحُذِفَتِ الْهَاءُ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ تَخْفِيفًا فَتَقِيلُ دِيْوَانٌ ثُمَّ نُقِلَ هَذَا  
الْإِسْمُ إِلَى كِتَابِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَضَمِّنِ الْقَوَائِينَ وَالْحِسَابَاتِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ  
لِلشَّيَاطِينِ بِالْفَارِسِيَّةِ سُمِّيَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ لِسُرْعَةِ تَفَوُّذِهِمْ فِي فَهْمِ الْأُمُورِ وَوُقُوفِهِمْ عَلَى  
أَجْلِيٍّ مِنْهَا وَالْخَفِيِّ وَجَمْعِهِمْ لِمَا شَدَّ وَتَفَرَّقَ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَكَانِ جُلُوسِهِمْ لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ  
وَعَلَى هَذَا فَيَتَأَوَّلُ اسْمُ الدِّيْوَانِ كِتَابَ الرِّسَالِ وَمَكَانُ جُلُوسِهِ بَابُ السُّلْطَانِ عَلَى مَا  
يَأْتِي بَعْدُ وَقَدْ تُفْرَدُ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ بِنَظَرٍ وَاحِدٍ يَنْظُرُ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ يُفْرَدُ  
كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا بِنَظَرٍ كَمَا يُفْرَدُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ النَّظَرُ فِي الْعَسَاكِرِ وَإِطْعَاعَاتِهِمْ  
وَحِسْبَانِ أُعْطِيَاَتِهِمْ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مُصْطَلَحِ الدَّوْلَةِ وَمَا قَرَّرَهُ أَوَّلُوهَا . وَاعْلَمْ  
أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ فِي الدُّوَلِ عِنْدَ تَمَكُّنِ الْقَلْبِ وَالِاسْتِيْلَاءِ وَالنَّظَرِ فِي  
أَعْطَافِ الْمُلْكِ وَقُنُونِ التَّمْهِيدِ وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّيْوَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عُمرُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَالُ لِسَبَبٍ مَالٍ أَتَى بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَاسْتَكْثَرُوهُ  
وَتَعَبُوا فِي قَسْمِهِ فَسَمَوْا إِلَى إحصاء الْأَمْوَالِ وَضَبَطِ الْعَطَاءِ وَالْحَقُوقِ فَأَشَارَ خَالِدُ بْنُ  
الْوَلِيدِ بِالْدِيَّانِ وَقَالَ رَأَيْتُ مُلُوكَ الشَّامِ يُدَوِّنُونَ فَقِيلَ مِنْهُ عُمَرُ وَقِيلَ بَلْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهِ  
الْهَرَمَزَانُ لَمَّا رَأَاهُ رَبَعْتُ الْبُعُوثِ بَغِيرِ دِيَّانٍ فَقِيلَ لَهُ وَمَنْ يَعْلَمُ بِغَيْبَةٍ مَنْ يَغِيبُ مِنْهُمْ  
فَإِنْ مَنْ تَخَلَّفَ أَخْلَ بِمَكَانِهِ وَإِنَّمَا يَضْبُطُ ذَلِكَ الْكِتَابُ فَأَثْبَتَ لَهُمْ دِيَّانًا وَسَأَلَ  
عُمَرُ عَنْ اسْمِ الدِّيَّانِ فَعَبَّرَ لَهُ وَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ أَمْرَ عَمِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَخْرَمَةَ  
ابْنِ نَوْفَلٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ وَكَانُوا مِنْ كُتَّابِ قُرَيْشٍ فَكَتَبُوا دِيَّانَ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
عَلَى تَرْتِيبِ الْأَنْسَابِ مُبْتَدَأً مِنْ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا بَعْدَهَا الْأَقْرَبُ  
فَالْأَقْرَبُ هَكَذَا كَانَ ابْتِدَاءُ دِيَّانِ الْخَيْشِ وَرَوَى الزُّهْرِيُّ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْمُسَيَّبِ  
أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ عَشْرِينَ وَأَمَّا دِيَّانُ الْخَرَاجِ وَالْجَبَايَاتِ فَبَنِي بَعْدَ  
الْإِسْلَامِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دِيَّانِ الْعِرَاقِ بِالْفَارِسِيَّةِ وَدِيَّانِ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ  
وَكُتَّابِ الدَّوَّارِينَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَاسْتَحَالَ  
الْأَمْرُ مُلْكًا وَانْتَقَلَ الْقَوْمُ مِنْ غَضَاةِ الْبِدَاوَةِ إِلَى رَوْنِقِ الْخَضَارَةِ وَمِنْ سَدَاجَةِ  
الْأُمِّيَّةِ إِلَى حَذَقِ الْكِتَابَةِ وَظَهَرَ فِي الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ مَهَرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالْحِسَابِ  
فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ بْنَ سَعْدٍ وَابْنَ الْأَزْدِ لِعَهْدِهِ أَنْ يَنْتَقِلَ دِيَّانُ الشَّامِ إِلَى  
الْعَرَبِيَّةِ فَأَكْمَلَهُ لِسَنَةِ مِنْ يَوْمِ ابْتِدَائِهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ سِرْحُونُ كَاتِبُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ  
لِكُتَّابِ الرُّومِ أَطْلُبُوا الْعَيْشَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَقَدْ قَطَعَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ . وَأَمَّا دِيَّانُ  
الْعِرَاقِ فَأَمَرَ الْحُجَّاجُ كَاتِبَهُ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ  
وَلَقِنَ ذَلِكَ عَنْ زَادَانَ فَرُوخَ كَاتِبِ الْحُجَّاجِ قَبْلَهُ وَلَمَّا قُتِلَ زَادَانُ فِي حَرْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
بِالْأَشْمِ اسْتَخْلَفَ الْحُجَّاجُ صَالِحًا هَذَا مَكَانَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ الدِّيَّانُ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ  
إِلَى الْعَرَبِيَّةِ فَفَعَلَ وَرَغِمَ لِدَافِكَ كُتَّابُ الْفُرسِ وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ اللَّهُ دَرِ  
صَالِحٍ مَا أَعْظَمَ مِنْتَهُ عَلَى الْكِتَابِ ثُمَّ جُعِلَتْ هَذِهِ الْوِظِيَّةُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
مُضَافَةً إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ النَّظَرُ فِيهِ كَمَا كَانَ شَأْنُ بَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلٍ بْنِ نُوبَيْخَتٍ  
وغيرِهِمْ مِنْ وَزَرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْوِظِيَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِمَا  
يَخْتَصُّ بِالْخَيْشِ أَوْ بَيْتِ الْمَالِ فِي الدَّخْلِ وَالْخَرْجِ وَتَمْيِيزِ التَّوَاحِي بِالصُّلْحِ وَالْعُنُودِ وَفِي تَقْلِيدِ



هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسابات فأمر راجع إلى كتب الأحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وإنما نتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثلثه أركانها لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فأحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال فيتوزع صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك وكذلك كان الأمر في دولة بني أمية بالاندلس والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين يستعمل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعب نظر الولاة والعامل فيها ثم تنفيذها على قدرها وفي موافقتها وكان يعرف بصاحب الأشغال وكان ربنا يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها . ولما استبد بنو أبي حفص بأفريقية وكان شأن أبنائهم من الأندلس فقدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الأندلس مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني أبي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الأشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها أهل الحساب والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلت أمر الحاجب وزند أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحب مروءة للحاجب وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة . وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحساب العطاء والخراج مضموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويجمع إلى ديوانه ونظره معقب ينظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحساب في الخارج والعطاء هذه أصول الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة للسلطان . وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمستوعبة وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة للدولة وهو أعلى رتب الناظرين في الأموال لأن النظر في الأموال عندهم يتنوع إلى رتب كثيرة لا تنفاس دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الأموال والجبايات عن أن يستعمل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغة فتعين للنظر العام

منها هذا المخصوص باسم الوفير وهو مع ذلك رديف لتولى من موالى السلطان وأهل عصيته وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير إلى نظره ويجهد جهده في متابعتها ويسمى عندهم أستاذ الدولة وهو أحد الأمراء الأكابر في الدولة من الجند وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطّة خطط عندهم أخرى كلها راجعة إلى الأموال والحساب مقصورة النظر إلى أمور خاصة مثل نظر الخاص وهو المباشرة لأموال السلطان الخاصة به من إقطاعاته أو سهمانيه من أموال الخراج وبلاد الجباية بما ليس من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الأمير أستاذ الدار وإن كان الوزير من الجند فلا يكون لأستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان من ممتلكاته المسمى خازن الدار لاختصاص وظيفتهما بآل السلطان الخاص . هذا بيان هذه الخطّة بدولة الترك بالشرق بعد ما قد مناه من أمرها بالمغرب والله موصرف الأمور لأرب غيرة

### ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأساً كما في الدول العربية في الداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسيه ومن عظماء قبيله كما كان للحلفاء وأمراء الصغابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس ربيعة وكان الكاتب يضيد السجلات مطلقة ويسكتب في آخرها اسمه ويعثم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته يغرس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الحشم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه وإصاقيه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولاً أو آخراً على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطّة بأرتناع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملقاة الحكم



بَعْلَامَةُ الرَّئِيسِ عَلَيْهِ يَسْتَدِلُّ بِهَا فَيَكْتُبُ صُورَةَ عَلَامَتِهِ الْمَعْهُودَةِ وَالْحُكْمَ لِعَلَامَةِ ذَلِكَ  
 الرَّئِيسِ كَمَا وَقَعَ آخِرَ الدَّوْلَةِ الْخَفِصِيَّةِ لَمَّا ارْتَفَعَ شَأْنُ الْحِجَابَةِ وَصَارَ أَمْرُهَا إِلَى التَّفْرِيزِ  
 ثُمَّ الْإِسْتِدَادِ صَارَ حُكْمُ الْعَلَامَةِ الَّتِي لِلْكَاتِبِ مُلغَى وَصُورَتُهَا ثَابِتَةً إِتْبَاعًا لِمَا سَلَفَ مِنْ أَمْرِهَا  
 فَصَارَ الْحَاجِبُ يَرْسِمُ لِلْكَاتِبِ إِمْضَاءً كَمَا بِهِ ذَلِكَ بِحُطٍّ يَصْنَعُهُ وَيَتَخَيَّرُ لَهُ مِنْ صِيغِ الْإِنْفَازِ  
 مَا شَاءَ فَيَأْتِيهِ الْكَاتِبُ لَهُ وَيَضَعُ الْعَلَامَةَ الْمُعْتَادَةَ وَقَدْ يُخْتَصُّ السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ بِوَضْعِ  
 ذَلِكَ إِذَا كَانَ مُسْتَبْدًا بِأَمْرِهِ قَانِمًا عَلَى نَفْسِهِ فَيَرْسِمُ الْأَمْرَ لِلْكَاتِبِ لِيَضَعَ عَلَامَتَهُ \* وَمِنْ  
 خُطِّ الْكِتَابَةِ التَّرْقِيعُ وَهُوَ أَنْ يَجْلِسَ الْكَاتِبُ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ فِي مَجَالِسِ حُكْمِهِ  
 وَفَصْلِهِ وَيُوقِعَ عَلَى الْقِصَصِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَيْهِ أَحْكَامُهَا وَالنَّصْرَ فِيهَا مُتَلَقًا مِنَ السُّلْطَانِ بِأَوْجَرِ  
 لَفْظٍ وَأَبْلَغِهِ فَإِمَّا أَنْ تَصْدُرَ كَذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ يَخْذُوا الْكَاتِبُ عَلَى مِثَالِهَا فِي سِجِلٍ يَكُونُ بِيَدِ  
 صَاحِبِ الْقِصَّةِ وَيَحْتَاجُ الْمَوْقِعُ إِلَى عَارِضَةٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ يَسْتَقِيمُ بِهَا تَوْقِيعُهُ وَقَدْ كَانَ  
 جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يُوقِعُ فِي الْقِصَصِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَيُرْمِي بِالْقِصَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا  
 فَكَانَتْ تَوْقِيعَاتُهُ يَتَنَافَسُ الْبُلَاءُ فِي تَحْصِيلِهَا لِلرُّقُوفِ فِيهَا عَلَى أَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ وَقُنُونِهَا  
 حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تُبَاعُ كُلُّ قِصَّةٍ مِنْهَا بِدِينَارٍ وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ الدُّوَلِ \* وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْخُطَّةِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْفَعَ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَأَهْلَ الْمُرُوءَةِ  
 وَالْحِشْمَةِ مِنْهُمْ وَزِيَادَةَ الْعِلْمِ وَعَارِضَةَ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُ مُعَرِّضٌ لِلنَّظَرِ فِي أَصُولِ الْعِلْمِ لَمَّا  
 يَغْرِضُ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمَقَاصِدِ أَحْكَامِهِمْ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عِشْرَةُ  
 الْمُلُوكِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأَدَابِ وَالتَّحْقُّقِ بِالْفَضَائِلِ مَعَ مَا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ فِي التَّرْسِيلِ وَتَطْبِيقِ  
 مَقَاصِدِ الْكَلَامِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَأَسْرَارِهَا وَقَدْ تَكُونُ الرُّتَبَةُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ مُسْتَبْدَةً  
 إِلَى أَرْبَابِ السُّيُوفِ لَمَّا يَقْتَضِيهِ طَبْعُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبُعْدِ عَنْ مُعَانَاةِ الْعُلُومِ لِأَجْلِ سَدَاجَةِ  
 الْعَصِيَّةِ فَيَخْتَصُّ السُّلْطَانُ أَهْلَ عَصِيَّتِهِ بِحُطِّ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ رُتَبِهِ فَيَقْلُدُ أَلَالَ وَالسِّيفِ  
 وَالْكِتَابَةِ مِنْهُمْ فَأَمَّا رُتَبَةُ السِّيفِ فَتَسْتَعْنِي عَنْ مُعَانَاةِ الْعِلْمِ وَأَمَّا أَلَالُ وَالْكِتَابَةِ  
 فَيَضْطَرُّ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَاغَةُ فِي هَذِهِ وَالْحِسَابَانِ فِي الْأُخْرَى فَيَخْتَارُونَ لَهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ  
 مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَيُقَلِّدُونَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَكُونُ يَدُ آخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ غَالِبَةً  
 عَلَى يَدِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ مُنْصَرِفًا عَنْ نَظَرِهِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالشَّرْقِ  
 فَإِنَّ الْكِتَابَةَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ لِصَاحِبِ الْإِنْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ تَجَتْ يَدُ أَمِيرٍ مِنْ أَهْلِ

عَصِيَّةُ الرُّومِ يُعْرِفُ بِالِدَّوِيدَارِ وَتَعْوِيلُ السُّلْطَانِ وَوُثُوقُهُ بِهِ وَاسْتِنَامَتُهُ فِي غَالِبِ  
أَحْوَالِهِ إِلَيْهِ وَتَعْوِيلُهُ عَلَى الْآخِرِ فِي أَحْوَالِ الْبَلَاغَةِ وَتَطْبِيقُ الْمَقَاصِدِ وَكُتْمَانِ الْأَسْرَارِ  
وَعَبْرُ ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِهَا \* وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الرُّتَبَةِ الَّتِي يُلَاحِظُهَا  
السُّلْطَانُ فِي اخْتِيَارِهِ وَأَنْتِقَانِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ وَأَحْسَنُ مَنْ اسْتَوْعَبَهَا  
عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْكُتَّابِ وَهِيَ أَمَّا بَعْدُ حِفْظُكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ  
صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطُكُمْ وَوَقِّكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَهِيَ بَعْدَ الْمُلُوكِ الْمَكْرَمِينَ  
أَصْنَافًا وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً وَصَرَفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصِّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْمُحَاوَلَاتِ  
إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَنْبَابِ أَرْزَاقِهِمْ فَجَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ  
أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ بِكُمْ يَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مَحَاسِنُهَا وَتُسْتَقِيمُ أُمُورُهَا  
وَيَنْصَحَاتُكُمْ يُعْلِحُ اللَّهُ لِإِخْلَاقِ سُلْطَانِهِمْ وَتَعْمُرُ بُلْدَانُهُمْ لَا يَسْتَقْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ وَلَا  
يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ فَمَوْعِدُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ  
وَأَبْصَارِهِمْ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ وَالسِّنْتُهُمْ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ وَأَيْدِيهِمْ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ فَأَمْتَعَكُمْ  
اللَّهُ يَا تَخَصُّكُمْ مِنْ فَضْلِ صَدَائِكُمْ وَلَا تَرَعْ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاءَ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ  
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ  
الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَثِمًا الْكُتَّابُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا  
الْكِتَابِ مِنْ صَدَائِكُمْ فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثِقُ  
بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَالِيًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ فَهَيَّا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ بِمَقْدَامَا  
فِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ مُجْتَمِعًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ  
كُتُومًا لِلْأَسْرَارِ وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِيًّا يَا يَأْتِي مِنَ التَّوَارِيلِ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا  
وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَّا كُنْزًا قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ أَخَذَ  
مِنْهُ بِمِثْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ يَعْرِفُ بِغَرِيزَةِ عَقْلِهِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ وَفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ  
وُرُودِهِ وَنَاقِبَةً مَا يَصْدُرُّ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عِدَّتَهُ وَعِثَادَهُ وَيُهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ  
وَعَادَتَهُ فَتَنَافَسُوا يَا مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْأَدَابِ وَتَتَقَهَّوْا فِي الدِّينِ وَابْدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا ثِقَافُ السِّنْتِكُمْ ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حِلْيَةُ



كُتِبَ كُمْ وَارْزُوا الْأَشْعَارَ وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا  
وَسِيرَتَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هَمُّكُمْ وَلَا تُضِيعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ  
فَإِنَّهُ قِرَامٌ كُتَابِ الْخَرَاجِ وَارْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيَّتَهَا وَدَنِيَّتَهَا وَسَفَسَافِ  
الْأُمُورِ وَمَخَافِرِهَا فَإِذَا مُدِلَّةٌ لِلرَّقَابِ مُفِيدَةٌ لِلْكِتَابِ وَتَوَرُّهَا صِنَاعَتُكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ  
وَارْبَاؤَا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّيِّمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرِ  
وَالسَّخْفِ وَالْعِظَمَةِ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِخْتَةٍ وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ  
وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالْثَبَلِ مِنْ سَلَفِكُمْ وَإِنْ نَبَا الزَّمَانُ  
بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْطِفُوا عَلَيْهِ وَأَسْوَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ وَيَثُوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَإِنْ أَقْعَدَ  
أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبَرُ عَنْ مَكْسَعِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَارِدُوهُ وَاسْتَظْهِرُوهُ  
بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ وَلْيَكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ أَصْطَلَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ  
حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحَاطَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مَحِيدَةٌ فَلَا يَصِفُوا إِلَّا إِلَى  
صَاحِبِهِ وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَلْيَحِيلُوا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَلْيَحْذَرِ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَأَ عِنْدَ تَغْيَرِ  
أَحَالٍ فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْقُرَاءِ وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهُمْ فَقَدْ  
عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مَنْ يَبْدُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبٌ  
عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَدِلَ لَهُ مِنْ وَقَائِهِ وَشُكْرِهِ وَاحْتِمَالِهِ وَخَيْرِهِ وَنَصِيحَتِهِ وَكِتْمَانِ سِرِّهِ وَتَذْيِيرِ أَمْرِهِ  
مَا هُوَ جَزَاءُ الْحَقِّ وَيُضَدِّقُ ذَلِكَ يَفْعَالُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْإِضْطِرَّارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ فَاسْتَشْعَرُوا  
ذَلِكَ وَفَقَّكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ وَالْجِرْمَانِ وَالْمُؤَامَاةِ وَالْإِحْسَانِ  
وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَتَغَمَّتِ النَّيِّمَةُ هَذِهِ مِنْ وَسْمٍ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ وَإِذَا  
وَلَّى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْ صَدَرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلَقَ اللَّهُ وَعِيَالَهُ أَمْرٌ فَلْيَرَأِ قَبْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُؤَثِّرْ  
طَاعَتَهُ وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحْبَبُهُمْ إِلَيْهِ  
أَرْفَقُهُمْ بِعِيَالِهِ ثُمَّ لِيَكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا وَلِلْقِيَاءِ مُوقِرًا وَلِلْبِلَادِ  
عَامِرًا وَلِلرَّعِيَّةِ مُتَالِفًا وَعَنْ أَذَاهُمْ مُتَحَلِفًا وَلْيَكُنْ فِي مَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا حَلِيمًا وَفِي سَجَلَاتِ  
خَرَاجِهِ وَاسْتِقْصَاءِ حُقُوقِهِ رَفِيقًا وَإِذَا صَحِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَرِ خَلَاتِقَهُ فَإِذَا عَرَفَ  
حُسْنَهَا وَقُبْحَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْحُسْنِ وَاحْتَالَ عَلَى صَرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقُبْحِ  
بِالطَّفِ جِيلَةً وَأَجْمَلَ وَسِيلَةً وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ بَسَائِسَ الْبَهِيْمَةِ إِذَا كَانَ بِصِيرًا بِسِيَاسَتِهَا

الْتَمَسَ مَعْرِفَةَ أَخْلَاقِهَا فَإِنْ كَانَتْ رُموحاً لَمْ يَهْجُمَا إِذَا رَكِبَهَا وَإِنْ كَانَتْ شُوباً اتَّقَاهَا  
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُوداً تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حَرُوناً قَمَعَ  
بِرْفَقٍ هَوَاهَا فِي طَرَفِهَا فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَطْفَهَا يَسِيراً فَيَسْلُسُ لَهُ قِيَادُهَا وَفِي هَذَا الْوَصْفِ  
مِنَ السِّيَاسَةِ دَلَالٌ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَالْكَاتِبُ بِفَضْلِ  
أَدَبِهِ وَشَرِيفِ صُنْعِهِ وَلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُخَاوِرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَازِرُهُ وَيَفْقَهُمْ  
عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ أَوَّلَى بِالرَّفَقِ لِصَاحِبِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَهِيْمَةِ  
الَّتِي لَا تُجِدُ جَوَاباً وَلَا تَعْرِفُ صَوَاباً وَلَا تَفْهَمُ خَطَاباً إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا  
الْوَكَابُ عَلَيْهَا أَلَّا فَارَقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ وَأَعْمَلُوا مَا أَمَكَنَّكُمْ فِيهِ مِنْ  
الرَّوِيَّةِ وَالْفِكْرِ تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّنْ صَحِبْتُمُوهُ النَّبُوَّةَ وَالْإِسْتِقَالَ وَالْجَفْوَةَ وَيَصِيرُ  
مِنْكُمْ إِلَى الْمَوَافَقَةِ وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى الْمَوَاحَاةِ وَالشَّفَقَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا يُجَاوِزُنَ  
الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ وَمَلْبِسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَبِنَائِهِ وَخَدْمِهِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ قَدْرَ حَتِّهِ فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفٍ صَنَعْتُمْ خِدْمَةَ  
لَا تُحْمِلُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ وَحَفْظَةٍ لَا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْذِيرِ  
وَأَسْتَعِينُوا عَلَى عَافِيَتِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ وَأَحْذَرُوا  
مَتَالِفَ السَّرَفِ وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّوَدُّعِ فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ وَيُذِلَّانِ الرِّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا  
وَمُسِيئَا الْكُتَّابِ وَأَرْبَابِ الْآدَابِ وَالْأُمُورِ أَشْبَاهُ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَدِلُّوا عَلَى  
مَوْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرِبَتُكُمْ ثُمَّ اسْلُكُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّدْبِيرِ أَوْضَحَهَا  
مَحَبَّةٌ وَأَصْدَقَهَا حُجَّةٌ وَأَحْمَدُهَا عَاقِبَةٌ وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّدْبِيرِ آفَةً مُتَلَفَةً وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ  
لِصَاحِبِهِ عَنْ إِنْفَازِ عَلَيْهِ وَرَوِيَّتِهِ فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَافِي مِنْ  
مَنْطِقِهِ وَلْيُوجِزْ فِي أَبْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَّتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِفِعْلِهِ  
وَمَدْفَعَةٌ لِلشَّاعِلِ عَنْ إِكْثَارِهِ وَلِيَضْرَعَ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَةِ تَوْفِيقِهِ وَإِمْدَادِهِ بِتُسْدِيدِهِ مَخَافَةً  
وُقُوعِهِ فِي الْغَلْطِ الْمُضِرِّ بَدَنِهِ وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانٌّ أَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنْ  
الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صُنْعِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ فَقَدْ  
تَعَرَّضَ بَظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَكِلَهُ اللَّهُ غَرْاً وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ فَيَصِيرَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ  
كَافٍ وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ وَلَا يَثُلُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرُ بِالْأُمُورِ وَأَحْمَلُ



لِعَبِّ التَّدِيرِ مِنْ مُرَاقِبَتِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَحْمَدُ فِي طَرِيقَتِهِ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ انْتِقَارِ بِرَأْيِهِ وَلَا تَرْكِيَةِ لِنَفْسِهِ وَلَا يُكَاثِرَ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ مَنْ تَلَزَّمَهُ النَّصِيحَةُ يَلَزَّمَهُ الْعَمَلُ وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغَرَّةُ كَلَامِهِ بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَّمْتُهُ بِهِ تَوَلَّيْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ إِنَّمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

(الشرطة) \* وَيُسَمَّى صَاحِبُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَفْرِيقِيَّةِ أَتْلَاكُمْ وَفِي دَوْلَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ وَفِي دَوْلَةِ الْأَنْدَلُسِ الْوَالِي وَهِيَ وَظِيمَةٌ مَرْوُوسَةٌ لِصَاحِبِ السَّيْفِ فِي الدَّوْلَةِ وَحُكْمُهُ نَافِذٌ فِي صَاحِبِنَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ أَصْلُ وَضْعِهَا فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لِمَنْ يُتِمُّ أَحْكَامَ الْأَجْرَانِ فِي حَالِ اسْتِبْدَادِهَا أَوَّلًا ثُمَّ الْخُدُودَ بَعْدَ اسْتِيفَانِهَا فَإِنَّ التَّهْمَ الَّتِي تَعْرِضُ فِي الْأَجْرَانِ لَا نَظَرَ لِلشَّرْعِ إِلَّا فِي اسْتِيفَاءِ خُدُودِهَا وَلِلنِّيَاسَةِ النَّظَرُ فِي اسْتِيفَاءِ مُوجِبَاتِهَا بِإِقْرَارِ يُكْرِهُهُ عَلَيْهِ أَتْلَاكُمْ إِذَا أَجْتَنَّتْ بِهِ الْقَرَانِ لِمَا تَوَجُّبُهُ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِهِذَا الْإِسْتِبْدَادِ وَبِاسْتِيفَاءِ الْخُدُودِ بَعْدَهُ إِذَا تَدَرَّعَتْهُ الْقَاضِي يُسَمَّى صَاحِبَ الشَّرْطَةِ وَرَبَّنَا جَعَلُوا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي الْخُدُودِ وَالْأَدْمَاءِ بِإِطْلَاقٍ وَأَفْرَدُوهَا مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي وَتَرَكُوا هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ وَقَلَّدُوهَا كِبَارَ الْقَوَادِ وَعُظَمَاءِ الْخَاصَّةِ مِنْ مَوَالِيهِمْ وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةَ التَّنْفِيزِ فِي طَبَقَاتِ النَّاسِ إِنَّمَا كَانَ حُكْمُهُمْ عَلَى الدَّهْمَاءِ وَأَهْلِ الرِّيبِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي الرُّعَاةِ وَالْفَجَرَةِ ثُمَّ عَظُمَتْ نَهَايَتُهَا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَنُبِغَتْ إِلَى شَرْطَةِ كُبْرَى وَشَرْطَةِ صُغْرَى وَجُعِلَ حُكْمُ الْكُبْرَى عَلَى الْخَاصَّةِ وَالْأَدْمَاءِ وَجُعِلَ لَهُ الْحُكْمُ عَلَى أَهْلِ التَّرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الظَّلَامَاتِ وَعَلَى أَيْدِي أَقَارِبِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ آجَاهِ وَجُعِلَ صَاحِبُ الصُّغْرَى مَخْصُوصًا بِالْعَامَّةِ وَنُصِبَ لِصَاحِبِ الْكُبْرَى كُرْسِيٌّ بِبَابِ دَارِ السُّلْطَانِ وَرِجَالٌ يَتَّبِعُونَ الْمَقَاعِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَبْرَحُونَ عَنْهَا إِلَّا فِي تَضَرُّعِهِ وَكَانَتْ

وَلَا يَتُّهَا لِلْأَكَابِرِ مِنْ رِجَالَاتِ الدَّوْلَةِ حَتَّى كَانَتْ تَرْشِيحًا لِلوِزَارَةِ وَالْحِجَابَةِ  
وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ بِالْمَغْرِبِ فَكَانَ لَهَا حَظٌّ مِنَ التَّنْوِيهِ وَإِنْ لَمْ يَجْعَلُوهَا  
عَامَّةً وَكَانَ لَا يَلِيهَا إِلَّا رِجَالَاتُ الْمُوَحِّدِينَ وَكِبَرَاؤُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ التَّحَكُّمُ عَلَى أَهْلِ  
الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ ثُمَّ قَسَدَ الْيَوْمَ مَنْصِبُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ رِجَالِ الْمُوَحِّدِينَ وَصَارَتْ  
وَلَا يَتُّهَا لِمَنْ قَامَ بِهَا مِنَ الْمُضْطَنِّينَ . وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
فَوَلَا يَتُّهَا فِي بُيُوتِ مَوَالِيهِمْ وَأَهْلِ أَصْطَنَاعِهِمْ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكَ بِالْمَشْرِقِ فِي رِجَالَاتِ  
التُّرْكَ أَوْ أَتَقَابِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُمْ مِنَ التُّرْكَ يَتَخَيَّرُونَهُمْ لَهَا فِي النَّظَرِ بَأَ يَظْهَرُ مِنْهُمْ  
مِنَ الصَّلَابَةِ وَالْمَضَاءِ فِي الْأَحْكَامِ لِقَطْعِ مَوَادِّ الْفَسَادِ وَحَسْمِ أَبْوَابِ الدَّعَارَةِ وَتَحْرِيبِ  
مَوَاطِنِ الْفُسُوقِ وَتَفْرِيقِ مَجَامِعِهِ مَعَ إِقَامَةِ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ رِعَايَةُ  
الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فِي الْمَدِينَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْعَرِيزُ الْجَارُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ  
( قِيَادَةُ الْأَسَاطِيلِ ) \* وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ وَخَطِّهَا فِي مُلْكِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيْقِيَّةِ  
وَمَرُوسَةُ لِصَاحِبِ السَّيْفِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَيُسَمَّى صَاحِبُهَا فِي  
عَرَفِهِمُ الْبَلَمَنْدَ بِتَفْخِيمِ اللَّامِ مَنَقُولًا مِنْ لُغَةِ الْإِفْرَنْجَةِ فَإِنَّهُ اسْمُهَا فِي أَصْلِهَا لَعَنَتُهُمْ  
وَلِنَّمَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ بِمُلْكِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّهَا جَمِيعًا عَلَى ضِفَّةِ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ مِنْ جِهَةِ الْجُزُوبِ وَعَلَى عُذُوتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادُ الْبَرْبَرِ كُلُّهُمْ مِنْ سَبْتَةٍ إِلَى  
الشَّامِ وَعَلَى عُذُوتِهِ الشَّمَالِيَّةِ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ وَالْإِفْرَنْجَةِ وَالصَّقَالِيَّةِ وَالرُّومِ إِلَى بِلَادِ  
الشَّامِ أَيْضًا وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الرُّومِيُّ وَالْبَحْرُ الشَّامِيُّ نِسْبَةً إِلَى أَهْلِ عُذُوتِهِ وَالسَّاكِنُونَ  
بِسِيفِ هَذَا الْبَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ مِنْ عُذُوتِهِ يُعَانُونَ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا لَا تُعَانِيهِ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ  
الْبَحَارِ فَقَدْ كَانَتْ الرُّومُ وَالْإِفْرَنْجَةُ وَالْقُوطُ بِالْعُدُوةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
وَكَانَتْ أَكْثَرُ حُرُوبِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ فِي السُّفُنِ فَكَانُوا مَهَرَّةً فِي رُكُوبِهِ وَالْحَرْبِ فِي  
أَسَاطِيلِهِ وَلَمَّا أَسَفَ مِنْ أَسَفٍ مِنْهُمْ إِلَى مُلْكِ الْعُدُوةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَبَلَغَ الرُّومُ إِلَى أَفْرِيْقِيَّةِ  
وَالْقُوطِ إِلَى الْمَغْرِبِ أَجَازُوا فِي الْأَسَاطِيلِ وَمَلَكَوْهَا وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْبَرْبَرِ بِهَا وَانْتَرَعُوا  
مِنْ أَيْدِيهِمْ أَمْرَهَا وَكَانَ لَهَا بِهَا الْمُدُنُ الْخَافِلَةُ مِثْلَ قَرطَاجَنَّةَ وَسَيْطَلَّةَ وَجُلُولَاءَ وَمِرْنَاقَ  
وَشَرشَالَ وَطَنْجَةَ وَكَانَ صَاحِبُ قَرطَاجَنَّةَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُعَارِبُ صَاحِبَ رُومَةَ وَيَبْعَثُ  
الْأَسَاطِيلَ لِحَرْبِهِ مَشْجُونَةً بِالْعَسَاكِرِ وَالْعِدَدِ فَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةً لِأَهْلِ هَذَا الْبَحْرِ



السَّاكِنِينَ حَفَافِهِ مَعْرُوفَةً فِي الْقَدِيمِ وَالْخَدِيثِ وَلَكِنَّا مَلَكُ الْمُسْلِمُونَ مِصْرَ كَتَبَ عُمَرُ  
بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ صِفَ لِي الْبَحْرَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ  
إِنَّ الْبَحْرَ خَلَقَ عَظِيمٌ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ ضَعِيفٌ دُودٌ عَلَى عُودٍ فَأَوْعَزَ بَيْنَهُدٍ بِمَنْعِ الْمُسْلِمِينَ  
مِنْ رُكُوبِهِ وَلَمْ يَرْكَبْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا مَنْ أَفْنَتَ عَلَى عُمَرَ فِي رُكُوبِهِ وَقَالَ مَنْ  
عَقَابِهِ كَمَا فَعَلَ يَعْرِفَجَةُ بْنُ هُرَيْثَةَ الْأَزْدِيَّ سَيِّدَ بَجِيلَةٍ لَمَّا أَغْرَاهُ عَمَّانُ فَلَقَهُ غَرُوهُ  
فِي الْبَحْرِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ وَعَنْقَهُ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ لِلْقَرُوفِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا  
كَانَ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ أُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي رُكُوبِهِ وَالْجِهَادِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ  
أَنَّ الْعَرَبَ لِيَدَارِيَهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَهْرَةً فِي تِقَافَتِهِ وَرُكُوبِهِ وَالرُّومُ وَالْأَفَرَنْجَةُ لِمُنَازَسَتِهِمْ  
أَحْوَالُهُ وَمَرْبَاهُمُ فِي التَّقَلُّبِ عَلَى أَعْوَادِهِ مَرُّوا عَلَيْهِ وَأَحْكَمُوا الدِّرَافَةَ بِتِقَافَتِهِ فَلَمَّا  
اسْتَقَرَّ الْمُلْكُ لِلْعَرَبِ وَشَمَخَ سُلْطَانُهُمْ وَصَارَتْ أُمَمُ الْحَجَمِ خَوَلَاءَ لَهُمْ وَتَحْتَ أَيْدِيهِمْ  
وَتَقَرَّبَ كُلُّ ذِي صُنْعَةٍ إِلَيْهِمْ بِمَنْلَعِ صِنَاعَتِهِ وَاسْتَعْدُّوا مِنَ النَّوَاتِيَةِ فِي حَاجَاتِهِمْ  
الْبَحْرِيَّةِ أُمَمًا وَتَكَرَّرَتْ مُنَازَسَتُهُمْ لِلْبَحْرِ وَتِقَافَتُهُ وَاسْتَعْدُّوا بُصْرَاءَ بِهَا فَشَرُّهُوا إِلَى  
الْجِهَادِ فِيهِ وَأَنْشَأُوا السُّفُنَ فِيهِ وَالشَّرَافِي وَشَحَنُوا الْأَسَاطِيلَ بِالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَأَمْطَوْهَا  
الْعَسَاكِرَ وَالْمُقَاتِلَةَ لِمَنْ وَرَاءَ الْبَحْرِ مِنْ أُمَمِ الْكُفْرِ وَاخْتَصَرُوا بِذَلِكَ مِنْ مَمَالِكِهِمْ  
وَتُغُورِهِمْ مَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَهُذَا الْبَحْرِ وَعَلَى حَافَتِهِ مِثْلُ الشَّامِ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ  
وَأَوْعَزَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى حَسَّانِ بْنِ النُّعْمَانِ عَامِلِ أَفْرِيقِيَّةَ بِاتِّخَاذِ دَارِ صِنَاعَةِ  
بُتُونِيسَ لِإِنْشَاءِ آلَاتِ الْبَحْرِيَّةِ حِرْصًا عَلَى مَرَاسِمِ الْجِهَادِ وَمِنْهَا كَانَ فَتْحُ صِقِلِيَّةَ أَيَّامَ  
زِيَادَةَ اللَّهِ الْأَوَّلِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى يَدِ أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ شَيْخِ الْفُتَيَّا وَفَتْحُ  
قَوْصَرَةَ أَيْضًا فِي أَيَّامِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيجٍ أَغْرَى صِقِلِيَّةَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بْنِ  
أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَفُتِحَتْ عَلَى يَدِ ابْنِ الْأَغْلَبِ وَقَائِدِهِ أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ  
وَكَانَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَسَاطِيلُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسِ فِي دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ تَتَعَاقَبُ  
إِلَى بِلَادِهِمَا فِي سَبِيلِ الْفِتْنَةِ فَتَجُوسُ خِلَالَ السَّوَاخِلِ بِالْإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيبِ وَانْتَهَى  
أُسْطُولُ الْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ إِلَى مَائَتِي مَرَكَبٍ أَوْ نَحْوِهَا وَأُسْطُولُ  
أَفْرِيقِيَّةَ كَذَلِكَ مِثْلُهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَكَانَ قَائِدُ الْأَسَاطِيلِ بِالْأَنْدَلُسِ ابْنُ دُمَاحِصَ  
وَمَرْفَأُهَا لِلْحَطِ وَالْإِقْلَاعِ بِجَايَةِ وَالْمِرْيَةِ وَكَانَتْ أَسَاطِيلُهَا مُجْتَمِعَةً مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ

من كل بلد تتخذ فيه السفن أسطول يرجع نظره إلى قائد من التواتية يدير أمر حربه  
وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدير أمر جريته بالرياح أو بالمجاديف وأمر إرسائه في  
مرفئه فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو مخقل أو غرض سلطان في مهم عسكرت بمرقتها  
المعلوم وشحنها السلطان برجاله وأنجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد  
من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم إليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر  
إيابهم بالفتح والغنيمة وكان المسلمون لهذه الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا  
البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للأمم النصرانية  
قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه وأمتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم  
المقامات المألوفة من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل  
فيه مثل ميورقة ومورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة وأقريطش  
وقبرس وسائر ممالك الروم والإفرنج وكان أبو القاسم الشيعي وأبنائه يغزون  
أساطيلهم من الهندية جزيرة جنوة فتقلب بالظار والغنيمة وأفتتح مجاهد العامري  
صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في أساطيله سنة خمس وأربعين  
وأرتجها النصارى لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا  
البحر وصارت أساطيلهم فيهم جانية وذاهبة والعساكر الإسلامية تبحر البحر في  
الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع ملوك  
الإفرنج وتشن في ممالكهم كما وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية اللاتين  
فيها بدعوة العبيدين وأنحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي  
منه من سواحل الإفرنج والصقلية وجزائر الرومانية لا يغدونها وأساطيل المسلمين  
قد ضرت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكار من بسيط هذا البحر  
عدة وعددا واختلقت في طريقه سلما وحربا فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح حتى إذا  
أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن وطرقها الاعتلال مد النصارى أيديهم  
إلى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية وأقريطش ومالطة فملكوها ثم ألجوا على سواحل الشام  
في تلك الآفة وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا واستولوا على جميع الشور  
سواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه كنيسة لمظور دينهم وعبادتهم وغلبوا



بني خزرون على طرابلس ثم على قابس ووصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا المهدية مقر  
 ملوك العبيدين من يد أعتاب بلكين بن زيوي وكانت لهم في المائة الخامسة  
 الكثرة بهذا البحر وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم  
 يعشوا بشيء من أمره لهذا العهد بعد أن كان لهم في الدولة العبيدية عناية تجاوزت  
 الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هناك وبقيت  
 بأفريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد  
 موثور الأساطيل ثابت القوة لم يتحققه عدو ولا كانت لهم به كثرة فكان قائد  
 الأسطول به لعهد لثونة بني ميثون رؤساء جزيرة قاذس ومن أيديهم أخذها  
 عبد المؤمن بتسليمهم وطاعهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد  
 العدوتين جميعاً \* ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا  
 العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائد  
 أسطولهم أحمد الصقلي أصله من صد غيار الموحدين بجزيرة سرويكنش أسرته النصارى  
 من سواحيلها وربي عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك وولي ابنه  
 فأسقطه ببعض التذعات وخشي على نفسه ولعن بثونس وتول على السيد بها من بني  
 عبد المؤمن وأجاز مراكن فتلغاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمسيرة  
 والكرامة وأجزل الصلة وقلده أمر أساطيله فجلى في جهاد أمم النصرانية وكانت  
 له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين \* وانتهت أساطيل  
 المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما  
 عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام بعنده باسترجاع  
 ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس تابعت أساطيلهم بالتد  
 لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه فأمدوهم  
 بالعدد والأقوات ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك  
 الجانب الشرقي من البحرية وتعدد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل  
 عن مناعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل فأوقد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور  
 سلطان المغرب لعده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ

حُلُوكِ شِذْرَ وَكَانَ مَلِكُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَبْقَى عَلَيْهِمْ فِي دَوْلَتِهِ فَبَعَثَ عَبْدَ الْكَرِيمِ مِنْهُمْ  
 هَذَا إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ طَالِبًا مَدَدَ الْأَسَاطِيلِ لِتَحُولِ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَسَاطِيلِ الْأَجَانِبِ  
 وَبَيْنَ مَرَامِهِمْ مِنْ أَمْدَادِ النَّصْرَانِيَّةِ بِثُغُورِ الشَّامِ وَأَصْحَبَهُ كِتَابَهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ  
 الْفَاضِلِ الْيَسَّانِيِّ يَقُولُ فِي أَفْتَاخِهِ فَتَحَ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا أَبْوَابَ الْمَتَاجِرِ وَالْيَمَانِ حَسْبَمَا  
 ثَقَلَهُ الْعِمَادُ الْأَضْمَاقِي فِي كِتَابِ الْفَتْحِ الْقَيْسِيِّ فَتِمَّ عَلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ تَجَافِيهِمْ عَنْ  
 خَطَايِهِ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ وَحَلَّاهُمْ عَلَى مَنَاجِحِ الْبِرِّ وَالْكَرَامَةِ وَرَدَّاهُمْ  
 إِلَى مُرْسِلِهِمْ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اخْتِصَاصِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْأَسَاطِيلِ وَمَا حَصَلَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِي أَجَانِبِ الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْإِسْطِطَالَةِ وَعَدَمِ  
 عِنَايَةِ الدُّوَلِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَمَا بَعْدَهُ لِشَأْنِ الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ  
 مِنْهَا لِلدَّوْلَةِ وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ وَأَعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَاسْتَوْلَتْ أُمَمُ  
 الْجَلَالَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَأَجْلَّأُوا الْمُسْلِمِينَ إِلَى سِيفِ الْبَحْرِ وَمَلَكُوا  
 الْجَزَائِرَ الَّتِي بِأَجَانِبِ الْغَرْبِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ قَوِيَتْ رِيحُهُمْ فِي بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ وَاسْتَدَّتْ  
 شُوكُهُمْ وَكَثُرَتْ فِيهِ أَسَاطِيلُهُمْ وَتَرَاجَعَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ إِلَى الْمُسَاوَاةِ مَعَهُمْ كَمَا  
 وَقَعَ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ مَلِكِ زَنَاقَةَ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّ أَسَاطِيلَهُ كَانَتْ عِنْدَ مَرَامِهِ الْجَمَادِ  
 مِثْلَ عُدَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَعَدِيدِهِمْ ثُمَّ تَرَاجَعَتْ عَنْ ذَلِكَ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَسَاطِيلِ لِضَعْفِ  
 الدَّوْلَةِ وَنِسْيَانِ عَوَانِدِ الْبَحْرِ بِكَثْرَةِ الْعَوَانِدِ الْبَدَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَانْتِطَاعِ الْعَوَانِدِ  
 الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَرَجْعِ النَّصَارَى فِيهِ إِلَى دِينِهِمُ الْمُتَعَرُوفِ مِنَ الدَّرْبَةِ فِيهِ وَالْإِرَانِ عَلَيْهِ وَالْبَصَرِ  
 بِأَحْوَالِهِ وَغَلَبِ الْأُمَمِ فِي لُجَّتِهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كَالْأَجَانِبِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ  
 أَهْلِ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ لَهُمُ الْإِرَانُ عَلَيْهِ لَوْ وَجَدُوا كَثْرَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ أَوْ قِلَّةً مِنْ  
 الدَّوْلَةِ تَسْتَجِيشُ لَهُمْ أَعْوَانًا وَتُوضِحُ لَهُمْ فِي هَذَا الْغَرَضِ مَسْلَكًَ وَبَقِيَتْ الرُّتْبَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 فِي الدَّوْلَةِ الْغَرْبِيَّةِ مَحْضُوظَةً وَالرَّسْمُ فِي مُعَانَةِ الْأَسَاطِيلِ بِالْإِنْشَاءِ وَالرُّكُوبِ مَعَهُودًا لِمَا عَسَاهُ  
 أَنْ تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الْأَغْرَاضِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَهْجُونَ  
 الرِّيحَ عَلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ فَمِنْ الْمُشْتَهَرِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ عَنْ كُتُبِ الْخَدَتَانِ أَنَّهُ لَا بُدَ  
 لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُرَّةِ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَأَفْتِيَا حِ مَا وَرَاءَ الْبَحْرِ مِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ  
 يَكُونُ فِي الْأَسَاطِيلِ وَلِلَّهِ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



## الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

إِعْلَمُ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا أَنْ  
أَخْلَاجَةً فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ إِلَى السَّيْفِ مَا دَامَ أَهْلُهَا فِي تَمْهِيدِ أَمْرِهِمْ أَشَدُّ مِنْ أَخْلَاجَةٍ إِلَى  
الْقَلَمِ لِأَنَّ الْقَلَمَ فِي تِلْكَ أَخْلَالٍ خَادِمٍ فَقَطْ مُتَقَدِّمٌ لِلْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ وَالسَّيْفُ شَرِيكَ فِي  
الْعُرُونَةِ وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عَصِيَّتُهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَقِلُّ أَهْلُهَا بِمَا  
يُنَالُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي قَدَّمَ نَاهُ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الْإِسْتِظْهَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَتَوَيَّرُ  
أَخْلَاجَةُ إِلَيْهِمْ فِي حَيَاةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ الشَّأْنُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَمْهِيدِهَا  
فَيَكُونُ لِلْسَّيْفِ مَرَبَّةٌ عَلَى الْقَلَمِ فِي الْحَالَتَيْنِ وَيَكُونُ أَرْبَابُ السَّيْفِ حِينَئِذٍ أَوْسَعَ جَاهًا  
وَأَكْثَرَ نِعْمَةً وَأَسْنَى إِقْطَاعًا وَأَمَّا فِي وَسْطِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَعِينُ صَاحِبُهَا بِغَضِّ الشَّيْءِ عَنِ  
السَّيْفِ لِأَنَّهُ قَدْ تَمَهَّدَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَبْقَ هَمُّهُ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْجَبَايَةِ  
وَالضَّبْطِ وَمُبَاهَاةِ الدُّوَلِ وَتَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ وَالْقَلَمُ هُوَ الْمُعِينُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَعْظُمُ الْخَاجَةُ  
إِلَى تَصْرِيفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مُهْمَلَةً فِي مَضَاجِعِ أَعْمَادِهَا إِلَّا إِذَا أَنْابَتْ نَائِبَةٌ أَوْ  
دُعِيَتْ إِلَى سِدِّ فُرْجَةٍ وَمِمَّا سِوَى ذَلِكَ فَلَا خَاجَةَ إِلَيْهَا فَتَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي  
هَذِهِ أَخْلَاجَةً أَوْسَعَ جَاهًا وَأَعْلَى رُتَبَةً وَأَعْظَمَ نِعْمَةً وَثَرَوَةً وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ مَجْلِسًا  
وَأَكْثَرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا وَفِي خُلُوتِهِ نَجِيًّا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ آتِيٌّ إِلَيْهَا يَسْتِظْهِرُ عَلَى تَحْصِيلِ  
ثَمَرَاتِ مُلْكِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى أَعْطَافِهِ وَتَنْفِيذِ أَطْرَافِهِ وَالْمُبَاهَاةِ بِأَحْوَالِهِ وَيَكُونُ  
الْوُزَرَاءُ حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَعْنَى عَنْهُمْ مُبْعَدِينَ عَنِ بَاطِنِ السُّلْطَانِ حَذِيرِينَ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِيرِهِ \* وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ لِلْمَنْعُورِ حِينَ أَمَرَهُ  
بِالْقُدُومِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بِمَا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفُرْسِ أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا  
سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسلطان الخاصة به

إِعْلَمُ أَنَّ لِلْسُّلْطَانِ شَارَاتٍ وَأَحْوَالَ تَقْتَضِيهَا الْأُبْهَةُ وَالْبَذْخُ فَيُخْتَصُّ بِهَا وَيَتَمَيَّزُ

بانتحاليها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلقد كثر ما هو مشهور منها  
بمبلغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم

الآلة \* فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول  
والنفخ في الأبواق والقرون وقد ذكر أرسطو في الكتاب المنسوب إليه في السياسة  
أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب فإن الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس  
بالروعة ولعمري إنه أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه وهذا  
السبب الذي ذكره أرسطو إن كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبارات \* وأما  
الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والأصوات يذركها الفرح والطرب بلا  
شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستشيت في ذلك الوجه  
الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بالفعال الإبل بالحداء والخليل  
بالصغير والصريح كما علمت ويؤيد ذلك تأييداً إذا كانت الأصوات متناسبة كما  
في الغناء وأنت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى لأجل ذلك تتخذ العجم في  
مواطن حروبهم الآلات الموسيقية<sup>(١)</sup> لا طبلًا ولا بوقاً فيحرق المغنون بالسلطان في  
موكبه بالآتيهم ويغنون فيخرجون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستبابة ولقد رأينا في  
حروب العرب من يتغنى أمام التوكيب بالشعر ويطرب فتجيشهم الأبطال بما فيها  
ويسارعون إلى مجال الحرب ويتبع كل قرن إلى قرينه وكذلك زناثة من أمم المغرب  
يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنايه الجبال الرواسي ويبعث على  
الاستبابة من لا يظن بها ويسنون ذاك الغناء تاصوا كآيت وأصله كله فرح يحدث في  
النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح والله  
أعلم وأما تكثير الرايات وتلوينها وإطالتها فالقصد به التهوريل لا أكثر وربما تحدث  
في النفوس من التهوريل زيادة في الإقدام وأحوال النفوس وتلويناتها غريبة والله الخلاق  
العليم \* ثم إن الملوك والدول يخفقون في اتخاذ هذه الشارات فينتهم مكثر ومنهم  
مقليل بحسب اتساع الدولة وعظمتها فأما الرايات فإنها شعار الحروب من عهد الخليقة

(١) قوله موسيقية وفي نسخة الموسيقى وهي صحيحة لأن الموسيقى بكسر القاف بين التحيين اسم للنغم  
والالحن وتوقعها ويقال فيها موسيقير ويقال لضارب الآلة موسيقار انظر أول سفينة الشيخ محمد شهاب



وَلَمْ تَرَلِ الْأُمَمُ تَعْقِدُهَا فِي مَوَاطِنِ الْخُرُوبِ وَالْفُرُوتِ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ الْخُلَفَاءِ \* وَأَمَّا قَرَعُ الطُّبُولِ وَالنَّفْعُ فِي الْأَيَّامِ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ  
الْبَلَّةِ مُتَجَانِفِينَ عَنْهُ تَذَرُهَا عَنْ غِلْظَةِ الْمَلِكِ وَرَفْضًا لِأَحْوَالِهِ وَاحْتِقَارًا لِأُبْهَتِهِ الَّتِي لَيْسَتْ  
مِنْ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ حَتَّى إِذَا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ مُلْكًا وَتَبَجَّحُوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا وَلَا بَسَمَهُمُ  
الْمَوَالِي مِنْ الْفُرسِ وَالرُّومِ أَهْلَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ وَأَرْوَهُمْ مَا كَانَ أَوَّلِكَ يَنْتَحِلُونَهُ مِنْ  
مَذَاهِبِ الْبَذَخِ وَاللَّفْرِ فَكَانَ بِمَا اسْتَحْسَنُوهُ اتِّخَاذُ آلَاةٍ فَأَخَذُوهَا وَأَذِنُوا لِعَمَالِهِمْ  
فِي اتِّخَاذِهَا تَنْوِيهَا بِالْمُلْكِ وَأَهْلِيهِ فَكَثِيرًا مَا كَانَ الْعَامِلُ صَاحِبُ الشَّغْرِ أَوْ قَائِدُ الْجَيْشِ  
يَعْقِدُ لَهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوْ الْعَبْدِيِّينَ لَوَائِهِ وَيُخْرِجُ إِلَى بَعْضِهِ أَوْ عَلَيْهِ مِنْ دَارِ  
الْخَلِيفَةِ أَوْ دَارِهِ فِي مَوْكِبٍ مِنْ أَصْحَابِ الرَّايَاتِ وَالْآلَاتِ فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَوْكِبِ الْعَامِلِ  
وَالْخَلِيفَةِ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْأَلْوِيَةِ وَقِلَّتِهَا أَوْ بِمَا أُخْصِيَ بِهِ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ لِرَأْيِهِ كَالسَّوَادِ  
فِي رَايَاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنْ رَايَاتِهِمْ كَانَتْ سُودًا خُزْنَا عَلَى شَهَدَائِهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَنَعِيًا  
عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فِي قَتْلِهِمْ وَلِذَلِكَ سُمُّوا الْمُسَوَّدَةَ \* وَلَمَّا أَفْتَدَقَ أَمْرُ الْهَاشِمِيِّينَ وَخَرَجَ  
الطَّالِبِيُّونَ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَعَصَرَ ذَهَبُوا إِلَى مُخَالَفَتِهِمْ فِي ذَلِكَ فَأَتَّخَذُوا  
الرَّايَاتِ بِيضًا وَسُمُّوا الْمُسَيِّضَةَ لِذَلِكَ سَائِرَ أَيَّامِ الْعَبْدِيِّينَ وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ فِي  
ذَلِكَ الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ كَالدَّاعِي بِطَبْرِسْتَانَ وَدَاعِي صَفْدَةَ أَوْ مَنْ دَعَا إِلَى بِدْعَةِ الرَّافِضَةِ  
مِنْ غَيْرِهِمْ كَالْقَرَامِطَةِ وَلَمَّا تَزَعَّ الْمَأْمُونُ عَنْ لُبْسِ السَّوَادِ وَشَعَارِهِ فِي دَوْلَتِهِ عَدَلَ إِلَى  
لَوْنِ الْخَضِرَةِ فَجَعَلَ رَايَتَهُ خَضِرَاءَ وَأَمَّا الْإِسْكَكُثَارُ مِنْهَا فَلَا يَنْتَهِي إِلَى حَدٍّ وَقَدْ كَانَتْ  
آلَةُ الْعَبْدِيِّينَ لَمَّا خَرَجَ الْغُرِيُّ إِلَى فَتْحِ الشَّامِ خَمْسِمِائَةً مِنَ الْبُنُودِ وَخَمْسِمِائَةً مِنَ  
الْأَيَّامِ وَأَمَّا مَلُوكُ الْبَرِّيِّ بِالْمَغْرِبِ مِنْ صَنْهَاجَةٍ وَغَيْرِهَا فَلَمْ يُخْتَصُّوا بِلَوْنٍ وَاحِدٍ بَلْ  
وَسَّوْهَا بِالذَّهَبِ وَاتَّخَذُوهَا مِنْ الْخَرِيرِ الْخَالِصِ مُلَوَّنَةً وَاسْتَمَرُّوا عَلَى الْإِذْنِ فِيهَا لِعَمَالِهِمْ  
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ زَنَاطَةِ قَصَرُوا آلَاةَ مِنَ الطُّبُولِ وَالْبُنُودِ  
عَلَى السُّلْطَانِ وَحَظَرُوهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُ مِنْ عُمَّالِهِ وَجَعَلُوا لَهَا مَوْكِبًا خَاصًّا يَتَّبِعُ أَثَرُ السُّلْطَانِ  
فِي مَسِيرِهِ يُسَمَّى السَّاقَةَ وَهُمْ فِيهِ بَيْنَ مُكَثِّرٍ وَمُقِلٍّ بِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي ذَلِكَ  
فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبْعَةٍ مِنَ الْعَدَدِ تَبْدُكًا بِالسَّبْعَةِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَبَنِي  
الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَشْرَةَ وَالْعِشْرِينَ كَمَا هُوَ عِنْدَ زَنَاطَةِ وَقَدْ بَلَغَتْ فِي

أَيَّامِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ فِيمَا أَدْرَكَهُ مِائَةٌ مِنَ الطُّبُولِ وَمِائَةٌ مِنَ الْبُودِ مُلَوْنَةً بِالْحَرِيرِ مَنسُوجَةً بِالذَّهَبِ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَيَأْذَنُونَ لِلْوَلَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْقَوَادِ فِي اتِّخَاذِ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْكَثَّانِ بَيْخَاءٍ وَطَبْلِ صَغِيرٍ أَيَّامَ الْحَرْبِ لَا يَتَجَاوِزُونَ ذَلِكَ وَأَمَّا دَوْلَةُ الْأَتُوكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُونَ رَايَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً وَفِي رَأْسِهَا خَصَلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ يُسَمُّونَهَا الشَّالِشَ وَالْجَتْرَ وَهِيَ شَعَارُ السُّلْطَانِ عِنْدَهُمْ ثُمَّ تَتَعَدَّدُ الرَّاياتُ وَيُسَمُّونَهَا السَّنَاجِقَ وَاحِدُهَا سَنَجَقٌ وَهِيَ الرَّايَةُ بِلِسَانِهِمْ . وَأَمَّا الطُّبُولُ فَيَبَالِغُونَ فِي الْإِمْتِكَثَارِ مِنْهَا وَيُسَمُّونَهَا الْكُوسَاتِ وَيُبَيِّحُونَ لِكُلِّ أَمِيرٍ أَوْ قَائِدٍ عَسْكَرٍ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ إِلَّا الْجَتْرَ فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِالسُّلْطَانِ . وَأَمَّا الْجَلَالَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَمَمِ الْإِفْرَنْجَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَكْثَرُ شَأْنِهِمْ اتِّخَاذُ الْأَلْوِيَةِ الْقَلِيلَةِ ذَاهِبَةً فِي الْجَوْرِ صُعْدًا وَمَعَهَا قَرَعُ الْأَوْتَارِ مِنَ الطَّنَائِبِ وَيَرْفَعُونَ الْعِطَاطَ يَذْهَبُونَ فِيهَا مَذْهَبَ الْغِنَاءِ وَطَرِيقَهُ فِي مَوَاطِنِ حُرُوبِهِمْ هَكَذَا يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ وَعَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاتِّخْلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ

( السري ) . وَأَمَّا السَّرِيذُ وَالسِّنْبَرُ وَالتُّخْتُ وَالْكُرْسِيُّ فَبِهِيْ أَعْوَادٌ مَنصُوبَةٌ أَوْ أَرَانِيكَ مَنصُوبَةٌ لِيُجْلَسَ السُّلْطَانُ عَلَيْهَا مُرْتَفِعًا عَنْ أَهْلِ مَجْلِسِهِ أَنْ يُسَاوِيَهُمْ فِي الصَّعِيدِ وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ مِنْ سُنَنِ الْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفِي دَوْلِ الْعَجَمِ وَقَدْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى أَسِرَّةٍ الذَّهَبِ وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ كُرْسِيُّ وَسَرِيرٌ مِنْ عَاجٍ مُغَشًى بِالذَّهَبِ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَأْخُذُ بِهِ الدَّوْلُ إِلَّا بَعْدَ الْإِسْتِغْثَالِ وَاللَّفِّ شَأْنُ الْأَبْهَةِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا . وَأَمَّا فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْبِدَاوَةِ فَلَا يَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهِ . وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فِي الْإِسْلَامِ مَعَاوِيَةُ وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِيهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ بَدَنْتُ فَأَذِنُوا لَهُ فَاتَّخَذَهُ وَاتَّبَعَهُ الْمُلُوكُ الْإِسْلَامِيُّونَ فِيهِ وَصَارَ مِنْ مَنَازِعِ الْأَبْهَةِ وَلَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَمْصُرُ يَجْلِسُ فِي قَصْرِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْعَرَبِ وَيَأْتِيهِ الْمُتَوَقِّسُ إِلَى قَصْرِهِ وَمَعَهُ سَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ مَحْمُولًا عَلَى الْأَيْدِي لِيُجْلِسَ شَأْنُ الْمُلُوكِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمَامُهُ وَلَا يُغَيِّرُونَ عَلَيْهِ وَقَاءَ لَهُ بِمَا اعْتَقَدَ مِنْهُمْ مِنَ الذِّمَّةِ وَإِطْرَاحًا لِأَبْهَةِ الْمَلِكِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لِابْنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبْدِيِّينَ وَسَائِرِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ شَرَفًا وَغَرَبًا مِنَ الْأَسِرَّةِ وَالْمَتَابِرِ وَالتُّخْتِ مَا عَا عَنْ الْأَكَاْسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّيَّارِ



(السكة) وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يُعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير يوزن معين صحيح يُضطلع عليه فيكون المتعامل بها عددا وإن لم تُنذر أشخاصها يكون المتعامل بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المشحذة لذلك ثم نُقل إلى أثرها وهي النقوش المائلة على الدنانير والدراهم ثم نُزل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتحدد الخااص من المنشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقرون في سلامتها الفس يحتم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها ويتقشون فيها تماثيل تكون مخصصة بها مثل تمثال السلطان لعهدها أو تمثيل حصن أو حيوان أو مَضْرُوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم . ولما جاء الإسلام أغل ذلك لسداجة الدين وبداعة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم ويؤدونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصارفون بها بينهم إلى أن تفاحش الفس في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن السائب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتنفيذ المنشوش من الخااص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين ثم أمر بصرفها في سائر التواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل أول من ضرب الدنانير والدراهم مضعب بن الزبير بالIraq سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الإسلام ستة دراهم واليقل وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم

أَيَّامُ الْفَرَسِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَكَانَ مِنْهَا عَلَى وَزْنِ الْمِثْقَالِ عِشْرُونَ قِيرَاطًا وَمِنْهَا اثْنَا عَشَرَ  
وَمِنْهَا عَشْرَةٌ فَلَمَّا أَحْتِيجَ إِلَى تَقْدِيرِهِ فِي الزَّكَاةِ أُخِذَ الْوَسْطُ وَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ قِيرَاطًا  
فَكَانَ الْمِثْقَالُ دِرْهَمًا وَثَلَاثَةَ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٍ وَقِيلَ كَانَ مِنْهَا الْبَغْلِيُّ بِشَمَانِيَةِ دَوَانِقِ  
وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةَ دَوَانِقِ وَالْمَغْرِبِيُّ ثَمَانِيَةَ دَوَانِقِ وَالْيَمَنِيُّ سِتَّةَ دَوَانِقِ فَأَمَرَ عُمرُ أَنْ يُنْظَرَ  
الْأَغْلَبُ فِي التَّعَامُلِ فَكَانَ الْبَغْلِيُّ وَالطَّبْرِيُّ اثْنِي عَشَرَ دَانِقًا وَكَانَ الدِّرْهَمُ سِتَّةَ  
دَوَانِقِ وَإِنْ زِدْتَ ثَلَاثَةَ أَسْبَاعٍ كَانَ مِثْقَالًا وَإِذَا اتَّقَضَتْ ثَلَاثَةُ أَعْشَارِ الْمِثْقَالِ كَانَ  
دِرْهَمًا فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ اتِّخَاذَ السِّكَّةِ لِصِيَانَةِ الثَّقَدَيْنِ الْجَارِيَيْنِ فِي مُعَامَلَةِ  
الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعِشْرِ عَيْنَ مِقْدَارِهَا عَلَى هَذَا الَّذِي اسْتَقَرَّ لِعَهْدِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
وَاتَّخَذَ فِيهِ كَلِمَاتٍ لَا صُورًا لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الْكَلَامَ وَالْبَلَاغَةَ أَقْرَبَ مَنَاحِيهِمْ وَأَظْهَرَهَا  
مَعَ أَنَّ الشَّرْعَ يَنْهَى عَنِ الصُّورِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَيَّامِ الْمِلَّةِ كُلِّهَا  
وَكَانَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ عَلَى شَكْلَيْنِ مُدَوَّرَيْنِ وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهِمَا فِي دَوَائِرٍ مُتَوَازِيَةٍ  
يَكْتَبُ فِيهَا مِنْ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ اسْمُ اللَّهِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَفِي  
الْوَجْهِ الْآخَرِ التَّأْرِيخُ وَاسْمُ الْخَلِيفَةِ وَهَكَذَا أَيَّامُ الْعَبَاسِيِّينَ وَالْعُمَيْيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ  
وَأَمَّا صُنْهَاجُهُ فَلَمْ يَتَّخِذُوا سِكَّةً إِلَّا آخِرَ الْأَمْرِ اتَّخَذَهَا مَنْصُورٌ صَاحِبُ بَغَايَةِ ذَكَرَ ذَلِكَ  
ابْنُ خَمَادٍ فِي تَلْوِيخِهِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ كَانَ مِنْهَا سَنَ لَهُمُ الْهَدْيُ اتِّخَاذَ  
سِكَّةٍ الدِّرْهَمِ مُرَبَّعَ الشَّكْلِ وَأَنْ يُرَسَّمَ فِي دَائِرَةِ الدِّينَارِ شَكْلٌ مُرَبَّعٌ فِي وَسْطِهِ  
وَيُمَلَأُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا وَمِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ كُتِبَ فِي السُّطُورِ بِاسْمِهِ  
وَاسْمِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَنَعَلَ ذَلِكَ الْمُوَحِّدُونَ وَكَانَتْ سِكَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ لِهَذَا  
الْعَهْدِ وَلَقَدْ كَانَ الْهَدْيُ فِيمَا يُنْقَلُ يُنْعَتُ قَبْلَ طُهُورِهِ بِصَاحِبِ الدِّرْهَمِ الْمُرَبَّعِ نَعْتُهُ بِذَلِكَ  
الْمُشْكِلُونَ بِالْحَدَّثَانِ مِنْ قَبْلِهِ الْمُخْبِرُونَ فِي مَلَاحِيهِمْ عَنْ دَوْلَتِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ  
لِهَذَا الْعَهْدِ فِسِكَّتُهُمْ غَيْرُ مُقَدَّرَةٍ وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُونَ بِالدَّنَانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ وَزَنًا بِالصَّنَجَاتِ  
الْمُقَدَّرَةِ بِمِدَّةٍ مِنْهَا وَلَا يَطْبَعُونَ عَلَيْهَا بِالسِّكَّةِ نُقُوشَ الْكَلِمَاتِ بِالتَّهْلِيلِ وَالصَّلَاةِ وَاسْمِ  
السُّلْطَانِ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَرِيزِ الْعَلِيمِ  
وَلَنَحْنُ الْكَلَامَ فِي السِّكَّةِ بِذِكْرِ حَقِيقَةِ الدِّرْهَمِ وَالْدِّينَارِ الشَّرْعِيِّنِ وَبَيَانِ  
حَقِيقَةِ مِقْدَارِهِمَا



وَذَلِكَ أَنَّ الدِّينَارَ وَالدرَّهَمَ مُخْتَلَفَا السِّكَّةِ فِي الْمَقْدَارِ وَالْمَوَازِينِ بِالْأَفَاقِ  
وَالْأَمْصَارِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالشَّرْعُ قَدْ تَعَرَّضَ لِدِكْرِهِمَا وَعَلَّقَ كَثِيرًا مِنْ الْأَحْكَامِ  
بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ وَالْأَنْكِحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا فَلَا بُدَّ لَهُمَا عِنْدَهُ مِنْ حَقِيقَةٍ وَمَقْدَارٍ  
مَعَيَّنٍ فِي تَقْدِيرِ تَجَرِّي عَلَيْهِمَا أَحْكَامُهُ دُونَ غَيْرِ الشَّرْعِيِّ مِنْهُمَا فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِجْتِمَاعَ  
مَنْعَقِدٌ مُنْذُ صَدَرِ الْإِسْلَامِ وَعَهْدِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ الدِّرْهَمَ الشَّرْعِيَّ هُوَ الَّذِي تَرَنَ  
الْعَشْرَةَ مِنْهُ سَبْعَةٌ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَوْقِيَّةُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَهُوَ عَلَى هَذَا سَبْعَةُ  
أَعْشَارِ الدِّينَارِ وَوزْنُ الْمِثْقَالِ مِنَ الذَّهَبِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ فَالدِّرْهَمُ  
الَّذِي هُوَ سَبْعَةُ أَعْشَارِهِ خَمْسُونَ حَبَّةً وَخَمْسًا حَبَّةً وَهَذِهِ الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالْإِجْتِمَاعِ  
فَإِنَّ الدِّرْهَمَ أَجَاهِلِيَّ كَانَ بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْوَاعٍ أَجُودُهَا الطَّبَرِيُّ وَهُوَ أَرْبَعَةُ دَوَانِقُ وَالْبَغْلِيُّ  
وَهُوَ ثَمَانِيَّةُ دَوَانِقُ فَجَعَلُوا الشَّرْعِيَّ بَيْنَهُمَا وَهُوَ سِتَّةُ دَوَانِقُ فَكَانُوا يُوجِبُونَ الزَّكَاةَ  
فِي مِائَةِ دِرْهَمٍ بِنِصْفِ مِائَةِ طَبَرِيَّةٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ وَسَطًا وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ  
كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَضْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ إِجْتِمَاعِ النَّاسِ بَعْدُ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ  
ذَكَرَ ذَلِكَ الْخَطَّامُ فِي كِتَابِ عَالِمِ السُّنَنِ وَالْمَوَازِينِ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَأَنكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الدِّينَارُ وَالدرَّهَمُ الشَّرْعِيَّانِ  
مَجْهُولَيْنِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مَعَ تَعَلُّقِ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ  
وَالْأَنْكِحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَآخِذًا أَنَّهُمَا كَانَا مَعْلُومَيِ الْمَقْدَارِ فِي ذَلِكَ  
الْعَصْرِ لِجَرَيَانِ الْأَحْكَامِ يَوْمَئِذٍ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنَ الْحُقُوقِ وَكَانَ مَقْدَارُهُمَا غَيْرَ مُشَخَّصٍ  
فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا كَانَ مُتَعَارِفًا بَيْنَهُمْ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى الْمَقْدَارِ فِي مَقْدَارِهِمَا  
وَوُثْنَتُهُمَا حَتَّى اسْتَفْجَلَ الْإِسْلَامُ وَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ وَدَعَتِ الْحَالُ إِلَى تَشْخِصِهِمَا فِي  
الْمَقْدَارِ وَالْوِزْنِ كَمَا هُوَ عِنْدَ الشَّرْعِ لِإِتْرَاجِهِمَا مِنْ كِلْفَةِ التَّقْدِيرِ وَقَارَنَ ذَلِكَ أَيَّامَ  
عَبْدِ الْمَلِكِ فَشَخَّصَ مَقْدَارَهُمَا وَعَيَّنَهُمَا فِي الْخَارِجِ كَمَا هُوَ فِي الذَّهْنِ وَنَقَشَ عَلَيْهِمَا  
السِّكَّةَ بِاسْمِهِ وَتَأْرِيخِهِ أَثَرُ الشَّهَادَتَيْنِ الْإِيمَانِيَّتَيْنِ وَطَرَحَ النُّوْدَ الْجَاهِلِيَّةَ رَأْسًا  
حَتَّى خُلِصَتْ وَنَقَشَ عَلَيْهَا سِكَّةً وَتَلَاسَى وَجُودُهَا فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَجِيدَ عَنْهُ  
وَمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ اخْتِيَارُ أَهْلِ السِّكَّةِ فِي الدَّوَلِ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمَقْدَارِ الشَّرْعِيِّ فِي  
الدِّينَارِ وَالدرَّهَمِ وَاخْتَلَفَتْ فِي كُلِّ الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى تَصَوُّرِ مَقَادِيرِهِمَا

الشَّرْعِيَّةُ ذِهْنًا كَمَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ أَقْصٍ يَسْتَخْرِجُونَ الْحَقَّ  
الشَّرْعِيَّةَ مِنْ سِغَاتِهِمْ بِمَعْرِفَةِ النَّسَبِ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقَادِيرِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَأَمَّا وَزَنَ  
الدِّينَارِ بِأَثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ الْوَسْطِ فَهُوَ الَّذِي نَقَلَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ  
إِلَّا ابْنَ خَزْمٍ خَالَفَ ذَلِكَ وَدَّعَى أَنَّ وَزَنَهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ حَبَّةً . نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ الْقَاضِي  
عَبْدُ الْحَقِّ وَرَدَّهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعَدَّوْهُ وَهَمًّا وَغَلَطًا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
وَكَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَوْقِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمُتَعَارِفَةُ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْمُتَعَارِفَةَ  
مُخْتَلِفَةً بِاخْتِلَافِ الْأَقْطَارِ وَالشَّرْعِيَّةَ مُتَّحِدَةٌ ذِهْنًا لَا اخْتِلَافَ فِيهَا وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

( الخاتم ) وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَهُوَ مِنَ الْخَطِّ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْوِظَانِيَّةِ الْمُلُوكِيَّةِ وَالْخَتْمُ عَلَى  
الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مَعْرُوفٌ لِلْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ  
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى قَيْصَرَ قَتِيلَ لَهُ إِنْ الْجَحْمَ لَا يَقْبَلُونَ  
كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ . مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ  
الْبُخَارِيُّ جَعَلَ الثَّلَاثَ الْكَلِمَاتِ ثَلَاثَةَ أَصْطُرٍ وَخَتَمَ بِهِ وَقَالَ لَا يَنْقُشُ أَحَدٌ مِثْلَهُ قَالَ  
وَتَخَتَّمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بَيْتِ أَرِيْسَ وَكَانَتْ قَلِيلَةً  
الْمَاءِ فَلَمْ يُدْرِكْ تَعْرِفَهَا بَعْدُ وَاعْتَمَّ عُثْمَانُ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ وَصَنَعَ آخَرَ عَلَى مِثْلِهِ وَفِي كَيْفِيَّةِ  
نَقْشِ الْخَاتَمِ وَالْخَتْمِ بِهِ وَجُوهٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ يُطْلَقُ عَلَى الْآلَةِ الَّتِي تُجَعَلُ فِي الْإِصْبَعِ وَمِنْهُ  
تَخْتَمُ إِذَا أَسَسَهُ وَيُطْلَقُ عَلَى الْبَيَّانَةِ وَالنِّسَامِ وَمِنْهُ خَتَمْتُ الْأَمْرَ إِذَا بَلَغْتُ آخِرَهُ وَخَتَمْتُ  
الْقُرْآنَ كَذَلِكَ وَمِنْهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُ الْأَمْرِ وَيُجَالِقُ عَلَى السَّدَادِ الَّذِي يُسَدُّ بِهِ الْأَوَانِي  
وَالدِّانَ وَيُقَالُ فِيهِ خَتَامٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى خَتَامُهُ مِنْكَ وَقَدْ غَلِطَ مَنْ فُسِّرَ ذَلِكَ بِالْبَيَّانَةِ  
وَالنِّسَامِ قَالُوا لِأَنَّ آخِرَ مَا يَجِدُونَهُ فِي شَرَاهِمِهِمْ رِيحُ الْمِسْكِ وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ  
مِنَ الْخَامِ الَّذِي هُوَ السَّدَادُ لِأَنَّ الْخَمْرَ يُجَعَلُ لَهَا فِي الدِّينِ سَدَادُ الطِّينِ أَوِ الْقَارِ يَحْفَظُهَا  
وَيُطَيَّبُ عَرَفًا وَذَوْقًا فَبُولِغَ فِي وَصْفِ خَيْرِ الْجَنَّةِ بِأَنَّ سَدَادَهَا مِنَ الْمِسْكِ وَهُوَ أَطْيَبُ  
عَرَفًا وَذَوْقًا مِنَ الْقَارِ وَالطِّينِ الْمَعْهُودِينَ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا صَحَّ إِطْلَاقُ الْخَاتَمِ عَلَى هَذِهِ كَلِمَاتِهَا  
صَحَّ إِطْلَاقُهُ عَلَى أَثَرِهَا النَّاشِءِ عَنْهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ إِذَا نُقِشَتْ بِهِ كَلِمَاتٌ أَوْ أَشْكَالٌ  
ثُمَّ عُكِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ أَوْ مِدَادٍ وَوُضِعَ عَلَى صَفْحِ الْبَرْتِطَاسِ بَقِيَ أَكْثَرُ الْكَلِمَاتِ



فِي ذَلِكَ الصَّفْحِ وَكَذَلِكَ إِذَا طُبِعَ بِهِ عَلَى جِسْمٍ لَيْتَنِي كَالشَّمْعِ فَإِنَّهُ يَبْقَى نَقْشُ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ مُرْتَسِمًا فِيهِ وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَاتٌ وَارْتَسَمَتْ فَقَدْ يُقْرَأُ مِنْ الْجِهَةِ الْيُسْرَى  
 إِذَا كَانَ النَّقْشُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنَ الْيَمْنَى وَقَدْ يُقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى إِذَا كَانَ النَّقْشُ  
 مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى لِأَنَّ الْحَتْمَ يُقْلِبُ جِهَةً آخَرَ فِي الصَّفْحِ عَمَّا كَانَ فِي النَّقْشِ مِنْ يَمِينٍ  
 أَوْ يَسَارٍ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْحَتْمُ بِهَذَا الْحَتْمِ بِنَفْسِهِ فِي الْبَدَادِ أَوِ الطِّينِ وَوَضَعِهِ  
 فِي الصَّفْحِ فَتَنْتَشِ الْكَلِمَاتُ فِيهِ وَيَكُونُ هَذَا مِنْ مَعْنَى الْتِهَابَةِ وَالْتِمَامِ بِمَعْنَى صِحَّةِ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ وَتُقَوِّدُهُ كَانَ الْكِتَابُ إِنَّمَا يَتِمُّ الْعَمَلُ بِهِ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَهُوَ مِنْ دُونِهَا  
 مَلْفَى لَيْسَ بِتَامٍ وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْحَتْمُ بِالْحَطِّ آخِرَ الْكِتَابِ أَوْ أَوَّلَهُ بِكَلِمَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ  
 مِنْ تَجْبِيدٍ أَوْ تَسْبِيحٍ أَوْ بِاسْمِ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ أَوْ صَاحِبِ الْكِتَابِ مَنْ كَانَ أَوْ  
 شَيْءٌ مِنْ نُعُوتِهِ يَكُونُ ذَلِكَ الْخَطُّ عِلَامَةً عَلَى صِحَّةِ الْكِتَابِ وَتُقَوِّدُهُ وَيُسَمَّى ذَلِكَ فِي  
 الْمُتَعَارَفِ عِلَامَةً وَيُسَمَّى خَتْمًا تَشْبِيهًُا لَهُ بِأَثَرِ الْخَاتَمِ الْأَصْفِيِّ فِي النَّقْشِ وَمِنْ هَذَا  
 خَاتَمُ الْقَاضِي الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ لِلْخُصُومِ أَيْ عِلَامَتُهُ وَخَطُّهُ الَّذِي يُنْقَدُ بِهِمَا أَحْكَامُهُ  
 وَمِنْهُ خَاتَمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْخَلِيفَةِ أَيْ عِلَامَتُهُ قَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ  
 يَسْتَوْدِرَ جَعْفَرًا وَيَسْتَبْدِلَ بِهِ مِنْ الْفَضْلِ أَخِيهِ فَقَالَ لِأَبِيهِمَا يَحْيَى يَا أَبَتِ إِنِّي أَرَدْتُ  
 أَنْ أُحْوَلَ الْخَاتَمُ مِنْ يَمِينِي إِلَى شِمَالِي فَكُنِّي لَهُ بِالْخَاتَمِ عَنِ الْوِزَارَةِ لِمَا كَانَتْ الْعِلَامَةُ  
 عَلَى الرِّسَالِ وَالْمَكُوكِ مِنْ وَظَائِفِ الْوِزَارَةِ لِعَبْدِهِمْ وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا الْإِطْلَاقِ مَا  
 نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهُ فِي الصَّاحِ صَحِيفَةً بَيَضَاءَ  
 خَتَمَ عَلَى أَسْفَلِهَا وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَنْ اشْتَرِطَ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتُ  
 فَهُوَ لَكَ وَمَعْنَى الْحَتْمِ هُنَا عِلَامَةُ فِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ بِحَطِّهِ أَوْ غَيْرِهِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُحْتَمَ بِهِ  
 فِي جِسْمِ لَيْتَنِي فَتَنْتَشِ فِيهِ حُرُوفُهُ وَيُجْعَلُ عَلَى مَوْضِعِ الْحَزْمِ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُزِمَ  
 وَعَلَى الْمَوْدُوعَاتِ وَهُوَ مِنَ الشَّدَادِ كَمَا مَرَّ وَهُوَ فِي التَّوَجُّهِينِ آثَارُ الْخَاتَمِ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ  
 خَاتَمٌ وَأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ الْحَتْمَ عَلَى الْكِتَابِ أَيْ الْعِلَامَةَ مُعَاوِيَةُ لِأَنَّهُ أَمَرَ لِعُمَرَ بْنِ الرَّبِيعِ  
 عِنْدَ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ بِدَائَةِ أَلْفٍ فَفَتَحَ الْكِتَابَ وَصَدَرَ إِلَيْهِ مَائَتَيْنِ وَرَفَعَ زِيَادٌ حِسَابَهُ  
 فَأَنْكَرَهَا مُعَاوِيَةُ وَطَلَبَ بِهَا عُمَرَ وَجَسَّهُ حَتَّى قَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَاتَّخَذَ مُعَاوِيَةُ  
 عِنْدَ ذَلِكَ دِيوَانَ الْخَاتَمِ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَقَالَ آخَرُونَ وَحَزَمَ الْكُتُبَ وَلَمْ تَكُنْ

تَحْرُمُ أَيُّ جَعَلَ لَهَا السَّدَادَ وَدِيوانُ الْحَتْمِ عِبَارَةٌ عَنِ الْكُتَّابِ الْقَائِمِينَ عَلَى إِنْغَازِ  
كُتُبِ السُّلْطَانِ وَالْحَتْمِ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْعَلَامَةِ أَوْ بِالْحَرَمِ وَقَدْ يُطْلَقُ الدِّيوانُ عَلَى مَكَانِ  
جُلُوسِ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي دِيوانِ الْأَعْمَالِ وَالْحَرَمِ لِلْكُتُبِ يَكُونُ  
إِمَّا بِدَسْرِ الْوَرَقِ كَمَا فِي عُرْفِ كُتَابِ الْمَغْرِبِ وَإِمَّا بِاللِّصَاقِ رَأْسِ الصَّحِيفَةِ عَلَى مَا  
تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ كَمَا فِي عُرْفِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَقَدْ يُجْعَلُ عَلَى مَكَانِ الدَّسْرِ أَوْ  
الْإِلِصَاقِ عِلَامَةٌ يُؤْمَنُ مَعَهَا مِنْ فَتْحِهِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى مَا فِيهِ فَأَهْلُ الْمَغْرِبِ يَجْعَلُونَ عَلَى  
مَكَانِ الدَّسْرِ قِطْعَةً مِنَ الشَّمْعِ وَيَخْتِمُونَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ نُقِشَتْ فِيهِ عِلَامَةٌ لِذَلِكَ فَيَرْتَسِمُ  
النَّقْشُ فِي الشَّمْعِ وَكَانَ فِي الْمَشْرِقِ فِي الدَّوَلِ الْقَدِيمَةِ يُخْتَمُ عَلَى مَكَانِ اللَّصَقِ بِخَاتَمٍ  
مَنْقُوشٍ أَيْضًا قَدْ عُمِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ مُعَدٍّ لِذَلِكَ صِبْغُهُ أَحْمَرُ فَيَرْتَسِمُ ذَلِكَ  
النَّقْشُ عَلَيْهِ وَكَانَ هَذَا الطِّينُ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يُعْرَفُ بِطِينِ الْحَتْمِ وَكَانَ يُجْلَبُ مِنْ  
سِيرَافَ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهَا فَهَذَا الْخَاتَمُ الَّذِي هُوَ الْعِلَامَةُ الْمَكْتُوبَةُ أَوْ النَّقْشُ  
لِلسَّدَادِ وَالْحَرَمِ لِلْكُتُبِ خَاصٌّ بِدِيوانِ الرِّسَالِ وَكَانَ ذَلِكَ لِلْوَزِيرِ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعُرْفُ وَصَارَ لِمَنْ إِلَيْهِ التَّرْسِيلُ وَدِيوانُ الْكُتَابِ فِي الدَّوَلَةِ ثُمَّ صَارُوا فِي  
دَوَلِ الْمَغْرِبِ يَعْدُونَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ الْخَاتَمُ الْإِصْبَعُ فَيَسْتَجِيدُونَ صَوْعَهُ  
مِنَ الذَّهَبِ وَيَصْعُونَهُ بِالْفُصُوصِ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالْفَيروزِ وَالزُّمُرُودِ وَيَلْبَسُهُ السُّلْطَانُ  
شَارَةً فِي عُرْفِهِمْ كَمَا كَانَتْ الْبُرْدَةُ وَالْقَضِيبُ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْمُظَلَّةُ فِي الدَّوَلَةِ  
الْعَبْسِيَّةِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ بِحُكْمِهِ

( الطراز ) \* مِنْ أَتْبَعَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَمَذَاهِبِ الدَّوَلِ أَنْ تُرْسَمَ أَسَاوُهُمْ أَوْ  
عِلَامَاتُ تَخْتَصُّ بِهِمْ فِي طِرَازِ أَثَوَابِهِمُ الْمُعَدَّةِ لِلْبَاسِمِ مِنْ الْحَرِيرِ أَوْ الدِّيبَاجِ أَوْ  
الْإِبْرِيسِمِ تُعْتَبَرُ كِتَابَةٌ خَطِّهَا فِي نَسْجِ الثَّوبِ أَحْلَامًا وَإِسْدَاءً بِخِطِّ الذَّهَبِ أَوْ مَا يُخَالِفُ  
لَوْنِ الثَّوبِ مِنْ الْحَيُوطِ الْمُلَوَّنَةِ مِنْ غَيْرِ الذَّهَبِ عَلَى مَا يُحْكِمُهُ الْعُتَاغُ فِي تَقْدِيرِ ذَلِكَ  
وَوَضْعِهِ فِي صِنَاعَةِ نَسْجِهِمْ فَتَصِيرُ الْكِيَابُ الْمُلُوكِيَّةُ مُعَلَّمَةً بِذَلِكَ الطِّرَازِ قَصْدُ التَّوْيِهِ  
بِلَابِسِهَا مِنَ السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ أَوْ التَّوْيِهِ بِمَنْ يَخْتَصُّهُ السُّلْطَانُ بِمَلْبُوسِهِ إِذَا قَصَدَ  
تَشْرِيفَهُ بِذَلِكَ أَوْ لِأَيَّةِ لَوْظِيَّةٍ مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ مُلُوكُ الْعَجَمِ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ  
يَجْعَلُونَ ذَلِكَ الطِّرَازَ بِعُورِ الْمُلُوكِ وَأَشْكَالِهِمْ أَوْ أَشْكَالِ وَصُورِ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ ثُمَّ



أَعْتَصَ مُلُوكُ الْإِسْلَامِ عَنْ ذَلِكَ بِكَتَبِ أَسْمَائِهِمْ مَعَ كَلِمَاتٍ أُخْرَى تَجْرِي مَجْرَى  
الْقَالِ أَوْ السَّجَلَاتِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الدَّوَلَتَيْنِ مِنْ أَتَمَّةِ الْأُمُورِ وَأَفْخَمِ الْأَحْوَالِ وَكَانَتْ  
الدُّورُ الْمَعْدَّةُ لِتَسْجَرِ أَثْوَابِهِمْ فِي قُصُورِهِمْ تُسَمَّى دُورَ الْبَرَارِ لِذَلِكَ وَكَانَ الْقَائِمُ عَلَى  
النَّظَرِ فِيهَا يُسَمَّى صَاحِبَ الْبَرَارِ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الصِّبَاغِ وَالْآلَةِ وَالْحَاكَةِ فِيهَا وَإِجْرَاءِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَتَسْهِيلِ آلَاتِهِمْ وَمُشَارَفَةِ أَعْمَالِهِمْ وَكَانُوا يُقْلِدُونَ ذَلِكَ لِحَوَاصِرِ دَوْلَتِهِمْ وَتَقَاتِ  
مَوَالِيهِمْ وَكَذَلِكَ كَانَ الْكُلُّ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالطَّوَاتِفِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَفِي  
دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِبِصْرَ وَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ لَمَّا ضَاقَ  
نِطَاقُ الدَّوَلِ عَنِ التَّرَفِ وَالْأَفْنِ فِيهِ لِضِيقِ نِطَاقِهَا فِي الْإِسْتِيلَاءِ وَتَعَدَّدَتِ الدَّوَلُ تَعَطَّلَتْ  
هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ وَالْوِلَايَةُ عَلَيْهَا مِنْ أَكْثَرِ الدَّوَلِ بِالْأَجْمَلَةِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ  
بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ بَنِي أُمَيَّةَ أَوَّلَ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ لَمْ يَأْخُذُوا بِذَلِكَ أَوَّلَ دَوْلَتِهِمْ لَمَّا كَانُوا  
عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِعِ الدِّيَانَةِ وَالسَّذَاجَةِ الَّتِي لِقَنُوهَا عَنْ إِمَامِهِمْ مُحَمَّدِ بْنِ تُوَمَرَتِ الْمَلْدِيِّ  
وَكَانُوا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ لِبَاسِ الْخَرِيرِ وَالذَّهَبِ فَسَقَطَتْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ وَاسْتَدْرَكَ  
مِنْهَا أَعْقَابُهُمْ آخِرَ الدَّوَلَةِ طَرَفًا لَمْ يَكُنْ يَبْلُغُ النَّبَاهَةَ وَأَمَّا لِهَذَا الْعَهْدِ فَأَدْرَكْنَا بِالْمَغْرِبِ  
فِي الدَّوَلَةِ الْمُرِينِيَّةِ لِعُنُقِهَا وَشُرُوحَهَا رَسْمًا حَلِيلًا لِقَنُوهُ مِنْ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ مُعَاصِرِهِمْ  
بِالْأَنْدَلُسِ وَاتَّبَعَ هُوَ فِي ذَلِكَ مُلُوكُ الطَّوَاتِفِ فَأَتَى مِنْهُ بِلَمَحَةٍ شَاهِدَةٍ بِالْأَثَرِ . وَأَمَّا دَوْلَةُ  
الْأَرْكَ بِبِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَفِيهَا مِنْ الْبَرَارِ تَحْرِيرٌ آخَرُ عَلَى مِقْدَارِ مُلْكِهِمْ وَعُمُرَانِ  
بِلَادِهِمْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُنْتَعَجُ فِي دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ وَلَيْسَتْ مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِمْ وَإِنَّمَا  
يُنْسَجُ مَا تَطْلُبُهُ الدَّوَلَةُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ صُنَاعِهِ مِنَ الْخَرِيرِ وَمِنْ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَيُسَوِّدُهُ  
الْمَرْكَشُ لَفْظَةً أَعْجَبِيَّةً وَيُرْسَمُ اسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ وَيُمِدُّهُ الصَّنَاعُ لَهُمْ فِيمَا  
يَعِدُّونَهُ لِلدَّوَلَةِ مِنْ طَرَفِ الصَّنَاعَةِ الْإِلَاقَةِ بِهَا وَاللَّهُ مُعَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الْفَسَاطِيطُ وَالسِّيَاحُ

إِعْلَمُ أَنَّ مِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ وَتَرَفِهِ اتِّخَاذُ الْأَخِيَّةِ وَالْفَسَاطِيطِ وَالْفَازَاتِ مِنْ ثِيَابِ  
الْكُتَّانِ وَالصُّوفِ وَالْقُطْنِ فَيُبَاهِي بِهَا فِي الْأَسْفَارِ وَتَتَوَعَّ وَنَهَا الْأَلْوَانُ مَا بَيْنَ كَبِيرِ  
وَصَغِيرِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوَلَةِ فِي الثَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الدَّوَلَةِ فِي بُيُوتِهِمْ  
مَا لَمْ يَجْرَتْ عَادَتُهُمْ بِاتِّخَاذِهَا قَبْلَ الْمَلِكِ وَكَانَ الْعَرَبُ لِهَذَا الْحُلُقَاءِ الْأَوَّلِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ

إِنَّمَا يَسْكُنُونَ بُيُوتَهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ خِيَامًا مِنَ الْوَبَرِ وَالصُّوفِ وَمَنْ تَرَى الْعَرَبَ لِذَلِكَ  
 الْعَهْدِ بَادِينَ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْهُمْ فَكَانَتْ أَسْفَارُهُمْ لِنَزَوَاتِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ يَطْعُونَهُمْ وَسَائِرُ  
 حُلِيِّهِمْ وَأَحْيَانِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوُلْدِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَكَانَتْ عَسَاكِرُهُمْ  
 لِذَلِكَ كَثِيرَةً الْحُلَلُ بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْمَنَازِلِ مُتَنَزِّقَةٌ الْأَحْيَاءُ يَغِيبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنْ  
 نَظَرِ صَاحِبِهِ مِنْ الْأُخْرَى كَشَأْنِ الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْتَاجُ إِلَى سَاقَةِ  
 تَحْشُدِ النَّاسِ عَلَى أَثَرِهِ أَنْ يُقِيمُوا إِذَا ظَنَ وَنَزَلَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْحِجَاجِ حِينَ  
 أَشَارَ بِهِ رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ وَقَصَّتُهُمَا فِي إِحْرَاقِ فَسَاطِيطِ رَوْحٍ وَخِيَامِهِ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ  
 حِينَ وَجَدَهُمْ مُتَيِّمِينَ فِي يَوْمِ رَجُلٍ عَبْدِ الْمَلِكِ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ وَمِنْ هَذِهِ الْوَلَايَةِ تُعْرَفُ  
 رُتَبَةُ الْحِجَاجِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى إِرَادَتَهُمْ عَلَى الظَّنِّ إِلَّا مَنْ يَأْمَنُ بِوَادِرِ  
 السُّفَهَاءِ مِنْ أَحْيَانِهِمْ بِأَلَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ الْخَائِلَةِ دُونَ ذَلِكَ وَلِذَلِكَ اخْتَصَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ  
 بِهَذِهِ الرُّتَبَةِ ثِقَةً بِغَنَائِهِ فِيهَا بِعَصِيَّتِهِ وَصِرَافَتِهِ فَلَمَّا تَفَنَّتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَذَاهِبِ  
 الْحَضَارَةِ وَالْبَذَخِ وَتَزَلُّوا الْمُدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَأَنْتَقَلَوْا مِنْ سُكْنَى الْحِيَامِ إِلَى سُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَمِنْ ظُهُرِ الْخُفِّ إِلَى ظُهُرِ الْخَافِرِ اتَّخَذُوا لِلْسُّكْنَى فِي أَسْفَارِهِمْ ثِيَابَ الْكَثَّانِ  
 يَسْتَعْمِلُونَ مِنْهَا بُيُوتًا مُخْتَلِفَةً الْأَشْكَالِ مُقَدَّرَةً الْأَمْثَالِ مِنَ الْقُرَوَاءِ وَالْمُسْتَلْجِلَةِ وَالْمُرَبَّعَةِ  
 وَيَحْتَفِلُونَ فِيهَا بِأَبْلَغِ مَذَاهِبِ الْإِحْتِفَالِ وَالزَّيْنَةِ وَيُدِيرُ الْأَمِيرُ وَالْقَائِدُ لِلْعَسَاكِرِ عَلَى  
 فَسَاطِيطِهِ وَقَازَاتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ سِيَاحًا مِنَ الْكَثَّانِ يُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ بِلِسَانِ الْبَدْرِيِّ الَّذِي  
 هُوَ لِسَانُ أَهْلِ أَفْرَاكِ يَالْكَافِ وَالْقَافِ وَيَخْتَصُّ بِهِ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ الْقُورِ لَا يَكُونُ  
 لغيرِهِ . وَأَمَّا فِي الْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُهُ كُلُّ أَمِيرٍ وَإِنْ كَانَ دُونَ السُّلْطَانِ ثُمَّ جَنَحَتْ الدَّعَاةُ  
 بِالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ إِلَى الْمَقَامِ . بِقُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ فَجَفَّ لِذَلِكَ ظُهُرُهُمْ وَتَقَارَبَتْ السِّيَاحُ  
 بَيْنَ مَنَازِلِ الْعَسْكَرِ وَاجْتَمَعَ الْجَيْشُ وَالسُّلْطَانُ فِي مَعْسَكٍ وَاحِدٍ يَحْصُرُهُ الْبَصَرُ فِي بَسِيطَةٍ  
 زَهْوًا أُنِيقًا لِاخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي بَذَخِهَا وَتَرْفِيفِهَا  
 وَكَذَا كَانَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَزَنَاتُهُ أَتَى أَظْلَمَتَا كَانَ سَفَرُهُمْ أَوَّلَ أَمْرِهِمْ فِي بُيُوتِ سُكْنَاهُمْ  
 قَبْلَ الْمَلِكِ مِنَ الْحِيَامِ وَالْقِيَاطِينَ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَسُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَعَادُوا إِلَى سُكْنَى الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ بَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا أَرَادُوهُ وَهُوَ مِنْ  
 التَّرَفِ بِمَكَانٍ إِلَّا أَنَّ الْعَسَاكِرَ بِهِ تَصِيدُ عُرْضَةً لِلْبَيَاتِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَشْمَلُهُمْ



فِيهِ الصَّيْحَةُ وَلِخَيْرِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ الَّذِينَ تَكُونُ الْإِسْتِمَاتَةُ دُونَهُمْ فَيَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَحْطُّ آخِرَ وَآلِهِ الْقَوِيُّ الْغَرِيْبُ

### الْمَقْصُورَةُ لِلصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ فِي الْخُطْبَةِ

وَهُمَا مِنَ الْأُمُورِ الْخِلَافِيَّةِ وَمِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ الْإِسْلَامِيِّ وَلَمْ يُعْرَفْ فِي غَيْرِ دَوْلِ الْإِسْلَامِ . فَأَمَّا أَلَيْتُ الْمَقْصُورَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ لِصَلَاةِ السُّلْطَانِ فَيَتَّخِذُ سِيَاجًا عَلَى الْبُحْرَابِ فَيُخَوِّزُهُ وَمَا يَلِيهِ فَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ طَعَنَهُ الْخَارِجِيُّ وَالْحِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ حِينَ طَعَنَهُ الْيَسَنِيُّ ثُمَّ اتَّخَذَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِمَا وَصَارَتْ سُنَّةً فِي تَسْيِيرِ السُّلْطَانِ عَنِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ حُضُورِ التَّرَفِّ فِي الدَّوْلِ وَالْإِسْتِفْحَالِ شَأْنِ أَحْوَالِ الْأُتْبَهَةِ كُلِّهَا وَمَا زَالَ الشَّأْنُ ذَلِكَ فِي الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا وَعِنْدَ اقْتِرَاقِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَتَعَدُّدِ الدَّوْلِ بِالْمَشْرِقِ وَكَذَا بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْتِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَتَعَدُّدِ مُلُوكِ الطَّوَانِفِ وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَكَانَ بَنُو الْأَنْطَلَبِ يَتَّخِذُونَهَا بِالْقُدْرَانِ ثُمَّ الْخُلَفَاءُ الْعَبْدِيُّونَ ثُمَّ وَلَائِهِمْ عَلَى الْمَغْرِبِ مِنْ صَنَاجِحَ بَنُو بَادِيسَ بَغَاسَ وَبَنُو حَمَادٍ بِالْقَلْعَةِ ثُمَّ مَلِكُ الْمُوَحِّدُونَ سَائِرَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَمَعَرَا ذَلِكَ الرَّسْمَ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ شِعَارَهُمْ وَلَمَّا اسْتَفْحَلَتِ الدَّوْلَةُ وَأَخَذَتْ بِخَطِّهَا مِنَ التَّرَفِّ وَجَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ ثَالِثُ مُلُوكِهِمْ فَاتَّخَذَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ وَبَقِيَتْ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةً لِمُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَهَكَذَا كَانَ الشَّأْنُ فِي سَائِرِ الدَّوْلِ سُنَّةً أَهْلِهِ فِي عِبَادِهِ . وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى الْمَتَابِرِ فِي الْخُطْبَةِ فَكَانَ الشَّأْنُ أَوَّلًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَلَايَةِ الصَّلَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ فَكَانُوا يَدْعُونَ لِذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرَّضَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَمَّا بَنَى بَاجِمَةً بِبِصْرَ وَأَوَّلُ مَنْ دَعَا لِلْخُلِيفَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ ابْنُ عَبَّاسٍ دَعَا لِإِلَهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي خُطْبَتِهِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ عَامِلٌ لَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْصُرْ عَلِيًّا عَلَى الْحَقِّ وَاتَّصِلْ الْعَمَلُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ وَبَعْدَ أَخَذِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمِنْبَرَ بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مِنْبَرًا تَرْقَى بِهِ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ قَائِمًا وَالْمُسْلِمُونَ تَحْتَ عَمِّكَ فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا كَسَرْتَهُ فَلَمَّا حَدَّثْتَ الْأُتْبَهَةَ وَحَدَّثْتَ فِي الْخُلَفَاءِ الْمَانِعِ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ اسْتَنَابُوا

فِيهِمَا فَكَانَ الْخَطِيبُ يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَلِيفَةِ عَلَى الْمُنْتَبِرِ تَنْوِيهَا بِأَسْمِهِ وَدُعَاءَ لَهُ بِمَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مَصْلَحَةَ الْعَالَمِ فِيهِ وَلِأَنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ مَظْنَّةٌ لِلْإِجَابَةِ وَلَمَّا ثَبَتَ عَنِ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِمْ  
 مَنْ كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ فَلْيَضَعَهَا فِي السُّلْطَانِ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُفَرِّدُ بِذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَ  
 الْحَجْرُ وَالْإِسْتِدَادُ صَارَ الْمُتَعَلِّبُونَ عَلَى الدُّوَلِ كَثِيرًا مَا يُشَارِ كُونَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ  
 وَيُشَادُّ بِأَسْمِهِمْ عَقِبَ أَسْمِهِ وَذَهَبَ ذَلِكَ بِذَهَابِ تِلْكَ الدُّوَلِ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى اخْتِصَاصِ  
 السُّلْطَانِ بِالْدُّعَاءِ لَهُ عَلَى الْمُنْتَبِرِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ وَحُظِرَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِ أَمَدٌ أَوْ يَسْتَوْ  
 إِلَيْهِ وَكَثِيرًا مَا يُغْفَلُ الْمُعَاهِدُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ هَذَا الرَّسْمَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ فِي  
 أُسْلُوبِ الْغَضَاضَةِ وَمَنَاحِي الدَّوَاةِ فِي التَّغَافُلِ وَالْحُشُونَةِ وَيَقْتَعُونَ بِالْدُّعَاءِ عَلَى الْإِنْبَهَامِ  
 وَالْإِجْمَالِ لِمَنْ وَلِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَيُسْتَوْنُ مِثْلَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا  
 الْمَنْحَى عَبَاسِيَّةً يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ عَلَى الْإِجْمَالِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْعَبَاسِيَّ تَقْلِيدًا فِي  
 ذَلِكَ لِمَا سَلَفَ مِنَ الْأَمْرِ وَلَا يَحْتَلُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَعْيِينِهِ وَالتَّضْرِيحِ بِأَسْمِهِ يُحْكِي  
 أَنْ يَغْمُرَ اسْمَ بَنِي زِيَّانَ عَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ أَنْوَادٍ لَمَّا غَلَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ يَحْيَى بْنُ  
 أَبِي حَفْصٍ عَلَى تَلْمِزَانٍ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي إِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ عَلَى شُرُوطٍ شَرْطَهَا كَانَ فِيهَا  
 ذِكْرُ أَسْمِهِ عَلَى مَتَابِرٍ عَلَيْهِ فَقَالَ يَغْمُرُ اسْمُ تِلْكَ أَعْوَادُهُمْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا مَنْ شَاءُوا  
 وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ عَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي مُرِينَ حَضَرَهُ رَسُولُ الْمُتَنَصِّرِ الْخَلِيفَةُ  
 بُثُونِسَ مِنْ بَنِي أَبِي حَفْصٍ وَتَابَتْ مُلُوكُهُمْ وَتَخَلَّفَ بَعْضَ أَيَّامِهِ عَنْ سُجُودِ الْجُمُعَةِ فَقِيلَ  
 لَهُ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الرَّسُولُ كَرَاهِيَةً لِحُلُولِ الْخُطْبَةِ مِنْ ذِكْرِ سُلْطَانِهِ فَأُذِنَ فِي الدُّعَاءِ لَهُ  
 وَكَانَ ذَلِكَ سَبِيلاً لِأَخْذِهِمْ بِدَعْوَتِهِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي بَدَائِيتِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي الْغَضَاضَةِ  
 وَالِدَّوَاةِ فَإِذَا انْتَبَهَتْ عُيُونُ سِيَاسَتِهِمْ وَنَظَرُوا فِي أَعْطَافِ مُلْكِهِمْ وَاسْتَشْتَوْا شِيَأَ  
 الْحَضَارَةِ وَمَقَانِي الْبَذَخِ وَالْأَبْهَةِ انْتَحَلُوا جَمِيعَ هَذِهِ السِّمَاتِ وَتَفَتَّشُوا فِيهَا وَتَجَارَوْا إِلَى  
 غَايَتِهَا وَأَنْفَقُوا مِنَ الْمِشَارَكَةِ فِيهَا وَجَرِعُوا مِنْ أَفْتِقَادِهَا وَخُلُوِّ دَوْلَتِهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَالْعَالَمُ  
 بُسْتَانٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ

### الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الاسم وترتيبها

إِعْلَمُ أَنَّ الْحُرُوبَ وَأَنْوَاعَ الْمَقَاتِلَةِ لَمْ تَرَلْ وَاقِعَةً فِي الْخَلِيفَةِ مُنْذُ بَرَاَهَا اللَّهُ وَأَصْلَهَا



إِرَادَةُ انْتِقَامِ بَعْضِ الْبَشَرِ مِنْ بَعْضٍ وَيَتَعَصَّبُ لِكُلِّ مِنْهَا أَهْلٌ عَصِيَّةٌ فَإِذَا تَدَامَرُوا لِذَلِكَ  
 وَتَوَافَقَتِ الطَّائِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا تَطْلُبُ الْإِنْتِقَامَ وَالْأُخْرَى تُدَافِعُ كَانَتْ الْحَرْبُ وَهُوَ أَمْرٌ  
 طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ لَا تَخْلُو عَنْهُ أُمَّةٌ وَلَا جِيلٌ وَسَبَبُ هَذَا الْإِنْتِقَامِ فِي الْأَكْثَرِ إِمَّا غِيْرَةٌ  
 وَمُنَافَسَةٌ وَإِمَّا عُدْوَانٌ وَإِمَّا غَضَبٌ فِيهِ وَلِدِينُهُ وَإِمَّا غَضَبٌ لِلْمُلْكِ وَسَفِيٌّ فِي تَمْهِيدِهِ  
 فَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَجَاوِرَةِ وَالْعَشَائِرِ الْمُتَاطِرَةِ وَالثَّانِي وَهُوَ  
 الْعُدْوَانُ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَمِ الْوَحْشِيَّةِ السَّاكِنِينَ بِالْقُرَى كَالْعَرَبِ وَالْتُّرْكِ  
 وَالْتُّرْكَمَانِ وَالْأَكْرَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَرْزَاقَهُمْ فِي رِمَاجِهِمْ وَمَعَاشَهُمْ فِيْمَا  
 بِأَيْدِي غَيْرِهِمْ وَمَنْ دَافَعَهُمْ عَنْ مَتَاعِهِ أَذْنُوهُ بِالْحَرْبِ وَلَا بُغْيَةَ لَهُمْ فِيْمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ  
 رُتْبَةٍ وَلَا مُلْكِ وَإِنَّمَا هُمْمُهُمْ وَنُصَبُ أَعْيُنِهِمْ غَلَبُ النَّاسِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالثَّلَاثُ هُوَ  
 الْمُسَيِّ فِي الشَّرِيعَةِ بِالْجِهَادِ وَالرَّابِعُ هُوَ حُرُوبُ الدُّوَلِ مَعَ الْخَارِجِينَ عَلِيًّا وَالْمُتَابِعِينَ  
 لِطَاعَتِهَا فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ مِنَ الْحُرُوبِ الصَّنَفَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْهَا حُرُوبٌ بَغْيٌ وَفِتْنَةٌ  
 وَالصَّنَفَانِ الْآخِرَانِ حُرُوبٌ جِهَادٍ وَعَدْلٍ وَصِفَةُ الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ مِنْذُ  
 أَوَّلِ وُجُودِهِمْ عَلَى نَوْعَيْنِ نَوْعٌ بِالرَّحْفِ صُفُوفًا وَنَوْعٌ بِالْكَرِّ وَالْتُّرْ أَمَّا الَّذِي بِالرَّحْفِ  
 فَهُوَ قِتَالُ الْعَجَمِ كُلِّهِمْ عَلَى تَعَاقِبِ أَجْيَالِهِمْ وَأَمَّا الَّذِي بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ فَهُوَ قِتَالُ الْعَرَبِ  
 وَالْبَرْبَرِ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَقِتَالُ الرَّحْفِ أَوْتَقُ وَأَشَدُّ مِنْ قِتَالِ الْكَرِّ وَالْفَرِّ وَذَلِكَ  
 لِأَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ تَرْتَّبُ فِيهِ الصُّفُوفُ وَتُسَوَّى كَمَا تُسَوَّى الْقِدَاحُ أَوْ صُفُوفُ الصَّلَاةِ  
 وَيَنْشُونَ بِصُفُوفِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ قُدْمًا فَلِذَلِكَ تَكُونُ أَثْبَتَ عِنْدَ الْمُتَصَارِعِ وَأَصْدَقَ فِي  
 الْقِتَالِ وَأَرْكَبَ لِلْعَدُوِّ لِأَنَّهُ كَالْعَاطِطِ الْمُشْتَدِّ وَالْقَصْرِ الْمَشِيدِ لَا يُطْمَعُ فِي إِزَالَتِهِ وَفِي  
 التَّنْزِيلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ أَيْ يَشُدُّ  
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالثَّبَاتِ وَفِي الْحَدِيثِ الْكَرِيمِ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا  
 وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ حِكْمَةُ إِجَابِ الثَّبَاتِ وَتَحْرِيمِ التَّوَلِّي فِي الرَّحْفِ فَإِنَّ الْمُقْصُودَ مِنَ  
 الصَّفِّ فِي الْقِتَالِ حِفْظُ النِّظَامِ كَمَا قُلْنَا فَمَنْ وَلِيَ الْعَدُوَّ ظَهْرَهُ فَقَدْ أَخْلَى بِالْمَصَافِ  
 وَبَاءَ بِإِثْمِ الْهَزِيمَةِ إِنْ وَقَعَتْ وَصَارَ كَأَنَّهُ جَرَّهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَمَكْنَ مِنْهُمْ عَدُوَّهُمْ  
 فَظَمَ الذَّنْبُ لِعُمُومِ الْمُنْشَدَةِ وَتَعَدِّيًّا إِلَى الدِّينِ بِحَرْقِ سِيَاحِهِ فَقَدْ مِنْ الْكِبَايِرِ وَيَظْهَرُ  
 مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ أَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ أَشَدُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَأَمَّا قِتَالُ الْكَرِّ وَالْفَرِّ فَلَيْسَ فِيهِ

مِنَ الشَّدَّةِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْهَزِيمَةِ مَا فِي قِتَالِ الرَّحْفِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ يَتَّخِذُونَ وَرَاءَهُمْ فِي  
 الْقِتَالِ مَصَافًا ثَابِتًا يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَرْ وَالْفَرِّ وَيَقُومُ لَهُمْ مَقَامَ قِتَالِ الرَّحْفِ كَمَا  
 نَذَرَهُ بَعْدُ . ثُمَّ إِنَّ الدُّوَلَ الْقَدِيمَةَ الْكَثِيرَةَ الْجُودِ الْمُتَّسِعَةَ الْمَمَالِكِ كَانُوا يَقْسِمُونَ  
 الْجُيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ أَقْسَامًا يُسَمُّونَهَا كَرَادِيسَ وَيُسَوِّونَ فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ صُوفَةً وَسَبَبَ  
 ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ جُودُهُمْ الْكَثْرَةُ الْبَالِغَةُ وَحْدُوا مِنْ قَاصِيَةِ النَّوَاحِي اسْتَدْعَى  
 ذَلِكَ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا اخْتَلَطُوا فِي مَجَالِ الْحَرْبِ وَاعْتَوَرُوا مَعَ عَدُوِّهِمْ الطَّنْ  
 وَالضَّرْبَ فَيُخْشَى مِنْ تَدَافُعِهِمْ فَيَأْتِيَهُمْ لِأَجْلِ التُّكْرَادِ وَجَلَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَلِذَلِكَ كَانُوا  
 يَقْسِمُونَ الْعَسَاكِرَ جُمُوعًا وَيَضُمُّونَ الْمُتَعَارِفِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيُرْتَوُّونَهَا قَرِيبًا مِنَ التَّرْتِيبِ  
 الطَّبِيعِيِّ فِي أَجْزَاءِ الْأَرْبَعِ وَرَبِيسُ الْعَسَاكِرِ كُلِّهَا مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ قَائِدٍ فِي الْقَلْبِ وَيُسَمُّونَ هَذَا  
 التَّرْتِيبَ التَّعْيَةَ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَالْدَّوْلَتَيْنِ وَصَدَرَ الْإِسْلَامُ فَيَجْعَلُونَ  
 بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ عَسْكَرًا مُنْقَرِدًا بِمُخُوفِهِ مُتَمِّزًا بِقَائِدِهِ وَرَايَتِهِ وَشَعَارِهِ وَيُسَمُّونَهُ الْمُقَدَّمَةَ  
 ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ عَنْ مَوْقِفِ الْمَلِكِ وَعَلَى سَمْتِهِ يُسَمُّونَهُ الْيَمِينَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا  
 آخَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ كَذَلِكَ يُسَمُّونَهُ الْيَسْرَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ مِنْ وَرَاءِ الْعَسْكَرِ  
 يُسَمُّونَهُ السَّاقَةَ وَيَرْتَفُ الْمَلِكُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ وَيُسَمُّونَ مَوْقِعَهُ  
 الْقَلْبَ فَإِذَا تَمَّ لَهُمْ هَذَا التَّرْتِيبُ الْمُحْكَمُ إِمَّا فِي مَدَى وَاحِدٍ لِلْبَصَرِ أَوْ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ  
 أَكْثَرَهَا الْيَوْمُ وَالْيَوْمَانِ بَيْنَ كُلِّ عَسْكَرَيْنِ مِنْهَا أَوْ كَيْفَمَا أُعْطَاهُ حَالُ الْعَسَاكِرِ فِي  
 الْبَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَيَحْتَسِبُ يَكُونُ الرَّحْفُ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ التَّعْيَةِ وَأَنْظُرْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ  
 الْفُتُوحَاتِ وَأَخْبَارِ الدَّوْلَتَيْنِ بِالْمَشْرِقِ وَكَيْفَ كَانَتْ الْعَسَاكِرُ لِعَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَتَخَلَّفُ  
 عَنْ رَحِيلِهِ لِبُعْدِ الْمَدَى فِي التَّعْيَةِ فَاحْتِجَ لِمَنْ يَسُوقُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَعَيْنَ ذَلِكَ الْحُجَّاجِ  
 ابْنِ يُوسُفَ كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِ وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنْهُ وَهُوَ مَبْهُولٌ فِيمَا لَدَيْنَا لِأَنَّا إِنَّمَا أَدْرَكْنَا دَوْلًا قَلِيلَةَ الْعَسَاكِرِ  
 لَا تَنْتَهِي فِي مَجَالِ الْحَرْبِ إِلَى التَّكْرَرِ بَلْ أَكْثَرُ الْجُيُوشِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مَعًا يَجْتَمِعُهُمْ  
 لَدَيْنَا حَلَّةٌ أَوْ مَدِينَةٌ وَيَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِرْنَهُ وَيُنَادِيهِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ بِأَسْمِهِ وَلَقَبِهِ  
 فَاسْتَقْنِي عَنْ تِلْكَ التَّعْيَةِ

وَمِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْكَرْ وَالْفَرِّ فِي الْحُرُوبِ ضَرْبُ الْمَصَافِ وَرَاءَ عَسْكَرِهِمْ مِنْ



وَالْجَمَادَاتِ وَالْخِيَوَانَاتِ الْعُجَمِ فَيَتَّخِذُونَهَا مَلْجَأً لِلْحَيَاةِ فِي كَرِهِمْ وَفَرِهِمْ يَطْلُبُونَ بِهِ نَبَاتِ  
 الْمُقَاتِلَةِ لِيَكُونَ أَدْوَمَ لِلْحَرْبِ وَأَقْرَبَ إِلَى الْغَلَبِ وَقَدْ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الزَّخْفِ أَيْضًا  
 لِيُرِيدَهُمْ نَبَاتًا وَشِدَّةً فَقَدْ كَانَ الْفُرسُ وَهُمْ أَهْلُ الزَّخْفِ يَتَّخِذُونَ الْفِيلَةَ فِي الْحُرُوبِ  
 وَيَحْمِلُونَ عَلَيْهَا أَزْجَاً مِنْ الخَشَبِ أَمْثَالِ الصُّرُوحِ مَشْخُونةً بِالْمُقَاتِلَةِ وَالسِّلَاحِ وَالرَّايَاتِ  
 وَيَصُفُّونَهَا وَرَاءَهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ كَأَنَّهُمْ حُصُونٌ فَتَقْوَى بِذَلِكَ نَفْسُهُمْ وَيَزْدَادُ وَثُوقُهُمْ  
 وَانْظُرْ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقَادِيسِيَّةِ وَإِنَّ فَارِسَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَشْتَدُّوا بِهِمْ عَلَى  
 الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَشْتَدَّتْ رِجَالَاتُ مِنَ الْعَرَبِ فَخَالَطُوهُمْ وَبَعَجُوهَا بِالسُّيُوفِ عَلَى خِرَاطِيمِهَا  
 فَتَفَرَّتْ وَنَكَصَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا إِلَى مَرَا بَطِيهَا بِالْمَدَائِنِ فَجَفَأَ مَعْنَكُ فَارِسَ لِذَلِكَ وَانْهَزُوا  
 فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ \* وَأَمَّا الرُّومُ وَمُلُوكُ الْفُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرُ الْعُجَمِ فَكَانُوا يَتَّخِذُونَ  
 لِذَلِكَ الْأَبْسِرَةَ يَنْصُبُونَ لِلْمَلِكِ سَرِيرَهُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ وَيُحِيطُ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ وَحَاشِيَتِهِ  
 وَجُنُودِهِ مَنْ هُوَ ذَعِيمٌ بِالْإِسْمَاتَةِ دُونَهُ وَتُرْفَعُ الرَّايَاتُ فِي أَرْكَانِ السَّرِيرِ وَيُخَدِّقُ بِهِ سِيَّاحُ  
 آخَرُ مِنَ الرُّمَّةِ وَالرَّجَالَةِ فَيَعْظُمُ هَيْكَلُ السَّرِيرِ وَيَصِيرُ فِتْنَةً لِلْمُقَاتِلَةِ وَمَلْجَأً لِلْكَرِّ  
 وَالْفَرِّ وَجَعَلَ ذَلِكَ الْفُرسُ أَيَّامَ الْقَادِيسِيَّةِ وَكَانَ رُؤُسُهُمْ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ نَصَبِهِ لِحُلُوسِهِ  
 حَتَّى اخْتَلَفَتْ صُفُوفُ فَارِسَ وَخَالَطَهُ الْعَرَبُ فِي سَرِيرِهِ ذَلِكَ فَتَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْفُرَاتِ وَقُتِلَ \*  
 وَأَمَّا أَهْلُ الْكُرِّ وَالْفَرِّ مِنَ الْعَرَبِ وَأَكْثَرُ الْأُمَمِ الْبَدَوِيَّةِ الرَّحَالَةِ فَيَصُفُّونَ لِذَلِكَ  
 لِمِثْلِهِمْ وَالظَّهَرَ الَّذِي يَحْمِلُ ظِلْمَتَهُمْ فَيَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ وَيُسَمُّونَهَا الْمَجْبُودَةَ وَلَيْسَ أُمَّةٌ  
 مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَهِيَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي حُرُوبِهَا وَتَرَاهُ أَوْتَقَى فِي الْجَوْلَةِ وَأَمِنْ مِنَ الْهَرَبَةِ وَالْهَزِيمَةِ  
 وَهُوَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ وَقَدْ أَغْلَتْهُ الدُّوَلُ لِعَهْدِنَا بِالْجُمْلَةِ وَاعْتَاضُوا عَنْهُ بِالظَّهْرِ أَكْثَرًا لِلْإِتْقَالِ  
 وَالْفَسَاطِيطِ يَجْعَلُونَهَا سَاقَةً مِنْ خَلْنِهِمْ وَلَا تُغْنِي عَنْهُ الْفِيلَةُ وَالْإِبِلُ فَصَارَتْ الْعَسَاكِرُ  
 بِذَلِكَ عُرْضَةً لِلْهَزَائِمِ وَمُسْتَشْعِرَةً لِلْفِرَارِ فِي الْمَوَاقِفِ \* وَكَانَ الْحَرْبُ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ  
 كُلُّهُ زَحَاً وَكَانَ الْعَرَبُ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ الْكُرَّ وَالْفَرَّ لَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَوَّلَ  
 الْإِسْلَامِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ أَعْدَاءَهُمْ كَانُوا يُقَاتِلُونَ زَحَاً فَيُضْطَرُّونَ إِلَى مُقَاتَلَتِهِمْ  
 بِمِثْلِ قِتَالِهِمْ الثَّانِي أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَمِيتِينَ فِي جِهَادِهِمْ لِمَا رَغِبُوا فِيهِ مِنَ الصَّبْرِ وَلِمَا رَسَخَ  
 فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالزَّخْفِ إِلَى الْإِسْمَاتَةِ أَقْرَبُ \* وَأَوَّلُ مَنْ أَبْطَلَ الصَّفَّ فِي الْحُرُوبِ  
 وَصَارَ إِلَى التَّعَسُّةِ كِرَادِيسَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فِي قِتَالِ الضَّحَّاكِ الْخَارِجِيِّ وَالْجَبَرِيِّ بَعْدَهُ

قَالَ الطَّبْرِيُّ لَمَّا ذَكَرَ قِتَالَ الْجَبَرِيِّ قَوْلَى الْخَوَارِجِ عَلَيْهِمْ شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
 الْيَشْكُرِيُّ وَيُلَقَّبُ أَبَا الدَّلَاءِ قَاتَلَهُمْ مَرَوَانُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْكَرَادِيسِ وَأَبْطَلَ الصَّفَّ مِنْ  
 يَوْمَئِذٍ أَنْتَهَى . فَتُوسِي قِتَالَ الرَّحْفِ بِإِبْطَالِ الصَّفِّ ثُمَّ تُوسِي الصَّفَّ وَرَاءَ الْمُقَاتِلَةِ بِأَنَّ  
 دَاخِلَ الدُّوَلِ مِنَ الدَّرَفِ وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَئِذٍ كَانَتْ بَدْوِيَّةً وَسُكْنَاهُمْ أَحْيَامٌ كَانُوا  
 يَسْتَكْثِرُونَ مِنَ الْإِبِلِ وَسُكْنَى النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ مَعَهُمْ فِي الْأَحْيَاءِ فَلَمَّا حَصَلُوا عَلَى تَرْفِ  
 الْمُلْكِ وَأَقْبَلُوا سَكْنَى الْقُصُورِ وَالْخَوَاصِرِ وَتَرَكُوا شَأْنَ الْبَادِيَةِ وَالْقَفْرِ نَسُوا لِذَلِكَ عَهْدَ الْإِبِلِ  
 وَالظَّالِمِينَ وَصَعِبَ عَلَيْهِمْ اتِّخَاذُهَا فَحَلَفُوا النِّسَاءَ فِي الْأَسْفَارِ وَحَمَلَهُمُ الْمُلْكُ وَالدَّرَفُ عَلَى اتِّخَاذِ  
 الْقِسَاطِيطِ وَالْأَخِيَةِ فَأَقْتَصَرُوا عَلَى الظُّرِّ الْحَامِلِ لِلْأَثْقَالِ "وَالْأَبْنِيَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ صِفَتَهُمْ فِي  
 الْحَرْبِ وَلَا يُغْنِي كُلَّ الْعَنَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى الْإِسْبَاطَةِ كَمَا يَدْعُو إِلَيْهَا الْأَهْلُ وَالْمَالُ فَيَنْفِضُ  
 الصَّبْرَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَتَضَرُّفُهُمُ الْهَيْعَاتُ وَتَحَرُّمُ صُفُوفِهِمْ . وَلَمَّا ذَكَرْنَا مِنْ ضَرْبِ الْمَصَافِ  
 وَرَاءَ الْعَسَاكِرِ وَتَأْكُدهِ فِي قِتَالِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ صَارَ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ يَتَّخِذُونَ طَائِفَةً مِنْ  
 الْإِفْرَنْجِ فِي جُنْدِهِمْ وَآخِضُوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قِتَالُ أَهْلِ وَطَنِهِمْ كُلِّهِ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالسُّلْطَانُ  
 يَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ ضَرْبِ الْمَصَافِ لِيَكُونَ رِذَاءَ الْمُقَاتِلَةِ أَمَامَهُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ ذَلِكَ  
 الصَّفِّ مِنْ قَوْمٍ مُتَعَرِّدِينَ لِلثَّبَاتِ فِي الرَّحْفِ وَإِلَّا أَجْنَلُوا عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ  
 فَاتَّهَزَمَ السُّلْطَانُ وَالْعَسَاكِرُ بِإِجْفَالِهِمْ فَاحْتَاجَ الْمُلُوكُ بِالْمَغْرِبِ أَنْ يَتَّخِذُوا جُنْدًا مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَّةِ الْمُتَعَرِّدَةِ الثَّبَاتِ فِي الرَّحْفِ وَهُمْ الْإِفْرَنْجُ وَيُرْتَبُونَ مَصَافَّهُمْ الْمُحْدِقَ بِهِمْ مِنْهَا هَذَا عَلَى مَا  
 فِيهِ مِنْ الْإِسْتِعَانَةِ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَإِنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ الَّتِي أَرَيْنَا كَمَا مِنْ  
 تَخَوُّفِ الْإِجْفَالِ عَلَى مَصَافِ السُّلْطَانِ وَالْإِفْرَنْجِ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ الثَّبَاتِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ  
 عَادَتُهُمْ فِي الْمِتَالِ الرَّحْفُ فَكَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ فِي الْمَغْرِبِ  
 إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْبِ مَعَ أُمَّةِ الْعَرَبِ وَالْبَدْرِ وَقِتَالَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَمَّا فِي الْجِهَادِ  
 فَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ حَذَرًا مِنْ ثَمَالَاتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ  
 أَبَدْنَا سَبِيَّةَ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* وَبَلَّغْنَا أَنَّ أُمَّةَ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ قَاتَلَهُمْ مُنَاضِلَةً  
 بِالسِّهَامِ وَأَنَّ تَعَسُّةَ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ بِالْمَصَافِ وَإِنَّهُمْ يُقَسِّمُونَ بِثَلَاثَةِ صُفُوفٍ يَضْرِبُونَ  
 صَفًّا وَرَاءَ صَفٍّ وَيَتَرَجَّلُونَ عَنْ خِيُولِهِمْ وَيُقَرِّضُونَ سِهَامَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَتَنَاظَلُونَ

( ١ ) قوله للاتقال والابنية مراده بالابنية الحيام كما يدل عليه قوله في فصل الحندق الآتي قريباً اذا نزلوا وضرروا ابنيهم اهـ



كُلُّ رَدٍّ لِلَّذِي أَمَامَهُ خَوْفًا أَنْ يَكْبِسَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى أَنْ يَتَّهِيَا النَّصْرُ لِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ  
 عَلَى الْأُخْرَى وَهِيَ تَعْبَةٌ مُحْكِمَةٌ غَرِيبَةٌ \* وَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِ الْأَوَّلِ فِي حُرُوبِهِمْ خَفَرُ  
 الْخَنَادِقِ عَلَى مُعَسَكِرِهِمْ عِنْدَمَا يَتَقَارَبُونَ لِلزَّحْفِ حَذَرًا مِنْ مَعَرَّةِ أَلْيَاتِ وَالْهَجُومِ عَلَى  
 الْعَسْكَرِ بِاللَّيْلِ لَمَّا فِي ظُلُمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْخَوْفِ فَيَلْوِذُ الْجَيْشُ بِالْفِرَارِ  
 وَتَجِدُ النَّفُوسُ فِي الظُّلُمَةِ سِتْرًا مِنْ عَارِهِ فَإِذَا تَسَاوَوْا فِي ذَلِكَ أُرْجِفَ الْعَسْكَرُ وَوَقَعَتِ  
 الْهَزِيمَةُ فَكَانُوا لِذَلِكَ يَحْتَفِرُونَ الْخَنَادِقَ عَلَى مُعَسَكِرِهِمْ إِذَا تَوَلَّوْا وَضَرَبُوا أَيْدِيَهُمْ  
 وَيُدِيرُونَ الْخِصَافَ نِطَاقًا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ حِرْصًا أَنْ يُخَالِطَهُمُ الْعَدُوُّ بِالْيَاتِ  
 فَيَتَخَذَلُوا وَكَانَتْ لِلدُّوَلِ فِي أَمْثَالِ هَذَا قُوَّةٌ وَعَلَيْهِ اقْتِدَارٌ بِاجْتِسَادِ الرِّجَالِ وَجَمْعِ  
 الْأَيْدِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَثَرٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ يَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفُورِ الْعُمَرَاءِ وَضَخَامَةِ الْمُلُوكِ  
 فَلَمَّا خَرِبَ الْعُمَرَاءُ وَتَبِعَهُ ضَعْفُ الدُّوَلِ وَقِلَّةُ الْجُنُودِ وَعَدَمُ الْفَعْلَةِ نُسِيَ هَذَا الشَّانُ  
 جَمَلَةً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْقَادِرِينَ وَأَنْظُرْ وَصِيَّةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَحْرِيفُهَا  
 لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صِفِّينَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ عِلْمِ الْحَرْبِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْصَرَ بِهَا مِنْهُ قَالَ فِي  
 كَلَامِهِ لَهُ فَسَرُّوا صُفُوفَكُمْ كَالْبَيْتَانِ التَّرْصُوصِ وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخْرُوا الْخَاسِرَ وَعَضُّوا  
 عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالتَّوَلَّوْا عَلَى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَصَوْنٌ لِلْأَمْنَةِ  
 وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ الْجَاشِ وَأَسْكَنُ لِلْقَاوِبِ وَأَخْفَشُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْقَتْلِ  
 وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ وَأَقِيمُوا رَايَاتَكُمْ فَلَا تُبِيلُوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجَاعِكُمْ وَأَسْتَعِينُوا  
 بِالْصِّدْقِ وَالصَّبْرِ فَإِنَّهُ بِقَدْرِ الصَّبْرِ يَنْزِلُ النَّصْرُ وَقَالَ الْأَشْتَرُ يَوْمَئِذٍ يُخْرِضُ الْأَزْدَ عَضُّوا  
 عَلَى التَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ وَأَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ وَشُدُّوا شِدَّةَ قَوْمِ مَوْثُودِينَ يَتَأَرُونَ  
 بِأَبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ حَنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ لئَلَّا يُسَبِّقُوا بِوَتَرٍ  
 وَلَا يَلْحَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَارٌ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ شَاعِرُ لِمَثُونَةِ  
 وَأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا تَاشِفِينَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ وَيَصِفُ نَبَاتَهُ فِي حَرْبٍ  
 شَهِدَهَا وَيَذَكِّرُهُ بِأُمُورِ الْحَرْبِ فِي وَصَايَا تَحْذِيرَاتٍ تُنْهَكُ عَلَى مَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنْ  
 سِيَاسَةِ الْحَرْبِ يَقُولُ فِيهَا

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الَّذِي يَتَنَسَّعُ      مِنْ مَنَكُمُ الْمَلِكُ الْهَامُ الْأَرْوَعُ  
 وَمَنْ الَّذِي عِنْدَ الْعَدُوِّ بِهِ دُجَى      فَأَنْقِضْ كُلَّ وَهْوٍ لَا يَتَرَدَّغُ

تَمْضِي النُّوَارِسُ وَالطَّعَانُ يَصُدُّهَا      عَنْهُ وَيُدْمِرُهَا الْوَفَاءُ قَدْ جَعَلُ  
 وَاللَّيْلُ مِنْ وَضَحِ الثَّرَائِكِ إِنَّهُ      صُنِحَ عَلَى هَامِ الْجُيُوشِ يُلَمِّعُ  
 أَنِي فَرَعْتُمْ يَا بَنِي صَهَابَةِ      وَإِلَيْكُمْ فِي الرَّوْعِ كَانَ الْمَفْرِغُ  
 إِنْسَانُ عَيْنٍ لَمْ يُصِبْهَا مِنْكُمْ      حُضْنُ وَقَلْبُ أَسْلَمَتْهُ الْأَضْلَعُ  
 وَصَدَدْتُمْ عَنْ تَاشِفِينَ وَإِنَّهُ      لِعِقَابِهِ لَوْ شَاءَ فِيكُمْ مَوْضِعُ  
 مَا أَنْتُمْ إِلَّا أَسْوَدُ خَفِيَّةٍ      كُلُّ لِكَلٍ كَرِيهَةٍ مُسْتَطْلِعُ  
 يَا تَاشِفِينَ أَقِمِ لِحَيْشِكَ عُذْرَهُ      بِاللَّيْلِ وَالْعُدُوِّ الَّذِي لَا يُدْفَعُ

### ومنها في سياسة الحرب

أَهْدِيكَ مِنْ أَدَبِ السِّيَاسَةِ مَا بِهِ      كَمَا نَتِ مُلُوكُ الْفُرْسِ قَبْلَكَ تُولَعُ  
 لَا إِنِّي أَذْرِي بِهَا لِكَيْتَهَا      ذِكْرِي تَحْضُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَنْفَعُ  
 وَالْبَسَ مِنَ الْخَلْقِ الْمُضَاعَةِ الَّتِي      وَصَى بِهَا صَنِيعُ الصَّنَائِعِ تُبْعُ  
 وَالْهِنْدَوَانِي الرَّفِيقَ فَإِنَّهُ      أَمْضَى عَلَى حَدِّ الدَّلَاصِ وَأَقْطَعُ  
 وَأَرْكَبُ مِنَ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ عِدَّةً      حُضْنَا حَصِينًا لَيْسَ فِيهِ مِدْفَعُ  
 خَنْدِقُ عَلَيْكَ إِذَا ضَرَبْتَ مَحَلَّةً      سِيَانٍ تَتَّبِعُ ظَافِرًا أَوْ تُتَّبَعُ  
 وَالْوَادِ لَا تَعُدُّهُ وَأَتَزَلْ عِنْدَهُ      بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ جَيْشِكَ يَقْطَعُ  
 وَاجْعَلْ مُنَاجِرَةَ الْجُيُوشِ عَشِيَّةً      وَوَرَاءَكَ الصِّدْقُ الَّذِي هُوَ أَمْنُ  
 وَإِذَا تَضَايَقَتِ الْجُيُوشُ بِمَعْرِكَ      ضَيْكُ فَاطْرَافُ الرِّمَاحِ تُوسِعُ  
 وَأَصْدُمُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ      شَيْئًا فَإِظْهَارُ النُّكُولِ يُضْعِفُ  
 وَاجْعَلْ مِنَ الطَّلَاعِ أَهْلَ شَهَامَةٍ      لِلصِّدْقِ فِيهِمْ شَيْئَةٌ لَا تَخْدَعُ  
 لَا تَسْمَعْ الْكَذَّابَ جَاءَكَ مُرْجَأًا      لَا رَأْيَ لِلْكَذَّابِ فِيمَا يَصْنَعُ

قَوْلُهُ وَأَصْدُمُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ أَلَيْتُ مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ  
 فَقَدْ قَالَ نُمَيْرُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ لَمَّا وَلَّاهُ حَرْبَ فَارِسَ وَالْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُ أَسْمَعْ  
 وَأَطِيعْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْرِكْهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَا تُجِبْنِ مُسْرِعًا  
 حَتَّى تَتَيَّنَ فَإِنَّهَا الْحَرْبُ وَلَا يَصْلِحُ لَهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيْتُ الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ  
 وَالْكَفَّ وَقَالَ لَهُ فِي أُخْرَى إِنَّهُ لَنْ يَمْتَنِعَنِي أَنْ أُوْمَرَ سَلِيطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ فِي الْحَرْبِ



وَفِي التَّسْرُعِ فِي الْحَرْبِ إِلَّا عَنْ يَمَانٍ ضِيَاعٌ وَاللَّهُ لَوْ لَا ذَلِكَ لَأَمَرْتُهُ لَكِنَّ الْحَرْبَ لَا  
يُضْلِحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ هَذَا كَلَامُ عُمَرَ وَهُوَ شَاهِدٌ بِأَنَّ التَّنَاقُلَ فِي الْحَرْبِ أَوَّلَى  
مِنَ الْخُفُوفِ حَتَّى يَتَيَّنَ حَالُ تِلْكَ الْحَرْبِ وَذَلِكَ عَكْسُ مَا قَالَهُ الصَّيْرَفِيُّ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ  
أَنَّ الصَّدَمَ بَعْدَ الْيَمَانِ فَلَهُ وَجْهٌ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ \* وَلَا وَثُوقَ فِي الْحَرْبِ بِالظَّفَرِ وَإِنْ  
حَصَلَتْ أَسْبَابُهُ مِنَ الْعِدَّةِ وَالْعَدِيدِ وَإِنَّمَا الظَّفَرُ فِيهَا وَالْغَلَبُ مِنْ قِبَلِ الْبَحْثِ وَالْإِتِّفَاقِ  
وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ أَسْبَابَ الْغَلَبِ فِي الْأَكْثَرِ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أُمُورٍ ظَاهِرَةٍ وَهِيَ الْجُيُوشُ  
وَوُفُورُهَا وَكَمَالُ الْأَسْلِحَةِ وَاسْتِجَادَتُهَا وَكَثْرَةُ الشُّجْعَانِ وَتَرْتِيبُ الْمَصَافِ وَمِنْهُ صَدَقَ  
الْقِتَالُ وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ وَمِنْ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ وَهِيَ إِمَامَةٌ مِنْ خِدَاعِ الْبَشَرِ وَحِيلِهِمْ فِي  
الْإِرْجَافِ وَالتَّشَانِيعِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّخْذِيلُ وَفِي التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَاكِينِ الْمُرْتَفِعَةِ لِيَكُونَ  
الْحَرْبُ مِنْ أَعْلَى فَيَتَوَهَّمُ الْمُنْخَفِضُ لِذَلِكَ وَفِي الْكُمُونِ فِي الْغِيَاضِ وَمُطْمَئِنِّ الْأَرْضِ  
وَالْتَوَارِي بِالْكُذَى حَوْلَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَتَدَاوِلَهُمُ الْعَسْكَرُ دَفْعَةً وَقَدْ تَوَرَّطُوا فَيَتَلَمَّسُونَ  
إِلَى النِّجَاحِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَإِمَامَةٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الْخَفِيَّةُ أُمُورًا سَمَاقِيَّةً لَا قُدْرَةَ  
لِلْبَشَرِ عَلَى اكْتِسَابِهَا تُلْقَى فِي الْقُلُوبِ فَيَسْتَوِلِي الرَّهْبُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِهَا فَتَحْتَثُلُ مَرَائِكِرُهُمْ  
فَتَقَعُ الْهَزِيمَةُ وَأَكْثَرُ مَا تَقَعُ الْهَزَائِمُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ لِكَثْرَةِ مَا يُعْتَمَلُ لِكُلِّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِيهَا حِرْصًا عَلَى الْغَلَبِ فَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِ التَّأْثِيرِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدِهِمَا  
ضَرُورَةٌ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبُ خِدْعَةٌ وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ رُبَّ حِيلَةٍ  
أَنْفَعُ مِنْ قِيْلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ وَقُوعَ الْغَلَبِ فِي الْغُرُوبِ غَالِيًا عَنْ أَسْبَابِ خَفِيَّةٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ  
وَوُقُوعِ الْأَشْيَاءِ عَنْ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ هُوَ مَعْنَى الْبَحْثِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْتَبِدْهُ وَتَفَهَّمْ  
مِنْ وَقُوعِ الْغَلَبِ عَنْ الْأُمُورِ السَّمَاقِيَّةِ كَمَا شَرَحْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَرْتُ  
بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَمَا وَقَعَ مِنْ غَلَبِهِ لِلْمُشْرِكِينَ فِي حَيَاتِهِ بِالْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَغَلَبِ  
الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ كَذَلِكَ فِي الْفُتُوحَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْفُلُ لِنَبِيِّهِ بِالْقَاءِ  
الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ حَتَّى يَسْتَوِلِي عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَهْزِمُوا مُعْجَزَةً لِرُسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ سَبَبًا لِلْهَزَائِمِ فِي الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
أَنَّهُ خَفِيَ عَنْ الْعُيُونِ \* وَقَدْ ذَكَرَ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْغَلَبِ فِي الْحَرْبِ أَنْ  
تَقْضَلَ عِدَّةُ الْفُرْسَانِ الشَّاهِدِينَ مِنَ الشُّجْعَانِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى عِدَّتِهِمْ فِي الْجَانِبِ

الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي  
الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بإحدى يكون له الغلب وأعاد  
في ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة التي قدمنا وليس بصحيح وإنما الصحيح  
المعتبر في الغلب حال العصية أن يكون في أحد الجانبين عصية واحدة جامعة لكلهم  
وفي الجانب الآخر عصاب متعددة لأن العصاب إذا كانت متعددة يقع بينها من  
التخاذل ما يقع في الوحدان المتفرقين الفاقدين للعصية تزل كل عصابة منهم منزلة  
الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يُقارم الجانب الذي عصبته واحدة لأجل  
ذلك فتتهمه وأعلم أنه أصبح في الاعتبار مما ذهب إليه الطرطوشي ولم يحمله على ذلك  
إلا نسيان شأن العصية في حلة وبلدة وأنهم إنما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة  
إلى الوحدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصية ولا نسباً وقد بينا ذلك  
أول الكتاب مع أن هذا وأمثاله على تقدير صحته إنما هو من الأسباب الظاهرة  
مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الأسلحة وما أشبهها فكيف يجعل  
ذلك كفيلاً بالغلب ونحن قد قررنا لك الآن أن شيئاً من هذا لا يعارض الأسباب الخفية  
من الخيل والجداع ولا الأمور السماوية من الرعب والخذلان الإلهي فأفهمه وتفهم  
أحوال الكون والله مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ \* ويأتى معنى الغلب في الحروب وأن أسبابه  
خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصلبة فقل أن تصادف موضعاً في أحد من طبقات  
الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمنتحلين للفضائل على العموم وكثير ممن  
أشتهر بالشرف وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحقُّ بها وأهلها وقد  
تصادف موضعاً وتكون طبقاً على صاحبها والسبب في ذلك أن الشهرة والصلبة إنما  
هما بالإخبار والإخبار يدخلها الذُّهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب  
والتشيع ويدخلها الأوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال ليغانيها  
بالتلخيص والتصنع أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب لأصحاب التجارة والمراتب الدنيوية  
بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإساعة الذكر بذلك والنُّموس موكلة بحُبِّ الثناء  
والناس متطاولون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة وليسوا من الأكابر براعِينَ في  
الفضائل ولا منافسين في أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن



أَسْبَابُ خَفِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ وَتَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقَةً وَكُلُّ مَا حَصَلَ بِسَبَبِ خَفِيٍّ فَهُوَ الَّذِي يُعَدُّ عَنْهُ بِالْبَحْثِ كَمَا تَقَرَّرَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في الجباية وسبب قلتها وكثرتها

إِعْلَمُ أَنَّ الْجِبَايَةَ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ تَكُونُ قَلِيلَةً الْوَزَائِعُ كَثِيرَةً لِلْجُمْلَةِ وَآخِرَ الدَّوْلَةِ تَكُونُ كَثِيرَةً الْوَزَائِعُ قَلِيلَةً لِلْجُمْلَةِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ الدِّينِ فَلَيْسَتْ تَقْتَضِي إِلَّا الْمَغَارِمَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْخَرَاجِ وَالْجُزْيَةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ الْوَزَائِعُ لِأَنَّ مِقْدَارَ الزَّكَاةِ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٌ كَمَا عَلِمْتَ وَكَذَا زَكَاةُ الْحُبُوبِ وَالْمَالِشِيَةِ وَكَذَا الْجُزْيَةُ وَالْخَرَاجُ وَجَمِيعُ الْمَغَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ مُحْدُودٌ لَا تُتَعَدَّى وَإِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ التَّغَلُّبِ وَالْحَصِيَّةِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِدَاوَةِ فِي أَوَّلِهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَالْإِدَاوَةُ تَقْتَضِي الْمُسَامَحَةَ وَالْمُكَارَمَةَ وَخَفْضَ الْجَنَاحِ وَالتَّجَافِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْغَفْلَةَ عَنْ تَحْصِيلِ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّادِرِ فَيَقِلُّ لِذَلِكَ مِقْدَارُ الْوُظَيْفَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْوُزَيْعَةِ الَّتِي تُجْمَعُ الْأَمْوَالُ مِنْ مَجْمُوعِهَا وَإِذَا قَلَّتِ الْوَزَائِعُ وَالْوُظَايِفُ عَلَى الرِّعَايَا نَشِطُوا لِلْعَمَلِ وَرَغِبُوا فِيهِ فَيَكْثُرُ الْإِعْتِمَادُ وَيَتَزَايِدُ لِحُصُولِ الْإِعْتِبَاطِ بِثَلَّةِ الْمَغْرَمِ وَإِذَا كَثُرَ الْإِعْتِمَادُ كَثُرَتْ أَعْدَادُ تِلْكَ الْوُظَايِفِ وَالْوَزَائِعِ فَكَثُرَتْ الْجِبَايَةُ الَّتِي هِيَ جُمْلَتُهَا فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَاتَّصَلَتْ وَتَعَاقَبَ مُلُوكُهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَاتَّصَفُوا بِالْكَيْسِ وَذَهَبَ سِرُّ الْإِدَاوَةِ وَالسَّدَاجَةِ وَخُلِقَتْهَا مِنَ الْإِغْضَاءِ وَالتَّجَافِي وَجَاءَ الْمَلِكُ الْعَضُوضُ وَالْحَضَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْكَيْسِ وَتَخَلَّقُوا أَهْلُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ بِخُلُقِ التَّحَدُّقِ وَتَكَثَّرَتْ عَوَائِدُهُمْ وَحَوَائِجُهُمْ بِسَبَبِ مَا انْتَفَسُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَاللَّذَّةِ فَيَكْثُرُونَ الْوُظَايِفَ وَالْوَزَائِعَ حِينَئِذٍ عَلَى الرِّيَاسِ وَالْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمَغَارِمِ وَيَزِيدُونَ فِي كُلِّ وَظَيْفَةٍ وَوُزَيْعَةٍ مِقْدَارًا عَظِيمًا لِيَكْثُرَ لَهُمُ الْجِبَايَةُ وَيَضَعُونَ الْمُكُوسَ عَلَى الْمُبَايَعَاتِ وَفِي الْأَبْوَابِ كَمَا نَذَرْنَا بَعْدُ ثُمَّ تَتَدَرَّجُ الرِّيَادَاتُ فِيهَا بِمِقْدَارِ بَعْدِ مِقْدَارٍ لِيَتَدَرَّجَ عَوَائِدُ الدَّوْلَةِ فِي اللَّذَّةِ وَكَثْرَةِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْفَاقِ بِسَبَبِهِ حَتَّى تَثْقُلَ الْمَغَارِمُ عَلَى الرِّعَايَا وَتَهْضُمَهُمْ وَتَصِيرَ عَادَةً مَفْرُوضَةً لِأَنَّ تِلْكَ الرِّيَادَةَ تَدْرَجَتْ قَلِيلًا قَلِيلًا وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ بِمَنْ زَادَهَا عَلَى التَّعْيِينِ وَلَا مَنْ هَوَّ وَاصْعَهَا إِنَّمَا ثَبَتَ عَلَى الرِّعَايَا فِي الْإِعْتِمَادِ لِذَهَابِ الْأَمَلِ مِنْ نُفُوسِهِمْ بِثَلَّةِ النِّفْعِ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نَفْعِهِ وَمَغَارِمِهِ وَبَيْنَ

فَمَرَّتْهُ وَفَائِدَتُهُ فَتَقْصُ كَثِيرٌ مِنْ الْأَيْدِي عَنْ الْإِعْتِمَارِ جُمْلَةً فَتَقْصُ جُمْلَةُ الْجِبَايَةِ حِينَئِذٍ بِنُقْصَانِ تِلْكَ الْوَزَائِعِ مِنْهَا وَرُبَّمَا يَزِيدُونَ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ النُّقْصَ فِي الْجِبَايَةِ وَيَحْسِبُونَهُ جَبْرًا لِمَا نَقَصَ حَتَّى تَنْتَهِيَ كُلُّ وَظِيفَةٍ وَوَزِيعَةٍ إِلَى غَايَةِ لَيْسَ وَرَاءَهَا نَفْعٌ وَلَا فَائِدَةٌ لِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ حِينَئِذٍ فِي الْإِعْتِمَارِ وَكَثْرَةِ الْمُنَافِعِ وَعَدَمِ وِفَاءِ الْفَائِدَةِ الْمَرْجُوءَةِ بِهِ فَلَا تَرَالُ الْجُمْلَةُ فِي نَقْصِ وَمِقْدَارِ الْوَزَائِعِ وَالْوُظَائِفِ فِي زِيَادَةِ لِمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ جَبْرِ الْجُمْلَةِ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَقِصَ الْعُمَرَانُ بِذَهَابِ الْأَمْوَالِ مِنْ الْإِعْتِمَارِ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ لِأَنَّ فَائِدَةَ الْإِعْتِمَارِ نَائِدَةٌ إِلَيْهَا وَإِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ أَنَّ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الْإِعْتِمَارِ تَقْلِيلُ مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْمُعْتَمِرِينَ مَا أُمَكَّنَ بِذَلِكَ تَنْبَسِطُ النُّفُوسِ إِلَيْهِ لِثِقَتِهَا بِإِدْرَاكِ الْمَنْفَعَةِ فِيهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكُ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس اواخر الدولة

إِعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا يَدَوِيَّةً كَمَا قُلْنَا فَتَكُونُ لِذَلِكَ قَلِيلَةً الْحَاجَاتِ لِعَدَمِ التَّلَفِ وَعَوَائِدِهِ فَيَكُونُ خَرْجُهَا وَإِنْفَاقُهَا نَلِيلًا فَيَكُونُ فِي الْجِبَايَةِ حِينَئِذٍ وَفَاءً بِأَزِيدٍ مِنْهَا كَثِيرٌ عَنْ حَاجَاتِهِمْ ثُمَّ لَا تَلَبُّثُ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدَيْنِ الْحَضَارَةِ فِي التَّلَفِ وَعَوَائِدِهَا وَتَجْرِي عَلَى نَهْجِ الدُّوَلِ السَّابِقَةِ قَبْلَهَا فَيَكْثُرُ لِذَلِكَ خَرَاجُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَيَكْثُرُ خَرَاجُ السُّلْطَانِ خُصُوصًا كَثْرَةُ بِالْغَةِ بِنَفَقَتِهِ فِي خَاصَّتِهِ وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ وَلَا تَفِي بِذَلِكَ الْجِبَايَةُ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْجِبَايَةِ لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَامِيَةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَالسُّلْطَانُ مِنَ النِّفَقَةِ فَيَزِيدُ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ أَوَّلًا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ يَزِيدُ الْخَرَاجُ وَالْحَاجَاتُ وَالتَّدْرِيجُ فِي عَوَائِدِ التَّلَفِ وَفِي الْعَطَاءِ لِلْحَامِيَةِ وَيُدْرِكُ الدَّوْلَةَ الْهَرَمُ وَتَضَعُ بِصَابِئِهَا عَنْ جِبَايَةِ الْأَمْوَالِ مِنْ الْأَعْمَالِ وَالْقَاصِيَةِ فَتَقِلُّ الْجِبَايَةُ وَتَكْثُرُ الْعَرَائِدُ وَيَكْثُرُ بِكَثَرَتِهَا أَرْزَاقُ الْجُنْدِ وَعَطَاؤُهُمْ فَيَسْتَحْدِثُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْوَاعًا مِنَ الْجِبَايَةِ يَضْرِبُهَا عَلَى الْبِيعَاتِ وَيَفْرِضُ لَهَا قَدْرًا مَعْلُومًا عَلَى الْأَتْمَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَعَلَى أَعْيَانِ السِّلَعِ فِي أَمْوَالِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَعَ هَذَا مُضْطَرٌّ لِذَلِكَ بِإِدْعَاؤِهِ إِلَيْهِ طُرُقُ النَّاسِ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ مِنْ زِيَادَةِ الْجُيُوشِ وَالْحَامِيَةِ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ زِيَادَةً بِالْغَةِ فَتَكْسَدُ



الأسواق فساد المال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضجحل وقد كان وقع منه بامصار المشرق في أخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في التوسيم وأسقط صلاح الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأعاضها بآثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى مضى رسمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجريد بأفريقية لهذا العهد حين استبد بها رؤساؤها والله تعالى أعلم

### الفصل الأربعون

في ان التجارة من السلطان مضره بالرعايا ومفسدة للجباية

إعلم أن الدولة إذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والتفقات وقصر الخاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت إلى مزيد المال والجباية فتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا وأسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في القاب المكوس إن كان قد استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال والجباة وامتلاك عظامهم لما يرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل من أموال الجباية لا يظهره الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية لما يرون التجار والفلاحين يحصلون على العوائد والغلات مع يسارة أموالهم وأن الأرباح تكون على نسبة رؤوس الأموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لحالة الأسواق ويحسبون ذلك من إدراج الجباية وتكثير العوائد وهو غلط عظيم وإدخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولاً مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك فإن الرعايا متكاثرون في اليسار متقاربون ومزاحمة بعضهم بعضاً تنتهي إلى غاية موجدتهم أو تقرب وإذا رافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثيراً منهم فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم إن السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك إذا تعرض له غصاً أو بأيسر ثمن أو لا يجد من يناقشه في شرايه فيبش ثمنه على بائعه ثم إذا حصل فوائد الفلاحة ومثلها كله من زرع أو مربو أو عسل أو سكر أو غير ذلك من أنواع

الغلات وَحَصَلَت بَضَائِعُ التِّجَارَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ فَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ وَلَا  
نِفَاقَ الْيَاعَاتِ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَكَالِيفُ الدَّوْلَةِ فَيَكْلِفُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ مِنْ  
تَاجِرٍ أَوْ فَلَاحٍ بِشَرَاءِ تِلْكَ الْبَضَائِعِ وَلَا يَرْضَوْنَ فِي أَتَمَانِيهَا إِلَّا الْقِيمَ وَأَزِيدَ فَيَسْتَوْعِبُونَ  
فِي ذَلِكَ نَاضَ أَمْوَالُهُمْ وَتَبَقِيَ تِلْكَ الْبَضَائِعُ بِأَيْدِيهِمْ عُرُوضًا جَامِدَةً وَيَمْكُثُونَ عَطَلًا  
مِنَ الْإِدَارَةِ الَّتِي فِيهَا كَسْبُهُمْ وَمَعَاشُهُمْ وَرُبَّمَا تَدْعُوهُمْ الضَّرُورَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّمَالُ  
فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السِّلْعَ عَلَى كَسَادٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ بِأَبْخَسِ ثَمَنٍ وَرُبَّمَا يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَى  
التَّاجِرِ وَالْفَلَاحِ مِنْهُمْ بَا يَذْهَبُ رَأْسُ مَالِهِ فَيَقْعُدُ عَنْ سُوقِهِ وَيَتَعَدَّدُ ذَلِكَ وَيَتَكَرَّرُ  
وَيَدْخُلُ بِهِ عَلَى الرِّعَايَا مِنَ الْعَتِّ وَالْمُضَايِقَةِ وَفَسَادِ الْأَرْبَاحِ مَا يَقْبِضُ أَمْوَالُهُمْ عَنْ  
السَّعْيِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً وَيُؤَدِّي إِلَى فَسَادِ الْجَبَايَةِ فَإِنَّ مُنْظَمَ الْجَبَايَةِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْفَلَاحِينَ  
وَالْتَّجَّارِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ وَضْعِ الْمَكُوسِ وَنُفُوزِ الْجَبَايَةِ بِهَا فَإِذَا انْقَبَضَ الْفَلَاحُونَ عَنْ  
الْفِلَاحَةِ وَقَعَدَ التَّجَّارُ عَنِ التِّجَارَةِ وَذَهَبَتِ الْجَبَايَةُ جُمْلَةً أَوْ دَخَلَهَا النِّقْصُ الْمُتَقَاحِشُ وَإِذَا  
قَاسَ السُّلْطَانُ بَيْنَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْجَبَايَةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَاحِ الْقَلِيلَةِ وَجَدَهَا بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى الْجَبَايَةِ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ ثُمَّ إِنَّهُ وَلَوْ كَانَ مُفِيدًا فَيَذْهَبُ لَهُ بِحَظٍ عَظِيمٍ مِنَ الْجَبَايَةِ فِيمَا  
يَعَانِيهِ مِنْ شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يُوجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَكْسِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي  
تِلْكَ الصَّفَقَاتِ لَكَانَ تَكْسِبُهَا كُلِّهَا حَاصِلًا مِنْ جِهَةِ الْجَبَايَةِ ثُمَّ فِيهِ التَّعَرُّضُ لِأَهْلِ  
عِمْرَانِهِ وَاتِّخِلَالُ الدَّوْلَةِ بِفَسَادِهِمْ وَنَقْصُهُمْ فَإِنَّ الرِّعَايَا إِذَا قَعَدُوا عَنْ تَشْيِيرِ أَمْوَالِهِمْ  
بِالْفِلَاحَةِ وَالتَّجَارَةِ نَقَصَتْ وَتَلَاسَتْ بِالنِّفَقَاتِ وَكَانَ فِيهَا تَلَاُفُ أَمْوَالِهِمْ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ  
وَكَانَ الْفُرْسُ لَا يُمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ ثُمَّ يَخْتَارُونَهُ مِنْ أَهْلِ  
الْفُضْلِ وَالِدِينِ وَالْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ يَشْتَرِطُونَ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ  
الْعَدْلَ وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ صُنْعَةً فَيُضِرَّ بِجِيرَانِهِ وَلَا يُتَاجَرَ فَيُجِبَّ غَلَاءَ الْأَسْكَارِ فِي الْبَضَائِعِ  
وَأَنْ لَا يَسْتَعْدِمَ الْعَيْنِدَ فَإِنَّهُمْ لَا يُشِيرُونَ بِخَيْرٍ وَلَا مَصْلَحَةٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا  
يُنِيبِي مَالَهُ وَلَا يُدِرُّ مَوْجُودَهُ إِلَّا بِالْجَبَايَةِ وَإِذَارُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَدْلِ فِي أَهْلِ الْأَمْوَالِ  
وَالنَّظَرِ لَهُمْ بِذَلِكَ فَبِذَلِكَ تَنْبِطُ أَمْوَالُهُمْ وَتَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ لِلْأَخْذِ فِي تَشْيِيرِ الْأَمْوَالِ  
وَتَسْمِيَتِهَا فَتَقْطَعُ مِنْهَا جَبَايَةُ السُّلْطَانِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ فَلَاحٍ فَإِنَّمَا هُوَ مَضَرَّةٌ  
عَاجِلَةٌ لِلرِّعَايَا وَفَسَادٌ لِلْجَبَايَةِ وَنَقْصٌ لِلْعِمَارَةِ وَقَدْ يَنْتَهِي أَحْصَاءُ الْبَهْلَاءِ الْمُنْسَلِخِينَ لِلتِّجَارَةِ



وَالْفَلَاحَةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْمُتَعَلِّقِينَ فِي الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ لِشِرَاءِ الْغَلَاتِ وَالسِّلَعِ  
 مِنْ أَرْبَابِهَا الْوَارِدِينَ عَلَى بِلَدِهِمْ وَيَتَعَرَّضُونَ لِذَلِكَ مِنَ الثَّمَنِ مَا يَشَاوُونَ وَيَبِيعُونَهَا فِي  
 وَقْتِهَا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَرْعَايَا بَا يَفْرَضُونَ مِنَ الثَّمَنِ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى  
 وَأَقْرَبُ إِلَى فَسَادِ الرِّعْيَةِ وَاتِّخَالِ أَحْوَالِهِمْ وَرَبَّأًا يَحِيلُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ  
 يَدَاخِلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ أَغْنَى التِّجَارَةِ وَالْفَلَاحِينَ لِمَا هِيَ صِنَاعَتُهُ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا فَيَحِيلُ  
 السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيَضْرِبُ مَعَهُ بِسَهْمٍ لِنَفْسِهِ لِيَحْصَلَ عَلَى غَرَضِهِ مِنْ تَجْمَعِ الْمَالِ سَرِيعًا  
 وَلَا سِيَّامًا مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التِّجَارَةِ بِلَا مَغْرَمٍ وَلَا مَكْسَرٍ فَإِنَّهَا أَجْدَرُ بِشُمُورِ الْأَمْوَالِ  
 وَأَسْرَعُ فِي تَشْمِيرِهِ وَلَا يَفْهَمُ مَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ الضَّرَرِ بِنَقْصِ جِبَايَتِهِ فَيَنْبَغِي  
 لِلْسُّلْطَانِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيُعْرِضَ عَنْ سِعَايَتِهِمْ الْمُضِرَّةِ بِجِبَايَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَأَنَّهُ  
 يُلْهِمُنَا رُشْدًا أَنْفُسَنَا وَيَنْفَعُنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجِبَايَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ تَتَوَزَّعُ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلِ وَالْعَصِيَّةِ  
 بِمِقْدَارِ غَنَائِهِمْ وَعَصِيَّتِهِمْ وَلِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فِي تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلِ  
 خَرِيْسُهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَجَافٍ لَهُمْ عَمَّا يَسْمُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِبْدَادِ عَلَيْهِمْ فَلَهُ عَلَيْهِمْ غِرَّةٌ  
 وَلَهُ إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَلَا يَطِيرُ فِي سَهْمَانِهِ مِنَ الْجِبَايَةِ إِلَّا الْأَقْلُ مِنْ حَاجَتِهِ فَجِدُ حَاشِيَتِهِ  
 لِذَلِكَ وَأَذْيَالُهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْمَوَالِي مُتَمَلِّقِينَ فِي الْغَالِبِ وَجَاهُهُمْ مُتَقَلِّصٌ  
 لِأَنَّهُ مِنْ جَاهٍ مَخْدُومِهِمْ وَنِطَاقُهُ قَدْ ضَاقَ بِمَنْ يُزَاجُهُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِ فَإِذَا اسْتَفْحَلَتْ  
 طَبِيعَةُ الْمُلْكِ وَحَصَلَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْإِسْتِبْدَادُ عَلَى قَوْمِهِ قَبْضَ أَيْدِيهِمْ عَنْ الْجِبَايَاتِ  
 إِلَّا مَا يَطِيرُ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِي سِيَمَانِهِمْ وَتَبَلُّ حُظُوظِهِمْ إِذْ ذَاكَ إِلَهَةُ غَنَائِهِمْ فِي  
 الدَّوْلَةِ بَا أَنْكَبَحَ مِنْ أَعْتَبِهِمْ وَصَارَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعُ مُسَاهِمِينَ لَهُمْ فِي الْقِيَامِ بِالدَّوْلَةِ  
 وَتَمْهِيدِ الْأَمْرِ فَيَتَقَرَّدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ بِالْجِبَايَةِ أَوْ مُعْظَمِهَا وَيَحْتَوِي عَلَى الْأَمْوَالِ  
 وَيَحْتَجِبُهَا لِلنَّفَقَاتِ فِي مُهَيَّاتِ الْأَحْوَالِ فَتَكْثُرُ ثَرْوَتُهُ وَتَمْتَلِي خَزَائِنُهُ وَيَتَّسِعُ نِطَاقُ  
 جَاهِهِ وَيَعْتَرِّضُ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ فَيَعْظُمُ حَالُ حَاشِيَتِهِ وَذَوِيهِ مِنْ وَزِيرٍ وَكَاتِبٍ وَحَاجِبٍ  
 وَمَوْلَى وَشُرْطِيٍّ وَيَتَّسِعُ جَاهُهُمْ وَيَقْتَنُونَ الْأَمْوَالِ وَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا ثُمَّ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي

أَلْهَرَمَ بِتَلَاثِي الْعَصِيَّةِ وَفَنَاءَ الْقَلِيلِ الْمُعَاهِدِينَ لِلدَّوْلَةِ أَحْتَاجَ صَاحِبُ الْأَمْرِ حِينَئِذٍ إِلَى الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ لِكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ وَالْمُنَازِعِينَ وَالْثَوَارِ وَتَوَهُمِ الْإِنْتِقَاضِ فَصَارَ خَرَاجُهُ لظَهْرَانِهِ وَأَعْوَانِهِ وَهُمْ أَرْبَابُ السُّيُوفِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّاتِ وَأَنْفَقَ خَزَائِنُهُ وَحَاصِلُهُ فِي مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ وَنَلَتْ مَعَ ذَلِكَ الْجَبَايَةُ لِمَا قَدَّمَ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ فَيَقِلُّ الْخَرَاجُ وَتَشْتَدُّ حَاجَةُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ فَيَتَقَلَّصُ ظِلُّ النِّعْمَةِ وَاللَّدْفِ عَنْ الْخَوَاصِ وَالْحُجَابِ وَالْكِتَابِ بِتَقْلُصِ الْجَاهِ عَنْهُمْ وَضِيقِ نِطَاقِهِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ تَشْتَدُّ حَاجَةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ وَتُنْفِقُ أَبْنَاءُ الْبَطَانَةِ وَالْحَاشِيَّةِ مَا تَأْتِلُهُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا مِنْ إِعَانَةِ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَيُقْبَلُونَ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَسَلَفُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَحَةِ وَيَرَى صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَرَاهُ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي اكْتَسَبَتْ فِي دَوْلَةِ سَلَفِهِ وَبِجَاهِهِمْ فَيَضْطَلِمُهَا وَيَنْتَرِعُهَا مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَوَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى نِسْبَةِ رُتَبِهِمْ وَتَنْكُرُ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَيَعُودُ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمُنَاءِ حَاشِيَتِهَا وَرِجَالِهَا وَأَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ مِنْ بَطَانَتِهَا وَيَتَقَوَّضُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ مَبَانِي الْمَجْدِ بَعْدَ أَنْ يَدْعُمَهُ أَهْلُهُ وَيَرْفَعُوهُ . وَانْظُرْ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ لِوُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي بَنِي قُحْطَبَةَ وَبَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلٍ وَبَنِي طَاهِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ ثُمَّ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْجِلَالِهَا أَيَّامَ الطَّوَانِفِ فِي بَنِي شُهَيْدٍ وَبَنِي أَبِي عَبْدِ وَبَنِي حُدَيْرٍ وَبَنِي بُرْدٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَذَا فِي الدَّوْلَةِ الَّتِي أَدْرَكَهَا لِعَهْدِنَا سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

فصل \* وَلِمَا يَتَوَقَّعُهُ أَهْلُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَاطِبِ صَارَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَتَرَعُونَ إِلَى الْفِرَارِ عَنِ الرُّتَبِ وَالْتِحَاصِ مِنْ رِبْقَةِ السُّلْطَانِ بِمَا حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى قُطْرٍ آخَرَ وَيَرُونَ أَنَّهُ أَهْأَلُهُمْ وَأَسْلَمُ فِي إِنْفَاقِهِ وَحُصُولِ تَعَرُّتِهِ وَهُوَ مِنَ الْأَغْلَاطِ الْفَاحِشَةِ وَالْأَوْهَامِ الْمُفْسِدَةِ لِأَحْوَالِهِمْ وَدُنْيَايَاهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخُلَاصَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ الْخُلُوصِ فِيهِ عَمِيدٌ مُتَّبِعٌ فَإِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْغَرَضِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمَلِكُ نَفْسُهُ فَلَا تُمَكِّنُهُ الرَّعِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ طَرَفَةً عَيْنٍ وَلَا أَهْلُ الْعَصِيَّةِ الْمُرَاحِمُونَ لَهُ بَلْ فِي ظُهُورِ ذَلِكَ مِنْهُ هَدْمٌ لِمُلْكِهِ وَإِتْلَافٌ لِنَفْسِهِ بِمَجَارِي الْعَادَةِ بِذَلِكَ لِأَنَّ رِبْقَةَ الْمَلِكِ يَغْسُرُ الْخُلَاصَ مِنْهَا وَلَا مَسِيًّا عِنْدَ اسْتِفْخَالِ الدَّوْلَةِ وَضِيقِ نِطَاقِهَا وَمَا يَغْرِضُ فِيهَا مِنَ الْبُعْدِ عَنِ الْمَجْدِ وَالْخِلَالِ وَالْتَحُلُّوْ بِالْشَّرِّ وَأَمَّا إِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْغَرَضِ مِنْ بَطَانَةِ السُّلْطَانِ



وَحَاشِيَتِهِ وَأَهْلَ الرُّتَبِ فِي دَوْلَتِهِ فَقُلَّ أَنْ يَجْلَى بَيْتُهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَمَّا أَوَّلًا فَلَمَّا يَرَاهُ  
الْمُلُوكُ أَنَّ ذَوِيهِمْ وَحَاشِيَتَهُمْ بَلَّ وَسَاوَرَعَايَاهُمْ تَمَالِيكَ لَهُمْ مُطْلِعُونَ عَلَى ذَاتِ صُدُورِهِمْ  
فَلَا يَسْمَعُونَ بِحَلِّ رِبْقَتِهِ مِنْ الْخِدْمَةِ ضَنًّا بِأَسْرَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَغَيْرُهُ  
مِنْ خِدْمَتِهِ لِسِرَّائِهِمْ وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ يَسْمَعُونَ أَهْلَ دَوْلَتِهِمْ مِنَ السَّفَرِ لِقَرِيبَةِ  
الْحَجِّ لَمَّا يَتَوَهَّمُونَ مِنْ وَقُوعِهِمْ بِأَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَنْجُ سَاوَرَعَايَاهُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
دَوْلَتِهِمْ وَمَا أُبَيِّحَ الْحَجُّ لِأَهْلِ الدَّوْلِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ شَأْنِ الْأُمُورِ وَرُجُوعِهَا  
إِلَى الطَّوَائِفِ وَأَمَّا ثَانِيًا فَلِأَنَّهُمْ وَإِنْ سَمَحُوا بِحَلِّ رِبْقَتِهِ فَلَا يَسْمَعُونَ بِالتَّجَافِي عَنْ ذَلِكَ  
الْمَالِ لِمَا يَرُونَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَالِهِمْ كَمَا يَرُونَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ دَوْلَتِهِمْ إِذَا لَمْ يُكْتَسَبْ  
إِلَّا بِهَا وَفِي ظِلِّ جَاهِهَا فَتَحُومُ زُؤُسُهُمْ عَلَى ادْتِرَاعِ ذَلِكَ الْمَالِ وَالْعَقَامِ كَمَا هُوَ جُزْءٌ  
مِنَ الدَّوْلَةِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ ثُمَّ إِذَا تَوَهَّمَا أَنَّهُ خُصَّ بِذَلِكَ الْمَالِ إِلَى قَطْرٍ آخَرٍ وَهُوَ فِي  
التَّادِيرِ الْأَقْلَى فَتَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ الْقَطْرِ وَيَنْتَرِعُونَهُ بِالْإِرْهَابِ وَالتَّخْوِيفِ  
تَعْرِيفًا أَوْ بِالْقَهْرِ ظَاهِرًا لِمَا يَرُونَ أَنَّهُ مَالُ الْحَيَاةِ وَالدَّوْلِ وَأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلِإِنْفَاقِ فِي  
الْمَصَالِحِ وَإِذَا كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَمْتَدُّ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ الْمُتَكَسِّبِينَ مِنْ وَجْهِهِ  
الْمَعَاشِ فَأَحْرَى بِهَا أَنْ تَمْتَدَّ إِلَى أَمْوَالِ الْحَيَاةِ وَالدَّوْلِ الَّتِي تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِالشَّرْعِ  
وَالْعَادَةِ وَلَقَدْ حَاوَلَ السُّلْطَانُ أَبُو يَحْيَى زَكْرِيَا بْنُ أَحْمَدَ اللِّحْيَانِي تَأْسِيعُ أَوْ عَاشِرُ مُلُوكِ  
الْمُفَضِّلِينَ بِأَفْرِيقَةِ الْخُرُوجِ عَنْ عَهْدَةِ الْمُلْكِ وَاللِّحْيَانِي يَمُضِرُ فِرَارًا مِنْ طَلَبِ صَاحِبِ  
الشُّوْرِ الْغُرَبِيَّةِ لَمَّا اسْتَجْمَعَ لِقَاؤُهُ تُونِسَ فَاسْتَعْمَلَ اللِّحْيَانِي الرِّحْلَةَ إِلَى تَغْرِ طَرَابُلُسَ  
يُورِي بِتَهْيِيدِهِ وَرَكِبَ السَّفِينَ مِنْ هُنَاكَ وَخَلَصَ إِلَى الْأَنْسَكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ حَمَلَ  
جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الصَّامِتِ وَالذَّخِيرَةِ وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ بِخَزَائِنِهِمْ مِنْ  
الْمَتَاعِ وَالْعِقَارِ وَالْجَوْهَرِ حَتَّى الْكُتُبِ وَاحْتَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مِصْرَ وَوَزَلَ عَلَى  
الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُنَ سِتَّةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنَ الْيَاثَةِ الثَّامِنَةِ فَأَكْرَمَ تُوْلَهُ وَرَفَعَ  
مَجْلِسَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَخْلَصُ ذَخِيرَتَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالتَّعْرِيفِ إِلَى أَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْقَ  
مَعَاشُ ابْنِ اللِّحْيَانِي إِلَّا فِي جِرَائِهِ الَّتِي فَرَضَ لَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ  
حَسَبًا نَذْكُرُهُ فِي أَخْبَارِهِ فِهَذَا وَأَمثَالُهُ مِنْ ثُجْلَةِ الْوَسْوَاسِ الَّذِي يَغْتَرِي أَهْلَ الدَّوْلِ  
لَمَّا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ مِنَ الْمَطِيبِ وَإِنَّمَا يَخْطُؤُونَ إِنْ اتَّفَقَ لَهُمُ الْخَلَّاصُ بِأَنْفُسِهِمْ

وَمَا يَتَوَهَّمُونَ مِنَ الْحَاجَةِ فَقَلَطُ وَوَهُمُ وَالَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الشُّورَةِ بِخِدْمَةِ الدُّوَلِ كَافٍ فِي وَجْدَانِ الْمَعَاشِ لَهُمْ بِالْجَرَائِطِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ بِالْجَاهِ فِي اتِّخَالِ طُرُقِ الْكَسْبِ مِنَ التِّجَارَةِ وَالْفِلَاحَةِ وَالدُّوَلِ أَنْسَابٌ لَكِنَّ

النَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْشَعُ  
وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ هُوَ الرِّزَاقُ وَهُوَ الْمُوفِيُّ بِعَهْدِهِ وَقَضِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ لِلْعَالَمِ وَمِنْهُ مَادَّةُ الْعُمَرَانِ فَإِذَا احْتَجَّ السُّلْطَانُ الْأَمْوَالَ أَوْ الْجَبَايَاتِ أَوْ قَعِدَتْ فَلَمْ يَصْرِفْهَا فِي مَصَارِفِهَا قَلَّ حِينَئِذٍ بِأَيْدِي الْحَاشِيَةِ وَالْحَامِيَةِ وَأَنْقَطَعَ أَيْضًا مَا كَانَ يَصِلُ مِنْهُمْ لِحَاشِيَتِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَقَلَّتْ نَفَقَاتُهُمْ جُمْلَةً وَهُمْ مُعْظَمُ السَّوَادِ وَنَفَقَاتُهُمْ أَكْثَرُ مَادَّةٍ لِلْأَسْوَاقِ مِنْ سِوَاهُمْ فَيَقَعُ الْكَسَادُ حِينَئِذٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَضَعُفُ الْأَرْبَاحُ فِي التَّاجِرِ فَيَقِلُّ الْخَرَجُ لِذَلِكَ لِأَنَّ الْخَرَجَ وَالْجَبَايَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْإِعْتِمَارِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَنَفَاقِ الْأَسْوَاقِ وَطَلَبِ النَّاسِ لِلْقَوَائِدِ وَالْأَرْبَاحِ وَوَبَالَ ذَلِكَ عَانِدٌ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالنَّقْصِ لِتِلْكَ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ حِينَئِذٍ بَقِيَّةُ الْخَرَجِ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ كَمَا قُلْنَا هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ أَمْ الْأَسْوَاقِ كُلِّهَا وَأَصْلُهَا وَمَادَّتُهَا فِي الدَّخْلِ وَالْخَرَجِ فَإِنْ كَسَدَتْ وَقَلَّتْ مَصَارِفُهَا فَأَجْدِرُ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَسْوَاقِ أَنْ يُلْحَقَهَا بِشُئْ ذَلِكَ وَأَشَدُّ مِنْهُ وَأَيْضًا فَالْمَالُ إِنَّمَا هُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَمِنْهُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا حَبَسَهُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ فَقَدَتْهُ الرَّعِيَّةُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم مودن بخراب العمران

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُدُونَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ ذَاهِبٌ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تَجْصِيلِهَا وَكَتْسَابِهَا لَمَّا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنْ غَايَتَهَا وَمَصِيرُهَا أَنْتَهَابُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي اكْتِسَابِهَا وَتَجْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدَرِ الْإِعْتِدَاءِ وَنِسْبَتِهِ يَكُونُ انْتِبَاضُ الرِّعَايَا عَنِ السَّعْيِ فِي الْإِكْتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الْإِعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًّا فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقُعُودُ عَنِ الْكَسْبِ كَذَلِكَ لِذَهَابِهِ بِالْأَمْوَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ



مِنْ جَمِيعِ أَرْبَابِهَا وَإِنْ كَانَ الْإِعْتِدَاءُ يَسِيرًا كَانَ الْإِتْقَانُ عَنْ الْكَسْبِ عَلَى نِسْبَتِهِ  
 وَالْعُمُرَانُ وَوُفُورُهُ وَتَفَاقُ أَسْوَاقِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَعْمَالِ وَسَعْيِ النَّاسِ فِي الْمَصَالِحِ  
 وَالْمَكَايِيبِ ذَاهِبِينَ وَجَائِذِينَ فَإِذَا قَعَدَ النَّاسُ عَنِ الْمَعَاشِ وَأَنْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْ  
 الْمَكَايِيبِ كَسَدَتْ أَسْوَاقُ الْعُمُرَانِ وَأَنْتَقَضَتْ الْأَحْوَالُ وَأَنْذَعَرَ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ  
 غَيْرِ تِلْكَ الْإِيَالَةِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ [فِيهَا خَرَجَ عَنْ نِطَاقِهَا فَخَفَّ سَاكِنُ الْقَطْرِ وَخَلَّتْ  
 دِيَارُهُ وَخَرَجَتْ أَمْصَارُهُ وَآخَلَتْ بِإِخْتِلَالِهِ حَالُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ لَمَّا أَنَّهَا صُورَةُ  
 لِلْعُمُرَانِ تَفْسُدُ بِفَسَادِ مَا دَتِيهَا ضَرُورَةٌ وَأَنْظُرْ فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي أَخْبَارِ  
 الْفُرسِ عَنِ الْمُؤَبِّدَانِ صَاحِبِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ أَيَّامَ بَهْرَامَ بْنِ بَهْرَامَ وَمَا قَرَضَ بِهِ لِلْمَلِكِ  
 فِي إِنْكَارِهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ عَائِدَتِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِضَرْبِ الْبِشَالِ فِي  
 ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْيَوْمِ حِينَ سَمِعَ الْمَلِكُ أَصْوَاتَهَا وَسَأَلَهُ عَنْ فَعْلِهِمْ كَلَامُهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّ يَوْمًا  
 ذَكَرْتُ يَوْمَ نِكَاحِ يَوْمِ أَنْشَى وَإِنَّهَا شَرَطَتْ عَلَيْهِ عِشْرِينَ قَرْيَةً مِنَ الْخَرَابِ فِي أَيَّامِ بَهْرَامَ  
 فَقِيلَ شَرَطَهَا وَقَالَ لَهَا إِنَّ دَامَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ أَقْطَعْتُكَ أَلْفَ قَرْيَةٍ وَهَذَا أَسهَلُ مَرَامٍ فَتَنَّبَهَ  
 الْمَلِكُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَخَلَا بِالْمُؤَبِّدَانِ وَسَأَلَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْمَلِكُ  
 لَا يَشُمُّ عِزَّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّصَرُّفِ تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَلَا قِيَامَ  
 لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ وَلَا  
 سَبِيلَ إِلَى الْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ الْمَصُوبُ  
 بَيْنَ الْخَلِيقَةِ نَصَبُ الرَّبِّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَدَتُ إِلَى الضِّيَاعِ  
 أَفَازَتْ رَعَّتَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا وَعُمَارِهَا وَهُمْ أَرْبَابُ الْخَرَاجِ وَمَنْ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ الْأَمْوَالُ وَأَقْطَعَتْهَا  
 خَلَّاشِيَّةٌ وَالْحَدَمَ وَأَهْلَ الْبَطَالَةِ فَذَكَرُوا الْعِمَارَةَ وَالنَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَمَا يُضْلِحُ الضِّيَاعِ  
 وَسُومُوا فِي الْخَرَاجِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَوَقَعَ الْخَيْفُ عَلَى مَنْ يَتَّبِعِي مِنْ أَرْبَابِ الْخَرَاجِ وَعُمَارِ  
 الضِّيَاعِ فَأَنْجَلُوا عَنْ ضِيَاعِهِمْ وَخَلُّوا دِيَارَهُمْ وَأَوُوا إِلَى مَا تَعَدَّرَ مِنَ الضِّيَاعِ فَسَكَنُواهَا  
 فَقُلْتُ الْعِمَارَةُ وَخَرِبَتِ الضِّيَاعُ وَقُلْتُ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْجُودُ وَالرَّعِيَّةُ وَطَمِعَ فِي  
 مَالِكَ فَارِسَ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ لِعِلْمِهِمْ بِاتِّقَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي لَا تَسْتَعِيمُ دَعَائِمُ  
 الْمَلِكِ إِلَّا بِهَا فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى النَّظَرِ فِي مُلْكِهِ وَأَنْذَرَتْ الضِّيَاعُ مِنْ  
 أَيْدِي الْخَلَّاصَةِ وَرُدَّتْ عَلَى أَرْبَابِهَا وَحِيلُوا عَلَى رُسُومِهِمْ السَّائِئَةِ وَأَخَذُوا فِي الْعِمَارَةِ وَقَوَّي

مِنْ ضَعْفِ مِنْهُمْ فَغَمَرَتِ الْأَرْضُ وَأَخْصَبَتِ الْبِلَادُ وَكَثُرَتِ الْأَمْوَالُ عِنْدَ جُبَاةِ الْخَرَجِ  
 وَقَوِيَّتِ الْجُنُودُ وَقُطِعَتْ مَوَادُّ الْأَعْدَاءِ وَشُجِنَتِ الثُّمُورُ وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى مُبَاشَرَةِ أُمُورِهِ  
 بِنَفْسِهِ فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ وَانْتَضَمَ مُلْكُهُ فَفَقَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّ الظُّلْمَ مُحَرِّبٌ لِلْعُمَرَانِ  
 وَأَنَّ عَائِدَةَ الْخَرَابِ فِي الْعُمَرَانِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْفَسَادِ وَالِاتِّقَاضِ وَلَا تَنْظُرْ فِي ذَلِكَ إِلَى  
 أَنَّ الْإِعْتِدَاءَ قَدْ يُوجَدُ بِالْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي يَهَا وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا خَرَابٌ وَأَعْلَمَ  
 أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْإِعْتِدَاءِ وَأَحْوَالِ أَهْلِ الْبَصْرِ فَلَمَّا كَانَ  
 الْبَصْرُ كِبَرًا وَعُمُرَانُهُ كَثِيرًا وَأَحْوَالُهُ مُتَشَعِّبَةً لَا يَنْحَصِرُ كَانَ وَقُوعُ النِّقْصِ فِيهِ بِالْإِعْتِدَاءِ  
 وَالظُّلْمِ يَسِيرًا لِأَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَقَعُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِذَا خَفِيَ بِكَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتِّسَاعِ  
 الْأَعْمَالِ فِي الْبَصْرِ لَمْ يَظْهَرِ أَثَرُهُ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ وَقَدْ تَذَهَبُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْمُعْتَدِيَةُ مِنْ  
 أَصْلِهَا قَبْلَ خَرَابِ الْبَصْرِ وَتَجِيءُ الدَّوْلَةُ الْأُخْرَى فَتَرْفَعُهُ بِجَدَّتَيْهَا وَتُجْبِرُ النِّقْصَ الَّذِي كَانَ  
 خَفِيًّا فِيهِ فَلَا يَكَادُ يُشْعَرُ بِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَقْلَرِ النَّادِرِ وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ حُصُولَ  
 النِّقْصِ فِي الْعُمَرَانِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ أَمْرٌ وَاقِعٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِمَا قَدْ مَنَاهُ وَوَبَّالَهُ عَائِدَةٌ عَلَى  
 الدُّوَلِ وَلَا تَحْسَبَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَخْذُ الْمَالِ أَوْ الْمَلِكِ مِنْ يَدِ مَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ مَوْضِعٍ  
 وَلَا سَبَبٍ كَمَا هُوَ الشَّهُورُ بَلِ الظُّلْمُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَنْ أَخَذَ مِنْكَ أَحَدًا أَوْ غَضَبَهُ  
 فِي عَمَلِهِ أَوْ طَالَبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ فَرَضَ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَفْرِضْهُ الشَّرْعُ فَقَدْ ظَلَمَهُ فَجُبَاةُ  
 الْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُعْتَدُونَ عَلَيْهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُسْتَهْبُونَ لَهَا ظَلَمَةٌ وَالْمَانِعُونَ  
 لِحُقُوقِ النَّاسِ ظَلَمَةٌ وَغَضَابُ الْأَمْلَاقِ عَلَى الْعُمُومِ ظَلَمَةٌ وَوَبَّالُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَائِدَةٌ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 بِخَرَابِ الْعُمَرَانِ الَّذِي هُوَ مَا دَتَتْهَا لِإِذَاهَا بِهِ الْأَمْوَالُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ  
 الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ فِي تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَهُوَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ فَسَادِ الْعُمَرَانِ وَخَرَابِهِ وَذَلِكَ  
 مُؤَدِّنٌ بِاتِّقَاطِ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ وَهِيَ الْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ الْمُرَاعِيَةُ لِلشَّرْعِ فِي جَمِيعِ  
 مَقَاصِدِهِ الضَّرُورِيَّةِ الْخَمْسَةِ مِنْ حِفْظِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ فَلَمَّا كَانَ  
 الظُّلْمُ كَمَا رَأَيْتُ مُؤَدِّنًا بِاتِّقَاطِ النَّوعِ لِمَا أَدَّى إِلَيْهِ مِنْ تَخْرِيبِ الْعُمَرَانِ كَانَتْ  
 حِكْمَةُ الْخَطَرِ فِيهِ مُوجُودَةً فَكَانَ تَحْرِيمُهُ مُهِمًّا وَأَدِلَّتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ  
 مِنْ أَنْ يَأْخُذَهَا قَانُونُ الضَّبْطِ وَالْحَصْرِ وَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرًا عَلَى الظُّلْمِ لَوُضِعَ بِإِذَائِهِ  
 مِنَ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةِ مَا وَضِعَ بِإِذَاءِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَفْسِدَاتِ لِلنَّوعِ الَّتِي يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى



أَقْتَرَفَهَا مِنْ الرِّيَا وَالْقَتْلِ وَالشُّكْرِ إِلَّا أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ  
إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ أَهْلِ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ قَبُولُغَ فِي ذِمِّهِ وَتَكْرِيرِ الْوَعِيدِ فِيهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
الْوَارِغُ فِيهِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ الْعُقُوبَةَ قَدْ وُضِعَتْ  
بِإِزَاءِ الْحَوَابَةِ فِي الشَّرْعِ وَهِيَ مِنْ ظُلْمِ الْقَادِرِ لِأَنَّ الْمُحَارِبَ زَمَنَ حِرَابَتِهِ قَادِرٌ فَإِنْ فِي  
الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ طَرِيقَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُولَ الْعُقُوبَةُ عَلَى مَا يَشْرَفُهُ مِنَ الْحَيَاتِ فِي نَفْسِ  
أَمْوَالٍ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالْمُطَالَبَةِ بِجِنَايَتِهِ  
وَأَمَّا نَفْسُ الْحِرَابَةِ فَهِيَ مُخْلُوءٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ الطَّرِيقُ الثَّانِي أَنْ تَقُولَ الْمُحَارِبُ لَا يُوصَفُ  
بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّا إِنَّمَا نَعْنِي بِقُدْرَةِ الظَّالِمِ أَلَيْدَ الْمَبْسُوطَةِ الَّتِي لَا تُعَارِضُهَا قُدْرَةٌ فَهِيَ الْمُؤْذِنَةُ  
بِالْحُرَابِ وَأَمَّا قُدْرَةُ الْمُحَارِبِ فَإِنَّمَا هِيَ إِخَافُهُ يَجْعَلُهَا ذَرِيعَةً لِأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهَا بِيَدِ الْكُلِّ مَوْجُودَةٌ شَرْعًا وَسِيَاسَةً فَلَيْسَتْ مِنَ الْقَدْرِ الْمُؤْذِنِ بِالْحُرَابِ وَآلَهُ  
قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ . وَمِنْ أَشَدِّ الظُّلَمَاتِ وَأَعْظَمِهَا فِي إِفْسَادِ الْعُمَرَانِ تَكْلِيفُ الْأَعْمَالِ  
وَتَسْخِيرُ الرِّعَايَا بِغَيْرِ حَقٍّ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنْ قَبْلِ الْمُتَمَوَّلَاتِ كَمَا سَنُنِي فِي  
بَابِ الرِّزْقِ لِأَنَّ الرِّزْقَ وَالْكَسْبَ إِنَّمَا هُوَ قِيمَةُ أَعْمَالِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَإِذَا مَسَاعِيهِمْ  
وَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا مُتَمَوَّلَاتٌ وَمَكَايِسُ لَهُمْ بَلْ لَا مَكَايِسَ لَهُمْ يَرَاهَا فَإِنَّ الرِّعْيَةَ  
الْمُعْتَمِلِينَ فِي الْعِمَارَةِ إِنَّمَا مَعَاشُهُمْ وَمَكَايِسُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ذَلِكَ فَإِذَا كَلَّفُوا الْعَمَلَ  
فِي غَيْرِ شَأْنِهِمْ وَاتَّخَذُوا سِخْرِيًّا فِي مَعَاشِهِمْ بَطَلَ كَسْبُهُمْ وَاعْتَصَبُوا قِيَمَةَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ  
وَهُوَ مُتَمَوَّلُهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الضَّرَرُ وَذَهَبَ لَهُمْ حَظٌّ كَثِيرٌ مِنْ مَعَاشِهِمْ بَلْ هُوَ مَعَاشُهُمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَفْسَدَ أَمْوَالُهُمْ فِي الْعِمَارَةِ وَقَعَدُوا عَنْ السَّعْيِ فِيهَا  
جُمْلَةً فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْتِقَاضِ الْعُمَرَانِ وَتَحْرِيبِهِ وَآلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ .  
وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي الظُّلْمِ وَإِفْسَادِ الْعُمَرَانِ وَالْدَوْلَةِ التَّسْلُطُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ  
بِشِرَاءٍ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ ثُمَّ فَرَضَ الْبَضَائِعَ عَلَيْهِمْ بِأَرْفَعِ الْأَثْمَانِ عَلَى  
وَجْهِ الْغَضَبِ وَالْإِكْرَاهِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ وَرُبَّمَا تَقَرَّضَ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَثْمَانُ عَلَى  
التَّوَاجِيهِ وَالتَّعْجِيلِ فَيَتَعَلَّلُونَ فِي تِلْكَ الْخِسَارَةِ الَّتِي تُلْحَقُهُمْ بِمَا تُحْدِثُهُمُ الْمَطَامِعُ مِنْ جَبْرِ  
ذَلِكَ بِخَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِي تِلْكَ الْبَضَائِعِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَاءِ إِلَى بَيْعِهَا بِأَبْخَسِ  
الْأَثْمَانِ وَتَعُودُ خِسَارَةٌ مَا بَيْنَ الصَّفَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ يَعْمُ ذَلِكَ أَصْنَافُ

التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوق وأهل الدكاكين في المأكلي والفواكه وأهل الصنائع فيما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الحسرة سائر الأصناف والطبقات وتتوالى على الساعات وتبجف رؤوس الأموال ولا يجدون عنها وليجة إلا القعود عن الأسواق لذهاب رؤوس الأموال في جبرها بالأرباح ويتناقل الواردون من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك فتكسد الأسواق ويبطل معاش الرعايا لأن غائته من البيع والشراء وإذا كانت الأسواق عطلاً منها بطل معاشهم وتنقص جباية السلطان أو تفسد لأن معظمها من أوسط الدولة وما بعدها إنما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويؤول ذلك إلى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدرج ولا يشعر به هذا ما كان بأمثال هذه الذرائع والأسباب إلى أخذ الأموال وأما أخذها مجاًناً والعدوان على الناس في أموالهم وحرمتهم وديارهم وأسرارهم وأعراضهم فهو يفضي إلى الخلل والفساد دفعة وتنقض الدولة سريعاً بما ينشأ عنه من الهرج المضني إلى الانتقاص ومن أجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء وحظر أكل أموال الناس بالباطل سداً لأبواب المفاسد المضية إلى انتقاص العمران بالهرج أو بطلان المعاش وأعلم أن الداعي لذلك كله إنما هو حاجة الدولة والسلطان إلى الإكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الأحوال فتكثرت نفقاتهم وبعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستحدثون ألقاباً ووجوهاً يؤسمون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة إلى أموال الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزد إلى أن تمحي ديارتها ويذهب بوسمها ويغلبها طالبها والله أعلم

### الفصل الرابع والاربعون

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم  
إعلم أن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه  
لأنه لا بد لها من العصية التي بها يتم أمرها ويعمل استيلاؤها والبدوة هي شعار  
العصية والدولة إن كان قيامها بالدين فإنه بعيد عن منازع الملك وإن كان قيامها



بِعِزِّ الْقَلْبِ فَقَطُّ فَالِدَاوَةُ الَّتِي بِهَا يَحْصُلُ الْقَلْبُ بَعِيدَةٌ أَيْضًا عَنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَمَذَاهِبِهِ  
فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بَدْوِيَّةً كَانَ صَاحِبُهَا عَلَى حَالِ الْغَضَاضَةِ وَالْبِدَاوَةِ  
وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ وَسُهُولَةِ الْإِذْنِ فَإِذَا دَسَخَ غِرُهُ وَصَارَ إِلَى الْإِنْفِرَادِ يَنْفُسِهِ عَنِ  
النَّاسِ لِلْحَدِيثِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ فِي خَوَاصِ شُرُونهِ لِمَا يَكْثُرُ حَيْثُ يَخَاشِيهِ فَيَطْلُبُ  
الْإِنْفِرَادَ مِنَ الْعَامَّةِ مَا اسْتَطَاعَ وَيَتَّخِذُ الْإِذْنَ بِبَابِهِ عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ  
دَوْلَتِهِ وَيَتَّخِذُ حَاجِبًا لَهُ عَنِ النَّاسِ يُقِيمُهُ بِبَابِهِ لِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ ثُمَّ إِذَا اسْتَفْضَلَ الْمَلِكُ  
وَجَاءَتْ مَذَاهِبُهُ وَمَنَازِعُهُ اسْتَحَالَتْ أَخْلَاقُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخْلَاقِ الْمَلِكِ وَهِيَ أَخْلَاقُ  
غَرِيبَةٍ مَخْصُوصَةٍ يَحْتَاجُ مُبَاشَرُهَا إِلَى مُدَارَاتِهَا وَمُعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ لَهَا وَرُبَّمَا جَهَلَ تِلْكَ  
الْأَخْلَاقَ مِنْهُمْ بَعْضُ مَنْ يُبَاشِرُهُمْ فَوَقَعَ فِيمَا لَا يَرْضِيهِمْ فَسَخَطُوا وَصَارُوا إِلَى حَالَةِ الْإِنْتِقَامِ  
مِنْهُ فَأَنْفَرَدَ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَدَابِ الْخَوَاصِ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَحَجَبُوا غَيْرَ أَوْلِيكَ الْخَاصَّةِ  
عَنِ لِقَائِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حِفْظًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُعَانِيَةِ مَا يُسَخِطُهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنْ  
التَّعَرُّضِ لِقَائِهِمْ فَصَارَ لَهُمْ حِجَابٌ آخَرٌ أَخَصُّ مِنَ الْحِجَابِ الْأَوَّلِ يُفْضِي إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
خَوَاصُّهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الثَّانِي يُفْضِي إِلَى  
مَجَالِسِ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الْأَوَّلُ يَكُونُ فِي أَوَّلِ  
الدَّوْلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا كَمَا حَدَّثَ لِأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ وَخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ  
الْقَائِمُ عَلَى ذَلِكَ الْحِجَابِ يُسَمَّى عِنْدَهُمْ الْحَاجِبَ جَرِيًّا عَلَى مَذْهَبِ الْإِسْتِثْقَاقِ الصَّحِيحِ  
ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجَدَتْ الدَّوْلَةَ مِنَ التَّوَلَّى وَالْعِزِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ  
وَكَمَلَتْ خُلُقُ الْمَلِكِ عَلَى مَا يَجِبُ فِيهَا فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِجَابِ الثَّانِي وَصَارَ اسْمُ الْحَاجِبِ  
أَخَصُّ بِهِ وَصَارَ بِبَابِ الْخُلَفَاءِ دَارَانِ لِلْعَبَّاسِيَّةِ دَارُ الْخَاصَّةِ وَدَارُ الْعَامَّةِ كَمَا هُوَ مُسْطَوِرٌ  
فِي أَخْبَارِهِمْ ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدَّوَلِ حِجَابٌ ثَالِثٌ أَخَصُّ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ وَهُوَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الْحَجَرِ  
عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدَّوْلَةِ وَخَوَاصَّ الْمَلِكِ إِذَا نَصَبُوا الْأَبْنَاءَ مِنْ الْأَعْقَابِ  
وَحَاوَلُوا الْإِسْتِبدَادَ عَلَيْهِمْ فَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ ذَلِكَ الْمُسْتَبْدُ أَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ بِطَانَةِ ابْنِهِ  
وَخَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ يُوهَّمُهُ أَنَّ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ إِيَّاهُ خَرَقَ حِجَابِ الْهَيْبَةِ وَفَسَادَ قَانُونِ الْأَدَبِ  
لِيَقْطَعَ بِذَلِكَ لِقَاءَ الْغَيْرِ وَيُعَوِّدَهُ مُلَابَسَةَ أَخْلَاقِهِ هُوَ حَتَّى لَا يَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُ إِلَى أَنْ  
يَسْتَحْكِمَ الْإِسْتِيلَاءَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ هَذَا الْحِجَابُ مِنْ دَوَائِعِهِ وَهَذَا الْحِجَابُ لَا يَقَعُ فِي

الْغَالِبِ إِلَّا أَوَاخِرَ الدَّوْلَةِ كَمَا قَدَّمَاهُ فِي الْحَجْرِ وَيَكُونُ دَلِيلًا عَلَى هَرَمِ الدَّوْلَةِ وَنَفَادِ قُوَّتِهَا وَهُوَ تَمَّا يَخْشَاهُ أَهْلُ الدُّوَلِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ يُحَاوِلُونَ عَلَى ذَلِكَ بَطَائِعِهِمْ عِنْدَ هَرَمِ الدَّوْلَةِ وَذَهَابِ الْإِسْتِثْبَادِ مِنْ أَعْيَابِ مُلُوكِهِمْ لِمَا رُكِبَ فِي النُّفُوسِ مِنْ مَحَبَّةِ الْإِسْتِثْبَادِ بِالْمُلْكِ وَخُصُوصًا مَعَ التَّشْيِيعِ لِذَلِكَ وَحُصُولِ دَوَائِيهِ وَمَبَادِيهِ

## الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

إِعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَقَعُ مِنْ آثَارِ الْهَرَمِ فِي الدَّوْلَةِ انْقِسَامُهَا وَذَلِكَ إِنْ الْمُلْكَ عِنْدَ مَا يَسْتَفِجُلُ وَيَبْلُغُ مِنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ إِلَى غَايَتِهَا وَيَسْتَبْدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِالْمَجْدِ وَيَتَفَرَّدُ بِهِ وَيَأْنِفُ حِينَئِذٍ عَنِ الْمُشَارَكَةِ وَيَصِيرُ إِلَى قَطْعِ أَسْبَابِهَا مَا اسْتَطَاعَ بِإِهْلَاكِ مَنْ اسْتَدَابَ بِهِ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ الْمُرْشَحِينَ لِمَنْصِبِهِ قَرُبًا أَرْتَبَ الْمُسَاهِدُونَ لَهُ فِي ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ وَتَوَعَّوْا إِلَى الْقَاصِيَةِ إِلَيْهِمْ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِثْلَ حَالِهِمْ مِنَ الْإِغْتِرَارِ وَالْإِسْتِدَابَةِ وَيَكُونُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ قَدْ أَخَذَ فِي التَّضَايُقِ وَرَجَعَ عَنِ الْقَاصِيَةِ فَيَسْتَبْدُ ذَلِكَ النَّازِعُ مِنَ الْقَرَابَةِ فِيهَا وَلَا يَزَالُ أَمْرُهُ يَعْظُمُ بِتَرَاجُعِ نِطَاقِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يُقَاسِمَ الدَّوْلَةَ أَوْ يَكَادُ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ حِينَ كَانَ أَمْرُهَا حَرِيضًا مُجْتَمِعًا وَنِطَاقًا مُتَمَدًّا فِي الْإِتْسَاعِ وَعَصِيَّةً بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَاحِدَةً نَالِيَةً عَلَى سَائِرِ مُضَرَ فَلَمْ يَلْبُضْ عِرْقٌ مِنَ الْخِلَافَةِ سَائِرَ أَيَّامِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ الْمُسْتَمِيتِينَ فِي شَأْنِ بِدْعَتِهِمْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِيَزْعَ مُلْكٌ وَلَا رِئَاسَةٌ وَلَمْ يَمُتْ أَمْرُهُمْ لِمُزَاحَمَتِهِمْ الْعَصِيَّةَ الْقَوِيَّةَ ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَاسْتَقَلَّ بَنُو الْعَبَّاسِ بِالْأَمْرِ وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ قَدْ بَلَغَتْ الْغَايَةَ مِنَ الْغَلَبِ وَالتَّرَفِ وَأَذِنَتْ بِالتَّقْلُصِ عَنِ الْقَاصِيَةِ تَوَعَّعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ قَاصِيَةَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ فَاسْتَعَدَّتْ بِهَا مُلْكًا وَاقْتَطَعَهَا عَنْ دَوْلَتِهِمْ وَصَدَّ الدَّوْلَةَ دَوْلَتَيْنِ ثُمَّ تَوَعَّعَ أَندَرِيسُ إِلَى الْمَغْرِبِ وَخَرَجَ بِهِ وَقَامَ بِأَمْرِهِ وَأَمْرَ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ الْبَرَابِرَةُ مِنْ أَوْرُبَّةَ وَمُغِيلَةَ وَزَنَاقَةَ وَاسْتَوَلَى عَلَى نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِينَ ثُمَّ أَزْدَادَتِ الدَّوْلَةُ تَقْلُصًا فَاضْطَرَبَ الْأَغَايَةُ فِي الْإِمْتِنَاعِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْعَةُ وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ كُتَّامَةُ وَصْنَهَا جَةُ وَاسْتَوَلَوْا عَلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ مِضَرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَغَلَبُوا عَلَى الْأَدَارِسَةِ وَقَسَمُوا الدَّوْلَةَ دَوْلَتَيْنِ أُخْرَيْنِ وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ ثَلَاثَ دُولٍ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ



مَرَكَزَ الْعَرَبِ وَأَصْلَهُمْ وَمَادَّتُهُمُ الْإِسْلَامُ وَدَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ الْمُجَدِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ  
 مَلِكُهُمُ الْأَدِيمُ وَخِلَافَتُهُمْ بِالْمَشْرِقِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ  
 وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ أَنْتَرَاضُهَا مُتَقَارِبًا أَوْ جَمِيعًا وَكَذَلِكَ أَنْقَسَتْ دَوْلَةُ  
 بَنِي الْعَبَّاسِ بِدَوْلِ أُخْرَى وَكَانَ بِالْقَاصِيَةِ بَنُو سَاسَانَ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخَرَّاسَانَ وَالْعَلَوِيَّةَ  
 فِي الْأَدِيلِمِ وَطَبَرِسْتَانَ وَآلَ ذَلِكَ إِلَى أَسْتِيلَاءِ الْأَدِيلِمِ عَلَى الْعِرَاقَيْنِ وَعَلَى بَغْدَادَ وَالْخُلَفَاءِ  
 ثُمَّ جَاءَ السُّلْجُوقِيَّةُ فَمَلَكَوْا جَمِيعَ ذَلِكَ ثُمَّ أَنْقَسَتْ دَوْلَتُهُمْ أَيْضًا بَعْدَ الْإِسْتِفْخَالِ كَمَا  
 هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَكَذَلِكَ أَعْتَدَهُ فِي دَوْلَةِ صَنْهَاجَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةَ لَمَّا بَلَّغَتْ  
 إِلَى غَايَتِهَا أَيَّامَ بَادِيَسَ بْنِ الْمَنْصُورِ خَرَجَ عَلَيْهِ عُمَةُ حَمَّادٌ وَأَقْتَطَعَ مَمَالِكَ الْعَرَبِ لِنَفْسِهِ  
 مَا بَيْنَ جَبَلِ أُرَاسَ إِلَى تَلْمُسَانَ وَمَلَوِيَّةَ وَأَخْطَطَ الْقَلْعَةَ بِجَبَلِ كُتَّامَةِ حِيَالَ الْمَسِيلَةِ وَتَزَلَّهَا  
 وَأَسْتَوَلَى عَلَى مَرَكَزِهِمْ أَشِيرَ بِجَبَلِ تَيْطَرَى وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا آخَرَ قِصْبًا لِمُلْكِ آلِ بَادِيَسَ  
 وَبَقِيَ آلُ بَادِيَسَ بِالْقَيْدَوَانِ وَمَا إِلَيْهَا وَمَ يَزَلْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمَا جَمِيعًا وَكَذَلِكَ  
 دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لَمَّا تَقَلَّصَ ظِلُّهَا دَارَ بِأَفْرِيقِيَّةَ بَنُو أَبِي حَفْصٍ فَاسْتَقَلُّوا بِهَا وَاسْتَحْدَثُوا  
 مَلِكًا لِأَعْقَابِهِمْ يَنْوَاحِيهَا ثُمَّ لَمَّا اسْتَفْخَلَ أَمْرُهُمْ وَأَسْتَوَلَى عَلَى الْغَايَةِ خَرَجَ عَلَى الْمَمَالِكِ  
 الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَعْقَابِهِمْ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ يَحْيَى ابْنُ السُّلْطَانِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ رَابِعُ خُلَفَائِهِمْ  
 وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا بِبَجَايَةِ وَقَسَنْطِينَةَ وَمَا إِلَيْهَا أَوْرَثَهُ بَنِيهِ وَقَسَمُوا بِهِ الدَّوْلَةَ قِسْمَيْنِ  
 ثُمَّ اسْتَوَلُوا عَلَى كُرْسِيِّ الْحَضْرَةِ بِثُونِسَ ثُمَّ أَنْقَسَمَ الْمُلْكُ مَا بَيْنَ أَعْقَابِهِمْ ثُمَّ عَادَ الْإِسْتِيلَاءُ  
 فِيهِمْ وَقَدْ يَنْتَهَى الْإِنْتِسَامُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ دَوْلَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَفِي غَيْرِ أَعْيَاصِ الْمُلْكِ مِنْ قَوْمِهِ  
 كَمَا وَقَعَ فِي مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُلُوكِ الْحَجَمِ بِالْمَشْرِقِ وَفِي مُلْكِ صَنْهَاجَةَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
 فَقَدْ كَانَ لِأَخِيرِ دَوْلَتِهِمْ فِي كُلِّ حَضَنٍ مِنْ حُصُونِ أَفْرِيقِيَّةَ ثَأْرٌ مُسْتَقِيلٌ بِأَمْرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ  
 ذِكْرُهُ وَكَذَا حَالُ الْجَرِيدِ وَالزَّابِ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ قُبِيلَ هَذَا الْعَهْدِ كَمَا نَذَرُوهُ وَهَكَذَا مَثَانُ  
 كُلِّ دَوْلَةٍ لَا بُدَّ وَأَنْ يَغْرَضَ فِيهَا عَوَارِضُ الْهَرَمِ بِالْتَرَفِ وَالْدَّعَةِ وَتَقْلُصُ ظِلُّ الْعَلْبِ فَيَنْقَسِمَ  
 أَعْيَاصُهَا أَوْ مَنْ يَغْلِبُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَتِهَا الْأَمْرَ وَيَتَعَدَّدُ فِيهَا الدُّوَلُ وَالْفُتُوحُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا تزل بالدولة لا يرتفع

قَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَ الْعَوَارِضِ الْمُؤَذِّنَةِ بِالْهَرَمِ وَأَسْبَابَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَبَيَّنَّا أَنَّهَا

تحدث للدولة بالطبع وأنها كلها أمور طبيعية لها وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمر الطبيعي لا تبدل وقد يتنبه كثير من أهل الدول بمن له نقطة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم ويظن أنه يمكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة وإصلاح مزاجها عن ذلك الهرم ويحسبه أنه لحقها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم وليس كذلك فإنها أمور طبيعية للدولة والعوائد هي المانعة له من تلافيها والعوائد منزلة طبيعية أخرى فإن من أدرك مثلاً أنه وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتخلون بالذهب في السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس إذ العوائد حينئذ تمنعه وتفتح عليه مرتكبة ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه وأنظر شأن الأنبياء في إنكار العوائد ومخالفتها لولا التأييد الإلهي والنصر السماوي ورُبما تكون العصية قد ذهبت فتكون الأبهة تعرض عن موقعها من النفوس فإذا أزيلت تلك الأبهة مع ضعف العصية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب أوهام الأبهة فتدفع الدولة بتلك الأبهة ما أمكنها حتى ينقضي الأمر ورُبما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعلت وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في أطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

## الفصل السابع والاربعون

### في كيفية طرق الحل للدولة

إعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بدّ منهما فالأول الشراكة والعصية وهو المعبر عنه بالجند والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال والحل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين فلنذكر أولاً طرق



الْحَلَّ فِي الشُّوْكَةِ وَالْعَصِيَّةِ ثُمَّ نَزَّجُ إِلَى طُرُوقِهِ فِي الْمَالِ وَالْحَيَاةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ تَهْيِيدَ  
الدَّوْلَةِ وَتَأْسِيسَهَا كَمَا قُلْنَا هُيَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ عَصِيَّةٍ كَبْرَى جَامِعَةً  
لِلْعَصَائِبِ مُسْتَشْبَعَةً لَهَا وَهِيَ عَصِيَّةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ عَشِيرَةٍ وَقَبِيلَةٍ فَإِذَا جَاءَتْ  
الدَّوْلَةُ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ مِنَ التَّرَفِ وَجَدَّعَ أَتُوفِ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ كَانَ أَوَّلُ مَا يُجْدَعُ أَتُوفِ  
عَشِيرَتِهِ وَذَوِي قُرْبَاهُ الْمُقَاسِمِينَ لَهُ فِي أَسْمِ الْمُلْكِ فَيَسْتَبْدُّ فِي جَدْعِ أَتُوفِهِمْ بِأَبْلَغِ  
مِنْ سَوَادِهِمْ لِمَكَانِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعِزِّ وَالْغَلْبِ فَيُحِيطُ بِهِمْ هَادِيَانِ وَهُمَا التَّرَفُ وَالْقَهْرُ  
ثُمَّ يَصِيرُ الْقَهْرُ آخِرًا إِلَى الْقَتْلِ لِمَا يَحْصُلُ مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ رُسُوحِ الْمُلْكِ لِصَاحِبِ  
الْأَمْرِ فَيَقْلِبُ غَيْرَتَهُ مِنْهُمْ إِلَى الْخَوْفِ عَلَى مُلْكِهِ فَيَأْخُذُهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ وَسَلْبِ  
النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي تَعَوَّدُوا الْكَثِيرَ مِنْهُ فَيَهْلِكُونَ وَيَقْلُونَ وَتَفْسُدُ عَصِيَّةُ صَاحِبِ  
الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ وَهِيَ الْعَصِيَّةُ الْكَبْرَى الَّتِي كَانَتْ تُجْمَعُ بِهَا الْعَصَائِبُ وَتَسْتَشْبَعُهَا فَتَحُلُّ  
عُرْوَتَهَا وَتَضَعُ شَكِيمَتَهَا وَتُسَبِّدُ عَنْهَا بِالْطَّانَةِ مِنْ مَوَالِي النِّعْمَةِ وَصَنَائِعِ الْإِحْسَانِ  
وَتَتَّخِذُ مِنْهُمْ عَصِيَّةً إِلَّا أَنَّهُمَا لَيْسَتْ مِثْلَ تِلْكَ الشَّدَةِ الشَّكِيمَةِ لِفَقْدَانِ الرَّحِمِ وَالْقَرَابَةِ  
مِنْهَا وَقَدْ كُنَّا قَدْ مَنَّا أَنَّ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ وَقُوَّتَهَا إِنَّمَا هِيَ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ  
فِي ذَلِكَ فَيَنْزِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَنْ الْعَشِيرِ وَالْأَنْصَارِ الطَّبِيعَةِ وَيُحْصِي بِذَلِكَ أَهْلَ  
الْعَصَائِبِ الْآخَرَى فَيَتَجَاسَرُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَطَانَتِهِ تَجَاسُرًا طَبِيعِيًّا فَيَهْلِكُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
وَيَتَّبِعُهُمْ بِالْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَقْلَهُ الْآخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْأَوَّلِ مَعَ مَا  
يَكُونُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ مُوَلِكَةِ التَّرَفِ الَّذِي قَدْ مَنَّا فَيَسْتَرِي عَلَيْهِمُ الْهَلَاكُ بِالتَّرَفِ  
وَالْقَتْلِ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْ صِبْغَةِ تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَيُفْشُوا بِعِزَّتِهَا وَتَوَرَّتِهَا وَيَصِيرُوا أَوْجَرَ  
عَلَى الْحِمَايَةِ وَيَقْلُونَ لِذَلِكَ فَتَقِلُّ الْحِمَايَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْأَطْرَافِ وَالتَّغْوِرُ فَتَجَاسَرُ الرِّيَاسَاتُ  
عَلَى بَعْضِ الدَّعْوَةِ فِي الْأَطْرَافِ وَيُبَادِرُ الْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَعْيَاصِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى  
تِلْكَ الْأَطْرَافِ لِمَا يَرْجُونَ حَيْثُ يَنْزِلُ مِنْ حُجُولِ غَرَضِهِمْ بِمُبَايَعَةِ أَهْلِ الْقَاصِيَةِ لَهُمْ  
وَأَمْنِهِمْ مِنْ وَصُولِ الْحَاكِمَةِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَدَرَّجُ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ يَتَضَايِقُ حَتَّى  
تَصِيرَ الْخَوَارِجُ فِي أَقْرَبِ الْأَمَاكِينِ إِلَى مَرْكَزِ الدَّوْلَةِ وَرَبِّهَا أَنْقَسَتِ الدَّوْلَةُ عِنْدَ  
ذَلِكَ بِدَوْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ عَلَى قَدَرِ قُوَّتِهَا فِي الْأَصْلِ كَمَا قُلْنَا وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا غَيْرُ أَهْلِ  
عَصِيَّتِهَا لَكِنْ إِذْغَانًا لِأَهْلِ عَصِيَّتِهَا وَلِعَلِّهِمُ الْمُتَعَوِّدُ وَاعْتَبِرْ هَذَا فِي دَوْلَةِ الْعَرَبِ فِي

الْإِسْلَامَ كَيْفَ أَنْتَهَتْ أَوَّلًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَكَانَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ نَافِذًا فِي جَمِيعِ  
 الْعَرَبِ بِعَصِيَّةِ بَنِي مَنَاةٍ حَتَّى لَقِيَ أَمْرَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْقَ بِقَتْلِ  
 عَبْدِ الْغَرِيرِ بْنِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ بِقَرْطَبَةَ فَقُتِلَ وَلَمْ يَرِدْ أَمْرُهُ ثُمَّ تَلَا شَتْ عَصِيَّةُ بَنِي أُمَيَّةَ  
 بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ اللَّزْفِ فَأَنْقَرَضُوا وَجَاءَ بَنُو الْعَبَّاسِ فَقَضَوْا مِنْ أَعْنَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَقَتَلُوا  
 الطَّالِبِينَ وَشَرَّدُوهُمْ فَأَنْحَلَّتْ عَصِيَّةُ عَبْدِ مَنَاةٍ وَتَجَاسَرَ الْعَرَبُ عَلَيْهِمْ فَاسْتَبَدَّ  
 عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْقَاصِيَةِ مِثْلُ بَنِي الْأَغْلَبِ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْقَسَتِ  
 الدَّوْلَةُ ثُمَّ خَرَجَ بَنُو أَدْرِيسَ بِالْمَغْرِبِ وَقَامَ الْبَرِيرُ بِأَمْرِهِمْ إِذْخَانًا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي لَهُمْ  
 وَأَمَّا أَنْ تَصِلَهُمْ مُقَاتِلَةٌ أَوْ حَامِيَةٌ لِلدَّوْلَةِ فَإِذَا خَرَجَ الدُّعَاةُ آخِرًا فَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأَطْرَافِ  
 وَالْقَاصِيَةِ وَتَحْصُلُ لَهُمْ هُنَاكَ دَعْوَةٌ وَمُلْكٌ تَنْقَسِمُ بِهِ الدَّوْلَةُ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ مَتَى زَادَتْ  
 الدَّوْلَةُ ثِقَلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَرْكَزِ وَتَضَعُفُ الْبَطَانَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا أَخَذَ مِنْهَا اللَّزْفُ  
 فَهَلِكُ وَتَضَعُجُ وَتَضَعُفُ الدَّوْلَةُ الْمُنْقَسِمَةُ كُلُّهَا وَرُبَّمَا طَالَ أَمْدُهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتُسْتَفْنَى  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الصِّبْغَةِ فِي نَفُوسِ أَهْلِ إِيَالَتِهَا وَهِيَ صِبْغَةُ الْإِنْقِيَادِ وَالسَّلَامِ  
 مِنْذُ السِّنِينَ الطَّوِيلَةِ الَّتِي لَا يَعْثُلُ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ مَبْدَأَهَا وَلَا أَوَّلِيَّتَهَا فَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا  
 السَّلَامَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ فَيُسْتَفْنَى بِذَلِكَ عَنْ قُوَّةِ الْعَصَائِبِ وَيَكْفِي صَاحِبَهَا بِمَا حَصَلَ  
 لَهَا فِي تَهْيِيدِ أَمْرِهَا الْإِجْرَاءَ عَلَى الْحَامِيَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَمُرْتَقٍ وَيَعْضُدُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي  
 النَّفُوسِ عَامَّةً مِنَ السَّلَامِ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ عُضْيَانًا أَوْ خُرُوجًا إِلَّا وَالْجُمْهُورُ  
 مُنْكَرُونَ عَلَيْهِ مُخَالِفُونَ لَهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصَدِّي لِذَلِكَ وَلَوْ جَهَدَ جُهْدَهُ وَرُبَّمَا كَانَتْ  
 الدَّوْلَةُ فِي هَذَا الْحَالِ أَسْلَمَ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُنَازَعَةِ لِاسْتِحْكَامِ صِبْغَةِ السَّلَامِ وَالْإِنْقِيَادِ  
 لَهُمْ فَلَا تَكَادُ النَّفُوسُ تُحَدِّثُ سِرَّهَا بِمُخَالَفَةٍ وَلَا يَخْتَلِجُ فِي ضَمِيرِهَا أَنْجِرَافٌ عَنْ  
 الطَّاعَةِ فَيَكُونُ أَسْلَمَ مِنَ الْوَرَجِ وَالْإِنْتِقَاضِ الَّذِي يَحْدُثُ مِنَ الْعَصَائِبِ وَالْعَشَائِرِ  
 ثُمَّ لَا يَزَالُ أَمْرُ الدَّوْلَةِ كَذَلِكَ وَهِيَ تَتَلَاشَى فِي ذَاتِهَا شَأْنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ فِي الْبَدَنِ  
 الْعَادِمِ لِلْغِذَاءِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَقْتِهَا الْمَقْدُورِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ  
 أَمَدٌ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . وَأَمَّا الْخَلْلُ الَّذِي يَتَطَرَّقُ مِنْ جِهَةِ  
 الْمَالِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِهَا تَكُونُ بَدَوِيَّةً كَمَا مَرَّ فَيَكُونُ خُلُقُ الرِّفْقِ بِالرَّعَايَا  
 وَالْقَصْدِ فِي النِّفَقَاتِ وَالْتَعَفُّفِ عَنِ الْأَمْوَالِ فَتَجَافَى عَنِ الْإِمْعَانِ فِي الْجَبَايَةِ وَالتَّحَذُّلِ



وَالْكَيْسُ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَحَسَنَ الْعَمَالِ وَلَا دَاعِيَةَ حِينَئِذٍ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي التَّفَقُّةِ  
فَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ ثُمَّ يَحْصُلُ الْأَسْتِيلَاءُ وَيَعْظُمُ وَيَسْتَفْجِلُ الْمَلِكُ فَيَدْعُو  
إِلَى التَّرَفِ وَيَكْثُرُ الْإِنْفَاقُ بِسَبَبِهِ فَتَعْظُمُ نَفَقَاتُ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعُومِ  
بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ وَأَرْزَاقِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ يَعْظُمُ التَّرَفُ فَيَكْثُرُ الْإِسْرَافُ فِي النَفَقَاتِ وَيَنْتَشِرُ ذَلِكَ فِي الرِّعِيَّةِ  
لَأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِا وَعَوَائِدِهَا وَيَحْتَاجُ السُّلْطَانُ إِلَى ضَرْبِ الْمَكُوسِ عَلَى  
أَثْمَانِ الْبَيَاعَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ لِإِدَارِ الْجَبَايَةِ لِمَا يَرَاهُ مِنْ تَرْفِ الدِّينَةِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمْ  
بِالرَّفِ وَلِمَا يَحْتَاجُ هُوَ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ سُلْطَانِهِ وَأَرْزَاقِ جُنْدِهِ ثُمَّ تَرِيدُ عَوَائِدُ التَّرَفِ  
فَلَا تَبْقَى بِهَا الْمَكُوسُ وَتَكُونُ الدَّوْلَةُ قَدْ اسْتَفْجَلَتْ فِي الْأَسْطِيَالَةِ وَالْقَوْرِ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهَا  
مِنَ الرِّعَايَا فَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِنْ أَمْوَالِ الرِّعَايَا مِنْ مَكْسٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ نَقْدٍ  
فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِشُبْهَةٍ أَوْ بِغَيْرِ شُبْهَةٍ وَيَكُونُ الْجُنْدُ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ قَدْ تَجَاسَرَ عَلَى  
الدَّوْلَةِ بِمَا لَحِقَهَا مِنَ الْفَشْلِ وَالْهَرَمِ فِي الْعَصِيَّةِ فَتَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتُدَاوِي بِسَكِينَةِ  
الْعَطَايَا وَكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ فِيهِمْ وَلَا تَجِدُ عَنْ ذَلِكَ وَلِيجَةً وَتَكُونُ جَبَاةُ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ  
قَدْ عَظُمَتْ ثُرُوتُهُمْ فِي هَذَا الطَّوْرِ بِكَثْرَةِ الْجَبَايَةِ وَكَوْنِهَا بِأَيْدِيهِمْ وَبِمَا اتَّسَعَ لَذَلِكَ  
مِنْ جَاهِهِمْ فَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ بِاحْتِجَانِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَتَفْشُو السَّعَايَةُ فِيهِمْ بَعْضُهُمْ  
مِنْ بَعْضٍ لِلْمُنَافَسَةِ وَالْحِدِّ فَتَعْتُمُّهُمُ انْتِكَبَاتُ وَالْمُصَادَرَاتُ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ  
تَذْهَبَ ثُرُوتُهُمْ وَتَتَلَاشَى أَحْوَالُهُمْ وَيَفْقَدَ مَا كَانَ لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْأَبْهَةِ وَالْجَمَالِ بِهِمْ وَإِذَا  
أَصْطَلَمَتْ نَفْسُهُمْ تَجَاوَزَتْهُمْ الدَّوْلَةُ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ مِنَ الرِّعَايَا سِوَاهُمْ وَيَكُونُ الْوَهْنُ  
فِي هَذَا الطَّوْرِ قَدْ لَحِقَ الشُّرُوكَةَ وَضَعَتْ عَنِ الْأَسْطِيَالَةِ وَالْقَوْرِ فَتُصَرَفُ مِيَايَسَةُ صَاحِبِ  
الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى مُدَارَاةِ الْأُمُورِ بِبَدْلِ الْمَالِ وَيَرَاهُ أَرْفَعُ مِنَ السَّيْفِ لِقَلَّةِ غِنَاهِ فَتَعْظُمُ  
حَاجَتُهُ إِلَى الْأَمْوَالِ زِيَادَةً عَلَى النَفَقَاتِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ وَلَا يَغْنَى فِيهَا يُرِيدُ وَيَعْظُمُ الْوَرَمُ  
بِالدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ النَّوَاحِي وَالدَّوْلَةُ تَنْحَلُّ عُورَاهَا فِي كُلِّ عَوْرٍ مِنْ هَذِهِ إِلَى  
أَنْ تُفْضِيَ إِلَى الْهَلَاكِ وَتَتَعَوَّضُ مِنَ الْأَسْطِيلَاءِ الْكَلَالِ فَإِنْ قَصَدَهَا طَالِبٌ أَنْتَدَّعَهَا مِنْ  
أَيْدِي الْقَائِمِينَ بِهَا وَإِلَّا بَقِيَتْ وَهِيَ تَتَلَاشَى إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَّ كَالذُّبَالِ فِي السِّرَاجِ إِذَا  
فَنِيَ زَيْتُهُ وَطَفِيَءَ وَاللهُ أَعْلَمُ الْأُمُورِ وَمُدِيرُ الْأَكْوَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

## الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتجديدها كيف يقع

إِعلمُ أَنَّ نَشْأَةَ الدُّوَلِ وَبِدَائِئَهَا إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ فِي الْهَرَمِ وَالْإِنْتِقَاصِ تَكُونُ عَلَى نَوْعَيْنِ إِمَّا بِأَنْ يَسْتَبْدَ وُلَاةُ الْأَعْمَالِ فِي الدَّوْلَةِ بِالْقَاصِيَةِ عِنْدَ مَا يَتَقَلَّصُ ظِلْمُهَا عَنْهُمْ فَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَوْلَةٌ يَسْتَجِدُّهَا لِقَوْمِهِ وَمَا يَسْتَقِرُّ فِي نِصَابِهِ يَرْتَهُ عَنْهُ أَبْنَاؤُهُ أَوْ مَوَالِيهِ وَيَسْتَفْعِلُ لَهُمُ الْمَلِكُ بِالتَّدْرِيجِ وَرَبِّمَا يُوَدِّحُونَ عَلَى ذَلِكَ الْمَلِكُ وَيَتَقَارِعُونَ عَلَيْهِ وَيَتَنَازَعُونَ فِي الْإِسْتِثَارِ بِهِ وَيَغْلِبُ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ فَضْلُ قُوَّةٍ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَنْتَرِعُ مَا فِي يَدِهِ كَمَا وَقَعَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ أَخَذَتْ دَوْلَتُهُمْ فِي الْهَرَمِ وَتَقَلَّصَ ظِلْمُهَا عَنْ الْقَاصِيَةِ وَاسْتَبَدَّ بَنُو سَاسَانَ بِأَوْرَاءِ النَّهْرِ وَبَنُو حَمْدَانَ بِالتَّوَصُّلِ وَالشَّامِ وَبَنُو طُولُونَ بِبِضْرٍ وَكَمَا وَقَعَ بِالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَاقْتَدَقَ مُلْكُهَا فِي الطَّوَائِفِ الَّذِينَ كَانُوا وَلَاتَهَا فِي الْأَعْمَالِ وَأَنْقَسَتِ دَوْلَا وَمُلُوكًا أَوْرَثُوهَا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ قَرَابَتِهِمْ أَوْ مَوَالِيهِمْ وَهَذَا النَّوعُ لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ حَرْبًا لِأَنَّهُمْ مُسْتَبْرُونَ فِي رِئَاسَتِهِمْ وَلَا يَطْمَعُونَ فِي الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ بِحَرْبٍ وَإِنَّمَا الدَّوْلَةُ أَدْرَكَهَا الْهَرَمُ وَتَقَلَّصَ ظِلْمُهَا عَنْ الْقَاصِيَةِ وَعَجَزَتْ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا وَالنَّوعُ الثَّانِي بِأَنْ يَخْرُجَ عَلَى الدَّوْلَةِ خَارِجٌ يَمْنُ بِجَاوِرِهَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ إِمَّا بِدَفْعَةِ قُوَّةٍ يَحْمِلُ النَّاسُ عَلَيْهَا كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ أَوْ يَكُونُ صَاحِبُ شُرْكَاءٍ وَعَصِيَّةٍ كَبِيرًا فِي قَوْمِهِ قَدْ اسْتَفْعَلَ أَمْرُهُ فَيَسْمُو بِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَقَدْ حَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْإِعْزَازِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَمَا تَوَلَّى بِهَا مِنَ الْهَرَمِ فَيَتَعَيَّنُ لَهُ وَلِقَوْمِهِ الْإِسْتِيلَاءُ عَلَيْهَا وَيُمَارِسُونَهَا بِالْمُطَالَبَةِ إِلَى أَنْ يَظْهَرُوا بِهَا وَيُزْنُونَ <sup>(١)</sup> كَمَا يَتَّبِعِينَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزه  
قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الدُّوَلِ الْخَالِدَةَ الْمُسْتَجِدَّةَ نَوْعَانِ نَوْعٌ مِنْ وِلَايَةِ الْأَطْرَافِ إِذَا تَقَلَّصَ ظِلْمُ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ وَأَنْحَسَرَ تَيَّارُهَا وَهُوْلَاءُ لَا يَقَعُ مِنْهُمْ مُطَالَبَةُ الدَّوْلَةِ فِي الْأَكْثَرِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ لِأَنَّ قُصَارَاهُمْ الْقُتُوعُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَهُوَ نِهَايَةُ قُوَّتِهِمْ وَالنَّوعُ الثَّانِي نَوْعٌ

(١) قوله وزنون وفي نسخة ورفون من الرفو بالراء والفاء . اهـ



الدُّعَاةُ وَالْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ وَهَوْلَاءُ لَا يُدْلَهُمْ مِنَ الْمَطَالِبَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُمْ وَافِيَةٌ بِإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
إِنَّمَا يَكُونُ فِي نَصَابٍ يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْإِعْتِرَازِ مَا هُوَ كُفَاءٌ ذَلِكَ وَوَافٍ بِهِ  
فَيَقَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ حُرُوبٌ سَجَالٌ تَتَكَرَّرُ وَتَتَّصِلُ إِلَى أَنْ يَقَعَ لَهُمْ  
الْإِسْتِيلَاءُ وَالظَّفَرُ بِالْمَلُوبِ وَلَا يَحْتَمِلُ لَهُمْ فِي الْغَالِبِ ظَفَرُ الْمَنَاجِزَةِ وَالسَّبَبُ فِي  
ذَلِكَ أَنَّ الظَّفَرَ فِي الْحُرُوبِ إِنَّمَا يَقَعُ كَمَا قَدَّمَاهُ بِأُمُورٍ نَفْسَانِيَّةٍ وَهَيْئَةٍ وَإِنْ كَانَ  
الْعَدَدُ وَالسِّلَاحُ وَبَصْدَقُ الْبِتَالِ كَفِيلًا بِهِ لَكِنَّهُ قَاصِرٌ مَعَ تِلْكَ الْأُمُورِ الْوَهْمِيَّةِ كَمَا  
مَرَّ وَلِذَلِكَ كَانَ الْخِدَاعُ مِنْ أَرْفَعِ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْحَرْبِ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الظَّفَرُ بِهِ وَفِي  
الْخُدَيْثِ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ قَدْ صَدَّتِ الْعَوَائِدُ الْمَالُوفَةُ طَاعَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ  
وَاجِبَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَتَكْثُرُ بِذَلِكَ الْعَوَائِقُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ  
وَيَكْثُرُ مِنْ هِمِّ أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِ شُوكَتِهِ وَإِنْ كَانَ الْأَقْرَبُونَ مِنْ بَطَانَتِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي  
طَاعَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ إِلَّا أَنَّ الْآخَرِينَ أَكْثَرُ وَقَدْ دَاخَلَهُمُ الْفُشْلُ بِتِلْكَ الْعَقَائِدِ فِي السَّلِيمِ  
الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَيَحْتَمِلُ بَعْضُ الْفُتُورِ مِنْهُمْ وَلَا يَكَادُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يَرْجِعُ  
إِلَى الصَّبْرِ وَالْمُطَاوَلَةِ حَتَّى يَتَّضِحَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَتَضْمَحِلَّ عَقَائِدُ السَّلِيمِ لَهَا  
مِنْ قَوْمِهِ وَتَتَلَبَّثَ مِنْهُمْ الْهَمُّ لِصِدْقِ الْمَطَالِبَةِ مَعَهُ فَيَقَعُ الظَّفَرُ وَالْإِسْتِيلَاءُ وَأَيْضًا  
فَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ كَثِيرَةُ الرِّزْقِ بِمَا اسْتَحْكَمَ لَهُمْ مِنَ الْمَالِكِ وَتَوَسَّعَ مِنَ النِّعَمِ  
وَاللَّذَاتِ وَأَخْطَصُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ فَيَكْثُرُ عِنْدَهُمْ ارْتِبَاطُ الْحَيُولِ  
وَأَسْتِجَادَةُ الْأَسْلِحَةِ وَتَعْظُمُ فِيهِمُ الْأَبْهَةُ الْمُلْكِيَّةُ وَيَفِيضُ الْعَطَاءُ بَيْنَهُمْ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
أَخْتِيَارًا وَأَضْطِرَارًا فَيُزْهِبُونَ بِذَلِكَ شُكْلَهُ عَدُوَّهُمْ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ بِمَغْرُلٍ عَنْ  
ذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَحْوَالِ الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ فَيَسْبِقُ إِلَى قُلُوبِهِمْ أَوْهَامُ  
الرَّعْبِ بِمَا يَلْمُتُهُمْ مِنْ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَيُخْرِمُونَ عَنْ قِتَالِهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
فَيَصِيرُ أَمْرُهُمْ إِلَى الْمُطَاوَلَةِ حَتَّى تَأْخُذَ الْمُسْتَقَرَّةُ مَاخُذَهَا مِنَ الْهَرَمِ وَيَسْتَحْكِمَ  
الْخُلُقُ فِيهَا فِي الْعَصِيَّةِ وَالْجَبَايَةِ فَيَنْتَهِرُ حِينَئِذٍ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ فُرْصَتَهُ فِي  
الْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا بَعْدَ حِينَ مُنْذُ الْمَطَالِبَةِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَأَيْضًا فَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ  
كُلُّهُمْ مُبَايِنُونَ الدَّوْلَةَ الْمُسْتَقَرَّةَ بِأَنْسَابِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَفِي سَائِرِ مَنَاجِيهِمْ ثُمَّ هُمْ مُفَاخِرُونَ  
لَهُمْ وَمُنَابِذُونَ بِمَا وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبَةِ وَبِطَمَعِهِمْ فِي الْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ فَتَمَكَّنَ

الْمُبَاعَدَةُ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ سِرًّا وَجَهْرًا وَلَا يَصِلُ إِلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ خَبْرٌ عَنْ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يُصَيِّبُونَ مِنْهُ غُرَّةً <sup>(١)</sup> بَاطِنًا وَظَاهِرًا لَا تَقْطَعُ الْمُدَاخَلَةُ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ  
 فَيَقِيمُونَ عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَهُمْ فِي إِحْجَامٍ وَيَنْكِأُونَ عَنِ الْمُنَاجَزَةِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِزَوَالِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَفَنَاءِ عُمْرِهَا وَوُقُورِ الْخُلُقِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَاتَّضَحَ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ  
 الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ مَا كَانَ يَخْفَى مِنْهُمْ مِنْ هَرَمِهَا وَتَلَاشِيهَا وَقَدْ عَظُمَتْ قُوَّتُهُمْ بِمَا اقْتَطَعُوهُ  
 مِنْ أَعْمَالِهَا وَنَقَصُوهُ مِنْ أَطْرَافِهَا فَتَنَبَّهَتْ مِنْهُمْ يَدًا وَاحِدَةً لِلْمُنَاجَزَةِ وَيَذْهَبُ مَا كَانَ  
 بُثًّا فِي عَزَائِبِهِمْ مِنَ التَّوَهُّمَاتِ وَتَنْتَهِي الْمُطَاوَلَةُ إِلَى حَدِّهَا وَيَقَعُ الْإِسْتِيلَاءُ آخِرًا  
 بِالْمُعَاجَلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ ظَهَرَتْهَا حِينَ قَامَ الشَّيْعَةُ بِخُرَاسَانَ  
 بَعْدَ اتِّعَادِ الدَّعْوَةِ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْمُطَالَبَةِ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ تَرِيدُ وَحِينَئِذٍ تَمَّ لَهُمُ الظَّفَرُ  
 وَاسْتَوْلُوا عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَذَا الْعُلَوِيَّةُ بِطَبَرِستانَ عِنْدَ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ فِي الدَّيْلَمِ  
 كَيْفَ كَانَتْ مُطَاوَلَتُهُمْ حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ثُمَّ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْعُلَوِيَّةِ وَسَمَّا  
 الدَّيْلَمِ إِلَى مُلْكِ قَارِسَ وَالْعِرَاقَيْنِ فَكَثُرُوا سِنِينَ كَثِيرَةً يُطَاوِلُونَ حَتَّى اقْتَطَعُوا  
 أَصْبَهَانَ ثُمَّ اسْتَوْلُوا عَلَى الْخُلِيفَةِ بِبَغْدَادَ وَكَذَا الْعَيْدِيُّونَ أَقَامَ دَاعِيَتُهُمْ بِالْمَغْرِبِ  
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ بَنِي كُتَّامَةَ مِنْ قَبَائِلِ الْبَرْبَرِ عَشْرَ سِنِينَ وَيَزِيدُ يُطَاوِلُ بَنِي الْأَغْلَبِ  
 بِأَفْرِيقِيَّةَ حَتَّى ظَفِرَ بِهِمْ وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ وَسَمُوا إِلَى مُلْكِ مِصْرَ فَكَثُرُوا  
 ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا فِي طَلَبِهَا يُجَوِّزُونَ إِلَيْهَا الْعَسَاكِرَ وَالْأَسَاطِيلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَجِيءُ  
 الْمَدَدُ لِمُدَافَعَتِهِمْ يَرَأَى وَبَجَرًا مِنْ بَغْدَادَ وَالشَّامِ وَمَلَكُوا الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَالْقَيْومَ  
 وَالصَّعِيدَ وَتَحَطَّتْ دَعْوَتُهُمْ مِنْ هُنَالِكَ إِلَى الْخِجَارِ وَأُقِيمَتْ بِالْحَرَمَيْنِ ثُمَّ نَازَلَ قَائِدُهُمْ  
 جَوْهَرُ الْكَاتِبِ بِعَسَاكِرِهِ مَدِينَةَ مِصْرَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَاقْتَلَعَ دَوْلَةَ بَنِي طَنْحٍ مِنْ أَصُولِهَا  
 وَاخْتَطَّ الْقَاهِرَةَ فَجَاءَ الْخُلِيفَةُ بَعْدَ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ فَتَرَاهَا لِسِتِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا مُنْذُ  
 اسْتِيلَائِهِمْ عَلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَكَذَا السَّالْجُوقِيَّةُ مُلُوكُ التُّرْكِ لَمَّا اسْتَوْلُوا عَلَى بَنِي سَاسَانَ  
 وَأَجَازُوا مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ مَكْثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُطَاوِلُونَ بَنِي سَبْكَشْكِينَ بِخُرَاسَانَ  
 حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى دَوْلَتِهِ ثُمَّ زَحَفُوا إِلَى بَغْدَادَ فَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا وَعَلَى الْخُلِيفَةِ بِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ  
 مِنَ الدَّهْرِ وَكَذَا التَّتَرُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَرَجُوا مِنَ الْمَغَازَةِ عَامَ سَبْعَةِ عَشَرَ وَسِتِّمِائَةٍ فَلَمْ  
 يَتِمَّ لَهُمُ الْإِسْتِيلَاءُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَذَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ خَرَجَ بِهِ الْمُرَابِطُونَ مِنْ

(١) قوله غرة بكسر الهمزة أي غفلة



لِمَثُونَةٍ عَلَى مُلُوكِهِ مِنْ مَغْرَاوَةٍ فَطَاوَلُوهُمْ سِنِينَ ثُمَّ اسْتَوْلُوا عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ الْمُوَحِّدُونَ  
بَدْعَوْتِهِمْ عَلَى لِمَثُونَةٍ فَمَكَّثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُعَارِبُونَهُمْ حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى  
كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشٍ وَكَذَا بَنُو مُرَيْنَ مِنْ زَنَاتَةٍ خَرَجُوا عَلَى الْمُوَحِّدِينَ فَمَكَّثُوا يُطَاوِلُونَهُمْ  
نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَاسْتَوْلُوا عَلَى فَاسَ وَأَقْطَطُورَهَا وَأَعْمَالَهَا مِنْ مُلْكِهِمْ ثُمَّ أَقَامُوا  
فِي مُخَارِبَتِهِمْ ثَلَاثِينَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشٍ حَسَبًا نَذَرُ ذَلِكَ  
كُلَّهُ فِي تَوَارِيخِ هَذِهِ الدُّوَلِ فَهَكَذَا حَالُ الدُّوَلِ الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي الْمَطَاوِلَةِ  
وَالْمَطَاوِلَةِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي  
الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَيْفَ كَانَ اسْتِيلَاؤُهُمْ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ لثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ مِنْ  
وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مُعْجَزَةً مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا  
سَرُّهَا أَسْرَآتُ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ اسْتِعْمَادًا بِالْإِيمَانِ وَمَا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ  
عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّعْبِ وَالتَّخَاذُلِ فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ الْمَقْرَّرَةِ فِي مَطَاوِلَةِ الدُّوَلِ  
الْمُسْتَجِدَّةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِقًا فَهُوَ مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
الْمُتَعَارِفِ ظُهُورُهَا فِي أَلِيلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُعْجَزَاتُ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ وَلَا  
يَعْتَرِضُ بِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخمسون

في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات  
إِعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ فِيمَا سَلَفَ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ  
فِي مَلَكَتِهَا وَالْإِعْتِدَالِ فِي إِيَالَتِهَا إِمَّا مِنْ الدِّينِ إِنْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ دِينِيَّةً أَوْ مِنْ  
الْمُكَارَمَةِ وَالْمُخَاسَنَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْبِدَاوَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلدُّوَلِ وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَكَةُ  
رَفِيقَةً مُحْسِنَةً انْبَسَطَتْ أَمَالُ الرُّعَايَا وَانْتَشَطُوا لِلْعُمَرَانِ وَأَسْبَابِهِ فَتَوَفَّرَ وَيَكْثُرُ التَّسَاسُلُ  
وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ بَعْدَ جِيلٍ أَوْ جِيلَيْنِ فِي الْأَقْلِ وَفِي  
انْقِضَاءِ الْجِيلَيْنِ تُشْرِفُ الدَّوْلَةُ عَلَى نِهَآيَةِ عُمرِهَا الطَّبِيعِيِّ فَيَكُونُ حِينُئِذٍ الْعُمَرَانُ فِي  
غَايَةِ الْوُفُورِ وَالنَّمَاءِ وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ أَوَاخِرَ الدَّوْلَةِ يَكُونُ فِيهَا الْإِجْحَافُ  
بِالرُّعَايَا وَسُوءُ الْمَلَكََةِ فَذَلِكَ صَحِيحٌ وَلَا يُعَارِضُ مَا قُلْنَا لِأَنَّ الْإِجْحَافَ وَإِنْ حَدَثَ  
حِينَئِذٍ وَقَلَّتِ الْجَبَايَاتُ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي تَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ بَعْدَ حِينٍ مِنْ أَجْلِ التَّدْرِيجِ

فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْمَجَاعَاتِ وَالْمَوْتَانِ تَكْثُرُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدُّوَلِ  
 وَالسَّبَبُ فِيهِ إِمَّا الْمَجَاعَاتُ فَيَقْبُضُ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْقَلْعِ فِي الْأَكْثَرِ بِسَبَبِ مَا يَقَعُ  
 فِي آخِرِ الدُّوَلَةِ مِنَ الْعُدُونِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْحَيَاتِ أَوْ الْفِتَنِ الْوَاقِعَةِ فِي انْتِقَاصِ الرِّعَايَا  
 وَكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ إِدْرِمَ الدُّوَلَةَ فَيَقِلُّ احْتِكَارُ الزَّرْعِ غَالِبًا وَلَيْسَ صِلَاحُ الزَّرْعِ وَتَمَرُّهُ  
 بِمُسْتَشِيرِ الْوُجُودِ وَلَا عَلَى وَتِدَةٍ وَاحِدَةٍ فَطَبِيعَةُ الْعَالَمِ فِي كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقِلَّتِهَا مُخْتَلِفَةٌ  
 وَالْمَطَرُ يَقْوَى وَيَضَعُفُ وَيَقِلُّ وَيَكْثُرُ وَالزَّرْعُ وَالشِّتَارُ وَالضَّرْعُ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَّا أَنْ  
 النَّاسَ وَائْتِقُونَ فِي أَقْوَاتِهِمْ بِالْإِحْتِكَارِ فَإِذَا قُتِدَ الْإِحْتِكَارُ عَظُمَ تَوَقُّعُ النَّاسِ لِلْمَجَاعَاتِ  
 فَقَلَّ الزَّرْعُ وَعَجَزَ عَنْهُ أُولُو الْخِصَاصَةِ فَهَلَكُوا وَكَانَ بَعْضُ السَّنَوَاتِ الْإِحْتِكَارُ مَقْشُودًا  
 فَشَمَلَ النَّاسَ الْجُوعُ وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَوْتَانِ فَلَهَا أَسْبَابٌ مِنْ كَثْرَةِ الْمَجَاعَاتِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ  
 أَوْ كَثْرَةِ الْفِتَنِ لِإِخْتِلَالِ الدُّوَلَةِ فَيَكْثُرُ الْهَرَجُ وَالْقَتْلُ أَوْ وَقُوعُ الْوَبَاءِ وَسَبَبُهُ فِي  
 الْغَالِبِ فَسَادُ الْهَوَاءِ بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ لِكَثْرَةِ مَا يُحَالِطُهُ مِنَ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ  
 وَإِذَا فَسَدَ الْهَوَاءُ وَهُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَمُلَابِسُهُ دَائِمًا فَيَسْرِي الْفَسَادُ إِلَى  
 مَزَاجِهِ فَإِذَا كَانَ الْفَسَادُ قَرِيبًا وَقَعَ التَّرَضُّ فِي الرِّثَّةِ وَهَذِهِ هِيَ الطَّوَاعِينُ وَأَمْرَاضُهَا  
 مَخْصُوصَةٌ بِالرِّثَّةِ وَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ دُونَ الْقَوِيِّ وَالْكَثِيرِ فَيَكْثُرُ الْعَفَنُ وَيَتَضَاعَفُ  
 فَتَكْثُرُ الْحُمَيَاتُ فِي الْأَمْرَجَةِ وَتَمْرَضُ الْأَبْدَانُ وَتَهْلِكُ وَسَبَبُ كَثْرَةِ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ  
 الْفَاسِدَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ كَثْرَةُ الْعُمَرَانِ وَوُفُورُهُ آخِرَ الدُّوَلَةِ لَمَّا كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مِنْ حُسْنِ  
 الْمَلَكَةِ وَرِفَّتِهَا وَقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَلِهَذَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ  
 تَحُلَّ الْخَلَاءِ وَالْقَفَرَيْنِ الْعُمَرَانِ ضَرُورِيٌّ لِيَكُونَ تَمَرُّجُ الْهَوَاءِ يَذْهَبُ بِمَا يَحْصُلُ فِي  
 الْهَوَاءِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْعَفَنِ بِمُحَالِطَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَيَأْتِي بِالْهَوَاءِ الصَّحِيحِ وَلِهَذَا أَيْضًا فَإِنْ  
 الْمَوْتَانِ يَكُونُ فِي الْمُدُنِ الْمُتَوَفُّورَةِ الْعُمَرَانِ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهَا بِكَثِيرٍ كِمَصْرَ بِالْمَشْرِقِ  
 وَقَاسَ بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الحادي والخمسون

فِي أَنَّ الْعُمَرَانَ الْبَشَرِيَّ لَا يَدُلُّهُ مِنْ سِيَاسَةِ يَتَنَظَّمُ بِهَا أَمْرُهُ  
 إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْإِجْتِمَاعَ لِلْبَشَرِ ضَرُورِيٌّ وَهُوَ مَعْنَى  
 الْعُمَرَانِ الَّذِي نَتَكَلَّمُ فِيهِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُمْ فِي الْإِجْتِمَاعِ مِنْ وَازِعٍ حَاكِمٍ يَرْجِعُونَ



إِلَيْهِ وَحُكْمُهُ فِيهِمْ تَلَدَةً يَكُونُ مُسْتَقْدًا إِلَى شَرْعٍ مُتَدَلٍّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُرْجَبُ أَنْتِيَادُهُمْ  
إِلَيْهِ إِنَّا نُهُمْ بِالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُبْلَغُهُ وَتَلَدَةً إِلَى سِيَاسَةِ عَقْلِيَّةٍ يُرْجَبُ  
أَنْتِيَادُهُمْ إِلَيْهَا مَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ ثَوَابِ ذَلِكَ أَحْكَامٍ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَالِحِهِمْ وَأَوَّلَى  
يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِيُطْلَمَ الشَّارِعُ بِالْمَصَالِحِ فِي الْعَاقِبَةِ وَلِإِعْرَاقِهِ نَجَاةَ  
الْعِبَادِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّانِيَةُ إِنَّمَا يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا فَقَطْ وَمَا تَسْمَعُهُ مِنَ السِّيَاسَةِ  
الْمَدِينِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ  
وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ فِي نَفْسِهِ . وَخُلِقَ حَتَّى يَسْتَقْنُوا عَنْ الْحُكْمِ رَأْسًا  
وَيُسَوِّنَ الْمُجْتَمَعُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ مَا يُسَمَّى مِنْ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ وَالْقَوَائِنِ  
الْمُرَاعَاةِ فِي ذَلِكَ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدِينِيَّةِ وَلَيْسَ مُرَادُهُمُ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَجْعَلُ عَلَيْهَا أَهْلُ  
الْإِجْتِمَاعِ بِالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ غَيْرُ تِلْكَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ الْفَاضِلَةُ عِنْدَهُمْ نَادِرَةٌ أَوْ  
بَعِيدَةٌ الْوُقُوعِ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهَا عَلَى جِهَةِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ ثُمَّ إِنَّ السِّيَاسَةَ الْعَقْلِيَّةَ  
الَّتِي قَدَّمَناها تَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يُرَاعَى فِيهَا الْمَصَالِحُ عَلَى الْعُمُومِ وَالْمَصَالِحِ  
السُّلْطَانِ فِي اسْتِقَامَةِ مُلْكِهِ عَلَى الْخُصُوصِ وَهَذِهِ كَانَتْ سِيَاسَةَ الْفُرسِ وَهِيَ عَلَى جِهَةِ  
الْحِكْمَةِ وَقَدْ أَشْنَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي الْبَلَّةِ وَلِعَوْدِ الْخِلَافَةِ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ  
مَغْنِيَّةٌ عَنْهَا فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَأَحْكَامُ الْمُلْكِ مُنْدرَجَةٌ فِيهَا . الْوَجْهُ الثَّانِي  
أَنْ يُرَاعَى فِيهَا مَصْلَحَةُ السُّلْطَانِ وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْمُلْكُ مَعَ الْقَوْرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَتَكُونُ  
الْمَصَالِحُ الْعَامَّةُ فِي هَذِهِ تَبَعًا وَهَذِهِ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَجْعَلُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْإِجْتِمَاعِ الَّتِي لِسَائِرِ  
الْمُلُوكِ فِي الْعَالَمِ مِنْ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ يَجْرُونَ مِنْهَا عَلَى مَا تَقْضِيهِ  
الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِحَسَبِ جُهْدِهِمْ فَقَوَائِنُهَا إِذَا مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ وَآدَابٍ  
خَلْقِيَّةٍ وَقَوَائِنِ فِي الْإِجْتِمَاعِ طَبِيعِيَّةٍ وَأَشْيَاءٍ مِنْ مُرَاعَاةِ الشُّوْكَةِ وَالْحَصِيَّةِ ضَرُورِيَّةٍ  
وَالْإِقْتِدَاءِ فِيهَا بِالشَّرْعِ أَوَّلًا ثُمَّ الْحُكْمَاءِ فِي آدَابِهِمْ وَالْمُلُوكُ فِي سِيَرِهِمْ وَمِنْ أَحْسَنِ  
مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ وَأَوْدِعَ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لَنَا وَلِلَّاهِ  
الْمَأْمُونِ الرِّقَّةَ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ طَاهِرٌ كِتَابَهُ الْمَشُورَ عَهْدَ إِلَيْهِ  
فِيهِ وَوَصَاهُ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دَوْلَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنَ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُلُوكِيَّةِ وَحَثَّهُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّمِّ بِمَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ مَلِكٌ

وَلَا سُوقَةَ . وَنَصُّ الْكِتَابِ ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُدُودِهِ  
لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُرَاقَبَةِ سُخْطِهِ وَاحْذَرِ رَعِيَّتَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالْزَمْ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ  
مَوْسُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَيْعِصُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَجِّيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
عِقَابِهِ وَالْإِيمِ عَذَابِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ الرَّأْفَةَ عَلَيْكَ مِنْ أَسْرَافِكَ  
أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَالْزَمَكَ الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحُدُودِهِ عَلَيْهِمُ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالذَّفْعَ  
عَنْ حَرِيصِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحُشْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسُرْبِهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ  
وَمُؤَاخَذَكَ بِأَفْرِضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ وَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُثِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ  
فَخَرِّغْ لِذَلِكَ فَهَمَكَ وَعَمَلَكَ وَبَصَرَكَ وَلَا يُشْغِلَكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَإِنَّ رَأْسَ أَمْرِكَ وَمِمَّا  
شَأْنُكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقِفُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَيْسَ أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ بِهِ نَفْسَكَ وَتَنْسَبُ إِلَيْهِ فِعْلَكَ  
الْمُؤَاطَبَةَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَيْرِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ  
قَبْلَكَ وَتَوَاطُعِهَا عَلَى سُنَنِهَا مِنْ إِسْبَاحِ الْوُضُوءِ لَهَا وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا وَرَتْلِ  
فِي قِرَاءَتِكَ وَتَمَكُّنٍ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهُدِكَ وَلِتَصْرِفَ فِيهِ رَأْيَكَ وَنَيْتَكَ  
وَأَحْضُضَ عَلَيْهِ جَمَاعَةَ يَمَنٍ مَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ وَأَدَّابَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ثُمَّ اتَّبِعْ ذَلِكَ بِاتِّخَاذِ بَسْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَالْمُثَابَرَةِ عَلَى خَلَاتِقِهِ وَأَقْتِنَاءِ أَثَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ  
عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْوَاهُ وَبِلُزُومِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرِهِ  
وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَأَتَيْتَامِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ثُمَّ قُمْ فِيهِ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَسِيلَنَّ عَنِ الْعَدْلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقَرِيبٍ  
مِنَ النَّاسِ أَوْ لِبَعِيدٍ وَآثِرِ الْفَقْرَةَ وَأَهْلَهُ وَالْدِينَ وَحِمْلَتَهُ وَكِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَامِلِينَ  
بِهِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَرْتَّبُ بِهِ الْمَرْءُ الْفَقْرَةَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحُثُّ عَلَيْهِ وَالْمَعْرِفَةُ  
بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي  
عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُزَيِّنَاتِ كُلِّهَا وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَزْدَادُ الْمَرْءُ مَعْرِفَةً وَإِجْلَالًا  
لَهُ وَدَرَكًَا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ لِأَمْرِكَ وَالْهَيْبَةِ  
لِسُلْطَانِكَ وَالْأَنَسَةِ بِكَ وَالثِّقَةَ بِعَدْلِكَ وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ



تَفْعًا وَلَا أَحْصَ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقِيَامُ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْإِدَارِيَّةِ بِالْإِقْتِصَادِ وَكَذَا فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْأَجْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَمَالِمِ الرُّشْدِ وَالْإِيمَانَةِ وَالْإِسْتِكْنَارِ مِنَ الْبَرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ إِذَا كَانَ يُطْلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَافَقَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُوْرِثُ الْإِزَّ وَيُخَصِّصُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّكَ لَنْ تَحُوطَ نَفْسَكَ مِنْ قَائِلٍ وَلَا تَنْصَلِحَ أُمُورَكَ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ فَاتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَمَّ أُمُورَكَ وَتَرَدَّ مَقْدِرُكَ وَانْصَلِحْ دَامَتِكَ وَخَاصَّتِكَ وَأَحْسِنْ ظَنِّكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَتِمُ لَكَ رِعْيَتُكَ وَالتَّيَسُّرُ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَسْتَدِيمُ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَلَا تُشْهِمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيهَا تَوَلَّيْهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهْمِ بِالْبِرِّاءِ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بِهِمْ أَثْمٌ إِثْمٌ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَأَطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَرْقُضْ فِيهِمْ يُعْنِكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ وَرِيَاضَتِهِمْ وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْزِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ بِسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ مَا يُنْقِصُ لَذَاذَةَ عَيْنِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةً وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَلَا يَمْنَعُكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَالرَّأْفَةُ بِرِعْيَتِكَ أَنْ تَسْتَعْبِلَ الْمَسْئَلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَحَيَاطَةِ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَشَمْلَ مُؤُونَاتِهِمْ أَيْسَرُ عِنْدَكَ بِمَا سِوَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ أَقْوَمُ لِلدِّينِ وَأَحْيَا لِلسُّنَةِ وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا وَتَفَرَّدُ بِتَقْرِيمِ نَفْسِكَ تَفَرَّدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمَجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمُؤَاخَذٌ بِمَا أَسَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ وَأَسْلَكَ بِمَنْ تَسُوَّسُهُ وَتَوَكَّلَ تَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى وَأَقَامَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحْضَرَهُ وَلَا تُعْطِلَ ذَلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عُثُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَأَعْتَرِمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ لَكَ مُرُوتُكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ

كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رِعِيَّتِكَ وَتَشْدُدُ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ  
أَهْلَ النِّسِيَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآخِلِهَا تَقْرِيبُ الْكَذُوبِ وَالْجُرَاءَةِ  
عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَأْثِمِ وَالزُّورُ وَالنِّسِيَةُ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ النِّسِيَةَ لَا  
يَسْلُمُ صَاحِبُهَا وَقَائِلُهَا لَا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَمْرٌ وَأَحِبُّ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
وَالصِّدْقِ وَأَعِزَّ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ وَأَسِرِ الضُّعَفَاءِ وَصِلِ الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ  
تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ وَالتَّسِيسَ فِيهِ ثَوَابَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ  
وَأَصْرِفْ عَنْهُمَا رَأْيَكَ وَأَظْهِرْ بَرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ لِرِعِيَّتِكَ وَأَنْعِمِ بِالْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِمْ  
وَقُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ  
وَأَيِّرِ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ  
أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
وَأَخْلِصْ لِلَّهِ وَحْدَهُ التَّنِيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حَمَلَةِ  
النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعَمَ اللَّهِ وَاحْسَنَانَهُ  
وَأَسْتَطَالُوا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ وَلِتَكُنْ ذَخَائِرُكَ  
وَكُنُوزُكَ الَّتِي تَدَّخِرُ وَتَكْتُمُ الْإِلَهَ وَالْتَقْوَى وَاسْتِصْلَاحُ الرِّعِيَّةِ وَعِمَارَةُ بِلَادِهِمْ وَالتَّفَقُّدُ  
لِأُمُورِهِمْ وَالْحِفْظُ لِدِمَائِهِمْ وَالْإِغَاثَةُ لِمَلُوفِهِمْ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا اكْتَدَرَتْ وَادْخَرَتْ  
فِي الْخُرَابِئِ لَا تَنْبُو وَإِذَا كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْأَذْيَةِ  
عَنْهُمْ نَمَتْ وَزَكَّتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرْتَبَتْ بِهَا الرُّوَالِيَةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ وَاعْتَمَدَ  
فِيهَا الْعِزُّ وَالْمَنْفَعَةُ فَلْيَكُنْ كَثْرُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ  
وَوَقْرٍ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حُقُوقَهُمْ وَأَوْفِ مِنْ ذَلِكَ بِحَصَصِهِمْ وَتَعَهَّدْ مَا  
يَصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجِبْتَ الْمُرِيدَ  
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رِعِيَّتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ  
وَكَانَ الْجَمِيعُ لِمَا سَأَلْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا بِكُلِّ مَا  
أَرَدْتَ وَأَجْهَدَ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَدْتُ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلِيَعْظُمَ حَقُّكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ  
الْمَالِ مَا أَنْفَقْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ حَقَّهُمْ وَأَثْبِتْهُمْ عَلَيْهِ وَإِيَّاكَ أَنْ



تَنسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا هَوْلَ الْآخِرَةِ فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ فَإِنَّ التَّهَارُونَ يُورِثُ التَّغْرِيطَ  
وَالْتَّغْرِيطُ يُورِثُ الْبَوَارَ وَلَيْكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ غَزًّا وَجَلًّا وَأَرْجُ الثَّوَابَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ  
سَبَّحَانَهُ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ فَضْلَهُ وَأَعْتَصِمَ بِالشُّكْرِ وَعَلَيْهِ فَأَعْتَمِدْ بِرِذْكَ اللَّهُ خَيْرًا  
وَأِحْسَانًا فَإِنَّ اللَّهَ غَزًّا وَجَلًّا يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَأِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَلَا  
تَحْتَرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُتِمِّلَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْجَحَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا  
وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا وَلَا تُوَالِيَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًّا وَلَا تَحْمَدَنَّ  
مَرَائِيًّا وَلَا تُحْتَرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تُرَدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلَا تُحْسِنَنَّ بَاطِلًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْجِكًا  
وَلَا تُخْلِقَنَّ رَعْدًا وَلَا تَرْهَوْنَ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تُبَايِنَنَّ رَجَاءً وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا  
وَلَا تُفَرِّطَنَّ فِي طَلِبِ الْآخِرَةِ وَلَا تَرْفَعْ لِلشَّامِ عَيْنًا وَلَا تُغِيضَنَّ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ  
أَوْ مُكَابَهَةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَكْثِرْ مُشَاوَرَةَ الْفُقَهَاءِ وَاسْتَعِيزْ نَفْسَكَ  
بِالْحِلْمِ وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعُقُلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي  
مَشُورَتِكَ أَهْلَ الرِّقَّةِ وَالْبُخْلِ وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا فَإِنَّ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمْ  
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فَسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِيهِ أَمْرَ رَعِيَّتِكَ مِنَ الشَّيْءِ وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا  
كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ  
أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَعْقُدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرْكِ الْجُودِ  
عَلَيْهِمْ وَابْتَدَى مَنْ صَافَاكَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنَ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ وَاجْتَنِبْ  
الشَّيْءَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى الْإِنْسَانُ بِهِ رَبَّهُ وَإِنَّ الْعَاصِيَ بِعِزَّةِ خَيْرٍ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ  
غَزًّا وَجَلًّا وَمَنْ يُوقِ شَيْءَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ وَاجْعَلْ  
لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ فَيْتِكَ حَظًّا وَنَصيبًا وَأَيُّقِنْ أَنَّ الْجُودَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَأَعِدَّهُ لِنَفْسِكَ  
خَلْقًا وَارْضَ بِهِ عَمَلًا وَمَذْهَبًا وَتَفَقَّدِ الْجُنْدَ فِي دَوَائِبِهِمْ وَمَكَائِبِهِمْ وَأَدِرْ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ  
وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ يُذْهِبَ اللَّهُ غُرًّا وَجَلًّا بِذَلِكَ فَاقْتَهُمْ فَيَقْوَى لَكَ أَمْرُهُمْ وَتَرِيدَ  
قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَأَنْشِرَاحًا وَحَسْبُ ذِي السُّلْطَانِ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى جُنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ذَا رَحْمَةٍ فِي عَدْلِهِ وَحَيْطَةٍ وَإِنْصَافٍ وَعِنَايَةٍ وَشَفَقَةٍ وَبِرٍّ  
وَتَوْمَعَةٍ فَرَايِلَ مَكْرُوهَةِ أَحَدِ الْبَائِسِينَ بِاسْتِشْعَارِ فَضِيلَةِ الْبَابِ الْآخِرِ وَلِزُومِ الْعَمَلِ بِهِ  
تَلَوْا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَقَلَالًا وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّكَّانِ

الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنْ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي تَعَدَّلُ عَلَيْهِ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي  
الْأَرْضِ وَبِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ أَحْوَالُ الرِّعِيَّةِ وَتَأْمَنُ السُّبُلُ  
وَيَنْتَصِفُ الْمَظْلُومُ وَتَأْخُذُ النَّاسُ حُقُوقَهُمْ وَتَحْسُنُ الْمَعِيشَةُ وَيُؤَدَّى حَقُّ الطَّاعَةِ  
وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْعَالِيَةَ وَالسَّلَامَةَ وَيُعِيمُ الدِّينَ وَيَجْرِي السَّنُّ وَالشَّرَائِعُ فِي مَجَارِيهَا وَتَشْتَدُّ  
فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَرَّعُ عَنِ التَّطَفُّعِ وَآمُرُ بِإِقَامَةِ الْخُدُودِ وَأَقِلَّ الْعَجَلَةَ وَابْعُدْ  
عَنِ الصَّجَرِ وَالْعَلَقِ وَأَقْعُ بِالنِّسَمِ وَأَنْتَفِعْ بِتَجَرِبَتِكَ وَأَنْتَبِهْ فِي صَمَتِكَ وَأَسَدِّدْ فِي مَنْطِقِكَ  
وَأَنْصِفِ الْخَصْمَ وَقِفْ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَأَبْلِغْ فِي الْحِجَّةِ وَلَا يَأْخُذَكَ فِي أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ  
مُعَابَاةٌ وَلَا مُجَامَلَةٌ وَلَا لَوْمَةٌ لِأَنَّهُمْ وَثَقَتْ وَتَأَنَّ وَرَاقِبْ وَأَنْظُرْ وَتَفَكَّرْ وَتَدَبَّرْ وَأَعْتَبِرْ  
وَتَوَاضِعْ لِرَبِّكَ وَارْفِقْ بِجَمِيعِ الرِّعِيَّةِ وَسَلِّطِ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى سَفْكَ  
دَمٍ فَإِنَّ الدِّمَاءَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ عَظِيمٍ أَنْتَهَا كَأَلْهَا يَغْيِرُ حَقُّهَا وَأَنْظُرْ هَذَا  
الْخَرَجَ الَّذِي اسْتَقَامَتْ عَلَيْهِ الرِّعِيَّةُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا وَرِفْعَةً وَلِأَهْلِهِ  
تَوْسِعَةً وَمِنْعَةً وَلِعَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ كِتَابًا وَغَيْظًا وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ مُعَادِيهِمْ ذُلًّا وَصَغَارًا  
فَوَزَعَهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالنُّسُوبِ وَالْعُيُومِ وَلَا تَدْفَعَنَّ شَيْئًا مِنْهُ عَنْ شَرِيفٍ  
لِشَرَفِهِ وَلَا عَنْ غَنِيِّ لِعِغْنَاهُ وَلَا عَنْ كَاتِبٍ لَكَ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ وَلَا حَاشِيَتِكَ وَلَا  
تَأْخُذَنَّ مِنْهُ فَوْقَ الْإِحْتِمَالِ وَلَا تُكَلِّفْ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ وَأَحْمِلِ النَّاسَ كُلَّهُمْ  
عَلَى أَمْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ لَأَنْفُسِهِمْ وَأَلْزَمُ لِرِضَاءِ الْعَامَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ  
خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَّتُهُمْ فَخُذْ  
مِنْهُمْ مَا أُعْطَاكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَنَفَقَتِهِ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ وَاسْتَعْمِلْ  
عَلَيْهِمْ أُولِي الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ وَوَسِّعْ  
عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْحَقُوقِ الْإِلَازِمَةِ لَكَ فِيهَا تَقَلَّدْتَ وَأُسْنِدَ إِلَيْكَ فَلَا  
يُشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ فَإِنَّكَ مَتَى ارْتَبَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ  
اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ وَاجْتَرَدْتَ بِهِ  
الْمَحَبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتْ عَلَى الصَّلَاحِ فَدَرَّتِ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ  
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخَضِبُ فِي كُورِكَ وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى  
ارْتِيَاضِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ



مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة  
فنافس في ذلك ولا تقدم عليه شيئاً تحمد عاقبة أمرك إن شاء الله تعالى وأجل في  
كل كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم  
حتى كأنك مع كل عامل في عمله معين لأمره كلها فإن أردت أن تأمرهم بأمر  
فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه  
حسن الدفاع والصنع فامض به وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ  
فيه عدته فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقدره وآتاه على ما يهوى فأغواه ذلك وأعجبه  
فإن لم ينظر في عواقب أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت  
وبأسره بعد عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك  
وأفرغ من عمل يومك ولا تؤخره لعدك وأكثر مبادرته بنفسك فإن للعد أموراً وحواشي  
تلهيك عن عمل يومك الذي آخرت وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه وإذا  
آخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فينقلك ذلك حتى تمرض منه وإذا أمضيت  
لكل يوم عمله أرحت بدنك ونفسك وجمعت أمر سلطانك وانظر أحرار الناس  
وذوي المنطل منهم بمن بلوت صفاء طوبيتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم  
بالضح والمحافظة على أمرك فاستخاعهم وأحسن إليهم وتعاهد أهل البيوت بمن  
قد دخلت عليهم الحاجة وأحسب مؤونتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخطيئهم مسأً  
وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك  
والمحتقر الذي لا علم له يطلب حقه فسل عنه أحق مسألة ووكل بأمثاله أهل الصلاح  
من رعييتك وأمرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك لتتصرف فيما يصلاح الله به أمرهم  
وتعاهد ذوي البأساء وأيتامهم وأراملهم وأجل لهم أرزاقاً من بيت المال أقيدها  
بأمر المؤمنين أعزه الله تعالى في العطف عليهم والصله لهم ليصلح الله بذلك  
عيشهم ويوزقك به بركة وزيادة وأجر للأضراء من بيت المال وقدم حكمة القرآن  
منهم والخافطين لا كثر في البراية على غيرهم وأنصب لمرضى المسلمين دوراً  
تأويهم وقواماً يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسيفهم يشعروا بهم ما لم يؤد  
ذلك إلى إسراف في بيت المال وأعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم

لَمْ يُرِضِهِمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَطِيبْ أَنْفُسَهُمْ دُونَ رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى وُلاَتِهِمْ مَلْتَمَعًا فِي نَيْلِ  
الرِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرِّفْقِ مِنْهُمْ وَرَبِّمَا تَبَرَّمِ الْمُتَصَفِّحُ لِأُمُورِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ  
وَيُشْغِلُ فِكْرَهُ وَذِهْنَهُ فِيهَا مَا يَنَالُهُ بِهِ مِنْ مَوْثِقَةٍ وَلَيْسَ مَنْ يَرْغَبُ فِي الْعَدْلِ  
وَيَعْرِفُ مَخَاسِنَ أُمُورِهِ فِي الْعَاجِلِ وَفَضْلَ ثَوَابِ الْآجِلِ كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى  
اللَّهِ تَعَالَى وَيَلْتَمِسُ رَحْمَتَهُ وَأَكْثَرُ الْإِذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ وَأَبْرَزُ لَهُمْ وَجْهَكَ وَسَكَنَ  
لَهُمْ حَوَاسِكَ وَأَخْفَضَ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ بِشْرَكَ وَلِنْ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالنُّطْقِ  
وَأَعْطَفَ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَإِذَا أَعْطَيْتَ فَأَعْطِ بِسَمَاحَةٍ وَطِيبِ نَفْسٍ وَالْإِمَاسِ  
لِلصَّيِّغَةِ وَالْأَجْرِ مِنْ غَيْرِ تَكْدِيرٍ وَلَا أَمْتَانٍ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى ذَلِكَ تِجَارَةٌ مُرَبِّحَةٌ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ  
وَالرِّئَاسَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ ثُمَّ اعْتَصِمْ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَحَبَّتِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَنِهِ وَبِإِقَامَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاجْتَنِبْ  
مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى سُخْطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَّالَكَ مِنْ  
الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعُ رَمَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا وَأَكْثَرُ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ  
وَمُشَارَرَتِهِمْ وَمُعَاظَمَتِهِمْ وَلَيْكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِثَارُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ  
وَمَعَالِيهَا وَلَيْكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْنًا فِيكَ لَمْ تَنْفَعْ  
هَيْئَتِكَ عَنْ إِنِّهَا ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي بِشْرِكَ وَإِعْلَانِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّصْرِ فَإِنَّ أَوْلِيكَ أَنْصَحَ  
أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ وَأَنْظُرْ عُمَّالَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكِتَابِكَ فَوْقَ كُلِّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ  
عَمَّالِكَ وَأُمُورِ الدَّوَاةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورَدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ  
وَعَمَلَكَ وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحُزْمِ فَأَهْضِهِ وَاسْتَخِرْ  
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ فَأَصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْئَلَةِ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتِ فِيهِ وَلَا تَمْتَنِ  
عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفٍ تُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ  
وَالْعَوْنَ فِي أُمُورِ أُمِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ وَتَقْتَهُمْ كِتَابِي  
إِلَيْكَ وَأَنْعِمِ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِكَ وَاسْتَخِرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الصَّالِحِ وَأَهْلِهِ وَلَيْكُنْ أَنْظَمُ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلُ رَعِيَّتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ



وَجَلَّ رِضَى وَلَدَيْنِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا وَلِلَّيْلَةِ وَالذِّمَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا وَأَنَا  
 أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحَسِّنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ وَرُشْدَكَ وَكَلَاءَتَكَ وَالسَّلَامُ . وَحَدَّثَ الْإِنْخَبَارِيُّونَ  
 أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا ظَهَرَ وَشَاعَ أَمْرُهُ أَتَتْ بِهِ النَّاسُ وَأَتَّصَلَ بِالْمُتَأَمِّمِينَ فَلَمَّا قُرِئَ  
 عَلَيْهِ قَالَ مَا أَبْقَى أَبُو الطَّيِّبِ يَغْنِي طَاهِرًا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَالْتَّذْيِيرِ وَالرَّأْيِ  
 وَالسِّيَاسَةِ وَصَلَاحِ الْمُلْكِ وَالرَّعِيَّةِ وَحِفْظِ السُّلْطَانِ وَطَاعَةِ الْخُلَفَاءِ وَتَقْوِيمِ الْخِلَافَةِ إِلَّا  
 وَقَدْ أَحْكَمَهُ وَأَوْصَى بِهِ ثُمَّ أَمَرَ الْمُتَأَمِّمُونَ فَكُتِبَ بِهِ إِلَى جَمِيعِ الْعُمَّالِ فِي التَّوَاجِي  
 لِيَقْتَدُوا بِهِ وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ هَذَا أَحْسَنُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والخمسون

في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك  
 إَعْلَمُ أَنَّ فِي الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى مَمَرِ الْأَعْصَارِ أَنَّهُ لَا بُدَّ  
 فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ ظُهُورِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُؤَيِّدُ الدِّينَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَتَّبِعُهُ  
 الْمُسْلِمُونَ وَيَسْتَوِلِي عَلَى الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَيُسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ وَيَكُونُ خُرُوجُ  
 الدَّجَالِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحِ عَلَى أَثَرِهِ وَأَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ مِنْ  
 بَعْدِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ أَوْ يَنْزِلُ مَعَهُ فَيُسَاعِدُهُ عَلَى قَتْلِهِ وَيَأْتُمُّ بِالْمَهْدِيِّ فِي صَلَاتِهِ وَيَعْتَجُونَ  
 فِي الشَّانِ بِأَحَادِيثَ خَرَّجَهَا الْأَثَمَةُ وَتَكَلَّمَ فِيهَا الْمُنْكَرُونَ لِذَلِكَ وَرَبَّنَا عَارِضُهَا  
 بَعْضُ الْأَنْبَارِ وَلِلْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الْفَاطِمِيِّ طَرِيقَةٌ أُخْرَى وَنَوْعٌ مِنْ  
 الْأَسْتِدْلَالِ وَرَبَّنَا يَعْتَبِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْكَشْفِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ طَرَائِقِهِمْ . وَنَحْنُ  
 الْآنَ نَذْكُرُ هُنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي هَذَا الشَّانِ وَمَا لِلْمُنْكَرِينَ فِيهَا مِنَ الْمَطَايِنِ  
 وَمَا لَهُمْ فِي إِنْكَارِهِمْ مِنَ الْمُسْتَنَدِ ثُمَّ نَتَّبِعُهُ بِذِكْرِ كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَرَأْيِهِمْ لِيَتَّبِعَنَّ  
 لِمَا الصَّحِيحُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَنَقُولُ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَثَمَةِ خَرَّجُوا أَحَادِيثَ  
 الْمَهْدِيِّ مِنْهُمْ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْبَزَازُ بْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ  
 وَأَسْنَدُوهَا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَطَلْحَةَ وَابْنَ  
 مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأُمِّ حُبَيْبَةَ وَأُمِّ سَأْمَةَ وَثَوْبَانَ وَقُرَّةَ  
 بِنِ إِيَّاسٍ وَعَلِيٍّ الْهَلَالِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَرَوْهٍ بِأَسَانِيدِ رَبَّنَا يُعَرِّضُ لَهَا

الْمُنْكَرُونَ كَمَا نَذَرَهُ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى  
 التَّعْدِيلِ فَإِذَا وَجَدْنَا طَعْنًا فِي بَعْضِ رِجَالِ الْأَسَانِيدِ بِغَفْلَةٍ أَوْ بِسُوءِ حِفْظٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ  
 سُوءِ رَأْيٍ تَطَرَّقَ ذَلِكَ إِلَى صَحَّةِ الْحَدِيثِ وَأَوْهَنَ مِنْهُمَا وَلَا تَقُولَنَّ مِثْلُ ذَلِكَ رَبَّنَا يَتَطَرَّقُ  
 إِلَى رِجَالِ الصَّحِيحِينَ فَإِنَّ الْإِجْمَاعَ قَدْ اتَّصَلَ فِي الْأُمَّةِ عَلَى تَلْقِيهِمَا بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ  
 بِمَا فِيهِمَا وَفِي الْإِجْمَاعِ أَكْثَرُ حَيَاةٍ وَأَحْسَنُ دَفْعًا وَلَيْسَ غَيْرُ الصَّحِيحِينَ بِمِثَابَتِهِمَا  
 فِي ذَلِكَ فَقَدْ تَجِدُ مَجَالًا لِلْكَلامِ فِي أَسَانِيدِهَا بِمَا نُقِلَ عَنْ أَيْمَنَةِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ .  
 وَلَقَدْ تَوَعَّلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَلَى مَا نُقِلَ السَّهْلِيُّ عَنْهُ فِي جَمْعِهِ لِلْأَحَادِيثِ  
 الْوَارِدَةِ فِي التَّهْدِيدِ فَقَالَ وَمِنْ أَغْرِبِهَا إِسْنَادًا مَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْكَافُ فِي قَوَائِدِ  
 الْأَخْبَارِ مُسْتَدًّا إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَذَبَ بِالتَّهْدِيدِ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ كَذَبَ بِالْإِسْكَافِ فَقَدْ كَذَبَ  
 وَقَالَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِثْلُ ذَلِكَ فِيمَا أَحْسِبُ وَحَسْبُكَ هَذَا غُلُوبًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِصَحَّةِ طَرِيقِهِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْإِسْكَافَ عِنْدَهُمْ مُتَّهَمٌ وَضَاعٌ .  
 وَأَمَّا التِّرْمِذِيُّ فَخَرَجَ هُوَ وَأَبُو دَاوُدَ بِسَنَدَيْهِمَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي  
 الْجُودِ أَحَدِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ إِلَى زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يَنْتَقِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ  
 رَجُلًا مِثِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِيهِ أَسْمُهُ أَسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ أَسْمُ أَبِي . هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ  
 وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ إِنَّ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ  
 وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِيهِ أَسْمُهُ أَسْمِي  
 وَفِي لَفْظٍ آخَرَ حَتَّى يَلِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَكَلَامُهُمَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَرَوَاهُ أَيْضًا  
 مِنْ طَرِيقٍ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ أَخْلَاكِي رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَزَائِدُهُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ  
 أَيْمَنَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَاصِمٍ قَالَ وَطَرَّقُ عَاصِمَ عَنْ زُرَّارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامًا صَحِيحَةً عَلَى  
 مَا أَصْلَتْهُ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ بِأَخْبَارِ عَاصِمٍ إِذْ هُوَ إِمَامٌ مِنْ أَيْمَنَةِ الْمُسْلِمِينَ (إِنْ تَهَيَّ) إِلَّا  
 أَنَّ عَاصِمًا قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا قَارِئًا لِلْقُرْآنِ خَيْرًا ثِقَةً وَالْأَعْمَشُ  
 أَحْظُ مِنْهُ وَكَانَ شُعْبَةُ يَخْتَارُ الْأَعْمَشَ عَلَيْهِ فِي تَثْبِيهِ الْحَدِيثِ وَقَالَ الْعِجْلِيُّ كَانَ يَخْتَلِفُ  
 عَلَيْهِ فِي زُرَّارٍ وَأَبِي وَإِنَّا يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ رِوَايَتِهِ عَنْهُمَا وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ



كَانَ ثَلَاثَةً إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ فِي حَدِيثِهِ اضْطَرَّابُ  
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قُلْتُ لِأَبِي إِنْ أَبَا ذَرْعَةَ يَقُولُ عَصِمَ ثَقَّةٌ فَقَالَ  
 لَيْسَ مَحَلُّهُ هَذَا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ ابْنُ عُثَيْمٍ فَقَالَ كُلُّ مَنْ أَسَمَهُ عَصِمَ سَيِّئُ الْخَلْقِ  
 وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ مَحَلُّهُ عِنْدِي مَحَلُّ الصِّدْقِ صَالِحُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْخَافِظِ  
 وَاخْتَلَفَ فِيهِ قَوْلُ النَّسَائِيِّ وَقَالَ ابْنُ حَرَّاشٍ فِي حَدِيثِهِ نَكِرَةٌ وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ  
 الْعَمَلِيُّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سُوءُ الْخَلْقِ وَقَالَ الدَّارُقُطْنِي فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ وَقَالَ يَحْيَى  
 الْقَطَّانُ مَا وَجَدْتُ رَجُلًا أَسَمَهُ عَصِمَ إِلَّا وَجَدْتُهُ رَدِيءَ الْخَلْقِ وَقَالَ أَيْضًا سَمِعْتُ  
 شُعْبَةَ يَقُولُ حَدَّثَنَا عَصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ وَفِي النَّاسِ مَا فِيهَا وَقَالَ الدَّهْلِيُّ ثَبَتَ فِي  
 الْقِرَاءَةِ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَإِنْ أَحْتَجَّ أَحَدٌ بِأَنَّ الشَّيْخَيْنِ أَخْرَجَا لَهُ فَتَقُولُ أَخْرَجَا لَهُ  
 مَقْرُونًا بغيرِهِ لَا أَصْلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ  
 رِوَايَةِ قُطْنِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي مُرَّةَ عَنْ أَبِي الطَّائِلِ عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا  
 عَدْلًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَقُطْنُ بْنُ خَلِيفَةَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى بْنُ الْقَطَّانِ وَابْنُ  
 مَعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ إِلَّا أَنَّ الْعَمَلِيَّ قَالَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَفِيهِ تَشْيِيعٌ قَلِيلٌ وَقَالَ ابْنُ  
 مَعِينٍ مَرَّةً ثَقَّةٌ شَيْعِيٌّ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ كُنَّا نَمُرُّ عَلَى قُطْنٍ وَهُوَ مَطْرُوحٌ  
 لَا نَكْتُشِبُ عَنْهُ وَقَالَ مَرَّةً كُنْتُ أَمُرُّ بِهِ وَأَدْعُهُ مِثْلَ الْكَلْبِ وَقَالَ الدَّارُقُطْنِي لَا يُحْتَجُّ  
 بِهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ مَا تَرَكْتُ الرِّوَايَةَ عَنْهُ إِلَّا لِسُوءِ مَذْهَبِهِ وَقَالَ الْجَرَّجَانِيُّ  
 زَائِعٌ غَيْرُ ثِقَةٍ أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَرْوَانَ  
 بْنِ الْغُبَيْرَةِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْأَنْصَارِيِّ  
 قَالَ قَالَ عَلِيٌّ وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ إِنْ أَبْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِأَسْمِ نِسَائِكُمْ يُشَبِّهُهُ فِي الْخُلُقِ وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي  
 الْخَلْقِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقَالَ هَارُونُ حَدَّثَنَا عُمرُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ  
 عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ عُمرٍ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْخَارِثُ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَنْصُورٌ يُوْطَى  
 أَوْ يُنَكَّنُ لِآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا مَكَّنْتُ قُرَيْشَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَّ

على كل مؤمن نصره أو قال إجابته سكت أبو داود عليه وقال في موضع آخر في  
هارون هو من ولد الشيعة وقال السليمان فيه نظر وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس  
لا بأس في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق له أوهام وأما أبو إسحاق الشيباني وإن  
خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت أنه اختلط آخر عمره وروايته عن علي بن منقطة  
وكذلك رواية أبي داود عن هارون بن المغيرة . وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه  
وهلال بن عمر مجهولان ولم يعرف أبو الحسن إلا من رواية مطرف بن طريف عنه  
أنتهى وخرج أبو داود أيضاً عن أم سلمة قالت سمعت في المستدرک من طريق علي  
بن زبير عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولفظ الحاكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يذكر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه بالصحيح ولا  
غيره وقد ضعفه أبو جعفر العجلي وقال لا يتابع علي بن زبير عليه ولا يعرف إلا به  
وخرج أبو داود أيضاً عن أم سلمة من رواية صالح أبي الخليل عن صاحب له عن  
أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً  
إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيأبى عنه بين الركن والقمام  
فيبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم باليداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس  
ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيأبى عنه ثم ينشأ رجل من قريش  
أخواله كلب فيبعث إليهم بغثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والحبة لمن لم  
يشهد غنمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم  
ويلقي الإسلام بجرانه على الأرض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه  
أبو داود من رواية أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم سلمة فتبين بذلك  
المبهم في الإسناد الأول ورجال الصريحين لا مطعن فيهم ولا منكر وقد  
يقال إنه من رواية قتادة عن أبي الخليل وقاتدة مدلس وقد عتقه والمدلس لا يقبل  
من حديثه إلا ما صرح فيه بالتساع مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي  
نعم ذكره أبو داود في أبوابه وخرج أبو داود أيضاً وتابعه الحاكم عن أبي سعيد  
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني أجلي الجهة أفي



الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ هَذَا لَفْظُ  
أَبِي دَاوُدَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَفْظُ أَحَاكِمِ الْمَهْدِيِّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَشْمُ الْأَنْفِ أَقْنَى أَجْلَى  
يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَعِيشُ هَكَذَا وَيَنْسُطُ يَسَارَهُ  
وَإِصْبَعَيْنِ مِنْ يَمِينِهِ السَّبَابَةِ وَالْإِبْهَامِ وَعُقْدَ ثَلَاثٍ قَالَ أَحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ  
عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ . ٥١ . وَعُمَرَانُ الْقَطَّانُ مُخْتَلَفٌ فِي الْإِحْتِجَاجِ بِهِ إِنَّمَا أَخْرَجَ  
لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا لَا أَصْلًا وَكَانَ يَحْيَى الْقَطَّانُ لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ  
لَيْسَ بِالْقُرَيْيِ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَرَجُو أَنْ يَكُونَ صَالِحَ  
الْحَدِيثِ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ كَانَ حَرُورِيًّا وَكَانَ يَوَى السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَقَالَ  
النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْأَجَرِيُّ سَأَلْتُ أَبَا دَاوُدَ عَنْهُ فَقَالَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ  
وَمَا سَمِعْتُ إِلَّا خَيْرًا وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى ذَكَرَهُ فَقَالَ ضَعِيفٌ أَقْنَى فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ بِمُتَوَى شَدِيدَةٍ فِيهَا سَفْكُ الدِّمَاءِ وَخُرُجُ التِّرْمِذِيِّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَحَاكِمِ  
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْحَذَرِيِّ مِنْ طَارِيقِ زَيْدِ الْعَمِيِّ عَنْ أَبِي صَدِيقٍ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
الْحَذَرِيِّ قَالَ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ شَيْءٍ حَدَّثَ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
إِنْ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيِّ يَخْرُجُ وَيَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا زَيْدُ الشَّائِكُ قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ  
قَالَ سِنِينَ قَالَ فَيَجِيءُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي قَالَ فَيَحْثُو لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ  
يَعْمِلَهُ لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَفْظُ ابْنِ مَاجَةَ وَأَحَاكِمِ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ  
فَسَنَعٌ وَإِلَّا فَتَسَعٌ فَتَسَعُ أُمَّتِي فِيهِ نِعْمَةٌ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ تَوَتَّى الْأَرْضُ أَكْمَلَهَا وَلَا  
يَذْخَرُ مِنْهُ شَيْءٌ وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي فَيَقُولُ خُذْ .  
إِنْتَهَى وَزَيْدُ الْعَمِيِّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مُعِينٍ إِنَّهُ صَالِحٌ  
وَزَادَ أَحْمَدُ إِزْدَ فَوْقَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ وَفَضْلُ بْنُ عِيسَى إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ ضَعِيفٌ  
يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَا شَيْءَ وَقَالَ مَرَّةً  
يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْجَرَجَانِيُّ مُبْتَأَسِكُ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ بِقُرَيْيٍ وَاهِي  
الْحَدِيثِ ضَعِيفًا وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِذَاكَ وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ شُعْبَةُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ  
وَقَالَ بْنُ عَدِيٍّ نَامَةٌ مَا يُوْوِيهِ وَمَنْ يُوْوِي عَنْهُمْ ضَعَاءٌ عَلَى أَنْ شُعْبَةُ قَدْ رَوَى عَنْهُ وَلَعَلَّ

شعبة لم يرو عن أضعف منه وقد يقال إن حديث الترمذي وقع تفسيرا لما رواه مسلم  
في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر أمتي  
خليفة يحثو المال حثوا لا يعده عدا ومن حديث أبي سعيد قال من خلفائكم خليفة  
يحثو المال حثوا ومن طريق أخرى عنهما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال  
ولا يعده انتهى وأحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر الترمذي ولا دليل يقوم على أنه المراد  
منها ورواه الحاكم أيضا من طريق عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي عن أبي  
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض  
جورا وظلما وعدوانا ثم يخرج من أهل بيتي رجل يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما  
وعدوانا وقال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم  
أيضا عن طريق سليمان بن عبيد عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج في آخر أمتي المهدي يستبش به الله الغيث  
وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صفا وتكثر الماشية وتكظم الأمة يعيش سبعا  
أو ثانيا يعني حجبا وقال فيه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه مع أن سليمان بن  
عبيد لم يخرج له أحد من السنة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد أن أحدا  
تكلم فيه ثم رواه الحاكم أيضا من طريق أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن  
مطر الوراق وأبي هارون العبدى عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الأرض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتي  
فيملك سبعا أو تسعا فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم  
فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم لأنه أخرجه عن حماد بن سلمة وعن شيخه  
مطر الوراق وأما شيخه الآخر وهو أبو هارون العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف  
جدا متهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط أقوال الأئمة في تضعيفه . وأما الراوي له  
عن حماد بن سلمة فهو أسد بن موسى يلقب أسد السنة وإن قال البخاري مشهور  
الحديث وأستشهد به في صحيحه وأحجج به أبو داود والنسائي إلا أنه قال مرة أخرى  
ثقة لو لم يصنف كان خيرا له ونال فيه محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني  
في منجبه الأوسط من رواية أبي الواصل عبد الحميد بن واصل عن أبي الصديق



التَّاجِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ أَحَدِ بَنِي بَيْدَلَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُ بِسُنَّتِي يُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا وَتُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا يَفْعَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ وَيُنْزِلُ عَلَى بَيْتِ الْقُدْسِ وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ فِيهِ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي سَعِيدٍ أَحَدًا إِلَّا أَبَا الْوَاصِلِ فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنْتَهَى وَهَذَا الْحَسَنُ بْنُ يَزِيدَ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَلَمْ يُعْرِفْهُ بِأَكْثَرٍ يَمَّا فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ رَوَايَتِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَرَوَايَةِ أَبِي الصَّدِيقِ عَنْهُ وَقَالَ الدَّهْلِيُّ فِي الْبِزَانِ إِنَّهُ مَجْهُولٌ لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثِّقَاتِ وَأَمَّا أَبُو الْوَاصِلِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ فَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السِّتَةِ وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثِّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالَ فِيهِ يَرَوِي عَنْ أَنَسٍ رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَعِثَابُ بْنُ بُشَيْرٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ يَتِمَّا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ قَالَ قُلْتُ مَا تَرَاهُ نَزَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ فَقَالَ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الْخَبَرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيَقَاتِلُونَ وَيُنْصَرُونَ فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَأُهَا قِسْطًا كَمَا مَلَأُوهَا جَوْرًا فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ أَنْتَهَى . وَهَذَا الْحَدِيثُ يُعْرِفُ عِنْدَ الْمُجَدِّدِينَ بِحَدِيثِ الرَّايَاتِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ رَوَاهُ فِيهِ شُعْبَةُ كَانَ رَقَاعًا يَغْنِي يَرْفَعُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي لَا تُعْرَفُ مَرْفُوعَةً وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ الشَّيْعَةِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ بِأَخَافِظٍ وَقَالَ مَرَّةً حَدِيثُهُ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَالَ يَحْيَى ابْنُ مُعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْجَلِيلِيُّ جَائِزُ الْحَدِيثِ وَكَانَ بِأَخْرَجِهِ يُلَقَّنُ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِإِقْوَى وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ سَمِعْتُهُمْ يَضَعِفُونَ حَدِيثَهُ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ وَغَدَّه أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ وَقَالَ

أَبُو عَدِيٍّ هُوَ مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَعَ ضَعْفِهِ يَكْتُوبُ حَدِيثَهُ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ  
 لَكِنْ مَقْرُونًا بِغَيْرِهِ وَبِجُلَّةٍ فَلَا كَثْرُونَ عَلَى ضَعْفِهِ وَقَدْ صَرَّحَ الْأَيْمَنُ بِتَضْعِيفِ  
 هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ حَدِيثُ الرَّايَاتِ وَقَالَ  
 وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ فِيهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ أَبُو قُدَّامَةَ سَمِعْتُ  
 أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرَّايَاتِ لَوْ حَلَفَ عِنْدِي خَمْسِينَ يَمِينًا  
 أُسَامَةُ مَا صَدَّقْتُهُ أَهَذَا مَذْهَبُ إِبْرَاهِيمَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَلْقَمَةَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ وَأُورِدَ  
 الْعَيْلِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الضُّعْفَاءِ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَخَرَجَ أَبُو مَاجَةَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ يَاسِينَ الْعِجْلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ فِي لَيْلَةِ وَيَاسِينَ الْعِجْلِيِّ  
 وَإِنْ قَالَ فِيهِ أَبُو مُعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ قَالَ الْبُخَّارِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ أَصْطِلَاحِهِ  
 قَوِيَّةٌ فِي التَّضْعِيفِ جَدًّا وَأُورِدَ لَهُ أَبُو عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ هَذَا  
 الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِنكَارِ لَهُ وَقَالَ هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُجَبِّهِ الْأَوْسَطِ  
 عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَّا الْمُهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بَلْ مِنَّا يَنَا يَخْتِمُ اللَّهُ كَمَا يَنَا فَتَحَ وَبَنَا يَسْتَقْدُونَ مِنَ الْبِرِّ وَبَنَا  
 يُوَلِّفُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةٍ بَيْنَهُ كَمَا بَنَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ الْبِرِّ قَالَ  
 عَلِيُّ أُمُومُونُ أَمْ كَافِرُونَ قَالَ مَقْنُونٌ وَكَافِرٌ أَنْتَ هِيَ. وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 مَعْرُوفٌ أَكْثَالٍ وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ جَابِرٍ الْخُضَرَمِيُّ وَهُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 رَوَى عَنْ جَابِرٍ مَنَا كِبَرٌ وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ لَيْسَ بِثِقَةٍ وَقَالَ كَانَ أَبُو  
 لَهِيعةَ شَيْخًا أَحْمَقَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَكَانَ يَقُولُ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَنَا فَيُبْصِرُ  
 سَحَابَةً فَيَقُولُ هَذَا عَلِيٌّ قَدْ مَرَّ فِي السَّحَابِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِتْنَةٌ يَحْضُلُ النَّاسُ فِيهَا  
 كَمَا يَحْضُلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ فَلَا تُسَبُّوا أَهْلَ الشَّامِ وَلَكِنْ سُبُّوا أَشْرَارَهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ  
 الْأَبْدَالَ يُوشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ صَيْبٌ مِنَ السَّمَاءِ فَيُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ  
 قَاتَلْتَهُمُ الثَّمَالِبُ غَلَبَتَهُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ جَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رَايَاتٍ الْمُكْثَرِ  
 يَقُولُ بِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَالْمِثْلُ يَقُولُ بِهِمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَأَمَّا رُتُهُمْ أَمَّا يُلْقُونَ



سَمِعَ رَايَاتٍ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ مِنْهَا رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمَلِكَ فَيَقْتُلُهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا وَيَرُدُّ اللَّهُ إِلَى  
الْمُسْلِمِينَ إِلْفَتَهُمْ وَنِعَمَتَهُمْ وَقَاصِيَتَهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ أَه . وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهَيْعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
مَعْرُوفُ الْحَالِ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ فِي رِوَايَتِهِ  
ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيَرُدُّ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى الْفِتَنِ الْخَالِجَةِ وَلَيْسَ فِي طَرِيقِهِ ابْنُ لَهَيْعَةَ وَهُوَ إِسْنَادٌ  
صَحِيحٌ كَمَا ذَكَرَ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ  
أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ  
الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ هِيَ بَاتِ ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا فَقَالَ ذَلِكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ  
الرَّجُلُ اللَّهُ اللَّهُ قُتِلَ وَيَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ قَوْمًا قَرَعًا كَثَرَجَ السَّعَابِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ  
قُلُوبِهِمْ فَلَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ دَخَلَ فِيهِمْ عِدَّتُهُمْ عَلَى عِدَّةِ أَهْلِ  
بَدْرٍ لَمْ يَسْبِقْهُمْ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ وَعَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ  
جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أَتْرِيدُهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ  
بَيْنِ هَذَيْنِ الْأَخَشَيْنِ قُلْتُ لَا جَرَمَ وَاللَّهِ وَلَا أَدْعِيهَا حَتَّى أَمُوتَ وَمَاتَ بِهَا يَعْنِي مَكَّةَ  
قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ انْتَهَى وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ  
فَقَطُّ فَإِنَّ فِيهِ عَمَّارَ الدَّهَمِيِّ وَيُونُسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ وَلَمْ يُخْرِجْ لَهْمَا الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَمْرُو  
بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبْقَرِيُّ وَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ الْبُخَارِيُّ أَحْتِجَاجًا بَلْ اسْتِشْهَادًا مَعَ مَا يَنْضُمُ إِلَى ذَلِكَ  
مِنْ تَشْبَعِ عَمَّارِ الدَّهَمِيِّ وَهُوَ وَإِنْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مُعِينٍ وَأَبُو حَاتِمٍ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ  
فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدَنِيِّ عَنْ سَفْيَانَ بْنِ أَشْرَسَ بْنِ مَرْوَانَ قَطَعَ عُرْقُوبِيَّةَ قُلْتُ فِي أَيِّ شَيْءٍ  
قَالَ فِي التَّشْبَعِ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِوَايَةِ سَعْدِ بْنِ  
عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ زِيَادٍ الْيَمَامِيِّ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ إِسْحَاقَ  
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ نَحْنُ وَوَلَدُ  
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَادَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمَهْدِيُّ  
انْتَهَى وَعِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ وَإِنْ أَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ فَإِنَّمَا أَخْرَجَ لَهُ مُتَابِعَةً وَقَدْ ضَعَفَهُ بَعْضُ  
وَوَثَّقَهُ آخَرُونَ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ هُوَ مُدَلِّسٌ فَلَا يُقْبَلُ إِلَى أَنْ يُصْرَحَ بِالسَّمَاعِ  
عَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ قَالَ الدَّهَمِيُّ فِي الْمِيزَانِ لَا نَذَرِي مَنْ هُوَ ثُمَّ قَالَ الصَّوَابُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ  
بْنُ زِيَادٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَإِنْ وَثَّقَهُ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ

مَعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الثَّوْرِيُّ قَالُوا لِأَنَّهُ رَأَاهُ يُقْبَلُ فِي مَسَائِلَ وَيُعْطَى  
 فِيهَا وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ كَانَ مِنْ فَحَشِ عَطَاؤِهِ فَلَا يُحْتَجُّ فِيهِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ سَعِيدُ  
 بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَدَّعِي أَنَّهُ سَمِعَ عَرْضَ كُتُبِ الْمَلِكِ وَالنَّاسُ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَهُوَ  
 هَهُنَا يَبْغَدَادَ لَمْ يُحْتَجَّ فَكَيْفَ سَمِعَهَا وَجَعَلَهُ الذَّهَبِيُّ مِمَّنْ لَمْ يَقْدَحْ فِيهِ كَلَامٌ مِنْ تَكَلُّمٍ  
 فِيهِ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ قَالَ  
 مُجَاهِدٌ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ  
 فَقَالَ مُجَاهِدٌ فَإِنَّهُ فِي سِتْرِ لَا أَذْكُرُهُ لَعَنَ يَكْرَهُ قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ  
 أَرْبَعَةٌ مِنَّا: السَّفَاحُ وَمِنَّا الْمُنْدِرُ وَمِنَّا الْمَنْصُورُ وَمِنَّا الْمَهْدِيُّ قَالَ فَقَالَ مُجَاهِدٌ بَيْنَ لِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ  
 فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا السَّفَاحُ فَزَيْنًا قَتَلَ أَنْصَارَهُ وَنَفَا عَنْ عَدُوِّهِ وَأَمَّا الْمُنْدِرُ  
 فَإِنَّهُ يُعْطَى الْمَالُ الْكَثِيرَ وَلَا يَتَعَاطَمُ فِي نَفْسِهِ وَيُنْسِكُ الْقَلِيلَ مِنْ حَتِّهِ وَأَمَّا الْمَنْصُورُ  
 فَإِنَّهُ يُعْطَى النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ الشُّطْرَ مِمَّا كَانَ يُعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَوْرَيْنِ وَالْمَنْصُورُ يَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ  
 وَأَمَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جُورًا وَتَأْمَنُ الْبَهَائِمُ السَّبَاعَ وَتُلْقَى  
 الْأَرْضُ أَفْلَاحًا كَيْدِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا أَفْلَاحُ كَيْدِهَا قَالَ أَمْثَالُ الْأَسْطُوانَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَالْفِضَّةِ وَقَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ  
 بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوَاخِرٍ عَنْ أَبِيهِ وَإِسْمَاعِيلُ ضَعِيفٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَبُوهُ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ  
 خَالًا كَثْرُونَ عَلَى تَضَمُّنِهِ اه . وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ عِنْدَ كِبَرِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيدُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
 ثُمَّ تَطْلُعُ الرِّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا لَمْ يَثْلُثْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا  
 لَا أَحْفَظُهُ قَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ اه .  
 وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِينَ إِلَّا أَنَّ فِيهِ أَبَا قِلَابَةَ الْجَرَمِيَّ وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ مُدْلَسٌ  
 وَفِيهِ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالتَّدْلِيلِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنَنْ وَلَمْ يُصْرَحْ بِالسَّمَاعِ  
 فَلَا يُقْبَلُ وَفِيهِ عَبْدُ الرَّزَاقِ بْنُ هَتَّامٍ وَكَانَ مَشْهُورًا بِالتَّشْيِيعِ وَعَمِي فِي آخِرِ وَقْتِهِ فَخَلَطَ  
 قَالَ ابْنُ عَدِي حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ فِي الْفَضَائِلِ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَنَسَبُوهُ إِلَى التَّشْيِيعِ  
 أَنْتَهَى . وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَرْهٍ الزُّبَيْدِيِّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ



لَهَيْعَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ جَابِرٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ بِغَنِي  
سُلْطَانِهِ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ لَهَيْعَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي حَدِيثٍ عَلَيَّ الَّذِي خَرَجَهُ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ أَنَّ ابْنَ لَهَيْعَةَ ضَعِيفٌ وَأَنَّ شَيْخَهُ عُمَرَ بْنَ جَابِرٍ أَضْعَفُ  
مَنْهُ وَخَرَجَ الْبَزَازُ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ وَاللَّفْظُ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ  
أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ فَسَبْعٌ  
وَأِلَّا فَثَمَانٍ وَإِلَّا قَتْسٌ تَنَعَّمُ فِيهَا أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَتَّعَمُوا بِمِثْلِهَا تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مَذَرَارًا  
وَلَا تَدْخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنَ النَّبَاتِ وَالنَّالِ كَذُوسٍ يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي  
فَيَقُولُ خُذْ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَازُ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْجَلِّيُّ زَادَ الْبَزَازُ وَلَا نَعْلَمُ  
أَنَّهُ تَابَعَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حَبَانَ أَيْضًا بِمَا ذَكَرَهُ فِي الثِّقَاتِ  
وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ صَالِحٌ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ  
لَيْسَ عِنْدِي بِذَلِكَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ الْجَلِّيَّ  
حَدَّثَ بِأَحَادِيثٍ وَأَنَا شَاهِدٌ لَمْ نَكْتُبْهَا تَرَكْتُهَا عَلَى عَمْدٍ وَكُتِبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ  
كَأَنَّهُ ضَعْفٌ وَخَرَجَهُ أَبُو يُعْلَى التَّوَصِّلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ حَدَّثَنِي خَلِيلِي  
أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ  
بَيْتِي فَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ قَالَ قُلْتُ وَكَمْ يَمْلِكُ قَالَ خَمْسًا وَأَثْنَتَيْنِ قُلْتُ وَهَلْ  
خَمْسًا وَأَثْنَتَيْنِ قَالَ لَا أَدْرِي أَهْ . وَهَذَا السَّنَدُ غَيْرُ مُحْتَجٍّ بِهِ وَإِنْ قَالَ فِيهِ بِشِيرُ بْنُ نَهْيَكٍ  
وَقَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ فَقَدْ احْتَجَّ بِهِ الشَّيْخَانُ وَوَثِقَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ  
أَبِي حَاتِمٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ رَجَاءُ ابْنُ أَبِي رَجَاءٍ الْيَشْكُرِيُّ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ قَالَ  
أَبُو زُرْعَةَ ثِقَةٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ ضَعِيفٌ وَقَالَ مَرَّةً صَالِحٌ وَعَلَى  
لَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ حَدِيثًا وَاحِدًا وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَازُ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي  
مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ عَنْ قُرَّةَ بْنِ إِيَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لَتُمْلَأَنَّ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَإِذَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي اسْمُهُ  
أَسْمِي وَأَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمَلُّهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ  
مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا وَلَا تَدْخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا يَلْبَثُ فِيكُمْ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا أَوْ تِسْعًا

يُغْنِي سِنِينَ اهـ . وَفِيهِ دَاوُدُ بْنُ الْمُحَنِّي بْنِ الْمُحَرَّمِ عَنْ أَبِيهِ وَهُمَا ضَعِيفَانِ جِدًّا وَخَرَجَ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
تَقْرِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ يَسَارِهِ وَالْعَبَّاسُ عَنْ عَمِيهِ إِذَا  
تَلَا حَى الْعَبَّاسُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَغْلَظَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ وَبِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ جَوْرًا  
وُظْلَمًا وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ  
بِالْفَتَى الشَّيْبِيِّ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَهُوَ صَاحِبُ رَايَةِ الْمَهْدِيِّ . انْتَهَى . وَفِيهِ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهَيْعَةَ وَهُمَا ضَعِيفَانِ . اهـ . وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ  
الْأَوْسَطِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ  
لَا يَسْكُنُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا تَشَاجَرَ جَانِبٌ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ أَوْبَرَكُمْ فُلَانٌ .  
اهـ . وَفِيهِ الْمُشَنَّى بْنُ الصَّاحِ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَضْرِيحٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
وإِنَّمَا ذَكَرُوهُ فِي أَبْوَابِهِ وَتَرْجَمَتِهِ اسْتِثْنَاءً فَهَذِهِ جُمْلَةُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي خَرَجَ جَولاً  
الْأَثْبَتُ فِي شَأْنِ الْمَهْدِيِّ وَخُرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُمْ لَمْ يَخْلُصْ مِنْهَا مِنْ  
النَّقْدِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَالْأَقْلُ مِنْهُ وَرَبَّمَا تَمَسَّكَ الْمُشْكِرُونَ لِشَأْنِهِ بِمَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
خَالِدٍ الْجَنْدِيُّ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ  
مَعِينٍ فِي مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ إِنَّهُ ثِقَةٌ وَقَالَ السَّيِّهِيُّ تَقَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ  
إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ فَمَرَّةٌ يَرَوُونَهُ كَمَا تَقَدَّمَ وَيُنْسَبُ ذَلِكَ  
لِمُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَمَرَّةٌ يَرَوُونَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبَانَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُرْسَلًا قَالَ السَّيِّهِيُّ فَرَجَعَ إِلَى رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ  
مَجْهُولٌ عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ مَذْكُورٌ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَهُوَ مُنْقَطِعٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ مُضْطَرِبٌ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى أَيْ  
لَا يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عِيسَى يُحَاوِلُونَ بِهَذَا التَّأْوِيلِ رَدَّ الْإِحْتِجَاجِ بِهِ أَوْ الْجَمْعَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ وَهُوَ مَدْفُوعٌ بِحَدِيثِ جَرِيحٍ وَمِثْلِهِ مِنَ الْخَوَارِقِ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ فَلَمْ  
يَكُنِ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَخُوضُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِي الْمُجَاهَدَةِ



بِالْأَعْمَالِ وَمَا يَحْصُلُ عَنْهَا مِنْ نَتَائِجِ التَّوَاجِدِ وَالْأَحْوَالِ وَكَانَ كَلَامُ الْإِمَامِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ  
مِنَ الشَّيْعَةِ فِي تَفْضِيلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَأَدْعَاءِ الْوَصِيَّةِ لَهُ  
بِذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَدُّلِ مِنَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَذَاهِبِهِمْ  
ثُمَّ حَدَّثَ فِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْإِمَامِ الْمُعْتَمَدِ وَكَثُرَتِ التَّالِيفُ فِي مَذَاهِبِهِمْ وَجَاءَ  
الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنْهُمْ يَدْعُونَ الْوَهْيَةَ الْإِمَامَ بِنَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَآخَرُونَ يَدْعُونَ رَجْعَةَ  
مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِنَوْعٍ التَّاسِعِ وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ مَجِيءَ مَنْ يَقْطَعُ بَوْتَهُ مِنْهُمْ  
وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عَوْدَ الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَدْ تَمَنَّا مِنْ  
الْأَحَادِيثِ فِي الْمَهْدِيِّ وَغَيْرِهَا ثُمَّ حَدَّثَ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْكَلَامُ  
فِي الْكُشْفِ وَفِي مَا وَرَاءَ الْحُسْرِ وَظَهَرَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْحُلُولِ  
وَالْوَحْدَةِ فَشَارَكُوا فِيهَا الْإِمَامِيَّةَ وَالرَّافِضَةَ لِقَوْلِهِمْ بِالْوَهْيَةِ الْأَئِمَّةِ وَحُلُولِ الْإِلَهِ فِيهِمْ  
وُظْهِرَ مِنْهُمْ أَيْضًا الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَالْإِبْدَالِ وَكَأَنَّهُ يُحَاكِي مَذْهَبَ الرَّافِضَةِ فِي الْإِمَامِ  
وَالْتَّقَاءِ وَأَشْرَبُوا أَقْوَالَ الشَّيْعَةِ وَتَوَعَّلَوْا فِي الدِّيَانَةِ بِمَذَاهِبِهِمْ حَتَّى جَعَلُوا مُسْتَدَدَ طَرِيقِهِمْ  
فِي لُبْسِ الْخُرْقَةِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْبَسَهَا الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ  
بِالْإِزَامِ الطَّرِيقَةَ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْجُنْدِ مِنْ شُيُوخِهِمْ وَلَا يُعْلَمُ هَذَا عَنْ عَلِيٍّ مِنْ  
وَجْهِ صَحِيحٍ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ خَاصَّةً بِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَلِ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ  
أُسُوَّةٌ فِي طَرِيقِ الْهَدْيِ وَفِي تَخْصِصِ هَذَا بِعَلِيٍّ دُونَهُمْ رَائِحَةٌ مِنَ الشَّيْعِ قَوِيَّةٌ يُفْهَمُ  
مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقَوْمِ دَخَلَهُمْ فِي الشَّيْعِ وَأَنْخَرَاطُهُمْ فِي سِلْكِهِ وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا  
الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَأَمْتَلَأَتْ كُتُبُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ مِنَ الرَّافِضَةِ وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ  
الْمُتَصَوِّفَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْفَاطِمِيَّةِ الْمُنْتَظِرِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُعْلِيهِ عَلَى بَعْضٍ وَيُلْقِيهِ بَعْضُهُمْ  
عَنْ بَعْضٍ وَكَأَنَّهُ مُبْنِيٌّ عَلَى أَصُولٍ وَاهِيَةٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَرُبَّمَا يَسْتَدِلُّ بَعْضُهُمْ بِكَلَامِ  
الْمُنْجِمِينَ فِي الْقِرَآنَاتِ وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْكَلَامِ فِي الْمَلَا حِمٍ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا  
فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِي هَذَا وَأَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي شَأْنِ  
الْفَاطِمِيَّةِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْأَخْلَاطِيِّ فِي كِتَابِ عِتْقَاءِ مُغْرِبٍ وَابْنُ قَيْسٍ فِي كِتَابِ خَلْعِ  
الْعُلَيْنِ وَعَبْدُ الْحَقِّ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ أَبِي وَاصِلٍ تَلْمِيزُهُ فِي شَرْحِ لِكِتَابِ خَلْعِ الْعُلَيْنِ  
أَكْثَرُ كَلِمَاتِهِمْ فِي شَأْنِهِ الْغَاثُ وَأَمَّا لَوْ رُبَّمَا يُصَرِّحُونَ فِي الْأَقْلَرِ أَوْ يُصَرِّحُ مُفَسِّرُو

كَلَامِهِمْ وَحَاصِلُ مَذْهَبِهِمْ فِيهِ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ أَنَّ النُّبُوَّةَ بِهَا ظَهَرَ الْحَقُّ  
 وَالْهَدَى بَعْدَ الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَأَنَّهَا تَعْقِبُهَا الْخِلَافَةُ ثُمَّ يَعْقِبُ الْخِلَافَةَ الْمُلْكُ ثُمَّ يَعُودُ تَجْبَرُ  
 وَتَكْبَرُ وَبَاطِلًا قَالُوا وَلَكِنْ كَانَ فِي الْمُتَعَوِّدِ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ رُجُوعَ الْأُمُورِ إِلَى مَا كَانَتْ وَجَبَ  
 أَنْ يَحْيَا أَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْحَقِّ بِالْوِلَايَةِ ثُمَّ بِخِلَافَتِهَا ثُمَّ يَعْقِبُهَا الدَّجَلُ مَكَانَ الْمُلْكِ وَالنَّسْطِ  
 ثُمَّ يَعُودُ الْكُفْرُ بِحَالِهِ يُشِيرُونَ بِهَذَا لِمَا وَقَعَ مِنْ شَأْنِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ بَعْدَهَا وَالْمُلْكِ  
 بَعْدَ الْخِلَافَةِ هَذِهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ وَكَذَلِكَ الْوِلَايَةُ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْفَاطِمِيِّ وَالْدَّجَلُ بَعْدَهَا  
 كِتَابَةٌ عَنْ نُخْرُوجِ الدَّجَالِ عَلَى أَثَرِهِ وَالْكَفْرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ عَلَى نِسْبَةِ  
 الثَّلَاثِ الْمَرَاتِبِ الْأُولَى قَالُوا وَلَكِنْ كَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ لِقُرَيْشٍ حُكْمًا شَرْعِيًّا بِالْإِجْتِمَاعِ  
 الَّذِي لَا يُوهِنُهُ انْكِارُ مَنْ لَمْ يُؤَوَّلْ عَلَيْهِ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِيمَنْ هُوَ أَخْصُ  
 مِنْ قُرَيْشٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَّا ظَاهِرًا كُنِّي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَإِمَّا بَاطِنًا مِمَّنْ  
 كَانَ مِنْ حَقِيقَةِ الْأَلِ وَالْأَلِ مَنْ إِذَا حَضَرَ لَمْ يُلَقَّبْ إِنْ هُوَ آلهُ وَابْنُ الْعَرَبِيِّ  
 الْخَاتِمِيُّ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ عَنَاءَ مُغْرِبٍ مِنْ تَأْلِيْفِهِ خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ وَكُنِيَ عَنْهُ بِلَبَنَةِ  
 الْفِضَّةِ إِشَارَةً إِلَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مِثْلِي فِيمَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَبْتَنَى بَيْتًا وَأَكْمَلَهُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ  
 إِلَّا مَوْضِعُ لَبَنَةٍ فَأَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ فَيُفْسِرُونَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ بِاللَّبَنَةِ حَتَّى أَكْمَلْتُ الْبُنْيَانَ  
 وَمَعْنَاهُ النَّبِيُّ الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ النُّبُوَّةُ الْكَامِلَةُ وَيُمَثِّلُونَ الْوِلَايَةَ فِي تَفَاوُتِ مَرَاتِبِهَا  
 بِالنُّبُوَّةِ وَيَجْعَلُونَ صَاحِبَ الْكَمَالِ فِيهَا خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ أَيْ خَاتِمَ الرُّتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ  
 الْوِلَايَةِ كَمَا كَانَ خَاتِمَ الْأَنْبِيَاءِ خَاتِمًا لِلرُّتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ النُّبُوَّةِ فَكُنِيَ الشَّارِحُ  
 عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْخَاتِمَةِ بِلَبَنَةِ الْبَيْتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ وَهُمَا عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ  
 فِيهِمَا فَهِيَ لَبَنَةٌ وَاحِدَةٌ فِي التَّمْثِيلِ فِي النُّبُوَّةِ لَبَنَةٌ ذَهَبٌ وَفِي الْوِلَايَةِ لَبَنَةٌ فِضَّةٌ لِلتَّفَاوُتِ  
 بَيْنَ الرُّتَبَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجْعَلُونَ لَبَنَةَ الذَّهَبِ كِتَابَةً عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَبَنَةَ الْفِضَّةِ كِتَابَةً عَنْ هَذَا الْوَلِيِّ الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَذَلِكَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَهَذَا خَاتِمُ الْأَوْلِيَاءِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِيمَا نَقَلَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ عَنْهُ وَهَذَا الْإِمَامُ  
 الْمُنْتَظَرُ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَظُهُورُهُ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ مُضِيِّ خ ف ج مِنْ  
 الْهَجْرَةِ وَرَسْمُ حُرُوفًا ثَلَاثَةً يُرِيدُ عَدَدَهَا بِحَسَابِ الْجَمَلِ وَهُوَ الْخَاءُ الْمُعْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ



فَوْقُ سِتِّ مِائَةٍ وَالْفَاءُ أُنْخْتُ الْقَافِ بِثَمَانِينَ وَأَلِيمُ الْمُعْجَةِ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَسْفَلِ ثَلَاثَةِ  
وَذَلِكَ سِتِّ مِائَةٍ وَثَلَاثُ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَهِيَ آخِرُ الْقَرْنِ السَّابِعِ وَلَمَّا انْتَصَرَمَ هَذَا الْعَصْرُ  
وَلَمْ يَظْهَرْ حَلَّ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُقْلِدِينَ لَهُمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْمُدَّةِ مَوْلِدُهُ وَعَبَّرَ  
بِظُهُورِهِ عَنْ مَوْلِدِهِ وَأَنَّ خُرُوجَهُ يَكُونُ بَعْدَ الْعَشْرِ وَالسَّعِ الْمِائَةِ فَإِنَّهُ الْإِمَامُ الْأَاجِمُ مِنْ  
نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ قَالَ وَإِذَا كَانَ مَوْلِدُهُ كَمَا زَعَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ سَنَةً ثَلَاثَ وَثَمَانِينَ  
وَسِتِّ مِائَةٍ فَيَكُونُ عُمرُهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ وَزَعَمُوا أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَالِ  
يَكُونُ سَنَةً ثَلَاثَ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ مِنَ الْيَوْمِ الْمُحْتَدِي وَابْتِدَاءُ الْيَوْمِ الْمُحْتَدِي  
عِنْدَهُمْ مِنْ يَوْمِ وَقَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَامِ أَلْفِ سَنَةٍ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
فِي شَرْحِهِ كِتَابَ خَلْعِ الثَّمَلَيْنِ الْوَلِيُّ الْمُنْتَظَرُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْمُسَارُّ إِلَيْهِ بِمُحَمَّدٍ  
الْمَهْدِيِّ وَخَاتِمِ الْأَوْلِيَاءِ وَلَيْسَ هُوَ بِنَبِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ وَلِيُّ أَبِي بَتَّةَ رُوحُهُ وَحَيِّهِ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَالَمُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ وَقَالَ عَلَمَاءُ أُمَّتِي كَانِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَزَلِ الْبُشْرَى تَتَابَعُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ الْمُحْتَدِي إِلَى قَبْلِ الْخَمْسِ مِائَةِ نِصْفِ الْيَوْمِ  
وَتَأَكَّدَتْ وَتَضَاعَفَتْ بِتَبَاشِيرِ السَّابِقِينَ بِتَقَرُّبِ وَقْتِهِ وَازْدِلَافِ زَمَانِهِ مُنْذُ انْقَضَتْ  
إِلَى هَلُمِّ جَرَّاءَ قَالَ وَذَكَرَ الْكِندِيُّ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ  
وَيُجَدِّدُ الْإِسْلَامَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَفْتَحُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ وَيَصِلُ إِلَى رُومِيَةٍ فَيَفْتَحُهَا  
وَيَسِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَفْتَحُهَا وَيَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَصِيرُ لَهُ مُلْكُ الْأَرْضِ فَيَقْوَى  
الْمُسْلِمُونَ وَيَعْلُو الْإِسْلَامُ وَيُظْهِرُ دِينَ الْخَلِيفَةِ فَإِنَّ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ  
وَقْتُ صَلَاةٍ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ وَقَالَ الْكِندِيُّ أَيْضًا  
أَلْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ عِزُّ الْمُعْجَةِ يَعْنِي الْمَفْتَحُ بِهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ جُمْلَةً عَدَدُهَا سَبْعُمِائَةٍ  
وَثَلَاثُ وَأَرْبَعُونَ وَسَعٌ دَجَالِيَّةٌ ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيُصْلِحُ الدُّنْيَا  
وَتَمْشِي الشَّاةُ مَعَ الذِّئْبِ ثُمَّ مَلِكُ الْعَجَمِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مَعَ عِيسَى مِائَةً وَسِتُّونَ تَامًا  
عَدَدُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَهِيَ ق ي ن دَوْلَةُ الْعَدْلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ تَامًا قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ لَا مَهْدِي إِلَّا عِيسَى فَمَعْنَاهُ لَا مَهْدِي تَسَاوِي هِدَايَتُهُ هِدَايَتَهُ وَقِيلَ لَا  
يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عِيسَى وَهَذَا مَذْفُوعٌ بِحَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ  
أَنَّهُ قَالَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً

يعني قُرَشِيًّا وَقَدْ أُعْطِيَ الْوُجُودُ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 سَيَكُونُ فِي آخِرِهِ وَقَالَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ إِوْاحِدَى وَثَلَاثُونَ أَوْ سِتُّ وَثَلَاثُونَ  
 وَأَنْقِضَاوْهَا فِي خِلَافَةِ الْحَسَنِ وَأَوَّلُ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ فَيَكُونُ أَوَّلُ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ خِلَافَةً أَخْذًا  
 بِأَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ فَهُوَ سَادِسُ الْخُلَفَاءِ وَأَمَّا سَابِعُ الْخُلَفَاءِ فَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْبَاقُونَ  
 خَمْسَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ إِنَّكَ لَذُو قَرْنِيهَا يُرِيدُ الْأُمَّةَ أَيِ إِنَّكَ  
 لَخَلِيفَةٌ فِي أَوَّلِهَا وَذُرِّيَّتِكَ فِي آخِرِهَا وَرُبَّمَا اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْخَلِيفَةُ الْقَائِلُونَ بِالرَّجْعَةِ  
 فَأَلَاوَلُّ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ عِنْدَهُمْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي  
 بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَرَأَيْتُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كُنُوزَ كِسْرَى فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَالَّذِي يُهْلِكُ قَيْصَرَ وَيُنْفِقُ كُنُوزَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ هَذَا الْمُنْتَظَرُ حِينَ يَفْتَحُ  
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ كَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَمُدَّةُ حُكْمِهِ بَضْعٌ وَالْبَضْعُ مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تِسْعٍ وَقِيلَ إِلَى عَشْرِ وَجَاءَ ذِكْرُ  
 أَرْبَعِينَ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ سَبْعِينَ وَأَمَّا الْأَرْبَعُونَ فَإِنَّهَا مُدَّتُهُ وَمُدَّةُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ  
 الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلَامُ قَالَ وَذَكَرَ أَصْحَابُ  
 النُّجُومِ وَالْقِرَآنَاتِ أَنَّ مُدَّةَ بَقَاءِ أَمْرِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ عَامًا  
 فَيَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا جَارِيًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَالْعَدْلِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ  
 فَتَكُونُ مُلْكًا أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ أَبِي وَاصِلٍ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ نُزُولُ عِيسَى  
 يَكُونُ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنَ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ حِينَ تَمُضِي ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ قَالَ وَذَكَرَ  
 الْكِتَابِيُّ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْجُغُرِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ الْقِرَآنَاتِ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ  
 الْقُرْآنُ إِلَى الثَّوْرِ عَلَى رَأْسِ ضَحٍ يَخْرُفُ الصَّادُ <sup>(١)</sup> الْمُعْجَمَةُ وَأَحْلَاءُ الْمُهْمَلَةِ يُرِيدُ ثَمَانِيَةَ  
 وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةً مِنَ الْهَجْرَةِ يَنْزِلُ الْمَسِيحُ فَيَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
 قَالَ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَلِيدِ أَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ يَنْزِلُ بَيْنَ  
 مَهْرُودَتَيْنِ يَعْنِي حُلَّتَيْنِ مُزَعَفَرَتَيْنِ صَفْرَاوَيْنِ مُحَصَّرَتَيْنِ وَاضِعًا كَفِّهِ عَلَى أَجْنِحَةِ الْمَلَكَائِينَ  
 لَهُ لَيْثٌ كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنْ دِيْعَاسٍ إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُحَانٌ

(١) الصاد عند المغاربة بتسعين والصاد لستين . ٨١ . طاله نصر



كَاللُّوْلُو كَثِيرُ خِيْلَانِ الْوُجْهِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ وَإِلَى الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ  
 وَفِي آخَرَ أَنَّهُ يَتَرَوَّجُ فِي الْقَرْبِ وَالْقَرْبُ دَلْوُ الْبَادِيَةِ يُرِيدُ أَنَّهُ يَتَرَوَّجُ مِنْهَا وَتَلِدُ زَوْجَتُهُ  
 وَذَكَرَ وَفَاتَهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا وَجَاءَ أَنَّ عِيسَى يَمُوتُ بِالْمَدِينَةِ وَيُدْفَنُ إِلَى جَانِبِ عُمَرُ  
 بْنِ الْخَطَّابِ وَجَاءَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ يُخْشَرَانِ بَيْنَ نَسِيْنٍ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ وَالشَّيْعَةُ  
 تَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ مَسِيحُ الْمَسَائِيحِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ قُلْتُ وَعَلَيْهِ حَمَلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ  
 حَدِيثٌ لَا مَهْدِي إِلَّا عِيسَى أَيْ لَا يَكُونُ مَهْدِيٌّ إِلَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي نَسَبَتْهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ  
 الْمُحَمَّدِيَّةِ نِسَبَةً عِيسَى إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمَوْسُوِيَّةِ فِي الْإِتْبَاعِ وَعَدَمِ النَّسَخِ إِلَى كَلَامٍ  
 مِنْ أَمْثَالِ هَذَا يُعَيَّنُونَ فِيهِ الْوَقْتُ وَالرَّجُلُ وَالْمَكَانُ بِأَدَلَّةٍ وَاهِيَةٍ وَتَحَكُّمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ  
 فَيَنْقَضِي الزَّمَانُ وَلَا أَثَرُ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فَدِرْجُونَ إِلَى تَجْدِيدِ رَأْيٍ آخَرَ مُنْتَقَلٍ كَمَا  
 تَرَاهُ مِنْ مَفْهُومَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ تَخْيِيلِيَّةٍ وَأَحْكَامٍ نُجُومِيَّةٍ فِي هَذَا أَنْقَضَتْ أَعْمَارُ الْأَوَّلِ  
 مِنْهُمْ وَالْآخِرِ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ فَأَكْثَرُهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى ظُهُورِ رَجُلٍ  
 مُجَدِّدٍ لِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَمَرَاسِمِ الْحَقِّ وَيَتَخَيَّلُونَ ظُهُورَهُ لِمَا قَرُبَ مِنْ عَصْرِنَا فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ  
 مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُ الْقَوْلَ فِيهِ سَيِّعَانَهُ مِنْ جَمَاعَةِ أَكْبَرِهِمْ أَبُو يَعْقُوبَ الْبَادِيسِي  
 كَبِيرُ الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الثَّامِنَةِ وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ حَافِدُهُ صَاحِبُنَا  
 أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَاءُ عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيِّ أَبِي يَعْقُوبَ التَّدْكُورِ  
 هَذَا آخِرُ مَا أَطْلَعْنَا عَلَيْهِ أَوْ بَلَّغْنَا مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَمَا أوردَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ  
 مِنْ أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ قَدْ اسْتَوْفَيْنَا جَمِيعَهُ بِمَنْعِ طَاقَتِنَا وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَرَّرَ  
 لَدَيْكَ أَنَّهُ لَا تَمَّ دَعْوَةٌ مِنَ الدِّينِ وَالْمُلْكِ إِلَّا بِوُجُودِ شَوْكَةِ عَصِيَّةٍ تُظْهِرُهُ وَتُدَافِعُ  
 عَنْهُ مَنْ يَدْفَعُهُ حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ وَقَدْ قَرَرْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطِيعَةِ الَّتِي  
 أَرَيْنَاكَ هُنَاكَ وَعَصِيَّةُ الْفَاطِمِيِّينَ بِلَ وَقُرَيْشٍ أَجْمَعَ قَدْ تَلَا شَتَّ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَوُجِدَ  
 إِيَّاهُمْ آخَرُونَ قَدْ اسْتَعْلَتْ عَصِيَّتُهُمْ عَلَى عَصِيَّةِ قُرَيْشٍ إِلَّا مَا بَقِيَ بِالْجَبَّارِ فِي مَكَّةَ وَيَنْبُعُ  
 بِالْمَدِينَةِ مِنَ الطَّالِبِينَ مِنْ بَنِي حَسَنِ وَبَنِي حُسَيْنٍ وَبَنِي جَعْفَرٍ وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ  
 وَغَالِبُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَصَائِبُ بَدَوِيَّةٍ مُتَفَرِّقُونَ فِي مَوَاطِنِهِمْ وَإِمَارَاتِهِمْ وَأَرَائِهِمْ يَبْلُغُونَ  
 آلَافًا مِنَ الْكَثْرَةِ فَإِنْ صَحَّ ظُهُورُ هَذَا الْمَهْدِيِّ فَلَا وَجْهَ لظُهُورِ دَعْوَتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ  
 مِنْهُمْ وَيُوَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي اتِّبَاعِهِ حَتَّى تَمَّ لَهُ شَوْكَةُ وَعَصِيَّةٌ وَافِيَةٌ بِإِظْهَارِ

كَلِمَةٍ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَأَمَّا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ مِثْلُ أَنْ يَدْعُو فَاطِمِي مِنْهُمْ إِلَى  
مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَفْقٍ مِنْ الْأَفَاقِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَّةٍ وَلَا شُرُوكَةٍ إِلَّا مُجَرَّدَ نِسْبَةٍ فِي أَهْلِ  
الْبَيْتِ فَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ وَلَا يُمَكِّنُ لِمَا أَسْلَفْنَاهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ وَأَمَّا مَا تَدْعِيهِ الْعَامَّةُ  
وَالْأَعْمَارُ مِنَ الدَّهْمَاءِ مِمَّنْ لَا يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَقْلِ يَهْدِيهِ وَلَا عِلْمٍ يُفِيدُهُ فَيُجِيبُونَ  
ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَفِي غَيْرِ مَكَانٍ تَقْلِيداً لِمَا أَشْتَوَرَ مِنْ ظُهُورِ فَاطِمِي وَلَا يَعْلَمُونَ  
حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كَمَا بَيَّنَّاهُ وَأَكْثَرُ مَا يُجِيبُونَ فِي ذَلِكَ الْقَاصِيَةَ مِنَ الْمَمَالِكِ وَأَطْرَافِ  
الْعُمُرَانِ مِثْلُ الرَّابِ بِأَفْرِيْقِيَّةٍ وَالسُّوسِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَزَيْدُ الْكَثِيرِ مِنْ ضَعَاءِ الْبَصَاثِرِ  
يُضِدُّونَ رِبَاطاً بِمَاسَةٍ لِمَا كَانَ ذَلِكَ الرِّبَاطُ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْمُتَلَمِّينَ مِنْ كَذَالَةِ وَاعْتِقَادِهِمْ  
أَنَّهُ مِنْهُمْ أَوْ قَائِمُونَ بِدَعْوَتِهِ زَعماً لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ إِلَّا غَرَابَةُ تِلْكَ الْأُمَمِ وَبُعْدُهُمْ عَنْ  
يَتَيْنِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِهَا مِنْ كَثْرَةِ أَوْ قَلَّةِ أَوْ ضَعْفِ أَوْ قُوَّةِ وَابْعَدِ الْقَاصِيَةَ عَنْ مَنَالِ  
الدَّوْلَةِ وَخُرُوجِهَا عَنْ نِطَاقِهَا فَتَتَوَيَّ سِنْدُهُمُ الْأَوْهَامُ فِي ظُهُورِهِ هُنَاكَ بِخُرُوجِهِ عَنْ رِبْقَةِ  
الدَّوْلَةِ وَمَنَالِ الْأَحْكَامِ وَالْقَهْرِ وَلَا مَحْصُولَ لَدَيْهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا هَذَا وَقَدْ يَقْصِدُ ذَلِكَ  
الْمَوْضِعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعَاءِ الْعُقُولِ لِلتَّلَاسِ بِدَعْوَةِ بَيَّةٍ تَمَامُهَا وَسَرَّاساً وَحَقّاً وَقَتْلَ  
كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأُبَايُّ قَالَ خَرَجَ بِرِبَاطٍ مَاسَةٍ لِأَوَّلِ  
الْيَمَانَةِ الثَّامِنَةِ وَعَصَرَ السُّلْطَانُ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ رَجُلٌ مِنْ مُنْتَحِلِي التَّصَوُّفِ يُعْرِفُ  
بِالتَّوَيُّزِيِّ نِسْبَةً إِلَى تُوزَرٍ مَصْعَرًا وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَاتَّبَعَهُ الْكَثِيرُ مِنْ  
أَهْلِ السُّوسِ مِنْ ضَالَّةٍ وَكَزُولَةٍ وَظُطَمِ أَمْرُهُ وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ الْمَصَامِدَةِ عَلَى أَمْرِهِمْ فَدَسَ  
عَلَيْهِ السَّكْسُورِيُّ مَنْ قَتَلَهُ بَتَاءً وَأَنْحَلَ أَمْرُهُ وَكَذَلِكَ ظَهَرَ فِي غَمَارَةٍ فِي آخِرِ الْيَمَانَةِ  
السَّابِعَةِ وَعَشْرِ التَّسْعِينَ مِنْهَا رَجُلٌ يُعْرِفُ بِالْعَبَّاسِ وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ وَاتَّبَعَهُ الدَّهْمَاءُ  
مِنْ غَمَارَةٍ وَدَخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ غَنَوَةً وَحَرَقَ أَسْوَاقَهَا وَارْتَحَلَ إِلَى بَلَدِ التَّرْمَةِ فَقَتَلَ بِهَا  
غِيلَةً وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْمَذْكُورُ بِغَرِيبَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا  
وَهُوَ أَنَّهُ صَحِبَ فِي حَبْجِهِ فِي رِبَاطِ الْبَيَادِ وَهُوَ مَدْفَنُ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ فِي جَبَلِ تَلْمَسَانَ  
الْمُطَلِّ عَلَيْهِمَا رَجُلَانِ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ سُكَّانِ كَرْبَلَاءَ كَانَ مَشْبُوعاً مُعْظَماً كَثِيرَ التَّلِيدِ  
وَالْعَادِمِ قَالَ وَكَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ مَوْطِنِهِ يَتَلَقَّوْنَهُ بِالنَّفَقَاتِ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ قَالَ  
وَتَأَكَّدَتِ الصُّحْبَةُ بَيِّنَاتٍ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَأَنْكَشَفَ لِي أَمْرُهُمْ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا جَاءُوا



من موطنهم بكر بلاء لطلب هذا الأمر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عاين  
 دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لأصحابه أرجعوا فقد  
 أزدى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا ويدل هذا القول من هذا الرجل على أنه  
 مستبصر في أن الأمر لا يتم إلا بالعصية المكافئة لأهل الوقت فلما علم أنه  
 غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصية بني مرين لذلك العهد لا يعاومها أحد  
 من أهل المغرب استكان ورجع إلى الحجاز وأقصر عن مطامعه وبتى عليه أن يستيقن  
 أن عصية أنفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب إلا أن التعصب  
 لشأبه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب إلهية  
 العصور القريبة تزعج من الدماء إلى الحق والقيام بالسنة لا ينتجون فيها دعوة فاطمي  
 ولا غيره وإنما يترع منهم في بعض الأحيان الواحد فأراد أحد إلى إقامة السنة  
 وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكفر تابعه وأكثر ما يعنون بإصلاح السابلة  
 لما أن أكثر فساد الأعراب فيها لما قد مناه من طبيعة معاشهم فيأخذون في تغيير  
 المنكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحيم لما أن توبة العرب  
 ورجوعهم إلى الدين إنما يقصدون بها الإقصار عن الفارة والذنب لا يعقلون في توبتهم  
 وإقبالهم إلى متاحي الديانة غير ذلك لأنها المعصية التي كانوا عليها قبل التوبة ومنها  
 توبتهم فتجد ذلك المنتحل الدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعينين في فروع  
 الاقتداء والاتباع إنما دينهم الإعراض عن النهب والبغي وإفساد السابلة ثم  
 الإقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشأن بين هذا الأجر من إصلاح  
 الخلق ومن طلب الدنيا فاتفقهما مستع لا تستحيم له صبغة في الدين ولا يكمل  
 له تزوع عن الباطل على الجملة ولا يكثرون ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في  
 استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه فإذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصيتهم  
 وقد وقع ذلك بأفريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرة بن أحمد في  
 المائة السابعة ثم بعده لرجل آخر من بادية رباح من بطن منهم يعرفون بمسلم  
 وكان يسمى سعادة وكان أشد ديناً من الأول وأقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم  
 يستتب أمر تابعه كما ذكرناه حسبما يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل

سَلِمَ وَرِيَّاحَ وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نَاسٌ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ يَتَشَبَّهُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيُلْتَسُونَ فِيهَا وَيَنْجَلُونَ أَسْمَ السُّنَّةِ وَلَيْسُوا عَلَيْهَا إِلَّا الْأَقْلَ فَلَا يَتِمُّ لَهُمْ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ . انتهى

### الفصل الثالث والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر  
إِعلمُ أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ النَّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ التَّشَوُّقَ إِلَى عَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ وَعِلْمَ مَا يَحْدُثُ لَهُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ سِيَّما الْخَوَادِثُ الْعَامَّةُ كَمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ مَدَدِ الدُّوَلِ أَوْ تَفَاوُثِهَا وَالتَّطَلُّعُ إِلَى هَذَا طَبِيعَةٌ مَجْبُورُونَ عَلَيْهَا وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى التَّوَقُّفِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ وَالْأَخْبَارِ مِنَ الْكُهَّانِ لِمَنْ قَصَدَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوْقَةِ مَعْرُوفَةٌ وَلَقَدْ نَجِدُ فِي الْمَدُنِ صِنْفًا مِنَ النَّاسِ يَنْتَحِلُونَ الْمَعَاشَ مِنْ ذَلِكَ لِيَعْلِمَهُمْ بِحَرَصِ النَّاسِ عَلَيْهِ فَيَنْتَضِبُونَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْأَكَاكِينِ يَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَيَقْدُوا عَلَيْهِمْ وَتَرُوحُ نِسْوَانُ الْمَدِينَةِ وَصَنَائِئُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ ضُعَاءِ الْعُقُولِ يَسْتَكْشِفُونَ عَوَاقِبَ أَمْرِهِمْ فِي الْكَسْبِ وَالْجَاهِ وَالْمَعَاشِ وَالْمُعَاشَرَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مَا بَيْنَ خَطِّ فِي الرَّمْلِ وَيُسْمَوْنَ الْمُنَجِّمَ وَطَرِيقَ بِالْخَصَى وَالْجُوبِ وَيُسَمُّونَهُ الْخَاسِبَ وَنَظَرَ فِي الْأَمْرَايَا وَالْيَبَاهِ وَيُسَمُّونَهُ ضَارِبَ الْمَنْدَلِ وَهُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْفَاشِيَةِ فِي الْأَمْصَارِ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَمِّ ذَلِكَ وَإِنَّ الْبَشَرَ مَجْبُورُونَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا مَنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ فِي نَوْمٍ أَوْ وَلايَةٍ وَأَكْثَرُ مَا يَعْتَنِي بِذَلِكَ وَيَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ فِي أَمَادِ دَوْلَتِهِمْ وَلِذَلِكَ انْتَصَرَفَتِ الْعِنَايَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَكُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ يُوجَدُ لَهُمْ كَلَامٌ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنَجِّمٍ أَوْ وَلِيٍّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ مُلْكٍ يَدْتَقِبُونَهُ أَوْ دَوْلَةٍ يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا وَمَا يَحْدُثُ لَهُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَالْمَلَايِمِ وَمُدَّةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَدَدِ الْمُلُوكِ فِيهَا وَالتَّعَرُّضِ لِأَسْمَانِهِمْ وَيُسَمَّى مِثْلُ ذَلِكَ الْخَدَتَانِ وَكَانَ فِي الْعَرَبِ الْكُهَّانُ وَالْعَرَّافُونَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرُوا يَا سَيِّكُونُ لِلْعَرَبِ مِنْ الْمُلْكِ وَالْدَّوْلَةِ كَمَا وَقَعَ لِشَقِ وَطَطِيحٍ فِي تَأْوِيلِ رُؤْيَا رَابِعَةٍ بِنِ نَصْرِ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ أَخْبَرَهُمْ بِمُلْكِ الْخَلِيشَةِ بِلَادِهِمْ ثُمَّ رُجِعَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ ظَهَرَ الْمُلْكُ وَالْدَّوْلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَكَذَا



تأويل سطيج لرؤيا التوبذان حيث بعث إليه كسرى بها مع عبد المسيح وأخبرهم  
بظهور دولة العرب وكذا كان في جيل البر كهمان من أشهرهم موسى بن صالح من  
بني يفرن ويقال من عمرة له كلمات حدائنية على طريقة الثمر بطائفتهم وفيها حدثان  
كثير ومظمه فيما يكون لزناثة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين  
أهل الجبل وهم يزعمون تركة أنه ولي وتلك أنه كاهن وقد يزعم بعض زاعمهم أنه  
كان زياً لأن تأريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله أعلم وقد يستند الجبل إلى  
خبر الأنبياء إن كان لعهدهم كما وقع ليبي إسرائيل فإن أنبياءهم المتعاقبين فيهم  
كانوا يخبرونهم بمثله عندما يعنونهم في السؤال عنه . وأما في الدولة الإسلامية فوقع  
منه كثير فيما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها على العصور وفيما يرجع إلى الدولة وأعمارها  
على الخصوص وكان المعتقد في ذلك في من صدر الإسلام لا أثر منقولة عن الصحابة  
وخصوصاً مسلمة بني إسرائيل مثل كعب الأحرار ووهب بن منبه وأماليها ورباً  
أقتبسوا بعض ذلك من ظواهر ماثورة وتأويلات محتملة ووقع جعفر وأماليه من أهل  
البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم بالكشف بما كانوا عليه من الولاية وإذا  
كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأقاربهم وقد قال صلى الله  
عليه وسلم إن فيكم محدثين فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات  
الموهوبة وأما بعد صدر الأمة وحين علق الناس على العلوم والأصطلاحات  
وترجمت كتب الحكماء إلى اللسان العربي فأكثر معتد بهم في ذلك كلام  
المُتَجِجِينَ في الملك والدول وسائر الأمور العامة من القرانات وفي المواليد والمسائل  
وسائر الأمور الخاصة من الطوابع لها وهي شكل الفلك عند حدوثها فلقد كثر الآن  
ما وقع لأهل الأثر في ذلك ثم ترجع إلى كلام المُتَجِجِينَ . أما أهل الأثر فلمهم في  
مدة الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فإنه نقل عن الطبري ما  
يقضي أن مدة بقاء الدنيا منذ البلية خمسمائة سنة وتتم ذلك بظهور كذبه ومستند  
الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة ولم يذكر  
لذلك دليلاً وسره والله أعلم بتقدير الدنيا بأيام خلق السماوات والأرض وهي سبعة  
ثم اليوم بألف سنة لقوله وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون وقد ثبت في

الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
 مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَقَالَ يُعِثُّ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ  
 وَالْوُسْطَى وَقَدَّرَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ حِينَ صَيُورَةُ ظِلِّ كُلِّ شَيْءٍ  
 مِثْلِهِ يَكُونُ عَلَى التَّقْرِيبِ نِصْفَ سَاعٍ وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْوُسْطَى عَلَى السَّبَابَةِ فَتَكُونُ هَذِهِ  
 الْمُدَّةُ نِصْفَ سَاعٍ الْجُمُعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةُ نِصْفَ يَوْمٍ فَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا قَبْلَ الدِّلَّةِ  
 خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّا خَمْسَةُ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةِ سَنَةٍ أَعْنِي  
 الْمَاضِي وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا كُلُّهَا سِتَّةُ آلَافٍ سَنَةٍ قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَلَيْسَ فِي الْخَدِيثَيْنِ  
 مَا يَشْهَدُ لِشَيْءٍ بِمَا ذَكَرَهُ مَعَ وَقُوعِ الْوُجُودِ بِخِلَافِهِ فَأَمَّا قَوْلُهُ لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ  
 يُؤَخَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةُ نِصْفَ يَوْمٍ فَلَا يَقْتَضِي نَفْيَ الزِّيَادَةِ عَلَى النِّصْفِ وَأَمَّا قَوْلُهُ يُعِثُّ  
 أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ فَإِنَّمَا فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْبِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ نَسِيٌّ غَيْرُهُ  
 وَلَا شَرْعٌ غَيْرُ شَرْعِهِ ثُمَّ رَجَعَ السُّهَيْلِيُّ إِلَى تَعْيِينِ أَمَدِ الدِّلَّةِ مِنْ مَدْرَكِ آخِرِ لَوْ سَاعِدَهُ  
 التَّحْقِيقُ وَهُوَ أَنَّهُ جَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ بَعْدَ حَذْفِ الْمُكَرَّرِ قَالَ  
 وَهِيَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ ( أَلَمْ يَسْطَعِ نَصْ حَقِّ كَرِهَ ) فَأَخَذَ عَدَدَهَا بِحِسَابِ  
 الْجُمْلَةِ فَكَانَ سَبْعِمِائَةً وَثَلَاثَةً <sup>(١)</sup> أَضَافَهُ إِلَى الْمُتَقْضِي مِنْ الْأَلْفِ الْآخِرِ قَبْلَ بَعْثِهِ  
 فَهَذِهِ هِيَ مُدَّةُ الدِّلَّةِ نَالٌ وَلَا يَبْعُدُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مُتَقْضِيَاتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَفَوَائِدِهَا  
 قُلْتُ وَكَوْنُهُ لَا يَبْعُدُ لَا يَقْتَضِي ظُورَهُ وَلَا التَّعْوِيلَ عَلَيْهِ وَالَّذِي حَمَلَ السُّهَيْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هُوَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السِّيَرِ لِابْنِ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُخْطَبٍ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ  
 وَهُمْ أَبُو يَاسِرَ وَأَخُوهُ حَيٌّ حِينَ سَمِعَا مِنْ الْأَحْرَفِ الْمُقْطَعَةِ أَلَمْ وَتَوَلَّاهَا عَلَى بَيَانِ  
 الْمُدَّةِ بِهَذَا الْحِسَابِ فَلَبِغَتْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فَاسْتَقْلَا الْمُدَّةَ وَجَاءَ حَيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ هَلْ مَعَ هَذَا دَيْرُهُ فَقَالَ أَلَمْصُ ثُمَّ اسْتَرَادَ أَرْتُمْ ثُمَّ اسْتَرَادَ أَلَمْصُ فَكَانَتْ  
 إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَاسْتَطَالَ الْمُدَّةَ وَقَالَ قَدْ لَيْسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى  
 لَا نَذَرِي أَقْلِيلًا أَعْطَيْتَ أَمْ كَثِيرًا ثُمَّ ذَهَبُوا عَنْهُ وَقَالَ لَهُمْ أَبُو يَاسِرَ مَا يُدْرِيكُمْ  
 لَعَلَّاهُ أَعْطَى عَدَدَهَا كُلُّهَا تِسْعِمِائَةً وَأَرْبَعَ سِنِينَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْهُ

١ هذا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وانما المطابق للحروف المذكورة ٦٩٣



آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . اهـ . وَلَا يَقُومُ مِنَ الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى  
 تَقْدِيرِ الدَّلِيلِ بِهَذَا الْعَدَدِ لِأَنَّ دَلَالَتهُ هَذِهِ الْخُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَعْدَادِ لَيْسَتْ طَبِيعِيَّةً وَلَا  
 عَقْلِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ بِالتَّرَاضِعِ وَالْإِصْطِلَاحِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ حِسَابَ الْجَمَلِ نَعَمْ إِنَّهُ قَدِيمٌ  
 مَشْهُورٌ وَقَدِيمُ الْإِصْطِلَاحِ لَا يَصِيدُ حُجَّةٌ وَلَيْسَ أَبُو يَاسِرَ وَأَخُوهُ حَيٌّ مِمَّنْ يُؤْخَذُ رَأْيُهُ  
 فِي ذَلِكَ دَلِيلًا وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَادِيَّةً بِالْحِجَازِ غُلَاةً عَنِ الصَّنَائِعِ  
 وَالْعُلُومِ حَتَّى عَنْ عِلْمِ شَرِيعَتِهِمْ وَفَقْهِ كِتَابِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَإِنَّمَا يَتَلَقَّوْنَ مِثْلَ هَذَا الْحِسَابِ  
 كَمَا تَتَلَقَّهُ الْعَوَامُّ فِي كُلِّ مَلَّةٍ فَلَا يَنْبَغُ لِلشَّهَائِدِ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَدَّاهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَعَ  
 فِي الدَّلِيلِ فِي حَدَّثَانِ دَوْلَتِهِمَا عَلَى الْخُصُوصِ مُسْتَدٌّ مِنَ الْأَثَرِ إِنْجَالِيٌّ فِي حَدِيثٍ خَرَّجَهُ  
 أَبُو دَاوُدَ عَنْ حَدِيثَةِ بْنِ الْيَمَانِ مِنْ طَرِيقِ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الدَّهْمِيِّ عَنْ مَعِيدِ  
 بْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرُوحَ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي قَبِيصَةَ بْنِ  
 ذُوئِبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ حَدِيثَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَنِّي أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوهُ  
 وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا لَا يَبْلُغُ مِنْ  
 مَعَهُ ثَلَاثِينَ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ مَتَّاهُ بِأَسْمِهِ وَأَسْمَ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ  
 تَقَدَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي رِسَالَتِهِ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ وَهَذَا الْحَدِيثُ إِذَا كَانَ  
 صَحِيحًا فَهُوَ مُجْمَلٌ وَيَتَمَثَّرُ فِي بَيَانِ إِجْمَالِهِ وَتَعْيِينِ مُبْهَمَاتِهِ إِلَى آثَارٍ أُخْرَى يُجُودُ  
 أَسَانِيدُهَا وَقَدْ وَقَعَ إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ كِتَابِ السُّنَنِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ فَوَقَعَ  
 فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ حَدِيثَةِ أَيْضًا قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيبًا  
 فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ عَنْهُ حِفْظُهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَيْسَ  
 مِنْ نَسِيَةٍ قَدْ عَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ هَؤُلَاءِ . اهـ . وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ مَا تَرَكَ شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا  
 ذَكَرَهُ وَفِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ صَلَاةِ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ  
 إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ حِفْظُهُ مِنْ حِفْظِهِ وَنَسِيَةٍ مِنْ نَسِيَةٍ . اهـ . وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى مَا  
 ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ وَالْإِشْرَاطِ لَا غَيْرُ لِأَنَّهُ الْمَعْنَى مِنَ الشَّارِعِ صَلَوَاتِ  
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْعُمُومَاتِ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَفَرَّدَ بِهَا أَبُو دَاوُدَ فِي  
 هَذِهِ الطَّرِيقِ شَاذَةٌ مُنْكَرَةٌ مَعَ أَنَّ الْأَثْمَةَ اخْتَلَفُوا فِي رَجَالِهِ فَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ فِي

ابْنُ فُرُوحٍ أَحَادِيثُهُ مَنَّا كَثِيرٌ وَقَالَ الْبُخَّارِيُّ يُعْرَفُ مِنْهُ وَيُنْكَرُ وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ  
 أَحَادِيثُهُ غَيْرُ مَحْضُوظَةٍ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ  
 فَإِنَّمَا خَرَجَ لَهُ الْبُخَّارِيُّ اسْتِشْهَادًا وَضَعَفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ ابْنُ  
 حَاتِمٍ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَأَبُو قَيْصَةَ بْنُ ذُوئَيْبٍ مَجْهُولٌ فَتَضَعُفُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ  
 الَّتِي وَقَعَتْ لِأَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ مَعَ شَذُوذِهَا كَمَا مَرَّ . وَقَدْ  
 يَسْتَنِدُونَ فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ عَلَى الْخُصُوصِ إِلَى كِتَابِ الْجَعْفَرِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ فِيهِ عِلْمَ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَثَرِ وَالنُّجُومِ لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُونَ أَصْلَ ذَلِكَ وَلَا  
 مُسْتَنَدَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ كِتَابَ الْجَعْفَرِ كَانَ أَصْلُهُ أَنَّ هَارُونَ بْنُ سَعِيدٍ الْعِجْلِيُّ وَهُوَ رَأْسُ  
 الزَّيْدِيَّةِ كَانَ لَهُ كِتَابٌ يَرْوِيهِ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَفِيهِ عِلْمٌ مَا سَيَقَعُ لِأَهْلِ الْيَتِّ عَلَى  
 الْعُيُومِ وَلِبَعْضِ الْأَشْخَاصِ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ وَقَعَ ذَلِكَ لِجَعْفَرٍ وَنَظَائِرِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ  
 عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ وَالْكَشْفِ الَّذِي يَقَعُ لِمِثْلِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَ  
 جَعْفَرٍ فِي جِلْدِ ثَوْبٍ صَغِيرٍ فَرَوَاهُ عَنْهُ هَارُونَ الْعِجْلِيُّ وَكَتَبَهُ وَسَمَّاهُ الْجَعْفَرُ بِاسْمِ الْجِلْدِ  
 الَّذِي كُتِبَ فِيهِ لِأَنَّ الْجَعْفَرَ فِي اللُّغَةِ هُوَ الصَّغِيرُ وَصَارَ هَذَا الْإِسْمُ عَلَمًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ  
 عِنْدَهُمْ وَكَانَ فِيهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ مِنْ غَرَائِبِ التَّعَالِي مَرْوِيَّةٌ عَنْ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ تَنْصِلْ رِوَايَتُهُ وَلَا عَرَفَ عَيْنُهُ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنْهُ شَرَاذُ مِنْ  
 الْكَلِمَاتِ لَا يَصْحُبُهَا دَلِيلٌ وَلَوْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ لَكَانَ فِيهِ نِعْمَ الْمُسْتَنَدُ  
 مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ فَهُمْ أَهْلُ الْكِرَامَاتِ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَذِّرُ بَعْضَ  
 قَرَابَتِهِ بِوَقَائِعَ تَكُونُ لَهُمْ فَتَصِحُّ كَمَا يَقُولُ وَقَدْ حَدَّثَ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو زَيْدٌ مِنْ مَضَرَعِهِ  
 وَعَصَاهُ فَخَرَجَ وَقُتِلَ بِالْجَوْزِجَانِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِذَا كَانَتْ الْكِرَامَةُ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ  
 فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ عِلْمًا وَدِينًا وَأَثَرًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَعِنَايَةٍ مِنَ اللَّهِ بِالْأَصْلِ الْكَرِيمِ تَشْهَدُ  
 لِفُرُوعِهِ الطَّيِّبَةِ وَقَدْ يُنْقَلُ بَيْنَ أَهْلِ الْيَتِّ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى  
 أَحَدٍ وَفِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَأَنْظُرْ مَا حَكَاهُ ابْنُ الرَّقِيقِ فِي لِقَاءِ أَبِي  
 عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمُهَدِّيِّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ وَمَا حَدَّثَاهُ بِهِ وَكَيْفَ  
 بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَتِهِمْ بِالْيَمَنِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَبَثَّ الدَّعْوَةَ  
 فِيهِ عَلَى عِلْمٍ لِقِنِّهِ أَنَّ دَعْوَتَهُ تَمُّ هُنَاكَ وَأَنَّ عِيْدَ اللَّهِ لَنَا بَنَى الْمُهَدِّيَّةَ بَعْدَ اسْتِغْثَالِ



دَوْلَتِهِمْ بِأَفْرِيقَةٍ قَالَ بَنَيْتُهَا لِيَعْتَصِمَ بِهَا الْفَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ نَزَارِ وَأَرَاهُمْ مَوْقِفَ صَاحِبِ  
الْحِمَارِ أَبِي يُزَيْدَ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ يَسْأَلُ عَنْ مُنْتَهَى مَوْقِفِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْخَبَرُ بِبُلُوغِهِ إِلَى  
الْمَكَانِ الَّذِي عَيْنُهُ جَدُّهُ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهُ فَأَيَّقَنَ بِالظَّاهِرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فَهَزَمَهُ وَاتَّبَعَهُ  
إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَنَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ كَثِيرَةٌ . وَأَمَّا الْمُتَجَمُّونَ فَيَسْتَبْدُونَ  
فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ أَمَّا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِثْلَ الْمُلْكِ وَالْدُّوَلِ  
فَمِنْ الْقِرَآنَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعُلَوِيِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلَوِيِّينَ رُحِلَ وَالْمُشْتَرِي يَفْتَرِنَانِ فِي  
كُلِّ عِشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَعُودُ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ آخَرٍ فِي تِلْكَ الْمَثَلَةِ مِنَ التَّثْلِيثِ  
الْأَيْمَنِ ثُمَّ بَعْدَهُ إِلَى آخَرٍ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمَثَلَةِ الْوَاحِدَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ  
مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوحِهَا الثَّلَاثَةُ فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ  
ثَالِثَةً ثُمَّ رَابِعَةً فَيَسْتَوِي فِي الْمَثَلَةِ بِثِنْتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعِ عَوْدَاتٍ فِي مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ  
سَنَةً وَيَكُونُ انْتِقَالُهُ فِي كُلِّ بُرْجٍ عَلَى التَّثْلِيثِ الْأَيْمَنِ وَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمَثَلَةِ إِلَى الْمَثَلَةِ  
الَّتِي تَلِيهَا أَعْنِي الْبُرْجَ الَّذِي يَلِي الْبُرْجَ الْآخِرَ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الْمَثَلَةِ وَهَذَا  
الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ قِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسْطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ اجْتِمَاعُ  
الْعُلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مَرَّةً  
وَاحِدَةً وَالْوَسْطُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ فِي كُلِّ مَثَلَةٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَبَعْدَ مِائَتَيْنِ  
وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَقِلُ إِلَى مَثَلَةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةِ بُرْجٍ  
وَبَعْدَ عِشْرِينَ سَنَةً يَفْتَرِنَانِ فِي بُرْجِ آخَرٍ عَلَى تَثْلِيثِهِ الْأَيْمَنِ فِي مِثْلِ دَرَجِهِ أَوْ دَقَائِقِهِ  
مِثَالُ ذَلِكَ وَقَعُ الْقِرَانُ يَكُونُ أَوَّلَ دَقِيقَةٍ مِنَ الْحَمَلِ وَبَعْدَ عِشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ  
الْأَسَدِ وَهَذِهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا كُلُّهُ قِرَانٌ صَغِيرٌ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحَمَلِ بَعْدَ سِتِّينَ  
سَنَةً وَيُسَمَّى دَوْرَ الْقِرَانِ وَعَوْدَ الْقِرَانِ وَبَعْدَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَنْتَقِلُ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى  
الْأَرَابِيَّةِ لِأَنَّهَا بَعْدُهَا وَهَذَا قِرَانٌ وَسْطٌ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْهَوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمَانِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى  
أَوَّلِ الْحَمَلِ فِي تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى عِظَامِ  
الْأُمُورِ مِثْلَ تَغْيِيرِ الْمُلْكِ وَالْدَّوْلَةِ وَانْتِقَالِ الْمُلْكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسْطُ عَلَى ظُهُورِ  
الْمُتَعَلِّقِينَ وَالطَّالِبِينَ الْمُلْكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَالِدُّنَاةِ وَخَرَابِ الْمَدُنِ أَوْ  
عَمَرَانِهَا وَيَقَعُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْقِرَآنَاتِ قِرَانُ التَّحْسِينِ فِي بُرْجِ السَّرَطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ

سَنَةً مَرَّةً وَيُسَمَّى الرَّابِعَ وَبُرْجُ السَّرَطَانِ هُوَ طَالِبُ الْعَالَمِ وَفِيهِ وَبَالُ زُحَلٍ وَهُبُوطُ  
الْبَرِّيخِ فَتَعْظُمُ دَلَالَةُ هَذَا الْبَرَّانِ فِي الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَظُهُورِ الْخَوَارِجِ  
وَحَرَكََةِ الْعَسَاكِرِ وَعِصْيَانِ الْجُنْدِ وَالْوَبَاءِ وَالْقَحْطِ وَيَدُومُ ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي عَلَى قَدَرِ  
السَّعَادَةِ وَالنُّحُوسَةِ فِي وَقْتِ قِرَائِنِهَا عَلَى قَدَرِ تَنَسُّبِ الدَّلِيلِ فِيهِ قَالَ جِرَاسُ بْنُ أَحْمَدَ  
الْحَاسِبُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلْفَهُ لِظَلَامِ الْمَلِكِ وَرُجُوعِ الْبَرِّيخِ إِلَى الْعَقَرِ لَهُ أَثَرٌ  
عَظِيمٌ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلًا فَالْمَوْلِدُ النَّبَوِيُّ كَانَ عِنْدَ قِرَانِ الْعُلَوِيِّينَ  
بِبُرْجِ الْعَقَرِ فَلَمَّا رَجَعَ هُنَاكَ حَدَّثَ التَّشْوِيشُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَكَثُرَ الرِّعَاضُ فِي أَهْلِ  
الْعِلْمِ وَالِدِّينَ وَنَقَصَتْ أَحْوَالُهُمْ وَرَبَّمَا أَنْهَدَمَ بَعْضُ بُيُوتِ الْعِبَادَةِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ  
عِنْدَ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ رِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُ وَمَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْمُتَوَكِّلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِذَا  
رُوعِيَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ أَحْكَامِ الْبَرَّانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَذَكَرَ شَاذَانَ  
الْبَلْخِي أَنَّ الْمِلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبُ هَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ يَظْهَرُ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ وَقَالَ خِرَاشُ  
رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخْبَرُوا كِنَرِي عَنْ مُلْكِ الْعَرَبِ وَظُهُورِ النُّبُوَّةِ  
فِيهِمْ وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الزُّهْرَةُ وَكَانَتْ فِي شَرْفِهَا فَيَبْقَى الْمُلْكُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِ الْبَرَّانَاتِ الْإِسْمَةُ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْحَوْتِ فِيهَا  
شَرْفُ الزُّهْرَةِ وَوَقَعَ الْقِرَانُ مَعَ ذَلِكَ بِبُرْجِ الْعَقَرِ وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ ظَهَرَتْ حِينَئِذٍ  
دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَكَانَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ وَيَكُونُ قُوَّةُ مُلْكِهِ وَمُدَّتُهُ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ دَرَجَاتِ شَرْفِ  
الزُّهْرَةِ وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً بِتَقْرِيبٍ مِنْ بُرْجِ الْحَوْتِ وَمُدَّةُ ذَلِكَ سِتِّينَ وَعِشْرِينَ  
سَنِينَ وَكَانَ ظُهُورُ أَبِي مُسْلِمٍ عِنْدَ انْتِقَالِ الزُّهْرَةِ وَوُقُوعِ الْإِسْمَةِ أَوَّلَ الْجَمَلِ وَصَاحِبَ  
الْجِدِّ الْمُشْتَرِي وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ إِنَّ مُدَّةَ الْمِلَّةِ تَنْتَهِي إِلَى سِتِّينَ  
وِثَلَاثَ وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ لِأَنَّ الزُّهْرَةَ كَانَتْ عِنْدَ قِرَانِ الْمِلَّةِ فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً  
وِثَلَاثِينَ دَقِيقَةً مِنَ الْحَوْتِ فَالْبَاقِي إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَمَانِي عَشْرَةَ دَقِيقَةً وَدَقَائِقُهَا  
سِتُّونَ فَيَكُونُ سِتِّينَ وَثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ وَهَذِهِ مُدَّةُ الْمِلَّةِ بِاتِّفَاقِ الْحُكَمَاءِ  
وَيَعْضُدُهُ الْحُرُوفُ الْوَاقِعَةُ فِي أَوَّلِ السُّورِ بِحَذْفِ الْمُكَرَّرِ وَأَعْتِبَارِهِ بِحِسَابِ الْجَمَلِ  
قُلْتُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْغَالِبُ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ مُسْتَنَدُ السُّهَيْلِيِّ فِيمَا نَقَلْنَاهُ



عنه قال خراش سأل هرمز إفرید الحكيم عن مدة أزدشير وولده ملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين وأجودها أربعمائة وسبعا وعشرين سنة ثم يزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون لأن طابع القرآن اليزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القرآن في شرفها فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة وسأل كبرى أنو شروان وزيده بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس إلى العرب فأخبره أن القائم منهم يولد لخمس وأربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يعرض إلى الزهرة وينتقل القرآن من الهوائية إلى العقر وهو ما في وهو دليل العرب فلهذه الأدلة تفضي للملة بمدة دور الزهرة وهي ألف وستون سنة وسأل كبرى أبوزيد اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال توفيل الرومي السجهم في أيام بني أمية إن ملة الإسلام تبقى مدة القرآن الكبير تسعمائة وستين سنة فإذا عاد القرآن إلى برج العقر كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فيحيى إذ إما أن يفتد العتل به أو يتجدد من الأحكام ما يوجب خلاف الظن قال خراش وأتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك سائر المكنونات وذلك عندما يقطع قلب الأسد أربعاً وعشرين درجة وهي حد الأربعين وذلك بعد مضي تسعمائة وستين سنة وذكر خراش أن ملك زابلستان بعث إلى المأمون بحكيمه ذوبان أتخه به في هدية وأنه تصرف للمأمون في الاختيارات بحروب أخيه ويعقد اللواء لطاهر وأن المأمون أعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فأخبره بأنه طاع الملك من عيه واتصاله في ولد أخيه وأن العجم يتغلبون على الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من شمال المشرق فيملكون إلى الشام والفرات وسيخون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المأمون من أين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن أحكام صه بن داهر الهندي الذي وضع الشطرنج قلت والترك الذين أشار إلى ظهورهم بعد الديلم هم السلجوقية وقد انقضت دولتهم أول القرن السابع قال خراش وانتقال القرآن إلى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة

لِيُذَجَرَدَ وَبَعْدَهَا إِلَى بُرْجِ الْعَقَرِ حَيْثُ كَانَ قِرَانُ أَلِمَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ قَالَ وَالَّذِي  
 فِي الْحُوتِ هُوَ أَوَّلُ الْإِنْتِقَالِ وَالَّذِي فِي الْعَقَرِ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ دَلَائِلُ أَلِمَّةِ قَالَ وَتَحْوِيلُ  
 السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْقِرَانِ الْأَوَّلِ فِي الْمِثْلَاتِ الْمَائِيَّةِ فِي ثَلَاثِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ  
 وَثَمَانِمِائَةٍ وَلَمْ يَسْتَوْفِ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ . وَأَمَّا مُسْتَنَدُ الْمُسَجِّينَ فِي دَوْلَةٍ عَلَى الْخُصُوصِ  
 فَمِنْ الْقِرَانِ الْأَوْسَطِ وَهَيْئَةُ الْفَلَكَ عِنْدَ وَفُوعِهِ لِأَنَّ لَهُ دِلَالَةً عِنْدَهُمْ عَلَى حَدُوثِ الدَّوَلَةِ  
 وَجِهَاتِهَا مِنَ الْعُمَرَاءِ وَالْقَائِمِينَ بِهَا مِنَ الْأُمَمِ وَعَدَدِ مُلُوكِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَنَحْلِهِمْ  
 وَأَدْيَانِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرَ أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِهِ فِي الْقِرَانَاتِ وَقَدْ تَوَجَّدَ هَذِهِ  
 الدِّلَالَةُ مِنَ الْقِرَانِ الْأَصْغَرِ إِذَا كَانَ الْأَوْسَطُ دَالًّا عَلَيْهِ فَمِنْ هَذَا يُوجَدُ الْكَلَامُ فِي الدَّوَلِ  
 وَقَدْ كَانَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ مُنْجِمَ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ وَضَعَ فِي الْقِرَانَاتِ الْكَائِنَةَ  
 فِي أَلِمَّةِ كِتَابًا سَمَّاهُ الشَّيْعَةَ بِالْجَفْرِ بِاسْمِ كِتَابِهِمُ الْمُنْسُوبِ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَذَكَرَ  
 فِيهِ فِيمَا يُقَالُ حَدَّثَنِي دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنَّهَا نِهَائِيَّةٌ وَأَشَارَ إِلَى أَنْتِقَاضِهَا وَالْحَادِثَةِ عَلَى  
 بَغْدَادِ أَنَّهَا تَقَعُ فِي أَنْتِصَافِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ وَأَنَّهُ بِأَنْتِقَاضِهَا يَكُونُ أَنْتِقَاضُ أَلِمَّةٍ وَلَمْ يَقِفْ  
 عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَبَرِ هَذَا الْكِتَابِ وَلَا رَأْيًا مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَلَعَلَّهُ غَرِقَ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي طَرَحَهَا  
 هَلَكَ مُلْكُ التُّرْكِ فِي دِجْلَةِ عِنْدَ اسْتِيلَانِهِمْ عَلَى بَغْدَادِ وَقَتْلِ الْمُسْتَعَصِمِ آخِرِ الْخُلَفَاءِ وَقَدْ  
 وَقَعَ بِالْمَغْرِبِ جُزْءٌ مَنُسوبٌ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ يُسَمُّونَهُ الْجَفْرَ الصَّغِيرَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَضَعَ لِي  
 عَبْدُ الْمُؤْمِنِ لِذِكْرِ الْأَوَّلِينَ مِنْ مُلُوكِ الْمُوَحِّدِينَ فِيهِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَمُطَابَقَةٍ مَنْ تَقَدَّمَ عَنْ  
 ذَلِكَ مِنْ حَدَّثَانِهِ وَكَذَّبَ مَا بَعْدَهُ وَكَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ بَعْدِ الْكِنْدِيِّ مُنْجِمُونَ  
 وَكُتُبٌ فِي الْحَدَّثَانِ وَأَنْظَرُ مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ فِي أَخْبَارِ الْهَمْدِيِّ عَنْ أَبِي بُدَيْلٍ مِنْ أَصْحَابِ  
 صَنَائِعِ الدَّوَلَةِ قَالَ بَعَثَ إِلَى الرَّبِيعِ وَالْحَسَنِ فِي غَزَاتِهِمَا مَعَ الرَّشِيدِ أَيَّامَ أَبِيهِ فَجِثُّهُمَا  
 جَوْفَ اللَّيْلِ فَإِذَا عِنْدَهُمَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الدَّوَلَةِ يَعْنِي الْحَدَّثَانِ وَإِذَا مُدَّةُ الْهَمْدِيِّ فِيهِ  
 عَشْرُ سِنِينَ فَقُلْتُ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَخْفَى عَلَى الْهَمْدِيِّ وَقَدْ مَضَى مِنْ دَوْلَتِهِ مَا مَضَى فَإِذَا  
 وَقَفَ عَلَيْهِ كُنْتُمْ قَدْ نَعَيْتُمْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ قَالَا فَمَا إِحْيَا فَاَسْتَدْعَيْتُ عَبَّاسَةَ الْوَرَّاقَ مَوْلَى  
 آلِ بُدَيْلٍ وَقُلْتُ لَهُ أَنْسَخْ هَذِهِ الْوَرْقَةَ وَأَكْتُبْ مَكَانَ عَشْرِ أَرْبَعِينَ فَقَعَلَ فَوَاللَّهِ لَوْ لَا  
 أَنِّي رَأَيْتُ الْعَشْرَةَ فِي تِلْكَ الْوَرْقَةِ وَالْأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ مَا كُنْتُ أَسْأَلُ أَنَّهَا هِيَ ثُمَّ كُتِبَ  
 النَّاسُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي حَدَّثَانِ الدَّوَلِ مَنْظُومًا وَمَنْشُورًا وَرَجَزًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ



وَبِأَيْدِي النَّاسِ مُتَفَرِّقَةٌ كَثِيرٌ مِنْهَا وَتُسَمَّى الْمَلَاحِمَ وَبَعْضُهَا فِي حَدَّثَانِ الْيَمَّةِ عَلَى الْعُمُومِ وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةٍ عَلَى الْخُصُوصِ وَكُلُّهَا مَنُوسِبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرَ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَلَيْسَ مِنْهَا أَصْلٌ يَعْتَمِدُ عَلَى رِوَايَتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمَنُوسِبِ إِلَيْهِ فَمِنْ هَذِهِ الْمَلَاحِمِ بِالْمَغْرِبِ قَصِيدَةُ ابْنِ مُرَّانَةَ مِنْ بَحْرِ الطُّوَيْلِ عَلَى رِوَايَةِ الرَّاءِ وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَتَحْسِبُ الْعَامَّةُ أَنَّهَا مِنْ الْحَدَّثَانِ الْعَامِّ فَيُطْلِقُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا عَلَى الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالَّذِي سَمِعْتَاهُ مِنْ سُيُوحِنَا أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِدَوْلَةٍ لِمَثُونَةٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قُبِيلَ دَوْلَتِهِمْ وَذَكَرَ فِيهَا اسْتِيلَاءَهُمْ عَلَى سَبْتَةٍ مِنْ يَدِ مَوَالِي بَنِي حُمُودٍ وَمُلْكِهِمْ لَعُدْوَةَ الْأَنْدَلُسِ وَمِنْ الْمَلَاحِمِ بِيَدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ أَيْضاً قَصِيدَةُ تُسَمَّى التَّبِيعَةِ أَوَّلُهَا

طَرِبْتُ وَمَا ذَاكَ مِنِّي طَرَبٌ وَقَدْ يَطْرَبُ الطَّائِرُ الْمُتَقَصِّبُ  
وَمَا ذَاكَ مِنِّي لِلَّهِ أَرَاهُ وَلَكِنْ لِتَذْكَارِ بَعْضِ السَّبَبِ  
قَرِيباً مِنْ خَمْسِمِائَةٍ بَيَّنْتُ أَوَّلُهَا فِيهَا يُبَالُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيراً مِنْ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَأَشَارَ فِيهَا إِلَى الْأَنْطَلِيطِيِّ وَغَيْرِهِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مَضُوعَةٌ وَمِنْ الْمَلَاحِمِ بِالْمَغْرِبِ أَيْضاً مُلَعَبَةٌ مِنْ الشَّعْرِ الرَّجُلِيِّ مَنُوسِبَةٌ لِبَعْضِ الْيَهُودِ ذَكَرَ فِيهَا أَحْكَامَ الْقِرَاقَاتِ لِعَضْرِهِ الْعَلَوِيِّينَ وَالنَّحْسِينَ وَغَيْرَهُمَا وَذَكَرَ مِثْلَهُ قُبَيْلاً بِقَاسٍ وَكَانَ كَذَلِكَ فِيهَا زَعْمُهُ وَأَوَّلُهُ

فِي صَبْغِ ذَا الْأَزْرَقِ لَشَرْفِهِ خِيَاراً فَافْهَمُوا يَا قَوْمَ هَذِي الْإِشَارَا  
مَجْمُوعٌ زَحَلْ أَخْبَرْ بَذِي الْعِلَامَا وَبَدَّلْ الشُّكْلَا وَهِيَ سَلَامَا  
شَاشِيَةٌ زَرْقَا بَدَلِ الْعِلَامَا وَشَاشْ أَزْرَقْ بَدَلِ الْغَرَارَا  
يَقُولُ فِي آخِرِهِ

قَدْ تَمَّ ذَا التَّجْنِيسِ لِإِنْسَانٍ يَهُودِيٍّ يَصْلُبُ فِي بَلَدَةِ فَاسٍ فِي يَوْمِ عِيدِ  
حَتَّى يَجِيَهُ النَّاسُ مِنَ الْبُوَادِي وَقَتْلُهُ يَا قَوْمَ عَلَى الْفَرَادِ  
وَأَبْيَاتِهِ نَحْوُ الْخَمْسِمِائَةِ وَهِيَ فِي الْقِرَاقَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَمِنْ مَلَاحِمِ الْمَغْرِبِ  
أَيْضاً قَصِيدَةُ مِنْ عَرُوضِ الْمُتَقَارِبِ عَلَى رِوَايَةِ الْبَاءِ فِي حَدَّثَانِ دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ  
بُتُونِسَ مِنْ الْمُوَحِّدِينَ مَنُوسِبَةٌ لِابْنِ الْأَبَّارِ وَقَالَ لِي قَاضِي قُسْطَنْطِينَةَ الْخَطِيبُ الْكَبِيرُ  
أَبُو عَلِيٍّ بْنُ بَادِيسَ وَكَانَ بَصِيراً بِمَا يَقُولُهُ وَلَهُ قَدَمٌ فِي التَّجْمِيمِ فَقَالَ لِي إِنَّ هَذَا ابْنُ الْأَبَّارِ  
لَيْسَ هُوَ الْخَافِظُ الْأَنْدَلُسِيُّ الْكَاتِبَ مَقْتُولَ الْمُسْتَنْصِرِ وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ خِيَاطٌ مِنْ أَهْلِ

تونس تَوَاطَتْ شَهْرَتُهُ مَعَ شُهْرَةِ الْخَافِظِ وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يُنْشِدُ هَذِهِ  
الْأَبْيَاتِ مِنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَبَيْتِي بَعْضُهَا فِي حِفْظِي مَطْلَعُهَا

عَذِيرِي مِنْ زَمَنِ قُلُوبٍ      يَغُرُّ بِبَارِقِهِ الْأَشْنَابِ  
وَيَبْعَثُ مِنْ جَيْشِهِ قَائِدًا      وَيَبْقَى هُنَاكَ عَلَى مَرْقَبِ  
فَتَأْتِي إِلَى الشَّيْخِ أَخْبَارُهُ      فَيَقْبَلُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ  
وَيُظْهِرُ مِنْ عَدْلِهِ سِيرَةً      وَتِلْكَ سِيَاسَةُ مُسْتَجْلِبِ

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فَإِمَّا <sup>(١)</sup> رَأَيْتَ الرُّسُومَ أَمَحَتْ      وَلَمْ يُوعَ حَقُّ لَدِي مَنْصِبِ  
فَحُذِّ فِي التَّرَحُّلِ عَنْ تُونِسِ      وَوَدِّعَ مَعَالِمَهَا وَأَذْهَبِ  
فَسَرَفَ تَكُونُ بِهَا فِتْنَةٌ      تُضِيفُ الْبَرِيَّةَ إِلَى الْمَذْنِبِ  
وَوَقَفْتُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَلْحَمَةٍ أُخْرَى فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ هَؤُلَاءِ بِتُونِسَ فِيهَا بَعْدَ  
السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى الشَّهِيدِ عَاشِرِ مُلُوكِهِمْ ذِكْرُ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ فِيهَا  
وَبَعْدَ أَبِي عَبْدِ الْإِلَهِ شَقِيقُهُ      وَيُعْرِفُ بِالْوَثَابِ فِي نُسَخَةِ الْأَصْلِ  
إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَمْلِكْهَا بَعْدَ أَخِيهِ وَكَانَ يُنْتَبِئُ بِذَلِكَ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ وَمِنْ  
الْمَلَا حِمٍ فِي الْمَغْرِبِ أَيْضًا الْمُلُكِيَّةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْهَوَثِيِّ عَلَى لُغَةِ الْعَامَّةِ فِي عَرُوضِ الْبَلَدِ  
دَعْنِي بِدَمْعِي الْهَتَانِ      فَدَثَّ الْأَمْطَارُ وَلَمْ تَفْتَدِ

وَاسْتَقَتْ كُلُّهَا الْوَيْدَانِ      وَانْنِي تَمَلُّى وَتَنْغَدِرُ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ بَيْنَ عَامَّةِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا الْوَضْعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ مِنْهَا  
قَوْلٌ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ تُجَرِّفُهُ الْعَامَّةُ أَوْ أَحْكَافُ فِيهِ مَنْ يَنْتَحِلُهَا مِنْ الْخَاصَّةِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ  
عَلَى مَلْحَمَةٍ مُنْسُوبَةٍ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ الْأَخْلَامِيِّ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ شَبِيهِ الْأَلْفَاظِ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا  
إِلَّا اللَّهُ لِيَتَحَلَّلَ إِلَى أَوْفَاقٍ عَدَدِيَّةٍ وَدُمُوزٍ مَلْعُوزَةٍ وَأَشْكَالٍ حَيَوَانَاتٍ تَامَّةٍ وَرُؤُوسٍ مُقَطَّعَةٍ  
وَتَسَائِيلٍ مِنْ حَيَوَانَاتٍ غَرِيبَةٍ وَفِي آخِرِهَا قَصِيدَةٌ عَلَى رُؤْيِ اللَّامِ وَالْغَالِبُ أَنَّهَا كُلُّهَا  
غَيْرُ صَحِيحَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْشَأْ عَنْ أَصْلِ عَلِيٍّ مِنْ نِجَامَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَسَبِغْتُ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ

(١) قوله فإمّا رأيت أصله فأن رأيت زبدت ما وادغمت في ان الشرطية المحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما  
رأيت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية . ١٠ هـ . قاله نصر



مَلَا حِمَ أُخْرَى مَنَسُوبَةً لِأَبْنِ سَيْتَاءَ وَأَبْنِ عُقَابٍ وَأَيُّسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الصِّحَّةِ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقِرَآنَاتِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ أَيْضًا عَلَى مَلْحَمَةٍ مِنْ حَدَّثَانِ دَوْلَةِ الْأَتْرَكِ مَنَسُوبَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ يُسَمَّى الْبَاجَرَبَقِيَّ وَكُلُّهَا إِنْغَازٌ بِالْحُرُوفِ أَوْهَا  
 إِنْ شِئْتَ تَكْشِفُ سِرَّ الْجَفْرِ يَا سُؤْلِي مِنْ عِلْمِ جَفْرِ وَصِيٍّ وَالِدِ الْحَسَنِ  
 فَأَفْهَمُ وَكُنْ وَاعِيًا حَرْفًا وَجُمْلَةً وَالْوَصْفَ فَأَفْهَمُ كَفَعْلٍ الْخَاطِقِ الْفَطْنِ  
 أَمَّا الَّذِي قَبْلَ عَصْرِي لَسْتُ أَذْكُرُهُ لَكِنِّي أَذْكُرُ الْآيَاتِي مِنَ الرِّمَنِ  
 بِشَهْرِ بَيْبَرَسَ يَبْقَى بَعْدَ خَمْسَتِهَا بِجَاءَ مِمَّ بِطِيشٍ نَامَ فِي الْكُنَنِ  
 شَيْنٌ لَهُ أَثَرٌ مِنْ تَحْتِ سُرَّتِهِ لَهُ الْقَضَاءُ قَضَى أَيُّ ذَلِكَ الْبَيْنِ  
 فَبِضْرُ وَالشَّامُ مَعَ أَرْضِ الْعِرَاقِ لَهُ وَأَذْرَبِجَانُ فِي مُلْكٍ إِلَى أَلْيَسَنِ  
 وَأَبْيَاتُهَا كَثِيرَةٌ وَالْغَالِبُ أَتْنَا مَوْضُوعَةٌ وَمِثْلُ صِنْعِهَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ كَثِيرٌ  
 وَمَعْرُوفٌ الْإِتِّحَالِ

حَكَى الْمَوْزُونُ لِأَخْبَارِ بَغْدَادَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَا أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ وَرَاقٌ ذَكِيٌّ يُعْرِفُ  
 بِالْدَّانَالِيِّ يَبْلُ الْأَوْرَاقَ وَيَكْتُبُ فِيهَا بِحَطِّ عَمِيقٍ يَرْمُزُ فِيهِ بِحُرُوفٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ  
 الدَّوْلَةِ وَيُشِيرُ بِهَا إِلَى مَا يَعْرِفُ مَيْلَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الرِّفْعَةِ وَالْأَجَلِ كَانَتْهَا مَلَا حِمٌ وَيَحْصُلُ  
 عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ وَضَعَ فِي بَعْضِ دَفَاتِرِهِ مِيسَاً مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ  
 وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُفْلِحٍ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ فَقَالَ لَهُ هَذَا كِتَابَةٌ عَنْكَ وَهُوَ مُفْلِحٌ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ  
 وَذَكَرَ عَنْهُ مَا يَرْضَاهُ وَيُنَالُهُ مِنَ الدَّوْلَةِ وَنَصَبَ لِذَلِكَ عِلَامَاتٍ يُتَرَكُ بِهَا عَلَيْهِ فَبَدَّلَ لَهُ  
 مَا أَعْنَاهُ بِهِ ثُمَّ وَضَعَهُ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْقَاسِمِ بْنِ وَهْبٍ عَلَى مُفْلِحٍ هَذَا وَكَانَ مَعْرُوفًا فَجَاءَهُ  
 بِأَوْرَاقٍ مِثْلَهَا وَذَكَرَ أَسْمَاءَ الْوَزِيرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَبِعِلَامَاتٍ ذَكَرَهَا وَأَنَّهُ يَلِي  
 الْوِزَارَةَ لِلثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ وَيَقْهَرُ الْأَعْدَاءُ وَتَعْمُرُ الدُّنْيَا  
 فِي أَيَّامِهِ وَأَوْقَفَ مُفْلِحًا هَذَا عَلَى الْأَوْرَاقِ وَذَكَرَ فِيهَا كَوَائِنَ أُخْرَى وَمَلَا حِمٌ مِنْ هَذَا  
 النَّوعِ مِمَّا وَقَعَ وَمِمَّا لَمْ يَقَعْ وَنَسَبَ جَمِيعَهُ إِلَى دَانَالٍ فَأَعْجَبَ بِهِ مُفْلِحٌ وَوَقَفَ عَلَيْهِ  
 الْمُقْتَدِرُ وَاهْتَدَى مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ وَالْعِلَامَاتِ إِلَى ابْنِ وَهْبٍ وَكَانَ ذَلِكَ سَيِّئًا لَوِزَارَتِهِ  
 بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ الْعَرِيقَةِ فِي الْكَذِبِ وَالْجَلَالِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْعَازِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ  
 الْمَلْحَمَةَ الَّتِي يَنْسُبُونَهَا إِلَى الْبَاجَرَبَقِيِّ مِنْ هَذَا النَّوعِ . وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَكْمَلَ الدِّينِ ابْنَ

شيخ الحنفية من الحجة بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب إليه من الصوفية وهو الباجريتي وكان عارفاً بطرائقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة في خلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف ويومي إلى رجال معينين عنده ويلفون عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم وربما يظهر نظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهدها فتتوكلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد فيها الحراصون من ذلك المجلس في كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو أمر مستعج إذ الرمز إنما يهدي إلى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزها فرأيت من كلام هذا الرجل الناضل شئاً إما كان في النفس من أمر هذه الملحمة وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

## الباب الرابع

### من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال

وفيه سوابق ولواحق

### الفصل الاول

في ان الدول من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك

وبيانه ان البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضاً فالمدن والامصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون وليست من الأمور الضرورية للناس التي تعم بها البلوى حتى يكون تزوعهم إليها اضطراراً بل لا بد من إكراههم على ذلك وسوقهم إليه مضطهدين بعضاً الملك أو مرغبين في الثواب والأجر الذي لا يفي بكثرة إلا



الْمَلِكُ وَالْدَوْلَةُ فَلَا بُدَّ فِي تَصْدِيرِ الْأَمْصَارِ وَاتِّخَاطِ الْمُدُنِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكِ ثُمَّ إِذَا  
 بَنِيَ الْمَدِينَةَ وَكَمَّلَ تَشْيِيدَهَا بِحَسَبِ نَظَرٍ مِنْ شَيْدَهَا وَبِمَا اقْتَضَتْهُ الْأَحْوَالُ السَّمَاوِيَّةُ  
 وَالْأَرْضِيَّةُ فِيهَا فَعَمَرُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ عُمَرُهَا فَإِنْ كَانَ عَمَرُ الدَّوْلَةِ قَصِيراً وَقَفَ الْحَالُ فِيهَا  
 عِنْدَ انْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَتَرَاجَعَ عُمَرَانِهَا وَخَرِبَتْ وَإِنْ كَانَ أَمَدُ الدَّوْلَةِ طَوِيلًا وَمُدَّتْهَا مُنْقِصَةً  
 فَلَا تَرَالُ الْمَصَانِعُ فِيهَا تُشَادُ وَالْمَنَازِلُ الرَّحِيبةُ تَكْثُرُ وَتَتَعَدَّدُ وَنِطاقُ الْأَسْوَاقِ  
 يَتَبَاعَدُ وَيَنْفَسِحُ إِلَى أَنْ تَتَّسِعَ الْخُطَّةُ وَتَتَبَعَدَ الْمَسَافَةُ وَيَنْفَسِحَ ذَرْعُ الْمَسَاحَةِ كَمَا وَقَعَ  
 بِبَغْدَادَ وَأَمْثَالِهَا . ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَأْرِيخِهِ أَنَّ الْحُكَّامَاتِ بَلَغَ عَدْدُهَا بِبَغْدَادَ لِعَهْدِ  
 الثَّامُونِ خَمْسَةَ وَبِشِينَ أَلْفَ حَمَامٍ وَكَانَتْ مُشْتَبِلَةً عَلَى مُدُنٍ وَأَمْصَارٍ مُتَلَاصِقَةٍ وَمُتَقَارِبَةٍ  
 تَجَاوَزُ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةً وَحْدَهَا يَجْمَعُهَا سُورٌ وَاحِدٌ لِإِفْرَاطِ الْعُمَرَانِ وَكَذَا حَالُ  
 الْقَيْدَوَانِ وَقُرْطَبَةَ وَالْمَهْدِيَّةِ فِي أَلِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَالُ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ بَعْدَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا بَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمُشِيدَةِ لِلْمَدِينَةِ فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ لِضَوَاحِي تِلْكَ  
 الْمَدِينَةِ وَمَا قَارَبَهَا مِنْ الْجِبَالِ وَالْبَسَانِطِ بَادِيَةٌ يُمِدُّهَا الْعُمَرَانُ دَائِمًا فَيَكُونُ ذَلِكَ  
 حَافِظًا لَوْجُودِهَا وَيَسْتَسِيرُ عُمَرُهَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ كَمَا تَرَاهُ بِفَاسَ وَبِجَايَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبِعِرَاقِ  
 الْعَجَمِ مِنَ الْمَشْرِقِ التَّوْجُودُ لَهَا الْعُمَرَانُ مِنَ الْجِبَالِ لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدَاوَةِ إِذَا انْتَهَتْ  
 أَحْوَالُهُمْ إِلَى غَايَاتِهَا مِنْ أَرْفَهِ وَالْكَسْبِ تَدْعُو إِلَى الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ  
 الْبَشَرِ فَيَنْزِلُونَ الْمُدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَيَتَأَهَّلُونَ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ الْمُؤَسَّسَةِ  
 مَادَّةٌ تُفِيدُهَا الْعُمَرَانُ بِتَرَادُفِ السَّاكِنِ مِنْ بَدْوِهَا فَيَكُونُ انْقِرَاضُ الدَّوْلَةِ خَرَقَ  
 لِسِيَاجِهَا فَيَذُولُ حِفْظُهَا وَيَتَنَاقِصُ عُمَرَانُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَبْذُرَ مَا كُنْهًا وَتَخْرُبَ  
 كَمَا وَقَعَ بِمِصْرَ وَبَغْدَادَ وَالْكُوفَةِ بِالْمَشْرِقِ وَالْقَيْدَوَانِ وَالْمَهْدِيَّةِ وَقَلْعَةِ بَنِي حَمَادَ  
 بِالْمَغْرِبِ وَأَمْثَالِهَا فَتَقْهَمُهُ وَرَبَّيَا يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ انْقِرَاضِ مُحْتَطِهَا الْأَوَّلِينَ مَلِكٌ  
 آخَرُ وَدَوْلَةٌ ثَانِيَةٌ يَتَّخِذُهَا قَرَارًا وَكُرْسِيًا يَسْتَعْنِي بِهَا عَنْ اتِّخَاطِ مَدِينَةٍ يَنْزِلُهَا فَتَحْفَظُ  
 تِلْكَ الدَّوْلَةُ سِيَاجَهَا وَتَتَرَايِدُ مَبَانِيهَا وَمَصَانِعُهَا بِتَرَايِدِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَتَرْفُهَا  
 وَتَسْجِدُ بِعُمَرَانِهَا عُمَرًا آخَرَ كَمَا وَقَعَ بِفَاسَ وَالْقَاهِرَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَمَّ إِلَى  
 أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَبَائِلَ وَالْعَصَائِبَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ اضْطَرُّوا لِلْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَمْصَارِ  
لَأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَحَطِّ الْأَثْقَالِ وَأَسْتِكْمَالِ  
مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أُمُورِ الْعُمَرَاءِ فِي الْبَدْوِ وَالثَّانِي دَفْعُ مَا يُتَوَقَّعُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَمْرِ  
الْمُنَازِعِينَ وَالْمُشَاغِبِينَ لِأَنَّ الْبَصَرَ الَّذِي يَكُونُ فِي نَوَاحِيهِمْ رَبًّا يَكُونُ مَلْجَأً  
لِمَنْ يَرُومُ مُنَازَعَتَهُمْ وَالْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ وَاتِّدَاعُ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي سَوَّاهُ إِلَيْهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ  
فَيُعْتَصِمُ بِذَلِكَ الْبَصَرِ وَيُقَالِيهِمْ وَمُتَالِبَةُ الْبَصَرِ عَلَى نِهَآيَةِ مِنَ الصُّعُوبَةِ وَالْمَشَقَّةِ  
وَالْبَصَرُ يَقُومُ مَقَامَ الْعَسَاكِرِ السَّعْدَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ وَنِكََايَةِ الْحَرْبِ مِنْ  
وَرَاءِ الْجُدْرَانِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى كَثِيرٍ عَدَدٍ وَلَا عَظِيمٍ شَوْكَةٍ لِأَنَّ الشَّوْكََةَ وَالْعِصَابَةَ  
إِنَّمَا تَحْتِيجُ إِلَيْهِمَا فِي الْحَرْبِ لِلثَّبَاتِ لِمَا يَقَعُ مِنْ بَعْدِ كَرَّةِ الْقَوْمِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ عِنْدَ  
الْجَوْلَةِ وَتَبَاتِ هَوْلَاءِ بِالْجُدْرَانِ فَلَا يَضْطَرُّونَ إِلَى كَثِيرٍ عِصَابَةٍ وَلَا عَدَدٍ فَيَكُونُ حَالُ  
هَذَا الْخَصْرِ وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِهِ مِنَ الْمُنَازِعِينَ نَمَا يَفْتُ فِي عَضْدِ الْأَمَّةِ الَّتِي تَرُومُ الْإِسْتِيْلَاءَ  
وَيَخْضُدُ شَوْكَةَ اسْتِيْلَانِهَا فَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ أَجْنَابِهِمْ أَمْصَارٌ أَنْتَظِدُّوْهَا فِي اسْتِيْلَانِهِمْ لِلْأَمْنِ  
مِنْ مِثْلِ هَذَا الْإِتْخِرَامِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِصْرٌ اسْتَعْدَدُوهُ ضَرُورَةً لِتَكْمِيلِ عُمَرَانِهِمْ  
أَوَّلًا وَحَطِّ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَكُونَ شِجَا فِي حَلْقٍ مِنْ يَرُومُ الْبِرَّةَ وَالْإِمْتِنَاعَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَوَائِفِهِمْ  
وَعَصَائِبِهِمْ فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمَلِكَ يَدْعُو إِلَى نَزُولِ الْأَمْصَارِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة لنا يشيدها الملك الكثير

قَدْ قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي آثَارِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمَبَانِي وَغَيْرِهَا وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ  
تَشْيِيدَ الْمَدُنِ إِنَّمَا يَحْدُثُ بِاجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثَرَتِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً  
مُتَّسِعَةً الْمَمَالِكِ حُشِرَ الْفَعْلَةُ مِنْ أَقْطَارِهَا وَجُمِعَتْ أَيْدِيهِمْ عَلَى عَمَلِهَا وَرَبَّتَا اسْتَعِينَ فِي  
ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِالْهِنْدَامِ الَّذِي يُضَاعِفُ الْقُوَى وَالْقُدْرَةَ فِي حَمْلِ أَثْقَالِ الْبِنَاءِ



لِعَجْرِ الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَضَعْفِهَا عَنْ ذَلِكَ كَالْمَخَالِ وَغَيْرِهِ وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا نَظَرَ إِلَى آثَارِ الْأَقْدَمِينَ وَمَصَانِعِهِمِ الْعَظِيمَةِ مِثْلَ إِيوَانَ كِسْرَى وَأَهْرَامِ مِصْرَ وَخَنَائَا الْمُعَلَّقَةِ وَشَرْشَالِ بِالْمَغْرِبِ إِنَّمَا كَانَتْ بِقُدْرِهِمْ مُتَرَقِّقِينَ أَوْ مُجْتَمِعِينَ فَيَتَخَيَّلُ لَهُمْ أَجْسَاءُ تُنَاسِبُ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ بِكَثِيرٍ فِي طُولِهَا وَقُدْرَتِهَا لِتَنَاسِبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقُدْرِ الَّتِي صَدَرَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي عَنْهَا وَيُغْفَلُ عَنْ شَأْنِ الْهَنْدَامِ وَالْمَخَالِ وَمَا أَقْتَضَتْهُ فِي ذَلِكَ الصِّنَاعَةُ الْهَنْدَسِيَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّقِينَ فِي الْبِلَادِ يُعَايِنُ فِي شَأْنِ الْبِنَاءِ وَأَسْتَعْمَالَ الْحِجَارِ فِي تَقْلِ الْأَجْرَامِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُعْتَنِينَ بِذَلِكَ مِنَ الْعَجَمِ مَا يَشُوذُ لَهُ بِأَقْلَانِهِ عِيَانًا وَأَكْثَرُ آثَارِ الْأَقْدَمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تُسَمِّيهِمَا الْعَامَّةُ عَادِيَّةً نِسْبَةً إِلَى قَوْمِ عَادٍ لِتَوْهُمِهِمْ أَنَّ مَبَانِي عَادٍ وَمَصَانِعَهُمْ إِنَّمَا عَظُمَتْ لِعِظَمِ أَجْسَامِهِمْ وَتَضَاعَفَ قُدْرُهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَقَدْ نَجَدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنْ آثَارِ الَّذِينَ تُعْرَفُ مَقَادِيرُ أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَهِيَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْعِظَمِ أَوْ أَعْظَمَ كَأَيُّوَانَ كِسْرَى وَمَبَانِي الْعَبْدِيِّينَ مِنَ الشَّيْعَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالصَّنْهَاجِيِّينَ وَأَثَرُهُمْ بَادٍ إِلَى الْيَوْمِ فِي صَوْمَعَةِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْأَنْغَابَةِ فِي جَامِعِ الْقَيْدَوَانَ وَبِنَاءُ الْمُوَحِّدِينَ فِي رَبَاطِ الْفَتْحِ وَرَبَاطِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ لِعَهْدِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْمَنْصُورَةِ بِإِزَاءِ تَلَمْسَانَ وَكَذَلِكَ الْخَنَائَا الَّتِي جَابَ إِلَيْهَا أَهْلُ قَرْطَاجَنَةَ الْمَاءِ فِي الْقَنَاءِ الرَّأَكِبَةِ عَلَيْهَا مَائِلَةً لِهَذَا الْعَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَبَانِي وَالْهَيَاكِلِ الَّتِي نَقَلَتْ إِلَيْنَا أَخْبَارَ أَهْلِهَا قَرِيبًا وَبَعِيدًا وَتَيَقَّنَاهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِإِفْرَاطٍ فِي مَقَادِيرِ أَجْسَامِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا رَأْيٌ وَلَيْعٌ بِهِ الْقُصَّاصُ عَنْ قَوْمِ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةِ وَنَجْدِ بُيُوتِ تَمُودَ فِي الْحَجَرِ مَنْخُوتَةً إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّنَا بُيُوتُهُمْ يَمُرُّ بِهَا الرَّاكِبُ الْجَزَازِيُّ أَكْثَرَ السَّنِينَ وَيُشَاهِدُ وَنَهَا لَا تَرِيدُ فِي جَوْهَا وَمَسَاحَتِهَا وَمَسْكِيهَا عَلَى الْمُتَعَاهِدِ وَإِنَّهُمْ لَيَسَالِفُونَ فِيهَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَزْعُمُونَ أَنَّ عُوجَ بَنِ عَنَاقٍ مِنْ جِيلِ الْعَمَالِقَةِ كَانَ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ طَرِيقًا فَيَشْرِيهِ فِي الشَّمْسِ يُزْعَمُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ حَارَّةٌ فِيهَا قَرُبٌ مِنْهَا وَلَا أَنَّ الْخَرَّ فِيهَا لَدَيْنَا هُوَ الضُّوءُ لِأَنِّعْكَاسِ الشَّمَاعِ بِمُقَابَلَةِ سَطْحِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَأَمَّا الشَّمْسُ فِي نَفْسِهَا فَغَيْرُ حَارَّةٍ وَلَا بَارِدَةٌ وَإِنَّمَا هِيَ كَوْكَبٌ مُضِيٌّ لَا مِرَاجَ لَهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي حَيْثُ ذَكَرْنَا أَنَّ آثَارَ الدَّوْلَةِ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّتِهَا فِي أَصْلِهَا وَأَنَّهَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يُرِيدُ

## الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جداً لا تستقل بينائها الدولة الواحدة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَاجَةِ الْبِنَاءِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَمُضَاعَفَةِ الْقُدْرِ الْبَشَرِيَّةِ  
وَقَدْ تَكُونُ الْمَبَانِي فِي عِظَمِهَا أَكْثَرُ مِنَ الْقُدْرِ مُفْرَدَةً أَوْ مُضَاعَفَةً بِالْهِنْدَامِ كَمَا قُلْنَا  
فِيحْتَاجُ إِلَى مُعَاوَدَةِ قُدْرٍ أُخْرَى مِثْلَهَا فِي أَزِمَةٍ مُتَعاقِبَةٍ إِلَى أَنْ تَتِمَّ فَيَتَدَيَّ الْأَوَّلُ  
مِنْهُمْ بِالْبِنَاءِ وَيَعْبُهُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اكْتَمَلَ شَأْنُهُ فِي حَشْرِ  
الْفَعْلَةِ وَجَمْعِ الْأَيْدِي حَتَّى يَتِمَّ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ وَيَكْمُلَ وَيَكُونُ مَائِلاً لِلْعِيَانِ يَظُنُّهُ  
مَنْ يَرَاهُ مِنَ الْآخَرِينَ أَنَّهُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْظُرْ فِي ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ الْمُؤَرِّخُونَ فِي بِنَاءِ  
سِدِّ مَارِبَ وَأَنَّ الَّذِي بَنَاهُ سَبَا بْنُ يَشْجُبَ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَعَاقَهُ الْمَوْتُ عَنْ  
إِتْمَامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكٌ خَيْرٌ مِنْ بَعْدِهِ وَمِثْلُ هَذَا نُقِلَ فِي بِنَاءِ قَرْطَاجَنَةَ وَقَنَاتِهَا الرَّائِكَةِ  
عَلَى أَخْيَا الْعَادِيَّةِ وَأَكْثَرُ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ فِي الْغَالِبِ هَذَا شَأْنُهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّ  
الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ لِعَهْدِنَا نَجِدُ الْمَلِكَ الْوَاحِدَ يَشْرَعُ فِي اخْتِطَاطِهَا وَتَأْسِيسِهَا فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعْ  
أَثَرَهُ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي إِتْمَامِهَا بَقِيَتْ بِحَالِهَا وَلَمْ يَكْمُلِ الْقَصْدُ فِيهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ  
أَيْضًا أَنَّا نَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ تَعْجزُ الدُّوَلُ عَنْ هَدْمِهَا وَتَخْرِبُهَا مَعَ  
أَنَّ أَهْلَهُمْ أَيْدُرُ مِنَ الْبِنَاءِ بِكَثِيرٍ لِأَنَّ أَهْلَهُمْ رُجُوعٌ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ وَالْبِنَاءُ  
عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ فَإِذَا وَجَدْنَا بِنَاءً تَضَعُ قُوَّتَنَا الْبَشَرِيَّةَ عَنْ هَدْمِهِ مَعَ سُهولة أَهْلَهُمْ  
عَلِمْنَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي أَسَّسَتْهُ مُفْرَطَةُ الْقُوَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَثَرُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا مِثْلُ مَا  
وَقَعَ لِلْعَرَبِ فِي إِيوَانَ كِمَرِي لَمَّا اعْتَدَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ  
وَهُوَ فِي مَحَبَّسِهِ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ وَأَثَرُ كُهُ مَائِلاً يُسْتَدَلُّ  
بِهِ عَلَى عِظَمِ مُلْكِ آبَائِكَ الَّذِينَ سَلَبُوا الْمُلْكَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْهَيْكَلِ فَأَتَتْهُمْ فِي النَّصِيحَةِ  
وَقَالَ أَخَذْتُهُ الثُّغْرَةَ لِلْعَجَمِ وَاللَّهُ لَا أَصْرَعْتُهُ وَشَرَعَ فِي هَدْمِهِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي عَلَيْهِ وَاتَّخَذَ  
لَهُ الْفُؤُسَ وَحَمَاهُ بِالنَّارِ وَصَبَّ عَلَيْهِ آخِلٌ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَخَافَ  
الْفُضِيحَةَ بَعَثَ إِلَى يَحْيَى يَسْتَشِيرُهُ ثَانِيًا فِي التَّجَانِي عَنْ أَهْلِهِمْ فَقَالَ لَا تَفْعَلْ وَأَسْتَشِيرُ  
عَلَى ذَلِكَ لِمَّا يُقَالُ عَجَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكُ الْعَرَبِ عَنْ هَدْمِ مَصْنَعٍ مِنْ مَصَانِعِ الْعَجَمِ  
فَعَرَفَهَا الرَّشِيدُ وَأَقْصَرَ عَنْ هَدْمِهِ وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ لِلْمَأْمُونِ فِي هَدْمِ الْأَهْرَامِ الَّتِي يَبْصُرُ



وَجَمَعَ الْفَعْلَةَ لِهَدمِهَا فَلَمْ يَحُلْ بِطَائِلٍ وَشَرَعُوا فِي نَقْصِهَا فَانْتَهَوْا إِلَى جَوْرِ بَيْنِ الْحَاطِطِ وَالظَّاهِرِ  
وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْخِيْطَانِ وَهُنَالِكَ كَانَ مُنْتَهَى هَدمِهِمْ وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِيمَا يُقَالُ مَنْقَذُ ظَاهِرٍ  
وَيَزْعُمُ الرَّاعِمُونَ أَنَّهُ وَجَدَ رِكَازاً بَيْنَ تِلْكَ الْخِيْطَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَكَذَلِكَ حَنَائَا الْمُعَلَّاتِ  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ تَحْتَاجُ أَهْلُ مَدِينَةِ ثُونِسَ إِلَى انْتِخَابِ الْحِجَارَةِ لِإِبْنَانِهِمْ وَتَسْجِيدِ الصَّنَاعِ  
حِجَارَةِ تِلْكَ الْحَنَائَا فَيُحَاوِلُونَ عَلَى هَدمِهَا الْأَيَّامَ الْعَدِيدَةَ وَلَا يَنْسُقُ الصَّغِيرُ مِنْ جُدرانِهَا  
إِلَّا بَعْدَ عَضْبِ الرِّيقِ وَتَجْتَمِعُ لَهُ الْمُخَافِيفُ الْمَشْهُورَةُ شَهِدَتْ مِنْهَا فِي أَيَّامِ صَبَايَ  
كَبِيرًا وَاللَّهُ خَافِكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ

### الفصل الخامس

فِيمَا تَجِبُ مِرَاعَاتُهُ فِي أَوْضَاعِ الْمَدَنِ وَمَا يَحْدُثُ إِذَا غُفِلَ عَنِ الْمِرَاعَةِ  
إِعلمُ أَنَّ الْمَدْنَ قَرَارٌ يَتَّخِذُهُ الْأُمَمُ عِنْدَ حُصُولِ الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنَ التَّرَفِ وَدَوَائِيهِ  
فَتُؤَثِّرُ الدَّعَةُ وَالسُّكُونُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَى اتِّخَاذِ الْمَنَازِلِ لِلْقَرَارِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْقَرَارُ  
وَالْمَأْوَى وَجِبَ أَنْ يُرَاعَى فِيهِ دَفْعُ الْمَضَارِّ بِالْحِمَايَةِ مِنْ طَوَارِقِهَا وَجَلْبُ الْمَنَافِعِ  
وَتَسْهِيلُ الْمَرَافِقِ لَهَا فَأَمَّا الْحِمَايَةُ مِنَ الْمَضَارِّ فَيُرَاعَى لَهَا أَنْ يُدَارَ عَلَى مَنَازِلِهَا جَمِيعًا  
سِيَّاحُ الْأَسْوَارِ وَأَنْ يَكُونَ وَضْعُ ذَلِكَ فِي مُسْتَتَعٍ مِنَ الْأَمْنِ كِنْتِةٍ إِمَّا عَلَى هَضْبَةٍ مُتَوَعِّرَةٍ  
مِنَ الْجَبَلِ وَإِمَّا بِاسْتِدَارَةِ بَحْرِ أَوْ نَهْرٍ بِهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى جِسْرِ  
أَوْ قَنْطَرَةٍ فَيَضَعُ مَنَازِلَهَا عَلَى الْعَدُوِّ وَيَتَضَاعَفُ امْتِنَاعُهَا وَحُصْنُهَا وَمِمَّا يُرَاعَى فِي ذَلِكَ  
لِلْحِمَايَةِ مِنَ الْآفَاتِ السَّمَائِيَّةِ طَيْبُ الْهَوَاءِ لِلسَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَإِنَّ الْهَوَاءَ إِذَا كَانَ  
رَاكِدًا خَبِيثًا أَوْ مُجَاوِرًا لِلْمِيَاهِ الْفَاسِدَةِ أَوْ مَنَافِعَ مُتَعَتَّةٍ أَوْ مُرُوجٍ خَبِيثَةٍ أَسْرَعَ إِلَيْهَا  
الْعَفْنُ مِنْ مُجَاوَرَتِهَا فَاسْرَعَ الْعَرَضُ لِلْحَيَوَانِ الْكَائِنِ فِيهِ لَا مَحَالَ وَهَذَا مُشَاهَدٌ وَالْمَدْنَ  
الَّتِي لَمْ يُرَاعَ فِيهَا طَيْبُ الْهَوَاءِ كَثِيرَةٌ الْأَمْرَاضِ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ اشتهَرَ بِذَلِكَ فِي قُطْرِ  
الْمَغْرِبِ بَلَدُ قَابِسَ مِنْ بِلَادِ الْجَرِيدِ بِأَفْرِيتِيَّةٍ فَلَا يَكَادُ سَاكِنُهَا أَوْ طَارِقُهَا يَخْلُصُ مِنْ  
حَتَّى الْعَفْنِ بِوَجْهِهِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ حَادِثٌ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ مِنْ قَبْلُ وَنَقَلَ  
الْبَكْرِيُّ فِي سَبَبِ حُدُوثِهِ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهَا حَفَرٌ ظَهَرَ فِيهِ إِنَاءٌ مِنْ نُحَاسٍ مَخْتُومٌ بِالرَّصَاصِ  
فَلَمَّا فُضِرَ خَتَامُهُ صَعِدَ مِنْهُ دُخَانٌ إِلَى الْجَوِّ وَانْقَطَعَ وَكَانَ ذَلِكَ مَبْدَأَ أَمْرَاضِ الْحُمِيَّاتِ  
فِيهِ وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الْإِنَاءَ كَانَ مُشْتَبِلًا عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِ الطِّلَسَمَاتِ لِوَبَائِهِ وَأَنَّهُ

ذَهَبَ سِرُّهُ بِذَهَابِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهَا الْعَقْنُ وَالْوَبَاءُ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَامَةِ وَمَبَاحِثِهِمْ  
 الرِّكِيكَةِ وَالْبَكْرِيِّ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَبَاهَةِ الْعِلْمِ وَاسْتِئَارَةِ الْبَصِيرَةِ بِحَيْثُ يَدْفَعُ مِثْلَ هَذَا  
 أَوْ يَتَبَيَّنُ خَرَفُهُ فَتَقَلُّهُ كَمَا سَمِعَهُ وَالَّذِي يَكْشِفُ لَكَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَهْوِيَّةَ  
 الْعِنَةَ أَكْثَرُ مَا يُهَيِّئُهَا لِتَعْنِينِ الْأَجْسَامِ وَأَمْرَاضِ الْخُمَيَّاتِ رُكُودُهَا فَإِذَا تَخَلَّلَتْهَا الرِّيحُ  
 وَتَفَشَّتْ وَذَهَبَتْ بِهَا يَمِينًا وَشِمَالًا خَفَّ شَأْنُ الْعَقْنِ وَالْمَرَضِ الْبَادِي مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ وَالْبِلَدِ  
 إِذَا كَانَ كَثِيرَ السَّاكِنِ وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهَا فَيَتَمَوَّجُ الْهَوَاءُ ضَرُورَةً وَتَحْدُثُ  
 الرِّيحُ الْمُتَخَلِّلَةُ لِلْهَوَاءِ الرَّائِدِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعِينًا لَهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالتَّمَوُّجِ وَإِذَا خَفَّ  
 السَّاكِنُ لَمْ يَجِدِ الْهَوَاءُ مُعِينًا عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوُّجِهِ وَبَقِيَ سَاكِنًا رَاكِدًا وَعَظُمَ عَفْنُهُ  
 وَكَثُرَ ضَرَرُهُ وَبَلَدُ نَازِلٍ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَهَا كَانَتْ أَقْرَبِيَّةً مُسْتَجِدَّةً الْعُمَرَانَ كَثِيرَةً  
 السَّاكِنِ تَمَوَّجُ بِأَهْلِهَا مَوْجًا فَكَانَ ذَلِكَ مُعِينًا عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ وَأَضْطِرَّابِهِ وَتَخْفِيفِ  
 الْأَذَى مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَثِيرُ عَقْنٍ وَلَا مَرَضٍ وَعِنْدَمَا خَفَّ سَاكِنُهَا رَكِدَ هَوَاؤُهَا  
 الْمُتَعَقِّنُ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا فَكَثُرَ الْعَقْنُ وَالْمَرَضُ فَهَذَا وَجْهُهُ لَا غَيْرُ وَقَدْ رَأَيْنَا عَكْسَ  
 ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وُضِعَتْ وَلَمْ يُرَاعَ فِيهَا طِيبُ الْهَوَاءِ وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّاكِنِ فَكَانَتْ  
 أَمْرَاضُهَا كَثِيرَةً فَلَمَّا كَثُرَ سُكَّانُهَا انْتَقَلَ حَالُهَا عَنْ ذَلِكَ وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِفَاسٍ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ الْمُسَمَّى بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ فَتَقَهَّمُهُ تَجِدُ مَا قُلْتُهُ لَكَ  
 وَأَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالتَّرَافِقِ لِلْبَلَدِ فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ مِنْهَا الْإِنَاءُ بِأَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى  
 نَهْرٍ أَوْ بِإِزَائِيهَا عِيُونٌ عَذْبَةٌ ثَرَّةٌ فَإِنَّ وُجُودَ الْإِنَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ يُسَهِّلُ عَلَى السَّاكِنِ  
 حَاجَةَ الْإِنَاءِ وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ فَيَكُونُ لَهُمْ فِي وُجُودِهِ مَرْفَقَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةٌ وَمِمَّا يُرَاعَى  
 مِنَ التَّرَافِقِ فِي الْمَدِينِ طِيبُ التَّرَاعِي لِسَائِمَتِهِمْ إِذَا صَاحِبُ كُلِّ قَرَارٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ  
 دَوَاجِنِ الْخِيَوَانِ لِلتَّنَاجِ وَالضَّرْعِ وَالرُّكُوبِ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ التَّرَعِي فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا  
 طَيِّبًا كَانَ ذَلِكَ أَرْفَقَ بِحَالِهِمْ لَمَّا يُعَانُونَ مِنَ الشَّقَّةِ فِي بُعْدِهِ وَمِمَّا يُرَاعَى أَيْضًا  
 التَّرَارِغُ فَإِنَّ الزُّرُوعَ هِيَ الْأَقْوَاتُ فَإِذَا كَانَتْ مَزَارِعُ الْبَلَدِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ  
 أَسْهَلَ فِي اتِّخَاذِهِ وَأَقْرَبَ فِي تَحْصِيلِهِ وَمِنْ ذَلِكَ الشَّجَرُ لِلْحَطَبِ وَالْإِنَاءُ فَإِنَّ الْحَطَبَ مِمَّا  
 تَعْمُ الْبُلُوى فِي اتِّخَاذِهِ لَوْ قُودِ الْبِيدَانِ لِلِاصْطِلَاءِ وَالطَّبَخِ وَالْحَشَبِ أَيْضًا ضَرُورِي  
 لِسَقْيِهِمْ وَكَثِيرٌ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْحَشَبُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِمْ وَقَدْ يُرَاعَى أَيْضًا قُرْبُهَا مِنْ



الْبَحْرِ لِتَسْهِيلِ أَخْلَاجَاتِ الْقَاصِيَةِ مِنْ أَلْبِلَادِ الثَّانِيَةِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَثَابَةِ الْأَوَّلِ وَهَذِهِ كُلُّهَا مُتَأَوِّتَةٌ بِتَأَوُّتِ أَخْلَاجَاتِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةُ السَّاكِنِ وَقَدْ يَكُونُ الْوَاضِعُ غَافِلًا عَنْ حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ الطَّبِيعِيِّ أَوْ إِنَّمَا يُرَاعِي مَا هُوَ أَهْمٌ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ وَلَا يَذْكُرُ حَاجَةَ غَيْرِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْعَرَبُ لِأَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي الْمُدُنِ الَّتِي اخْتَطَّوْهَا بِالْعِرَاقِ وَأَفْرِيقِيَّةَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا فِيهَا إِلَّا الْأَهْمَّ عِنْدَهُمْ مِنْ مَرَاغِي الْأَيْلِ وَمَا يَصْلُحُ لَهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ الْمِلْحِ وَلَمْ يُرَاعُوا الْمَاءَ وَلَا التَّرَارِغَ وَلَا الْخَطْبَ وَلَا مَرَاغِي السَّائِمَةِ مِنْ ذَوَاتِ الظَّلْفِ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ كَالْقَيْدَوَانِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَأَمْثَلِهَا وَلِهَذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْخُرَابِ مَا لَمْ تُرَاعَ فِيهَا الْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ

وَمَا يُرَاعَى فِي أَلْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي عَلَى الْبَحْرِ أَنْ تَكُونَ فِي جَبَلٍ أَوْ تَكُونَ بَيْنَ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَوْقُورَةً الْعَدَدِ تَكُونُ صَرْيَاً لِلْمَدِينَةِ مَتَى طَرَقَهَا طَارِقٌ مِنَ الْعَدُوِّ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ وَلَمْ يَكُنْ بِسَاحَتِهَا عُمَرَانُ لِلْقَبَائِلِ أَهْلُ الْعَصِيَّاتِ وَلَا مَوْضِعُهَا مُتَوَعَّرٌ مِنَ الْجَبَلِ كَانَتْ فِي غَرَّةٍ لِلْبَيَاتِ وَسَهْلَ طُرُوقِهَا فِي الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ عَلَى عَدُوِّهَا وَتَحِيْفُهُ لَهَا لِمَا يَأْمَنُ مِنْ وُجُودِ الصَّرِيخِ لَهَا. وَأَنْ أَحْضَرَ الْمُتَوَعَّرِينَ لِلدَّعَةِ قَدْ صَارُوا عِيَالاً وَخَرَجُوا عَنْ حُكْمِ الْمُعَاتِلَةِ وَهَذِهِ كَالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَطَرَابُلُسَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبُورَةَ وَمِثْلَا وَمَتَى كَانَتْ الْقَبَائِلُ وَالْعَصَائِبُ مُوْطَنِينَ بِقُرْبِهَا بِحَيْثُ يَبْلُغُهُمُ الصَّرِيخُ وَالنَّعِيدُ وَكَانَتْ مُتَوَعَّرَةً لِلْمَسَالِكِ عَلَى مَنْ يَزُومُهَا بِاخْتِطَاطِهَا فِي هَضَابِ الْجِبَالِ وَعَلَى أَسْنِمَتِهَا كَانَ لَهَا بِذَلِكَ بِنْعَةٍ مِنَ الْعَدُوِّ وَيَتَشَوُّوا مِنْ طُرُوقِهَا لِمَا يُكَادُونَ مِنْ وَعَرِهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ إِجَابَةِ صَرْيَخِهَا كَمَا فِي سَبْتَةِ وَبِجَايَةِ وَبَلَدِ الْقَلْبِ عَلَى صِغَرِهَا فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَأَعْتَبَرَهُ فِي اخْتِصَاصِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ بِاسْمِ الشَّعْرِ مِنْ لَدُنِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مَعَ أَنَّ الدَّعْوَةَ مِنْ وَرَائِهَا بِدَرَقَةٍ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَإِنَّمَا أَعْتَبِرَ فِي ذَلِكَ الْمَخَافَةُ الْمُتَوَقَّعَةُ فِيهَا مِنَ الْبَحْرِ لِسُهُولَةٍ وَضِعِهَا وَلِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ طُرُوقُ الْعَدُوِّ لِلْإِسْكَندَرِيَّةِ وَطَرَابُلُسَ فِي أَلْبِلَةِ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

لَعَلَّمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضَّلَ مِنَ الْأَرْضِ بَقَاعاً اخْتَصَّهَا بِتَشْرِيفِهِ وَجَعَلَهَا مَوَاطِنَ

لِعِبَادَتِهِ يُضَاعَفُ فِيهَا الثَّوَابُ وَيَنْمُو بِهَا الْأُجُورُ وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَلَى السُّنَنِ رُسُلُهُ وَأَنْبِيَائِهِ  
لُطْفًا بِعِبَادِهِ وَتَسْهِيلًا لِمَنْ سَلَكَ السَّعَادَةَ لَهُمْ . وَكَانَتْ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَفْضَلُ بَقَاعِ  
الْأَرْضِ حَسَبًا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ أَمَّا الْبَيْتُ  
الْحَرَامُ الَّذِي بِمَكَّةَ فَهُوَ بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ بِنَاتِهِ وَأَنْ  
يُؤْذَنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ فَبَنَاهُ هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ كَمَا نَصَّهُ الْقُرْآنُ وَقَامَ بِنَا أَمْرُهُ اللَّهُ  
فِيهِ وَسَكَنَ إِسْمَاعِيلُ بِهِ مَعَ هَاجِرَ وَمَنْ تَوَلَّى مَعَهُمْ مِنْ جُرْهُمَ إِلَى أَنْ قَبَضَهُمَا اللَّهُ وَدَفِنَا  
بِالْحَجَرِ مِنْهُ . وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ بَنَاهُ دَاوُدُ وَسَلِيمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَمْرُهُمَا اللَّهُ بِنَاتِهِمَا  
مَسْجِدُهُ وَنُصِبَ هَاهُنَا كِلَاهُ وَدُفِنَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوَالِيهِ .  
وَالْمَدِينَةُ مُهَاجِرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهِجْرَةِ إِلَيْهَا  
وِإِقَامَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِهَا فَبَنَى مَسْجِدَهُ الْحَرَامَ بِهَا وَكَانَ مَلْحَدُهُ الشَّرِيفُ فِي تَرْبَتِهَا  
فَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ قِرَّةٌ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْوَى أَفْئِدَتِهِمْ وَعَظَمَةُ دِينِهِمْ وَفِي الْأَثَرِ  
مِنْ فَضْلِهَا وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِي مُجَاوَرَتِهَا وَالصَّلَاةِ فِيهَا كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ فَلَنُشِيرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ  
الْخَبَرِ عَنْ أَوْلِيَّةِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَكَيْفَ تَدَرَّجَتْ أَحْوَالُهَا إِلَى أَنْ كَمُلَ ظُهُورُهَا  
فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا مَكَّةُ فَأَوَّلِيَّتُهَا فِيمَا يُقَالُ أَنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَنَاهَا قُبَالَةَ الْبَيْتِ  
الْمَعْمُورِ ثُمَّ هَدَمَهَا الطُّوفَانُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ صَحِيحٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا اقْتَبَسُوهُ  
مِنْ مَحْتَلٍ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ  
إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَغَيْرَتِهَا مِنْ هَاجِرَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَأَوْحَى  
اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكْ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجِرَ بِالْفَلَاةِ فَوَضَعَهُمَا فِي مَكَانٍ الْبَيْتِ وَسَارَ  
عَنْهُمَا وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمَا مِنَ اللَّطْفِ فِي نَبْعِ مَاءِ ذَمْزَمَ وَمُرُورِ الرُّفْقَةِ مِنْ جُرْهُمَ  
بِهَا حَتَّى امْتَلَوْهَا وَسَكَنُوا إِلَيْهَا وَتَوَلَّوْا مَعَهُمَا حَوَالِي ذَمْزَمَ كَمَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ  
فَاتَّخَذَ إِسْمَاعِيلُ بِمَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ وَأَدَارَ عَلَيْهِ مِيسَاجًا مِنَ الرَّدَمِ وَجَعَلَهُ  
زَرْبًا لِنَعْمِهِ وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِرَارًا لِرِيَازَتِهِ مِنَ الشَّامِ أَمْرٌ فِي آخِرِهَا  
بِنَاءُ الْكَعْبَةِ مَكَانَ ذَلِكَ الرَّبِّ فَبَنَاهُ وَأَسْتَعَانَ فِيهِ بِابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
حُجَّتِهِ وَبَنَى إِسْمَاعِيلُ سَاكِنًا بِهِ وَلَكِنَّا قَبِضَتْ أُمُّهُ هَاجِرُ وَقَامَ بِذَوِّهِ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْبَيْتِ  
مَعَ أَخْوَالِهِمْ مِنْ جُرْهُمَ ثُمَّ الْعَمَالِيقُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَأَسْتَمَرَ آخَالُ عَلَى ذَلِكَ وَالنَّاسُ يَهْرَعُونَ



لَيْهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ لَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ يَمْنُ دَنَا  
 أَوْ نَأَى فَقَدْ نُقِلَ أَنَّ التَّبَابِعَةَ كَانَتْ تَحْجُ الْبَيْتَ وَتُعَظِّمُهُ وَأَنَّ تَبَعًا كَسَاهَا الْمَلَاءُ  
 وَالْوَصَائِلَ وَأَمَرَ بِتَطْهِيرِهَا وَجَعَلَ لَهَا مِفْتَاحًا وَنُقِلَ أَيْضًا أَنَّ الْفُرسَ كَانَتْ تَحْجُهُ وَتُقَرِّبُ  
 إِلَيْهِ وَأَنَّ غَزَالِي الذَّهَبِ الَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ احْتَقَرَ زَمْزَمَ كَانَا مِنْ  
 قَرَابَتِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ لِحُرْمَتِهِمُ الْوِلَايَةُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ قَبْلِ خَوْلَتِهِمْ حَتَّى إِذَا  
 خَرَجَتْ خُرَاعَةُ وَأَقَامُوا بِهَا بَعْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ كَثُرَ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ وَأَنْتَشَرُوا وَتَشَعَّبُوا إِلَى  
 كِنَانَةَ ثُمَّ كِنَانَةَ إِلَى قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَسَاءَتْ وَلَايَةُ خُرَاعَةَ فَفَلَبَتُهُمْ قُرَيْشٌ عَلَى أَمْرِهِ  
 وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ قِصِيَّ بْنَ كِلَابٍ فَبَنَى الْبَيْتَ وَسَقَّاهُ بِخَشَبِ  
 الدَّوْمِ وَجَرِيدِ النَّخْلِ وَقَالَ الْأَعَشَى

خَلَفْتُ بِثَوْبِي رَاهِبَ الدَّوْرِ وَالَّتِي بَنَاهَا قِصِيٌّ وَالْبِضَاضُ بْنُ جُرْهُمٍ  
 ثُمَّ أَصَابَ الْبَيْتَ سَيْلٌ وَيُقَالُ حَرِيقٌ وَتَوَدَّمُوا وَأَعَادُوا بِنَاءَهُ وَجَمَعُوا النِّفْقَةَ لِذَلِكَ مِنْ  
 أَوْلَاهِمُ وَأَنْكَسَرَتْ سَفِينَةُ بِسَاحِلِ جَدَّةَ فَأَشْتَرُوا خَشَبَهَا لِلسَّقْفِ وَكَانَتْ جُذُرَانُ فَوْقَ  
 الْقَامَةِ فَجَعَلُوهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَكَانَ الْبَابُ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ فَجَعَلُوهُ فَوْقَ الْقَامَةِ لِثَلَا  
 تِدْخُلَةِ السُّيُولِ وَقَصَّرَتْ بِهِمُ النِّفْقَةُ عَنْ إِتِمَامِهِ فَقَصَّروا عَنْ قَوَاعِدِهِ وَتَرَكُوا مِنْهُ سِتَ  
 أَذْرُعٍ وَشِبْرًا أَذَارُوهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ يُطَافُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ النَّجْرُ وَبَقِيَ الْبَيْتُ عَلَى هَذَا  
 الْبِنَاءِ إِلَى أَنْ تَحَصَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ وَزَحَفَتْ إِلَيْهِ جُيُوشُ يُزَيْدِ  
 بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْحَصِينِ بْنِ نُمَيْرٍ السَّكُونِيِّ وَرَمَى الْبَيْتَ سَنَةً أَرْبَعٍ وَسِتِينَ فَأَصَابَهُ  
 حَرِيقٌ يُقَالُ مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ بَعْدَ  
 أَنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصَّخَابَةُ فِي بِنَائِهِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِمَا نَشَأَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ يَكْفُرُ لَوَدِدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ  
 وَلَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا فَهَدَمَهُ وَكَشَفَ عَنْ أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَمَعَ  
 الْوُجُوهَ وَالْأَكَابِرَ حَتَّى عَايَنُوهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالتَّخْرِي فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ  
 فَأَذَارَ عَلَى الْأَسَاسِ الْخَشَبَ وَنَصَبَ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارَ حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ وَبَعَثَ إِلَى صُنْعَاءَ  
 فِي الْفِضَّةِ وَالْكِلْسِ فَحَمَلَهَا وَسَأَلَ عَنْ مَقْطَعِ الْحِجَارَةِ الْأَوَّلِ فَجَمَعَ مِنْهَا مَا أَحْتَاجَ  
 إِلَيْهِ ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَ جُذُرَانَهَا سَبْعًا وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ لِاصْقَادِ بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ وَجَعَلَ فَرَشَهَا وَإِزْرَهَا  
 بِالرَّخَامِ وَصَاعَ لَهَا الْمَفَاتِيحَ وَصَانِحَ الْأَبْوَابِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ جَاءَ الْحِجَاجُ لِحِصَارِهِ أَيَّامَ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ وَرَمَى عَلَى الْمَسْجِدِ بِالْمَنْجَنِيَقَاتِ . إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِيطَانُهَا ثُمَّ لَمَّا ظَفِرَ  
 بَابُنِ الرَّبِيرِ شَاوَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ فَأَمَرَهُ بِهِدْمِهِ وَرَدَّ الْبَيْتَ  
 عَلَى قَوَاعِدِ قُرَيْشٍ كَمَا هِيَ الْيَوْمَ وَيُقَالُ إِنَّهُ قَدِمَ عَلَى ذَلِكَ حِينَ عِلْمِ صِحَّةِ رِوَايَةِ ابْنِ  
 الرَّبِيرِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَقَالَ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَحْتًا أَبَا حَبِيبٍ فِي أَمْرِ الْبَيْتِ وَبَنَائِهِ  
 مَا تَحْتَلَّ فَهَدَمَ الْحِجَاجُ مِنْهَا سِتَّ أَذْرُعٍ وَشِبْرًا مَكَانَ الْحَجَرِ وَبَنَاهَا عَلَى أَسَاسِ قُرَيْشٍ  
 وَسَدَّ الْبَابَ الْغَرْبِيَّ وَهَذَا تَحْتَ عَتَبَةِ بَابِهَا الْيَوْمَ مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ وَتَرَكَ سَائِرَهَا لَمْ يُغَيَّرْ  
 مِنْهُ شَيْئًا فَكُلُّ الْبِنَاءِ الَّذِي فِيهِ الْيَوْمَ بِنَاءُ ابْنِ الرَّبِيرِ وَبَنَاءُ الْحِجَاجِ فِي أَطْلَاطِ صَلَةٍ  
 ظَاهِرَةٌ لِلْعِيَانِ لِحِمَّةٍ ظَاهِرَةٍ بَيْنَ الْبِنَاءَيْنِ وَالْبِنَاءُ مُتَمَيِّزٌ عَنِ الْبِنَاءِ بِمِقْدَارِ إصْبَعٍ شَبْهِ  
 الْبَصْدَعِ وَقَدْ لَحِمَ . وَيَعْرِضُ هَهُنَا إِشْكَالٌ قَوِيٌّ لِمُتَأَفَاتِهِ لِمَا يَقُولُهُ الْفُقَهَاءُ فِي أَمْرِ الطَّوَافِ  
 وَيَحْذَرُ الطَّائِفُ أَنْ يَمِيلَ عَلَى السَّادِرَوَانِ الدَّائِرِ عَلَى أَسَاسِ الْجُدُرِ مِنْ أَسْفَلِهَا فَيَقَعَ  
 طَوَافُهُ دَاخِلَ الْبَيْتِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْجُدُرَ إِنَّمَا قَامَتْ عَلَى بَعْضِ الْأَسَاسِ وَتَرَكَ بَعْضُهُ وَهُوَ  
 مَكَانُ السَّادِرَوَانِ وَكَذَا قَالُوا فِي تَشْيِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لَا بُدَّ مِنْ رُجُوعِ الطَّائِفِ مِنَ  
 التَّقْيِيلِ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا لِكَلَّا يَقَعَ بَعْضُ طَوَافِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَإِذَا كَانَتْ الْجُدُرَانِ  
 كُلُّهُمَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الرَّبِيرِ وَهُوَ إِنَّمَا بُنِيَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ  
 وَلَا مَخْلَصَ مِنْ هَذَا إِلَّا بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْحِجَاجُ هَدَمَ جَمِيعَهُ وَأَعَادَهُ  
 وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعِيَانَ فِي شَوَاهِدِ الْبِنَاءِ بِالتَّحَامِ مَا بَيْنَ الْبِنَاءَيْنِ وَبَيْنَ أَحَدِ  
 الشَّقَيْنِ مِنْ أَعْلَاهُ عَلَى الْآخِرِ فِي الصَّنَاعَةِ يَرُدُّ ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ابْنُ الرَّبِيرِ لَمْ يَرُدَّ  
 الْبَيْتَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْحَجَرِ فَقَطْ لِيَدْخُلَهُ فَهِيَ  
 الْآنَ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الرَّبِيرِ لَيْسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَهَذَا بَعِيدٌ وَلَا مَخِصَ مِنْ  
 هَذَيْنِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ثُمَّ إِنَّ مَسَاحَةَ الْبَيْتِ وَهُوَ الْمَسْجِدُ كَانَ فَضَاءً لِلطَّائِفِينَ  
 وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ جُدُرٌ أَيَّامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ كَثُرَ  
 النَّاسُ فَأَشْتَرَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُورًا هَدَمَهَا وَزَادَهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَدَارَ عَلَيْهَا جِدَارًا  
 دُونَ الْقَامَةِ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ ثُمَّ ابْنُ الرَّبِيرِ ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنَاهُ يَعْمَدُ



الرَّخَامِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْمَنُصُورُ وَآبَتُهُ الْمَهْدِيُّ مِنْ بَعْدِهِ وَوَقَفَتْ الزِّيَادَةُ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ لِعَهْدِنَا . وَتَشْرِيفُ اللَّهِ لِهَذَا أَلَيْتَ وَعِنَايَتُهُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ أَنْ جَعَلَهُ مَهْبِطًا لِلرُّوحِ وَالْمَلَائِكَةِ وَمَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَفَرَضَ شُرَائِعَ الْحَجِّ وَمَنَاسِكَهٖ وَأَوْجَبَ حُرْمَتَهُ مِنْ سَائِرِ تَوَاحِيهِ مِنْ حُقُوقِ التَّعْظِيمِ وَالْحَقِّ مَا لَمْ يُوجِبْهُ لغيرِهِ فَتَمَّ كُلُّ مَنْ خَالَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ مِنْ دُخُولِ ذَلِكَ الْحَرَمِ وَأَوْجَبَ عَلَى دَاخِلِهِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الْمَخِيطِ إِلَّا إِذَا رَأَى يَسْتُرُهُ وَحَمَى الْعَانِدَ بِهِ وَالرَّائِعَ فِي مَسَارِحِهِ مِنْ مَوَاقِعِ الْآفَاتِ فَلَا يُرَامُ فِيهِ خَائِفٌ وَلَا يُصَادُ لَهُ وَحْشٌ وَلَا يُحْتَطَبُ لَهُ شَجَرٌ وَحَدُّ الْحَرَمِ الَّذِي يَحْتَصُّ بِهِذِهِ الْحُرْمَةُ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ إِلَى التَّعِيمِ وَمِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى الثَّنِيَّةِ مِنْ جَبَلِ الْمُنْقَطِعِ وَمِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى بَطْنِ نَمِرَةٍ وَمِنْ طَرِيقِ جَدَّةِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى مُنْقَطِعِ الْعَشَائِرِ . هَذَا شَأْنُ مَكَّةَ وَخَبَرُهَا وَتُسَمَّى أُمُّ الْقُرَى وَتُسَمَّى الْكَعْبَةُ لِعُلُوِّهَا مِنْ أَسْمِ الْكَعْبِ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بَكَّةَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَيْهَا أَيْ يَدْفَعُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ بَاءَ بَكَّةَ أَبَدَلُوهَا بِمَا كُنَّا نَقَالُ لَا زِبٌ وَلَا زِمٌ لِقُرْبِ الْمَخْرَجِينَ وَقَالَ النَّحَّيْ بِالْبَاءِ وَبِالْيَمِ الْبَلَدُ وَقَالَ الرَّهْرِيُّ بِالْبَاءِ لِلْمَسْجِدِ كُلِّهِ وَبِالْيَمِ لِلْحَرَمِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ مِنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ تُعْظِمُهُ وَالْمُلُوكُ تَبْعُثُ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ مِثْلَ كِسْرَى وَغَيْرِهِ وَقِصَّةُ الْأَمْيَافِ وَغَرَالِي الذَّهَبِ الَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ احْتَفَرَ ذَمْرَمَ مَعْرُوفَةً وَقَدْ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَفْتَحَ مَكَّةَ فِي الْجَبِّ الَّذِي كَانَ فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ أَوْقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ مِمَّا كَانَ الْمُلُوكُ يُهْدُونَ لِلَيْتِ فِيهَا أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً مَرَّتَيْنِ بِسَائِي قِنْطَارٍ وَزَنًا وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اسْتَعْنَتْ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِكَ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ ذَكَرَ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يُحَرِّكْهُ هَكَذَا قَالَ الْأَزْرَقِيُّ وَفِي الْبُخَارِيِّ يَسْنِدُهُ إِلَى أَبِي وَائِلٍ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى شَيْتَةِ بْنِ عُثْمَانَ وَقَالَ جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا أَنْتَ بِقَاعِلٍ قَالَ وَلَمْ قُلْتُ فَلَمْ يَفْعَلْ صَاحِبَاكَ فَقَالَ هُمَا اللَّذَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا وَخَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَالُ إِلَى أَنْ كَانَتْ فِتْنَةُ الْأَفْطُسِ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ سَنَةَ إِسْعَ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ حِينَ غَلَبَ مَكَّةَ عُمَدُ إِلَى

الْكُتْبَةَ فَأَخَذَ مَا فِي خَزَائِنِهَا وَقَالَ مَا تَصْنَعُ الْكُتْبَةُ بِهَذَا أَلَمَالِ مَوْضُوعًا فِيهَا لَا يَنْتَفَعُ بِهِ  
نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى حَرْبِنَا وَأَخْرَجَهُ وَتَصَرَّفَ فِيهِ وَبَطَلَتِ الذِّخِيرَةُ مِنْ الْكُتْبَةِ  
مِنْ يَوْمَئِذٍ . ( وأما بيت المقدس ) وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى فَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَيَّامَ الصَّابِئَةِ  
مَوْضِعَ الزُّهْرَةِ وَكَانُوا يُقَرَّبُونَ إِلَيْهِ الزَّيْتِ فِيمَا يُقَرَّبُونَهُ يَصُبُّونَهُ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي هُنَاكَ  
ثُمَّ دُثِّرَ ذَلِكَ الْهَيْكَلُ وَاتَّخَذَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ مَلَكَوْهَا قِبْلَةً لِمَصَلَاتِهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّ  
مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا خَرَجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لِيَتَمْلِكِيَهُمْ بَيْتَ الْقُدْسِ كَمَا  
وَعَدَ اللَّهُ آبَاهُمْ إِسْرَائِيلَ وَأَبَاهُ إِسْحَاقَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَقَامُوا بِأَرْضِ اللَّهِ أَمْرَهُ اللَّهُ بِاتِّخَاذِ  
قِبْلَةٍ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ عَيْنَ بِالْوَحْيِ بِمَقْدَارِهَا وَصِفَتِهَا وَهِيَ كُلُّهَا وَقَائِلُهَا وَأَنْ يَكُونَ  
فِيهَا التَّابُوتُ وَمَائِدَةٌ بِصِخَاظِهَا وَمَنَارَةٌ بِقَنَادِيلِهَا وَأَنْ يَضَعَ مَذْبَحًا لِلْقُرْبَانِ وَصَفَ ذَلِكَ  
كُلَّهُ فِي التَّوْرَةِ أَكْمَلَ وَصَفَ فَصَّعَ الْقُبَّةَ وَوَضَعَ فِيهَا تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ التَّابُوتُ  
الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ الْمَصْنُوعَةُ عِوَضًا عَنِ الْأَلْوَاحِ الْمَذَلَّةِ بِالْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ لَمَّا تَكَسَّرَتْ  
وَوَضَعَ الْمَذْبَحَ عِنْدَهَا . وَعَهَّدَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يَكُونَ هَارُونُ صَاحِبَ الْقُرْبَانِ وَنَصَبُوا  
ذَلِكَ الْقُبَّةَ بَيْنَ خِيَامِهِمْ فِي اللَّهِ يُصَلُّونَ إِلَيْهَا وَيَقْرَبُونَ فِي الْمَذْبَحِ أَمَامَهَا وَيَتَعَرَّضُونَ  
لِلْوَحْيِ عِنْدَهَا . وَلَمَّا مَلَكَوا الشَّامَ وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْقُبَّةُ قِبْلَتَهُمْ وَوَضَعُوهَا عَلَى الصَّخْرَةِ  
بَيْتَ الْقُدْسِ وَأَرَادَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءَ مَسْجِدِهِ عَلَى الصَّخْرَةِ مَكَانَهَا فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ  
ذَلِكَ وَعَهَّدَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ سُلَيْمَانَ فَبَنَاهُ لِأَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ وَقَاةِ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتَّخَذَ عُمْدَةً مِنَ الصُّغْرِ وَجَعَلَ بِهِ صَرْحَ الرُّجَاجِ وَغَشَّى أَبْوَابَهُ  
وَحِيطَانَهُ بِالذَّهَبِ وَصَاغَ هِيََاكِلَهُ وَقَائِلِيَهُ وَأَوْعِيَتَهُ وَمَنَارَتَهُ وَمِفْتَاحَهُ مِنَ الذَّهَبِ وَجَعَلَ  
فِي ظَهْرِهِ قَبْرًا لِيَضَعَ فِيهِ تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ التَّابُوتُ الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ وَجَاءَ بِهِ مِنْ  
صِهْيُونَ بَلَدِ أَبِيهِ دَاوُدَ تَحْمِيلُهُ الْأَسْبَاطَ وَالْكَهَنُوتِيَّةَ حَتَّى وَضَعَهُ فِي الْقَبْرِ وَوَضَعَتِ الْقُبَّةُ  
وَالْأَوْعِيَةُ وَالْمَذْبَحُ كُلُّ وَاحِدٍ حَيْثُ أُعِدَّ لَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَقَامَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ  
خَرِبَتْ بَغْتًا نَصْرُ بَعْدَ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ بِنَائِهِ وَأَحْرَقَ التَّوْرَةَ وَالْحَصَا وَصَاغَ الْهِيََاكِلَ وَنَثَرَ  
الْأَحْجَارَ ثُمَّ لَمَّا أَعَادَهُمْ مُلُوكُ الْفُرْسِ بِنَاءَهُ غَزَوْهُ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِهَدْيِهِ بِإِعَانَةِ بَهْمَنَ  
مَلِكِ الْفُرْسِ الَّذِي كَانَتْ الْوِلَادَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ مِنْ سَبْيِ بَغْتًا نَصْرَ وَحَدَّ لَهُمْ فِي  
بَنِيَانِهِ حُدُودًا دُونَ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا ثُمَّ تَدَاوَلَتْهُمْ



ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك لبني إسرائيل في هذه المدة ثم لبني  
 حشمتاي من كهنتهم ثم لصوهرهم هيرودس ولبنيه من بعده وبني هيرودس بيت المقدس  
 على بناء سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى أكمله في ست سنين فلما جاء طيطش  
 من ملوك الروم وغلّبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر أن يُزرع  
 مكانه ثم أخذ الروم يدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعذيبه ثم اختلف حال  
 ملوك الروم في الأخذ بدين النصارى تارة وتركه أخرى إلى أن جاء قسطنطين  
 وتنصرت أمه هيلانة وأرتحلت إلى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح  
 بزعمهم فأخبرها القساوسة بأنه رمى بخشبيته على الأرض وألقى عليها القمامات والقاذورات  
 فاستخرجت الخشبة وبات مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كأنها على قبره بزعمهم  
 وهربت ما وجدت من عمارة ألينت وأمرت بطرح الرّبل والقمامات على الصخرة حتى  
 غطاها وخفي مكانها جزاء بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بإزاء القمامة بيت لحم  
 وهو ألينت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء الإسلام  
 وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأري مكانها وقد علاها الرّبل  
 والأتاب فكشف عنها وبني عليها مسجداً على طريق البداة وعظم من شأنه ما أذن الله  
 من تعظيمه وما سبق من أمر الكتاب في فضله حسبنا ثبت ثم احتفل الوليد بن  
 عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الإسلام يا شاء الله من الاحتفال  
 كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي  
 مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة  
 والمال لبناء هذه المساجد وأن يُنتقوا بالفسيفاء فاطاع لذلك وتم بناؤها على  
 ما اقتدره ثم لما ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسين من الهجرة في آخرها  
 وكانت في ملكة العبيدين خلفاء القاهر من الشيعة وأختل أمرهم زحف الفرنجة  
 إلى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة  
 منه كنيسة كانوا يُعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى إذا استقل صلاح الدين بن  
 أيوب الكردي بملك مصر والشام ومحا أثر العبيدين وبدعهم زحف إلى الشام  
 وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه

مِنْ تُغُورِ الشَّامِ وَذَلِكَ لِتَحْوِ تَمَانِينَ وَتَحْسِائَةٍ مِنْ الْهَجْرَةِ وَهَدَمَ تِلْكَ الْكَنِيسَةَ  
 وَأَظْهَرَ الصَّخْرَةَ وَبَنَى الْمَسْجِدَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَغْرُضُ  
 لَكَ الْإِشْكَالُ الْمَعْرُوفُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ  
 أَوَّلِ بَيْتٍ وُضِعَ فَقَالَ بَيْنَ مَكَّةَ وَبَيْنَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قِيلَ فَكَمْ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ  
 سَنَةً فَإِنَّ الْمُدَّةَ بَيْنَ بِنَاءِ مَكَّةَ وَبَيْنَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِمِقْدَارِ مَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَسُلَيْمَانَ  
 لِأَنَّ سُلَيْمَانَ بَانِيَهُ وَهُوَ يُنْفِى عَلَى الْأَلْفِ بِكَثِيرٍ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَضْعِ فِي الْحَدِيثِ  
 لَيْسَ الْبِنَاءُ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَوَّلُ بَيْتٍ عُيِّنَ لِلْعِبَادَةِ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ عُيِّنَ  
 لِلْعِبَادَةِ قَبْلَ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَقَدْ نُقِلَ أَنَّ الصَّابِئَةَ بَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ هَيْكَلَ  
 الزُّهْرَةِ فَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَضَعُ الْأَصْنَامَ وَالتَّمَائِيلَ  
 حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَفِي جَوْفِهَا وَالصَّابِئَةُ الَّذِينَ بَنَوْا هَيْكَلَ الزُّهْرَةِ كَانُوا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا تَبْعُدُ مُدَّةُ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً بَيْنَ وَضْعِ مَكَّةَ لِلْعِبَادَةِ وَوَضْعِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ  
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بِنَاءٌ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سُلَيْمَانَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَقَهَّرَ فِيهِ حُلٌّ هَذَا الْإِشْكَالِ . وَأَمَّا الْمَدِينَةُ وَهِيَ الْمَسَاءَةُ بِثَرْبٍ  
 فَهِيَ مِنْ بِنَاءِ يَثْرِبَ بْنِ مَهْلَايِيلَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ وَمَلَكَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِينَا  
 مَلَكُوهُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ثُمَّ جَاوَرَهُمْ بَنُو قَيْلَةَ مِنْ غَسَّانَ وَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَعَلَى حُصُونِهَا .  
 ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا لَمَّا سَبَقَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهَا فَهَاجَرَ إِلَيْهَا  
 وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَتِسْعَةُ أَصْحَابُهُ وَنَزَلَ بِهَا وَبَنَى مَسْجِدَهُ وَبُيُوتَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ  
 قَدْ أَعَدَّهُ لِدَلِّكَ وَشَرْقَهُ فِي سَابِقِ أَزَلِهِ وَأَوَاهُ أَبْنَاءُ قَيْلَةَ وَنَصَرُوهُ فَلِذَلِكَ سُئِلُوا الْأَنْصَارُ  
 وَتَشَتَّ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى عُلْتُ عَلَى الْكَلِمَاتِ وَغَلَبَ عَلَى قَوْمِهِ وَفَتَحَ  
 مَكَّةَ وَمَلَكَهَا وَظَنَّ الْأَنْصَارُ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدِهِ فَأَهْمَهُمْ ذَلِكَ فَخَاطَبَهُمْ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَوِّلٍ حَتَّى إِذَا قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُلَحَدُهُ الشَّرِيفُ بِهَا وَجَاءَ فِي فَضْلِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مَا لَا خِفَاءَ  
 بِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى مَكَّةَ وَبِهِ قَالَ مَا لِكَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِمَا ثَبَتَ  
 عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ عَنْ رَفِيعِ بْنِ مُخَدَّجٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 قَالَ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ نَقَلَ ذَلِكَ أَبُو الْوَهَّابِ فِي الْمُعَوْنَةِ إِلَى أَحَادِيثَ أُخْرَى



تدلُّ بظاهرها على ذلك وخالف أبو حنيفة والشافعي . وأصبحت على كل حال ثانية  
 المسجد الحرام وجنح إليها الأمم بإفئدتهم من كل أوبٍ فانظر كيف تدرجت  
 الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهيم سر الله في الكون  
 وتدريجه على ترتيب محكم في أمور الدين والدنيا . وأما غير هذه المساجد الثلاثة  
 فلا نعلمه في الأرض إلا ما يُقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسر نديب من  
 جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شيء يُعول عليه وقد كانت للأمم في القديم مساجد  
 يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان وبيوت العرب  
 بالحجاز التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها في غزواته وقد ذكر المسعودي منها  
 بيوتا لنا من ذكرها في شيء إذ هي غير مشروعة ولا هي على طريق ديني ولا يلتفت  
 إليها ولا إلى الخبر عنها ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ فمن أراد معرفة الأخبار  
 فعليه بها والله يهدي من يشاء سبحانه

### الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك أن هذه الأقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الإسلام  
 وكان عمرانها كله بدويا ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول  
 التي ملكتهم من الإفرنجية والعرب لم يطل أمد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة  
 منها فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها فكانوا إليها أقرب فلم تكثر مبانيهم وأيضاً  
 فالصنائع بعيدة عن البربر لأنهم أحرق في البدو والصنائع من توابع الحضارة وإنما  
 تم المباني بها فلا بد من الخلق في تعلمها فلما لم يكن للبربر انتحال لها لم يكن  
 لهم تشوق إلى المباني فضلاً عن المدن وأيضاً فهم أهل عصيات وأنساب لا يخلو  
 عن ذلك جمع منهم والأنساب والعصية أجنح إلى البدو وإنما يدعو إلى المدن  
 الدعة والسكون ويصيد ساكنها عيالا على حاميتهما فتجد أهل البدو لذلك يستكفون  
 عن سكنى المدينة أو الإقامة بها فلا يدعو إلى ذلك إلا الترف والغنى وقليل ما هو  
 في الناس فلذلك كان عمران أفريقية والمغرب كله أو أكثره بدويا أهل خيام  
 وظواعن وقياطن وكثن في الجبال وكان عمران بلاد الحزم كله أو أكثره قري

وَأَمْصَاراً وَرَّسَاتِيَةً مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَأَمْثَالِهَا لِأَنَّ  
الْعَجَمَ لَيْسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَّبِعُونَ فِي صِرَاحَتِهَا وَالتَّحَامِيهَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ لِأَنَّ لِحِمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ فَتَكُونُ  
عَصِيَّتُهُ كَذَلِكَ وَتَتَرَعُّ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ وَالتَّجَافِي عَنْ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ  
بِالْبَسَالَةِ وَيُصَيِّرُهُ عِيَالاً عَلَى غَيْرِهِ فَأَفْهَمَهُ وَقَسَّ عَلَيْهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن

في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها  
والى من كان قبلها من الدول

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَرِّ بِعَيْنِهِ إِذِ الْعَرَبُ أَيْضاً أَغْرَقُوا فِي الْبَدْوِ  
وَأَبْعَدُوا عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَيْضاً فَكَانُوا أَجَانِبَ مِنَ الْمَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
وَلَمَّا تَمَلَّكُوهَا لَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ حَتَّى تَسْتَوِيَ رُسُومُ الْحَضَارَةِ مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَعْنَوْا بِهَا  
وَجَدُّوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ وَأَيْضاً فَكَانَ الدِّينُ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَانِعاً مِنَ الْمَغَالَاةِ أَوْ الْبُنْيَانِ  
وَالْإِسْرَافِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ كَمَا عَهِدَ لَهُمْ عُمَرُ حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الْكُوفَةِ  
بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْقَصَبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ أَفْعَلُوا وَلَا يَزِيدَنَّ  
أَحَدٌ عَلَى ثَلَاثَةِ آيَاتٍ وَلَا تُطَالُوا فِي الْبُنْيَانِ وَالزُّمُوا السَّنَةَ تَلَزِمَكُمُ الدَّوْلَةُ وَعَهِدَ إِلَى  
الْوَفْدِ وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ أَنْ لَا يَرَفَعُوا بُنْيَاناً فَوْقَ الْقَدْرِ قَالُوا وَمَا الْقَدْرُ قَالَ لَا يُقَرِّبُكُمْ  
مِنَ السَّرَفِ وَلَا يُخْرِجُكُمْ عَنِ الْعَهْدِ فَلَمَّا بَعُدَ الْعَهْدُ بِالدِّينِ وَالتَّخَرُّجُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ  
الْمَقَاصِدِ وَغَلَبَتْ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ وَالْوَفِّ وَاسْتَعْدَمَ الْعَرَبُ أُمَّةُ الْفُرْسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ  
الصَّنَائِعَ وَالْمَبَانِي وَدَعَّسَتْ إِلَيْهَا أَحْوَالُ الدَّعَةِ وَالْوَفِّ فَجِئْتِ شِدَّةُ الْمَبَانِي وَالْمَصَانِعِ  
وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ قَرِيباً بِانْتِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ لِكثْرَةِ الْبِنَاءِ وَاخْتِطَاطِ  
الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ إِلَّا قَلِيلاً وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَالْفُرْسُ طَالَتْ مُدَّتُهُمْ آلافاً  
مِنَ السِّنِينَ وَكَذَلِكَ الْقُبُطُ وَالنَّبُطُ وَالرُّومُ وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ  
وَالْتَّبَابَةَ طَالَتْ أَمَادُهُمْ وَرَمَسَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِمْ فَكَانَتْ مَبَانِيهِمْ وَهِيَ كُلُّهُمْ أَكْثَرُ  
عَدداً وَأَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ أَثْراً وَاسْتَبَصَرَ فِي هَذَا تَجْدُهُ كَمَا قُلْتُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ  
وَمَنْ عَلَيْهَا



## الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تخططها العرب يسرع اليها الحراب الا في الاقل  
والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني  
وثيقة في تشييدها وله والله أعلم وجه آخر وهو أمر به وذلك قلة مراعاتهم لحسن  
الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء والبياه والتراريع  
والمراعي فإنه بالتفاوت في هذا تتفاوت جودة البصر ورداءته من حيث العمران  
الطبيعي والعرب بمنزل عن هذا وإنما يراعون مراعي إيلهم خاصة لا يبالون بالباء  
طاب أو خبت ولا قل أو كثر ولا يسألون عن ذكاء التاريع والمنايت والأهوية  
لا تنقلهم في الأرض ونقلهم الحبوب من البلد البعيد وأما الرياح فالقفر مختلف للمهاب  
كلها والظن كليل لهم بطبيعتها لأن الرياح إنما تخبث مع القرار والسكنى وكثرة  
الفضلات وأنظر لما أخطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها  
إلا مراعي إيلهم وما يثوب من القفر ومسالك الظن فكانت بعيدة عن الوضع  
الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تيد عمرانها من بعدهم كما قدمنا أنه يحتاج إليه في  
العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الأمم فيعتبرها الناس  
فلاول وهلة من انحلال أمرهم وذهاب عصيتهم التي كانت سياجا لها أتى عليها الحراب  
والانحلال كان لم تكن والله يحكم لا معيب لحكمه

## الفصل العاشر

في مبادي الحراب في الامصار

إعلم أن الأمصار إذا أخطت أولا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء  
من الحجر والخير وغيرها مما يعلى على الحيطان عند التائق كالزجاج والرخام والرج  
والزجاج والفسيساء والصدف فيكون بناؤها يومئذ بدويا والآلة فاسدة فإذا عظم  
عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ وكثرت الصنائع  
إلى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق بشأنها فإذا تراجع عمرانها ونخس ساكنها  
قلت الصنائع لأجل ذلك وقيدت الإجابة في البناء والإحكام والمعالجة عليه بالتسبيق  
ثم تقل الأعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرها

فَتُقَدُّ وَيَصِيرُ بِنَاؤُهُمْ وَتَشْيِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي مَبَانِيهِمْ فَيَنْقُلُونَهَا مِنْ مَصْنَعٍ إِلَى  
 مَصْنَعٍ لِأَجْلِ خَلَاءِ أَكْثَرِ الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ بِوَلَةِ الْعُمَرَانِ وَقُصُورِهِ عَمَّا  
 كَانَ أَوَّلًا ثُمَّ لَا تَرَالُ تُنْقَلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَمِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ إِلَى أَنْ يُقَدَّ الْكَثِيرُ  
 مِنْهَا بُحْلَةً فَيَعُودُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ وَاتِّخَاذِ الطُّوبِ عِوَضًا عَنِ الْحِجَارَةِ وَالْقُصُورِ  
 عَنْ التَّسْيِيدِ بِالْكُلِّيَّةِ فَيَعُودُ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقَرْيَةِ وَالْمَدَرِ وَتَظْهَرُ عَلَيْهَا  
 سِمَاءُ الْبِدَاوَةِ ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الْحَرَابِ إِنْ قُدِرَ لَهَا بِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل الحادي عشر

في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِتَحْصِيلِ  
 حَاجَاتِهِ فِي مَعَايِشِهِ وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَمِيعًا فِي عُمَرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاحْتِاجَةُ الَّتِي تَحْصُلُ  
 بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ أَشَدُّ ضَرُورَةً أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِهِمْ أَضْعَافًا فَالْقُوَّةُ مِنَ الْخُطَّةِ  
 مِثْلًا لَا يَسْتَقِلُّ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حَصَّتِهِ مِنْهُ وَإِذَا انْتَدَبَ لِتَحْصِيلِهِ السِّتَّةَ أَوْ الْعَشْرَةَ مِنْ  
 حَدَادٍ وَنَجَّارٍ لِلآلَاتِ وَقَانِيمٍ عَلَى الْبَقَرِ وَإِثَارَةِ الْأَرْضِ وَحِصَادِ السُّبُلِ وَسَائِرِ مُوْنِ  
 الْفَلَحِ وَتَوَزَّعُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَوْ اجْتَمَعُوا وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الْقُوَّةِ  
 فَإِنَّهُ جَيَسِدُ قُوَّةٍ لِأَضْعَافِهِمْ مَرَّاتٍ فَالْأَعْمَالُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ  
 وَضُرُورَاتِهِمْ فَأَهْلُ مَدِينَةٍ أَوْ مِصْرٍ إِذَا وَزَعَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عَلَى مِقْدَارِ ضُرُورَاتِهِمْ  
 وَحَاجَاتِهِمْ اكْتَفَى فِيهَا بِالْأَقَلِّ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَبَقِيَتْ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا زَائِدَةٌ عَلَى  
 الضَّرُورَاتِ فَتُصْرَفُ فِي حَالَاتِ التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
 وَيَسْتَجْلِبُونَهُ مِنْهُمْ بِأَعْوَاضِهِ وَقِيَمِهِ فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ حَظٌّ مِنَ الْغِنَى وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ فِي  
 الْفَصْلِ الْخَامِسِ فِي بَابِ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ أَنَّ الْمَكَايِبَ إِنَّمَا هِيَ قِيَمُ الْأَعْمَالِ  
 فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَعْمَالُ كَثُرَتْ قِيَمُهَا بَيْنَهُمْ فَكَثُرَتْ مَكَايِبُهُمْ ضَرُورَةٌ وَدَعَتْهُمْ أَحْوَالُ  
 الرِّفَةِ وَالْغِنَى إِلَى التَّرَفِ وَحَاجَاتِهِ مِنَ التَّائِقِ فِي الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَايِسِ وَاسْتِجَادَةِ الْآيَةِ  
 وَالْمَاعُونِ وَاتِّخَاذِ الْخَدَمِ وَالْمَرَاكِبِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ تُسْتَدْعَى بِتَبَيُّنِهَا وَيُخْتَارُ الْمَهْرَةُ  
 فِي صِنَاعَتِهَا وَالْقِيَامُ عَلَيْهَا فَتَنْقُضُ أَسْرَاقُ الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ وَيَكْثُرُ دَخْلُ الْبَصْرِ



وَحَرْجُهُ وَيَحْصُلُ الْإِسَارُ لِمُنْتَحِلِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِمْ وَمَتَى زَادَ الْعُمَرَانُ زَادَتْ الْأَعْمَالُ  
ثَانِيَةً ثُمَّ زَادَ التَّرَفُ تَابِعًا لِلْكَسْبِ وَزَادَتْ عَوَائِدُهُ وَحَاجَاتُهُ وَاسْتَنْبَطَتْ الصَّنَائِعُ  
لِتَحْصِيلِهَا فَزَادَتْ قِيَمُهَا وَتَضَاعَفَ الْكَسْبُ فِي الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ ثَانِيَةً وَنَفَقَتْ سُوقُ الْأَعْمَالِ  
بِهَا أَكْثَرَ مِنْ الْأَوَّلِ وَكَذَا فِي الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الزَّائِدَةَ كُلَّهَا  
تَخْتَصُّ بِالتَّرَفِ وَالْغِنَى بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَعَاشِ فَالْبَصْرُ إِذَا  
فُضِلَ بِعُمَرَانٍ وَاحِدٍ فَفَضْلُهُ بِزِيَادَةِ كَسْبِ وَرَفْرِهِ بِعَوَائِدِهِ مِنَ التَّرَفِ لَا تُوجَدُ فِي الْآخَرِ  
فَمَا كَانَ عُمَرَانُهُ مِنَ الْأَمْصَارِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ كَانَ حَالُ أَهْلِهِ فِي التَّرَفِ أَبْلَغَ مِنْ حَالِ  
الْبَصْرِ الَّذِي دُونَهُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْأَصْنَافِ الْقَاضِيَةِ مَعَ الْقَاضِيِ وَالتَّاجِرِ مَعَ  
التَّاجِرِ وَالصَّانِعِ مَعَ الصَّانِعِ وَالسُّوقِيِّ مَعَ السُّوقِيِّ وَالْأَمِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ وَالشَّرْطِيِّ مَعَ  
الشَّرْطِيِّ \* وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ مَثَلًا بِحَالِ فَاسَ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ الْأَمْصَارِ مِثْلَ بَجَايَةِ  
وَتَلْمُسَانَ وَسَبْتَةَ تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا كَثِيرًا عَلَى الْجُمْلَةِ ثُمَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ فَحَالُ الْقَاضِيِ  
بِفَاسٍ أَوْسَعُ مِنْ حَالِ الْقَاضِيِ بِتَلْمُسَانَ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفِ أَهْلِهِ وَكَذَا  
أَيْضًا حَالُ تَلْمُسَانَ مَعَ وَهْرَانَ أَوْ الْجَزَائِرِ وَحَالُ وَهْرَانَ وَالْجَزَائِرِ مَعَ مَا دُونَهُمَا إِلَى أَنْ  
تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَدَرِ الَّذِينَ اعْتَمَلَهُمْ فِي ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فَقَطُّ وَيُقَصِّرُونَ عَنْهَا وَمَا  
ذَلِكَ إِلَّا لِتَقَاوُتِ الْأَعْمَالِ فِيهَا فَكَأَنَّهُمَا كُلُّهُمَا أَسْوَاقٌ لِلْأَعْمَالِ وَالْخُرُجُ فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَى  
نَسَبِهِ فَالْقَاضِيِ بِفَاسٍ دَخَلَهُ كِفَاءُ خَرْجِهِ وَكَذَا الْقَاضِيِ بِتَلْمُسَانَ وَحَيْثُ الدَّخْلُ وَالْخُرُجُ  
أَكْثَرُ تَكُونُ الْأَحْوَالُ أَعْظَمَ وَهُمَا بِفَاسٍ أَكْثَرُ لِتَقَارُبِ سُوقِ الْأَعْمَالِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
التَّرَفُ فَالْأَحْوَالُ أَضْعَفُ ثُمَّ كَذَا حَالُ وَهْرَانَ وَفُسْطَاطِيَّةَ وَالْجَزَائِرِ وَبِسْكَرَةَ حَتَّى  
تَنْتَهِيَ كَمَا قُلْنَا إِلَى الْأَمْصَارِ الَّتِي لَا تُورِثُ أَعْمَالُهَا بِضَرُورَاتِهَا وَلَا تُعَدُّ فِي الْأَمْصَارِ إِذَا  
هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ فَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ ضِعْفًا الْأَحْوَالِ  
مُقَارِبِينَ فِي الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ لِمَا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَقِي بِضَرُورَاتِهِمْ وَلَا يَفْضُلُ مَا يَتَأَثَّلُونَهُ  
كَسْبًا فَلَا تَنْشُرُ مَكَاسِبَهُمْ وَهُمْ لِذَلِكَ مَسَاكِينُ مَخَاوِجُ إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَاعْتَبِرْ  
ذَلِكَ حَتَّى فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالسُّوَالِ فَإِنَّ السَّائِلَ بِفَاسٍ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ السَّائِلِ بِتَلْمُسَانَ  
أَوْ وَهْرَانَ وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِفَاسٍ السُّوَالِ يَسْأَلُونَ أَيَّامَ الْأَضَاحِيِّ أَثْنَانَ صَحَابِيَاهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ  
يَسْأَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَأَفْتَدِاحِ الْمَأْكَلِ مِثْلَ سُوَالِ اللَّحْمِ وَالسَّمْنِ

وَمِلَاجِ الطَّبِخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَاعُونِ كَالْعِرْبَالِ وَالْآيَةِ وَلَوْ سَأَلَ مَسَائِلُ مِثْلَ هَذَا  
بِتَلْمِزَانٍ أَوْ وَهْرَانٍ لَأَسْتُنْكِرَ وَغُفِرَ وَزُجِرَ وَيَبْلُغُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ عَنْ أحوَالِ الْقَاهِرَةِ  
وَمِصْرَ مِنْ التَّرَفِ وَالْعَنَى فِي عَوَائِدِهِمْ مَا يُقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ حَتَّى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ  
بِالْمَغْرِبِ يَتَزَعُونَ مِنَ الثَّقَلَةِ إِلَى مِصْرَ لِذَلِكَ وَلَمَّا يَبْلُغُهُمْ مِنْ أَنَّ شَأْنَ الرِّفَةِ بِمِصْرَ  
أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ لِرِيَادَةِ إِيْثَارٍ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَفَاقِ  
عَلَى غَيْرِهِمْ أَوْ أَمْوَالٍ مُتَعَرِّتَةٍ لَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِيْثَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ  
الْأَمْصَارِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ لَمَّا تَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ عُمَرَانَ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ أَكْثَرُ مِنْ  
عُمَرَانٍ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ فَطَمَتَ لِدَيْكَ أحوَالَهُمْ . وَأَمَّا حَالُ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ  
فَمُتَكَافِيٌّ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ عَظُمَ الْخُرْجُ وَبِالْعَكْسِ وَمَتَى عَظُمَ  
الدَّخْلُ وَالْخُرْجُ اتَّسَعَتْ أحوَالُ السَّاكِنِ وَوَسَّعَ الْمِصْرُ كُلُّ شَيْءٍ يُبْلَغُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا  
فَلَا تُنْكِرُهُ وَاعْتَبِرْهُ بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمُكَاسِبَةِ الَّتِي  
يَسْهَلُ بِسَبَبِهَا الْبَدَلُ وَالْإِيْثَارُ عَلَى مُبْتَغِيهِ وَمِثْلُهُ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمِ مَعَ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ  
الْوَحْدَةِ وَكَيْفَ تَخْتَلِفُ أحوَالُهَا فِي هَجْرَانِهَا أَوْ غَشْيَانِهَا فَإِنَّ بُيُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالثَّرْوَةِ  
وَالْمَوَائِدِ الْخَصِيَةِ مِنْهَا تَكْثُرُ بِسَاحَتِهَا وَأَقْنِيَّتِهَا يَنْثُرُ الْحُبُوبُ وَسَوَاقِطُ الْفَتَاتِ فَيَزْدَحِمُ  
عَلَيْهَا غَوَاشِي النَّمْلِ وَالْحَشَّاشِ وَيُحَلِّقُ فَوْقَهَا عَصَابُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرُوحَ بِطَانًا وَتَمْتَلِيَّ شِبَعًا  
وَرِيًّا وَبُيُوتُ أَهْلِ الْخِصَاصَةِ وَالْفُقَرَاءِ الْكَاسِدَةِ أَرْزَاقُهُمْ لَا يَسْرِي بِسَاحَتِهَا دَيْبٌ وَلَا  
يَخْلُقُ بِجَوَّهَا طَائِرٌ وَلَا تَأْوِي إِلَى زَوَايَا بُيُوتِهِمْ فَارَةٌ وَلَا هِرَّةٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ تَلْقِطُ الْحَبَّ م وَتَغْشَى مَنَازِلَ الْكُرْمَاءِ

فَتَأْمَلُ سِرًّا أَنَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَاعْتَبِرْ غَاشِيَةَ الْإِنْسَانِيَةِ بِغَاشِيَةِ الْعُجَمِ مِنْ الْحَيَوَانَاتِ وَفَتَاتِ  
الْمَوَائِدِ بِفَضْلَاتِ الرِّزْقِ وَالتَّرَفِ وَسُهُولَتِهَا عَلَى مَنْ يَبْذُلُهَا لِاسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ  
لَوْجُودِ أَمْثَالِهَا لَدَيْهِمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ اتِّسَاعَ الْأَحْوَالِ وَكَثْرَةَ النِّعَمِ فِي الْعُمَرَانِ تَابِعٌ لِكَثْرَتِهِ  
وَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

## الفصل الثاني عشر

في أسعار المدن

إِعْلَمُ أَنَّ الْأَسْوَاقَ كُلَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى حَاجَاتِ النَّاسِ فَمِنْهَا الضَّرُورِيُّ وَهِيَ الْأَقْوَاتُ



مِنْ الْخُطَّةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا . كَالْبَاقِلَاءِ وَالْبَصْلِ وَالْثُومِ وَأَشْبَاهِهِ وَمِنْهَا التَّاجِي وَالْكَتَالِي  
 . مِثْلُ الْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَاعُونِ وَالْمَرَاكِبِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ وَالْمَبَانِي فَإِذَا  
 اسْتَبْخَرَ الْمِصْرُ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ رُخِصَتْ أَسْعَارُ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْقُوتِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَغَلَّتْ  
 أَسْعَارُ الْكَتَالِي مِنَ الْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا يَتَّبِعُهَا وَإِذَا قَلَّ سَاكِنُ الْمِصْرِ وَضَعُفَ  
 عِمْرَانُهُ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحُبُوبَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْقُوتِ فَتَوَفَّرَ  
 الدَّوَاعِي عَلَى اتِّخَاذِهَا إِذْ كُلُّ أَحَدٍ لَا يُهْمِلُ قُوَّتَ نَفْسِهِ وَلَا قُوَّتَ مَنْزِلِهِ لِشَهْرِهِ أَوْ سَنَتِهِ  
 فَيُعْمِدُ اتِّخَاذَهَا أَهْلُ الْمِصْرِ أَجْمَعُ أَوْ أَلَا كَثُرَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ أَوْ فَيْسَا قُرْبَ مِنْهُ  
 لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مُتَخَذٍ لِقُوَّتِهِ فَتَفْضُلُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَضْلَةٌ كَبِيرَةٌ تَسُدُّ خَلَّةَ  
 كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمِصْرِ فَتَفْضُلُ الْأَقْوَاتُ عَنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مِنْ غَيْرِ شَكِّ  
 فَتَرْخُصُ أَسْعَارُهَا فِي الْغَالِبِ إِلَّا مَا يُصِيبُهَا فِي بَعْضِ السِّنِينَ مِنَ آَلَفَاتِ السَّنَاوِيَةِ وَلَوْ لَا  
 احْتِكَارُ النَّاسِ لَهَا لَمَا يُتَوَقَّعُ مِنْ تِلْكَ آَلَفَاتٍ لَبِدَلَّتْ دُونَ ثَمَنِ وَلَا عِوَضٍ لِكَثْرَتِهَا  
 بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ . وَأَمَّا سَائِرُ الْمَرَافِقِ مِنَ الْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا إِلَيْهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمُ بِهَا  
 الْبُلُوى وَلَا يَسْتَعْرِقُ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالُ أَهْلِ الْمِصْرِ أَجْمَعِينَ وَلَا الْكَثِيرَ مِنْهُمْ ثُمَّ إِنْ  
 الْمِصْرُ إِذَا كَانَ مُسْتَبْجِرًا مَوْفُورَ الْعُمَرَانِ كَثِيرَ حَاجَاتِ التَّرَفِ تَوَفَّرَتْ حِينَئِذٍ الدَّوَاعِي  
 عَلَى طَلَبِ تِلْكَ الْمَرَافِقِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا كُلُّ بِحَسَبِ حَالِهِ فَيَقْصُرُ التَّوَجُّدُ مِنْهَا عَلَى  
 الْحَاجَاتِ قُصُورًا بِالْعَاقِبَةِ وَيَكْثُرُ الْمُسْتَاوُونَ لَهَا وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا فَتَرْدَحِمُ أَهْلُ الْأَشْرَاضِ  
 وَيَبْذُلُ أَهْلُ الرِّفَةِ وَالتَّرَفِ أَثْمَانَهَا بِإِسْرَافٍ فِي الْغَلَاءِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ  
 فَيَقَعُ فِيهَا الْغَلَاءُ كَمَا تَرَاهُ . وَأَمَّا الصَّنَائِعُ وَالْأَعْمَالُ أَيْضًا فِي الْأَمْصَارِ الْوُفُورَةُ الْعُمَرَانِ  
 فَسَبَبُ الْغَلَاءِ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ الْأَوَّلُ كَثْرَةُ الْحَاجَةِ لِمَكَانِ التَّرَفِ فِي الْمِصْرِ بِكَثْرَةِ  
 عِمْرَانِهِ وَالثَّانِي اعْتِرَازُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ لِخِدْمَتِهِمْ وَأَمْتِهَانِ أَنْفُسِهِمْ لِسُهُولَةِ الْعَاشِ فِي  
 الْمَدِينَةِ بِكَثْرَةِ أَقْوَاتِهَا وَالثَّلَاثُ كَثْرَةُ الْمُتَرَفِينَ وَكَثْرَةُ حَاجَاتِهِمْ إِلَى أَمْتِهَانِ غَيْرِهِمْ  
 وَإِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِ فِي مَبْنِيهِمْ فَيَبْذُلُونَ فِي ذَلِكَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ قِيَمَةِ  
 أَعْمَالِهِمْ مُزَاحِمَةً وَمُنَافَسَةً فِي الْإِسْتِثَارِ بِهَا فَيَعْتَرِزُ الْعُمَّالُ وَالصَّنَاعُ وَأَهْلُ الْحِرَفِ وَتَعْلُو  
 أَعْمَالُهُمْ وَتَكْثُرُ نَفَقَاتُ أَهْلِ الْمِصْرِ فِي ذَلِكَ . وَأَمَّا الْأَمْصَارُ الصَّغِيرَةُ وَالْقَلِيلَةُ  
 السَّاكِنِ وَأَقْوَاتُهُمْ قَلِيلَةٌ لِثَلَاثَةِ الْعَمَلِ فِيهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ لِصِغَرِ مِصْرِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْقُوتِ

فَيَتَسَكُّونَ بِمَا يَحْضُلُ مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَتَشْكُرُونَ فِعِزُّ وَجُودُهُ لَدَيْهِمْ وَيَغْلُو ثَمَنُهُ عَلَى مُسْتَأْمِرِهِ وَأَمَّا مَرَاتِقُهُمْ فَلَا تَدْعُو إِلَيْهَا أَيْضًا حَاجَةُ بَيْتِلَةِ السَّاكِنِ وَضَعْفُ الْأَحْوَالِ فَلَا تَنْفَقُ لَدَيْهِمْ سُوقُهُ فَيَخْتَصُّ بِالرُّخْصِ فِي سِغَرِهِ وَقَدْ تَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ قِيَمَةُ مَا يَغْرِضُ عَلَيْهَا مِنَ الْمُكُوسِ وَالْمَعَارِمِ لِلسُّلْطَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَبَابِ الْحَفْرِ وَالْحَيَاةِ فِي مَتَاعِهِ وَصَوْلَهَا عَنِ الْبُيُوعَاتِ لِمَا يَتَسَهَّلُ وَبِذَلِكَ كَانَتْ الْأَسْعَارُ فِي الْأَمْصَارِ أَغْلَى مِنَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَادِيَةِ إِذِ الْمُكُوسُ وَالْمَعَارِمُ وَالْفَرَائِضُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَكَثُرَتْهَا فِي الْأَمْصَارِ لِأَسِيَّتِنَا فِي آخِرِ الدَّوَلَةِ وَقَدْ تَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ قِيَمَةُ عِلَاجِهَا فِي الْفَلَحِ وَيُحَافِظُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَسْعَارِهَا كَمَا وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَجْلَاهُمْ النَّصَارَى إِلَى سِغَرِ الْبَحْرِ وَبِلَادِهِ الْمُتَوَعِّرَةِ الْخَبِيثَةِ الزَّارِعَةِ النَّكِدَةِ النَّبَاتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ الزَّرَكِيَّةَ وَالْبَلَدَ الطَّيِّبَ فَاحْتَاجُوا إِلَى عِلَاجِ الزَّرَايِعِ وَالْفُذُنِ لِإِصْلَاحِ نَبَاتِهَا وَفَلَحِهَا وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْعِلَاجِ بِأَعْمَالِ ذَاتِ قِيَمٍ وَمَوَادِّ مِنَ الزَّرْبِلِ وَغَيْرِهِ لَهَا مَوْنَةٌ وَصَارَتْ فِي فَلَاحِهِمْ نَفَقَاتٌ لَهَا خَطَرٌ فَأَعْتَبَرُوهَا فِي سِغَرِهِمْ وَاتَّخَصَّ قَطْرُ الْأَنْدَلُسِ بِالْغَلَاءِ مِنْذُ أَضْطَرَّهْمُ النَّصَارَى إِلَى هَذَا الْمَعْمُورِ بِالْإِسْلَامِ مَعَ سَوَاحِلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَيَحْسِبُ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا بِغَلَاءِ الْأَسْعَارِ فِي قَطْرِهِمْ أَنَّهَا لِمِلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَالْجُوبِ فِي أَرْضِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَهْمٌ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَعْمُورِ فَلَمَّا فِيمَا عَلِمْنَاهُ وَأَقْوَمُهُمْ عَلَيْهِ وَقُلْنَا أَنْ يَخْلُو مِنْهُمْ سُلْطَانٌ أَوْ سُوقَةٌ عَنْ فِدَانٍ أَوْ مَزْرَعَةٍ أَوْ فَلَاحٍ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ وَالْمِهْنِ أَوْ الْخِرَاءِ عَلَى الْوَطَنِ مِنَ الْغُرَاةِ الْمُجَاهِدِينَ وَلِهَذَا يَخْتَصُّهُمْ السُّلْطَانُ فِي عَطَائِهِمْ بِالْعَوْلَةِ وَهِيَ أَقْوَاتُهُمْ وَعُلُوفَاتُهُمْ مِنَ الزَّرْعِ وَإِنَّمَا السَّبَبُ فِي غَلَاءِ سِغَرِ الْجُوبِ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَلَمَّا كَانَتْ بِلَادُ الْبَدْرِ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فِي زَكَاةِ مَنَابِتِهِمْ وَطَيِّبِ أَرْضِهِمْ أَرْتَفَعَتْ عَنْهُمْ الْمُونُ جُمْلَةً فِي الْفَلَاحِ مَعَ كَثَرَتِهِ وَعُمُومَتِهِ فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ بِبِلَادِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ سِوَاهُ .

### الفصل الثالث عشر

في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمِصْرَ الْكَثِيرَ الْعُمَرَانَ يَكْثُرُ تَرْفُهُ كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَتَكْثُرُ



حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَتُعْتَادُ تِلْكَ الْحَاجَاتُ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهَا فَتَقْلِبُ ضَرُورَاتٍ وَتَصِيرُ فِيهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ عَزِيْزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً بِإِزْدِحَامِ الْأَغْرَاضِ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَبِالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ وَالْبِيَاعَاتِ وَتُعْتَبَرُ فِي قِيَمِ السَّيِّعَاتِ وَيَعْظُمُ فِيهَا الْغَلَاءُ فِي الْمَرَافِقِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَالِ فَتَكْثُرُ لِذَلِكَ نَفَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثْرَةً بَالِغَةً عَلَى نِسْبَةِ عُمَرَانِهِ وَيَعْظُمُ خَرْجُهُ فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ لِلنَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَبِعِيَالِهِ فِي ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوْثِقِهِمْ وَالْبَدْوِيِّ لَمْ يَكُنْ دَخْلُهُ كَثِيرًا سَاكِنًا بِمَكَانٍ كَاسِدِ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْكَسْبِ فَلَمْ يَتَأَثَّلْ كَسْبًا وَلَا مَالًا فَيَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سُكْنَى الْبَصْرِ الْكَبِيرِ لِفَلَاءِ مَرَافِقِهِ وَعِزَّةِ حَاجَاتِهِ وَهُوَ فِي بَدْوِهِ يَسُدُّ خَلَّتَهُ بِأَقْلٍ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ قَلِيلُ عَوَائِدِ التَّرَفِ فِي مَعَايِشِهِ وَسَائِرِ مَوْثِقِهِ فَلَا يُضْطَرُّ إِلَى الْمَالِ وَكُلُّ مَنْ يَتَشَوَّفُ إِلَى الْبَصْرِ وَسُكْنَاهُ مِنَ الْبَادِيَةِ فَسَرِيعًا مَا يَظْهَرُ عَجْزُهُ وَيَقْتَضِحُ فِي اسْتِطَاعَتِهِ إِلَّا مَنْ يُقَدِّمُ مِنْهُمْ تَأَثَّلَ الْمَالِ وَيَعْمَلُ لَهُ مِنْهُ فَوْقَ الْحَاجَةِ وَيَجْرِي إِلَى الْغَايَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَهْلِ الْعُمَرَانِ مِنَ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ فَحِينَئِذٍ يَنْتَقِلُ إِلَى الْبَصْرِ وَيَنْتَظِمُ حَالُهُ مَعَ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي عَوَائِدِهِمْ وَتَرْفِهِمْ وَهَكَذَا شَأْنُ رِدَاءَةِ عُمَرَانِ الْأَمْصَارِ وَلِلَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

#### الفصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقر مثل الامصار

إِعْلَمَ أَنَّ مَا تَوَفَّرَ عُمَرَانُهُ مِنَ الْأَقْطَارِ وَتَعَدَّدَتْ الْأُمَمُ فِي جِهَاتِهِ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهِ وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْصَارُهُمْ وَعَظُمَتْ دَوْلَتُهُمْ وَمَمَالِكُهُمْ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ وَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهَا سَبَبٌ لِلثَّرْوَةِ بِمَا يَفْضُلُ عَنْهَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالضَّرُورِيَّاتِ فِي حَاجَاتِ السَّاكِنِ مِنَ الْفَضْلَةِ الْبَالِغَةِ عَلَى مِقْدَارِ الْعُمَرَانِ وَكَثْرَتِهِ فَيَعُودُ عَلَى النَّاسِ كَسْبًا يَتَأَثَّلُونَهُ حَسَبًا نَذَرُ ذَلِكَ فِي فَصْلِ الْمَعَاشِ وَبَيَانِ الرِّزْقِ وَالْكَسْبِ فَيَتَرَدَّدُ الرِّفْقُ لِذَلِكَ وَتَتَسَّعُ الْأَحْوَالُ وَيَجِيءُ التَّرَفُ وَالْغِنَى وَتَكْثُرُ الْحَيَاةُ لِلدَّوْلَةِ بِتَفَاقِ الْأَسْوَاقِ فَيَكْثُرُ مَالُهَا وَيَشْمَخُ سُلْطَانُهَا وَتَتَفَنَّنُ فِي اتِّخَاذِ الْمَعَاقِلِ وَالْحُصُونِ وَاتِّخَاطِ الْمَدُنِ وَتَشِيدُ الْأَمْصَارَ . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَقْطَارِ الْمَشْرِقِ مِثْلَ مِصْرَ وَالشَّامِ وَعِرَاقِ الْحَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَنَاحِيَةِ الشَّامِ كُلِّهَا

وَأَقْطَارِهَا وَرَاءَ الْبَحْرِ الْوُومِي لَمَّا كَثُرَ عُمَرَانُهَا كَيْفَ كَثُرَ أَلْمَالُ فِيهِمْ وَعَظُمَتْ  
دَوْلَتُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ مَدَنُهُمْ وَحَوَاضِرُهُمْ وَعَظُمَتْ مَتَاجِرُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ فَالَّذِي نَشَاهِدُهُ  
هَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَحْوَالِ تِجَارِ الْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ فِي  
رِفْوِهِمْ وَاتِّسَاعِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الْوَصْفُ وَكَذَا تِجَارُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ  
الْأَقْصَى مِنْ عِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ فِي بَابِ الْغِنَى وَالرِّفَةِ غَرَائِبُ  
تَسِيرِ الرُّكْبَانِ بِحَدِيثِهَا وَرَبَّأً تُتَلَقَّى بِالْإِنْكَارِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ وَيَحْسِبُ مَنْ يَسْمَعُهَا مِنْ  
الْعَامَّةِ أَنَّ ذَلِكَ لِرِّيَادَةِ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ لِأَنَّ الْمَعَادِينَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِّيَّةَ أَكْثَرُ بِأَرْضِهِمْ  
أَوْ لِأَنَّ ذَهَبَ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْأُمَمِ اسْتَأْثَرُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَمَعْدِنُ  
الذَّهَبِ الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ وَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
أَقْرَبُ وَجَمِيعُ مَا فِي أَرْضِهِمْ مِنَ الْبِضَاعَةِ فَإِنَّمَا يَجْلِبُونَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِهِمْ لِلتِّجَارَةِ فَلَوْ  
كَانَ أَلْمَالُ عَتِيداً مَوْفُوراً لَدَيْهِمْ لَمَا جَلَبُوا بَضَائِعَهُمْ إِلَى سِوَاهُمْ يَتَتَعُونَ بِهَا الْأَمْوَالِ وَلَا  
اسْتَعْتَبُوا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجُمْلَةِ . وَلَقَدْ ذَهَبَ الْمُتَجَرُّونَ لَمَّا رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَعْتَبُوا  
مَا فِي الْمَشْرِقِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتِّسَاعِهَا وَوُفُورِ أَمْوَالِهَا فَقَالُوا بَانَ عَطَايَا الْكُوَاكِبِ  
وَالسِّهَامِ فِي مَوَالِدِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرُ مِنْهَا حِصَصاً فِي مَوَالِدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَذَلِكَ  
صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ الْمَطَابَقَةِ بَيْنَ الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ كَمَا قُلْنَا هُمْ  
إِنَّمَا أُعْطُوا فِي ذَلِكَ السَّبَبِ النُّجُومِيَّ وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُوا السَّبَبَ الْأَرْضِيَّ وَهُوَ مَا  
ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الْعُمَرَانِ وَاتِّخَاصِهِ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ وَكَثَرَةِ الْعُمَرَانِ  
تَفِيدُ كَثَرَةَ الْكَسْبِ بِكَثَرَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُهَا فَلِذَلِكَ اتَّخَصَّ الْمَشْرِقُ بِالرِّفَةِ  
مِنْ بَيْنِ الْأَفَاقِ لَا إِنَّ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ الْأَثَرِ النُّجُومِيِّ فَقَدْ فَهِمْتَ بِمَا أَشْرْنَا لَكَ أَوَّلًا أَنَّهُ  
لَا يَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ وَأَنَّ الْمَطَابَقَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ وَعُمَرَانِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَتِهَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ .  
وَأَعْتَبِرْ حَالَهُ هَذَا الرِّفَةِ مِنَ الْعُمَرَانِ فِي قُطْرِ أَفْرِيقِيَّةِ وَبَرَقَةِ لَمَّا خَفَّ سَكْنُهَا وَتَنَاقَصَ  
عُمَرَانُهَا كَيْفَ تَلَاشَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهَا وَانْتَهَوْا إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَضَعَتْ جَبَايَاُهَا  
فَقَلَّتْ أَمْوَالُ دَوْلَتِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دَوْلُ الشَّيْعَةِ وَصْنَهَا جَعَلَتْ بِهَا عَلَى مَا بَلَغَكَ مِنَ الرِّفَةِ  
وَكَثَرَةِ الْجَبَايَاتِ وَاتِّسَاعِ الْأَحْوَالِ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَأَعْطَايَتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ  
تَرْفَعُ مِنَ الْغَيْرِوَانِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ كَمَا جَاتِهِ وَمُهَيَّاتِهِ وَكَانَتْ أَمْوَالُ الدَّوْلَةِ بِحَيْثُ حَمَلُ



جوهر الكتاب في سفره إلى فتح مصر ألف خمار من المال يستعد بها لأرزاق  
الجنود وأعطياتهم ونفقات الغزاة وقطر المغرب وإن كان في القديم دون أفريقية  
فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت أحواله في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة  
وهو لهذا العهد قد أقصر عن ذلك لقصور العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران  
البربر فيه أكثره ونقص عن معهوده نصاً ظاهراً محسوساً وكاد أن يلحق في أحواله  
بمثل أحوال أفريقية بعد أن كان عمراناً متصلاً من البحر الرومي إلى بلاد  
السودان في طول ما بين السوس الأقصى وبرقة وهي اليوم كلها أو أكثرها قفار  
وخلاء وصخارى إلا ما هو منها بسيف البحر أو ما يقارب من الثول والله واث  
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

### الفصل الخامس عشر

في تأثر العقار والضياح في الأمصار وحال فوائدها ومستغلاتها  
إعلم أن تأثر العقار والضياح لأهل الأمصار والمدن لا يكون دفعة  
واحدة ولا في عصر واحد إذ ليس يكون لأحد منهم من الثروة ما يملك به الأملاك  
التي تخرج قيمتها عن الحد ولو بلغت أحوالهم في الرفه ما عسى أن تبلغ وإنما يكون  
ملكهم وتأثرهم لها تدريجاً إما بالوراثه من آباءه وذوي رحمه حتى تتأدى أملاك  
الكثيرين منهم إلى الواحد وأكثر لذلك أو أن يكون بحواله الأسواق فإن العقار  
في آخر الدولة وأول الأخرى عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعي البصر إلى  
الخراب تقل الغبطة به قللة المنفعة فيها يتلاشي الأحوال فترخص قيمتها وتتناقص  
بالاثمان السيده وتخطى بالبيدات إلى ملك آخر وقد استجد البصر شبابه باستنحال  
الدولة الثانية وانتظمت له أحوال رائقة حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياح  
لكثرة منافعها حينئذ فتعظم قيمتها ويكون لها خطر لم يكن في الأول وهذا معنى الحواله  
فيها ويصبح مالكم من أغنى أهل البصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه إذ قدرته  
تفجز عن مثل ذلك . وأما فوائده العقار والضياح فهي غير كافية لمالكها في حاجات  
معاشه إذ هي لا تفي بعوائد الترف وأسبابه وإنما هي في الغالب لسد الخلة وضرورة  
المعاش والذي سبغناه من مشيخة البلدان أن القصد بإقتناء الملك من العقار والضياح

إِنَّمَا هُوَ الْخَشْيَةُ عَلَى مَنْ يَتْرَكَ خَلْفَهُ مِنْ أَذْرَاقِ الضُّعَفَاءِ لِيَكُونَ مَرْبَاهُمْ بِهِ وَرِزْقُهُ فِيهِ وَنُشُورُهُمْ بِفَاءِ دَرْتِهِ مَا دَامُوا عَاجِزِينَ عَنِ الْإِكْتِسَابِ فَإِذَا اقْتَدَرُوا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَكَاسِبِ سَعَوْا فِيهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَرُبَّمَا يَكُونُ مِنَ الْوُلْدِ مَنْ يَعْبِزُ عَنِ التَّكْسِبِ لِضَعْفِ فِي بَدَنِهِ أَوْ آفَةٍ فِي عَقْلِهِ الْعَمَاشِي فَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَقَارُ قِرَافًا لِحَالِهِ هَذَا قَسْدُ الْمُتَرَفِينَ فِي اقْتِنَائِهِ وَأَمَّا التَّمَوُّلُ مِنْهُ وَإِجْرَاءُ أَحْوَالِ الْمُتَرَفِينَ فَلَا وَقْدَ يَحْصُلُ ذَلِكَ مِنْهُ لِلْقَلِيلِ أَوْ النَّادِرِ بِخَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَحُصُولِ الْكَثْرَةِ الْبَالِغَةِ مِنْهُ وَالْعَالِي فِي جِنْسِهِ وَقِيَّتِهِ فِي الْبَصْرِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ رُبَّمَا أَمْتَدَّتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأَمْرَاءِ وَالْوَلَاةِ وَأَغْتَضَبُوهُ فِي الْغَالِبِ أَوْ أَرَادُوهُ عَلَى بَيْعِهِ مِنْهُمْ وَنَالَتْ أَصْحَابُهُ مِنْهُ مَضَارٌ وَمَعَاطِبُ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

### الفصل السادس عشر

في حاجات التمولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاضِرِيَّ إِذَا عَظُمَ تَمَوُّلُهُ وَكَثُرَ لِلْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ تَأْتُلُهُ وَأَصْبَحَ أَغْنَى أَهْلَ الْبَصْرِ وَرَمَقَتْهُ الْعُيُونُ بِذَلِكَ وَأَنْتَسَخَتْ أَحْوَالُهُ فِي التَّرَفِ وَالْعَوَائِدِ وَأَحْمَ عَلَيْهَا الْأَمْرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَغَضُّوا بِهِ وَلَمَّا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدُونِ تَمْتَدُّ أَعْيُنُهُمْ إِلَى تَمَلُّكِ مَا بِيَدِهِ وَيَتَنَافِسُونَ فِيهِ وَيَتَحَيَّلُونَ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مُمْكِنٍ حَتَّى يُحْصِلُوهُ فِي رِبْقَةٍ حُكْمٍ سُلْطَانِيٍّ وَسَبَبٍ مِنَ الْمُواخَذَةِ ظَاهِرٍ يُنْتَرَعُ بِهِ مَالُهُ وَأَكْثَرُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ جَائِزَةٌ فِي الْغَالِبِ إِذِ الْعَدْلُ الْمَحْضُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ اللَّبَثِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَعُودُ مُلْكًا عَضُوضًا فَلَا بُدَّ حِينَئِذٍ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَالزُّورَةِ الشَّهِيدَةِ فِي الْعُمَرَانِ مِنْ حَاطِيَةٍ تَذُودُ عَنْهُ وَجَاهٍ يَنْسَحِبُ عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِلْمُلْكِ أَوْ خَالِصَةٍ لَهُ أَوْ عَصِيَّةٍ يَتَخَاطَمُهَا السُّلْطَانُ فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَرْتَمِعُ فِي أَمْنِهَا مِنْ طَوَارِقِ التَّعَدِّيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ أَصْبَحَ نَهْبًا يُوْجِرُ التَّخِيلَاتِ وَأَسْبَابِ الْحُكَامِ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَرٍ لِحُكْمِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحَضَارَةَ هِيَ أَحْوَالٌ عَادِيَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِ



الْعُمَرَانِ زِيَادَةُ تَتَفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الرِّفَةِ وَتَفَاوُتِ الْأُمَمِ فِي الْإِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ تَتَفَاوَتْ غَيْرَ  
مُنْعَصِرٍ وَتَتَعَرَّضُ فِيهَا عِنْدَ كَثْرَةِ التَّفَنُّنِ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَائِعِ  
وَيَحْتَاجُ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا إِلَى الْقَرْمَةِ عَلَيْهِ وَالْمَهَرَّةِ فِيهِ وَيَقْدَرُ مَا يَتَرَدَّدُ مِنْ أَصْنَافِهَا  
تَزِيدُ أَهْلُ صِنَاعَتِهَا وَيَتَلَوَّنُ ذَلِكَ الْجِيلُ بِهَا وَمَتَى اتَّصَلَتِ الْأَيَّامُ وَتَعَاقَبَتِ تِلْكَ الصِّنَاعَاتُ  
حَذَقُوا أُولَئِكَ الصَّنَاعُ فِي صِنَاعَتِهِمْ وَمَهَرُوا فِي مَعْرِفَتِهَا وَالْأَعْيَارُ بِطُولِهَا وَأَنْفَسَاحِ أَمْدِهَا  
وَتَكَرَّرَ أَمْثَالُهَا تَزِيدُهَا اسْتِعْكَامًا وَرُسُوخًا وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ لِاسْتِخَارِ  
الْعُمَرَانِ وَكَثْرَةِ الرِّفَةِ فِي أَهْلِهَا وَذَلِكَ كُلُّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ مِنْ قَبْلِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ  
تَجْمَعُ أَمْوَالَ الرِّعِيَّةِ وَتُنْفِقُهَا فِي بَطَانَتِهَا وَرِجَالِهَا وَتَتَسَّعُ أَسْوَاقُهَا بِأَجْلَاءِ أَكْثَرِ مَنْ  
اتَّسَاعِهَا بِالْمَالِ فَيَكُونُ دَخْلُ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مِنَ الرِّعَايَا وَخَرْجُهَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ فِي  
مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ وَهُمْ أَكْثَرُ فَتَعْظُمُ لِدَلِكِ ثُرُوْتُهُمْ وَيَكْثُرُ غِنَاهُمْ وَتَزِيدُ  
عَوَائِدُ الْكُوفِ وَمَذَاهِبُهُ وَتَسْتَحْكِمُ لَدَيْهِمُ الصَّنَائِعُ فِي سَائِرِ قُتُوبِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْحَضَارَةُ .  
وَلِهَذَا تَجِدُ الْأَمْصَارَ الَّتِي فِي الْقَاصِيَةِ وَلَوْ كَانَتْ مَوْقُورَةَ الْعُمَرَانِ تَغْلِبُ عَلَيْهَا أَسْوَاقُ الدَّوْلَةِ  
وَتَتَبَعُ عَنْ الْحَضَارَةِ فِي جَمِيعِ مَذَاهِبِهَا بِخِلَافِ الْمَدِينِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِي الْأَقْطَارِ الَّتِي هِيَ  
مَرْكَزُ الدَّوْلَةِ وَمَقَرُّهَا وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِجَوَارَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وَفَيْضِ أَمْوَالِهِ فِيهِمْ كَالْمَاءِ  
يَخْضَرُ مَا قَرُبَ مِنْهُ فَمَا قَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْجُفُوفِ عَلَى الْبُعْدِ وَقَدْ قَدَّمْنَا  
أَنَّ السُّلْطَانَ وَالْدَّوْلَةَ سُوقٌ لِلْعَالَمِ وَالْبَضَائِعُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي السُّوقِ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ وَإِذَا  
أُبْعِدَتْ عَنِ السُّوقِ أَفْتَقِدَتْ الْبَضَائِعُ جُمْلَةً ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ وَتَعَاقَبَ  
مُلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ اسْتَعْكَمَتِ الْحَضَارَةُ فِيهِمْ وَزَادَتْ رُسُوخًا  
واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم بالشَّامِ نحوًا مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً رَسَخَتْ  
حَضَارَتُهُمْ وَحَذَقُوا فِي أَسْوَاقِ الْمَعَاشِ وَعَوَائِدِهِ وَالتَّفَنُّنِ فِي صِنَاعَاتِهِ مِنَ الْمَطَايِمِ  
وَالْمَلَابِسِ وَسَائِرِ أَسْوَاقِ الْمَنْزِلِ حَتَّى إِنَّهَا لَتُؤَخَذُ عَنْهُمْ فِي الْغَالِبِ إِلَى الْيَوْمِ وَرَسَخَتْ  
الْحَضَارَةُ أَيْضًا وَعَوَائِدُهَا فِي الشَّامِ مِنْهُمْ وَمِنْ دَوْلَةِ الرُّومِ بَعْدَهُمْ سِتِّينَ سَنَةً فَكَانُوا  
فِي غَايَةِ الْحَضَارَةِ . وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْقُبْطُ دَامَ مُلْكُهُمْ فِي الْخَلِيقَةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ  
فَرَسَخَتْ عَوَائِدُ الْحَضَارَةِ فِي بِلَادِهِمْ وَاعْتَبَهُمْ بِهَا مُلْكُ الْيُونَانِ وَالرُّومِ ثُمَّ مُلْكُ  
الْإِسْلَامِ النَّاسِخُ لِلْكُلِّ قَامَ تَرْلُ عَوَائِدُ الْحَضَارَةِ بِهَا مُصَلَّةٌ وَكَذَلِكَ أَيْضًا رَسَخَتْ

عَوَائِدُ الْحَضَارَةِ بِالْيَمَنِ لِاتِّصَالِ دَوْلَةِ الْعَرَبِ بِهَا مُنْذُ عَهْدِ الْعَمَالِقَةِ وَالتَّبَابِعَةِ آلَافاً  
مِنَ السِّنِينَ وَأَتَقَبَهُمْ مُلْكُ مِصْرَ وَكَذَلِكَ الْحَضَارَةُ بِالْعِرَاقِ لِاتِّصَالِ دَوْلَةِ النُّبَطِ وَالْفُرْسِ  
أُوبَا مِنْ لَدُنِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَالْكِيَانِيَّةِ وَالْكِسْرَوِيَّةِ وَالْعَرَبِ بَعْدَهُمْ آلَافاً مِنَ السِّنِينَ فَلَمْ  
يَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْضَرٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ وَكَذَا أَيْضاً  
رَسَّخَتْ عَوَائِدُ الْحَضَارَةِ وَأَسْتَحْكَمَتْ بِالْأَنْدَلُسِ لِاتِّصَالِ الدَّوْلَةِ الْعَظِيمَةِ فِيهَا لِلْقُوطِ  
ثُمَّ مَا أَتَقَبَهَا مِنْ مُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ آلَافاً مِنَ السِّنِينَ وَكِلْتَا الدَّوْلَتَيْنِ عَظِيمَتَا فَاتَّصَلَتْ فِيهَا  
عَوَائِدُ الْحَضَارَةِ وَأَسْتَحْكَمَتْ . وَأَمَّا أَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ فَلَمْ يَكُنْ بِهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
مُلْكٌ صَحْمٌ إِنَّمَا قَطَعَ الْإِفْرَنْجَةُ إِلَى أَفْرِيقِيَّةِ الْبَحْرِ وَمَلَكُوا السَّاحِلَ وَكَانَتْ طَاعَةٌ  
الْبَرْبَرِ أَهْلِ الضَّاحِيَةِ أَهْمُ طَاعَةٍ غَيْرِ مُسْتَحْكَمَةٍ فَكَانُوا عَلَى قَلْعَةٍ وَأَوْفَارٍ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ  
لَمْ تُجَاوِرْهُمْ دَوْلَةٌ وَإِنَّمَا كَانُوا يَبْتَغُونَ بِطَاعَتِهِمْ إِلَى الْقُوطِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ وَلَكِنَّا جَاءَ  
هُوَ بِالْإِسْلَامِ وَمَلِكُ الْعَرَبِ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ لَمْ يَلْبَثْ فِيهِمْ مُلْكُ الْعَرَبِ إِلَّا قَلِيلاً  
أَوَّلَ الْإِسْلَامِ وَكَانُوا لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي طَوْرِ الْبِدَاةِ وَمِنْ أَسْتَقَرَّ مِنْهُمْ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ  
لَمْ يَجِدْ بِهِمَا مِنَ الْحَضَارَةِ مَا يُقَلَّدُ فِيهِ مِنْ سَلَفِهِ إِذْ كَانُوا بَرَابِرَ مُنْغَبِسِينَ فِي الْبِدَاةِ  
ثُمَّ انْتَقَضَ بَرَابِرَةُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى لِأَقْرَبِ الْعُهُودِ عَلَى يَدِ مَيْسَرَةَ الْمُطْفِرِيِّ أَيَّامَ هِشَامِ  
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمْ يُرَاجِعُوا أَمْرَ الْعَرَبِ بَعْدُ وَأَسْتَقَلُّوا بِأَمْرِ أَنْفُسِهِمْ وَإِنْ بَايَعُوا  
لَا دَرِيْسَ فَلَا تُعَدُّ دَوْلَتُهُ فِيهِمْ عَرَبِيَّةً لِأَنَّ الْبَرَابِرَ هُمُ الَّذِينَ تَوَلَّوْهَا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَرَبِ  
فِيهَا كَثِيرٌ عَدَدٌ وَبَقِيَتْ أَفْرِيقِيَّةُ لِلْأَغَالِيَةِ وَمِنْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَرَبِ فَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْحَضَارَةِ  
بَعْضُ الشَّيْءِ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ تَرْفِ الْمُلْكِ وَنَعِيمِهِ وَكَثْرَةِ عُمَرَانِ الْقِدْرَوَانِ وَوَرِثَ  
ذَلِكَ عَنْهُمْ كِتَابَةً ثُمَّ صَنَاهَا جُهْدٌ مِنْ بَعْدِهِمْ وَذَلِكَ كُلُّهُ قَلِيلٌ لَمْ يَبْلُغْ أَرْبَعِينَ سَنَةً  
وَأَنْصَرَمَتْ دَوْلَتُهُمْ وَأَسْتَحَالَتْ صِبْغَةُ الْحَضَارَةِ بِمَا كَانَتْ غَيْرَ مُسْتَحْكَمَةٍ وَتَغَلَّبَ  
بَدْوُ الْعَرَبِ الْهَلَالِيِّينَ عَلَيْهَا وَخَرَّبُوهَا وَبَقِيَ أَثَرُ خَفِيِّ مِنْ حَضَارَةِ الْعُمَرَانِ فِيهَا وَإِلَى هَذَا  
الْعَهْدِ يُؤْنَسُ فِيمَنْ سَلَفَ لَهُ بِالْقَلْعَةِ أَوْ الْقِدْرَوَانِ أَوْ الْمَهْدِيَّةِ سَلَفٌ فَتَجِدُ لَهُ مِنَ الْحَضَارَةِ  
فِي شُؤْنِ مَنْزِلِهِ وَعَوَائِدِ أَحْوَالِهِ آثَاراً مُلْتَبَسَةً بِغَيْرِهَا يُمَيِّزُهَا الْخَضِرِيُّ الْبَصِيرُ بِهَا وَكَذَا  
فِي أَكْثَرِ أَمْصَارِ أَفْرِيقِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ لِرُسُوخِ الدَّوْلَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
أَكْثَرَ أَمَداً مُنْذُ عَهْدِ الْأَغَالِيَةِ وَالثَّيْبَةِ وَصَنَاهَا جُهْدٌ وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَانْتَقَلَ إِلَيْهِ مُنْذُ دَوْلَةِ



الْمُوحِدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ حَظًّا كَثِيرًا مِنَ الْحَضَارَةِ وَأَسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا بِمَا كَانَ  
لِدَوْلِهِمْ مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَرَعًا  
وَكُرْهًا وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ الْتِطَاقِ مَا عَلِمْتَ فَكَانَ فِيهَا حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحَضَارَةِ  
وَأَسْتَحْكَمَهَا وَمُعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ  
النَّصَارَى إِلَى أَفْرِيْقِيَّةٍ فَأَبْقَوْا فِيهَا وَبِأَمْصَارِهَا مِنَ الْحَضَارَةِ آثَارًا وَمُعْظَمُهَا بِتُونِسَ  
أَمَّا رَجَتْ بِحَضَارَةِ مِصْرَ وَمَا يَنْقُلُهُ الْمَسَافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيْقِيَّةِ حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحَضَارَةِ عَنِي عَلَيْهِ الْخَلَاءُ وَرَجَعَ إِلَى أَتْقَائِهِ وَعَادَ الْبَرْبُ  
بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْحَشُونَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَآثَارُ الْحَضَارَةِ بِأَفْرِيْقِيَّةِ  
أَكْثَرُ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ لِمَا تَدَاوَلَ فِيهَا مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَغْرِبِ  
وَلِقُرْبِ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثْرَةِ الْمَتَرَدِّدِينَ بَيْنَهُمْ . فَتَقَطَّنَ لِهَذَا  
السِّرِّ فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ وَأَعْلَمَ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ وَهِيَ حَالُ الدَّوَلَةِ فِي الْقُوَّةِ  
وَالضَّعْفِ وَكَثْرَةِ الْأُمَّةِ أَوْ الْجِلْدِ وَعِظَمِ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمِصْرِ وَكَثْرَةِ التَّعْمَةِ وَالْيَسَارِ  
وَذَلِكَ أَنَّ الدَّوَلَةَ وَالْمُلْكَ صُورَةُ الْخَلِيقَةِ وَالْعُمُرَانِ وَكُلُّهَا مَادَّةٌ لَهَا مِنَ الرِّعَايَا وَالْأَمْصَارِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَأَمْوَالِ الْجَبَايَةِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَيَسَارُهُمْ فِي الْغَالِبِ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ  
وَإِذَا أَفَاضَ السُّلْطَانُ عَطَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ فِي أَهْلِهَا أَنْبَثَ فِيهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
فِيهِ ذَاهِبَةٌ عَنْهُمْ فِي الْجَبَايَةِ وَالْخَرَاجِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ فَعَلَى نِسْبَةِ حَالِ الدَّوَلَةِ  
يَكُونُ يَسَارُ الرِّعَايَا وَعَلَى نِسْبَةِ يَسَارِ الرِّعَايَا وَكَثْرَتِهِمْ يَكُونُ مَالُ الدَّوَلَةِ وَأَصْلُهُ  
كُلُّهُ الْعُمُرَانُ وَكَثْرَتُهُ فَأَعْتَبِدُهُ وَتَأَمَّلْهُ فِي الدُّوَلِ تَجِدُهُ وَأَلَّهُ يَحْكُمُ وَلَا مُعَيَّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده

قَدْ بَيَّنَّا لَكَ فِيمَا سَلَفَ أَنَّ الْمُلْكَ وَالدَّوَلَةَ غَايَةُ لِلْعَصِيَّةِ وَأَنَّ الْحَضَارَةَ غَايَةُ لِلْبِدَاوَةِ وَأَنَّ  
الْعُمُرَانَ كُلَّهُ مِنْ بِدَاوَةٍ وَحَضَارَةٍ وَمُلْكٍ وَسُوقَةٍ لَهُ عُمَرٌ مَحْسُوسٌ كَمَا أَنَّ لِلشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنْ  
أَشْخَاصِ الْمَكُونَاتِ عُمَرًا مَحْسُوسًا وَتَبَيَّنَ فِي الْمَعْثُولِ وَالْمَسْئُولِ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ لِلْإِنْسَانِ  
غَايَةُ فِي تَرَايِدِ قُوَاهُ وَنُمُوِّهَا وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ مِنَ الْأَرْبَعِينَ وَقَفَتِ الطَّبِيعَةُ عَنْ أَثَرِ النُّشُوءِ  
وَالنُّمُوِّ بِرُوحَةٍ ثُمَّ تَأْخُذُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْإِنْتِحَاطِ فَلْتَعْلَمْ أَنَّ الْحَضَارَةَ فِي الْعُمُرَانِ أَيْضًا

كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الدرف والتعمة إذا حصلا لأهل العمران  
دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفتن  
في الدرف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي توثق من أصنافه وسائر فئونه  
من الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر  
أحوال المنزل وللتأنيق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند  
اليدارة وعدم التأنيق فيها وإذا بلغ التأنيق في هذه الأحوال المترتبة الغاية تبعه طاعة  
الشهوات فتكون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها  
ولا دنياها أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يغمر تزعمها وأما دنياها فلكثرة  
الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويعجز وينكسب عن الوفاء بها . وببأنه أن  
البصر بالتفتن في الحضارة تعظم نفقات أهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فتعي  
كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل وقد كنا قدّمنا أن البصر الكثير  
العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجته ثم تريد لها المكوس غلاء لأن  
الحضارة إنما تكون عند انتهاء الدولة في استفعالها وهو زمن وضع المكوس في  
الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدّم والمكوس تعود إلى البياعات بالغلاء لأن  
السوق والتجار كلهم يحسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة  
أنفسهم فيكون المكس بذلك داخلا في قيم البياعات وأثمانها فتعظم نفقات أهل  
الحضارة وتخرج عن القصد إلى الإسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من  
أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتتابعون في الإملاق  
والخاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستأمنون للبائع فتكسب الأسواق ويفسد  
حال المدينة وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والدرف وهذه مفسدات في المدينة  
على العموم في الأسواق والعمران وأما فساد أهلها في ذاتهم واحداً واحداً على الخصوص  
فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بألوان الشر في تحصيلها وما يعود على  
النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق  
والشر والسفسفة والتحلل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف  
النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجددهم أجرياء على



الْكَذِبِ وَالْمُقَامَرَةِ وَالْفِشْرِ وَالْخِلَابَةِ وَالسَّرِقَةِ وَالْفُجُورِ فِي الْآيَاتِ وَالرَّبَا فِي الْبَيْعَاتِ  
 ثُمَّ تَجِدُهُمْ أَبْصَرَ بِطُرُقِ الْفِسْقِ وَمَذَاهِبِهِ وَالْمَجَاهِرَةِ بِهِ وَبِدَوَاعِيهِ وَأَطْرَاحِ الْجِسْمَةِ  
 فِي الْخَوْضِ فِيهِ حَتَّى بَيْنَ الْأَقَارِبِ وَذَوِي الْمَحَارِمِ الَّذِينَ تَقْتَضِي الْبِدَاوَةُ الْحَيَاءَ مِنْهُمْ  
 فِي الْإِقْدَاعِ بِذَلِكَ وَتَجِدُهُمْ أَيْضًا أَبْصَرَ بِالْمَسْكِرِ وَالْخَدِيعَةِ يَدْفَعُونَ بِذَلِكَ مَا عَسَاهُ أَنْ يَنَالَهُمْ  
 مِنَ الْقَهْرِ وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنَ الْعِقَابِ عَلَى تِلْكَ الْقَبَائِحِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ عَادَةً وَخُلُقًا  
 لَأَكْثَرِهِمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَيُدْوَجُ بِحَرِّ الْمَدِينَةِ بِالسَّفَلَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَخْلَاقِ الدَّمِيمَةِ  
 وَيُجَارِيهِمْ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ نَاشِئَةِ الدَّوْلَةِ وَوِلْدَانِهِمْ مِمَّنْ أَهْلِلَ عَنِ التَّأْدِيبِ وَغَابَ عَلَيْهِ  
 خُلُقُ الْجَوَارِ وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ أَنْسَابٍ وَبُيُوتٍ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ بَشَرٌ مُتَمَاثِلُونَ وَإِنَّمَا  
 تَفَاضَلُوا وَتَنَزَّلُوا بِالْخُلُقِ وَكَتَسَابِ الْفَضَائِلِ وَاجْتِنَابِ الرِّذَائِلِ فَسِنْ اسْتَحْكَمَتْ فِيهِ  
 لَمْ يَنْفَعَهُ زَكَاءُ نَسَبِهِ وَلَا طَيْبُ مَنَبَتِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ أَعْقَابِ الْبُيُوتِ وَذَوِي  
 الْأَحْسَابِ وَالْأَصَالَةِ وَأَهْلِ الدُّوَلِ مُنْطَرِحِينَ فِي الْغُبَارِ مُنْتَهَيْنَ لِلْجِرْفِ الدَّنِيسَةِ فِي  
 مَعَاشِهِمْ بِمَا فَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَمَا تَلَوَّنُوا بِهِ مِنْ صِبْغَةِ الشَّرِّ وَالسَّفَسَةِ وَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ  
 فِي الْمَدِينَةِ أَوِ الْأُمَّةِ تَأْذَنَ اللَّهُ بِحَرَابِهَا وَأَنْتَرَاضَهَا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ  
 نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا . وَوَجْهُهُ حِينَئِذٍ  
 أَنَّ مَكَاسِبَهُمْ حِينَئِذٍ لَا تَنْبِي بِحَاجَاتِهِمْ لِكثَرَةِ الْعَوَائِدِ وَمُطَالَبَةِ النَّفْسِ بِهَا فَلَا تَسْتَقِيمُ  
 أَحْوَالُهُمْ وَإِذَا فَسَدَتْ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ وَاحِدًا وَاحِدًا اخْتَلَّ نِظَامُ الْمَدِينَةِ وَخَرِبَتْ  
 وَهَذَا مَعْنَى مَا يَقُولُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْخَوَاصِرِ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَثُرَ فِيهَا غَرَسُ النَّارَنِجِ  
 تَأْذَنَتْ بِالْخَرَابِ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَّةِ يَتَعَامَى غَرَسُ النَّارَنِجِ بِالْأُورِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ  
 ذَلِكَ وَلَا أَنَّهُ خَاصِيَّةٌ فِي النَّارَنِجِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْبَسَاتِينَ وَإِجْرَاءَ الْبِيَاهِ هُوَ مِنْ  
 تَوَابِعِ الْحَضَارَةِ ثُمَّ إِنَّ النَّارَنِجَ وَاللِّمَّةَ وَالسَّرَّ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِمَّا لَا طَعْمَ فِيهِ وَلَا مَنَفْعَةَ  
 هُوَ مِنْ غَايَةِ الْحَضَارَةِ إِذَا لَا يُقْصَدُ بِهَا فِي الْبَسَاتِينَ إِلَّا أَشْكَالُهَا فَقَطْ وَلَا تُغْرَسُ إِلَّا بَعْدَ  
 التَّفَقُّنِ فِي مَذَاهِبِ الثَّرَفِ وَهَذَا هُوَ الطُّورُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ هَلَاكُ الْبُصْرِ وَخَرَابُهُ كَمَا  
 قُلْنَاهُ وَلَقَدْ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الدِّقْلِ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِذِ الدِّقْلُ لَا يُقْصَدُ بِهَا إِلَّا  
 تَلَوُّنُ الْبَسَاتِينَ بِتَوْرِهَا مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَبْيَضَ وَهُوَ مِنْ مَذَاهِبِ الثَّرَفِ . وَمِنْ مَفَاسِدِ  
 الْحَضَارَةِ الْإِنْمَاءُ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْإِسْتِرْسَالُ فِيهَا لِكثَرَةِ الثَّرَفِ فَيَقَعُ التَّفَقُّنُ فِي شَهَوَاتِ

الْبَطْنِ مِنَ التَّاسِكِلِ وَالْمَلَاذِ فَيُقْضَى ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ النَّوعِ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَأَعْتَبَرُ بِهِ أَنَّ غَايَةَ الْعُمُرَانِ هِيَ الْحَضَارَةُ وَالْآثَرُ وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ غَايَتَهُ انْقَلَبَ إِلَى الْفَسَادِ وَأَخَذَ فِي الْهَرَمِ كَالْأَعْمَارِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْحَيَوَانَاتِ بَلْ نَقُولُ إِنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَاصِلَةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالْآثَرِ هِيَ عَيْنُ الْفَسَادِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى جَلْبِ مَنَافِعِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ وَأَسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَثْبِرُ عَلَى مُبَاشَرَتِهِ حَاجَاتِهِ إِمَّا عَجْزاً لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الدَّعَةِ أَوْ تَرْفُعاً لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ التَّرَبُّسِ فِي النَّعِيمِ وَالْآثَرِ وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ ذَمِيمٌ وَكَذَا لَا يَثْبِرُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ وَأَسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ بِمَا قَدْ قَدَّ مِنْ خُلُقِ الْإِنْسَانِ بِالْآثَرِ وَالنَّعِيمِ فِي قَهْرِ التَّأْدِيبِ فَهُوَ بِذَلِكَ عِيَالٌ عَلَى الْعَامِيَةِ الَّتِي تُدَافِعُ عَنْهُ ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ أَيْضاً غَالِباً بِمَا فَسَدَتْ مِنْهُ الْعَوَائِدُ وَطَاعَتُهَا وَمَا تَكَلَّوَتْ بِهِ النَّفْسُ مِنْ مَكَانَتِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَإِذَا فَسَدَ الْإِنْسَانُ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى أَخْلَاقِهِ وَدِينِهِ فَقَدْ فَسَدَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ وَصَارَ مُسَخَّاً عَلَى الْحَقِيقَةِ وَبِهَا الْإِعْتِبَارُ كَأَنَّ الَّذِينَ يَتَرَبَّسُونَ عَلَى الْحَضَارَةِ وَخُلُقِهَا مَوْجُودُونَ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَضَارَةَ هِيَ سَنُ الْوُقُوفِ لِعُمُرِ الْعَالَمِ فِي الْعُمُرَانِ وَالْدَوْلَةِ وَاللَّهُ مُبْجَاهُهُ وَتَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ

### الفصل التاسع عشر

في ان الاوصار التي تكون كراسي للملك تخرب مخراب الدولة وانقراضها قد استقرينا في العمران ان الدولة اذا اختلت وانتقضت فان البصر الذي يكون كرسيها سلطانها ينتفض عمرانه ورُبما ينتهي في انتقاضه الى الخراب . ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه امور . الاول ان الدولة لا بد في اولها من البداوة المقتضية للتجاني عن اموال الناس والبعد عن التحذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والتعازيم التي منها مادة الدولة فتتل التناقضات ويقل الآثَر فاذا صار البصر الذي كان كرسي الملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت احوال الآثَر فيها نقص الآثَر فيسن تحت ايديها من اهل البصر لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة إما طوعاً إما في طباع البشر من تقليد مشيئتهم أو كرهاً إما يدعوا اليه خلق الدولة من الانقباض عن الآثَر في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر



لَذَلِكَ حَضَارَةُ الْمِصْرِ وَيَذْهَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ مِنْ عَوَائِدِ الدَّرَفِ وَهُوَ مَعْنَى مَا نَقُولُ فِي خَرَابِ  
 الْمِصْرِ . الْأَمْرُ الثَّانِي أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنَّمَا يَحْصُلُ لَهَا الْمُلْكُ وَالْإِسْتِيلَاءُ بِالْغَلَبِ وَإِنَّمَا  
 يَكُونُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ وَالْحُرُوبِ وَالْعِدَاوَةُ تَقْتَضِي مُنَافَاةَ بَيْنِ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ وَتَكْثُرُ  
 إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَغَلِبَ أَحَدُ الْمُتَنَافِئِينَ يَذْهَبُ بِالْمُنَافِي  
 الْآخَرِ فَتَكُونُ أَحْوَالُ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ مُنْكَرَةً عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَمُسْتَبْشَعَةً وَقِيحَةً  
 وَخُصُوصًا أَحْوَالُ الدَّرَفِ فَتَقَعُ فِي عُرْفِهِمْ بِنَكِيرِ الدَّوْلَةِ لَهَا حَتَّى تَنْشَأَ لَهُمْ بِالتَّذْرِيجِ  
 عَوَائِدُ أُخْرَى مِنَ الدَّرَفِ فَتَكُونُ عَنْهَا حَضَارَةٌ مُسْتَانَفَةً وَفِيهَا بَيْنَ ذَلِكَ قُصُورُ الْحَضَارَةِ  
 الْأُولَى وَنَقْصُهَا وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ الْعُمَرَانِ فِي الْمِصْرِ . الْأَمْرُ الثَّلَاثُ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ لَا  
 بَدَّ لَهُمْ مِنْ وَطَنٍ وَهُوَ مَنْشَأُهُمْ وَمِنْهُ أَوَّلِيَّةُ مُلْكِهِمْ وَإِذَا مَلَكَوا مُلْكًا آخَرَ صَارَ تَبَعًا  
 لِلأَوَّلِ وَأَمْصَارُهُ تَابِعَةٌ لِأَمْصَارِ الْأَوَّلِ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْمُلْكِ عَلَيْهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ تَوْسِطِ  
 الْكُرْسِيِّ تَحُومَ الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ لِأَنَّهُ شَبَّهُ التَّرَكُّرَ لِلنِّطَاقِ فَيَبْعُدُ مَكَانُهُ عَنْ  
 مَكَانِ الْكُرْسِيِّ الْأَوَّلِ وَتَهْوِي أَفِيدَةُ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ فَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ  
 الْعُمَرَانُ وَيَخِفُّ مِنْ مِصْرِ الْكُرْسِيِّ الْأَوَّلِ وَالْحَضَارَةُ إِنَّمَا هِيَ تَوْفَرُ الْعُمَرَانِ كَمَا  
 قَدْ مَنَاهُ فَتَنْقُصُ حَضَارَتُهُ وَتَمُدُّهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِهِ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلسُّلْجُوقِيَّةِ فِي عُدُولِهِمْ  
 بِكُرْسِيَّتِهِمْ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى أَصْبَهَانَ وَلِلْعَرَبِ قَبْلَهُمْ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْمَدَائِنِ إِلَى الْكُوفَةِ  
 وَالْبَصْرَةِ وَلِبَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْعُدُولِ عَنْ دِمَشْقَ إِلَى بَغْدَادَ وَلِبَنِي مُرَّةٍ بِالْعَرَبِ فِي  
 الْعُدُولِ عَنْ مَرَّأِكِشَ إِلَى فَاسَ وَبِالْجُمَلَةِ فَاتَّخَذُوا الدَّوْلَةَ الْكُرْسِيَّ فِي مِصْرِ  
 مِخْلُ بَعْمَرَانَ الْكُرْسِيِّ الْأَوَّلِ . الْأَمْرُ الرَّابِعُ أَنَّ الدَّوْلَةَ الثَّانِيَةَ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ تَبِعِ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ وَأَشْيَاعِهَا بِتَحْوِيلِهِمْ إِلَى قَطْرِ آخَرٍ يُؤْمَنُ فِيهِ غَايَتُهُمْ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْمِصْرِ الْكُرْسِيِّ أَشْيَاعُ الدَّوْلَةِ إِمَامًا مِنَ الْخَاطِمَةِ الَّذِينَ نَزَلُوا بِهِ أَوَّلُ  
 الدَّوْلَةِ أَوْ أَعْيَانُ الْبَعْرِ لِأَنَّ لَهُمْ فِي الذَّلِيلِ مُخَالَطَةَ الدَّوْلَةِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَتَنَوُّعِ أَصْنَافِهِمْ  
 بَلْ أَكْثَرُهُمْ نَاشِئٌ فِي الدَّوْلَةِ فَهُمْ شَبَّعَةٌ لَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا بِالشُّوْكَةِ وَالْعَصِيَّةِ فَهُمْ  
 بِالْمِيلِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْعَمِيدَةِ وَطَبِيعَةُ الدَّوْلَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ مَحْرُورَاتُ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ فَيَنْتَقِلُهُمْ  
 مِنْ مِصْرِ الْكُرْسِيِّ إِلَى وَطَنِهَا الْمُتَمَكِّنِ فِي مَلَكَتِهَا فَبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ التَّغْرِيبِ  
 وَالْحَسْرِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ الْكَرَامَةِ وَالتَّلَطُّفِ بِحَيْثُ لَا يُؤَدِّي إِلَى التَّفَرَّةِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي

مضرب الكريسي إلا الباعة والهمل من أهل الفلح والعيارة وسواد العامة وينزل مكانهم  
 حايثها وأشياءها من يشتد به المضر وإذا ذهب من المضر أعيانهم على طبقاتهم نقص  
 ما كنه وهو معنى اختلال عمرانهم ثم لا بد من أن يستجد عمران آخر في ظل الدولة  
 الجديدة وتحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدولة وإنما ذلك بحسابة من له بينة على  
 أوصاف مخصوصة فآطور من قدرته على تغيير تلك الأوصاف وإعادة بنائها على ما يختاره  
 ويعتريه فيحرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا وقد وقع من ذلك كثير في الأمصار التي  
 هي كراسي للملك وشاهدناه وعليناه والله يقدر الليل والنهار . والسبب الطبيعي الأول  
 في ذلك على الجملة أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ  
 بنوعه لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر  
 فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعدي لما في طباع  
 البشر من العدوان الداعي إلى الزارع فتعين السياسة لذلك إما الشرعية أو الملكية  
 وهو معنى الدولة وإذا كانا لا ينفكان فاختلال أحدهما مؤثر في اختلال الآخر  
 كما أن عدمه مؤثر في عدمه والحلل العظيم إنما يكون من خلل الدولة الكلية  
 مثل دولة الروم أو الفرس أو العرب على العموم أو بني أمية أو بني العباس كذلك  
 وأما الدولة الشخصية مثل دولة أنوشروان أو هرقل أو عبد الملك بن مروان أو  
 الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العمران حافظه لوجوده وبقائه وقريبة الشبه بعضها  
 من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لأن الدولة بالحقبة الغاعلة في مادة العمران إنما  
 هي العصبية والشوكة وهي مستيرة على أشخاص الدولة فإذا ذهبت تلك العصبية ودفعتم  
 عصبية أخرى مؤثرة في العمران ذهبت أهل الشوكة بأجبيهم وعظم الحل كما  
 قررنا أولا والله سبحانه وتعالى أعلم

### الفصل العشرون

في اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض  
 وذلك أنه من الين أن أعمال أهل المضر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة  
 العمران من التعاون وما يستدعي من الأعمال يختص ببعض أهل المضر فيقومون عليه  
 ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويعملون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم



الْبَلَوَى بِهِ فِي الْمِصْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَسْتَدْعِي فِي الْمِصْرِ يَكُونُ غُلًّا إِذَا لَا فَايِدَةً  
لِمُسْتَحِيلِهِ فِي الْإِحْتِرَافِ بِهِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنْ ذَلِكَ لِضَرُورَةِ الْمَعَاشِ فَيُوجَدُ فِي كُلِّ مِصْرٍ  
كُلْحِيَّاطٌ وَالْحَدَّادُ وَالنَّجَّارُ وَأَمْثَالُهَا وَمَا يَسْتَدْعِي لِعَوَائِدِ الثَّرَفِ وَأَحْوَالِهِ فَإِنَّمَا يُوجَدُ  
فِي الْمَدُنِ الْمُسْتَجِيرَةِ فِي الْعِمَارَةِ الْآخِذَةِ فِي عَوَائِدِ الثَّرَفِ وَالْحَضَارَةِ مِثْلَ الرَّجَّاجِ  
وَالصَّائِغِ وَالْدَّهَانِ وَالطَّبَّاحِ وَالصَّفَّارِ وَالْفَرَّاشِ وَالذَّبَّاحِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ  
وَبَقْدَرٍ مَا تَرِيدُ عَوَائِدُ الْحَضَارَةِ وَتَسْتَدْعِي أَحْوَالَ الثَّرَفِ تَحْدُثُ صَنَائِعُ لِدَلِكِ النَّوْعِ  
فَتُوجَدُ بِذَلِكَ الْمِصْرِ دُونَ غَيْرِهِ وَهَذَا أَلْبَابُ الْحَمَائِمَاتِ لِأَنَّمَا إِذَا تُوجَدُ فِي الْأَمْصَارِ  
الْمُسْتَحْضِرَةِ الْمُسْتَجِيرَةِ الْعُمَرَانِ لَهَا يَدْعُو إِلَيْهِ الثَّرَفُ وَالْغِنَى وَنَ التَّعْمِيرِ وَلِذَلِكَ  
لَا تَكُونُ فِي الْمَدُنِ الْمُتَوَسِّطَةِ وَإِنْ تَزَعُ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ إِلَيْهَا فَيَحْطُطُهَا  
وَيُجْرِي أَحْوَالَهَا إِلَّا أَنَّهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهَا دَاعِيَةٌ مِنْ كَافَّةِ النَّاسِ فَسَرْعَانَ مَا تُهْجَرُ وَتُخْرَبُ  
وَتَفِرُّ عَنْهَا الْقَوْمَةُ لِقِلَّةِ فَايِدَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ مِنْهَا وَأَقَّةُ يَتَبَيَّنُ وَيَبْسُطُ

### الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض

مِنْ أَلَيْسَ أَنَّ الْإِلْتِمَامَ وَالْإِتِّصَالَ مَوْجُودٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ نَسَبٍ  
وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ كَمَا قَدْ مَنَاهُ أَضْعَفُ مِمَّا يَكُونُ بِالنَّسَبِ وَأَنَّهُ تَحْصُلُ بِهِ الْعَصَبِيَّةُ بَعْضًا مِمَّا  
تَحْصُلُ بِالنَّسَبِ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ مُلْتَحِمُونَ بِالصَّهْرِ يَجْذُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى  
أَنْ يَكُونُوا لِحَمًا لِحَمًا وَقَرَابَةً قَرَابَةً وَتَجِدُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالصَّدَاقَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ  
الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ مِثْلَهُ فَيَفْتَرِقُونَ شَيْعًا وَعَصَائِبَ فَإِذَا نَزَلَ أَهْلُهُمُ بِالدَّوْلَةِ وَتَقَلَّصَ ظِلُّ  
الدَّوْلَةِ عَنِ الْقَاصِيَةِ أَحْتَاجَ أَهْلُ أَمْصَارِهَا إِلَى الْقِيَامِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَالتَّنْظَرِ فِي حَايَةِ بِلَدِهِمْ  
وَرَجَعُوا إِلَى الشُّورَى وَتَمَيَّزَ الْعِلِيَّةُ عَنِ السُّفَلَةِ وَالنُّفُوسُ بِطِبَاعِهَا مُتَطَاوِلَةٌ إِلَى الْغَلَبِ  
وَالرَّئَاسَةِ فَتَطْمَحُ الْمَشِيخَةُ لِخَلَاءِ الْجُورِ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْإِسْتِبْدَادِ  
وَيُنَازِعُ كُلُّ صَاحِبَةٍ وَيَسْتَوْصِلُونَ بِالْأَتْبَاعِ مِنَ الْمَوَالِي وَالشَّيْعِ وَالْأَحْلَافِ وَيَبْذُلُونَ  
مَا فِي أَيْدِيهِمْ لِلْأَوْغَادِ وَالْأَوْشَابِ فَيَعْصُرُ صَبُّ كُلِّ إِصَاحِيهِ وَيَتَعَيَّنُ الْغَلَبُ لِبَعْضِهِمْ فَيَغْطِفُ  
عَلَى أَكْفَانِهِ لِيَقْصَرَ مِنْ أَعْيُنِهِمْ وَيَتَّبِعَهُمْ بِالْقَتْلِ أَوْ التَّغْرِيبِ حَتَّى يَخْضَعُ مِنْهُمْ الشُّرَكَاتُ  
النَّافِذَةُ وَيُقَلِّمَ الْأَظْفَارَ الْخَادِشَةَ وَيَسْتَبْدُ بِمِصْرِهِ أَجْمَعَ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ اسْتَحْدَثَ مُلْكًا

يُورِثُهُ عَتَبَهُ فَيَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْمَلِكِ الْأَصْغَرِ مَا يَحْدُثُ فِي الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ مِنْ عَوَارِضِ  
الْجِدَّةِ وَالْهَرَمِ وَرُبَّمَا يَسْتَوْ بَعْضُ هَؤُلَاءِ إِلَى مَنَازِعِ الْمُلُوكِ الْأَعْظَمِ أَصْحَابِ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَشَائِرِ وَالْعَصِيَّاتِ وَالزُّحُوفِ وَالْحُرُوبِ وَالْأَقْطَارِ وَالْمَمَالِكِ فَيَنْتَحِلُونَ بِهَا مِنْ الْجُلُوسِ  
عَلَى السَّرِيرِ وَاتِّخَاذِ آلَاةِ وَإِعْدَادِ الْمَوَاقِبِ لِلسَّيْرِ فِي أَقْطَارِ الْبَلَدِ وَالتَّخْتُمِ وَالْحَسِيَّةِ  
وَالْخِطَابِ بِالتَّمْرِيلِ مَا يَسْجُرُ مِنْهُ مَنْ يُشَاهِدُ أَحْوَالَهُمْ لِمَا أَنْتَحَلُوهُ مِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ الَّتِي  
لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ إِنَّمَا دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ تَقْلُصُ الدَّوْلَةِ وَالتَّحَامُ بَعْضِ الْقَرَابَاتِ حَتَّى صَارَتْ عَصِيَّةً  
وَقَدْ يَتَذَرُهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَجْرِي عَلَى مَذْهَبِ السَّدَاجَةِ فِرَارًا مِنَ التَّعْرِيضِ بِنَفْسِهِ لِلشُّخْرِيَّةِ  
وَالْعَبَثِ وَقَدْ وَقَعَ هَذَا بِأَفْرِيقِيَّةٍ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الْخَفِصِيَّةِ لِأَهْلِ بِلَادِ الْجَرِيدِ  
مِنْ طَرَابُلُسَ وَقَابِسَ وَتُؤْزَرَ وَنَفْطَةَ وَقَفْصَةَ وَبَسْكَرَةَ وَالزَّابِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ سَتُوا إِلَى  
مِثْلِهَا عِنْدَ تَقْلُصِ ظِلِّ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ مُنْذُ عُثُودٍ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَعْلَبُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ  
وَأَسْتَبَدُّوا بِأَمْرِهَا عَلَى الدَّوْلَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْجَبَايَةِ وَأَعْطَوْا طَاعَةً مَعْرُوفَةً وَصَفَقَةً  
مَمْرُضَةً وَأَقْطَعُوهَا جَانِبًا مِنَ الْمَلَايِنَةِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالْإِنْقِيَادِ وَهُمْ بِسَعْرِ عَنَّةٍ وَأُورَثُوا  
ذَلِكَ أَعْقَابُهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ وَحَدَّثَ فِي خَلْفِهِمْ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّجْبُرِ مَا يَحْدُثُ لِأَعْقَابِ الْمُلُوكِ  
وَحَلْفِهِمْ وَنَظَمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَادِ السَّلَاطِينِ عَلَى قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالسُّوقَةِ حَتَّى مَخَا ذَلِكَ  
مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَذْتَرَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا نَذَرُ فِي  
أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَأَسْتَقَلَّ بِأَمْصَارِ الْجَرِيدِ  
أَهْلُهَا وَأَسْتَبَدُّوا عَلَى الدَّوْلَةِ حَتَّى أَذْتَرَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَيْخُ الْمُؤَحِّدِينَ وَمَلِكُهُمْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ  
بْنُ عَلِيٍّ وَنَقَلَهُمْ كُلَّهُمْ مِنْ إِمَارَاتِهِمْ بِهَا إِلَى الْمَغْرِبِ وَمَخَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ آثَارُهُمْ كَمَا  
نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِ وَكَذَا وَقَعَ بِسَبْتَةِ لِآخِرِ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ  
غَالِبًا فِي أَهْلِ السَّرَوَاتِ وَالْبُيُوتِ الْمُرْشِحِينَ لِلْمَشِيخَةِ وَالرَّئَاسَةِ فِي الْبَصْرِ وَقَدْ يَحْدُثُ  
التَّغْلِبُ لِبَعْضِ السَّنَلَةِ مِنَ الْقَوَاءِ وَالْدَّهْمَاءِ وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ وَالْإِلْتِحَامُ بِالْأَوْغَادِ  
لِأَسْبَابٍ يَجْرُهَا لَهُ الْمَقْدَارُ فَيَتَغْلِبُ عَلَى الْمَشِيخَةِ وَالْعِلْيَةِ إِذَا كَانُوا فَاقِدِينَ لِلْعَصَابَةِ وَآلَهُ  
سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ



## الفصل الثاني والعشرون

في لغات اهل الامصار

إِعلمُ أَنَّ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ إِنَّمَا تَكُونُ بِلِسَانِ الْأُمَّةِ أَوْ الْجِيلِ الْغَالِبِينَ عَلَيْهَا أَوْ الْمُخْتَطِبِينَ لَهَا وَلِذَلِكَ كَانَتْ لُغَاتُ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا بِالشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَرَبِيَّةً وَإِنْ كَانَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الْمَضْرِيُّ قَدْ فَسَدَتْ مَلَكَتُهُ وَتَغَيَّرَ إِعْرَابُهُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْغَلَبِ عَلَى الْأُمَمِ وَالَّذِينَ وَالْبَلَّةِ صُورَةَ لِلْوُجُودِ وَلِلْمَالِكِ وَكُلُّهَا مَوَادُّ لَهُ وَالصُّورَةُ مُقَدِّمَةٌ عَلَى الْمَادَّةِ وَالَّذِينَ إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَهِيَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَبِيٌّ فَوَجِبَ هَجْرُ مَا سِوَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْأَلْسُنِ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهَا وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي نَهْيِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ بَطَانَةِ الْأَعَاجِمِ وَقَالَ إِنَّهَا رِجَبُ أَيِّ مَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ فَلَمَّا هَجَرَ الدِّينُ اللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ وَكَانَ لِسَانُ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَرَبِيًّا هَجَرَتْ كُلُّهَا فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهَا لِأَنَّ النَّاسَ تَبَعَ لِلسُّلْطَانِ وَعَلَى دِينِهِ فَصَارَ اسْتِعْمَالُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنْ شُعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَطَاعَةِ الْعَرَبِ وَهَجَرَ الْأُمَمُ لُغَاتِهِمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَالْمَمَالِكِ وَصَارَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ لِسَانَهُمْ حَتَّى رَسَخَ ذَلِكَ لُغَةً فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ وَمُدُنِهِمْ وَصَارَتْ الْأَلْسِنَةُ الْأَعْجَمِيَّةُ دَخِيلَةً فِيهَا وَغَرِيبَةً ثُمَّ فَسَدَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ بِمُخَالَطَتِهَا فِي بَعْضِ أَحْكَامِهِ وَتَغَيَّرَ أَوَاخِرُهُ وَإِنْ كَانَ يَبْقَى فِي الدَّلَالَاتِ عَلَى أَصْلِهِ وَسُمِّيَ لِسَانًا حَضَرِيًّا فِي جَمِيعِ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ وَأَيْضًا فَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فِي أَلِئَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَعْقَابِ الْعَرَبِ الْحَالِكِينَ لَهَا الْهَالِكِينَ فِي تَرْفِهَا بِنَا كَثُرُوا الْعَجَمُ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَوَرِثُوا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَاللُّغَاتِ مَتَوَارِثَةً فَبَقِيَتْ لُغَةُ الْأَعْقَابِ عَلَى حِيَالِ لُغَةِ الْآبَاءِ وَإِنْ فَسَدَتْ أَحْكَامُهَا بِمُخَالَطَةِ الْأَعْجَامِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَسُمِّيَتْ لُغَتُهُمْ حَضَرِيَّةً مَنْسُوبَةً إِلَى أَهْلِ الْخَوَاصِرِ وَالْأَمْصَارِ بِخِلَافِ لُغَةِ الْبَدْوِ مِنَ الْعَرَبِ فَإِنَّمَا كَانَتْ أَعْرَقَ فِي الْعُرُوبِيَّةِ وَلَمَّا تَلَأَّ الْعَجَمُ مِنَ الدِّيَارِ وَالسُّلْجُوقِيَّةِ بَمَدْنِهِمْ بِالشَّرْقِ وَزَنَاتِهِ وَالْبَرْبُ بِالْمَغْرِبِ وَصَارَ لَهُمُ الْمُلْكُ وَالْإِسْتِيلَاءُ عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَسَدَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ لِذَلِكَ وَكَادَ يَذْهَبُ لَوْلَا مَا حَفِظَهُ مِنْ عِنَايَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّذِينَ بِهِمَا حَفِظَ الدِّينُ وَسَارَ ذَلِكَ مُرَجَّحًا لِقَاءَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَضْرِيَّةِ مِنَ الشُّعْرِ وَالْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا بِالْأَمْصَارِ فَلَمَّا مَلَكَ التَّغَرُّ

وَالْمُغُولُ بِالشَّرْقِ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَرْجِعُ وَفَسَدَتِ اللُّغَةُ  
 الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا رَسْمٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ  
 وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَرْضِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَمَا وَرَاءَ الثُّورِ وَبِلَادِ الشَّامِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَذَهَبَتْ  
 أَسَالِيبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ وَالْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا يَبْقَى تَعْلِيمُهُ صَنَاعِيًّا بِالقَوَانِينِ  
 الْمَتَدَارِسَةِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَحِفْظِ كَلَامِهِمْ لَعَنَ يَسْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِذَلِكَ وَرُبَّمَا بَقِيَتْ  
 اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُضَرِّيَّةُ بِبِصْرَ وَالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْمَغْرِبِ لِبَقَاءِ الدِّينِ طَلَبًا لَهَا  
 فَأَنْحَفَظَتْ بِبَعْضِ الشَّيْءِ وَأَمَّا فِي مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ  
 حَتَّى إِنَّ كُتُبَ الْعُلُومِ صَارَتْ تُكْتَبُ بِاللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ وَكَذَا تَدْرِيصُهُ فِي الْمَجَالِسِ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

## الباب الخامس

### من الكتاب الاول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله

من الاحوال وفيه مسائل

### الفصل الاول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية  
 لَعَلَّمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُفْتَقِرٌ بِالطَّبْعِ إِلَى مَا يَقْوَتُهُ وَيَمُوتُهُ فِي حَالَاتِهِ وَأَطْوَارِهِ مِنْ لَدُنْ نُشُوءِهِ  
 إِلَى أَشَدِّهِ إِلَى كِبَرِهِ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ لِلْإِنْسَانِ  
 وَأَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
 مِنْهُ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ وَكَثِيرٌ مِنْ شَوَاهِدِهِ وَبِيدِهِ  
 الْإِنْسَانِ مَبْسُوطَةٌ عَلَى الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْإِسْتِخْلَافِ وَأَيْدِي الْبَشَرِ مُنْتَشِرَةٌ  
 فِيهِ مُشْتَرِكَةٌ فِي ذَلِكَ وَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ يَدُهُ هَذَا أَمْتَعَ عَنِ الْآخِرِ إِلَّا بِعَوَضٍ فَأَلْإِنْسَانُ مَتَى  
 أَقْتَدَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَجَاوَزَ الضَّعْفَ سَعَى فِي أَقْتِنَاءِ الْمَكَاسِبِ لِيُنْفِقَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْهَا  
 فِي تَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ وَضُرُورَاتِهِ بِدَفْعِ الْأَعْوَاضِ عَنْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ



الرِّزْقَ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ سَعْيٍ كَالْمَطَرِ الْمُصْلِحِ لِلزَّرْعَةِ وَأَمثَالِهِ إِلَّا أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ مُعِينَةً وَلَا بُدَّ مِنْ سَعْيِهِ مَعَهَا كَمَا بَاقِي فَتَكُونُ لَهُ تِلْكَ الْمَكَايِبُ مَعَ شَأْنٍ إِنْ كَانَتْ بِثَدَارِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ وَرِيَاشًا وَمُتَمَوِّلًا إِنْ زَادَتْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ ذَلِكَ الْحَاصِلُ أَوْ الْمُقْتَنَى إِنْ عَادَتْ مَنَفَعَتُهُ عَلَى الْعَبْدِ وَحَصَلَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ مِنْ إِنْفَاقِهِ فِي مَصَالِحِهِ وَحَاجَاتِهِ سُمِّيَ ذَلِكَ رِزْقًا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ أَوْ أَبْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِ وَلَا حَاجَاتِهِ فَلَا يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِكِ رِزْقًا وَالْمَتَمَلِّكُ مِنْهُ حَيَّئِذٍ بِسَعْيِ الْعَبْدِ وَقُدْرَتِهِ يُسَمَّى كَسْبًا وَهَذَا مِثْلُ الْوَرَاثِ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِكَ كَسْبًا وَلَا يُسَمَّى رِزْقًا إِذْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ مُنْتَفَعٌ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَارِثِينَ مَتَى أَنْتَفَعُوا بِهِ يُسَمَّى رِزْقًا هَذَا حَقِيقَةُ مَسَمًّى الرِّزْقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ اشْتَرَطَ الْمُتَمَرِّلُ فِي تَسْمِيَةِ رِزْقًا أَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ يَصِحُّ تَمَلُّكُهُ وَمَا لَا يُتَمَلَّكُ عَنْدهُمْ لَا يُسَمَّى رِزْقًا وَأَخْرَجُوا الْمُضُوبَاتِ وَالْحَرَامَ كُلَّهُ عَنْ أَنْ يُسَمَّى شَيْءٌ مِنْهَا رِزْقًا وَلِلَّهِ تَعَالَى يَرْزُقُ الْغَاصِبَ وَالظَّالِمَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ بِرَحْمَتِهِ وَهُدَايَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ حُجَجٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ بَسْطِهَا ثُمَّ أَعْلَمَ أَنْ الْكَسْبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالسَّعْيِ فِي الْاِقْتِنَاءِ وَالْقَضْدِ إِلَى التَّحْصِيلِ فَلَا بُدَّ فِي الرِّزْقِ مِنْ سَعْيٍ وَعَمَلٍ وَلَوْ فِي تَنَاوُلِهِ وَابْتِغَائِهِ مِنْ وَجْهِهِ قَالَ تَعَالَى فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَالسَّعْيِ إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَهَامِهِ فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ مَكْسُوبٍ وَمُتَمَوِّلٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلًا بِنَفْسِهِ مِثْلَ الصَّانِعِ فَظَاهِرٌ وَإِنْ كَانَ مُقْتَنًى مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعْدِنِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا تَرَاهُ وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ وَلَمْ يَقَعْ بِهِ انْتِفَاعٌ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الصَّخْرَيْنِ الْمَعْدِنَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قِيَمَةً لِكُلِّ مُتَمَوِّلٍ وَهُمَا الذَّخِيرَةُ وَالْقَنِيَّةُ لِأَهْلِ الْعَالَمِ فِي الْغَالِبِ وَإِنْ أَقْسَى سَوَاهُمَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ لِقَصْدِ تَحْصِيلِهِمَا بِنَا يَقَعْ فِي غَيْرِهِمَا مِنْ حَوَالَةِ الْأَسْرَاقِ الَّتِي هُمَا عَنْهَا يَجْعَلُ فَهُمَا أَصْلُ الْمَكَايِبِ وَالْقَنِيَّةِ وَالذَّخِيرَةِ وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا كُلُّهُ فَاعْلَمْ أَنَّ مَا يَفِيدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَقْتْنِيهِ مِنَ الْمَتَمَوِّلَاتِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّنَائِعِ فَالْمَقَادُ الْمُقْتَنَى مِنْهُ قِيَمَةٌ عَمَلِيَّةٌ وَهُوَ الْقَصْدُ بِالْقَنِيَّةِ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْعَمَلُ وَلَيْسَ بِمُضَوِّدٍ بِنَفْسِهِ لِلْقَنِيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الصَّنَائِعِ فِي بَعْضِهَا غَيْرُهَا مِثْلُ التِّجَارَةِ وَالْحَيَاكَةِ

مَعَهَا الْخَشَبُ وَالْعَزْلُ إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا أَكْثَرُ قِيَمَتُهُ أَكْثَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ  
الصَّنَائِعِ فَلَا بُدَّ مِنْ قِيَمَةٍ ذَلِكَ الْمَقَادِرِ وَالْقِيَمَةِ مِنْ دُخُولِ قِيَمَةِ الْعَمَلِ الَّذِي حَصَلَتْ  
بِهِ إِذْ لَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ تَحْصُلْ قِيَمَتُهَا وَقَدْ تَكُونُ مُلَاحَظَةُ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا  
فَتُجْعَلُ لَهُ حِصَّةٌ مِنَ الْقِيَمَةِ عَظُمَتْ أَوْ صَغُرَتْ وَقَدْ تَخْفَى مُلَاحَظَةُ الْعَمَلِ كَمَا فِي أَسْعَارِ  
الْأَقْوَاتِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ أَعْيَارَ الْأَعْمَالِ وَالْتِفَاتِ فِيهَا مُلَاحِظُ فِي أَسْعَارِ الْحُبُوبِ كَمَا  
قَدَّمَاهُ لِكِنَّةِ خَفِيِّ فِي الْأَقْطَارِ الَّتِي عِلَاجُ الْفَلَحِ فِيهَا وَمُؤَوَّنَتُهُ يَسِيرَةٌ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا  
الْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْفَلَحِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَقَادَاتِ وَالْمُكْتَسَبَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا إِنَّمَا هِيَ  
قِيَمُ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَبَيَّنَ مُسَمَّى الرِّزْقِ وَأَنَّهُ الْمُنْتَفَعُ بِهِ فَقَدْ بَانَ مَعْنَى الْكَسْبِ  
وَالرِّزْقِ وَشَرَحَ مُسَمَّاهُمَا وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا قُبِدَتْ الْأَعْمَالُ أَوْ قَلَتْ بِانْتِقَاصِ الْعُمُرَانِ  
تَأْذَنَ اللَّهُ بِرَفْعِ الْكَسْبِ الْأَتْرَى إِلَى الْأَمْصَارِ الْقَلِيلَةِ السَّاكِنِ كَيْفَ يَقِلُّ الرِّزْقُ  
وَالْكَسْبُ فِيهَا أَوْ يُفْقَدُ لِقَلَّةِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْأَمْصَارُ الَّتِي يَكُونُ عُمرَانُهَا  
أَكْثَرُ يَكُونُ أَهْلُهَا أَوْسَعَ أَحْوَالاً وَأَشَدَّ رَوَافِهِةً كَمَا قَدَّمَاهُ قَبْلُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَقُولُ  
الْكَامَّةُ فِي الْبِلَادِ إِذَا تَنَاقَصَ عُمرَانُهَا إِنَّهَا قَدْ ذَهَبَ رِزْقُهَا حَتَّى أَنَّ الْأَنْهَارَ وَالْعُيُونَ  
يَنْقَطِعُ جَرِيَّتُهَا فِي الْقَفْرِ لَمَّا أَنَّ فُورَ الْعُيُونَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِنْبَاطِ وَالْإِمْتِرَاءِ الَّذِي هُوَ  
بِالْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَالْحَالِ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ فَتَلَمْ يَكُنْ إِنْبَاطٌ وَلَا إِمْتِرَاءٌ نَضَبَتْ وَغَارَتْ  
بِالْجُمْلَةِ كَمَا يَجِفُّ الضَّرْعُ إِذَا تَرَكَّ امْتِرَاؤُهُ وَانْظَرُهُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تُعْهَدُ فِيهَا الْعُيُونَ  
لَأَيَّامِ عُمرَانِهَا ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْهَا الْحَرَابُ كَيْفَ تَعُورُ مِيَاهُهَا جُمْلَةً كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ  
مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

إِعْلَمْ أَنَّ الْمَعَاشَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ آيَتَاءِ الرِّزْقِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ  
الْعَيْشِ كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَيْشُ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهَذِهِ جُعِلَتْ مَوْضِعاً لَهُ عَلَى  
طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ ثُمَّ إِنَّ تَحْصِيلَ الرِّزْقِ وَكَسْبَهُ إِذَا مَا أَنْ يَكُونَ بِأَخْذِهِ مِنْ يَدِ الْغَيْرِ  
وَأَنْتِزَاعِهِ بِالْإِقْتِدَارِ عَلَيْهِ عَلَى قَانُونٍ مُتَعَارَفٍ وَيُسَمَّى مَغْرَماً وَجِبَابَةً وَإِذَا مَا أَنْ يَكُونَ  
مِنْ الْخِيَوَانِ الْوَحْشِيِّ بِإِقْتِرَاسِهِ وَأَخْذِهِ بِرَمِيهِ مِنَ الْبَرِّ أَوْ الْبَحْرِ وَيُسَمَّى أَصْطِيَاداً



وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَيَوَانِ الدَّاجِنِ بِاسْتِخْرَاجِ فَضْلِهِ الْمُتَصَرِّفَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي  
مَنَافِعِهِمْ كَاللَّبَنِ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرِيرِ مِنْ دُودِهِ وَالْعَسَلِ مِنْ نَحْلِهِ أَوْ يَكُونَ مِنَ النَّبَاتِ  
فِي الزَّرْعِ وَالشَّجَرِ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ وَإِعْدَادِهِ لِاسْتِخْرَاجِ ثَمَرَتِهِ وَيُسَمَّى هَذَا كُلُّهُ فَلْحًا وَإَمَّا  
أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِمَّا فِي مَوَادِّ مُعَيَّنَةٍ وَتُسَمَّى الصَّنَائِعَ مِنْ كِتَابَةِ  
وَتِجَارَةِ وَخِيَاطَةِ وَحَيَاكَةِ وَفُرُوشِيَّةٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ أَوْ فِي مَوَادِّ غَيْرِ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ جَمِيعُ  
الْإِمْتِهَانَاتِ وَالتَّصَرُّفَاتِ وَإَمَّا أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْبَضَائِعِ وَإِعْدَادِهَا لِلْأَعْرَاضِ  
إِمَّا بِالتَّقْلِبِ بِهَا فِي الْبِلَادِ وَاتِّحَاكَارِهَا وَارْتِقَابِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِيهَا وَيُسَمَّى هَذَا تِجَارَةً  
فَهَذِهِ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَصْنَافُهُ وَهِيَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ  
كَالْحَرِيرِيِّ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا الْمَعَاشُ إِمَارَةٌ وَتِجَارَةٌ وَفِلَاحَةٌ وَصِنَاعَةٌ فَأَمَّا الْإِمَارَةُ  
فَلَيْسَتْ بِمَذْهَبٍ طَبِيعِيٍّ لِلْمَعَاشِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ  
الْحَيَايَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَهْلِهَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي وَأَمَّا الْفِلَاحَةُ وَالصِّنَاعَةُ وَالتِّجَارَةُ فَهِيَ وَجُوهُ  
طَبِيعِيَّةُ الْمَعَاشِ أَمَّا الْفِلَاحَةُ فَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِالذَّاتِ إِذْ هِيَ بَسِيطَةٌ وَطَبِيعِيَّةُ  
فَطَرِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَلِهَذَا تُنْسَبُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى آدَمَ أَيْ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ  
عَلَّمَهَا وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا أَقْدَمُ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَنَسَبُهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ وَأَمَّا  
الصَّنَائِعُ فَهِيَ تَأْنِيثُهَا وَمُتَأَخِّرَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ وَعِلْمِيَّةٌ تُصَرَّفُ فِيهَا الْأَفْكَارُ وَالْأَنْظَارُ  
أَوَّلُهَا لَا يُوجَدُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَهْلِ الْحَضَرِ الَّذِي هُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبَدْوِ وَثَانٍ عَنْهُ وَمِنْ هَذَا  
الْمَعْنَى نُسِبَتْ إِلَى أَدْرِيسَ الْأَبِ الثَّانِي لِلْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ مُسْتَنْبِطُهَا لِتَمَنُّ بَعْدَهُ مِنَ الْبَشَرِ  
بِالْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا التِّجَارَةُ وَإِنْ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً فِي الْكَسْبِ فَلَا كَثْرَ مِنْ  
طَرِيقِهَا وَمَذَاهِبِهَا إِنَّمَا هِيَ تَحِيلَاتٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا بَيْنَ الْيَسْتَنِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ  
لِتَحْصُلَ فَائِدَةُ الْكَسْبِ مِنْ تِلْكَ الْفَضْلَةِ وَلِذَلِكَ أَبَاحَ الشَّرْعُ فِيهِ الْمُكَامَبَةَ لِأَنَّ  
مِنْ بَابِ الْمَقَامَرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ أَخْذًا لِبَالِ الْغَيْرِ مَجَانًا فَلِهَذَا اتَّخَصَّ بِالشَّرْوَعيَّةِ

### الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

إِعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِمَارَةِ وَالْمُلْكِ  
الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ وَيَسْتَكْفِي فِي كُلِّ بَابٍ بِدَنَ يَعْلَمُ

غناء فيه ويتكفل بأرزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الإمارة ومعاشها  
إذ كلهم ينسحب عليهم حكم الإمارة والملك الأعظم هو ينبوع جدواويلهم وأما ما  
دون ذلك من الخدمة فسيبها أن أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون  
عاجزاً عنها لما ربي عليه من خلق التعم والترف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه  
أجراً من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للإنسان إذ الثقة  
بكل أحد عجز ولائها تريد في الوظائف والخرج وتدل على العجز والحث الذي ينبغي  
في مذاهب الرجولية الدرة عنهما إلا أن العوائد تثلب طباع الإنسان إلى مألوفها فهو  
أبن عوائده لا ابن نفسه ومع ذلك فالقديم الذي يستكفي به ويوثق بينائه كالمفقود  
إذ القديم القائم بذلك لا يعدو أربع حالات إما مضطلع بأمره ولا موثوقاً فيما يحصل  
بيده وإما بالعكس في إحداها فقط مثل أن يكون مضطلاً غير موثوق أو موثوقاً غير  
مضطلع فإما الأول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن أحداً استغلاله بوجه إذ  
هو بأضلاله وثقته غني عن أهل الرتب الدنيئة ومختبر لئمال الأجر من الخدمة  
لاقتداره على أكثر من ذلك فلا يستعمله إلا الأمراء أهل الجاه العريض لغوم  
الحاجة إلى الجاه وأما الصنف الثاني وهو ممن ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي  
إحاطة استغلاله لأنه يجنب بمخدومه في الأمرين معاً فيضيع عليه لعدم الإصطناع  
ثلاثة وينهب ماله بالحيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاه فهذان الصنفان لا  
يطمع أحد في استغلالهما ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين موثوق غير مضطلع  
ومضطلع غير موثوق والناس في الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجيحين وجه  
إلا أن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لأنه يؤمن من تضيقه ويحاول على التحرز  
من خيائته جهداً استطاعة وأما المضطلع ولو كان مأموناً فضرره بالتضيق أكثر من  
نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانوناً في الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر  
على كل شيء.

#### الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدفاتن والكنوز ليس بمعاش طبيعي  
إعلم أن كثيراً من ضعفاء العقول في الأمصار يحرصون على استخراج الأموال من



تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَتَّبِعُونَ الْكَسْبَ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْوَالِ الْأُمَمِ الْبَائِتَةُ مُخْتَرَنَةٌ كُلُّهَا تَحْتَ الْأَرْضِ مَخْتُومٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِطَلَّاسِمٍ سِحْرِيَّةٍ لَا يَفْضُ خَتَامُهَا ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَثَرَ عَلَى عَلَيْهِ وَاسْتَحْضَرَ مَا يَخْلُهُ مِنَ الْبَحْرِ وَالْأَعْدَاءِ وَالْقُرْبَانِ فَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِأَفْرِيئَةٍ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِفْرَنْجَةَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِهَا دَفَوْا أَمْوَالَهُمْ كَذَلِكَ وَأَوْدَعُوهَا فِي الصُّخْرِ بِالْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ يَرَوْنَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أُمَمِ الْبَطْنِ وَالرُّومِ وَالْفُرسِ وَيَتَقَالُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ تُشَبِّهُ حَدِيثَ خِرَافَةٍ مِنْ أَتَهَاءِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ لِذَلِكَ إِلَى حُفْرِ مَوْضِعِ اللَّحْلِ يَمْنُ لَمْ يَعْرِفْ طَلْسَمَهُ وَلَا نَجَرَهُ فَيَجِدُونَهُ خَالِيًا أَوْ مَعْمُورًا بِالْإِيدَانِ أَوْ يُشَاهِدُ الْأَمْوَالَ وَالْجَوَاهِرَ مَوْضُوعَةً وَالْحُرُسَ دُونَهَا مُنْتَظِينَ سُيُوفَهُمْ أَوْ تَبِيدُ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى يَظُنُّهُ خَسْفًا أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ الْهَدَرِ وَزَجْدٍ كَثِيرًا مِنْ طَلَبَةِ الدَّبْرِ بِالتَّغْرِيبِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ وَأَسْبَابِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْأَوْرَاقِ الْمُتَخَرِّمَةِ الْخَوَاشِي إِذَا بِحُطُوطٍ عَجَبِيَّةٍ أَوْ بِمَا تُرْجِمُ بِزَعْمِهِمْ مِنْهَا مِنْ حُطُوطِ أَهْلِ الدَّقَائِنِ بِإِعْطَاءِ الْأَمَارَاتِ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِينِهَا يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْهُمْ بِمَا يَبْعَثُونَهُ عَلَى الْحَفْرِ وَالطَّلَبِ وَيَمَوِّهُونَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى الْإِسْتِغَانَةِ بِهِمْ طَلَبُ أَجَلٍ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ مَنَالِ الْحُكَّامِ وَالْعُقُوبَاتِ وَرُبَّمَا تَكُونُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَادِرَةً أَوْ غَرِيبَةً مِنْ الْأَعْمَالِ السِّحْرِيَّةِ يُسَوِّدُ بِهَا عَلَى تَصْدِيقِ مَا بَقِيَ مِنْ دَعْوَاهُ وَهُوَ بِمَعْرِزِلٍ عَنِ السِّحْرِ وَطَرِيقِهِ فَتَوَلَّعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ بِجَمْعِ الْأَيْدِي عَلَى الْإِحْتِفَارِ وَالْتِسُّرِ فِيهِ بِظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مَخَافَةَ الرُّقْبَاءِ وَعُيُونِ أَهْلِ الدُّوَلِ فَإِذَا لَمْ يَعْثُرُوا عَلَى شَيْءٍ رَدُّوا ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ بِالْبَلَّاسِمِ الَّذِي خَتَمَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ يَخَادِعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَنْ إِخْفَاقِ مَطَامِعِهِمْ وَالَّذِي يُحْبِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ زِيَادَةً عَلَى ضَعْفِ الْعَمَلِ إِنَّمَا هُوَ الْعَجْزُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ بِالْوُجُوهِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَسْبِ مِنَ التِّجَارَةِ وَالْمَلْحِ وَالصَّنَاعَةِ فَيَطْلُبُونَهُ بِالْوُجُوهِ الْمُتَخَرِّفَةِ وَعَلَى غَيْرِ الْمَجْرَى الطَّبِيعِيِّ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ عَجْزًا عَنِ السَّعْيِ فِي الْمَكَايِسِ وَرُكُوتًا إِلَى تَنَاوُلِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ فِي تَحْصِيلِهِ وَكَتْسَائِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِتِّعَاءِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ فِي نَصَبٍ وَمَتَاعٍ وَجَهْدٍ شَدِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَيُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لِمَنَالِ الْعُقُوبَاتِ وَرُبَّمَا يُحْبِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ زِيَادَةً اللَّذِّفِ وَعَوَائِدُهُ وَخُرُوجُهَا

عَنْ حَدِّ النَّهْيَةِ حَتَّى تُقْصَرَ عَنْهَا وَجُوهُ الْكَسْبِ وَمَذَاهِبُهُ وَلَا تَفِي بِمَطَالِبِهَا فَإِذَا عَجَزَ  
 عَنِ الْكَسْبِ بِالتَّجَرِّي الطَّبِيعِيِّ لَمْ يَجِدْ وَلِيَجْتَ فِي نَفْسِهِ إِلَّا الشَّيْءَ لَوْ جُودَ الْمَالِ الْعَظِيمُ  
 دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ كِلْفَةٍ لَيَفِي لَهُ ذَلِكَ بِالْعَوَائِدِ الَّتِي حَصَلَ فِي أَسْرِهَا فَيَحْرُصُ عَلَى آيْتِغَاءِ ذَلِكَ  
 وَيَسْعَى فِيهِ جُهْدُهُ وَلِهَذَا فَأَكْثَرُ مَنْ تَرَاهُمْ يَحْرُصُونَ عَلَى ذَلِكَ هُمْ الْمُتَرَفُّونَ مِنْ أَهْلِ  
 الدَّوْلَةِ وَمِنْ سُكَّانِ الْأَمْصَارِ الْكَثِيرَةِ الْتَرَفِ الْمُتَسِّعَةِ الْأَحْوَالِ مِثْلَ مِصْرَ وَمَا فِي  
 مَعْنَاهَا فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ مُغْرَوِينَ بِآيْتِغَاءِ ذَلِكَ وَتَحْصِيلِهِ وَمُسَاءَلَةِ أَرْكَبَانِ عَنْ شَوَاطِئِهِ  
 كَمَا يَحْرُصُونَ عَلَى الْكَيْبِيَاءِ هَكَذَا بَلَقْنِي عَنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي مَأْوَضَةٍ مِنْ يَلْقَوْنَهُ مِنْ  
 طَلَبَةِ التَّمَارِبَةِ لَعَلَّهُمْ يَعْتُزُّونَ بِهِ عَلَى دَفِينٍ أَوْ كَثَرٍ وَيَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ الْبَحْثَ عَنْ  
 تَعْوِيرِ الْيَمَاءِ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الدَّفِينَةِ كُلُّهَا فِي مَجَارِي النِّيلِ وَأَنَّهُ أَعْظَمُ  
 مَا يَسْتَدُ دَفِينًا أَوْ مُخْتَرَنًا فِي تِلْكَ الْأَفَاقِ وَيُؤَمِّرُهُ عَلَيْهِمْ أَصْطَابُ تِلْكَ الدَّفَاتِرِ الْمُفْتَعَلَةِ  
 فِي الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِجَرِيَةِ النِّيلِ تَسْتَدْرَأُ بِذَلِكَ مِنَ الْكُذِبِ حَتَّى يَهْتَدِيَ  
 عَلَى مَعَالِمِهِ فَيَحْرُصُ سَامِعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى نُضُوبِ الْمَاءِ بِالْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ لِتَحْصِيلِ مُسْتَقْنَاهِ  
 مِنْ هَذِهِ كَغَايَةِ بَشَانِ السَّحَرِ مُتَوَارِنًا فِي ذَلِكَ الْقَطْرِ عَنْ أَوَّلِهِ فَعُلُومُهُمُ السَّحَرِيَّةُ وَأَثَرُهَا  
 بَاقِيَةٌ بِأَرْضِهِمْ فِي الْبَرَارِيِّ وَغَيْرِهَا وَقِصَّةُ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ شَاهِدَةٌ بِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ  
 قَدْ تَنَاقَلَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ قِصِيدَةً يَنْسِبُونَهَا إِلَى حُكَمَاءِ الْمَشْرِقِ تُعْطَى فِيهَا كَيْفِيَّةُ  
 وَالْعَمَلِ بِالتَّعْوِيرِ بِصِنَاعَةِ سَحَرِيَّةٍ حَسْبًا تَرَاهُ فِيهَا وَهِيَ هَذِهِ

يَا طَالِبَا لِلسِّرِّ فِي التَّعْوِيرِ	إِسْمَعْ كَلَامَ الصِّدْقِ مِنْ خَيْرِ
دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ صَنَعُوا فِي كُتُبِهِمْ	مِنْ قَوْلِ بُهْتَانٍ وَلَفْظِ غُرُورِ
وَأَسْمَعْ لِصِدْقِ مَقَالَتِي وَنَصِيحَتِي	إِنْ كُنْتَ تَمَنَّي لَا يَرَى بِالزُّورِ
فَإِذَا أَرَدْتَ تَعَوُّرَ الْبَرِّ الَّتِي	حَارَتْ لَهَا الْأَوْهَامُ فِي التَّدْبِيرِ
صَوْرَ كُصُورَتِكَ الَّتِي أَوْقَفَتْهَا	وَالرَّأْسُ رَأْسُ الشِّبْلِ فِي التَّعْوِيرِ
وَبَدَاهُ مَا سَكَّتَانِ لِلْحَبْلِ الَّذِي	فِي الدَّلْوِ يُنْشَلُ مِنْ قَرَارِ الْبِرِّ
وَبَصْدَرِهِ هَاءُ كَمَا عَايَنْتَهَا	عَدَدُ الطَّلَاقِ أَحْذَرُ مِنَ التَّكْوِيرِ
وَيَطَا عَلَى الطَّاءَاتِ غَيْرَ مَلَامِسِ	مَشْيِ اللَّيْلِ الْكَيْسِ التَّحْرِيرِ
وَيَكُونُ حَوْلَ الْكَلَامِ خَطُّ دَائِرِ	تَرْبِيْعُهُ أَوَّلَى مِنَ التَّكْوِيرِ



وَأَذْبَحَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّحْطَ بِهِ  
بِالسَّنْدَرُوسِ وَبِاللَّبَانِ وَمِيعَةً  
مِنْ أَحْمَرٍ أَوْ أَصْفَرٍ لَا أَزْرَقٍ  
وَيَشْدُهُ خَيْطَانُ صُوفٍ أَيْضُ  
وَالطَّلِيعُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ يَنْدُوا  
وَالْبَدْرُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدٍ عَطَارِدٍ  
وَأَقْصِدُهُ عُشْبَ الذَّبْحِ بِالتَّجِيرِ  
وَالْتَسْطِرِ وَأَابِسُهُ بِثَوْبٍ حَرِيرٍ  
لَا أَخْضَرُ فِيهِ وَلَا تَكْدِيرُ  
أَوْ أَحْمَرٍ مِنْ خَالِصِ التَّحِيرِ  
وَيَكُونُ بَدَنُ الشَّهْرِ غَيْرَ مُنِيرٍ  
فِي يَوْمِ سَبْتِ سَاعَةِ التَّذِيرِ

يعني أن تكون الطَّاءَاتُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَيْهَا وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ تَمْرِيهَاتِ الْمُتَحَرِّفِينَ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ وَأَصْلَاحَاتٌ عَجِيبَةٌ وَتَنْتَهِي التَّخْرِفَةُ وَالْكَذِبُ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَسْكُنُوا الْمَنَازِلَ الشَّهْرَةَ وَالْدُّورَ الْمَعْرُوفَةَ لِشَيْءٍ هَذِهِ وَيَحْتَفِرُونَ الْخُفْرَ وَيَضَعُونَ الْمَطَابِقَ فِيهَا وَالشَّوَاهِدَ الَّتِي يَكْتُبُونَهَا فِي صَحَائِفٍ كَذِبِهِمْ ثُمَّ يَقْصِدُونَ ضَعْفَاءَ الْعُقُولِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الصَّحَائِفِ وَيَعِثُونَ عَلَى كِبَرَاءِ ذَلِكَ الْمَثَلِ وَسُكْنَاهُ وَيُوْهِنُونَ أَنَّ بِهِ دَفِينًا مِنَ الْمَالِ لَا يُعْبَرُ عَنْ كَثْرَتِهِ وَيُطَالِبُونَ بِالْمَالِ لِاشْتِرَاءِ الْعَقَائِرِ وَالْبَحُورَاتِ لِخَلِّ الطَّلَاسِمِ وَيَعِدُّونَهُ بِظُورِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي قَدْ أَعْدَوْهَا هُنَاكَ بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ فَعْلِهِمْ فَيَنْبَغِ لَنَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ قَدْ خُدِعَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ أَصْلَاحٌ فِي كَلَامِهِمْ يُدَبِّسُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ لِيَخْفَى عِنْدَ مُخَاوَرَتِهِمْ فِيمَا يَتْلُونَهُ مِنْ حَفْرِ وَبَحُورٍ وَذَبْحِ حَيَوَانٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَا أَصْلَ لَهُ فِي عِلْمٍ وَلَا خَبَرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُتُوزَ وَإِنْ كَانَتْ تُوجَدُ لَكِنَّهَا فِي حُكْمِ النَّادِرِ وَعَلَى وَجْهِ الْإِتِّفَاقِ لَا عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ إِلَيْهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَمْرٍ نَعْمُ بِهِ الْبَلَوَى حَتَّى يَدَّخِرَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَحْتُمُونَ عَلَيْهَا بِالطَّلَاسِمِ لَا فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ وَالرَّكَازُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقَرَضَهُ الْفُقَهَاءُ وَهُوَ دَفِينُ أَجَاهِلِيَّةٍ إِنَّمَا يُوجَدُ بِالْعُثُورِ وَالْإِتِّفَاقِ لَا بِالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ وَأَيْضًا فَمَنْ أَخْتَرَنَ مَالَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ السَّعَرِيَّةِ فَقَدْ بَالِغٌ فِي إِخْفَائِهِ فَكَيْفَ يَنْصِبُ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةَ وَالْأَمَارَاتِ لِمَنْ يَتَّبِعُهُ وَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي الصَّحَائِفِ حَتَّى يَطْلُعَ عَلَى ذَخِيرَتِهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَالْآفَاقِ هَذَا يُنَاقِضُ قَصْدَ الْإِخْفَاءِ وَأَيْضًا فَأَفْعَالُ الْعُقْلَاءِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ بِعَرَضٍ مَقْصُودٍ فِي الْإِنْتِفَاعِ وَمَنْ أَخْتَرَنَ الْمَالُ فَإِنَّهُ يَخْتَرِنُهُ لَوْلَدِهِ أَوْ قَرِيبِهِ أَوْ مِنْ يُؤَيِّرُهُ وَأَمَّا أَنْ

يَقْصِدُ إِخْفَاءَهُ بِالْكُلِّيَّةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْبَلَاءِ وَالْهَلَاكِ أَوْ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ  
بِالْكُلِّيَّةِ يَمُنُّ سَيِّئَاتِي مِنَ الْأُمَمِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقَلَاءِ بِوَجْهِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
أَنَّ أَمْوَالَ الْأُمَمِ مِنْ قَلِيلٍ وَمَا عُلِمَ فِيهَا مِنَ الْكَثْرَةِ وَالْوُفُورِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْوَالَ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْتَعَةِ إِنَّمَا هِيَ مَعَادِنُ وَمَكَايِسُ بِمِثْلِ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ  
وَالرَّصَاصِ وَسَائِرِ الْعَقَارَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْعُمُرَانِ يُظْهِرُهَا بِالْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَزِيدُ  
فِيهَا أَوْ يُنْقِصُهَا وَمَا يُوجَدُ مِنْهَا بِأَيْدِي النَّاسِ فَهُوَ مُتَنَاقِلٌ مُتَوَارِثٌ وَرُبَّمَا أُنْقَلَّ مِنْ  
قَطْرِ إِلَى قَطْرِ وَمِنْ دَوْلَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَسَبِ أَغْرَاضِهِ وَالْعُمُرَانُ الَّذِي يَسْتَدْعِي لَهُ فَإِنْ  
نَقَصَ الْمَالُ فِي الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ فَلَمْ يَنْقُصْ بِلَادِ الصَّقَالِيَّةِ وَالْإِفْرَنْجِ وَإِنْ نَقَصَ فِي  
مِصْرَ وَالشَّامِ فَلَمْ يَنْقُصْ فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَإِنَّمَا هِيَ الْآلَاتُ وَالْمَكَايِسُ وَالْعُمُرَانُ  
يُوقَرُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مَعَ أَنَّ الْمَعَادِنَ يُدْرِكُهَا الْبَلَاءُ كَمَا يُدْرِكُ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ  
وَيُسْرِعُ إِلَى اللُّوْلُوءِ وَالْجَوَاهِرِ أَكْثَرُ مَا يُسْرِعُ إِلَى غَيْرِهِ وَكَذَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ  
وَالْحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ يَتَأَلَّاهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ مَا يَذْهَبُ بِأَعْيَانِهَا لِأَقْرَبِ وَقْتٍ  
وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَمْرِ الْمَطَالِبِ وَالْكُنُوزِ فَسَبَبُهُ أَنَّ مِصْرَ فِي مَلَكََةِ الْقُبْطِ  
مُنْذُ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُ مِنَ السِّنِينَ وَكَانَ مَوْتَاهُمْ يُدْفَنُونَ بِمَوْجُودِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
وَالْجَوَاهِرِ وَاللَّيْلِ عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ فَلَمَّا أُنْقَضَتْ دَوْلَةُ الْقُبْطِ وَمَلَكَ  
الْفُرْسُ بِلَادَهُمْ تَقَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَشَفُوا عَنْهُ فَأَخَذُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَا لَا يُوصَفُ  
كَالْأَهْرَامِ مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا وَكَذَا فَعَلَ الْيُونَانِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَصَارَتْ قُبُورُهُمْ  
مَظَنَّةً لِذَلِكَ لِهَذَا الْمَهْدِ وَيُعْتَدُّ عَلَى الدَّفِينِ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَاتِ أَمَّا مَا يَدْفَنُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَا يُكْرِمُونَ بِهِ مَوْتَاهُمْ فِي الدَّفْنِ مِنْ أَوْعِيَةٍ وَتَوَائِبَتٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
مَعْدَّةً لِذَلِكَ فَصَارَتْ قُبُورُ الْقُبْطِ مُنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ مَظَنَّةً لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا فَلِذَلِكَ  
عَنِ أَهْلِ مِصْرَ بِالْبَحْثِ عَنِ الْمَطَالِبِ لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِهَا حَتَّى إِنَّهُمْ حِينَ ضَرِبَتْ  
الْمَكُوسُ عَلَى الْأَصْنَافِ آخِرَ الدَّوْلَةِ ضَرِبَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَطَالِبِ وَصَدَرَتْ ضَرْبَةً عَلَى مَنْ  
يَشْتَغِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْخُنَاقِ وَالْمُهَوِّسِينَ فَوَجَدَ بِذَلِكَ الْمُتَعَاظُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْمَاعِ  
الذَّرِيعَةَ إِلَى الْكُفْرِ عَنْهُ وَالذَّرْعَ بِاسْتِخْرَاجِهِ وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْخِيَةِ فِي جَمِيعِ  
مَسَاعِيهِمْ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ فَيَحْتَاجُ مَنْ وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْوَسْوَاسِ وَأَبْثَلِي بِهِ أَنْ



يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ فِي طَلَبِ مَعَايِشِهِ كَمَا تَعَوَّذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَصَرَّفُ عَنْ طُرُقِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ وَلَا يَشْغُلُ نَفْسَهُ بِالْمَخَالَاتِ وَالْمَكَاذِبِ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

### الفصل الخامس

في ان الجاه مفيد للمال

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ صَاحِبَ الْمَالِ وَالْخُطْوَةَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَعَاشِ أَكْثَرَ يَسَاراً وَثَرَوَةً مِنْ فَاقِدِ الْجَاهِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْجَاهِ مَخْذُومٌ بِالْأَعْمَالِ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ التَّلَفِّ وَالْحَاجَةِ إِلَى جَاهِهِ فَالنَّاسُ مُعِينُونَ لَهُ بِأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِ مِنْ ضَرُورِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ أَوْ كُنَالِيٍّ فَتَحْصُلُ قِيَمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا مِنْ كَسْبِهِ وَجَمِيعِ مَعَاشَاتِهِ أَنْ تُبَدَلَ فِيهِ الْأَعْوَاضُ مِنَ الْعَمَلِ يَسْتَعْمِلُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ فَتَتَوَقَّرُ قِيَمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ فَهُوَ بَيْنَ قِيَمِ الْأَعْمَالِ يَكْتَسِبُهَا وَقِيَمِ أُخْرَى تَدْعُوهُ الضَّرُورَةُ إِلَى إِخْرَاجِهَا فَتَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ وَالْأَعْمَالُ لِصَاحِبِ الْجَاهِ كَثِيرَةٌ فَتُفِيدُ الَّذِي لِأَقْرَبِ وَقْتُ وَيَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ يَسَاراً وَثَرَوَةً وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَتْ الْإِمَارَةُ أَحَدَ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَفَاقِدُ الْجَاهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ مَالٍ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِبِقْدَارِ مَالِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ سَعْيِهِ وَهُوَ لَا هُمْ أَكْثَرُ التُّجَّارِ وَلِهَذَا تَجِدُ أَهْلَ الْجَاهِ مِنْهُمْ يَكُونُونَ أَيْسَرَ بكَثِيرٍ وَمِمَّا يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ كَثِيراً مِنَ الْأَفْقَهَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ إِذَا اسْتَشْهَرُوا حَسَنَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَعْتَقَدَ الْجُمْهُورُ مِمَّا مَلَأَ اللَّهُ فِي إِرْقَادِهِمْ فَأَخْلَصَ النَّاسُ فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَى أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَالْإِعْتِمَالِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِمُ الثَّرْوَةُ وَأَصْبَحُوا مَيَاسِدَ مِنْ غَيْرِ مَالٍ مُقْتَنَى إِلَّا مَا يَعْمَلُ لَهُمْ مِنْ قِيَمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي وَقَعَتْ التَّعَرُّنَةُ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ رَأْيُنَا مِنْ ذَلِكَ أَعْدَاداً فِي الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ وَفِي الْبَدْوِ يَسْعَى لَهُمُ النَّاسُ فِي الْفُلَحِ وَالتَّجَرِّ وَكُلُّهُ قَاعِدٌ بِمَنْزِلِهِ لَا يَبْرَحُ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْشُرُ مَالَهُ وَيَعْظُمُ كَسْبُهُ وَيَتَأَثَّلُ الْغِنَى مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ وَيَعْجَبُ مَنْ لَا يَفْطِنُ لِهَذَا السِّرِّ فِي حَالِ ثَرَوَتِهِ وَأَسْبَابِ غِنَاهُ وَيَسَارِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

## الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتعلق

وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قَدْ سَلَفَ لَنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ الْكَسْبَ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ الْبَشَرُ إِنَّمَا هُوَ قِيمُ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ قُدِّرَ أَحَدٌ عَطْلٌ عَنِ الْعَمَلِ جُمْلَةً لَكَانَ فَقَدَ الْكَسْبِ بِالْكُلِّيَّةِ وَعَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ وَشَرَفِهِ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ يَكُونُ قَدَرُ قِيَمَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ نُحُو كَسْبِهِ أَوْ نُقْصَانُهُ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّمَا أَنَّ الْجَاهَ يُنْبِذُ الْمَالَ لِمَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنْ تَقَرُّبِ النَّاسِ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَكَانَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ مَالٍ عِوَضًا عَمَّا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْجَاهِ مِنْ الْأَغْرَاضِ فِي صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ وَتَصِيرُ تِلْكَ الْأَعْمَالُ فِي كَسْبِهِ وَقِيَمَتِهَا أَمْوَالٌ وَثَرَوَةٌ لَهُ فَيَسْتَفِيدُ الْغَنَى وَالْإِسَارَ لِأَقْرَبِ وَقْتٍ ثُمَّ إِنَّ الْجَاهَ مُتَوَزِعٌ فِي النَّاسِ وَمُتَرَتِّبٌ فِيهِمْ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ يَنْتَهِي فِي الْعُلُوِّ إِلَى الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَيْسَ فَوْقَهُمْ يَدٌ عَالِيَةٌ وَفِي السُّفْلِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بَيْنَ أَبْنَاءِ جَنَسِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَنْتَظِمُ مَعَاشُهُمْ وَتَتَيَسَّرُ مَصَالِحُهُمْ وَيَتِمُّ بَقَاؤُهُمْ لِأَنَّ التَّنَوُّعَ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَتِمُّ وَجُودُهُ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ وَإِنَّهُ وَإِنْ نَدَرَ فَقَدْ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ مَقْرُوضَةٍ لَا يَصُحُّ بَقَاؤُهُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّعَاوُنَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِكْرَاهِ عَلَيْهِ لِجَهْلِهِمْ فِي الْأَكْثَرِ بِمَصَالِحِ التَّنَوُّعِ وَلِمَا يُجْعَلُ لَهُمْ مِنَ الْإِخْتِبَارِ وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ إِنَّمَا تَصْدُرُ بِالْفِكْرِ وَالرُّؤْيَا لَا بِالطَّبْعِ وَقَدْ يَمْتَسِعُ مِنَ الْمُعَاوَنَةِ فَيَتَعَيَّنُ نَحْلُهُ عَلَيْهَا فَلَا يَدُّ مِنْ حَامِلٍ يُكْرَهُ أَبْنَاءُ التَّنَوُّعِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ لِتَمِّمِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي بَقَاءِ هَذَا التَّنَوُّعِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةً رَيْنِكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْجَاهَ هُوَ الْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ لِلْبَشَرِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ جَنَسِهِمْ بِالْإِذْنِ وَالْمَنْعِ وَالسُّلْطَانِ بِالْقُوَّةِ وَالْعَلْبَةِ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى دَفْعِ مَضَارِّهِمْ وَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَعَلَى أَغْرَاضِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ مَقْصُودٌ فِي الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِالذَّاتِ وَالثَّانِي دَاخِلٌ فِيمَا بِالْعَرَضِ كَسَائِرِ الشُّرُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَتِمُّ وَجُودُ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا بِوُجُودِ شَرٍّ يَسِيرٍ مِنْ أَجْلِ الْمَوَادِّ فَلَا يَفُوتُ الْخَيْرُ بِذَلِكَ بَلْ يَقَعُ



عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ الْيَسِيرِ وَهَذَا مَعْنَى وَقُوعِ الظُّلْمِ فِي الْخَلِيقَةِ فَتَنَّهُمْ ثُمَّ إِنْ  
 كُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَاقِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى مَنْ دُونَهَا مِنْ  
 الطَّبَاقِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى يَسْتَعِيدُ بِذِي الْجَاهِ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُ  
 وَيَزِدَادُ كَسْبَهُ تَصَرُّفًا فَيَمْنُ تَحْتَ يَدِهِ عَلَى قَدَرِ مَا يَسْتَعِيدُ مِنْهُ وَالْجَاهُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلٌ  
 عَلَى النَّاسِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ وَيَتَّسِعُ وَيَضِيقُ بِحَسَبِ الطَّبَقَةِ وَالطُّورِ الَّذِي فِيهِ  
 صَاحِبُهُ فَإِنْ كَانَ الْجَاهُ مُتَّسِعًا كَانَ الْكَسْبُ النَّاشِئُ عَنْهُ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا قَلِيلًا  
 فَمِثْلُهُ وَفَاقِدُ الْجَاهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ أَوْ مَالِهِ وَنِسْبَةِ  
 سَعْيِهِ ذَاهِبًا رَأْيًا فِي تَنْمِيَّتِهِ كَأَكْثَرِ الثُّجَّارِ وَأَهْلُ الْفِلَاحَةِ فِي الْغَالِبِ وَأَهْلُ الصَّنَائِعِ  
 كَذَلِكَ إِذَا فَقَدُوا الْجَاهَ وَأَقْتَصَرُوا عَلَى فَوَائِدِ صَنَائِعِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى الْفَقْرِ  
 وَالْخِصَاصَةِ فِي الْأَكْثَرِ وَلَا تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ ثَرَوَةٌ وَإِنَّمَا يُرْمَقُونَ الْعَيْشَ تَرْمِيقًا وَيُدَافِعُونَ  
 ضَرُورَةَ الْفَقْرِ مُدَافَعَةً وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْجَاهَ مُتَقَرِّعٌ وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالْخَيْرَ مُقْتَرِنَانِ  
 بِحُضُورِهِ تَلَمَّسَتْ أَنْ بَذْلَهُ وَإِفَادَتَهُ مِنْ أَكْثَرِ النِّعَمِ وَأَجْلِيهَا وَأَنَّ بَذْلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمُتَمَعِّينِ  
 وَإِنَّمَا يَبْذُلُهُ لِمَنْ تَحْتَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ بَذْلُهُ بِيَدِ عَالِيَةٍ وَعِزَّةٌ فَيَحْتَاجُ طَالِبُهُ وَمُسْتَعِينُهُ إِلَى  
 خُضُوعٍ وَتَلَمُّقٍ كَمَا يَسْأَلُ أَهْلُ الْهَرَبِ وَالْمُلُوكُ وَإِلَّا فَيَتَعَذَّرُ حُجُورُهُ فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنْ  
 الْخُضُوعَ وَالتَّلَمُّقَ مِنْ أَسْبَابِ حُجُورِ هَذَا الْجَاهِ الْمُخْصَلِ لِلْسَّعَادَةِ وَالْكَسْبِ وَإِنْ  
 أَكْثَرَ أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالسَّعَادَةِ بِهِذَا التَّلَمُّقِ وَبِهَذَا نَجِدُ الْكَثِيرَ مِمَّنْ يَتَخَلَّقُ بِالتَّرَفِّعِ  
 وَالشَّمِّ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَرَضُ الْجَاهِ فَيَقْتَصِرُونَ فِي التَّكْسِبِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَصِيرُونَ  
 إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكِبْرَ وَالتَّرَفَّعَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ  
 مِنْ تَوَهُّمِ الْكُنَالِ وَأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى بِضَائِعِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ كَالْعَالِمِ الْمُتَبَجِّحِ  
 فِي عِلْمِهِ وَالْكَاتِبِ الْجَيِّدِ فِي كِتَابَتِهِ أَوْ الشَّاعِرِ الْبَلِيعِ فِي شِعْرِهِ وَكُلُّ مُحْسِنٍ فِي  
 صِنَاعَتِهِ يَتَوَهُّمُ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ لِمَا بِيَدِهِ فَيَحْدُثُ لَهُ تَرْفَعٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَكَذَا يَتَوَهُّمُ  
 أَهْلُ الْأَنْسَابِ مِمَّنْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ أَوْ عَالِمٌ مَشْهُورٌ أَوْ كَامِلٌ فِي طَوْرِ يُعَدُّونَ بِهِ يَا  
 رَأُوهُ أَوْ سَمِعُوهُ مِنْ حَالِ آبَائِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَيَتَوَهُّمُونَ أَنَّهُمْ اسْتَحْدُوا مِثْلَ ذَلِكَ بِقَرَابَتِهِمْ  
 إِلَيْهِمْ وَوَرِاثَتِهِمْ عَنْهُمْ فَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ فِي الْحَاضِرِ بِالْأَمْرِ الْمَعْدُومِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ  
 الْحِيلَةِ وَالْبَصَرِ وَالتَّجَارِبِ بِالْأُمُورِ قَدْ يَتَوَهُّمُ بَعْضُهُمْ كَمَالًا فِي نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَاحْتِياجًا

إِلَيْهِ وَتَجِدُهُمْ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافُ كُلُّهُمْ مُتَرَفِعِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِصَاحِبِ الْجَاهِ وَلَا يَتَمَلَّقُونَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَيَسْتَضِعُّونَ مَنْ سِوَاهُمْ لِاعْتِقَادِهِمُ الْفَضْلَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَكِفُّ أَحَدُهُمْ عَنِ الْخُضُوعِ وَلَوْ كَانَ لِلْمَلِكِ وَيَعُدُّهُ مَذَلَّةً وَهَوَانًا وَسَفَاهًا وَيُخَاسِبُ النَّاسَ فِي مُعَامَلَتِهِمْ إِيَّاهُ بِمِقْدَارِ مَا يَتَوَهَّمُ فِي نَفْسِهِ وَيَجِدُ عَلَى مَنْ قَصَرَ لَهُ فِي شَيْءٍ وَمَا يَتَوَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ وَرُبَّمَا يَدْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ الْهَوَامُ وَالْأَحْزَانُ مِنْ تَصَوُّرِهِمْ فِيهِ وَيَسْتَشِيرُ فِي عَنَاءٍ عَظِيمٍ مَنْ يُجَابِ الْحَقَّ لِنَفْسِهِ أَوْ إِبَابَةَ النَّاسِ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْضِلُ لَهُ الْمَثَلُ مِنَ النَّاسِ إِمَّا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ التَّأَلُّهِ وَقَلَّ أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَحَدٍ فِي الْكِبَالِ وَالْتِرْفَعِ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنَوْعٍ مِنَ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ وَالْإِسْطَالَةِ وَهَذَا كُلُّهُ فِي ضَمَنِ الْجَاهِ فَإِذَا فَقَدَ صَاحِبُ هَذَا الْخُلُقِ الْجَاهَ وَهُوَ مَقْهُودٌ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَ لَكَ مَقَّةُ النَّاسِ بِهَذَا الِتِرْفَعِ وَلَمْ يَحْضِلْ لَهُ حَظٌّ مِنْ إِحْسَانِهِمْ وَفُتِدَ الْجَاهُ لِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنْهُ لِأَجْلِ الْمَثَلِ وَمَا يَحْضِلُ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ تَعَاهِدِهِمْ وَغَشْيَانِ مَنَازِلِهِمْ فَتُسَدَّ مَعَاشُهُ وَبَتِّي فِي خِصَاصَةٍ وَقُتِرَ أَوْ فُرِقَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ وَأَمَّا الْوَرُودُ فَلَا تَحْضِلُ لَهُ أَصْلًا وَمِنْ هَذَا اسْتَوْرَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْكَامِلَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَحْرُومٌ مِنَ الْحَظِّ وَأَنَّهُ قَدْ حُوسِبَ بِمَا رُزِقَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَأَقْطِيعَ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَظِّ وَهَذَا مَعْنَاهُ وَمَنْ خُلِقَ لِشَيْءٍ يُبَرِّكُ لَهُ وَآلَهُ الْمُقَدَّرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَقَدْ يَقَعُ فِي الدُّوَلِ أَضْرَابٌ فِي الْمَرَاتِبِ مِنْ أَهْلِ الْخُلُقِ وَيَرْتَفِعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّفَلَةِ وَيَنْزِلُ كَثِيرٌ مِنَ الْعِلْيَةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلِ إِذَا بَلَغَتْ نِهَايَتَهَا مِنَ التَّغَالِبِ وَالْإِسْتِيلَاءِ انْفَرَدَ مِنْهَا مَنِيَّةُ الْمَلِكِ بِمُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَيَسَّ مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صَارُوا فِي مَرَاتِبَ دُونَ مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَتَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ وَكَأَنَّهُمْ خَوَلُ لَهُ فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَسَمَّخَ الْمَلِكُ تَسَاوَى حَيْثُ نَزَلَ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ كُلِّ مَنْ انْتَمَى إِلَى خِدْمَتِهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِنَصِيحَةٍ وَأَصْطَنَعَهُ السُّلْطَانُ لِعِغَاثِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مِهَنَاتِهِ فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ السُّوْقَةِ يَسْعَى فِي التَّقَرُّبِ مِنَ السُّلْطَانِ بِجِدِّهِ وَنُصِيحِهِ وَيَتَرَفَّلُ إِلَيْهِ بِوُجُوهِ خِدْمَتِهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِعَظِيمٍ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْتِمَاقِ لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ وَأَهْلُ نَسَبِهِ حَتَّى يُرْسَخَ قَدَمُهُ مَعَهُمْ وَيُنَظِّمَهُ السُّلْطَانُ فِي جُمْلَتِهِ فَيَحْضِلُ لَهُ بِذَلِكَ حَظٌّ عَظِيمٌ مِنَ السَّعَادَةِ وَيَنْتَظِمُ فِي عَدَدِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَنَاسِئَةِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ نَزَلَ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهَا الَّذِينَ ذَلَّلُوا أَضْغَانَهُمْ وَمَهَّدُوا أَكْثَانَهُمْ مُتَرَفِعِينَ بِمَا كَانَ لِأَبَائِهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَرِ لَمْ



تَسَخَّرَ بِهِ نَفْسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِآثَارِهِ وَيَجْرُونَ فِي مَضَارِ الدَّوْلَةِ بِسَبِيهِ  
فَيَقْتُلُهُمُ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ وَيُبَاعِدُهُمْ وَيَجْبِلُ إِلَى هَوْلَاءِ الْمُضْطَظِّينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ  
بِقَدِيمٍ وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَى دَالَّةٍ وَلَا تَرْفَعُ إِنَّمَا دَائِبُهُمُ الْخُضُوعُ لَهُ وَالتَّسَلُّقُ وَالْإِعْتِمَالُ فِي  
غَرَضِهِ مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ فَيَتَسَّعُ جَاهُهُمْ وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ وَتَنْصَرِفُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ وَالْخَوَاطِرُ  
بِمَا يَحْتَلُّ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ وَالْمَسْكَاةِ عِنْدَهُ وَيَقْمَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ فَيَتَأَهَّلُونَ فِيهِ مِنْ  
الْتَرَفِ وَالْإِعْتِدَادِ بِالْقَدِيمِ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بُعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَثْمًا وَإِثَارًا لِهَوْلَاءِ  
الْمُضْطَظِّينَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الدَّوْلَةُ وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ وَمِنْهُ بَءَاءُ شَأْنِ  
الْمُضْطَظِّينَ فِي الْعَالِبِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع

في ان القامین باہور الدین من القضاء والفتیاء والتدیسر والامامة والخطابة والاذان

ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

وَالسَّبَبُ لِذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ كَمَا قَدَّمَاهُ قِيَمَةُ الْأَعْمَالِ وَأَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ  
الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَإِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَاءِ عَامَّةُ الْبُلُوَى بِهِ كَانَتْ قِيَمَتُهَا  
أَعْظَمَ وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَشَدَّ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَائِعِ الدِّينِيَّةِ لَا تُضْطَرُّ إِلَيْهِمْ عَامَّةُ الْخَلْقِ  
وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُمُ الْخَوَاصُّ يَمُنُّ أَقْبَلَ عَلَى دِينِهِ وَإِنْ أَمْسِجَ إِلَى الْفِتْيَا وَالْقَضَاءِ  
فِي الْخُصُومَاتِ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْإِضْطِرَّارِ وَالْعُومُورِ فَيَقَعُ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْ هَوْلَاءِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَإِنَّمَا يَهْتَمُّ بِإِقَامَةِ مَرَاسِمِهِمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِمَا نَالَهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الصَّالِحِ فَيَقْسِمُ لَهُمْ  
حَظًّا مِنَ الرِّزْقِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ لَا يُسَاوِيهِمْ بِأَهْلِ  
الشَّرَكَةِ وَلَا بِأَهْلِ الصَّنَائِعِ مِنْ حَيْثُ الدِّينُ وَالْمَرَامِسُ الشَّرْعِيَّةُ لَكِنَّهُ يَقْسِمُ بِحَسَبِ  
عُومُورِ الْحَاجَةِ وَضَرُورَةِ أَهْلِ الْعُمَرَاءِ فَلَا يَصِحُّ فِي قِسْمِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ وَهُمْ أَيْضًا لِشَرَفِ  
بَضَائِعِهِمْ أَغْرَةً عَلَى الْخَلْقِ وَعِنْدَ نَفْسِهِمْ فَلَا يَخْضَعُونَ لِأَهْلِ الْجَاهِ حَتَّى يَنَالُوا مِنْهُ حَظًّا  
يَسْتَدِرُّونَ بِهِ الرِّزْقَ بَلْ وَلَا تَفْرَغُ أَوْقَاتُهُمْ لِذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهِذِهِ الْبَضَائِعِ  
الشَّرِيفَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَالْبَدَنِ بَلْ وَلَا يَسَعُهُمْ أَيْتِدَالُ أَنْفُسِهِمْ لِأَهْلِ  
الدُّنْيَا لِشَرَفِ بَضَائِعِهِمْ فَهُمْ يَمْرُلُ عَنْ ذَلِكَ فَلِذَلِكَ لَا تَعْظُمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْعَالِبِ وَلَقَدْ  
بَاحَثْتُ بَعْضَ الْفُضَلَاءِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَوَقَعَ بِيَدِي أَوْرَاقٌ مُخَرَّقَةٌ مِنْ حِسَابَاتِ الدَّوَاوِينِ

بِدَارِ الْمَأْمُونِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَكَانَ فِيمَا طَالَتْ فِيهِ أَرْزَاقُ الْقُضَاةِ وَالْأَنْتَةِ وَالْمُؤَذِّنِينَ فَوَقَفْتُهُ عَلَيْهِ وَعَلِمَ مِنْهُ صِحَّةُ مَا قُلْتُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَضَيْنَا الْعَجَبَ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَوَالِيهِ وَاللَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثامن

في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنْحَاهُ وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْخَضِرِ فِي الْغَالِبِ وَلَا مِنْ الْمُتَرَفِّينَ وَيَخْتَصُّ مُنْتَحِلُهُ بِالْمَذَلَّةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى السِّكَّةَ يَبْغُضُ دُورَ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُ الدُّنْجُ وَحَمَلَهُ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ وَتَرَجَّمَ عَلَيْهِ بَابٌ مَا يُخْذَرُ مِنْ عَوَاقِبِ الْإِسْتِغَالِ بِآلَةِ الزَّرْعِ أَوْ تَجَاوِزِ الْحَدِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَالسَّبَبُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْمَغْرَمِ الْمُقْضِي إِلَى التَّحْكُمِ وَالْيَدُ الْعَالِيَةِ فَيَكُونُ الْعَارِمُ ذَلِيلًا بَائِسًا يَأْتِنَاوُلُهُ أَيْدِي الْقَهْرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الرِّسَاةُ مَغْرَمًا إِشَارَةً إِلَى الْمَلِكِ الْعَضُوضِ الْقَاهِرِ لِلنَّاسِ الَّذِي مَعَهُ النَّسْلُطُ وَالْجُورُ وَنِسْيَانُ حُقوقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَشْمُولَاتِ وَاعْتِبَارُ الْحُقُوقِ كُلِّهَا مَغْرَمٌ لِلْمُلُوكِ وَالِدُّوْلِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

إِعْلَمْ أَنَّ التِّجَارَةَ مُحَاوَلَةُ الْكَسْبِ بِثَنِيَّةِ الْمَالِ بِشِرَاءِ السِّلَعِ بِالرُّخْصِ وَبَيْعِهَا بِالْغَلَاءِ أَيَّامَ كَانَتْ السِّلَعَةُ مِنْ دَقِيقٍ أَوْ زَرْعٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ قِمَاشٍ وَذَلِكَ الْقَدَرُ النَّامِي بِسَمَى رِجَالًا فَالْمُحَاوِلُ لِذَلِكَ الرَّبْحِ إِمَّا أَنْ يَخْتَرِنَ السِّلَعَةَ وَيَتَحَيَّنَ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ مِنَ الرُّخْصِ إِلَى الْغَلَاءِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَإِمَّا أَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ تَنْفَقُ فِيهِ تِلْكَ السِّلَعَةُ أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا فِيهِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنَ التُّجَّارِ لَطَبِ الْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ أَنَا أَعْلَمُهَا لَكَ فِي كَلِمَتَيْنِ اشْتَرَاهُ الرِّخِيسِ وَبَيْعُ الْغَالِي فَقَدْ حَصَلَتِ التِّجَارَةُ إِشَارَةً مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي قَرَّرْنَاهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ



## الفصل العاشر

في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينبغي له اجتناب حرفها  
 قد قدمنا أن معنى التجارة تنمية المال بـشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من  
 ثمن الشراء إما بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأعلى أو بيعها  
 بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة إلى أصل المال يسير إلا أن المال إذا  
 كان كثيراً عظم الربح لأن القليل في الكثير كبير ثم لا بد في محاولة هذه  
 التنمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في  
 تقاضي أثمانها وأهل النصفة قليل فلا بد من العسر والتلفيف المجهف بالبضائع  
 ومن السطو في الأثمان المجهف بالربح كتهليل المحاولة في تلك الددة وبها غاؤه  
 ومن الجور والإنكار السحت لرأس المال إن لم يتقيد بالكتاب والشهادة  
 وغنى الحكماء في ذلك قليل لأن الحكم إنما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك  
 وحوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح إلا يعظم الغناء والمشقة  
 أو لا يحصل أو يتلاشى رأس ماله فإن كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد  
 المماحكة مثدماً على الحكماء كان ذلك أقرب له إلى النصفة بجرائته منهم  
 أمماحكته وإلا فلا بد له من جاهد يدرع به يوقع له التهمة عند الباعة ويحصل  
 الحكماء على إنصافه من معامليه فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعاً في الأول  
 وكرهاً في الثاني وأما من كان فاقداً للجرأة والإقدام من نفسه فاقداً الجاه من الحكماء  
 فينبغي له أن يجتنب الاحتراف بالتجارة لأنه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير  
 مأكلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لأن الغالب في الناس وخموصاً الرئاع والباعة  
 شرهون إلى ما في أيدي الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الأحكام لأصبحت  
 أموال الناس زبياً ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله  
 ذو فضل على العالمين

## الفصل الحادي عشر

في ان خلق التجار نازلة عن خاق الاشراف والملوك  
 وذلك أن التجار في غايب أحوالهم إنما يعاؤون البيع والشراء ولا بد فيه من

الْمُكَايَسَةِ ضَرُورَةٌ فَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَيْهَا اقْتَصِرَتْ بِهِ عَلَى خُلُقِهَا وَهِيَ أَعْنِي خُلُقَ الْمُكَايَسَةِ  
بَعِيدَةٌ عَنِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي تَتَخَلَّقُ بِهَا الْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ وَأَمَّا إِنْ اسْتُزِيلَ خُلُقُهُ بَأَ يَتَّبِعِ  
ذَلِكَ فِي أَهْلِ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنْهُمْ مِنْ الْمُتَحَاكَةِ وَالنَّشْرِ وَالْخِلَابَةِ وَتَعَاهِدِ الْإِيْمَانِ  
الْكَاذِبَةِ عَلَى الْإِيْمَانِ رَدًّا وَقَوْلًا فَاجِدِرُ بِذَلِكَ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ فِي عَايَةِ الْمَذَلَّةِ لِمَا  
هُوَ مَعْرُوفٌ وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ الرِّئَاسَةِ يَتَحَاكَمُونَ الْإِحْتِرَافَ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ لِأَجْلِ مَا يُكَسِّبُ  
مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُمْ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَيَتَحَاكَمُهُ لِشَرَفِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ  
جَلَالِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي النَّادِرِ بَيْنَ الْوُجُودِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَهُوَ رَبُّ  
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

## الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر للسلع

التَّاجِرُ الْبَصِيرُ بِالْبِجَارَةِ لَا يَنْقُلُ مِنَ السِّلَعِ إِلَّا مَا تَعْمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ  
وَالسُّلْطَانِ وَالسُّوقَةِ إِذْ فِي ذَلِكَ نَفَاقُ سِلْعَتِهِ وَأَمَّا إِذَا اخْتَصَّ نَقْلَهُ بِأَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَعْضُ  
فَقَطْ فَقَدْ يَتَعَذَّرُ نَفَاقُ سِلْعَتِهِ حِينَئِذٍ بِإِعْوَازِ الْإِرَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْبَعْضِ لِعَارِضٍ مِنَ الْعَوَارِضِ  
فَتَكْسُدُ سُوقُهُ وَتَفْسُدُ أَرْبَاحُهُ وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلَ السِّلْعَةَ الْمُحْتَاجَ إِلَيْهَا فَإِنَّمَا يَنْقُلُ  
الْوَسْطَى مِنْ صِنْفٍ فَإِنَّ الْعَالِيَّ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ السِّلَعِ إِنَّمَا يُخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ الرُّوَّةِ  
وَحَاشِيَةُ الدَّوْلَةِ وَهُمْ الْأَقْلَى وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّاسُ أَسْوَةً فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْوَسْطَى مِنْ كُلِّ  
صِنْفٍ فَلْيَتَحَرَّ ذَلِكَ جِهْدُهُ فَنِيهِ نَفَاقُ سِلْعَتِهِ أَوْ كَسَادُهَا وَكَذَلِكَ نَقْلُ السِّلَعِ مِنَ الْبَلَدِ  
الْبَعِيدِ الْمَسَافَةِ أَوْ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ فِي الطَّرِيقَاتِ يَكُونُ أَكْثَرُ فَايِدَةٍ لِلتَّجَارِ وَأَعْظَمُ  
أَرْبَاحًا وَأَكْفَلُ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ لِأَنَّ السِّلْعَةَ الْمُنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مَعُوزَةً  
لِبُعْدِ مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْغَرَرِ فِي طَرِيقِهَا فَيَنْبَغُ حَامِلُهَا وَيَبِزُّ وَجُودُهَا وَإِذَا نَقَلَتْ وَغَرَّتْ  
غَلَّتْ أَثْمَانُهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ الْمَسَافَةِ وَالطَّرِيقُ سَابِلًا بِالْأَمْنِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ  
يَكْثُرُ نَاقِلُهَا فَتَكْثُرُ وَتَرْتَخِصُ أَثْمَانُهَا وَلِهَذَا تَجِدُ التَّجَارَ الَّذِينَ يُوَلَّعُونَ بِالْإِدْخُولِ إِلَى  
بِلَادِ السُّودَانِ أَرْفَهُ النَّاسِ وَأَكْثَرُهُمْ أَمْوَالًا لِبُعْدِ طَرِيقِهِمْ وَشَقَّتِهِ وَأَعْتِرَاضِ الْمَفَازَةِ  
الصَّعْبَةِ الْمُخْطَرَةِ بِالْخُوفِ وَالْعَطَشِ لَا يُوجَدُ فِيهَا الْمَاءُ إِلَّا فِي أَمَا كِنْ مَعْلُومَةٍ يَهْتَدِي  
إِلَيْهَا أَدْلَاءُ الرُّكَبَانِ فَلَا يَوْتَكِبُ خَطَرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبُعْدَهُ إِلَّا الْأَقْلَى مِنَ النَّاسِ فَتَجِدُ



سَلَعَ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةً أَدْنَى فَتَخْتَصُّ بِالْغَلَاءِ وَكَذَلِكَ سَاعُنَا لَدَيْهِمْ فَتَغْطُمُ بَضَائِعُ الشَّجَارِ مِنْ تَنَاقُلِهَا وَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغَنَى وَالزُّرَّةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْمَسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا إِلَى الْمَشْرِقِ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ أَيْضًا وَأَمَّا الْمُتَرَدِّدُونَ فِي أَفْقٍ وَاحِدٍ مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ وَبُلْدَانِهِ فَمَنْدُتُهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَرْبَابُهُمْ تَفِيهَةٌ لِكثْرَةِ السِّلَعِ وَكَثْرَةِ نَاقِلِيهَا وَاللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ

### الفصل الثالث عشر

#### في الاحتكار

وَمِمَّا اشْتَرَعَ عِنْدَ ذَوِي الْبَحْرِ وَالتَّجَرِبَةِ فِي الْأَمْصَارِ أَنَّ احْتِكَارَ الرُّعْرِ لِيَحْتَنُ أَرْقَاتِ الْغَلَاءِ مَشُومٌ وَأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى فَايِدَتِهِ بِالتَّكْلِفِ وَالْخُسْرَانِ وَمَسِيئَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى الْأَقْوَاتِ مُضْطَرُّونَ إِلَى مَا يَبْدُلُونَ فِيهَا مِنَ التَّالِ اضْطِرَّارًا فَتَبْقَى النَّفْسُ مُتَعَلِّقَةً بِهِ وَفِي تَعَلُّقِ النَّفْسِ بِمَا لَهَا سِرٌّ كَبِيرٌ فِي وَبَالِهِ عَلَى مَنْ يَأْخُذُهُ مَجَانًا وَلَعَلَّهُ الَّذِي أَعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ فِي اخْتِادِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَجَانًا فَالْنَّفْسُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِإِعْطَائِهِ ضَرُورَةً مِنْ غَيْرِ سَعَةٍ فِي الْعُذْرِ فَهُوَ كَالْمُكْرِهِ وَمَا عَدَا الْأَقْوَاتِ وَالنَّاسُ كَوَلَاتٍ مِنَ الْمَسِيئَاتِ لَا اضْطِرَّارَ لِلنَّاسِ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهَا التَّفَنُّنُ فِي الشَّهَوَاتِ فَلَا يَبْدُلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيهَا إِلَّا بِاخْتِيَارٍ وَحِرْصٍ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِمَا أَعْطَوْهُ فَلِهَذَا يَكُونُ مَنْ عُرِفَ بِالِاحْتِكَارِ تَجْتَمِعُ الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ لِمَا يَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَفْسُدُ رِبْحُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَسَمِعْتُ فِيمَا يُنَاسِبُ هَذَا حِكَايَةَ ظَرِيفَةٍ عَنْ بَعْضِ مَشِيخَةِ الْمَغْرِبِ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِيُّ قَالَ حَضَرْتُ عِنْدَ الْقَاضِي بِفَاسٍ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ التَّلِيلِيُّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ بَعْضُ الْأَلْبَابِ الْمَخْزَنِيَّةَ لِحَرَائِثِهِ قَالَ فَاطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ مِنْ مَكْسِ الْخُسْرِ فَاسْتَضَحَكَ الْخَاضِرُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَجِبُوا وَسَأَلُوهُ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ الْجَبَايَاتُ كُلُّهَا حَرَامًا فَاخْتَارُ مِنْهَا مَا لَا تُتَابَعُهُ نَفْسُ مُعْطِيهِ وَالْخُسْرُ قَلٌّ أَنْ يَبْدَلَ فِيهَا أَحَدٌ مَالَهُ إِلَّا وَهُوَ طَرِبٌ مَسْرُورٌ بِوُجُودَاتِهِ غَيْرُ أَسْفٍ عَلَيْهِ وَلَا مُتَعَلِّقٌ بِهِ نَفْسُهُ وَهَذِهِ مُلَاحَظَةٌ غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ الصُّدُورُ

## الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ وَالْمَعَاشَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالصَّنَائِعِ أَوْ التِّجَارَةِ  
وَالْتِّجَارَةُ هِيَ شِرَاءُ الْبَضَائِعِ وَالتَّبَاعِ وَأَدِّخَارُهَا يَتَحَيَّنُ بِهَا حَوَالَةُ الْأَسْوَاقِ بِالزِّيَادَةِ فِي  
أَثْمَانِهَا وَيُسَمَّى رِبْحًا وَيَحْصُلُ مِنْهُ الْكَسْبُ وَالْمَعَاشُ لِلْمُحْتَرِفِينَ بِالتِّجَارَةِ دَائِمًا فَإِذَا  
اسْتُدِيمَ الرَّخْصُ فِي سِلْعَةٍ أَوْ عَرَضٍ مِنْ مَأْكُولٍ أَوْ مَلْبُوسٍ أَوْ مُتَمَوِّلٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
وَلَمْ يَحْصُلْ لِلتَّاجِرِ حَوَالَةُ الْأَسْوَاقِ فَسَدَ الرِّبْحُ وَالنِّسَاءُ بِطُولِ تِلْكَ الْمُدَّةِ وَكَسَدَتْ  
سُوقُ ذَلِكَ الصِّنْفِ فَقَعَدَ التُّجَّارُ عَنِ السَّعْيِ فِيهَا وَفَسَدَتْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ  
أَوَّلًا بِالزَّرْعِ فَإِنَّهُ إِذَا اسْتُدِيمَ رِخْصُهُ يَفْسُدُ بِهِ حَالُ الْمُحْتَرِفِينَ بِسَائِرِ أَطْوَارِهِ مِنْ  
الْمَلْحِ وَالزَّرَاعَةِ إِيَّاهُ الرِّبْحُ فِيهِ وَنَدَارَتِهِ أَوْ فَقْدِهِ فَيَفْقُدُونَ النِّمَاءَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ  
يَبْذُونَهُ عَلَى قِلَّةٍ وَيَعُودُونَ بِالْإِذْنِاقِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَيَصِيدُونَ  
إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ فَسَادُ سَائِلِ الْمُحْتَرِفِينَ أَيْضًا بِالطَّحْنِ وَالْحَبْرِ وَسَائِرِ مَا  
يَتَعَلَّقُ بِالزَّرَاعَةِ مِنَ الْحَرْثِ إِلَى صِدُورَتِهِ مَأْكُولًا وَكَذَا يَفْسُدُ حَالُ الْجُنْدِ إِذَا كَانَتْ  
أَرْزَاقُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ الْمَلْحِ زَرْعًا فَإِنَّهَا تَبْلُ جَبَايَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْرِضُونَ عَنْ  
إِقَامَةِ الْجُنْدِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِسَبِيحًا وَمُطَالَبُونَ بِهَا وَمُنْقَطِعُونَ لَهَا فَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَكَذَا إِذَا  
اسْتُدِيمَ الرَّخْصُ فِي الشُّكْرِ أَوْ الْعَسَلِ فَسَدَ جَمِيعُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَقَعَدَ الْمُحْتَرِفُونَ عَنْ  
التِّجَارَةِ فِيهِ وَكَذَا الْمَلْبُوسَاتُ إِذَا اسْتُدِيمَ فِيهَا الرَّخْصُ فَإِذَا الرَّخْصُ الْمَفْرُطُ يُجْهِفُ  
بِمَعَاشِ الْمُحْتَرِفِينَ بِذَلِكَ الصِّنْفِ الرَّخِيسِ وَكَذَا الْغَلَاءُ الْمَفْرُطُ أَيْضًا وَإِنَّمَا مَعَاشُ  
النَّاسِ وَكَسْبُهُمْ فِي التَّوَسُّطِ مِنْ ذَلِكَ وَسُرْعَةُ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَعِلْمُ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
الْعَوَائِدِ الْمُتَقَرَّرَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ وَإِنَّمَا يُحْمَدُ الرَّخْصُ فِي الزَّرْعِ مِنْ بَيْنِ الْمَسِيَعَاتِ  
لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَأَضْطِرَّارِ النَّاسِ إِلَى الْأَقْوَاتِ مِنْ بَيْنِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْعَالَةِ مِنْ  
الْخَلْقِ هُمْ الْأَكْثَرُ فِي الْعُمَرَانِ فَيُعْمَرُ الرِّفْقُ بِذَلِكَ وَيُوجَّحُ جَانِبُ الْقَوْتِ عَلَى جَانِبِ  
التِّجَارَةِ فِي هَذَا الصِّنْفِ الْخَاصِ وَاللَّهُ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ



## الفصل الخامس عشر

في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة عن المروءة

قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد والأرباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمناحكة والتخذاق وتمارسة الخصومات واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الأوصاف نثني من الذكاء والمروءة وتخرج فيها لأن الأفعال لا بد من عود أثرها على النفس فأفعال الخير تهود بإثار الخير والزركاء وأفعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتسكن وترسخ إن سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير إن تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن الأفعال وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم فمن كان منهم سافل الطور مخالفا لأشرار الباعة أهل العشر والظلمة والفجور في الأثمان وإقرارا وإنكارا كانت رداءة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المروءة واكتسابها بالجملة وإلا فلا بد له من تأييد المكايسة والمناحكة في مروءته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله أنهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر ذلك أن يكون الدال قد يوجد عنده دفعة يتوع خريب أو ورثة عن أحد من أهل بيته فخصت له ثروة تبعه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظورا وشورة بين أهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من وكلائه وحشمه ويسهل له الحكام النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره وإتخافه فيبيدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فتكون مروءتهم أرسخ وأبعد عن تلك الحاجة إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب فإنهم يضطرون إلى مشارقة أحوال أولئك الوكلاء ورفاقهم أو خلافهم فيما يأتون أو يذرون من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وما تعملون

## الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم

اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ويكونه علميا هو جسماني

مَحْسُوسٌ وَالْأَحْوَالُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْمَحْسُوسَةُ فَتَقْلًا بِالْمُبَاشَرَةِ أَوْعِبُ لَهَا رَأْسُ كُلِّ لَأَن  
 الْمُبَاشَرَةُ فِي الْأَحْوَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ أَمَّ فَائِدَةً وَالْمَلَكَةُ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ تَحْصُلُ  
 عَنْ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى تَرَسَّحَ صُورَتُهُ وَعَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ  
 تَكُونُ الْمَلَكَةُ وَتَقْلُ الْمَعَانِيَةِ أَوْعِبُ وَأَمَّ مِنْ نَقْلِ الْخَبَرِ وَالْعِلْمِ فَالْمَلَكَةُ أَسَاصُ  
 عَنْ الْخَبَرِ عَلَى قَدَرِ جُودَةِ التَّعْلِيمِ وَمَلَكَةُ الْمُتَعَلِّمِ فِي الصَّنَاعَةِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ ثُمَّ  
 إِنَّ الصَّنَائِعَ مِنْهَا الْبَسِيطُ وَمِنْهَا الْمُرَكَّبُ وَالْبَسِيطُ هُوَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالضَّرُورِيَّاتِ  
 وَالْمُرَكَّبُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِلْكَمَالِيَّاتِ وَالْمُتَقَدِّمِ مِنْهَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْبَسِيطُ لِبَسَاطَتِهِ  
 أَوَّلًا وَلِأَنَّهُ مُخْتَصٌّ بِالضَّرُورِيِّ الَّذِي تَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ فَيَكُونُ سَابِقًا فِي التَّعْلِيمِ  
 وَيَكُونُ تَعْلِيمُهُ نَاقِصًا وَلَا يَزَالُ الْفِكْرُ يُخْرِجُ أَصْنَافَهَا وَمُرَكَّبَاتِهَا مِنْ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
 بِالْإِسْتِنْبَاطِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى التَّدْرِيجِ حَتَّى تَكْمُلَ وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ دَفْعَةً وَإِنَّمَا يَحْصُلُ  
 فِي أَزْمَانٍ وَأَجْيَالٍ إِذْ خُرُوجُ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً لَا سِيَّمَا  
 فِي الْأُمُورِ الصَّنَاعِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهُ إِذَنْ مِنْ زَمَانٍ وَلِهَذَا تَجِدُ الصَّنَائِعَ فِي الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ  
 نَاقِصَةً وَلَا يُوجَدُ مِنْهَا إِلَّا الْبَسِيطُ فَإِذَا تَرَايَدَتْ حَضَارَتُهَا وَدَعَتْ أُمُورُ التَّرَفِّ فِيهَا إِلَى  
 اسْتِعْمَالِ الصَّنَائِعِ خَرَجَتْ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَتَنْقَسِمُ الصَّنَائِعُ أَيْضًا إِلَى مَا يَخْتَصُّ  
 بِأَمْرِ الْمَعَاشِ ضَرُورِيًّا كَأَنْ أَوْ غَيْرَ ضَرُورِيِّ وَإِلَى مَا يَخْتَصُّ بِالْأَفْكَارِ الَّتِي هِيَ خَاصِيَّةُ  
 الْإِنْسَانِ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَمِنْ الْأَوَّلِ الْحَيَاكَةُ وَالْجِرَارَةُ وَالتِّجَارَةُ  
 وَالْحَدَادَةُ وَأَمْثَالُهَا وَمِنْ الثَّانِي الْوَرَاقَةُ وَهِيَ مُعَانَةُ الْكُتُبِ بِالْإِنْتِسَاحِ وَالتَّجْلِيدِ وَالْعِنَاءِ  
 وَالشِّعْرِ وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَمِنْ الثَّلَاثِ الْجُنْدِيَّةُ وَأَمْثَالُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السابع عشر

فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْمُلُ بِكَمَالِ الْعِمْرَانِ الْحَضَرِيِّ وَكَثْرَتِهِ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ يُسْتَوْفَ الْعِمْرَانُ الْحَضَرِيُّ وَتَتَمَدَّنْ الْمَدِينَةُ  
 إِنَّمَا هُمْ فِي الضَّرُورِيِّ مِنَ الْمَعَاشِ وَهُوَ تَحْصِيلُ الْأَقْوَاتِ مِنَ الْخِنْطَةِ وَغَيْرِهَا فَإِذَا  
 تَمَدَّنَتْ الْمَدِينَةُ وَتَرَايَدَتْ فِيهَا الْأَعْمَالُ وَوَفَتْ بِالضَّرُورِيِّ وَزَادَتْ عَلَيْهِ صَرْفَ الزَّائِدِ  
 حِينَئِذٍ إِلَى الْكَتَالَاتِ مِنَ الْمَعَاشِ ثُمَّ إِنَّ الصَّنَائِعَ وَالْعُلُومَ إِنَّمَا هِيَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ  
 حَيْثُ فِكْرُهُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْقُوتُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالْعِدَائِيَّةُ فَهُوَ



مَقْدَمُ لُضْرُورِيَّتِهِ عَلَى الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الضَّرُورِيِّ وَعَلَى مِقْدَارِ عُمُرَانِ  
الْبَلَدِ تَكُونُ جُودَةُ الصَّنَائِعِ لِلتَّائِقِ فِيهَا حَيْثُذِ وَأَسْتِجَادَةٌ مَا يُطْلَبُ مِنْهَا بِحَيْثُ تَتَوَفَّرُ  
دَوَائِي التَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ وَأَمَّا الْعُمُرَانُ الْبَدَوِيُّ أَوْ الْقَلِيلُ فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا  
الْبَسِيطَ خَاصَّةً الْمُسْتَعْمَلِ فِي الضَّرُورِيَّاتِ مِنْ نَجَارٍ أَوْ حَدَادٍ أَوْ خِيَّاطٍ أَوْ حَانِكٍ أَوْ  
جَزَّارٍ وَإِذَا وَجِدَتْ هَذِهِ بَعْدُ فَلَا تُوجَدُ فِيهِ كَامِلَةٌ وَلَا مُسْتِجَادَةٌ وَإِنَّمَا يُوجَدُ مِنْهَا بِمِقْدَارِ  
الضَّرُورَةِ إِذْ هِيَ كُلُّهَا وَسَائِلُ إِلَى غَيْرِهَا وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةٌ لِدَاتِهَا وَإِذَا زَخَرَ بَحْرُ الْعُمُرَانِ  
وُطِّلَتْ فِيهِ الْكَمَالَاتُ كَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا التَّائِقُ فِي الصَّنَائِعِ وَأَسْتِجَادَتِهَا فَكُمُلَتْ  
بِجَمِيعِ مُتِمَّاتِهَا وَتَرَايَدَتْ صَنَائِعُ أُخْرَى مَعَهَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ التَّرَفِ وَأَحْوَالُهُ مِنْ  
جَزَّارٍ وَدَبَّاعٍ وَخَرَّازٍ وَصَائِغٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَنْتَهِي هَذِهِ الْأَصْنَافُ إِذَا اسْتَبَحَرَ الْعُمُرَانُ  
إِلَى أَنْ يُوجَدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالتَّائِقُ فِيهَا فِي الْغَايَةِ وَتَكُونُ مِنْ وُجُوهِ الْمَعَاشِ  
فِي الْمِصْرِ لِمُنْتَجِلِهَا بَلْ تَكُونُ فَائِدَتُهَا مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ الْأَعْمَالِ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُ  
فِي الْمَدِينَةِ مِثْلَ الدَّهَانِ وَالصَّفَّارِ وَالْحَمَامِيِّ وَالطَّبَّاعِ وَالشَّعَّاعِ وَالْهَرَّاسِ وَمُعَلِّمِ الْغِنَاءِ  
وَالرَّقْصِ وَقَرَعِ الطُّبُولِ عَلَى التَّوْقِيعِ وَمِثْلَ الْوَرَّاقِينَ الَّذِينَ يُعَاوَنُونَ صِنَاعَةَ انْتِسَاخِ  
الْكَتُبِ وَتَجْلِيدِهَا وَتَضْحِيحِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُ فِي الْمَدِينَةِ  
مِنْ الْإِسْتِغَالِ بِالْأُمُورِ الْفِكْرِيَّةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ إِذَا كَانَ الْعُمُرَانُ  
خَارِجًا عَنِ الْحَدِّ كَمَا بَلَّغْنَا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُعَلِّمُ الطُّيُورَ الْعُجَمَ وَالْخُمْرَ  
الْإِنْسِيَّةَ وَيَتَحَيَّلُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَجَائِبِ بِإِيْهَامِ قَلْبِ الْأَعْيَانِ وَتَعْلِيمِ الْحِدَاءِ وَالرَّقْصِ  
وَالْمَشْيِ عَلَى الْخَيْوِطِ فِي الْهَوَاءِ وَرَفْعِ الْأَثْقَالِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْحِجَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تُوجَدُ عِنْدَنَا بِالْمَغْرِبِ لِأَنَّ عُمُرَانَ أَمْصَارِهِ لَمْ يَبْلُغْ عُمُرَانَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ  
أَدَامَ اللَّهُ عُمُرَانَهَا بِالْمُسْلِمِينَ

### الفصل الثامن عشر

فِي أَنْ رَسُوخَ الصَّنَائِعِ فِي الْأَمْصَارِ إِنَّمَا هُوَ بِرَسُوخِ الْحَضَارَةِ وَطُولِ أَمَدِهِ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا عَوَائِدُ الْعُمُرَانِ وَالْأَوَانِ وَالْعَوَائِدُ إِنَّمَا  
تُرْسَخُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَطُولِ الْأَمَدِ فَتَسْتَحْكِمُ صِبْغَةَ ذَلِكَ وَتُرْسَخُ فِي الْأَجْيَالِ  
وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الصِّبْغَةُ عَسَرَ تَزْعُمُهَا وَلِهَذَا نَجِدُ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي كَانَتْ اسْتَبَحَرَتْ فِي

الْحَضَارَةُ لَمَّا تَرَاجَعَ عُمرَانُهَا وَتَنَاقَصَ بَقِيَّتُ فِيهَا آثَرٌ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا  
مِنَ الْأَمْحَارِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْعُمرَانِ وَلَوْ بَلَغَتْ مَبَالِغَهَا فِي الْوُفُورِ وَالْكَثْرَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا  
لَأَنَّ أَحْوَالَ تِلْكَ الْقَدِيمَةِ الْعُمرَانِ مُسْتَحْكِمَةٌ رَاسِخَةٌ بِطُولِ الْأَحْقَابِ وَتَدَاوُلِ الْأَحْوَالِ  
وَتَكَرُّرِهَا وَهَذِهِ لَمْ تَبْلُغِ الْغَايَةَ بَعْدُ وَهَذَا كَالْحَالِ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَبْدِ فَإِنَّا نَجِدُ  
فِيهَا رُسُومَ الصَّنَائِعِ قَائِمَةً وَأَحْوَالَهَا مُسْتَحْكِمَةً رَاسِخَةً فِي جَمِيعِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ  
أَمْصَارِهَا كَالْمَبَانِي وَالطَّبِيعِ وَأَصْنَافِ الْبِنَاءِ وَاللُّزُومِ مِنَ الْآلَاتِ وَالْأَوْتَارِ وَالرَّقْصِ  
وَتَنْضِيدِ الْفُرُشِ فِي الْقُدُورِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالْأَوْضَاعِ فِي الْبِنَاءِ وَصُوغِ الْآيَةِ مِنْ  
الْمَعَادِنِ وَالْخَرْفِ وَجَمِيعِ التَّوَاتُؤِ وَإِنَامَةِ الْوَلَايِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي  
يَدْعُو إِلَيْهَا اللَّذَفُ وَعَوَائِدُهُ فَتَجِدُهُمْ أَقْوَمَ عَلَيْهَا وَأَبْصَرَ بِهَا وَنَجِدُ صَنَائِعَهَا مُسْتَحْكِمَةً  
لَدَيْهِمْ فَهُمْ عَلَى حِصَّةٍ مَوْفُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَحَظٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَإِنْ كَانَ  
عُمرَانُهَا قَدْ تَنَاقَصَ وَالْكَثِيرُ مِنْهُ لَا يُسَاوِي عُمرَانِ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْعُدُودِ وَمَا ذَاكَ  
إِلَّا بِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ دُسُخِ الْحَضَارَةِ فِيهِمْ بِدُسُخِ الدَّوْلَةِ الْأُمْرِيَّةِ وَمَا قَلَمَا مِنْ دَوْلَةٍ  
الْقُوطِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَوْلَةِ الطَّوَاتِفِ وَهَلُمَّ جَرَأً فَلَبِغَتْ الْحَضَارَةُ فِيهَا مَبْلَغًا لَمْ تَبْلُغْهُ فِي قَطْرِ  
إِلَّا مَا يُنْقَلُ عَنِ الْبِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ أَيْضًا لِطُولِ آمَادِ الدُّوَلِ فِيهَا فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا  
الصَّنَائِعُ وَكَمَلَتْ جَمِيعُ أَصْنَافِهَا عَلَى الْإِسْتِجَادَةِ وَالتَّشْيِيقِ وَبَقِيَّتْ صِبْغُهَا ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ  
الْعُمرَانِ لَا تُفَارِقُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَضِخَ بِالْكُلِّيَّةِ حَالُ الصِّبْغِ إِذَا رَسَخَ فِي الثُّوبِ وَكَذَا  
أَيْضًا حَالُ ثَوْبٍ فِيَا حَصَلَ فِيهَا بِالْحَضَارَةِ مِنَ الدُّوَلِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَالْمُوحِدِينَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَمَا اسْتَكْمَلَ لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
دُونَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَضَافٌ بِرُسُومِهَا تُنْقَلُ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ لِقُرْبِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا  
وَتَوَدُّدِ الْمُسَافِرِينَ مِنْ قَطْرِهَا إِلَى قَطْرِ مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَرُبَّمَا سَكَنَ أَهْلُهَا هُنَاكَ  
عُصُورًا فَيَنْتَقِلُونَ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِيهِمْ وَمُحْكَمِ صَنَائِعِهِمْ مَا يَقَعُ لَدَيْهِمْ مَوْقِعَ الْإِسْتِحْسَانِ  
فَصَارَتْ أَحْوَالُهَا فِي ذَلِكَ مُتَشَابِهَةً مِنْ أَحْوَالِ مِصْرَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ  
لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ مَا كُنِيَ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ حِينَ أَجْلَاءَ لِعَهْدِ الْبَائَةِ السَّابِعَةِ وَرَسَخَ  
فِيهَا مِنْ ذَلِكَ أَحْوَالُ وَإِنْ كَانَ عُمرَانُهَا لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّ الصِّبْغَةَ  
إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فَقَلِيلًا مَا تَحُولُ إِلَّا بِزَوَالِ مَحَلِّهَا وَكَذَا نَجِدُ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَرَّاكِشَ وَقَلْعَةَ



ابن حماد أثراً باقياً من ذلك وإن كانت هذه كلها اليوم خراباً أو في حكم الخراب ولا يتفطن لها إلا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع أثراً تدلُّه على ما كان بها كثر الخط الممخور في الكتاب والله الخلاق العليم

### الفصل التاسع عشر

ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالبها

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن الإنسان لا يستح بعمله أن يقع مبخناً لأنه كسبه ومنه معاشه إذ لا فائدة له في جميع غيره في شيء مما سواه فلا يضره إلا فيما له قيمة في مضره ليعود عليه بالنفع وإن كانت الصناعة مطلوبة وتوجه إليها التفات كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فتجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا توجه قصد إلى تعلمها فاختصت بالتدرك وفقدت للإهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل أمرىء ما يحسن يستغنى أن صناعة هي قيمة أي قيمة عمله الذي هو معاشه وأيضاً فهنا سر آخر وهو أن الصنائع وإجادتها إنما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطالبات إليها وما لم تطلبه الدولة وإنما يطلبها غيرها من أهل البصر فليس على نسبتها لأن الدولة هي السوق الأعظم وفيها نفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق منها كان أكثرياً ضرورة والسوق وإن طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بناقصة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

### الفصل العشرون

في ان الامصار اذا قاربت الحراب انتقضت منها الصنائع

وذلك لما بينا أن الصنائع إنما تستجد إذا أحشج إليها وكثر طالبها وإذا ضعفت أحوال البصر وأخذ في الهرم بانتقاض عمرانه وقلة ساكنيه تناقص فيه الدف ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع الدف لأن صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فيفر إلى غيرها أو يموت ولا يكون خاف منه

فَيَذْهَبُ رَسْمُ تِلْكَ الصَّنَائِعِ جُمْلَةً كَمَا يَذْهَبُ النَّقَّاشُونَ وَالصُّوَّاعُ وَالْكَتَّابُ وَالنَّسَّاجُ  
وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الصَّنَائِعِ حَاجَاتِ التَّلَفِّ وَلَا تَرَالُ الصَّنَائِعَاتُ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَ  
وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

### الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْعُرْنَانِ الْحَضَرِيِّ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا وَالْحَجْمُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ عُدُوَّةُ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
أَقْرَبُ النَّاسِ عَلَيْهَا لِأَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْعُرْنَانِ الْحَضَرِيِّ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْبَدْوِ وَغُرْنَانِهِ حَتَّى  
إِنَّ الْأَيْلَ الَّتِي أَعَانَتْ الْعَرَبَ عَلَى التَّوْحُّشِ فِي الْقَفْرِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الْبَدْوِ مَقْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَمَقْقُودَةٌ مَرَاغِيهَا وَالرِّمَالُ الْمُهَيَّئَةُ لِتَاجِهَا وَلِهَذَا نَجِدُ أَوْطَانَ الْعَرَبِ وَمَا مَلَكُوهُ  
فِي الْإِسْلَامِ قَلِيلَ الصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ حَتَّى تُجْلِبَ إِلَيْهِ مِنْ قَطْرِ آخَرٍ وَأَنْظُرَ بِلَادَ الْعَجَمِ  
مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَأَرْضِ الثُّرُكِ وَأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ كَيْفَ اسْتَكْثَرَتْ فِيهِمْ الصَّنَائِعِ  
وَأَسْتَجْلَبَهَا الْأُمَمُ مِنْ عِنْدِهِمْ وَعَجَمُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْبَرِّ بِمِثْلِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لَوْ سَوَّيْنَاهُمْ  
فِي الْبِدَاوَةِ مُنْذُ أَحْقَابِ مِنَ السِّنِينَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ قَلَّةُ الْأَمْصَارِ بِقَطْرِهِمْ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ  
فَالصَّنَائِعُ بِالْمَغْرِبِ لِذَلِكَ قَلِيلَةٌ وَغَيْرُ مُسْتَحْكِمَةٍ إِلَّا مَا كُنْ مِنْ صِنَاعَةِ الصُّوفِ مِنْ  
نَسِجِهِ وَالْجِلْدِ فِي خَرَزِهِ وَذَبِغِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَحْضَرُوا بَلَّغُوا فِيهَا التَّبَالُغَ لِعُيُومِ الْبَلَوَى بِهَا  
وَكَوْنِ هَذَيْنِ أَغْلَبَ السِّلْعِ فِي قَطْرِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَقَدْ  
رَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِ مُنْذُ مُلْكِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْفُرسِ وَالنَّبَطِ وَالْقُبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَيُونَانَ وَالرُّومِ أَحْقَابًا مُتَطَاوِلَةً فَرَسَخَتْ فِيهِمْ أحوَالُ الْحَضَارَةِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا الصَّنَائِعُ  
كَمَا قَدَّمَ نَاهُ فَلَمْ يُنَجَّ رُسْمُهَا وَأَمَّا الْيَمَنُ وَالْبَحْرَانِ وَعُمَانُ وَالْجَزِيرَةُ وَإِنْ مَلَكُهُ  
الْعَرَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ تَدَاوَلُوا مُلْكُهُ آفَاءً مِنَ السِّنِينَ فِي أُمَمٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ وَآخِطُوا  
أَمْصَارَهُ وَمُدُنَهُ وَبَلَّغُوا الْغَايَةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّلَفِّ مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَحَمِيرَ  
مِنْ بَعْدِهِمْ وَالتَّبَابِعَةَ وَالْأَذْوَاءَ فَطَالَ أَمَدُ الْمُلْكِ وَالْحَضَارَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ صِنْعُهَا وَتَوَقَّرَتْ  
الصَّنَائِعُ وَرَسَخَتْ فَلَمْ تَبَلْ بِبَلَى الدَّوَلَةِ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ فَبَقِيَتْ مُسْتَجِدَّةٌ حَتَّى الْآنَ وَآخِضَتْ بِذَلِكَ  
الْوَحْنُ كَصِنَاعَةِ الْوُشِيِّ وَالْعَصْبِ وَمَا يُسْتَجَادُ مِنْ حَوْلِ الثِّيَابِ وَالْحَرِيرِ فِيهَا وَاللَّهُ وَارِثُ



الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثاني والعشرون

فيمن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد في ملكة اخرى

وَمِثَالُ ذَلِكَ الْحَيَّاطُ إِذَا أَجَادَ مَلَكَهَ الْحَيَّاطَةَ وَأَحْكَمَهَا وَرَسَخَتْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يُجِيدُ مِنْ بَعْدِهَا مَلَكَهَ التِّجَارَةَ أَوْ الْبِنَاءَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْأُولَى لَمْ تَسْتَحْكِمْ بَعْدُ وَلَمْ تَرْسَخْ صِبْغُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَكَاتِ صِفَاتٌ لِلنَّفْسِ وَالْوَأْنُ فَلَا تَرْدَحِمُ دَفْعَةً وَمَنْ كَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ كَانَ أَسْهَلَ قَبُولِ الْمَلَكَاتِ وَأَحْسَنَ اسْتِعْدَادًا لِحُصُولِهَا فَإِذَا تَلَوَّنَتِ النَّفْسُ بِالْمَلَكََةِ الْأُخْرَى وَخَرَجَتْ عَنِ الْفِطْرَةِ ضَعُفَ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ بِاللَّوْنِ الْحَاصِلِ مِنْ هَذِهِ الْمَلَكََةِ فَكَانَ قُبُولُهَا لِلْمَلَكََةِ أضعفَ وَهَذَا بَيِّنٌ يَشْهَدُ لَهُ الْوُجُودُ فَقُلْ أَنْ تَجِدَ صَاحِبَ صِنَاعَةٍ يُحْكِمُهَا ثُمَّ يُحْكِمُ مِنْ بَعْدِهَا أُخْرَى وَيَكُونُ فِيهِمَا مَعًا عَلَى رُتَبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِجَادَةِ حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَلَكَتْهُمْ فِكْرِيَّةٌ فَهُمْ بِهِذِهِ الْمَتَابَةِ وَمَنْ حَصَلَ مِنْهُمْ عَلَى مَلَكََةِ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَأَجَادَهَا فِي الْعَالِيَةِ فَقُلْ أَنْ يُجِيدَ مَلَكََةَ عِلْمٍ آخَرَ عَلَى نِسْبَتِهِ بَلْ يَكُونُ مُقْصِرًا فِيهِ إِنْ طَلَبَهُ إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَمَنْ يَنْبَغِي سَبِيهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ وَتَلْوِينِهِ بِلَوْنِ الْمَلَكََةِ الْحَاصِلَةِ فِي النَّفْسِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثالث والعشرون

في الاشارة الى امهات الصنائع

إِعْلَمْ أَنَّ الصَّنَائِعَ فِي النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ كَثِيرَةٌ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الْمُسَدَّوَلَةِ فِي الْعُمَرَانِ فَهِيَ يَحِثُّ تَشْدُّ عَنْ الْخَضِرِ وَلَا يَأْخُذُهَا الْعَدُّ إِلَّا أَنْ مِنْهَا مَا هُوَ ضَرُورِي فِي الْعُمَرَانِ أَوْ شَرِيفٌ بِالْمَوْضِعِ فَتَحْصُهَا بِالذِّكْرِ وَنَذْرُكَ مَا سِوَاهَا فَأَمَّا الضَّرُورِي فَأَلْفَلَاخَةُ وَالْبِنَاءُ وَالْحَيَّاطَةُ وَالتِّجَارَةُ وَالْحَيَاكَةُ وَأَمَّا الشَّرِيفَةُ بِالْمَوْضِعِ فَكَاتُّوْلِيدُ وَالْكِتَابَةِ وَالْوِرَاقَةِ وَالْعِنَاءُ وَالطِّبِّ فَأَمَّا التَّوْلِيدُ فَإِنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمَرَانِ وَعَامَّةُ الْبَلَوَى إِذْ يَبْهَأُ تَحْصُلُ إِحْيَاةُ التَّوْلِيدِ وَتَمُّ غَالِبًا وَمَوْضُوعُهَا مَعَ ذَلِكَ التَّوْلِيدُونَ وَأَمَّا الطِّبُّ فَهُوَ حِفْظُ الصِّحَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَدَفْعُ الْمَرَضِ عَنْهُ وَيَتَفَرَّعُ

عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الإنسان وأما الكتابة وما يتبعها من الأوراق فهي حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن التسيان ومصلحة ضارئة النفس إلى البعيد الغائب ومجلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني وأما الغناء فهو نسب الأصوات ومظهر جمالها للأسماع وكل هذه الصنائع الثلاث دأب إلى مخالطة الملوك الأعظم في خلواتهم ومجالس أنبيهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممتحنة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي والله أعلم بالصواب

### الفصل الرابع والعشرون

#### في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة تمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وأزدياعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتسوية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما أنها مخصصة للقوت المكيل لحياة الإنسان غالباً إذ يمكن وجوده من دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو إذ قدّمنا أنه أقدم من الحضرة وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها لأن أحوالهم كلها تانية على البدوة فصنائعهم تانية عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيما أراد

### الفصل الخامس والعشرون

#### في صناعة البناء

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكين والمأوى للأبدان في المدن وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكشقة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر مختلف في هذه الجيلة الفكرية فمنهم المعتدلون فيها فيخذون ذلك باعتدال أهالي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس وأما أهل البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور



أَفْكَارِهِمْ عَنْ إِذْكَ الصَّنَاعِ الْبَشَرِيَّةِ فَيَبَادِرُونَ لِلْفِدَانِ وَالْكَهْفِ الْمَعْدَةِ مِنْ غَدِ  
عَلَّاجٍ ثُمَّ الْمُعْتَدِلُونَ الْمُتَخَذُونَ لِلْمَأْوَى قَدْ يَتَكَاثَرُونَ فِي الْبَسِيطِ الْوَاحِدِ بِحَيْثُ  
يَتَنَاكَرُونَ وَلَا يَتَعَارَفُونَ فَيَخْشُونَ طَرَقَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَيَحْتَاجُونَ إِلَى حِفْظِ مُجْتَمَعِهِمْ بِإِدَارَةِ  
مَاءٍ أَوْ أَسْوَارٍ تَحُوطُهُمْ وَيَصِيرُ جَمِيعًا مَدِينَةً وَاحِدَةً وَمِصْرًا وَاحِدًا وَيَحُوطُهُمُ الْحَكْمُ  
مِنْ دَاخِلٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَقَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْإِتِّصَافِ وَيَتَخَذُونَ الْمَعَاقِلَ  
وَالْحُصُونِ لَهُمْ وَلِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِثْلَ الْمُلُوكِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَكِبَارِ  
الْقَبَائِلِ فِي الْمَدُنِ كُلِّ مَدِينَةٍ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ وَيَصْطَلِحُونَ عَلَيْهِ وَيُنَاسِبُ مِزَاجَ هَوَانِهِمْ  
وَأَخْتِلَافَ أَحْوَالِهِمْ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَكَذَا حَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ  
يَتَّخِذُ الْقُصُورَ وَالْمَصَانِعَ الْعَظِيمَةَ السَّاحَةَ الْمُشْتَبِلَةَ عَلَى عِدَّةِ الدُّورِ وَالْبُيُوتِ وَالْعُرُفِ  
الْكَبِيرَةِ لِكَثْرَةِ وَلَدِهِ وَحَشِيهِ وَعِيَالِهِ وَتَابِعِيهِ وَيُؤَمِّسُ جُدْرَانَهَا بِالْحِجَارَةِ وَيَلْحَمُ بَيْنَهَا  
بِالْكِلْسِ وَيُعَالِي عَلَيْهَا بِالْأَصْبَغَةِ وَالْجَصْرِ وَيُبَالِغُ فِي ذَلِكَ بِالتَّشْجِيدِ وَالتَّنْثِيقِ إِظْهَارًا  
لِلْبَسْطَةِ بِالْعِنَايَةِ فِي شَأْنِ الْمَأْوَى وَيُهَيِّئُ مَعَ ذَلِكَ الْأَسْرَابَ وَالْمَطَامِيرَ لِلَاخْتِرَانِ  
لِأَقْوَاتِهِ وَالْإِسْطَبَلَاتِ لِرَبْطِ مُقَرَّبَاتِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجُنُودِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ وَالطَّاشِيَةِ  
كَالْأُمَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِي الدَّوَيَّةَ وَالْبُيُوتَ لِنَفْسِهِ وَسَكْنِهِ وَوَلَدِهِ لَا  
يَبْتَغِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِقُصُورِ حَالِهِ عَنْهُ وَأَقْصَارِهِ عَلَى الْكِنِّ الطَّبِيعِيِّ لِلْبَشَرِ وَبَيْنَ  
ذَلِكَ مَرَاتِبُ غَيْرُ مُنْخَصِرَةٍ وَقَدْ يُحْتَاجُ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَيْضًا عِنْدَ تَأْسِيسِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ  
الدُّوَلِ الْمَدُنِ الْعَظِيمَةِ وَالْهَيَاكِلِ الْمُرْتَفِعَةِ وَيُبَالِغُونَ فِي إِتْقَانِ الْأَوْضَاعِ وَعُلُوقِ الْأَجْرَامِ  
مَعَ الْأَحْكَامِ لِيَتَلَعَّ الصَّنَاعَةُ مَبَالِغًا وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ الَّتِي تُحْصِلُ الدَّوَاعِيَ لِذَلِكَ وَأَكْثَرُ  
مَا تَكُونُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْأَقَالِمِ الْمُعْتَدِلَةِ مِنَ الرَّابِعِ وَمَا حَوْلَهُ إِذِ الْأَقَالِمُ الْمُتَشْرِفَةُ  
لَا بِنَاءَ فِيهَا وَإِنَّمَا يَتَخَذُونَ الْبُيُوتَ حَظَائِرَ مِنَ الْقَصَبِ وَالطِّينِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ فِي الْأَقَالِمِ  
الْمُعْتَدِلَةِ لَهُ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْقَائِمُونَ عَلَيْهَا مُتَقَاوِثُونَ فَمِنْهُمْ الْبَصِيرُ الْمَاهِرُ وَمِنْهُمْ  
الْقَاصِرُ ثُمَّ هِيَ تَتَوَعَّدُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً فَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْحِجَارَةِ الْمُنْجَدَةِ يُقَامُ بِهَا الْجُدْرَانُ  
مَلَصَقًا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالطِّينِ وَالْكِلْسِ الَّذِي يُعْقَدُ مَعَهَا وَيَلْتَحِمُ كَانَهَا جِسْمًا وَاحِدًا  
وَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْأُتْرَابِ خَاصَّةً يُتَّخَذُ لَهَا لَوْحَانٌ مِنَ الْحَشَبِ مُقَدَّرَانِ طُولًا وَعَرْضًا بِأَخْتِلَافِ  
الْمَادَاتِ فِي التَّقْدِيرِ وَأَوْسَطُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ فَيَنْصَبَانِ عَلَى أَسَاسٍ وَقَدْ بُرِعِدَ

مَا يَتَنَهَمَا بِأَيَّاهُ صَاحِبُ الْبِنَاءِ فِي عَرْضِ الْأَسَاسِ وَيُوصِلُ بَيْنَهُمَا بِأَذْرُعٍ مِنَ الْخَشَبِ  
 يَرْبُطُ عَلَيْهَا بِالْحِبَالِ وَالْجُدُرِ وَيُسَدُّ الْجِهَتَانِ الْبَاقِيَتَانِ مِنْ ذَلِكَ الْخَلَاءِ بَيْنَهُمَا بِلُوحَيْنِ  
 آخَرَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ثُمَّ يُوضَعُ فِيهِ الثُّرَابُ مُخَلِّطًا بِالْكِلْسِ وَيُرَكَّزُ بِالْمَرَاكِزِ الْمُعَدَّةِ  
 حَتَّى يَنْتَهَمَ رَكَرُهُ وَيَخْتَلِطَ أَجْزَاؤُهُ ثُمَّ يُؤَادُّ الثُّرَابُ زَيْلًا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَمْتَلِئَ ذَلِكَ الْخَلَاءُ  
 بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ وَقَدْ تَدَاخَلَتْ أَجْزَاءُ الْكِلْسِ وَالثُّرَابِ وَصَارَتْ جَنْمًا وَاحِدًا ثُمَّ يُعَادُ  
 نَصَبُ اللَّوْحَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَيُرَكَّزُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَيُنْتَظَمَ الْأَلْوَاحُ كُلُّهَا سَطْرًا مِنْ  
 فَوْقِ سَطْرِ إِلَى أَنْ يَنْتَظِمَ الْحَاظِطُ كُلُّهُ مُلْتَجِمًا كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى الطَّابِيَّةُ  
 وَصَانِعَةُ الطُّوَابِ وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ أَيْضًا أَنْ تُجَلَّلَ الْحِيطَانُ بِالْكِلْسِ بَعْدَ أَنْ يُعَلَّ  
 بِالمَاءِ وَيُخْتَرُ أَسْبُوعًا أَوْ أَسْبُوعَيْنِ عَلَى قَدَرِ مَا يَعْتَدِلُ زَوَاجُهُ عَنْ إِفْرَاطِ النَّارِيَّةِ الْمُفْسِدَةِ  
 لِلْإِلْهَامِ فَإِذَا تَمَّ لَهُ مَا يَوْضَاهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَاهُ مِنْ فَوْقِ الْحَاظِطِ وَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَجِمَ وَمِنْ  
 صَنَائِعِ الْبِنَاءِ عَمَلُ الشُّقْفِ بِأَنْ تُمَدَّ الخُشْبُ الْمُحْكَمَةُ التَّجَارَةُ أَوْ السَّادِجَةُ عَلَى حَاظِطِي  
 الْبَيْتِ وَمِنْ فَوْقِهَا الْأَلْوَاحُ كَذَلِكَ مَوْصُولَةٌ بِالدَّسَائِرِ وَيُصَبُّ عَلَيْهَا الثُّرَابُ وَالْكِلْسُ  
 وَيُدَسَّطُ بِالْمَرَاكِزِ حَتَّى تَتَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وَتَلْتَجِمَ وَيُعَالَى عَلَيْهَا الْكِلْسُ كَمَا يُعَالَى  
 عَلَى الْحَاظِطِ وَمِنْ صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّشْيِيقِ وَالْأَثْرِينَ كَمَا يُضَنَعُ مِنْ فَوْقِ  
 الْحِيطَانِ الْأَشْكَالُ الْمُجَسَّمَةُ مِنَ الْجِصِّ يُخْتَرُ بِالمَاءِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَسَدًا وَفِيهِ بَقِيَّةُ  
 الْبَلَرِ فَيُشَكَّلُ عَلَى التَّنَاسُبِ تَخْرِيْمًا بِمَنَاقِبِ الْحَدِيدِ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرَوَاءُ  
 وَرَبَّمَا عُورِي عَلَى الْحِيطَانِ أَيْضًا يَقْطَعُ الرَّخَامُ وَالْأَجْرُ وَالْخَرْفُ أَوْ بِالْصَّدْفِ أَوْ  
 السَّبَجِ يُفَصِّلُ أَجْزَاءَ مُتَجَانِسَةٍ أَوْ مُخْتَلِفَةٍ وَتُوضَعُ فِي الْكِلْسِ عَلَى نَسَبٍ وَأَوْضَاعٍ  
 مَقْدَرَةٍ عِنْدَهُمْ يَبْدُو بِهِ الْحَاظِطُ لِلْعِيَانِ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرِّيَاضِ الْمُنْتَمَةِ إِلَى ذَلِكَ  
 مِنْ بِنَاءِ الْحِجَابِ وَالصَّهَارِيجِ لِسَفْحِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ تُعَدَّ فِي الْبُيُوتِ قِصَاعُ الرَّخَامِ الْقَوَرَاءِ  
 الْمُحْكَمَةُ الْخَرْطُ بِالْفُوهَاتِ فِي وَسْطِهَا لِتَسْبَحَ الْمَاءُ الْجَارِي إِلَى الصَّهَارِيجِ يُجْلِبُ إِلَيْهِ مِنْ  
 خَارِجِ الْقَوَرَاتِ الْمُفَضَّةِ إِلَى الْبُيُوتِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِنَاءِ وَتَخْتَلِفُ الصَّنَاعُ فِي  
 جَمِيعِ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْخَلْقِ وَالْبَصَرِ وَيَنْظُمُ عُمَرَانُ الْمَدِينَةَ وَيَتَّبِعُ فَيَكْتُمُونَ وَرَبَّمَا  
 يَرْجِعُ الْحُكَّامُ إِلَى نَظَرِ هَؤُلَاءِ فَيَتَأَمَّلُونَ أَيْضًا مِنْ أحوَالِ الْبِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ  
 فِي الْمَدُنِ لِكَثْرَةِ الْأَزْدِحَامِ وَالْعُمَرَانِ يَتَشَاوَحُونَ حَتَّى فِي الْفَضَاءِ وَالْهَوَاءِ الْأَعْلَى



وَالْأَسْفَلِ وَمِنْ الْإِنْتِفَاعِ بِظَاهِرِ الْبِنَاءِ إِنَّمَا يَتَوَقَّعُ مَعَهُ حُدُوثُ الضَّرَرِ فِي الْخَيْطَانِ فَيَمْنَعُ جَارَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَيَخْتَلِفُونَ أَيْضًا فِي اسْتِحْقَاقِ الطُّرُقِ وَالْمَنَافِدِ لِلْيَمَاهِ الْخَارِيَةِ وَالْفَضَلَاتِ الْمُسَرَّبَةِ فِي الْقَنَوَاتِ وَرُبَّمَا يَدَّعِي بَعْضُهُمْ حَقَّ بَعْضٍ فِي حَاطِطِهِ أَوْ عُلُوِّهِ أَوْ قَنَاتِهِ لِتَضَائِقِ الْجَوَارِ أَوْ يَدَّعِي بَعْضُهُمْ عَلَى جَارِهِ اخْتِلَالَ حَاطِطِهِ خَشْيَةَ سُقُوطِهِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهِدْمِهِ وَدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنْ جَارِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى قِسْمَةِ دَارٍ أَوْ عَرَصَةٍ بَيْنَ شَرِيكَيْنِ بَحِثُ لَا يَقَعُ مَعَهَا فُسَادٌ فِي الدَّارِ وَلَا إِهْمَالٌ لِمَنْفَعَتِهَا وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَيَخْفَى جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَصَرِ الْعَارِفِينَ بِالْبِنَاءِ وَأَحْوَالِهِ الْمُسْتَدِلِّينَ عَلَيْهَا بِالْمَعَاوِدِ وَالْقُطُوبِ وَمَرَائِزِ الْخَشَبِ وَمِثْلِ الْخَيْطَانِ وَاعْتِدَالِهَا وَقِسْمِ الْمَسَاكِينِ عَلَى نِسْبَةِ أَوْضَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا وَتَسْرِيِبِ الْيَمَاهِ فِي الْقَنَوَاتِ مَجْلُوبَةً وَمَرْفُوعَةً بَحِثُ لَا تُضِرُّ بِمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُيُوتِ وَالْخَيْطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَهُمْ بِهَذَا سُكْلُ الْبَصَرِ وَالْخُبْرَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لغيرِهِمْ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُونَ بِالْجُودَةِ وَالْقُدُورِ فِي الْأَجْيَالِ بِاعْتِبَارِ الدُّوَلِ وَقُوَّتِهَا فَإِنَّا قَدْ مَنَّا أَنَّ الصَّنَائِعَ وَكَمَالَهَا إِنَّمَا هُوَ بِكَمَالِ اخْتِصَارَةٍ وَكَثْرَتِهَا بِكَثْرَةِ الطَّلَابِ لَهَا فَلِذَلِكَ عِنْدَمَا تَكُونُ الدَّوْلَةُ بَدَوِيَّةً فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَفْتَرِ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ إِلَى غَيْرِ قُطْرِهَا كَمَا وَقَعَ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ أَجْمَعَ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَالْقُدُسِ وَمَسْجِدِهِ بِالشَّامِ فَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بِأَقْسَنْطَينِيَّةٍ فِي الْفَعْلَةِ الْمَهْرَةَ فِي الْبِنَاءِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَنْ حَصَلَ لَهُ غُرُضُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ وَقَدْ يَعْرِفُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْهَنْدَسَةِ مِثْلَ تَسْرِيَةِ الْخَيْطَانِ بِالْوِزْنِ وَإِجْرَاءِ الْيَمَاهِ بِأَخْذِ الْأَرْتِفَاعِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْبَصَرِ بِشَيْءٍ مِنْ مَسَائِلِهِ وَكَذَلِكَ فِي جَرِّ الْأَثْقَالِ بِالْهَنْدَامِ فَإِنَّ الْأَجْرَامَ الْعَظِيمَةَ إِذَا شِيدَتْ بِالْحِجَارَةِ الْكَبِيرَةِ يَعْجُزُ قُدْرُ الْفَعْلَةِ عَنْ رَفْعِهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنْ حَاطِطٍ فَيَتَحَيَّلُ لِذَلِكَ بِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الْحِجْرِ بِإِدْخَالِهِ فِي الْمَعَالِقِ مِنْ أَثْقَابٍ مُقَدَّرَةٍ عَلَى نِسْبِ هَنْدَسِيَّةٍ تُصَيِّرُ الثَّقِيلَ عِنْدَ مُعَانَاةِ الرَّفْعِ خَفِيفًا فَيَتِمُّ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ كَلْفَةٍ وَهَذَا إِنَّمَا يَتِمُّ بِأُصُولِ هَنْدَسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ مُتَدَاوِلَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبِمِثْلِهَا كَانَ بِنَاءُ الْهَيْكَلِ الْمَائِلَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّتِي يُحَسَبُ أَنَّهَا مِنْ بِنَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّ أَبْدَانَهُمْ كَانَتْ عَلَى نِسْبَتِهَا فِي الْعِظَمِ الْجَسْمَانِيِّ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ بِالْحِلْرِ الْهَنْدَسِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فَتَقَهُمُ ذَلِكَ وَلَقَدْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُخْرَانَهُ

## الفصل السادس والعشرون

### في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضرريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان في كل مسكن من المكنات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر بما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا ليست وأرل منافعها أن يكون وقوداً للإنسان في معاشهم وعصياً للآتكة والدود وغيرها من ضرورياتهم ودعائم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر فأما أهل البدو فيتخذون منها العمد والأوتاد ليخامهم والحدوج لظلمتهم والرماح والسيوف والسهام لسلاحهم وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالحشبة مادة لها ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولاً إما بخشب أصغر منه أو ألواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعه إعداد تلك الفصائل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء لذلك الشكل المخصوص والغايم على هذه الصناعة هو التجار وهو ضروري في العمران ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الآثاف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ما عون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجداته بغرائب من الصناعة كما لا يست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل تهيشة القطع من الخشب بصناعة الحوط يحكم برئها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالدسائر فتبدو لرأي العين ملتجة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجيء آنق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدسر وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الخوت واعتبار سنج في الماء بقواديمه وكذلك يكون ذلك الشكل أعون



لَهَا فِي مُصَادَمَةِ الْمَاءِ وَجِيلَ لَهَا عَوْضَ الْحَرَكَةِ الْخَيَوَانِيَّةِ الَّتِي لِلْسَّمَكِ تَحْرِيكُ الرِّيحِ وَرُبَّمَا أُعِيَتْ بِحَرَكَةِ الْمَقَادِيفِ كَمَا فِي الْأَسَاطِيلِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ أَصْلٍ مُحْتَاجَةٍ إِلَى أَصْلِ كَبِيرٍ مِنَ الْهَنْدَسَةِ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِهَا لِأَنَّ إِخْرَاجَ الصُّورِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْإِحْكَامِ مُحْتَاجٌ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّنَاسُبِ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا عُمُومًا أَوْ خُصُوصًا وَتَنَاسُبِ الْمَقَادِيرِ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الْمُهَنْدِسِ وَلِهَذَا كَانَتْ أُنْتَهَى الْهَنْدَسَةُ الْيُونَانِيُّونَ كُلُّهُمْ أُنْتَهَى فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَكَانَ أَوْقْلِيدُوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَبْصُولِ فِي الْهَنْدَسَةِ نَجَّارًا وَبِهَا كَانَ يُعْرَفُ وَكَذَلِكَ أَبُلُونِيُوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْمَخْرُوطَاتِ وَمِيلَاوُسُ وَغَيْرُهُمْ وَفِيمَا يُقَالُ إِنَّ مُعَلِّمَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْخَلِيقَةِ هُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِهَا أُنْشِئَتْ سَفِينَةُ النَّجَارَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مُعْجَزَتُهُ عِنْدَ الطُّوفَانِ وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ مُمَكِّنًا أَغْنَى كَوْنَهُ نَجَّارًا إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ عَلَّمَهَا أَوْ تَعَلَّمَهَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ مِنَ الثَّقَلِ عَلَيْهِ لِيُعَدَّ الْأَمَادِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْإِشَارَةُ إِلَى قِدَمِ التِّجَارَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ حِكَايَةُ عَنْهَا قَبْلَ خَبَرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجِيلَ كَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمَهَا فَتَنَهَّمْ أَسْرَارَ الصَّنَائِعِ فِي الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل السابع والعشرون

### في صناعة الحياكة والحياطة

هَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَانِ ضَرُورَتَانِ فِي الْعُمُرَانِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الرِّفَةِ فَالْأُولَى لِنَسِجِ الْغَزْلِ مِنَ الصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَالْقُطْنِ إِسْدَاءً فِي الطُّولِ وَإِلْهَامًا فِي الْعَرْضِ لِذَلِكَ النَّسِجِ بِالْإِلْتِحَامِ الشَّدِيدِ فَيَمُتُّ مِنْهَا قِطْعٌ مُقَدَّرَةٌ فَيُنَهِى الْأَكْبِيَةُ مِنَ الصُّوفِ الْإِسْتِمَالِ وَمِنْهَا الثِّيَابُ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ لِلْبَاسِ وَالصَّنَاعَةُ الثَّانِيَةُ لِتَقْدِيرِ الْمَنَسُوجَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَشْكَالِ وَالْعَوَائِدِ تُفَصِّلُ بِالْمِقْرَاضِ قِطْعًا مُنَاسِبَةً لِلْأَعْضَاءِ الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ تَلْحَمُ تِلْكَ التِّطْعُ بِالْحَيَاظَةِ الْمُحْكَمَةِ وَصَلًا أَوْ تَنْزِيًا أَوْ تَفْسُخًا عَلَى حَسَبِ نَوْعِ الصَّنَاعَةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْعُمُرَانِ الْخَضِرِيِّ لِمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَدْرِ يَسْتَعُونُ عَنْهَا وَإِنَّمَا يَشْتَمِلُونَ الْأَثَوَابَ اسْتِمَالًا وَإِنَّمَا تَفْصِيلُ الثِّيَابِ وَتَقْدِيرُهَا وَإِلْهَامُهَا بِالْحَيَاظَةِ لِلْبَاسِ مِنْ مَذَاهِبِ الْخِطَارَةِ وَقُتُونِهَا وَتَقْهَمُ هَذِهِ فِي سِرِّ تَحْرِيمِ الْمَخِيطِ فِي الْحَجِّ لِمَا أَنَّ مَشْرُوعِيَّةَ الْحَجِّ مُشْتَبِلَةٌ عَلَى نَبَذِ الْعَلَائِقِ الدُّنْيَوِيَّةِ كُلِّهَا وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

كَمَا خَلَقْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يُعَلِّقَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِ لَا طِيبًا وَلَا نِسَاءً  
وَلَا خَيْطًا وَلَا خِفَاءً وَلَا يَتَعَرَّضُ لِصَيْدٍ وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِهِ الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا نَفْسُهُ وَخَلَقَتْهُ  
مَعَ أَنَّهُ يَفْقِدُهَا بِالْمَوْتِ ضَرُورَةً وَإِنَّمَا يَجِيءُ كَأَنَّهُ وَارِدٌ إِلَى الْمَحْشَرِ ضَارِعًا بِقَلْبِهِ مُخْلِصًا  
لِرَبِّهِ وَكَانَ جَزَاؤُهُ إِنْ تَمَّ لَهُ إِخْلَاصُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ  
سُبْحَانَكَ مَا أَرْفَقَكَ بِعِبَادِكَ وَأَرْحَمَكَ بِهِمْ فِي طَلَبِ هِدَايَتِهِمْ إِلَيْكَ . وَهَاتَانِ الصِّنَعَتَانِ  
قَدِيمَتَانِ فِي الْخَلِيقَةِ لِمَا أَنَّ الدِّفْءَ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ فِي الْعُمُرَانِ الْمُعْتَدِلِ وَأَمَّا الْمُنْحَرِفِ  
إِلَى الْحَرِّ فَلَا يَحْتَاجُ أَهْلُهُ إِلَى دِفْءٍ وَهَذَا يَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ مِنَ السُّودَانِ  
أَنَّهُمْ عُرَاةٌ فِي الْعَالِبِ وَيَقْدِمُ هَذِهِ الصَّنَائِعُ يَنْسِبُهَا الْعَامَّةُ إِلَى أَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَهُوَ أَقْدَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَبَّنَا يَنْسِبُونَهَا إِلَى هَرِمَسَ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَرِمَسَ هُوَ أَدْرِيسُ  
وَأَلَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

## الفصل الثامن والعشرون

### في صناعة التوليد

وَهِيَ صِنَاعَةٌ يُعْرَفُ بِهَا الْعَمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ التَّوَلُّودِ الْأَدَمِيِّ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مِنَ  
الرَّفَقِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ رَحِمِهَا وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ ذَلِكَ ثُمَّ مَا يُضَاحُ بِغَدِ الْخُرُوجِ عَلَى مَا  
نَذَكَّرُ وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ لِمَا أَنَّهُنَّ الظَّاهِرَاتُ بَعْضُهُنَّ عَلَى عَوْدَاتِ  
بَعْضٍ وَتُسَمَّى الْقَائِمَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُنَّ الْقَائِلَةُ أَشْعِيدَ فِيهَا مَعْنَى الْإِعْطَاءِ وَالْقَبُولِ  
كَأَنَّ النِّسَاءَ تُعَلِّمُهَا الْجَيْنَ وَكَأَنَّهَا تَقْبَلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَيْنَ إِذَا اكْتَمَلَ خَلْقُهُ  
فِي الرَّحِمِ وَأَطْوَارُهُ وَبَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ وَالْمُدَّةُ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ لِمَكْنِئِهِ هِيَ ثَلَاثَةُ  
أَشْهُرٍ فِي الْعَالِبِ فَيَطْلُبُ الْخُرُوجَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي التَّوَلُّودِ مِنَ الدُّوْعِ لِذَلِكَ وَيَضِيقُ  
عَلَيْهِ الْمَقْدُ فَيَغْسِرُ وَرَبَّنَا مَرَّقَ بَعْضُ جَوَائِبِ الْفَرْجِ بِالضَّنْطِ وَرَبَّنَا أَنْقَطَعَ بَعْضُ  
مَا كَانَ مِنَ الْأَغْشِيَةِ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَالْإِلْتِحَامِ بِالرَّحِمِ وَهَذِهِ كُلُّهَا آلَامٌ يَشْتَدُّ  
لَهَا الْوَجَعُ وَهُوَ مَعْنَى الطَّلُقِ فَتَكُونُ الْقَائِلَةُ مُعِينَةً فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيْءِ بِغَمْرِ الظَّهْرِ  
وَالْوَرَكَيْنِ وَمَا يُخَاذِي الرَّحِمَ مِنَ الْأَسَافِلِ تُسَاقُ بِذَلِكَ فَعَلَ الدَّافِعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْجَيْنِ  
وَتَسْهِيلِ مَا يَضَعُ مِنْهُ بِمَا يُمَكِّنُهَا وَعَلَى مَا تَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ عُنْوَرِهِ ثُمَّ إِنْ أَخْرَجَ الْجَيْنَ  
بَقِيَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّحِمِ الْوَصْلَةُ حَيْثُ كَانَ يَتَعَدَّى مِنْهَا مُثْصَلَةٌ مِنْ سُرَّتِهِ بِعَاهُ وَتِلْكَ



الْوَصْلَةُ عُضْوٌ فَضْلِيٌّ لِتَغْذِيَةِ الْمَوْلُودِ خَاصَّةً فَتَقْطَعُهَا الْقَائِلَةُ مِنْ حَيْثُ لَا تَتَعَدَّى مَكَانَ  
 الْفَضْلَةِ وَلَا تُضَرُّ بِمَعَاهُ وَلَا يَرْجَمُ أَمَهُ ثُمَّ تَدْمِلُ مَكَانَ الْجِرَاحَةِ مِنْهُ بِالْكَيِّ أَوْ بِمَا  
 تَرَاهُ مِنْ وَجْهِهِ الْإِنْدِمَالِ ثُمَّ إِنْ أَلْحَيْنَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْفَذِ الضَّيْقَ وَهُوَ رَطْبُ  
 الْعِظَامِ سَهْلُ الْإِتِطَافِ وَالْإِنْشَاءِ قُرْبًا تَتَغَيَّرُ أَشْكَالُ أَعْضَائِهِ وَأَوْضَاعُهَا لِقُرْبِ  
 التَّكْوِينِ وَرُطُوبَةِ الْمَوَادِّ فَتَتَنَاوَلُهُ الْقَائِلَةُ بِالْعَمْرِ وَالْإِصْلَاحِ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عُضْوٍ إِلَى  
 شَكْلِهِ الطَّبِيعِيِّ وَوَضْعِهِ الْمَقْدَرِ لَهُ وَيَرْتَدُّ خَلْقُهُ سَوِيًّا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُرَاجِعُ النَّفْسُ  
 وَتُحَاذِرُهَا بِالْعَمْرِ وَالْمُلَايَنَةِ لِخُرُوجِ أَغْشِيَةِ الْحَيْنِ لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَتَأَخَّرُ عَنْ خُرُوجِهِ قَلِيلًا  
 وَيُخْشَى عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْمَاسِكَ حَالَهَا الطَّبِيعِيَّةَ قَبْلَ اكْتِمَالِ خُرُوجِ الْأَغْشِيَةِ  
 وَهِيَ فَضْلَاتٌ فَتُعَفَّنُ وَيَسْرِي عَنْهَا إِلَى الرَّحِمِ فَيَعُوقُ أَهْلَاكَ فَتُحَاذِرُ الْقَائِلَةَ هَذَا وَتُحَاوِلُ  
 فِي إِعَانَةِ الدَّفْعِ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ تِلْكَ الْأَغْشِيَةُ الَّتِي كَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَتْ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْمَوْلُودِ  
 فَتَمْرُخُ أَعْضَاءَهُ بِالْأَدَهَانِ وَالذَّرُورَاتِ الْقَائِضَةِ لِتَشْدِهِ وَتُخَفِّفَ رُطُوبَاتِ الرَّحِمِ  
 وَتُخَفِّكَهُ لِرَفْعِ هَوَاتِهِ وَتُسَبِّطَهُ لِاسْتِفْرَاحِ نُطُوفِ دِمَاغِهِ وَتُفَرِّغُهُ بِاللُّعُوقِ لِدَفْعِ الشَّدَدِ  
 مِنْ مَعَاهُ وَتَجْوِيفُهَا عَنِ الْإِلِصَاقِ ثُمَّ تُدَاوِي النَّفْسَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْوَهْنِ الَّذِي أَصَابَهَا  
 بِالطَّلْتِ وَمَا لِحَقِّ رَحِمِهَا مِنَ أَلَمِ الْإِنْفِصَالِ إِذِ الْمَوْلُودُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عُضْوًا طَبِيعِيًّا فَحَالَةٌ  
 التَّكْوِينِ فِي الرَّحِمِ صَيْرَتُهُ بِالْإِلْتِمَامِ كَالْعُضْوِ الْمَتَّصِلِ فَلِذَلِكَ كَانَ فِي انفصاله أَلَمٌ  
 يَقْرُبُ مِنْ أَلَمِ الْقَطْعِ وَتُدَاوِي مَعَ ذَلِكَ مَا يَلْحَقُ الْفَرْجَ مِنْ أَلَمٍ مِنْ جِرَاحَةِ التَّمْرِيقِ  
 عِنْدَ الضَّغْطِ فِي الْخُرُوجِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدْوَاءُ نَجْدٍ هَوَلَاءِ الْقَوَائِلِ أَبْصَرَ بِدَائِنِهَا وَكَذَلِكَ  
 مَا يَغْرُضُ لِلْمَوْلُودِ مُدَّةَ الرِّضَاعِ مِنْ أَدْوَاءٍ فِي بَدَنِهِ إِلَى حَيْزِ الْفِصَالِ نَجْدُهُنَّ أَبْصَرَ بِهَا  
 مِنَ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ . وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ بَدَنَ الْإِنْسَانِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِنَّمَا هُوَ بَدَنُ إِنْسَانِي  
 بِالْقُوَّةِ فَقَطُّ فَإِذَا جَاوَزَ الْفِصَالَ صَارَ بَدَنًا إِنْسَانِيًّا بِالْفِعْلِ فَكَانَتْ حَاجَتُهُ حِينَئِذٍ إِلَى الطَّبِيبِ  
 أَشَدَّ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ كَمَا تَرَاهُ ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمُرَانِ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ لَا يَتِمُّ كَوْنُ  
 أَشْخَاصِهِ فِي الْعَالَمِ دُونَهَا وَقَدْ يَغْرُضُ لِبَعْضِ أَشْخَاصِ النَّوْعِ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ إِمَّا بِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ لَهُمْ مُعْجَزَةٌ وَخَرَقًا لِلْعَادَةِ كَمَا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ  
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَوْ بِالْإِهَامِ وَهِدَايَةِ يُلْهِمُ لَهَا الْمَوْلُودُ وَيُفْطِرُ عَلَيْهَا فَيَتِمُّ وَجُودُهُمْ  
 مِنْ دُونِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَأَمَّا شَأْنُ الْمُعْجَزَةِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ كَثِيرًا وَمِنْهُ مَا رُوِيَ أَنَّ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدَ مَسْرُورًا نَحْنُونًا وَاضْعًا يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ شَاخِصًا يَبْصُرُهُ  
إِلَى السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ شَأْنُ عَيْسَى فِي الْمَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَأَمَّا شَأْنُ الْإِلَهَامِ فَلَا يُنْكَرُ  
وَإِذَا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ الْعُجْمُ تُخْتَصُّ بِغَرَائِبِ الْإِلَهَامَاتِ كَالنَّحْلِ وَغَيْرِهَا فَمَا ظَنُّكَ  
بِالْإِنْسَانِ الْمَفْضَلِ عَلَيْهَا وَخُصُوصًا بِمَنْ اخْتَصَّ بِكَرَامَةِ اللَّهِ . ثُمَّ الْإِلَهَامُ الْعَامُّ  
لِلْمَوْلُودِينَ فِي الْأَقْبَالِ عَلَى التَّدْيِ أَوْضَحُ شَاهِدٍ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهَامِ الْعَامِّ لَهُمْ فَشَأْنُ  
الْعَنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ وَمِنْ هُنَا يُفْهَمُ بُطْلَانُ رَأْيِ الْفَارَابِيِّ وَحُكْمَاءِ  
الْأَنْدَلُسِ فِيمَا احْتَجَّجُوا بِهِ لِعَدَمِ انْتِرَاضِ الْأَنْوَاعِ وَاسْتِحْصَالِ انْقِطَاعِ الْمَكُونَاتِ  
وَخُصُوصًا فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَالُوا لَوْ انْقَطَعَتْ أَشْخَاصُهُ لَاسْتَحَالَ وُجُودُهَا بَعْدَ ذَلِكَ  
لِتَوَقُّفِهِ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا إِذْ لَوْ قَدَرْنَا مَوْلُودًا دُونَ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَفَّالَتِهَا إِلَى حِينِ الْفِصَالِ لَمْ يَتِمَّ بَقَاؤُهُ أَصْلًا وَوُجُودُ الصَّنَائِعِ دُونَ  
الْفِكْرِ مُمْتَنِعٌ لِأَنَّهَا ثَمَرَتُهُ وَتَابِعَةٌ لَهُ وَتَكَلَّفَ ابْنُ سِينَا فِي الرَّدِّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ لِمُخَالَفَتِهِ  
إِيَّاهُ وَذَهَابِهِ إِلَى إِمْكَانِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَخَرَابِ عَالَمِ التَّكْوِينِ ثُمَّ عَوَّدَهُ ثَانِيًا  
لَا قِصَاصَاتٍ فَلَكِيَّةٍ وَأَوْضَاعٍ غَرِيبَةٍ تَنْدُرُ فِي الْأَحْقَابِ بِزَعْمِهِ فَتَقْتَضِي تَخْيِيدَ طِينَةٍ مُنَاسِبَةٍ  
لِزَاجِهِ بِخَرَارَةٍ مُنَاسِبَةٍ فَيَتِمُّ كَوْنُهُ إِنْسَانًا ثُمَّ يُقَبِّضُ لَهُ حَيَوَانٌ يُخْلَقُ فِيهِ إِلَهَامٌ لِتَرْبِيَّتِهِ  
وَالْحَوْرُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَجُودُهُ وَفِصَالُهُ وَأَطْلَبَ فِي بَيَانِ ذَلِكَ فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي سَمَّاهَا  
رِسَالَةَ حَيِّ بْنِ يَقْظَانَ وَهَذَا الْإِسْتِدْلَالُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَإِنْ كُنَّا نُوَافِقُهُ عَلَى انْقِطَاعِ  
الْأَنْوَاعِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ فَإِنَّ دَلِيلَهُ مَبْنِيٌّ عَلَى إِسْنَادِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْعِلَّةِ  
الْمُوجِبَةِ وَدَلِيلُ الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ يُرَدُّ عَلَيْهِ وَلَا وَاسِطَةٌ عَلَى الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ  
بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا التَّكَلُّفِ . ثُمَّ لَوْ سَلَّمْنَاهُ جَدَلًا فَعَايَةَ  
مَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ أَطْرَادُ وَجُودِ هَذَا الشَّخْصِ بِخَلْقِ الْإِلَهَامِ لِتَرْبِيَّتِهِ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ وَمَا  
الضَّرُورَةُ الدَّاعِيَةُ لِذَلِكَ وَإِذَا كَانَ الْإِلَهَامُ يُخْلَقُ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ  
خَلْقِهِ لِلْمَوْلُودِ نَفْسِهِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا وَخَلَقُ الْإِلَهَامِ فِي شَخْصٍ إِمَّا صَالِحٍ نَفْسِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
خَلْقِهِ فِيهِ إِمَّا صَالِحٍ غَيْرِهِ فَكِلَا الْمَذْهَبَيْنِ شَاهِدَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالْبُطْلَانِ فِي مَنَاجِيهِمَا  
لِمَا قَرَّرْتُهُ لَكَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ



## الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية  
هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عُرِفَ من فائدتها فإن كثرتها حفظ الصحة  
للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداراة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم وأعلم  
أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث  
الجامع للطب وهو قوله المعدة بينت الداء والخمية رأس الدواء وأصل كل داء  
البردة فأما قوله المعدة بينت الداء فهو ظاهر وأما قوله الخمية رأس الدواء فالخمية  
الجوع وهو الإحتياج من الطعام والمعنى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل  
الأدوية وأما قوله أصل كل داء البردة فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام  
في المعدة قبل أن يتم هضم الأول وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ  
حياته بالغذاء يستعمله بالأكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية إلى أن يصير دماً  
ملائماً لأجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذه النامية فيقلب لحماً ونظماً ومعنى  
الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طوراً بعد طور حتى يصير جزءاً بالفعل ومن  
البدن وتفسده أن الغذاء إذا حصل في اللحم ولا كنه الأشداق أثرت فيه حرارة  
اللحم طبخاً يسيراً وقلبت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً  
ثم أجدتها مضغاً قدي مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة  
المعدة إلى أن يصير كيوساً وهو صفو ذلك المطبوخ وتُرسله إلى الكبد وتُرسل  
ما راسب منه في البقي ثقلًا ينفذ إلى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك  
الكيوس إلى أن يصير عبيطاً وتطفو عليه رغوّة من الطبخ هي الصفراء وترسب  
منه أجزاء يابسة هي السوداء ويقتصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه  
فهو البلقم ثم تُرسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبخ الحال  
الغريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني  
وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون لحماً ثم غليظه عظاماً ثم يُرسل البدن ما  
يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والمخاط والدّمع هذه  
صورة الغذاء وخروجه من القوة إلى الفعل لحماً ثم إن أصل الأمراض ومُعظمها هي

الحميات وسببها أن الحار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبعه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضج وسببه غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغلب على الحار الغريزي أو إدخال الطعام إلى المعدة قبل أن تستوفي طبع الأول فيستعمل به الحار الغريزي ويترك الأول بحالة أو يتوزع عليهما فيقصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك إلى الكبد فلا تفرى حرارة الكبد أيضاً على إنضاجه وربما بقي في الكبد من الغذاء الأول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك إلى العروق غير ناضج كما هو فإذا أخذ البدن حاجته الملائمة أرسله مع الفضلات الأخرى من العرق والدّم واللّهاب إن اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتترايد مع الأيام وكل ذي رطوبة من المتدجات إذا لم يأخذ الطبخ والنضج يعفن فيتفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن فيه حرارة غريبة وتلك هي المصاة في بدن الإنسان بالحمى واختبر ذلك بالطعام إذا ترك حتى يتعفن وفي الزبد إذا تعفن أيضاً كبرت تبيث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى الحميات في الأبدان وهي رأس الأمراض وأصله كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها بقطع الغذاء عن المريض أسابيع معلومة ثم يتناول الأغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج في التخط من هذا المرض وأصله كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيقول عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن إما في الأعضاء الرئيسية أو في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له هذه كلها جماع الأمراض وأصلها في الغالب من الأغذية وهذا كله مرفوع إلى الطبيب ووقوع هذه الأمراض في أهل الحضرة والأماصار أكثر ليحصب عندهم وكثرة ما كليهم وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الأغذية وعدم توفيتهم لتناولها وكثيراً ما يخلطون بالأغذية من التوابل والبقول والفواكه رطباً ويابساً في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع أو أنواع قريباً عددنا في اليوم الواحد من ألوان الطبخ أربعين نوعاً من النبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون غريباً عن ملاءمة البدن وأجزائه ثم إن الأهوية في الأماصار



تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات والأهوية منقطة للأرواح ومقوية  
 بنشاطها الأثر الحار الغريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لأهل الأمتصار إذ هم  
 في الغالب وادعون ساكون لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً ولا تؤثر فيهم أثراً فكان  
 وقوع الأمراض كثيراً في المدن والأمتصار وعلى قدر وقوة كانت حاجتهم إلى هذه  
 الصناعة وأما أهل البدو فمأكلهم قليل في الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب  
 حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن أنها جملة لاستمرارها ثم الأدم قليلة لديهم  
 أو مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والنواكه إنما يدعو إلى ترف الحضارة  
 الذين هم بمنزل عنه فيتناولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يحاطها ويقرب مزاجها  
 من ملءمة البدن وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا  
 ظواين ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو  
 طلب الحاجات ليمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم ويجود ويعقد  
 إدخال الطعام على الطعام فتكون أمزجتهم أصح وأبعد من الأمراض فتقل حاجتهم  
 إلى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجهه وما ذاك إلا للاستغناء عنه إذ  
 لو احتيج إليه لوجد لأنه يكون له بذلك في البدو مهنة يدعو إلى سكناه سنة الله  
 في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً

### الفصل الثلاثون

في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية

وهو رسوم وأشكال حروف تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس  
 فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان  
 التي يميز بها عن الحيوان وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض  
 إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم  
 والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه  
 والمنافع وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم وعلى قدر  
 الاجتماع والعمران والتأغي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في  
 المدينة إذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمران ولهذا

نَجِدُ أَكْثَرَ الْبَدْوِ أَمِينِينَ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ وَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ أَوْ كَتَبَ فَيَكُونُ خَطُّهُ قَاصِرًا أَوْ قِرَاءَتُهُ غَيْرَ نَافِذَةٍ وَنَجِدُ تَعْلِيمَ الْخَطِّ فِي الْأَمْصَارِ الْخَارِجِ عُمرَانِهَا عَنْ الْحَدِّ أَبْلَغَ وَأَحْسَنَ وَأَسْهَلَ طَرِيقًا لِاسْتِحْكَامِ الصَّنْعَةِ فِيهَا كَمَا يُحْكِي لَنَا عَنْ مِصْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَنَّ بِهَا مُعَلِّمِينَ مُنْتَصِبِينَ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ يُلْقُونَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ قَوَانِينَ وَأَحْكَامًا فِي وَضْعِ كُلِّ حَرْفٍ وَيُزِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَاشَرَةَ بِتَعْلِيمِ وَضْعِهِ فَتَعْتَصِدُ لَدَيْهِ رُتْبَةُ الْعِلْمِ وَالْحُسْرَى فِي التَّعْلِيمِ وَتَأْتِي مَلَكَتُهُ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَإِنَّمَا أَتَى هَذَا مِنْ كَمَالِ الصَّنَائِعِ وَوُفُورِهَا بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ وَانْفِسَاحِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ كَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ بَالِغًا مَبَالِغَ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْجُودَةِ فِي دَوْلَةِ التَّبَاطُغَةِ لِمَا بَلَّغَتْ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالْثَرَفِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ وَأَنْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْحِيرَةِ لِمَا كَانَ بِهَا مِنْ دَوْلَةِ آلِ الْمُنْذِرِ نَسَاءِ التَّبَاطُغَةِ فِي الْعَصِيَّةِ وَالْمُجَدِّدِينَ لِمُلْكِ الْعَرَبِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْخَطُّ عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِجَادَةِ كَمَا كَانَ عِنْدَ التَّبَاطُغَةِ لِقُورٍ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَكَانَتْ الْحَضَارَةُ وَتَوَابِعُهَا مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا قَاصِرَةً عَنْ ذَلِكَ وَمِنَ الْحِيرَةِ لَقِنَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ وَقُرَيْشُ فِيمَا ذَكَرَ وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ مِنَ الْحِيرَةِ هُوَ سَفِيَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَيُقَالُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ وَأَخَذَهَا مِنْ أَسْلَمَ بْنِ سُدْرَةَ وَهُوَ قَوْلُ مُنْكَيْنٍ وَأَقْرَبُ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوهَا مِنْ إِيَادَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ

قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَمِيعًا وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ  
وَهُوَ قَوْلُ بَعِيدٌ لِأَنَّ إِيَادَ وَإِنْ تَرَاوَا سَاحَةَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى شَأْنِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ  
وَالْخَطُّ مِنَ الصَّنَائِعِ الْحَضَرِيَّةِ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْخَطِّ وَالْقَلَمِ  
مِنَ الْعَرَبِ لِقُرْبِهِمْ مِنْ سَاحَةِ الْأَمْصَارِ وَضَوَاجِحِهَا فَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ إِنَّمَا لَقِئُوهَا  
مِنَ الْحِيرَةِ وَلَقِنَهَا الْحِيرَةُ مِنَ التَّبَاطُغَةِ وَحَمِيدٌ هُوَ الْأَلِيقُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَكَانَ لِحَمِيدٍ كِتَابَةٌ  
تُسَمَّى الْمُسْنَدَ حُرُوفُهَا مُنْفَصِلَةٌ وَكَانُوا يَتَعَرَّضُونَ مِنْ تَعَلُّمِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِمْ وَمِنْ حَمِيدٍ تَعَلَّمَتْ  
مِصْرُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُجِيدِينَ لَهَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ إِذَا وَقَعَتْ بِالْبَدْوِ  
فَلَا تَكُونُ مُحْكَمَةً التَّذَاهِبِ وَلَا مَائِلَةً إِلَى الْإِتْقَانِ وَالتَّسْيِيقِ لِيُونَ مَا بَيْنَ الْبَدْوِ  
وَالصَّنَاعَةِ وَاسْتِغْنَاءِ الْبَدْوِ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ وَكَانَتْ كِتَابَةُ الْعَرَبِ بَدْوِيَّةً مِثْلَ كِتَابَتِهِمْ أَوْ  
قَرِيبًا مِنْ كِتَابَتِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَوْ نَقُولُ إِنَّ كِتَابَتَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْسَنُ صِنَاعَةً لِأَنَّ هَؤُلَاءِ



أَقْرَبُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمُخَالَطَةِ الْأَمْهَارِ وَالذُّوَلِ وَأَمَّا مُضَرُّ فَكَانُوا أَعْرَقَ فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدَ  
عَنِ الْحَضَرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَمُضَرُّ فَكَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ لِأَوَّلِ  
الْإِسْلَامِ غَيْرَ بَالِغٍ إِلَى الْغَايَةِ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْإِبَادَةِ وَلَا إِلَى التَّوَسُّطِ  
لِمَكَانِ الْعَرَبِ مِنَ الْإِدَاوَةِ وَالتَّوَحُّشِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَنْظَرُوا مَا وَقَعَ لِأَجْلِ ذَلِكَ  
فِي رُسُمِهِمُ الْمُصَحَّفِ حَيْثُ رَسَمَهُ الصَّخَابَةُ بِخُطُوطِهِمْ وَكَانَتْ غَيْرَ مُسْتَحْكِمَةٍ فِي الْإِبَادَةِ  
فَخَالَفَ الْكَثِيرُ مِنْ رُسُومِهِمْ مَا اقْتَضَتْهُ رُسُومُ صِنَاعَةِ الْخَطِّ عِنْدَ أَهْلِهَا ثُمَّ اقْتَنَى التَّابِعُونَ  
مِنَ السَّائِفِ رُسُمَهُمْ فِيهَا تَبَرُّكًا بِمَا رَسَمَهُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَيْرِ  
الْخَلْقِ مِنْ بَعْدِهِ الْمُتَتَابِعُونَ لَوْحِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ كَمَا يُقْتَنَى لِهَذَا الْعَهْدِ خَطُّ وَلِيِّ  
أَوْ عَالِمٍ تَبَرُّكًا وَيُسَبِّحُ رَسْمُهُ خَطًّا أَوْ صَوَابًا وَأَمَّا نِسْبَةُ ذَلِكَ مِنَ الصَّخَابَةِ فِيمَا كَثُرَ  
فَاتَّبَعَ ذَلِكَ وَأَثْبَتَ رُسْمًا وَنَبَّهَ الْعُلَمَاءُ بِالرَّسْمِ عَلَى مَوَاضِيهِ وَلَا تَلْتَفَتْنَا فِي ذَلِكَ إِلَى مَا  
يُزَعَّمُهُ بَعْضُ الْمُعَقِّلِينَ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْكِمِينَ لِصِنَاعَةِ الْخَطِّ وَأَنَّ مَا يُتَحَيَّلُ مِنْ  
مُخَالَفَةِ خُطُوطِهِمْ لِأُصُولِ الرَّسْمِ لَيْسَ كَمَا يُتَحَيَّلُ بَلْ لِكُلِّهَا وَجْهٌ يَقُولُونَ فِي مِثْلِ  
زِيَادَةِ الْأَلْفِ فِي لَا أَذْبَحُهُ إِنَّهُ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّبْحَ لَمْ يَقَعْ وَفِي زِيَادَةِ الْيَاءِ فِي بَايِدَ  
إِنَّهُ تَنْبِيهُ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَمثال ذلك بما لَا أَصْلَ لَهُ إِلَّا التَّحْكُمُ  
الْمَحْضُ وَمَا خَلَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اعتقادهم أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْذِيرًا لِلصَّخَابَةِ عَنْ تَوَهُمِ  
النَّقْصِ فِي قِلَّةِ إِبَادَةِ الْخَطِّ وَحَسِبُوا أَنَّ الْخَطَّ كَمَالٌ فَتَزَهُوهُمْ عَنْ نَقْصِهِ وَنَسَبُوا إِلَيْهِمْ  
الْكَمَالَ بِإِبَادَتِهِ وَطَلَبُوا تَعْلِيلَ مَا خَالَفَ الْإِبَادَةَ مِنْ رُسْمِهِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَطَّ لَيْسَ بِكَمَالٍ فِي حَقِّهِمْ إِذِ الْخَطُّ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَدْنِيَّةِ الْمَعَاشِيَّةِ  
كََمَا رَأَيْتَهُ فِيمَا مَرَّ وَالْكَمَالُ فِي الصَّنَائِعِ إِضَافِيٌّ بِكَمَالٍ مُطْلَقٍ إِذَا لَا يَعُودُ نَقْصُهُ عَلَى  
الذَّاتِ فِي الدِّينِ وَلَا فِي الْخِلَالِ وَإِنَّمَا يَعُودُ عَلَى أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَبِحَسَبِ الْعُمُرَانِ وَالتَّعَاوُنِ  
عَلَيْهِ لِأَجْلِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيًّا وَكَانَ  
ذَلِكَ كَمَالًا فِي حَقِّهِ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِهِ بِشَرَفِهِ وَتَنْذِيرِهِ عَنِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ  
أَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَالْعُمُرَانِ كُلُّهَا وَلَيْسَتْ الْأَمِيَّةُ كَمَالًا فِي حَقِّهَا نَحْنُ إِذَا هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى  
رَبِّهِ وَنَحْنُ مُتَعَاوِرُونَ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا حَتَّى الْعُلُومُ الْأَصْطِلَاحِيَّةُ فَإِنَّ  
الْكَمَالَ فِي حَقِّهِ هُوَ تَنْذِيرُهُ عَنْهَا جُمْلَةً بِخِلَافِنَا ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَفَتَحُوا

الْأَمْصَارَ وَمَلَكَوا الْمَمَالِكَ وَتَزَلُّوا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَاحْتَاَجَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى الْكِتَابَةِ  
اسْتَعْمَلُوا الْخَطَّ وَطَلُّوا صِنَاعَتَهُ وَتَعَلَّمُوهُ وَتَدَاوَلُوهُ فَتَرَقَّتِ الْإِجَادَةُ فِيهِ وَاسْتَحْكَمَ وَبَلَغَ  
فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ رُتْبَةً مِنْ الْإِثْقَانِ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ دُونَ الْعَالِيَةِ وَالْخَطُّ الْكُوفِيُّ  
مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ ثُمَّ انْتَشَرَ الْعَرَبُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْمَمَالِكِ وَافْتَسَحُوا أَفْرِيقِيَّةَ  
وَالْأَنْدَلُسَ وَاخْتَطَّ بَنُو الْعَبَّاسِ بَغْدَادَ وَتَرَقَّتِ الْخُطُوطُ فِيهَا إِلَى الْعَالِيَةِ لَمَّا اسْتَبَحَرَتْ فِي  
الْعُمَرَانِ وَكَانَتْ دَارَ الْإِسْلَامِ وَمَرْكَزَ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ الْخَطُّ الْبَغْدَادِيُّ مَعْرُوفَ  
الرَّسْمِ وَتَبِعَهُ الْأَفْرِيقِيُّ الْمَعْرُوفُ رَسْمُهُ الْقَدِيمُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيَثْرُبُ مِنْ أَوْضَاعِ الْخَطِّ  
الْمَشْرِقِيِّ وَتَحَيَّرَ مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ بِالْأُمُورَيْنِ فَتَمَيَّزُوا بِأَحْوَالِهِمْ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالصَّنَائِعِ  
وَالْخُطُوطِ فَتَمَيَّزَ صِنْفُ خَطِّهِمُ الْأَنْدَلُسِيُّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَطَمًا بَحْرَ  
الْعُمَرَانِ وَالْحِضَارَةِ فِي الدَّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ قُطْرٍ وَعَظُمَ الْمُلْكُ وَنَفَقَتْ أَسْوَاقُ  
الْعُلُومِ وَانْتَسَحَتْ الْكُتُبُ وَأُجِيدَ كِتَابُهَا وَتَجَلِيدُهَا وَمِلَّتْ بِهَا الْقُصُورُ وَالْخُرَائِنُ  
الْمُلُوكِيَّةُ بِأَلَّا كِفَاءَ لَهُ وَتَنَافَسَ أَهْلُ الْأَقْطَارِ فِي ذَلِكَ وَتَنَافَعُوا فِيهِ ثُمَّ لَمَّا انْحَلَّ نِظَامُ  
الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنَاقَصَتْ تَنَاقَصَ ذَلِكَ أَتَجَمُّ وَدُرِسَتْ مَعَالِمُ بَغْدَادَ بِدُرُوسِ الْخِلَافَةِ  
فَانْتَقَلَ شَأْنُهَا مِنَ الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ بَلْ وَالْعِلْمِ إِلَى مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ فَلَمْ تَرَلْ أَسْوَاقُهَا بِهَا  
نَافِقَةً لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ بِهَا مُعَلِّمُونَ يَرْتَسُونَ لَتَعْلِمَ الْحُرُوفِ بِقَوَائِنِ فِي وَضْعِهَا وَأَشْكَالِهَا  
مَتَعَارَفَةً بَيْنَهُمْ فَلَا يَلْبَثُ الْمُتَعَلِّمُ أَوْ يُحْكِمَ أَشْكَالَ تِلْكَ الْحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَوْضَاعِ  
وَقَدْ لَقِنَهَا حَسَنًا وَحَذَقَ فِيهَا دُرْبَةً وَكِتَابًا وَأَخَذَهَا قَوَائِنَ عِلْمِيَّةً فَتَجَيَّأُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ  
وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَقْتَرَقُوا فِي الْأَقْطَارِ عِنْدَ تَلَاشِي مُلْكِ الْعَرَبِ بِهَا وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنَ  
الْبَرْبِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمْ أُمَمُ النُّصْرَانِيَّةِ فَأَنْتَشَرُوا فِي عُدُوَّةِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ مِنْ لَدُنْ  
الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمِيَّةِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَشَارَكُوا أَهْلَ الْعُمَرَانِ بِأَلَدِيهِمْ مِنَ الصَّنَائِعِ وَتَعَلَّقُوا  
بِأَذْيَالِ الدَّوْلَةِ فَغَلَبَ خَطُّهُمْ عَلَى الْخَطِّ الْأَفْرِيقِيِّ وَعَفَى عَلَيْهِ وَلُئِي خَطُّ الْقَايِرَوَانِ  
وَالْمَهْدِيَّةِ بِنِسْيَانِ عَوَائِدِهِمَا وَصَنَائِعِهِمَا وَصَارَتْ خُطُوطُ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الرَّسْمِ  
الْأَنْدَلُسِيِّ بِتُونِسَ وَمَا إِلَيْهَا لِتَوْفُرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِهَا عِنْدَ الْجَالِيَةِ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ  
وَبَقِيَ مِنْهُ رَسْمُ بِيْلَادِ الْجَرِيدِ الَّذِينَ لَمْ يُخَالِطُوا كُتَّابَ الْأَنْدَلُسِ وَلَا تَمَرَّسُوا بِجَوَارِهِمْ  
إِنَّمَا كَانُوا يَغْدُونَ عَلَى دَارِ الْمَلِكِ بِتُونِسَ فَصَارَ خَطُّ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ مِنْ أَحْسَنِ خُطُوطِ



أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى إِذَا تَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ المُوَحَّدِيَّةِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَتَرَجَعَ أَمْرُ الحِضَارَةِ  
وَالْتَفَ بِتَرَاوَعِ العُمَرَانِ نَقَصَ حَيْثُ كَانَ الحُطُ وَفَسَدَتْ رُسُومُهُ وَجَهَلَ فِيهِ وَجْهُ  
التَّعْلِيمِ بِفَسَادِ الحِضَارَةِ وَتَنَاقَصِ العُمَرَانِ وَبَقِيَتْ فِيهِ آثَارُ الحُطِ الْأَنْدَلِسِيِّ تَشْهَدُ بِأَنَّ  
كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِمَا قَدَّمَناه مِنْ أَنَّ الصَّنَائِعَ إِذَا رَسَخَتْ بِالحِضَارَةِ فَيَعْسُرُ مَحْوُهَا  
وَحَصَلَ فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالمَغْرِبِ الْأَقْصَى لَوْ أَنَّ الحُطِ الْأَنْدَلِسِيِّ  
لَهُرَبِ جَوَارِهِمْ وَسُقُوطِ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى فَارِسَ قَرِيباً وَاسْتَعْمَلَهُمْ إِيَّاهُمْ سَاوِ  
الدَّوْلَةِ وَلَيْسِي عَهْدُ الحُطِ فِيمَا بَعْدَ عَنْ سِدَّةِ المُلْكِ وَدَارِهِ كَأَنَّهُ لَمْ يُعْرِفْ فَصَارَتْ الحُطُوطُ  
بِأَفْرِيتِيَّةَ وَالمَغْرِبِيَّةِ مَائِلَةً إِلَى الرَّدَاءَةِ بَعِيدَةً عَنِ الجُودَةِ وَصَارَتْ الكُتُبُ إِذَا  
أَنْشِئَتْ فَلَا فَايْدَةَ تَحْصُلُ لِمُتَصَفِّحِهَا مِنْهَا إِلَّا العَنَاءُ وَالمَشَقَّةُ لِكثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ  
الْفَسَادِ وَالتَّضْجِيفِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْكَالِ الحُطِيَّةِ عَنِ الجُودَةِ حَتَّى لَا تَكَادُ تُقْرَأُ إِلَّا بَعْدَ  
عَشْرِ وَوَقَعَ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ بِنَقْصِ الحِضَارَةِ وَفَسَادِ الدُّوَلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في صناعة الوراق

كَانَتْ العِنَايَةُ قَدِيماً بِالدَّوَاوِينِ العِلِّيَّةِ وَالسَّجَلَاتِ فِي نَسْخِهَا وَتَجْلِيدِهَا وَتَضْجِيفِهَا  
بِالرِّوَايَةِ وَالضَّبْطِ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ ضَعْفِ الدَّوْلَةِ وَتَوَاعِي الحِضَارَةِ وَقَدْ ذَهَبَ  
ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَتَنَاقُصِ العُمَرَانِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْهُ فِي المِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
مَجْرُ زَاخِرٌ بِالعِرَاقِ وَالْأَنْدَلُسِ إِذْ هُوَ كُلُّهُ مِنْ تَوَاعِي العُمَرَانِ وَاتِّسَاعِ نِطَاقِ الدَّوْلَةِ  
وَنَفَاقِ أَسْوَاقِ ذَلِكَ لَدَيْهِمَا فَكَثُرَتْ التَّالِيفُ العِلِّيَّةُ وَالدَّوَاوِينُ وَحَرَصَ النَّاسُ عَلَى  
تَنَاقُهِمَا فِي الْأَفَاقِ وَالْأَعْصَارِ فَأَنْشِئَتْ وَجِلِدَتْ وَجَاءَتْ صِنَاعَةُ الِوَرَّاقِينَ الْعَمَالِينَ  
لِلْإِتِّسَاحِ وَالتَّضْجِيفِ وَالتَّجْلِيدِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الكُتُبِيَّةِ وَالدَّوَاوِينِ وَأَخْصَصَتْ بِالْأَمْصَارِ  
العَظِيمَةِ العُمَرَانِ وَكَانَتْ السَّجَلَاتُ أَوَّلًا لِإِتِّسَاحِ الْعُلُومِ وَكُتُبِ الرِّسَالِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَالْإِقْطَاعَاتِ وَالصُّكُوكِ فِي الرُّقُوقِ المِهْيَاةِ بِالصِّنَاعَةِ مِنْ أَيْلِدِ لِكثْرَةِ الرِّفَةِ وَقِلَّةِ  
الرِّسَالِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالصُّكُوكِ مَعَ ذَلِكَ فَأَقْتَصَرُوا عَلَى الْكِتَابِ فِي الرِّقِّ تَشْرِيفاً  
لِلْمَكْتُوباتِ وَمَيْلاً بِهَا إِلَى الصِّحَّةِ وَالْإِتْقَانِ ثُمَّ طَمَأَ بَحْرُ التَّالِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَكَثُرَ  
تَرْسِيلُ السُّلْطَانِ وَصُكُوكُهُ وَضَاقَ الرِّقُّ عَنْ ذَلِكَ فَأَمَّارَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بِصِنَاعَةِ

الكَاغِدِ وَصَنَعَهُ وَكَتَبَ فِيهِ رَسَائِلَ السُّلْطَانِ وَصُكُوكَهُ وَاتَّخَذَهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ  
صُفْهًا لِمَكْتُوبَاتِهِمُ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَبَلَّغَتْ الْإِجَادَةُ فِي صِنَاعَتِهِ مَا شَاءَتْ ثُمَّ وَقَفَتْ  
عَنَابَةُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَهُمْ أَهْلُ الدُّوَلِ عَلَى ضَبْطِ الدَّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَتَضْيِيقِهَا بِالرِّوَايَةِ  
الْمُسْتَنَدَةِ إِلَى مُؤَلَّفِيهَا وَوَاضِعِيهَا لِأَنَّهُ الشَّأْنُ الْأَهَمُّ مِنَ التَّصْحِيحِ وَالضَّبْطِ فَبِذَلِكَ تُسَنَدُ  
الْأَقْوَالُ إِلَى قَائِلِهَا وَالْقُتُبُ إِلَى أَتْلَاكِهَا بِهَا الْمُجْتَهِدُ فِي طَرِيقِ اسْتِبْطَاطِهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ  
تَضْيِيقُ الْمُتُونِ بِإِسْنَادِهَا إِلَى مُدَوِّنِهَا فَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُ قَوْلٍ لَهُمْ وَلَا قُتُبًا وَهَكَذَا كَانَ  
شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَمَلَتْهُ فِي الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ وَالْآفَاقِ حَتَّى لَقَدْ قُصِرَتْ فَايِدَةُ الصِّنَاعَةِ  
الْحَدِيثِيَّةِ فِي الرِّوَايَةِ عَلَى هَذِهِ فَقَطْ إِذْ تَمَرَّتْهَا الْكِبَرَى مِنْ مَعْرِفَةِ صَحِيحِ الْأَحَادِيثِ  
وَحَسَنِهَا وَمُسْنَدِهَا وَمُرْسَلِهَا وَمَقْطُوعِهَا وَمَوْقُوفِهَا مِنْ مَوْضُوعِهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَتَمَحَّضَتْ زُبْدَةُ  
فِي ذَلِكَ الْأُمَمَاتُ الْمُتَلَقَّاتُ بِالْقَبُولِ عِنْدَ الْأُمَمِ وَصَارَ الْقَصْدُ إِلَى ذَلِكَ لِقَوًا مِنَ الْعَمَلِ  
وَلَمْ تَبْقَ ثَرَّةُ الرِّوَايَةِ وَالْإِسْتِغَالِ بِهَا إِلَّا فِي تَضْيِيقِ تِلْكَ الْأُمَمَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ وَسِوَاهَا  
مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ لِلْقُتُبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالتَّالِيفِ الْعِلْمِيَّةِ وَاتِّصَالِ سَنَدِهَا  
بِمُؤَلَّفِيهَا لِيَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِمْ وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
مَعْبَدَةَ الطَّرِيقِ وَاضِحَةً الْمَسَالِكِ وَلِهَذَا نَجِدُ الدَّوَاوِينَ الْمُتَنَسِّخَةَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي أَقْطَارِهِمْ  
عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ وَالصِّحَّةِ وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ  
أُصُولٌ عَتِيقَةٌ تَشْهَدُ بِبُلُوغِ الْغَايَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآنَ  
وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهَا بِدَافِئَةِ الضَّانَةِ وَلَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ لِهَذَا الْعَهْدِ جُمْلَةً بِالْمَغْرِبِ وَأَهْلِهِ  
لَا نَبْطَاعَ صِنَاعَةِ الْخَطِّ وَالضَّبْطِ وَالرِّوَايَةِ مِنْهُ بِاتِّتِقَاضِ عُمَرَانِهِ وَبِدَاوَةِ أَهْلِهِ وَصَارَتْ  
الْأُمَمَاتُ وَالِدَّوَاوِينَ تُنْسَخُ بِالْخَطِّ الْيَدَوِيِّ تَنْسَخُهَا طَلَبَةُ الدَّرَجَاتِ صَنَائِفُ مُسْتَعْجِمَةِ بِرَدَاءَةِ  
الْخَطِّ وَكَثْرَةِ الْفَسَادِ وَالتَّضْيِيقِ فَتُسْتَعْلَقُ عَلَى مُتَصَفِّحِيهَا وَلَا يَحْصُلُ مِنْهَا فَايِدَةٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
النَّادِرِ وَأَيْضًا فَقَدْ دَخَلَ الْخَلَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقُتُبِ فَإِنَّ غَالِبَ الْأَقْوَالِ الْمَعْرُوءَةِ غَيْرُ مَرْوِيَّةٍ  
عَنْ أَيْمَةِ الْمَذْهَبِ وَإِنَّمَا تُتَلَقَّى مِنْ تِلْكَ الدَّوَاوِينِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَتَبَعَ ذَلِكَ أَيْضًا مَا  
يَتَصَدَّى إِلَيْهِ بَعْضُ أَيْمَتِهِمْ مِنَ التَّالِيفِ لِأَنَّهُ بَصَرُهُمْ بِصِنَاعَتِهِ وَعَدَمُ الصَّنَائِعِ الْوَاقِيَةِ  
بِمَقَاصِدِهِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الرَّسْمِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَّا إِثْرَةٌ خَفِيَّةٌ بِالْإِمْعَاءِ وَهِيَ الْإِضْطِحَالُ  
فَقَدْ كَادَ الْعِلْمُ يَنْقَطِعُ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَيَبْلُغُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ



أَنَّ صِنَاعَةَ الرِّوَايَةِ قَائِمَةٌ بِالشَّرْقِ وَتَضَحِيحُ الدَّوَابِّ لِمَنْ يَرُومُهُ بِذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى  
مُتَّبِعِيهِ لِنَقَارِ أَسْوَاقِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ كَمَا نَذَكَّرُهُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّ الْخَطَّ الَّذِي بَقِيَ مِنْ  
الْإِجَادَةِ فِي الْإِتِّسَاحِ هُنَالِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلْعَجَمِ وَفِي خُطُوطِهِمْ وَأَمَّا النَّسْخُ بِمِصْرَ فَقَسَدَ  
كَمَا قَسَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأَسَدَ وَآلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني والثلاثون

### في صناعة الغناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ تَلْحِينُ الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى نِسْبٍ مُنْتَظِمَةٍ  
مَعْرُوفَةٍ يُوقَعُ كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا تَوْقِيعًا عِنْدَ قَطْعِهِ فَيَكُونُ نِعْمَةً ثُمَّ تُؤَلَّفُ تِلْكَ النِّعَمُ بَعْضُهَا  
إِلَى بَعْضٍ عَلَى نِسْبٍ مُتَعَارِفَةٍ فَيَلْتَمِسُ سَمَاعُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ التَّنَاسُبِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنْ  
الْكَيْفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ أَنَّ الْأَصْوَاتَ تَتَنَاسَبُ  
فَيَكُونُ صَوْتٌ نِصْفُ صَوْتٍ وَرُبْعُ آخَرٍ وَخُمْسُ آخَرٍ وَجُزْءُ مِنْ أَحَدٍ عَشَرَ مِنْ آخَرٍ  
وَاخْتِلَافُ هَذِهِ النِّسْبِ عِنْدَ تَأْدِيَتِهَا إِلَى السَّمْعِ بِخُرُوجِهَا مِنَ الْبَسَاطَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ  
وَلَيْسَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْهَا مَلْدُودًا عِنْدَ السَّمْعِ بَلْ لِلْمَلْدُودِ تَرَكِيبٌ خَاصَّةٌ وَهِيَ الَّتِي حَصَرَهَا  
أَهْلُ عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهَا كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ يُسَاقُ ذَلِكَ التَّلْحِينُ  
فِي النِّعَمَاتِ الْغَنَائِيَّةِ بِتَقْطِيعِ أَصْوَاتٍ أُخْرَى مِنَ الْجَمَادَاتِ إِمَّا بِالْقَرَعِ أَوْ بِالنَّفْخِ فِي  
الْآلَاتِ تُتَّخَذُ لِذَلِكَ قَدَرٌ لَهَا لَذَّةٌ عِنْدَ السَّمْعِ فَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَصْنَافٌ مِنْهَا مَا يُسَمُّونَهُ  
الشَّبَابَةَ وَهِيَ قِصَّةٌ جَوْفَاءُ بِأَبْخَاشٍ فِي جَوَانِبِهَا مَعْدُودَةٌ يُنْفَخُ فِيهَا فَتُصَوِّرُ فَتُخْرَجُ الصَّوْتُ  
مِنْ جَوْفِهَا عَلَى سِدَادِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْخَاشِ وَيُقَطَّعُ الصَّوْتُ بِوَضْعِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْيَدَيْنِ  
جَمِيعًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْخَاشِ وَضْعًا مُتَعَارِفًا حَتَّى تَحْدُثَ النِّسْبُ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ فِيهِ وَتَتَّحِلَ  
كَذَلِكَ مُتَنَاسِبَةً فَيَلْتَمِسُ السَّمْعُ بِإِدْرَاكِهَا لِلتَّنَاسُبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ جُلْسِ هَذِهِ  
الْآلَةِ الْمِزْمَارُ الَّذِي يُسَمَّى الزَّلَامِي وَهُوَ شَكْلُ الْقِصْبَةِ مَنْخُوْتَةِ الْجَانِبَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ  
جَوْفَاءُ مِنْ غَيْرِ تَدْوِيرٍ لِأَجْلِ اثْتِلَافِهَا مِنْ قِطْعَتَيْنِ مُتَقَرِّبَتَيْنِ كَذَلِكَ بِأَبْخَاشٍ مَعْدُودَةٍ  
يُنْفَخُ فِيهَا بِقِصْبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوَصَّلُ فَيَنْفِذُ النِّفْخُ بِوَاسِطَتِهَا إِلَيْهَا وَتُصَوِّرُ بِنِعْمَةٍ حَادَّةٍ يُجْرَى  
فِيهَا مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْخَاشِ بِالْأَصَابِعِ مِثْلَ مَا يَجْرَى فِي الشَّبَابَةِ  
وَمِنْ أَحْسَنِ آلَاتِ الزَّمْرِ لِهَذَا الْعَهْدِ الْبُوقُ وَهُوَ بُوقٌ مِنْ نُحاسٍ أَجْوَفُ فِي مِقْدَارِ

الذراع يتسع إلى أن يكون أنفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري  
القلم وينفخ فيه بقصة صغيرة تؤدي الريح من الفم إليه فيخرج الصوت نحيماً دويماً  
وفيه أبخاش أيضاً معذودة وتقطع نعمة منها كذلك بالأصابع على التناسب فيكون  
ملدوداً ومنها آلات الأوتار وهي جوفاء كلها إما على شكل قطعة من الكرة مثل  
الربط والرباب أو على شكل مربع كالعانون توضع الأوتار على بساطها مشدودة  
في رأسها إلى دسر جائلة ليأتي شد الأوتار وريحوها عند الحاجة إليه بإدارتها ثم  
تقرع الأوتار إما يعود آخر أو يؤثر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد أن  
يطلق بالشع والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في إمراره أو تقيه من  
وتر إلى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الأوتار توقع بأصابعها على  
أطراف الأوتار فيما يقرع أو يحك بالوتر فتحدث الأصوات متناسبة ملدودة  
وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الأعواد بعضها ببعض على توقيع مناسب  
يحدث عنه التذاذ بالمسوع ولتين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك أن  
اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراك الملائم والمحسوس إنما تدرك منه كيفية  
فإذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملدودة وإذا كانت منافية له منافية  
كانت مؤلمة فالملائم من الطعام ما ناسبت كفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا  
الملائم من التلوسات وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلي الحاري لأنه  
المدرك وإليه تؤدي الحاسة ولهذا كانت الرياحين والأزهار الطريبات أحسن  
رائحة وأشد ملاءمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلي وأما  
المرتيبات والمسروعات فالملائم فيها تناسب الأوضاع في أشكالها وكيفيةاتها فهو  
أنسب عند النفس وأشد ملاءمة لها فإذا كان المرئي متناسباً في أشكاله وتخطيطه  
التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة  
والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ مناسباً  
لنفس المدركة فتلد بإدراك ملائمتها ولهذا تجد الماشقين المستهترين في المحبة  
يعبرون عن غاية محبتهم وعشيتهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر  
تفهمه إن كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وإن كان ما سواك إذا نظرتة وتأملتة



رَأَيْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ اتِّخَادًا فِي الْبِدَاءِ يَشْهَدُ لَكَ بِهِ اتِّخَادُ كَمَا فِي الْكَوْنِ وَمَعْنَاهُ مِنْ  
وَجْهِ آخَرَ أَنَّ الْوُجُودَ يُشْرِكُ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا تَقُولُهُ الْحُكَمَاءُ فَتَوَدُّ أَنْ يَمْتَدِّجَ  
بِمُشَاهَدَاتٍ فِيهِ الْكَمَالُ لِتَسْجِدَ بِهِ بَلْ تَرُومُ النَّفْسُ حَيْثُ خَرَجَ عَنْ الْوَهْمِ إِلَى  
الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ اتِّخَادُ الْمَبْدَأِ وَالْكَوْنِ وَلَمَّا كَانَ أَنْسَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَقْرَبُهَا  
إِلَى أَنْ يُدْرِكَ الْكَمَالَ فِي تَنَاسُبِ مَوْضُوعِهَا هُوَ شَكْلُهُ الْإِنْسَانِي كَانَ إِدْرَاكُهُ لِلْجَمَالِ  
وَالْحُسْنِ فِي تَخَاطُطِهِ وَأَصْوَاتِهِ مِنَ الْمَدَارِكِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى فِطْرَتِهِ فَلْيَجْعَلْ كُلَّ  
إِنْسَانٍ بِالْحُسْنِ مِنَ الْمَرْئِي أَوْ الْمُسْمُوعِ يُقْتَضَى الْفِطْرَةَ وَالْحُسْنَ فِي الْمُسْمُوعِ أَنْ  
تَكُونَ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً لَا مُتَفَارِقَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَهَا كَيْفِيَّاتٌ مِنَ الْهَسِ  
وَالْجُورِ وَالرَّخَاوَةِ وَالْإِدَّةِ وَالْعَلَقَلَّةِ وَالضَّغْطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالتَّنَاسُبُ فِيهَا هُوَ الَّذِي يُوجِبُ  
لَهَا الْحُسْنَ فَأَوَّلًا أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى مَدَى دَفْعَةٍ بَلْ يَتَدَرِّجُ ثُمَّ يَجْعَلُ كَذَلِكَ  
وَهَكَذَا إِلَى الْبَشْرِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَوْسُطِ الْمَتَايِرِ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ وَتَأَمَّلْ هَذَا مِنْ أَفْتِاحِ  
أَهْلِ اللِّسَانِ التَّرَاكُيبِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَفَارِقَةِ أَوْ الْمُتَقَارِبَةِ الْخَارِجِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ  
وَتَانِيًا تَنَاسُبُهَا فِي الْأَجْزَاءِ كَمَا مَرَّ أَوَّلَ الْبَابِ فَيَخْرُجُ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى نِصْفِهِ أَوْ ثُلَاثِهِ أَوْ  
جُزْءٍ مِنْ كَذَا مِنْهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ الشَّقْلُ مُتَنَاسِبًا عَلَى مَا حَصَرَهُ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا  
كَانَتْ الْأَصْوَاتُ عَلَى تَنَاسُبٍ فِي الْكَيْفِيَّاتِ كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ مُلَاحِظَةً  
مَلَذُودَةً وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَكُونُ بَسِيطًا وَيَكُونُ كَثِيفًا مِنَ النَّاسِ مَطْبُوعًا عَلَيْهِ  
لَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى تَعْلِيمٍ وَلَا صِنَاعَةٍ كَمَا نَجِدُ الْمَطْبُوعِينَ عَلَى الْمَوَازِينِ الشِّعْرِيَّةِ وَتَوْفِيقِ  
الرَّقْصِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَتُسَمَّى الْعَامَّةُ هَذِهِ الْعَابِلِيَّةُ بِالْمِضْمَارِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ بِهِذِهِ  
الْمِثَابَةِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَيُجِيدُونَ فِي تَلَاوِينِ أَصْوَاتِهِمْ كَأَنَّهَا التَّرَامِيدُ فَيُطْرَبُونَ  
بِحُسْنِ مَسَاقِيهِمْ وَتَنَاسُبِ نَغَمَاتِهِمْ وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَخْدُثُ بِالْأَرْكَبِ وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ  
يَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَا كُلُّ الطَّبَاعِ تَوَافِقُ صَاحِبَهَا فِي الْعَمَلِ بِهِ إِذَا عَلِمَ وَهَذَا هُوَ التَّلْحِينُ  
الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِهِ عِلْمُ الْمَوْسِيقِيِّ كَمَا نَشْرُحُهُ بَعْدَ عِنْدَ ذِكْرِ الْعُلُومِ وَقَدْ أَنْكَرَ مَا لَكَ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقِرَاءَةَ بِالتَّلْحِينِ وَأَجَازَهَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَلْحِينُ  
الْمَوْسِيقِيِّ الصَّنَاعِيِّ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي حَظِّهِ إِذْ صِنَاعَةُ الْغِنَاءِ مُبَايِنَةٌ لِلْقُرْآنِ  
بِكُلِّ وَجْهِ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ وَالْأَدَاءَ تَحْتَاجُ إِلَى مِقْدَارٍ مِنَ الصَّوْتِ لِتَعْيُنِ أَدَاءِ الْحُرُوفِ لَا

مِنْ حَيْثُ اتَّبَاعُ الْحَرَكَاتِ فِي مَوْضِعِهَا وَمِقْدَارِ الْمَدِّ عِنْدَ مَنْ يُبْلِغُهُ أَوْ يُقْصِرُهُ وَأَمثال  
 ذَلِكَ وَالتَّلْحِينُ أَيْضًا يَتَعَيَّنُ لَهُ مِقْدَارٌ مِنَ الصَّوْتِ لَا يَمُتُّ إِلَّا بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ الَّذِي  
 قَلَنَاهُ فِي حَقِيقَةِ التَّلْحِينِ وَاعْتِبَارُ أَحَدِهِمَا قَدْ يُخِلُّ بِالْآخَرِ إِذَا تَعَارَضَا وَتَقْدِيمُ الرَّوَايَةِ مُتَعَيِّنٌ  
 مِنْ تَغْيِيرِ الرَّوَايَةِ الْمُنْقُولَةِ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يُمَكِّنُ اجْتِمَاعُ التَّلْحِينِ وَالْأَدَاءُ الْمُعْتَبَرُ فِي  
 الْقُرْآنِ يَوْجِبُ وَإِنَّمَا مَرَادُهُمُ التَّلْحِينُ الْبَسِيطُ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَضَامِيرِ بِطَبْعِهِ كَمَا  
 قَدَّمَ نَاهُ فَيُرَدِّدُ أَصْوَاتَهُ تَرْدِيدًا عَلَى نَسَبٍ يُدْرِكُهَا الْعَالَمُ بِالْغِنَاءِ وَغَيْرُهُ وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ  
 يَوْجِبُهُ كَمَا قَالَ مَا لَكَ هَذَا هُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ وَالظَّاهِرُ تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ عَنْ هَذَا كُلِّهِ كَمَا  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ رَجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَحَلُّ خُشُوعٍ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ  
 وَلَيْسَ مَقَامُ التَّلَذُّذِ بِإِذْرَاكِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَهَكَذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُمْ كَمَا فِي أَخْبَارِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أُوتِيَ مِنْ مَرَامِيرِ  
 آلِ دَاوُدَ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ التَّرْدِيدُ وَالتَّلْحِينُ إِنَّمَا مَعْنَاهُ حُسْنُ الصَّوْتِ وَأَدَاءُ الْقِرَاءَةِ  
 وَالْإِبَانَةُ فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَالنُّطْقُ بِهَا وَإِذَا قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْغِنَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَحْدُثُ  
 فِي الْعُمُرَانِ إِذَا تَوَفَّرَ وَتَجَاوَزَ حَدَّ الضَّرُورِيِّ إِلَى الْخَاجِيِّ ثُمَّ إِلَى الْكَمَالِيِّ وَتَفَتَّنُوا  
 فَتَحَدَّثُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَدْعِيهَا إِلَّا مَنْ فَرَّغَ مِنْ جَمِيعِ حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ  
 وَالْمُهِمَّةِ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَنْزِلِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَطْلُبُهَا إِلَّا الْفَارِغُونَ عَنْ سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ  
 تَفَتَّنُوا فِي مَذَاهِبِ الْمَلَذُودَاتِ وَكَانَ فِي سُلْطَانِ الْعَجَمِ قَبْلَ الْبِلَّةِ مِنْهَا بَحْرٌ زَاخِرٌ فِي  
 أَنْصَارِهِمْ وَمُدُنِهِمْ وَكَانَ مُلُوكُهُمْ يَتَخَذُونَ ذَلِكَ وَيُؤَلَّعُونَ بِهِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ لِمُلُوكِ  
 الْفُرسِ اهْتِمَامٌ بِأَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَهُمْ مَكَانٌ فِي دَوْلَتِهِمْ وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَشَاهِدَهُمْ  
 وَمَجَامِعَهُمْ وَيُعْثُونَ فِيهَا وَهَذَا شَأْنُ الْعَجَمِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِهِمْ وَمَمْلَكَةٍ  
 مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَمَّا الْعَرَبُ فَكَانَ لَهُمْ أَوَّلًا فَنُ الشُّعْرِ يُؤَلَّفُونَ فِيهِ الْكَلَامُ أَجْزَاءً  
 مَتَسَاوِيَةً عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنِهَا فِي عِدَّةٍ حُرُوفِهَا الْمُتَحَرِّكَةِ وَالسَّائِكَةِ وَيُفَصِّلُونَ الْكَلَامَ  
 فِي تِلْكَ الْأَجْزَاءِ تَفْصِيلًا يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا مُسْتَقِلًّا بِالْإِفَادَةِ لَا يَنْعَطِفُ عَلَى الْآخِرِ  
 وَيُسَوِّرُهُ الْبَيْتَ فَتَلَايِمُ الطَّبَعِ بِالتَّجْزِئَةِ أَوَّلًا ثُمَّ يَتَنَاسَبُ الْأَجْزَاءُ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَبَادِيهِ  
 ثُمَّ يَتَأَدِّيَةُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَتَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَلَهَجُوا بِهِ فَأَمَّا زَا مِنْ بَيْنِ كَلَامِهِمْ  
 بَعْضُ مِنَ الشَّرَفِ لَيْسَ لِقَائِهِ لِأَجْلِ اخْتِصَاصِهِ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَجَلُّوهُ دِيوَانًا لِأَخْبَارِهِمْ



وَحُكْمِهِمْ وَشَرَفِهِمْ وَمَحْكَا قِرَائِهِمْ فِي إِصَابَةِ الْمَعَانِي وَإِبَادَةِ الْأَسَالِبِ وَأَسْتَمَرُوا  
عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّنَاسُبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِ الْأَجْزَاءِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالسَّاكِنِ مِنَ الْحُرُوفِ  
قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ مَنْ تَنَاسَبَ الْأَصْوَاتُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الدُّوَسِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ  
يَشْعُرُوا بِمَا سِوَاهُ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَمْ يَنْتَحِلُوا عِلْمًا وَلَا عَرَفُوا صِنَاعَةً وَكَانَتْ الْإِدَاوَةُ أَغْلَبَ  
نَحْلِهِمْ ثُمَّ تَغَيَّرَ الْخِدَاةُ مِنْهُمْ فِي حِدَاءِ إِبِلِهِمْ وَالْفُتَيَانُ فِي فِضَاءِ خَلَوَاتِهِمْ فَرَجَّجُوا الْأَصْوَاتَ  
وَوَرَنُوا وَكَانُوا يُسْتَوْنَ اللَّزْمُ إِذَا كَانَ بِالْشُعْرِ غِنَاءً وَإِذَا كَانَ بِالتَّهْلِيلِ أَوْ نَوْعِ  
الْقِرَاءَةِ تَفْهِدًا بِالْعَيْنِ الْمُحْجَمَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَعَلَّمَهَا أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَّاجُ بِأَنَّهُا تُذَكَّرُ  
بِالْفَائِزِ وَهُوَ الْبَاقِي أَيْ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَرُبَّمَا نَاسَبُوا فِي غِنَائِهِمْ بَيْنَ النِّعَاتِ مُنَاسَبَةً  
بَسِيطَةً كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رِشْقٍ آخِرَ كِتَابِ الْعُمْدَةِ وَغَيْرُهُ وَكَانُوا يُسْتَوْنَ السِّتَادَ  
وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي الْخَفِيفِ الَّذِي يُرْقَصُ عَلَيْهِ وَيُمَشَّى بِالْدَفِّ وَالزَّمَامِ  
فِيضْطَرِبُ وَيَسْتَخِفُّ الْخُلُومَ وَكَانُوا يُسْتَوْنَ هَذَا الْهَرَجَ وَهَذَا الْبَسِيطَ كُلَّهُ مِنَ التَّلَاحِينِ  
هُوَ مِنْ أَوَائِلِهَا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَتَقَطَّنَ لَهُ الطَّبَاعُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ شَأْنُ الْبَسَائِطِ كُلِّهَا مِنْ  
الصَّنَائِعِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا شَأْنُ الْعَرَبِ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوْلُوا  
عَلَى مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَحَازُوا سُلْطَانَ الْعَجَمِ وَعَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ وَكَانُوا مِنَ الْإِدَاوَةِ وَالْعُضَاضَةِ عَلَى  
أَحْطَالِ أَلْفِي عَرَفَتْ لَهُمْ مَعَ غَضَارَةِ الدِّينِ وَشِدَّتِهِ فِي تَرْكِ أَحْوَالِ الْفَرَاغِ وَمَا لَيْسَ  
بِتَافِعٍ فِي دِينٍ وَلَا مَعَاشٍ فَهَجَرُوا ذَلِكَ شَيْئًا مَا وَلَمْ يَكُنِ الْمَلْدُودُ عَنْدهُمْ إِلَّا تَرْجِيعُ  
الْقِرَاءَةِ وَاللَّزْمِ بِالْشُعْرِ الَّذِي هُوَ دَيْدَنُهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الدَّفُّ وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ  
الرِّفْقُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَنَائِمِ الْأُمَمِ صَارُوا إِلَى نَضَارَةِ الْعَيْشِ وَرِقَّةِ الْخَاشِيَةِ وَأَسْجِلَاءِ  
الْفَرَاغِ وَافْتَرَقَ الْمُغْنُونَ مِنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ فَوَقَعُوا إِلَى الْحِجَازِ وَصَارُوا مَوَالِي لِلْعَرَبِ  
وَعَنُوا جَمِيعًا بِالْعِيدَانِ وَالطَّنَابِيرِ وَالْمَعَازِفِ وَالْتِرَامِيرِ وَسَمِعَ الْعَرَبُ تَلْحِينَهُمْ لِلْأَصْوَاتِ  
فَلَحَنُوا عَلَيْهَا أَشْعَارَهُمْ وَظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ نَشِيطُ الْفَارِسِيِّ وَطَوَيْسُ وَسَائِبُ بْنُ جَابِرٍ مَوْلَى عُيَيْدِ  
اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَسَمِعُوا بِشَعْرِ الْعَرَبِ وَلَحْنَهُ وَأَجَادُوا فِيهِ وَطَارَ لَهُمْ ذِكْرُكُمْ ثُمَّ أَخَذَ عَنْهُمْ  
مَعْبَدٌ وَطَبَقَتْهُ وَأَبْنُ شُرَيْحٍ وَأَنْظَارُهُ وَمَا زَالَتْ تَتَدَرَّجُ إِلَى أَنْ كَمَلَتْ أَيَّامُ بَنِي الْعَبَّاسِ  
عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيِّ وَأَبْنِ إِسْحَاقَ وَأَبْنِ حَمَادٍ وَكَانَ مِنْ  
ذَلِكَ فِي دَوَانِهِمْ بِبَعْدَادَ مَا تَبِعَهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ بِهِ وَبِمَجَالِسِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَعُوا فِي أَلْفِهِ

وَاللَّيْلِ وَاتَّخَذَتْ آلَاتُ الرِّقَصِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْقُضْبَانِ وَالْأَشْعَارِ الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا عَلَيْهِ  
وُجْهٌ صِنْفًا وَحَدَهُ وَاتَّخَذَتْ آلَاتُ أُخْرَى لِلرِّقَصِ تُسَمَّى بِالْكُرْجِ وَهِيَ تَمَائِيلُ خَيْلٍ  
مُسَرَّجَةٍ مِنْ أَلْحَشَبِ مُعَلَّقَةٍ بِأَطْرَافِ أَقْبِيَةٍ يَلْبَسُهَا النِّسْوَانُ وَيُحَاكِينَ بِهَا أَمْتِطَاءَ الْخَيْلِ  
فَيَكْرُونَ وَيَفِرُّونَ وَيُثَاقِفُونَ وَأَمثالُ ذَلِكَ مِنَ اللَّيْلِ الْمُعَدِّ لِلْأَوَّلِ وَالْأَعْرَاسِ وَأَيَّامِ  
الْأَعْيَادِ وَمَجَالِسِ الْفَرَاغِ وَاللَّهْوِ وَكَثُرَ ذَلِكَ بِبَغْدَادَ وَأَمْصَارِ الْعِرَاقِ وَانْتَشَرَ مِنْهَا إِلَى  
غَيْرِهَا وَكَانَ لِلْمُوصِلِيِّينَ غُلَامٌ أَسْمُهُ زُرْيَابُ أَخَذَ عَنْهُمْ الْغِنَاءَ فَأَجَادَ فَصَرَفُوهُ إِلَى  
الْمَغْرِبِ غِيْرَةً مِنْهُ فَلَحِقَ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ  
فَبَالَغَ فِي تَكْرِمَتِهِ وَرَكِبَ إِلَيْهِ وَأَسْنَى لَهُ الْجَوَازِ وَالْإِقْطَاعَاتِ وَالْجَرَائِاتِ وَأَحْلَهُ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَنُدَّاهُ بِمَكَانٍ فَأَوْرَثَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الْغِنَاءِ مَا تَنَاقَلُوهُ إِلَى أَزْمَانِ  
الطَّوَانِفِ وَطَمًا مِنْهَا بِأَسْطِلِيَّةٍ بَحْرٍ زَاخِرٍ وَتَنَاقَلَ مِنْهَا بَعْدَ ذَهَابِ ضَارَتِهَا إِلَى بِلَادِ الْعُدُوَّةِ  
بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ وَانْقَسَمَ عَلَى أَمْصَارِهَا وَبِهَا الْآنَ مِنْهَا صَبَابَةٌ عَلَى تَرَاجُعِ عُمرَانِهَا  
وَتَنَاقُصِ دَوْلِهَا وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ آخِرُ مَا يَحْصُلُ فِي الْعُمَرَانِ مِنَ الصَّنَائِعِ لِأَنَّهَا كَتَالِيَّةٌ فِي  
غَيْرِ وَطِيقَةٍ مِنَ الرُّطَائِفِ إِلَّا وَطِيقَةُ الْفَرَاغِ وَالْفَرَحِ وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلُ مَا يَنْقَطِعُ مِنَ  
الْعُمَرَانِ عِنْدَ اخْتِلَالِهِ وَتَرَاجُعِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب  
قَدْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ لِلْإِنْسَانِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَأَنَّ  
خُرُوجَهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا هُوَ بِتَجَدُّدِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ عَنِ التَّحْسُّوسَاتِ  
أَوَّلًا ثُمَّ مَا يُكْتَسَبُ بَعْدَهَا بِالْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ إِدْرَاكًا بِالْفِعْلِ وَعَقْلًا مُحَضًّا  
فَتَكُونُ ذَاتًا رُوحَانِيَّةً وَيَسْتَكْبِلُ حِينَئِذٍ وَجُودَهَا فَوَجِبَ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ نَوْعٍ  
مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ يُفِيدُهَا عَقْلًا فَرِيدًا وَالصَّنَائِعُ أَبَدًا يَحْضُرُ عَنْهَا وَعَنْ مَلَكَتِهَا قَانُونٌ  
عَلِيِّ مُسْتَفَادٌ مِنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ فَلِهَذَا كَانَتْ الْحِكْمَةُ فِي التَّجَرِبَةِ تُفِيدُ عَقْلًا وَالْحِصَارَةُ  
الْكَامِلَةُ تُفِيدُ عَقْلًا لِأَنَّهَا مُجْتَمِعَةٌ مِنْ صُنَائِعٍ فِي شَأْنِ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ وَمُعَاشَرَةِ أَهْلِ  
الْجَنَسِ وَتَحْصِيلِ الْأَدَابِ فِي مُعَالَطَتِهِمْ ثُمَّ الْقِيَامِ بِأُمُورِ الدِّينِ وَأَعْيَادِهَا وَشَرَائِطِهَا  
وَهَذِهِ كُتُلًا قَوَانِينُ تُنْتَظَمُ عُلُومًا فَيَحْصُلُ مِنْهَا زِيَادَةُ عَقْلِ وَالْكِتَابَةُ مِنْ بَيْنِ الصَّنَائِعِ



أَكْثَرُ إِفَادَةٍ لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَبَيَانُهُ أَنَّ فِي الْكِتَابَةِ انْتِقَالَ مِنَ الْحُرُوفِ الْخَطِيَّةِ إِلَى الْكَلِمَاتِ اللَّفْظِيَّةِ فِي الْخِيَالِ وَمِنْ الْكَلِمَاتِ اللَّفْظِيَّةِ فِي الْخِيَالِ إِلَى الْمَعَانِي الَّتِي فِي النَّفْسِ ذَلِكَ دَائِمًا فَيَحْصُلُ لَهَا مَلَكَةٌ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْأَدَاةِ إِلَى الْمَدْرَلَاتِ وَهُوَ مَعْنَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي يُكْسِبُ الْعُلُومَ الْمَبْهُوْلَةَ فَيُكْسِبُ بِذَلِكَ مَلَكَةٌ مِنَ التَّعَقُّلِ تَكُونُ زِيَادَةً عَقْلٍ وَيَعْمَلُ بِهِ قُوَّةُ فِطْنَةٍ وَكَيْسٍ فِي الْأُمُورِ لَمَّا تَعَوَّدُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْتِقَالِ وَلِذَلِكَ قَالَ كِنَرِي فِي كِتَابِهِ لَمَّا رَأَاهُمْ يَتَلَكَّ الْفِطْنَةَ وَالْكَيْسَ فَقَالَ دِيَوَانَهُ أَيْ شَيَاطِينُ وَجُنُونٌ قَالُوا وَذَلِكَ أَصْلُ اشْتِقَاقِ الدِّيَوَانِ لِأَهْلِ الْكِتَابَةِ وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ الْحِسَابُ فَإِنَّ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ نَوْعَ تَصَرُّفٍ فِي الْعَدَدِ بِالضَّمِّ وَالتَّفْرِيقِ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِدْلَالٍ كَثِيرٍ فَيَبْقَى مُتَعَوِّدًا لِلِاسْتِدْلَالِ وَالتَّنَظُّرِ وَهُوَ مَعْنَى الْعَقْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الباب السادس

### من الكتاب الاول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله  
من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

### الفصل الاول

في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ سَارَ كَتَمُهُ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ فِي حَيَوَانِيَّتِهِ مِنْ الْخَسْرِ وَالْحَرَكَةِ وَالْغِذَاءِ وَالْكِنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَيَّزَ عَنْهَا بِالْفِكْرِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ لِتَحْصِيلِ مَعَاشِهِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جَنْسِهِ وَالْإِجْتِمَاعِ الِلهِيِّ لِذَلِكَ التَّعَاوُنِ وَقَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ صِلَاحِ أَخْرَافِهِ فَهُوَ مُفَكِّرٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَائِمًا لَا يَفْتُرُ عَنِ الْفِكْرِ فِيهِ طَرَفَةٌ عَيْنٍ بَلْ اخْتِلَاجُ الْفِكْرِ أَسْرَعُ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ وَعَنْ هَذَا الْفِكْرِ تَنْشَأُ الْعُلُومُ وَمَا قَدْ مَنَاهُ مِنَ الصَّنَائِعِ ثُمَّ لَا جُلْ هَذَا الْفِكْرِ وَمَا جُلْ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ بَلْ الْحَيَوَانُ مِنْ تَحْصِيلِ مَا تَسْتَدْعِيهِ الطَّبَاعُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ رَاجِعًا فِي تَحْصِيلِ مَا لَيْسَ

عنده من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحداً بعد آخر ويتتبع على ذلك حتى يصير إحق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً وتتشوف نفوس أهل الجليل النأشي إلى تحصيل ذلك فيقروءون إلى أهل معرفته ويحيي التعليم من هذا فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر.

### الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك أن الخلق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بمحصل ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الذين المتداول حاصلًا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لأننا نجد فهم المسألة الواحدة من ألفن الواحد ووعيتها مشتركة بين من شدا في ذلك ألفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العالم الذي لم يعرف علماً وبين العالم التحرير والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالخساب والجسمانيات كلها محسوسة فتقتصر إلى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفق وجيل ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحداً عند جميعهم ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليقه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليقه متخالفة فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه وإذا تقرر ذلك فأعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن أهل المغرب



باحتلالِ عُمرانِهِ وتناقصِ الدَّولِ فِيهِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْصِ الصَّنَائِعِ وَفَقْدَانِهَا  
كَمَا مَرَّ ذَلِكَ أَنَّ الْقَيْرَوَانَ وَقُرْطَبَةَ كَانَتَا حَاضِرَتِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَاسْتَبَحَرَ عُمرَانُهُمَا  
وَكَانَ فِيهِمَا لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ أَسْوَاقٌ نَافِئَةٌ وَبُحُورٌ زَاخِرَةٌ وَرَسَخَ فِيهِمَا التَّعْلِيمُ لِامْتِدَادِ  
عُصُورِهِمَا وَمَا كَانَ فِيهِمَا مِنَ الْخِصَارَةِ فَلَمَّا خَرِبَتَا انْقَطَعَ التَّعْلِيمُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَّا قَلِيلًا  
كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ بِمَرَّاكِشَ مُسْتَقَادًا مِنْهَا وَلَمْ تَرَسَخِ الْخِصَارَةُ بِمَرَّاكِشَ لِدَاوَةِ  
الدَّوْلَةِ الْمُوَحِّدِيَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَقُرْبِ عَهْدِ أَنْتِقَرَاضِهَا بِمَبْدِئِهَا فَلَمْ تَتَّصِلْ أَحْوَالُ الْخِصَارَةِ  
فِيهَا إِلَّا فِي الْأَقَلِّ وَبَعْدَ أَنْتِرَاضِ الدَّوْلَةِ بِمَرَّاكِشَ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ أَفْرِيقِيَّةِ  
الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ زَيْتُونٍ لِعَوْدِ أَوَاسِطِ الْيَاثَةِ السَّابِعَةِ فَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ الْإِمَامِ ابْنِ  
الْخَطِيبِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَحَدِّقَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالنَّفَلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ  
يَعْلَمُ كَثِيرَ وَتَعْلِيمَ حَسَنٍ وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعَيْبِ الدَّكَّالِيُّ  
كَانَ ارْتَحَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ فَأَخَذَ عَنْ مَشِيخَةٍ مِصْرَ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا  
وَكَانَ تَعْلِيمُهُ مُفِيدًا فَأَخَذَ عَنْهُمَا أَهْلُ تُونِسَ وَاتَّصَلَ سَنَدُ تَعْلِيمِهِمَا فِي تَلَامِيذِهِمَا جِيلًا  
بَعْدَ جِيلٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ شَارِحِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَتَلْمِيزِهِ  
وَأَنْتَقَلَ مِنْ تُونِسَ إِلَى تَلْمُزَانٍ فِي ابْنِ الْإِمَامِ وَتَلْمِيزِهِ فَأَنَّهُ قَرَأَ مَعَ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى  
مَشِيخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَجَالِسَ بَأَعْيَانِهَا وَتَلْمِيزِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بِتُونِسَ وَابْنِ الْإِمَامِ بِتَلْمُزَانٍ  
لِهَذَا الْعَوْدِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنَ اللَّئِةِ بَحِثُ يُخْشَى انْتِطَاعُ سَنَدِهِمْ ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْ زَوَاوَةِ فِي  
آخِرِ الْيَاثَةِ السَّابِعَةِ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ الْبِشْدَالِيُّ وَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ  
الْحَاجِبِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَقَرَأَ مَعَ شَوَّابِ الدِّينِ الْقِرَافِيِّ فِي مَجَالِسَ وَاحِدَةٍ  
وَحَدِّقَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالنَّفَلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ يَعْلَمُ كَثِيرَ وَتَعْلِيمَ مُفِيدٍ وَتَوَلَّى  
بِجَايَةِ وَاتَّصَلَ سَنَدُ تَعْلِيمِهِ فِي طَلَبَتِهَا وَرَبَّمَا أَنْتَقَلَ إِلَى تَلْمُزَانٍ عُمرَانُ الْبِشْدَالِيِّ مِنْ  
تَلْمِيزِهِ وَأَوْطَنَهَا وَبَثَّ طَرِيقَتَهُ فِيهَا وَتَلْمِيزُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ بِبِجَايَةِ وَتَلْمُزَانٍ تَلِيلٌ أَوْ أَقَلُّ  
مِنَ الْقَلِيلِ وَبَقِيَتْ فَاْسُ وَسَائِرُ أَقْطَارِ الْمَغْرِبِ خُلُوعًا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ مِنْ لَدُنْ  
أَنْتِرَاضِ تَعْلِيمِ قُرْطَبَةِ وَالْقَيْرَوَانِ وَلَمْ يَتَّحِلْ سَنَدُ التَّعْلِيمِ فَعَسِرَ عَلَيْهِمْ حُصُولُ الْمَلَكَةِ  
وَالْحَدِّقُ فِي الْعُلُومِ وَأَيْسَرُ طَرِيقِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَقَى اللِّسَانُ بِالْمُحَادَرَةِ وَالْمُسَاطَرَةِ فِي  
الْمَسَائِلِ الْمَلِكِيَّةِ فَهُوَ الَّذِي يُقَرِّبُ شَأْنَهَا وَيُحْصِلُ مَرَامَهَا فَتَجِدُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بَعْدَ

ذَهَابِ الْكَثِيرِ مِنْ أَعْمَارِهِمْ فِي مُلَازِمَةِ الْمَجَالِسِ الْعِلْمِيَّةِ سُكُوتًا لَا يَنْطُقُونَ وَلَا  
 يَفَاوِضُونَ وَعِنَايَتُهُمْ بِالْحِفْظِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْجَاجَةٍ فَلَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ مِنْ مَلَكَهَ التَّصَرُّفِ  
 فِي الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ ثُمَّ بَعْدَ تَحْصِيلِ مَنْ يَرَى مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ تَجِدُ مَلَكَهَ قَاصِرَةً فِي  
 عَلَيْهِ إِنْ قَاوَضَ أَوْ نَظَرَ أَوْ عَلَّمَ وَمَا أَتَاهُمْ الْقُصُورُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ التَّعْلِيمِ وَانْتِطَاعِ سَنَدِهِ  
 وَإِلَّا فَحِفْظُهُمْ أَبْلَغُ مِنْ حِفْظِ سِوَاهُمْ لِشِدَّةِ عِنَايَتِهِمْ بِهِ وَظَنِهِمْ أَنَّهُ الْمُتَقَرِّبُ مِنَ الْمَلَكَهَ  
 الْعِلْمِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَمِمَّا يَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ أَنَّ الْمُدَّةَ الْمُعَيَّنَةَ لِسُكْنَى طَلَبَةِ  
 الْعِلْمِ بِالْمَدَارِسِ عِنْدَهُمْ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً وَهِيَ يَتَوَسَّلُ خَمْسُ سِنِينَ وَهَذِهِ الْمُدَّةُ بِالْمَدَارِسِ  
 عَلَى الْمُتَعَارِفِ هِيَ أَقَلُّ مَا يَتَأْتِي فِيهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ حُصُولُ مُبْتَغَاهُ مِنَ الْمَلَكَهَ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ  
 الْيَأْسِ مِنْ تَحْصِيلِهَا فَطَالَ أَمَدُهَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذِهِ الْمُدَّةِ لِأَجْلِ عُنْرِهَا مِنْ قِلَّةِ الْجُودَةِ  
 فِي التَّعْلِيمِ خَاصَّةً لَا نِهَا سِوَى ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَذَهَبَ رَسْمُ التَّعْلِيمِ مِنْ  
 بَيْنِهِمْ وَذَهَبَتْ عِنَايَتُهُمْ بِالْعُلُومِ لِنَقْصِ عُمُرَانِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مُنْذُ مِثْنِ مِنَ السِّنِينَ  
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رَسْمِ الْعِلْمِ فِيهِمْ إِلَّا فَنُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ اقْتَصَرُوا عَلَيْهِ وَأَنْحَفَظَ سَنَدُ  
 تَعْلِيمِهِ بَيْنَهُمْ فَأَنْحَفَظَ بِحِفْظِهِ وَأَمَّا الْفِقْهُ بَيْنَهُمْ فَرَسْمٌ خُلُوٌّ وَآثَرٌ بَعْدَ عَيْنٍ وَأَمَّا الْعَقْلِيَّاتُ  
 فَلَا آثَرٌ وَلَا عَيْنٌ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِانْقِطَاعِ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِيهَا يَتَنَاقَصُ الْعُمُرَانِ وَتَغْلِبُ الْعَدُوَّةُ  
 عَلَى عَامَّتِهَا إِلَّا قَلِيلًا بِسَيْفِ الْبَحْرِ شُغْلُهُمْ بِمَعَايِشِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ شُغْلِهِمْ بِمَا بَعْدَهَا وَآلَهُ  
 غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ . وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَلَمْ يَنْقُطِ سَنَدُ التَّعْلِيمِ فِيهِ بَلْ أَسْوَأُ نَافِقَةٍ وَبُخُورُهُ  
 زَاخِرَةٌ لِاتِّصَالِ الْعُمُرَانِ التَّوَفُّورِ وَاتِّصَالِ السَّنَدِ فِيهِ وَإِنْ كَانَتْ الْأُمُصَارُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي  
 كَانَتْ مَكَادِنَ الْعِلْمِ قَدْ خَرِبَتْ مِثْلَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ  
 أَدَالَ مِنْهَا بِأُمُصَارِ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ وَانْتَقَلَ الْعِلْمُ مِنْهَا إِلَى عِرَاقِ الْعَجَمِ بِخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ  
 النُّهْرِ مِنَ الْمَشْرِقِ ثُمَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ تَرَلْ مَوْفُورَةً وَعُمُرَانُهَا  
 مُتَّصِلًا وَسَنَدُ التَّعْلِيمِ بِهَا قَائِمًا فَأَهْلُ الْمَشْرِقِ عَلَى الْجُمْلَةِ أَرْسَخُوا فِي صِنَاعَةِ تَعْلِيمِ  
 الْعِلْمِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُظَنُّ كَثِيرٌ مِنْ رَحَالَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَنَّ عُقُولَهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ أَكْمَلُ مِنْ عُقُولِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَنََّّهُمْ أَشَدُّ  
 ذِبَاحَةً وَأَعْظَمُ كَيْسًا بِفِطْرَتِهِمْ الْأُولَى وَأَنَّ نُفُوسَهُمُ النَّاطِقَةُ أَكْمَلُ بِفِطْرَتِهَا مِنْ نُفُوسِ  
 أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَيَعْتَقِدُونَ التَّفَاوُتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَتَشَبَّهُونَ لِذَلِكَ



وَيُولَعُونَ بِهِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ كَيْسِهِمْ فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بَيْنَ  
قَطْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ تَنَافُوتٌ بِهَذَا الْبِقْدَارِ الَّذِي هُوَ تَقَاوُتٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ  
اللَّهُمَّ إِلَّا الْأَقَالِيمَ الْمُتَنَحِرَةَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَالسَّابِعِ فَإِنَّ الْأَنْزِجَةَ فِيهَا مُتَنَحِرَةٌ  
وَالنُّفُوسَ عَلَى نِسْبَتِهَا كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الَّذِي فَضَّلَ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ أَهْلَ الْمَغْرِبِ  
هُوَ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ آثَرِ الْحَضَارَةِ مِنَ الْعَقْلِ التَّرِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي  
الصَّنَائِعِ وَتَرِيدُهُ الْآنَ تَحْقِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرَ لَهُمْ آدَابٌ فِي أحوَالِهِمْ فِي  
الْمَعَاشِ وَالْمَسْكَنِ وَالْبِنَاءِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَكَذَا سَائِرُ أَعْمَالِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ  
وَمَعَامَلَاتِهِمْ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِمْ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابٌ يُوقَفُ عِنْدَهَا فِي جَمِيعِ  
مَا يَتَنَاوَلُونَهُ وَيَتَلَبَّسُونَ بِهِ مِنْ أَخْذٍ وَتَرْكِ حَتَّى كَأَنَّهَا حُدُودٌ لَا تُتَعَدَّى وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ  
صَنَائِعُ يَتَقَاوَمُ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ بِرُجْعِ  
مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ أَثَرٌ يُكْسِبُهَا عَقْلًا جَدِيدًا تَسْتَعِدُّ بِهِ لِقَبُولِ صِنَاعَةٍ أُخْرَى وَيَتَهَيَّأُ بِهَا  
الْعَقْلُ بِسُرْعَةٍ الْإِدْرَاكِ لِلتَّعَارُفِ وَلَقَدْ بَلَّغْنَا فِي تَعْلِيمِ الصَّنَائِعِ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ غَايَاتٍ  
لَا تُدْرِكُ مِثْلَ أَنَّهُمْ يُعَلِّمُونَ الْحُمْرَ الْإِنْسِيَّةَ وَالْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمَ مِنَ الْمَائِي وَالطَّائِرِ  
مَفْرَدَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ يُسْتَعَرَّبُ نُدُورُهَا وَيَعْرِضُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَنْ فَهْمِهَا وَحُسْنِ  
الْمَلَكَاتِ فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَّةِ يَزِيدُ الْإِنْسَانُ ذِكَاةً فِي عَقْلِهِ  
وَإِضَاءَةً فِي فِكْرِهِ بِكَثْرَةِ الْمَلَكَاتِ الْحَاصِلَةِ لِلنَّفْسِ إِذْ قَدَّمْنَا أَنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَنْشَأُ  
بِالْإِدْرَاكِ وَمَا يُرْجَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ فَيَزْدَادُونَ بِذَلِكَ كَيْسًا لِمَا يَرْجَعُ إِلَى  
النَّفْسِ مِنَ الْآثَارِ الْعِلْمِيَّةِ فَيُظَنُّ الْعَامِيُّ تَقَاوُتًا فِي الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
أَلَا تَرَى إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مَعَ أَهْلِ الْبَدْوِ كَيْفَ تَجِدُ الْحَضَرِيَّ مُتَحَلِّيًا بِالذِّكَاةِ مُمْتَلِنًا  
مِنَ الْكَيْسِ حَتَّى أَنَّ الْبَدَوِيَّ لَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ فِي حَقِيقَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ وَعَقْلِهِ وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِبْجَادِيَّتِهِ فِي مَلَكَاتِ الصَّنَائِعِ وَالْآدَابِ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ  
الْحَضَرِيَّةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْبَدَوِيُّ فَلَمَّا أَمْتَلَا الْحَضَرِيُّ مِنَ الصَّنَائِعِ وَمَلَكَاتِهَا وَحُسْنِ  
تَعْلِيمِهَا ظَنَّ كُلُّ مَنْ قَصَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ أَنَّهَا لِكَمَالٍ فِي عَقْلِهِ وَأَنَّ نَفْسَ أَهْلِ الْبَدْوِ  
قَاصِرَةٌ بِفِطْرَتِهَا وَجِلَّتْهَا عَنْ فِطْرَتِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ مَنْ هُوَ فِي  
أَعْلَى رُتَبَةٍ مِنَ الْفَنَمِ وَالْكَمَالِ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ إِنَّمَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ

ذَلِكَ هُوَ رَوْنُ الصَّنَائِعِ وَالتَّعْلِيمِ فَإِنَّ لَهَا آثَاراً تَرْجِعُ إِلَى النَّفْسِ كَمَا قَدَّمَناهُ وَكَذَا  
 أَهْلُ الْمَشْرِقِ لَمَّا كَانُوا فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ أَرْسَخَ رُتَبَةً وَأَعْلَى قَدَمًا وَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 أَقْرَبَ إِلَى الدَّوَاةِ لَمَّا قَدَّمَناهُ فِي الْفَضْلِ قَبْلَ هَذَا ظَنَّ الْمُتَقَلُّونَ فِي بَادِي الرِّأْيِ أَنَّهُ  
 لِكَمَالٍ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ اخْتَصَّوا بِهِ عَنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ فَتَفَهَّمْهُ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَهُوَ إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

### الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْعِلْمِ كَمَا قَدَّمَناهُ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمَناهُ  
 أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْثُرُ فِي الْأَمْصَارِ وَعَلَى نِسْبَةِ عُمَرَانِهَا فِي الْكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ وَالْحَضَارَةِ  
 وَالذَّرْفِ تَكُونُ نِسْبَةُ الصَّنَائِعِ فِي الْجُودَةِ وَالْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْمَعَاشِ فَتَمَيَّزَتْ  
 فَضَلَتْ أَعْمَالُ أَهْلِ الْعُمَرَانِ عَنْ مَعَاشِهِمْ أَنْصَرَفَتْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْمَعَاشِ مِنَ التَّصَرُّفِ  
 فِي خَاصِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَمَنْ تَشَوَّفَ بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْعِلْمِ يَمُنُّ نَشَأَ فِي  
 الْكُرَى وَالْأَمْصَارِ غَيْرِ الْمُتَمَدِّدَةِ فَلَا يَجِدُ فِيهَا التَّعْلِيمَ الَّذِي هُوَ صِنَاعِيٌّ لِقُدْرَانِ الصَّنَائِعِ  
 فِي أَهْلِ الْبَدْوِ كَمَا قَدَّمَناهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْأَمْصَارِ الْمُسْتَبْجِرَةِ  
 شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَاعْتَبَرُ مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَالِ بَغْدَادَ وَقُرْطُبَةَ وَالْقَيْرَوَانَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ  
 لَمَّا كَثُرَ عُمَرَانُهَا صَدَرَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوَتْ فِيهَا الْحَضَارَةُ كَيْفَ زَخَرَتْ فِيهَا بِجَارِ الْعِلْمِ  
 وَتَفَتَّحُوا فِي أَصْلِحِ الْأَحْيَاءِ التَّعْلِيمِ وَأَصْنَافِ الْعُلُومِ وَاسْتَبْطَأَ الْمَسَائِلَ وَالْفُنُونِ حَتَّى أَرَبُوا عَلَى  
 الْمُتَقَدِّمِينَ وَقَاتُوا الْمُتَأَخِّرِينَ وَلَمَّا تَنَاقَصَ عُمَرَانُهَا وَأَبْذَعَرَتْ سُكَّانُهَا أَنْطَوَى ذَلِكَ الْبَسَاطُ  
 بِمَا عَلَيْهِ جُمْلَةُ وَقَدْ عَلِمَ بِهَا وَالتَّعْلِيمُ وَأَنْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ وَنَحْنُ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ نَرَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ إِنَّمَا هُوَ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ لَمَّا أَنَّ عُمَرَانُهَا مُسْتَبْجِرَةٌ  
 وَحَضَارَتُهَا مُسْتَحْكِمَةٌ مُنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا الصَّنَائِعُ وَتَفَتَّحَتْ وَمِنْ  
 جَمَلِهَا تَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِيهَا وَحِظُهُ مَا وَقَعَ لِهَذِهِ الْعُصُورِ بِهَا مُنْذُ مِائَتَيْنِ مِنْ  
 السِّنِينَ فِي دَوْلَةِ الْأَرْكَ مِنْ أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ وَهَلُمَّ جَرًّا وَذَلِكَ أَنَّ أَسْرَاءَ  
 الْأَرْكَ فِي دَوْلَتِهِمْ يَخْشَوْنَ عَادِيَّةَ سُلْطَانِهِمْ عَلَى مَنْ يَتَخَلَّفُونَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ لَمَّا لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ  
 الرِّقِّ أَوْ الْوِلَاءِ وَلَمَّا يُخْشَى مِنْ مَعَاطِبِ الْمَلِكِ وَنِكَابَتِهِ فَاسْتَكْثَرُوا مِنْ بِنَاءِ الْمَدَارِسِ



وَالزَّوَايَا وَالرُّبُطِ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا الْأَوْقَافَ الْمُغَلَّةَ يَجْعَلُونَ فِيهَا شُرَكَاءَ لَوْلَدِهِمْ يَنْظُرُ عَلَيْهَا أَوْ  
يَصِيبُ مِنْهَا مَعَ مَا فِيهِمْ غَالِيًا مِنَ الْجُورِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِسْرِ الْأَجُورِ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ  
فَكَثُرَتْ الْأَوْقَافُ لِذَلِكَ وَعَظُمَتِ الْغَلَاتُ وَالْفَوَائِدُ وَكَثُرَ طَالِبُ الْعِلْمِ وَمُعَلِّمُهُ بِكَثْرَةِ  
جَرَائِئِهِمْ مِنْهَا وَارْتَحَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ وَنَفَقَتْ بِهَا أَسْوَاقُ  
الْعُلُومِ وَزَخَرَتْ بِحَارِّهَا وَأَقْبَهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُلُومَ الَّتِي يَخُوضُ فِيهَا الْبَشَرُ وَيَتَدَارَلُونَهَا فِي الْأَمْصَارِ تَخْصِيلاً وَتَعْلِيماً هِيَ  
عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٍ طَبِيعِيٍّ لِلْإِنْسَانِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ بِفِكْرِهِ وَصِنْفٍ ثَقْلِيٍّ يَأْخُذُهُ عَمَّنْ  
وَضَعَهُ وَالْأَوَّلُ هِيَ الْعُلُومُ الْحِكْمِيَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ  
بِطَبِيعَةِ فِكْرِهِ وَيَهْتَدِي بِمَدَارِكِهِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى مَوْضُوعَاتِهَا وَمَسَائِلِهَا وَأَنْعَاءِ بَرَاهِينِهَا  
وَوُجُوهِ تَعْلِيلِهَا حَتَّى يَقِفَ (١) نَظَرُهُ وَيَحْتَهُ عَلَى الصَّوَابِ مِنْ أَخْطَا فِيهَا مِنْ حَيْثُ هُوَ  
إِنْسَانٌ ذُو فِكْرٍ وَالثَّانِي هِيَ الْعُلُومُ الثَّقَلِيَّةُ الْوَضِيعَةُ وَهِيَ كُلُّهَا مُسْتَنَدَةٌ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ  
الْوَاضِعِ الشَّرْعِيِّ وَلَا مَجَالَ فِيهَا لِلْعَقْلِ إِلَّا فِي إِخْلَاقِ الْفُرُوعِ مِنْ مَسَائِلِهَا بِالْأَصُولِ  
لَأَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ اخْلَاطُوتُ الْمُتَعَايَةِ لَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ الثَّقَلِ الْكُلِّيِّ بِمُجَرَّدِ وَضْعِهِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى الْإِخْلَاقِ بِوَجْهِ قِيَاسِيٍّ إِلَّا أَنْ هَذَا الْقِيَاسُ يَتَفَرَّغُ عَنِ الْخَبَرِ بِثُبُوتِ الْحُكْمِ  
فِي الْأَصْلِ وَهُوَ ثَقْلِيٌّ فَرَجَعَ هَذَا الْقِيَاسُ إِلَى الثَّقَلِ لِتَفَرُّغِهِ عَنْهُ وَأَصْلُ هَذِهِ الْعُلُومِ  
الثَّقَلِيَّةُ كُلُّهَا هِيَ الشَّرْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي هِيَ مَشْرُوعَةٌ لَنَا مِنْ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَهَيَّوْهَا لِلْإِفَادَةِ ثُمَّ يَسْتَشِيعُ ذَلِكَ عُلُومُ  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي هُوَ لِسَانُ أَلِيلَةٍ وَبِهِ تُرِلَ الْقُرْآنُ وَأَصْنَافُ هَذِهِ الْعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ  
كثيرةٌ لِأَنَّ الْمُكَلَّفَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ  
وَعَلَى أَتْبَاءِ جَنْبِهِ وَهِيَ مَا أَخُوذَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالنَّصِّ أَوْ بِالِاجْتِمَاعِ أَوْ  
بِالِإِخْلَاقِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ بِالْكِتَابِ بَيَانِ الْفَاطِظِ أَوَّلًا وَهَذَا هُوَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ ثُمَّ  
بِاسْتِنَادِ ثَقْلِهِ وَرِوَايَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَخْتِلَافِ

(١) قوله حتى يقفه نظره يستعمل وقف متعدياً فتقول وقفه على كذا أي أطلعه عليه قاله نصر

رَوَايَاتِ الْقُرَّاءِ فِي قِرَاءَتِهِ وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ ثُمَّ بِإِسْنَادِ السُّنَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا وَالْكَلَامِ  
 فِي الرُّوَاةِ النَّاقِلِينَ لَهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَعَدَالَتِهِمْ لِيَقَعَ الْوُثُوقُ بِأَخْبَارِهِمْ بِعِلْمٍ مَا يَجِبُ  
 الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ هِيَ عُلُومُ الْحَدِيثِ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي اسْتِنْبَاطِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ  
 مِنْ أَصُولِهَا مِنْ وَجْهِ قَانُونِي يُفِيدُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا الْاسْتِنْبَاطِ وَهَذَا هُوَ أَصُولُ الْفِقْهِ  
 وَبَعْدَ هَذَا تَحْصُلُ الثَّمَرَةُ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ وَهَذَا هُوَ  
 الْفِقْهُ ثُمَّ إِنَّ التَّكَالِيفَ مِنْهَا بَدَنِيٌّ وَمِنْهَا قَلْبِيٌّ وَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِيمَانِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ  
 مِمَّا لَا يُعْتَقَدُ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَأُمُورِ الْخَشَرِ وَالنَّعِيمِ  
 وَالْعَذَابِ وَالْقَدَرِ وَالْحِجَابِ عَنْ هَذِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا بُدَّ أَنْ تَتَقَدَّمَ الْعُلُومُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِأَنَّهُ مُتَوَقَّفٌ عَلَيْهَا وَهِيَ أَصْنَافُ  
 فِيهَا عِلْمُ الْلُغَةِ وَعِلْمُ النُّحْوِ وَعِلْمُ الْبَيَانِ وَعِلْمُ الْأَدَابِ حَسَبًا نَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا كُلِّهَا وَهَذِهِ  
 الْعُلُومُ النَّفْقِيَّةُ كُلُّهَا مُخْتَصَّةٌ بِالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْلِهَا وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مِلَّةٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
 لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فَهِيَ مُشَارِكَةٌ لَهَا فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ  
 الْمُنْذَلَّةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ الْمُبْلَغِ لَهَا وَأَمَّا عَلَى الْخُصُوصِ فَمُبَايِنَةٌ  
 لِجَمِيعِ الْمِلَلِ لِأَنَّهَا نَاسِخَةٌ لَهَا وَكُلُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ عُلُومِ الْمِلَلِ فَهَجُورَةٌ وَالنَّظَرُ فِيهَا مَحْظُورٌ  
 فَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الْمُنْذَلَةِ غَيْرِ الْقُرْآنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ  
 وَإِلَيْنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَاحِدٌ وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَرَقَةً مِنَ التُّرَاثِ فَغَضِبَ حَتَّى تَبَيَّنَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَمْ آتِكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ نَقِيَّةٍ  
 وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَتْهُ إِلَّا اتِّبَاعِي ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ النَّفْقِيَّةَ قَدْ  
 نَفَقَتْ أَسْوَاقُهَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ بِمَا لَا مَرِيدَ عَلَيْهِ وَأَنْتَهَتْ فِيهَا مَدَارِكُ النَّاطِرِينَ إِلَى  
 الْغَايَةِ الَّتِي لَا شَيْءَ فَوْقَهَا وَهَذِبتِ الْأَصْطِلَاحَاتُ وَرَبَّتِ الْفُتُونُ فَجَاءَتْ مِنْ وَرَاءِ الْغَايَةِ فِي  
 الْحُسْنِ وَالشَّمِيقِ وَكَانَ لِكُلِّ فَنٍّ رِجَالٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَأَوْضَاعٌ يُسْتَفَادُ مِنْهَا التَّلْعِيمُ  
 وَأَخْصَصَ الْمَشْرِقُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمَغْرِبُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْهَا حَسَبًا نَذْكُرُهُ الْآنَ عِنْدَ  
 تَعْدِيدِ هَذِهِ الْفُتُونِ وَقَدْ كَسَدَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَسْوَاقُ الْعِلْمِ بِالْمَغْرِبِ لِتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ  
 فِيهِ وَانْقِطَاعِ سَنَدِ الْعِلْمِ وَالتَّلْعِيمِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَمَا أَذْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ



بِالْمَشْرِقِ وَالظَّنُّ بِهِ تَفَاقُ الْعِلْمِ فِيهِ وَاتِّصَالُ التَّعْلِيمِ فِي الْعُلُومِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ  
الضَّرُورِيَّةِ وَالْكُنَائِلَةِ لِكَثْرَةِ عُمَرَانِهِ وَالْحِضَارَةِ وَوُجُودِ الْإِعَانَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِالْجَرَايَةِ  
مِنَ الْأَوْقَافِ الَّتِي اتَّسَعَتْ بِهَا أَرْزَاقُهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ  
وَبِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ

### الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراءات

الْقُرْآنُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمَكْتُوبُ بَيْنَ دَفْتَيْ الْمُصْحَفِ وَهُوَ  
مَتَوَاتِرٌ بَيْنَ الْأُمَّةِ إِلَّا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَوَوْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طُرُقٍ  
مُخْتَلِفَةٍ فِي بَعْضِ الْفَاطَةِ وَكَيْفِيَّاتِ الْخُرُوفِ فِي أَدَانِهَا وَتُذَوِّقُ ذَلِكَ وَاشْتَهَرَ إِلَى أَنْ  
اسْتَقَرَّتْ مِنْهَا سَبْعُ طُرُقٍ مُعَيَّنَةٌ تَوَاتَرَتْ نَقْلُهَا أَيْضًا بِأَدَانِهَا وَاخْتَصَّتْ بِالِاتِّسَابِ إِلَى مَنْ  
اشْتَهَرَ بِرَوَايَتِهَا مِنَ الْجَمْعِ الْغَفِيرِ فَصَارَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ أَصُولًا لِلْقِرَاءَةِ وَرُبَّمَا  
زِيدَ بَعْدَ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ أُخْرَى لِحَتْ بِالسَّبْعِ إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ لَا تَقْرَأُ قُرُونَهَا  
فِي النَّقْلِ وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِهَا وَقَدْ خَالَفَ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَوَاتُرِ  
طُرُقِهَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَدَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِقَادِحٍ فِي  
تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ وَأَبَاهُ الْأَكْثَرُ وَقَالُوا بِتَوَاتُرِهَا وَقَالَ آخَرُونَ بِتَوَاتُرِ غَيْرِ الْأَدَاءِ مِنْهَا  
كَالْمَدِّ وَالشَّهِيلِ لِعَدَمِ التَّوَقُّفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ بِالسَّبْعِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَزَلِ الْقِرَاءَةُ  
يَتَدَاوَلُونَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ وَرَوَايَتِهَا إِلَى أَنْ كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدُورَتِ فَكُتِبَتْ فِيمَا كُتِبَ  
مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَتْ صِنَاعَةً مَخْمُوصَةً وَعِلْمًا مُتَفَرِّدًا وَتَنَاقَلَهُ النَّاسُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
فِي جِيلٍ بَعْدَ جِيلٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ مُجَاهِدٌ مِنْ مَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ وَكَانَ  
مَعْنِيًا بِهَذَا الْفَنِّ مِنْ بَيْنِ قُرُونِ الْقُرْآنِ لَمَّا أَخَذَهُ بِهِ مَوْلَاهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْعَامِرِ  
وَأَجْتَهَدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَرْضِهِ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ بِحَضْرَتِهِ فَكَانَ سَهْمُهُ فِي  
ذَلِكَ وَافِرًا وَاخْتَصَّ مُجَاهِدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِمَارَةِ دَانِيَّةٍ وَالْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ فَتَقَقَّتْ بِهَا سُوقُ  
الْقِرَاءَةِ لِمَا كَانَ هُوَ مِنْ أَئِمَّتِهَا وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِسَائِرِ الْعُلُومِ عُمُومًا وَبِالْقِرَاءَاتِ  
خُصُوصًا فَظَهَرَ لِهَذِهِ أَبُو عَمْرٍو الدَّائِي وَبَلَغَ الْعِلَايَةَ فِيهَا وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا وَأَنْتَهَتْ إِلَى  
رِوَايَتِهِ أَسَانِيدُهَا وَتَعَدَّدَتْ تَأْلِيفُهُ فِيهَا وَعَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَعَدَلُوا عَنْ غَيْرِهَا وَأَعْتَمَدُوا

مِنْ بَيْنَهَا كِتَابُ التَّيْسِيرِ لَهُ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيمَا يَلِيهِ مِنَ الْمُصَوِّرِ وَالْأَجْيَالِ أَبُو الْقَاسِمِ  
 ابْنُ فَيْرُوهَ مِنْ أَهْلِ شَاطِئَةِ فَعَمَدَ إِلَى تَهْذِيبِ مَا دُونَهُ أَبُو عَمْرٍو وَتَلْخِصِهِ فَتَنَظَّمَ ذَلِكَ  
 كُلُّهُ فِي قَصِيدَةٍ لَغَزَ فِيهَا أَسْمَاءُ الْقُرَاءِ بِحُرُوفِ اب ج د ت رْتِيبًا أَحْكَمُهُ لِيَتَيَسَّرَ عَلَيْهِ مَا  
 قَصَدَهُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَلِيَكُونَ أَسْهَلَ لِلْحِفْظِ لِأَجْلِ نَظْمِهَا فَاسْتَوْعَبَ فِيهَا أَلْفَنَ اسْتِيعَابًا  
 حَسَنًا وَعَنَى النَّاسُ بِحِفْظِهَا وَتَلْقِينِهَا لِلرُّلَدَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَرَى الْعَمَلُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ  
 الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَرَبَّمَا أُضِيفَ إِلَى فَنِّ الْإِرَاءَاتِ فَنُّ الرَّسْمِ أَيْضًا وَهِيَ أَوْضَاعُ  
 حُرُوفِ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ وَرُسُومُهُ الْخَطِّ لِأَنَّ فِيهِ حُرُوفًا كَثِيرَةً وَقَعَ رَسْمُهَا عَلَى  
 غَيْرِ الْمَعْرُوفِ مِنْ قِيَاسِ الْخَطِّ كَرِيَادَةِ الْيَاءِ فِي بَابِيَدَ وَزِيَادَةِ الْأَلِفِ فِي لَا أَذْبَحَنَّهُ  
 وَلَا أَوْضَعُوا وَالْوَاوِ فِي جَزَاءِ وَالظَّالِمِينَ وَحَذَفِ الْأَلِفَاتِ فِي مَوَاضِعَ دُونَ أُخْرَى وَمَا  
 رُسِمَ فِيهِ مِنَ التَّاءَاتِ مَمْدُودًا وَالْأَصْلُ فِيهِ مَرْبُوطٌ عَلَى شَكْلِ أَلْهَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ  
 مَرَّ تَعْلِيلُ هَذَا الرَّسْمِ الْمُصْطَفَى عِنْدَ الْكَلَامِ فِي الْخَطِّ فَلَمَّا جَاءَتْ هَذِهِ الْمُخَالَفَةُ  
 لِأَوْضَاعِ الْخَطِّ وَقَانُونِهِ أَحْتِيجَ إِلَى حَضَرِهَا فَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا أَيْضًا عِنْدَ كُتُبِهِمْ  
 فِي الْعُلُومِ وَأَنْتَهَتْ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو الدَّائِي الْمَذْكُورِ فَكَتَبَ فِيهَا كُتُبًا مِنْ  
 أَشْهَرِهَا كِتَابُ الْمُفْتِيعِ وَأَخَذَ بِهِ النَّاسُ وَعَمَرُوا عَلَيْهِ وَنَظَّمَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاطِطِيُّ فِي  
 قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى رَوِيِّ الرِّاءِ وَوَلَعَ النَّاسُ بِحِفْظِهَا ثُمَّ كَثُرَ أ. . فُ فِي الرَّسْمِ فِي  
 كَلِمَاتٍ وَحُرُوفٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ نَبَاحٍ مِنْ مَوَالِي مُجَاهِدٍ فِي  
 كُتُبِهِ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي عَمْرٍو الدَّائِي وَالْمَشْتَهَرُ بِحَمْلِ عُلُومِهِ وَرِوَايَةِ كُتُبِهِ ثُمَّ نُقِلَ  
 بَعْدَهُ خِلَافَ آخَرٍ فَتَنَظَّمَ الْحَرَّازُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ أَرْجُوزَةً أُخْرَى زَادَ فِيهَا  
 عَلَى الْمُفْتِيعِ خِلَافًا كَثِيرًا وَغَزَاهُ لِنَاقِلِيهِ وَاسْتَشْهَرَتْ بِالْمَغْرِبِ وَأَقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى حِفْظِهَا  
 وَهَجَرُوا بِهَا كُتُبَ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِي عَمْرٍو وَالشَّاطِطِيِّ فِي الرَّسْمِ .

( واما التفسير ) فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم  
 فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان يُنزلُ جملاً جملاً  
 وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد  
 الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون  
 ناسخاً له وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُسِّنُّ الْمُجْمَلَ وَيُمَيِّرُ النَّاسِخَ مِنَ الْمُنْسُوخِ



وَيَعْرِفُهُ أَصْحَابُهُ فَعَرَفُوهُ وَعَرَفُوا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ وَمُقْتَضَى أَحْكَامِهَا مِنْهَا مَنْقُولًا عَنْهُ كَمَا  
عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِنَّمَا نَعْيُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَدَارُلَ ذَلِكَ التَّابِعُونَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَزَلْ مُتَقَاتِلًا بَيْنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّلَفِ حَتَّى صَارَتْ الْمَعَارِفُ  
عُلُومًا وَدُورَتْ الْكُتُبُ فَكُتِبَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَنُقِلَتْ الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِيهِ عَنِ  
الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الطَّبَرِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ وَالتَّعَالِيفِيِّ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ  
الْمُفَسِّرِينَ فَكُتِبُوا فِيهِ مَا مَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ مِنَ الْأَثَارِ ثُمَّ صَارَتْ عُلُومُ اللِّسَانِ  
صَنَاعِيَّةٌ مِنَ الْكَلَامِ فِي مَوْضُوعَاتِ اللُّغَةِ وَأَحْكَامِ الْإِعْرَابِ وَالبَلَاغَةِ فِي التَّوَكُّيْبِ  
فَوُضِعَتْ الدَّوَاوِينُ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَلَكَاتٍ لِلْعَرَبِ لَا يُرْجَعُ فِيهَا إِلَى نَقْلِ وَلَا  
كِتَابٍ فَتَوَسَّيَ ذَلِكَ وَصَارَتْ تُتْلَى مِنْ كُتُبِ أَهْلِ اللِّسَانِ فَأَحْتِجَ إِلَى ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَعَلَى مِنْهَاجِ بِلَاغَتِهِمْ وَصَارَ التَّفْسِيرُ عَلَى صَنَفَيْنِ تَفْسِيرٌ نَقْلِي  
مُسْتَدِيرٌ إِلَى الْأَثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ السَّلَفِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَأَسْبَابِ النُّزُولِ  
وَمَقَاصِدِ الْآيِ وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالنَّقْلِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَقَدْ جَمَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ  
فِي ذَلِكَ وَأَوْعَوْا إِلَّا أَنَّ كُتُبَهُمْ وَمَنْقُولَاتِهِمْ تَشْتَلُّ عَلَى الْغَثِّ وَالسَّيْنِ وَالْقَبُولِ  
وَالْمَرْدُودِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا غَلَبَتْ  
عَلَيْهِمُ الْبِدَاوَةُ وَالْأُمِّيَّةُ وَإِذَا تَشَوَّقُوا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِمَّا تَشَوَّقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ  
فِي أَسْبَابِ الْمَكُونَاتِ وَبَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَأَسْرَارِ الْوُجُودِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ أَهْلُ  
الْكِتَابِ قَبْلَهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُمْ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ تَبَعَ دِينَهُمْ مِنَ  
النَّصَارَى وَأَهْلُ التَّوْرَةِ الَّذِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ بَادِيَةٌ مِثْلُهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا  
مَا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُعَظَّمُهُمْ مِنْ خَيْرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ  
فَلَمَّا أَسْلَمُوا بَقُوا عَلَى مَا كَانَتْ عَنْدهُمْ مِمَّا لَا تَعَلَّقُ لَهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَحْتَاطُونَ  
لَهَا مِثْلَ أَخْبَارِ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَمَا يُرْجَعُ إِلَى الْخِلْقَةِ وَالْمَلَا حِمٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَهُؤُلَاءِ  
مِثْلُ كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مُنَبِّهِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَأَمْتَلَاتِ التَّنَاسِيرُ  
مِنَ الْمَنْقُولَاتِ عَنْدهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ أَخْبَارٌ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ مِمَّا  
يُرْجَعُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَتُخَرَّى فِي الصِّحَّةِ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْعَمَلُ وَتَسَاهَلُ الْمُفَسِّرُونَ فِي

مثل ذلك وملاؤا كتب التفسير بهذه المتقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين واليلة فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس إلى التحقيق والتجسس وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق. والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والأعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن يتفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفسير غالياً ومن أحسن ما أشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الآعزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض في آي القرآن من طرق البلاغة فصار ذلك للمحققين من أهل السنة أنحراف عنه وتحذير للجمهور من مكائده مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم إنه مأمون من غوائله فلتعشم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريذ من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبع الفاظه وتعرض لمذاهبه في الآعزال بأدلة تزيهاً ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

## الفصل السادس

### في علوم الحديث

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتشعبة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه



وَذَلِكَ بِمَا ثَبَتَ فِي شَرِيْعَتَا مِنْ جَوَازِ النَّسِيْخِ وَوُقُوْعِهِ لَطْفًا مِنْ اَللّٰهِ بِعِبَادِهِ وَتَخْفِيفًا عَنْهُمْ  
بِاعْتِبَارِ مَصَالِحِهِمُ اَلَّتِي تَكْفُلُ لَهُمْ بِهَا قَالَ تَعَالٰى مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ اَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ  
مِنْهَا اَوْ مِثْلَهَا فَاِذَا تَعَارَضَ الْخَبْرَانِ بِالنَّفْيِ وَالْاِثْبَاتِ وَتَعَدَّرَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِبَعْضِ التَّأْوِيلِ  
وَعِلْمِ تَقْدُّمِ اَحَدِهِمَا تَعَيَّنَ اَنَّ الْمَتَّأَخِرَ نَاسِيْخٌ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِيْخِ وَالْمُنْسُوْخِ مِنْ اَهَمِّ عُلُوْمِ  
الْحَدِيْثِ وَاَصْعَبُهَا نَالُ الرَّهْرِيِّ اَعْيَا الْقَهْمَاءِ وَاَعْجَزُهُمْ اَنْ يَعْرِفُوْا نَاسِيْخَ حَدِيْثِ رَسُوْلِ اَللّٰهِ  
صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَّنْسُوْخِهِ وَكَانَ لِلسَّافِيْهِ رَضِيَّ اَللّٰهُ عَنْهُ فِيْهِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ وَهِيَ  
عُلُوْمُ الْاَحَادِيْثِ النَّظَرُ فِي الْاَسَانِيْدِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنْ الْاَحَادِيْثِ بِوُقُوْعِهِ  
عَلَى السَّنَدِ الْكَامِلِ الشُّرُوْطِ لِاَنَّ الْعَمَلَ اِنَّمَا وَجِبَ بِمَا يَنْبَغُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ مِنْ  
اَخْبَارِ رَسُوْلِ اَللّٰهِ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيجْتَزِدُ فِي الطَّرِيْقِ اَلَّتِي تُحْصِلُ ذَلِكَ الظَّنَّ وَهُوَ  
بِمَعْرِفَةِ رُوَاةِ الْحَدِيْثِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَاِنَّمَا يَثْبُتُ ذَلِكَ بِالنَّظَرِ عَنْ اَعْلَامِ الدِّينِ  
بِتَعْدِيْلِهِمْ وَبِرَّاءَتِهِمْ مِنَ الْجَرَحِ وَالنَّقْلَةِ وَيَكُوْنُ لَنَا ذَلِكَ دَلِيْلًا عَلَى الْقَبُوْلِ اَوْ اَلْتَرْكِ  
وَكَذَلِكَ مَرَاتِبُ هَؤُلَاءِ النَّقْلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ وَتَفَاوُثُهُمْ فِي ذَلِكَ وَتَمَيُّزُهُمْ فِيهِ  
وَاحِدًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ الْاَسَانِيْدُ تَتَفَاوَتْ بِاتِّصَالِهَا وَاتِّطَاعِهَا بِاَنْ يَكُوْنَ الرَّاُوِيْ لَمْ يَلِقِ  
الرَّاُوِيَّ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ وَبِسَلَامَتِهِمَا مِنْ اَلْبَلَاءِ الدَّوْهَةِ لَمَّا وَتَنَتَّوِي بِالْمُنَاوَاتِ إِلَى طَرَفَيْنِ  
فَحُكِمَ بِقَبُوْلِ اَلْأَعْلَى وَرَدَّ اَلْأَسْفَلَ وَيُخْتَلَفُ فِي الْمُسْتَرْطِ بِحَسَبِ الْمُنْقُوْلِ عَنْ  
أَيِّمَةِ الشَّأْنِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ اَلْفَاطُ اَصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِهَا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ مِثْلُ  
الصَّحِيْحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيْفِ وَالْمُرْسَلِ وَالْمُنْتَطِعِ وَالْمُعْضَلِ وَالشَّاذِ وَالزَّرِيْبِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنْ اَلْقَابِ الْمُسْتَدَاوِلَةِ بَيْنَهُمْ وَبَوَّبُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَنَقَّلُوا مَا فِيهِ مِنْ اَلْخِلَافِ  
لَايْمَةِ اَللِّسَانِ اَوْ اَلْوِفَاقِ ثُمَّ اَلنَّظَرُ فِي كَيْفِيَّةِ اخْذِ الرَّوَايَةِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِقِرَاءَةٍ  
اَوْ كِتَابَةٍ اَوْ مُنَاوَلَةٍ اَوْ اِجَازَةٍ وَتَفَاوَتْ رُتَبُهَا وَمَا لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مِنْ اَلْخِلَافِ بِالْقَبُوْلِ  
وَالرَّدِّ ثُمَّ اتَّبَعُوا ذَلِكَ بِسُكْلَامٍ فِي اَلْفَاطِ تَقَعُ فِي مُثُوْنِ الْحَدِيْثِ مِنْ غَرِيْبٍ اَوْ مُشْكِلٍ  
اَوْ تَضْعِيْفٍ اَوْ مُفْتَرَقٍ مِنْهَا اَوْ مُخْتَلَفٍ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ هَذَا مُعْظَمُ مَا يَنْظَرُ فِيهِ اَهْلُ  
الْحَدِيْثِ وَغَالِيَهُ وَكَانَتْ اَحْوَالُ نَقْلَةِ الْحَدِيْثِ فِي عُدُوْرِ السَّافِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ  
مَعْرُوْفَةً عِنْدَ اَهْلِ بَلَدِهِ فَمِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَمِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِنْ اَلْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ  
بِالسَّامِ وَمِصْرَ بِاَلْجَمِيْعِ مَعْرُوْفُوْنَ مَشْهُوْرُوْنَ فِي اَعْصَارِهِمْ وَكَانَتْ طَرِيْقَةُ اَهْلِ الْحِجَازِ

فِي أَصَابِرِهِمْ فِي الْأَسَانِيدِ أَعْلَى مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا فِي الصِّحَّةِ لِاسْتِبْدَادِهِمْ فِي شُرُوطِ  
 النَّقْلِ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَتَجَافِيهِمْ عَنْ قَبُولِ الْمَجْهُولِ الْخَالِ فِي ذَلِكَ وَسَدُّ الطَّرِيقَةِ  
 الْحِجَازِيَّةِ بَعْدَ السَّلَفِ الْإِمَامِ مَا لَكَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ثُمَّ أَصْحَابُهُ مِثْلُ  
 الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَذْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَانَ عِلْمُ  
 الشَّرِيعَةِ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْأَمْرِ تَقْلًا صِرَافًا شَرَّ لَهَا السَّلَفُ وَتَعَرَّوْا الصَّحِيحَ حَتَّى اكْتَمَلُوا  
 وَكُتِبَ مَا لَكَ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَ الْمُوطَّأِ أَوْدَعَهُ أَصُولَ الْأَحْكَامِ مِنَ الصَّحِيحِ  
 الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ وَرَتَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ لِيُثَمَّ عَنِ الْخَافِظِ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِ الْأَحَادِيثِ وَأَسَانِيدِهَا  
 الْمُخْتَلَفَةِ وَرَبَّمَا يَقَعُ إِسْنَادُ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ رِوَاةٍ مُخْتَلِفِينَ وَقَدْ يَقَعُ الْحَدِيثُ  
 أَيْضًا فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِاخْتِلَافِ الْمَعَانِي الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ  
 إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ فِي عَصْرِهِ فَخَرَّجَ أَحَادِيثَ السُّنَّةِ عَلَى أَبْوَابِهَا فِي مُسْنَدِهِ الصَّحِيحِ بِجَمِيعِ الطُّرُقِ  
 الَّتِي لِلْحِجَازِيِّينَ وَالْعِرَاقِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَاعْتَمَدُوا مِنْهَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَكَرَّرَ الْأَحَادِيثَ يَسُوقُهَا فِي كُلِّ بَابٍ بِعَنْ ذَلِكَ الْبَابِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْحَدِيثُ فَكَرَّرَتْ  
 لِذَلِكَ أَحَادِيثُهُ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى تِسْعَةٍ <sup>(١)</sup> آلَافِ حَدِيثٍ وَمِائَتَيْنِ مِنْهَا ثَلَاثَةَ  
 آلَافٍ مُتَكَرِّرَةٍ وَفَرَّقَ الطُّرُقِ وَالْأَسَانِيدِ عَلَيْهَا مُخْتَلَفَةً فِي كُلِّ بَابٍ ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ  
 مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَآلَفَ مُسْنَدَهُ الصَّحِيحَ حَذَا فِيهِ خَذُو  
 الْبُخَارِيُّ فِي نَقْلِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ وَحَذَفَ التَّكَرَّرَ مِنْهَا وَجَمَعَ الطُّرُقِ وَالْأَسَانِيدِ  
 وَيَوَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ وَتَرَاجِيهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَوْعِبِ الصَّحِيحَ كُلَّهُ وَقَدْ اسْتَدْرَكَ  
 النَّاسُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو عِيْسَى التُّرْمُذِيُّ وَأَبُو  
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ وَقَصَدُوا مَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ  
 الْعَمَلِ إِمَّا مِنَ الرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْأَسَانِيدِ وَهُوَ الصَّحِيحُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِمَّا مِنَ الَّذِي  
 دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلْسُّنَةِ وَالْعَمَلِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَسَانِيدُ الْمَشْهُورَةُ  
 فِي الْإِمْلَةِ وَهِيَ أُمَمَاتُ كُتِبَ الْحَدِيثُ فِي السُّنَةِ فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ  
 فِي الْأَغْلَبِ وَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ كُلِّهَا هِيَ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَرَبَّمَا يُفْرَدُ  
 عَنْهَا النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فَيُجْعَلُ فَنَّا بِرَأْسِهِ وَكَذَا الْغَرِيبُ وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفُ مَشْهُورَةٍ

(١) قوله تسعة الذي في النووي على مسلم انها سبعة بتقديم السين محرورة

ثُمَّ الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ وَقَدْ آتَى النَّاسُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَأَكْثَرُوا وَمِنْ فُحُولِ عُلَمَائِهِ  
وَأَنِمَّتِهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ وَتَأَلَّفَهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ وَهُوَ الَّذِي هَدَيْتُهُ وَأَظْهَرَ مَحَاسِنَهُ  
وَأَشْهَرُ كِتَابٍ لِلْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الصَّلَاحِ كَانَ لِعَهْدِ أَوَائِلِ الْبَيَّاتَةِ  
السَّابِعَةِ وَقَلَّاهُ مُصْحَفِي الدِّينِ التَّوَوِي بِمِثْلِ ذَلِكَ وَالْفَنُّ شَرِيفٌ فِي مَقَرَّاهُ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةُ مَا  
يَحْفَظُ بِهِ السُّنَنُ الْمُتَقُولَةُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ وَقَدْ انْقَطَعَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَخْرِيجُ شَيْءٍ مِنْ  
الْأَحَادِيثِ وَاسْتِدْرَاكِهَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ إِذِ الْعَادَةُ أَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأُئِمَّةَ عَلَى  
تَعَدُّدِهِمْ وَتَلَاُحِقِ عُدُورِهِمْ وَكِفَايَتِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُخَالُوا شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ أَوْ  
يَتْرَكُوهُ حَتَّى يَعْزُرَ عَلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُ هَذَا بَعِيدٌ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا تَنَصَّرَفُ الْعِنَايَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَى  
تَصْحِيحِ الْأُمَمَاتِ الْمَكْتُوبَةِ وَضَبْطِهَا بِالرِّوَايَةِ عَنْ مُصَنِّفِيهَا وَالنَّظَرِ فِي أَسَانِيدِهَا إِلَى  
مَوَالِفِهَا وَعَرْضِ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ مِنَ الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ لِتَحْصُلِ  
الْأَسَانِيدُ مُحْكَمَةً إِلَى مُنْتَهَاهَا وَلَمْ يَزِيدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى الْعِنَايَةِ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأُمَمَاتِ الْخَمْسِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ . فَأَمَّا الْبُخَارِيُّ وَهُوَ أَعْلَاهَا رُتَبَةً فَاسْتَصْعَبَ النَّاسُ شَرْحَهُ  
وَأَسْتَغْلَقُوا مَنَاجِدَهُ مِنْ أَجْلِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَرَجَالِهَا مِنْ  
أَهْلِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْإِرَاقِ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَاجْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِمْ وَلِذَلِكَ  
يُحْتَاجُ إِلَى إِيمَانِ النَّظَرِ فِي التَّفَقُّهِ فِي تَرَاجُمِهِ لِأَنَّهُ يُتَرَجَّمُ التَّرْجَمَةُ وَيُورَدُ فِيهَا الْحَدِيثُ  
بِسَنَدٍ أَوْ طَرِيقٍ ثُمَّ يُتَرَجَّمُ أُخْرَى وَيُورَدُ فِيهَا ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِعَيْنِهِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى  
الَّتِي تَرَجَّمُ بِهِ الْبَابُ وَكَذَلِكَ فِي تَرْجَمَةٍ وَتَوَرَّجَةٍ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ الْحَدِيثُ فِي أَبْوَابٍ  
كَثِيرَةٍ بِحَسَبِ مَعَانِيهِ وَاجْتِلَافِهَا وَمِنْ شَرْحِهِ وَلَمْ يَسْتَوْفِ هَذَا فِيهِ فَلَمْ يُوفِ حَقَّ الشَّرْحِ  
كَأَبْنِ بَطَّالٍ وَأَبْنِ الْهَلَبِيِّ وَأَبْنِ التَّيْنِ وَنَحْوِهِمْ وَلَقَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِنْ سُيُوفِ رَحْمَتِهِمْ  
لَهُ يَقُولُونَ شَرَحَ كِتَابَ الْبُخَارِيِّ دَيْنٌ عَلَى الْأُمَّةِ يَعْنُونَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لَمْ  
يُوفِ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الشَّرْحِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ . وَأَمَّا صَحِيحُ مُسْلِمٍ فَكَثُرَتْ عِنَايَةُ عُلَمَاءِ  
الْمَغْرِبِ بِهِ وَأَكْبَرُوا عَلَيْهِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى كِتَابِ الْبُخَارِيِّ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ  
مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ وَأَكْثَرُ مَا وَقَعَ لَهُ فِي التَّرَاجِمِ وَأَمَلَى الْإِمَامُ الْمَارِزِيُّ مِنْ  
فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَلَيْهِ شَرْحًا وَسَمَّاهُ الْمُعَلِّمَ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ اشْتَمَلَ عَلَى عُيُونٍ مِنْ عِلْمِ  
الْحَدِيثِ وَقُدُونٍ مِنَ الْعِلْمِ ثُمَّ أَكْمَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِنْ بَعْدِهِ وَتَمَّمَهُ وَسَمَّاهُ إِكْمَالَ



الْمُعَلِّمِ وَتَلَاهَا مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ بِشَرْحِ اسْتَوْفَى مَا فِي الْكِتَابَيْنِ وَزَادَ عَلَيْهِمَا  
 فُجَاءَ شَرْحًا وَافِيًا . وَأَمَّا كُتُبُ السُّنَنِ الْأُخْرَى وَفِيهَا مُعْظَمُ مَا اخَذَ الْفُقَهَاءُ فَأَكْثَرُ شَرْحِهَا  
 فِي كُتُبِ الْفِقْهِ إِلَّا مَا يُخْتَصُّ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ فَكُتِبَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَاسْتَوْفَوْا مِنْ ذَلِكَ  
 مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَوْضُوعَاتِهَا وَالْأَسَانِيدِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَحَادِيثِ  
 الْمَعْمُولِ بِهَا مِنَ السُّنَّةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَحَادِيثَ قَدْ تَمَيَّزَتْ مَرَاتِبًا إِنْ هَذَا الْعَهْدُ بَيْنَ صَحِيحٍ  
 وَحَسَنٍ وَضَعِيفٍ وَمَعْلُولٍ وَغَيْرِهَا تَنَزَّلَهَا أَيْمَةُ الْحَدِيثِ وَجَاهُ بَدْئِهِ وَعَرَفُوهَا وَلَمْ يَبْقَ طَرِيقُ  
 فِي تَصْحِيحِ مَا يَصِحُّ مِنْ قَبْلُ وَلَقَدْ كَانَ الْأَيْمَةُ فِي الْحَدِيثِ يُعَرِّفُونَ الْأَحَادِيثَ بِطُرُقِهَا  
 وَأَسَانِيدِهَا بِحَيْثُ لَوْ رُويَ حَدِيثٌ بِغَيْرِ سَنَدِهِ وَطَرِيقِهِ يَفْطَنُونَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ قَابَ عَنْ  
 وَضْعِهِ وَلَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ حِينَ وَرَدَ عَلَى بَغْدَادَ  
 وَقَصَدَ الْمُحَدِّثُونَ أَمْتِحَانَهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَحَادِيثَ قَالُوا أَسَانِيدُهَا فَقَالَ لَا أَعْرِفُ هَذِهِ  
 وَلَكِنْ حَدَّثَنِي فُلَانٌ ثُمَّ أَتَى بِجَمِيعِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ عَلَى الْوَضْعِ الصَّحِيحِ وَرَدَّ كُلَّ  
 مَثَرٍ إِلَى سَنَدِهِ وَأَقْرَأُوا لَهُ بِالْإِمَامَةِ . وَاعْلَمْ أَيضًا أَنَّ الْأَيْمَةَ الْمُجْتَهِدِينَ تَنَاقَضُوا فِي  
 الْإِكْتَارِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالْإِقْلَالِ فَأَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُقَالُ بَلَغَتْ  
 رِوَايَتُهُ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ حَدِيثًا أَوْ نَحْوَهَا وَمَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّمَا صَحَّ عِنْدَهُ مَا فِي كِتَابِ  
 الْمَوْطَأِ<sup>(١)</sup> وَغَايَتُهَا ثَلَاثُمِائَةِ حَدِيثٍ أَوْ نَحْوَهَا . وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
 مُسْنَدِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ وَلِكُلِّ مَا أَدَاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ فِي ذَلِكَ وَقَدْ تَقَوَّلَ بَعْضُ  
 الْمُبْغِضِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَلِيلَ الصَّنَاعَةِ فِي الْحَدِيثِ فَلِهَذَا قُلْتُ رِوَايَتُهُ  
 وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ فِي كِبَارِ الْأَيْمَةِ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنَ الْكِتَابِ  
 وَالسُّنَّةِ وَمَنْ كَانَ قَلِيلَ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْحَدِيثِ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ طَلَبُهُ وَرِوَايَتُهُ وَالْجِدُّ وَالشَّدِيدُ  
 فِي ذَلِكَ لِيَأْخُذَ الدِّينَ عَنْ أَصُولٍ صَحِيحَةٍ وَيَتَلَقَّى الْأَحْكَامَ عَنْ صَاحِبِهَا الْمُبْلَغِ لَهُ  
 وَإِنَّمَا قَلَّ مِنْهُمْ مَنْ قَلَّ الرِّوَايَةُ لِأَجْلِ الْمَطَاعِنِ الَّتِي تَعْتَرِضُ فِيهَا وَالْعِلَلِ الَّتِي تَعْرِضُ  
 فِي طُرُقِهَا سِيمَا وَالْجُرْحُ مُقَدَّمٌ عِنْدَ أَكْثَرِ فِتْوَايِهِ الْاجْتِهَادُ إِلَى تَرْكِ الْأَخْذِ بِمَا  
 يَعْزِضُ مِثْلَ ذَلِكَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَطُرُقِ الْأَسَانِيدِ وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فَتَقِلُّ رِوَايَتُهُ

(١) الذي في شرح الزرقاني على الموطأ حكاية أقوال خمسة في عدة أحاديثه أولها ٥٠٠ ثانيها ٧٠٠

ثالثها ألف وبنف رابعها ١٧٢٠ خامسها ٦٦٦ وليس فيه قول بما في هذه النسخة قاله نصر الموريني

لِضَعْفِ فِي الطَّرُقِ هَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ أَكْثَرُ رِوَايَةِ لِلْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِأَنَّ الْمَدِينَةَ دَارُ الْهَجْرَةِ وَمَاوَى الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَنْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ كَانَ سُخْلُهُمْ بِالْجِهَادِ أَكْثَرُ وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا قَلَّتْ رِوَايَتُهُ لِمَا شَدَّدَ فِي شُرُوطِ الرِّوَايَةِ وَالْتَحَاطِ وَضَعْفِ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ الْيَتِيمِي إِذَا عَارَضَهَا الْفِعْلُ النَّفْسِيُّ وَقَلَّتْ مِنْ أَجْلِهَا رِوَايَةُ قَلَّ حَدِيثُهُ لِأَنَّهُ تَرَكَ رِوَايَةَ الْحَدِيثِ مُتَعَمِّدًا فَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ اعْتِمَادُ مَذْهَبِهِ بَيْنَهُمْ وَالتَّغْوِيلُ عَلَيْهِ وَاعْتِبَارُهُ رَدًّا وَقَبُولًا وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنْ الْمُحَدِّثِينَ وَهُمْ الْجُمْهُورُ فَتَوَسَّعُوا فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَ حَدِيثُهُمْ وَالْكَلُّ عَنْ اجْتِهَادٍ وَقَدْ تَوَسَّعَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَتْ رِوَايَتُهُمْ وَرَوَى الطَّحْطَارِيُّ فَأَكْثَرُ وَكُتِبَ مُسْنَدُهُ وَهُوَ جَلِيلُ الْقَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْدُلُ الصَّحِيحِينَ لِأَنَّ الشُّرُوطَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابَيْهِمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْأُئِمَّةِ كَمَا قَالُوهُ وَشُرُوطُ الطَّحْطَارِيِّ غَيْرُ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا كَالرِّوَايَةِ عَنِ الْمُسْتَوْرِ أَحَالٍ وَغَيْرِهِ فَلِهَذَا قَدِمَ الصَّحِيحَانِ بِلَا وَكُتِبَ السُّنَنِ الْمَعْرُوفَةُ عَلَيْهِ لِتَأَخُّرِ شَرْطِهِ عَنْ شُرُوطِهِمْ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا قِيلَ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِهِمَا مِنْ جِهَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهِمَا مِنَ الشُّرُوطِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا فَلَا تَأْخُذُكَ رَيْبَةٌ فِي ذَلِكَ فَالْقَوْمُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِمْ وَالْتِمَاسِ الْمَخَارِجِ الصَّحِيحَةِ لَهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ

### الفصل السابع

في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض

اللَّهُ مَعْرِفَةُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ بِالْوُجُوبِ وَالْحُدُودِ وَالنَّدْبِ وَالْكَرَاهَةِ وَالْإِبَاحَةِ وَهِيَ مُتَلَقَّاةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا نَصَبَهُ الشَّارِعُ لِمَعْرِفَتِهَا مِنْ الْأَدِلَّةِ فَإِذَا اسْتُخْرِجَتْ الْأَحْكَامُ مِنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ قِيلَ لَهَا فِقْهٌ وَكَانَ السَّلَفُ يَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَا يُدَّ مِنْ وَجْهِهِ ضَرُورَةٌ أَنَّ الْأَدِلَّةَ غَالِبُهَا مِنَ النُّصُوصِ وَهِيَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَفِي اقْتِضَاءَاتِ الْفَاطِطَاتِ لِكَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفٌ وَأَيْضًا فَالسُّنَّةُ مُخْتَلِفَةٌ الطَّرُقُ فِي الثَّبُوتِ وَتَعَارَضُ فِي الْأَكْثَرِ أَحْكَامُهَا فَتَحْتَاجُ إِلَى التَّرْجِيحِ وَهُوَ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا فَالْأَدِلَّةُ مِنْ غَيْرِ النُّصُوصِ مُخْتَلِفٌ فِيهَا وَأَيْضًا فَالْوَقَائِعُ الْمُتَجَدِّدَةُ لَا تُوفِّي بِهَا النُّصُوصُ وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرُ ظَاهِرٍ فِي النُّصُوصِ

فِيَحْتَلُّ عَلَى الْمَنُصُوصِ لِمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا إِشَارَاتٌ لِلْخِلَافِ ضَرُورِيَّةُ الْوُقُوعِ  
وَمِنْ هُنَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَثَنَةِ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا  
أَهْلَ فُتْيَا وَلَا كَانَ الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْ جَمِيعِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِالْحَاطَمَيْنِ لِلْقُرْآنِ  
الْعَارِفِينَ بِنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَمُتَشَابِهِهِ وَمُحْكَمِهِ وَسَائِرِ دِلَالَتِهِ يَا تَلَقُّوهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ سَبْعَةٍ مِنْهُمْ وَمِنْ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا يُسْتَوْنَ لِذَلِكَ الْقُرَاءَةِ أَيْ الَّذِينَ  
يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أُمَّةً أُمِّيَّةً فَأَخْصَّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ قَارِئًا لِلْكِتَابِ  
بِهَذَا الْأَسْمِ لِقَرَابَتِهِ يَوْمَئِذٍ وَبَيَّيْنَا الْأَمْرَ كَذَلِكَ صَدَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ عَظُمَتْ أَمْصَارُ الْإِسْلَامِ  
وَذَهَبَتْ الْأُمِّيَّةُ مِنَ الْعَرَبِ بِمَارَسَةِ الْكِتَابِ وَتَمَكَّنَ الْإِسْتِنْبَاطُ وَكَمُلَ الْفِقْهُ  
وَأَصْبَحَ صِنَاعَةً وَعِلْمًا فَبَدَلُوا بِأَسْمِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْقُرَاءَةِ وَأَنْقَسَمَ الْفِقْهُ فِيهِمْ إِلَى  
طَرِيقَتَيْنِ طَرِيقَةُ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُمْ  
أَهْلُ الْحِجَازِ وَكَانَ الْحَدِيثُ قَلِيلًا فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ لِمَا قَدَّمَاهُ فَاسْتَكْثَرُوا مِنَ الْقِيَاسِ  
وَمَهَرُوا فِيهِ فَلِذَلِكَ قِيلَ أَهْلُ الرَّأْيِ وَمَقَدَّمُ جَمَاعَتِهِمُ الَّذِي اسْتَقَرَّ الْمَذْهَبُ فِيهِ وَفِي  
أَصْحَابِهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَإِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَنْكَرَ  
الْقِيَاسَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَبْطَلُوا الْعِلَّ بِهِ وَهُمْ الظَّاهِرِيَّةُ وَجَعَلُوا الْمَدَارِكَ كُلَّهَا  
مُنْخَصِرَةً فِي النُّصُوصِ وَالْإِجْمَاعِ وَرَدُّوا الْقِيَاسَ الْجُلِيِّ وَالْعِلَّةَ الْمَنْصُوصَةَ إِلَى النَّصِّ  
لَأَنَّ النَّصَّ عَلَى الْعِلَّةِ نَصٌّ عَلَى الْحُكْمِ فِي جَمِيعِ مَحَالِّهَا وَكَانَ إِمَامُ هَذَا الْمَذْهَبِ دَاوُدُ  
ابْنُ عَلِيٍّ وَابْنُهُ وَأَصْحَابُهُمَا وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ هِيَ مَذَاهِبُ الْجُمْهُورِ الْمُشْتَهَرَةِ  
بَيْنَ الْأُمَّةِ وَشَدَّ أَهْلُ السُّنَنِ بِمَذَاهِبِ ابْتِدَعُوهَا وَفَقَّهَ أَنْفَرَدُوا بِهِ وَبَنَوْهُ عَلَى مَذَاهِبِهِمْ  
فِي تَنَازُلٍ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِالْقَدَحِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ بَعْضَةُ الْأَثَنَةِ وَرَفَعَ الْخِلَافُ عَنْ  
أَقْوَالِهِمْ وَهِيَ كُلُّهَا أَصُولٌ وَاهِيَّةٌ وَشَدَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَحْتَفِلِ الْجُمْهُورُ بِمَذَاهِبِهِمْ  
بَلْ أَوْسَعُوهَا جَانِبَ الْإِنْكَارِ وَالْقَدَحِ فَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ وَلَا نَرَوِي كُتُبَهُمْ  
وَلَا أَثَرَ لَشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِمْ فَكُتِبَ الشَّيْعَةُ فِي بِلَادِهِمْ وَحَيْثُ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ  
قَائِمَةً فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْيَمَنِ وَالْخَوَارِجُ كَذَلِكَ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ كُتُبٌ وَتَأَلِيفٌ  
وَأَرَاءُ فِي الْفِقْهِ غَرِيبَةٌ ثُمَّ دُرِسَ مَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ الْيَوْمَ بِدُرُوسِ أَثَنَتِهِ وَإِنْكَارِ  
الْجُمْهُورِ عَلَى مُنْتَحِلِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي الْكُتُبِ الْمَجْلَدَةِ وَرُبَّمَا يَغِيفُ كَثِيرٌ مِنَ الطَّالِبِينَ



مَنْ تَكَلَّفَ بِاتِّخَالِ مَذْهَبِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ يَوْمَ أَخَذَ قِيَمَتَهُمْ مِنْهَا وَمَذْهَبِهِمْ فَلَا  
يَخْلُو بِطَائِلٍ وَيَصِيرُ إِلَى مُخَالَفَةِ الْجُمْهُورِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا عَدَّ بِهِدِهِ التَّحَلُّ مِنْ  
أَهْلِ الْبِدْعِ بِنَقْلِهِ الْعِلْمَ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ  
بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ فِي حِفْظِ الْحَدِيثِ وَصَارَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَمَهْرَفِيهِ  
بِاجْتِهَادِ زَعْمِهِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَخَالَفَ إِمَامَهُمْ دَاوُدَ وَتَعَرَّضَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ  
فَتَيَمَّ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوْسَعُوا مَذْهَبَهُ اسْتِهْجَانًا وَإِنْكَارًا وَتَلَقَّوْا كُتْبَهُ بِالْإِغْفَالِ وَاللُّزْكَ  
حَتَّى إِنَّهَا لَيُحْصَرُ بَيْنَهَا بِالْأَسْوَاقِ وَرُبَّمَا تَسَرَّقَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَذْهَبُ  
أَهْلِ الرَّأْيِ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْحِجَازِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْعِرَاقِ فَأَمَامُهُمُ الَّذِي  
اسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ مَذَاهِبُهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَقَامُهُ فِي الْفَقْهِ لَا يُلْحَقُ شُؤْدَةً لَهُ  
بِذَلِكَ أَهْلُ جِلْدَتِهِ وَخُصُوصًا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَكَانَ إِمَامُهُمْ مَالِكُ  
بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيُّ إِمَامَ دَارِ الْهِجْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاخْتَصَّ بِزِيَادَةِ مُدْرِكِهِ آخِرُ  
الْأَحْكَامِ غَيْرِ الْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ وَهُوَ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ رَأَى  
أَنَّهُمْ فِيمَا يَنْفُسُونَ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُتَابِعُونَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ ضَرُورَةً لِدِينِهِمْ وَأَقْدَانِهِمْ  
وَهَكَذَا إِلَى الْجِيلِ الْمُبَاشِرِينَ لِفِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآخِذِينَ ذَلِكَ عَنْهُ  
وَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنْ أُصُولِ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَظَنُّ كَثِيرٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ  
فَأَنْكَرَهُ لِأَنَّ دَلِيلَ الْإِجْمَاعِ لَا يَخُصُّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِوَاهُمْ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِلْأُمَّةِ .  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ إِنَّمَا هُوَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى الْأَمْرِ الدِّينِيِّ عَنْ اجْتِهَادٍ وَمَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ  
تَعَالَى لَمْ يَتَّخِذْ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنَّمَا أَعْتَبَهُ مِنْ حَيْثُ اتَّبَاعُ الْجِيلِ  
بِالْمُشَاهَدَةِ لِلْجِيلِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَضَرُورَةُ أَقْدَانِهِمْ  
بَعَيْنِ ذَلِكَ يَعُمُّ أَلْبَلَّةُ ذُكِرَتْ فِي بَابِ الْإِجْمَاعِ وَالْأَبْوَابُ يَوْمًا مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنْ  
الْإِتِّفَاقِ أَجْمَعٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ عَنْ نَظَرٍ وَاجْتِهَادٍ  
فِي الْأَدِلَّةِ وَاتِّفَاقٌ هَؤُلَاءِ فِي فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُسْتَنَدِينَ إِلَى مُشَاهَدَةٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَوْ ذُكِرَتْ  
السَّأَلَةُ فِي بَابِ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْرِيرِهِ أَوْ مَعَ الْأَدِلَّةِ الْمُخْتَلَفِ  
فِيهَا مِثْلَ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَشَرَعٍ مَنْ قِيلَ وَالْأَسْتِصْحَابُ لَكَانَ أَلْيَقَ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِ  
مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الْمُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحَّلَ إِلَى الْعِرَاقِ

مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَابْنِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَمَرَجَ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ  
 بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَخْضَصَ بِمَذْهَبِ وَخَالَفَ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنْ  
 مَذْهَبِهِ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ مِنْ عَلِيَّةِ الْمُحَدِّثِينَ وَقَرَأَ  
 أَصْحَابُهُ عَلَى أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مَعَ وَفُورٍ بِضَاعَتِهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ فَأَخْضَعُوا بِمَذْهَبِ  
 آخِرٍ وَوَقَفَ التَّقْلِيدُ فِي الْأَمْصَارِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَدَرَسَ الْمُقَلِّدُونَ لِمَنْ سِوَاهُمْ وَسَدَّ  
 النَّاسُ بَابَ الْخِلَافِ وَطَرَفَهُ لَمَّا كَثُرَ تَشَعُّبُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْعُلُومِ وَلَمَّا عَاقَ عَنْ  
 الْأُصُولِ إِلَى رُتْبَةِ الْاجْتِهَادِ وَلَمَّا خُشِيَ مِنْ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ وَمَنْ لَا يُوثَقُ  
 بِوَأْيِهِ وَلَا يَدِينُهُ فَصَرَّحُوا بِالْعَجْزِ وَالْإِعْوَازِ وَرَدُّوا النَّاسَ إِلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ كُلِّ مَنْ  
 اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ وَحَظَرُوا أَنْ يَتَدَاوَلَ تَقْلِيدُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاعِبِ وَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا نَقْلُ مَذَاهِبِهِمْ وَعَمِلَ كُلُّ مُقَلِّدٍ بِمَذْهَبٍ مِنْ قَلْدِهِ مِنْهُمْ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْأُصُولِ  
 وَاتِّصَالِ سَنَدِهَا بِالرِّوَايَةِ لَا مَحْضُولَ الْيَوْمِ لِلْفَقْهِ غَيْرُ هَذَا وَمُدَّعِي الْاجْتِهَادِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 مُرْدُودٌ عَلَى عَمِيهِ مَهْجُورٌ تَقْلِيدُهُ وَقَدْ صَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ عَلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ  
 الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ فَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَمُقَلِّدُهُ قَلِيلٌ لِبَعْدِ مَذْهَبِهِ عَنِ الْاجْتِهَادِ  
 وَأَصَالَتِهِ فِي مُعَاظَدَةِ الرِّوَايَةِ وَلِلْأَخْبَارِ بَعْضُهَا يَبْعُضُ وَأَكْثَرُهُمْ بِالسَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ  
 بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِلسُّنَّةِ وَرِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقَلْدُهُ  
 الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمُسْلِمَةُ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهَا لِمَا كَانَ  
 مَذْهَبُهُ أَخْصَ بِالْعِرَاقِ وَدَارِ السَّلَامِ وَكَانَ تَلِيذُهُ صَحَابَةُ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 فَكَثُرَتْ تَأْلِيفُهُمْ وَمُنَاطَرَاتُهُمْ مَعَ الشَّافِعِيَّةِ وَحَسُنَتْ مَبَاحِثُهُمْ فِي الْخِلَافِيَّاتِ وَجَاءُوا  
 مِنْهَا بِعِلْمٍ مُسْتَظَرَفٍ وَأَنْظَارٍ غَرِيبَةٍ وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَبِالْمَغْرِبِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ  
 نَقَلَهُ إِلَيْهِ الْقَاضِي بْنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ فِي رِحْلَتَيْهِمَا وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَمُقَلِّدُوهُ  
 بِيصَرَ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهَا وَقَدْ كَانَ انْتَشَرَ مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ  
 وَقَاسَمُوا الْخَفِيَّةَ فِي الْفَتْوَى وَالتَّدْرِيسِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَعَظُمَتْ مَجَالِسُ الْمُنَاطَرَاتِ  
 بَيْنَهُمْ وَشُجِنَتْ كُتُبُ الْخِلَافِيَّاتِ بِأَنْوَاعِ اسْتِدْلَالَاتِهِمْ ثُمَّ دُرِسَ ذَلِكَ سُكَّةً بِدُرُوسِ  
 الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ وَكَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ لَمَّا تَوَلَّى عَلَى بَنِي  
 عَبْدِ الْحَكَمِ بِيصَرَ أَخَذَ عَنْهُ حَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَشْهَبُ وَأَبْنُ الْقَاسِمِ



وَأَبْنُ الْمَوَازِ وَغَيْرُهُمْ ثُمَّ أَخَارِسُ بْنُ مَسْكِينٍ وَبَنُوهُ ثُمَّ أَنْقَرَضُ فَقَهْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ وَضْعِ  
بُظُورِ دَوْلَةِ الرَّافِضَةِ وَتَدَاوُلِ بِهَا قَهْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَتَلَاثِي مَنْ سِوَاهُمْ إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ  
دَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الرَّافِضَةِ عَلَى يَدِ صَلاَحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَثِيرٍ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ قَهْرُ  
الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ فَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ وَنَفَقَتْ سُوقُهُ  
وَأَشْتَهَرَ مِنْهُمْ مُجِيبُ الدِّينِ التَّوَوِيُّ مِنَ الْحَلَبَةِ الَّتِي رِيَّتْ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ  
بِالشَّامِ وَعِزُّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ أَيْضًا ثُمَّ بْنُ الرُّقْمَةِ بِبِصْرَ وَتَقِيُّ الدِّينِ بْنُ  
دَقِيقِ الْعِيدِ ثُمَّ تَقِيُّ الدِّينِ السَّبْكِ بَعْدَهُمَا إِلَى أَنْ أَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ  
بِبِصْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ سِرَاجُ الدِّينِ الْبَلْقِينِيُّ فَهُوَ الْيَوْمَ أَكْبَرُ الشَّافِعِيَّةِ بِبِصْرَ كَبِيرُ  
الْعُلَمَاءِ بَلْ أَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ وَأَمَّا مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَخْصَى بِمَذْهَبِهِ  
أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَإِنْ كَانَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُقَلِّدُوا غَيْرَهُ إِلَّا فِي  
الْقَلِيلِ لِمَا أَنَّ رِحْلَتَهُمْ كَانَتْ غَالِبًا إِلَى الْحِجَازِ وَهُوَ مُنْتَهَى سَفَرِهِمْ وَالْمَدِينَةُ يَوْمَئِذٍ دَارُ  
الْعِلْمِ وَمِنْهَا خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْعِرَاقُ فِي طَرِيقِهِمْ فَأَقْتَصَرُوا عَنِ الْإِخْذِ عَنْ عُلَمَاءِ  
الْمَدِينَةِ وَشَيْخِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَإِمَامِهِمْ مَالِكٌ وَشُيُوخُهُ مِنْ قَبْلِهِ وَتَلِيدُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَعَ  
إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَقَلَّدُوهُ دُونَ غَيْرِهِ يَمْنًا لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ طَرِيقُهُ وَأَيْضًا  
خَالِدَاؤُهُ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُونُوا يُعَايُنُونَ الْحَضَارَةَ الَّتِي  
لِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَكَانُوا إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ أَمِيلًا لِمُنَاسَبَةِ الدَّوَاةِ وَلِهَذَا لَمْ يَزَلِ الْمَذْهَبُ  
الْمَالِكِيُّ غَضًا عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهُ تَفْصِيحُ الْحَضَارَةِ وَتَهْذِيبُهَا كَمَا وَقَعَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ  
وَلَمَّا صَارَ مَذْهَبُ كُلِّ إِمَامٍ عِلْمًا مَخْصُوصًا عِنْدَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى  
الْإِجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ فَاحْتَاجُوا إِلَى تَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ فِي الْإِلْخَاقِ وَتَفْرِيعِهَا عِنْدَ الْأَشْيَاءِ  
بَعْدَ الْإِسْتِنَادِ إِلَى الْأُصُولِ الْمُقَرَّرَةِ مِنْ مَذَاهِبِ إِمَامِهِمْ وَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَى  
مَمْلَكَةٍ رَاسِخَةٍ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى ذَلِكَ التَّنَوُّعِ مِنَ التَّنْظِيرِ أَوْ التَّفْرِيقِ وَاتَّبَعَ مَذْهَبُ إِمَامِهِمْ  
فِيهِمَا مَا اسْتَطَاعُوا وَهَذِهِ الْمَمْلَكَةُ هِيَ عِلْمُ أَفَقِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ جَمِيعًا مُقَلِّدُونَ  
لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَفْتَرَقُوا بِبِصْرَ وَالْعِرَاقِ فَكَانَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ  
الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ وَطَبَقَتُهُ مِثْلُ ابْنِ خُوَيْزَمَنْدَادَ وَأَبْنِ اللَّبَّانِ وَالْقَاضِي وَأَبِي بَكْرٍ  
الْأَبْهَرِيُّ وَالْقَاضِي أَبِي حُسَيْنِ بْنِ الْقَصَّارِ وَالْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَانَ



يَمُضِرُ ابْنُ الْقَاسِمِ وَأَشْهَبُ وَابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَآخِرُ بْنُ مَسْكِينٍ وَطَبَقْتُهُمْ وَرَحَلَ  
مَنْ الْأَنْدَلُسِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ فَأَخَذَ عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ وَطَبَقْتِهِ وَبَثَّ مَذْهَبَ مَالِكٍ  
فِي الْأَنْدَلُسِ وَدَوَّنَ فِيهِ كِتَابَ الْوَاضِحَةِ ثُمَّ دَوَّنَ الْعَتِيَّةُ مِنْ تَلَامِيذِهِ كِتَابَ الْعَتِيَّةِ  
وَرَحَلَ مِنْ أَفْرِيْقِيَّةِ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ فَكَتَبَ عَنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيْفَةَ أَوَّلًا ثُمَّ أَنْتَقَلَ  
إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَكَتَبَ عَلَى ابْنِ الْقَاسِمِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْفِقْهِ أَوْجَاءً إِلَى الْقَدِرَوَانِ  
بِكِتَابِهِ وَسَمِيَ الْأَسَدِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ فَقَرَأَ بِهَا سُحُونٌ عَلَى أَسَدٍ ثُمَّ ارْتَحَلَ  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَقِيَ ابْنَ الْقَاسِمِ وَأَخَذَ عَنْهُ وَعَارَضَهُ بِسَائِلِ الْأَسَدِيَّةِ فَرَجَعَ عَنْ كَثِيرٍ  
مِنْهَا وَكَتَبَ سُحُونٌ مَسَائِلَهَا وَدَوَّنَهَا وَأَثَبَتْ مَا رَجَعَ عَنْهُ وَكَتَبَ لِأَسَدٍ أَنْ يَأْخُذَ بِكِتَابِ  
سُحُونٍ فَأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكَ النَّاسُ كِتَابَهُ وَاتَّبَعُوا مُدَوَّنَةَ سُحُونٍ عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ  
اِتِّخْلَاطِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَبْوَابِ فَكَانَتْ تُسَمَّى الْمُدَوَّنَةُ وَالْمُخْتَلِطَةُ وَعَكَفَ أَهْلُ  
الْقَدِرَوَانِ عَلَى هَذِهِ الْمُدَوَّنَةِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْوَاضِحَةِ وَالْعَتِيَّةِ ثُمَّ اخْتَصَرَ ابْنُ  
أَبِي زَيْدٍ الْمُدَوَّنَةَ وَالْمُخْتَلِطَةَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُخْتَصَرِ وَلَحَّضَهُ أَيْضًا أَبُو سَعِيدٍ  
الْبَرَادِيعِيُّ مِنْ فُقَهَاءِ الْقَدِرَوَانِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُتَهَذِّبِ وَاعْتَمَدَهُ الْمَشَيْخَةُ مِنْ أَهْلِ  
أَفْرِيْقِيَّةِ وَأَخَذُوا بِهِ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَكَذَلِكَ اعْتَمَدَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كِتَابَ الْعَتِيَّةِ  
وَهَجَرُوا الْوَاضِحَةَ وَمَا سِوَاهَا وَلَمْ تَزَلْ عُلَمَاءُ الْمَذْهَبِ يَتَعَاهَدُونَ هَذِهِ الْأُمَمَاتِ بِالشَّرْحِ  
وَالْإِبْضَاحِ وَاجْتَمَعَ فَكَتَبَ أَهْلُ أَفْرِيْقِيَّةِ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ  
ابْنِ يُونُسَ وَاللَّخْمِيِّ وَابْنِ مُعْرِزٍ الثُّونِسِيِّ وَابْنِ بَشِيرٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَتَبَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ  
عَلَى الْعَتِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ ابْنِ رُشْدٍ وَأَمْثَالِهِ وَجَمَعَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ جَمِيعَ مَا فِي  
الْأُمَمَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْخِلَافِ وَالْأَقْوَالِ فِي كِتَابِ التَّوَادِرِ فَاشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ أَقْوَالِ  
الْمَذَاهِبِ وَفَرَعَ الْأُمَمَاتِ كُلَّهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَنَقَلَ ابْنُ يُونُسَ مُعْظَمَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى  
الْمُدَوَّنَةِ وَذَكَرَتْ بِحَارُ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي الْأَفْئِنِّ إِلَى أَنْتِقَاضِ دَوْلَةِ قُرْطَبَةَ وَالْقَدِرَوَانِ  
ثُمَّ تَمَسَّكَ بِهِمَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْحَاجِبِ  
لَحْصَ فِيهِ طُرُقُ أَهْلِ الْمَذْهَبِ فِي كُلِّ بَابٍ وَتَمْدِيدُ أَقْوَالِهِمْ فِي كُلِّ مَسْئَلَةٍ فَجَاءَ كَالْهَرَامِجِ  
لِلْمَذْهَبِ وَكَانَتْ الطَّرِيقَةُ الْمَالِكِيَّةُ بِمِثْلِ فِي مِصْرَ مِنْ لَدُنِ آخِرِ بْنِ مَسْكِينٍ وَابْنِ  
الْمُبَشَّرِ وَابْنِ اللَّهِثِ وَابْنِ الرَّشِيقِ وَابْنِ شَاسٍ وَكَانَتْ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي بَنِي عُوفٍ

وَبَنِي سَنَدٍ وَأَبْنِ عَطَاءٍ اللَّهُ وَلَمْ أَدْرِ عَمَّنْ أَخَذَهَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ أَخْلَاجٍ لَكِنَّهُ جَاءَ بَعْدَ  
 اتِّقْرَاضِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَذَهَابِ قَبْلِهِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَظُهُورِ فَقَهَاءِ السُّنَّةِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ  
 وَالْمَالِكِيَّةِ وَلَمَّا جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى الْمَغْرِبِ آخِرَ الْيَاثَةِ السَّابِعَةِ عَكَفَ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ  
 مِنْ طَلَبَةِ الْمَغْرِبِ وَخُصُوصًا أَهْلُ بَجَايَةِ لِمَا كَانَ كَبِيرُ مَشِيخَتِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ  
 الرَّوَاوِيُّ هُوَ الَّذِي جَلَبَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ كَانَ قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِبُصْرَى وَنَسَخَ مُخْتَصَرَهُ  
 ذَلِكَ فَجَاءَ بِهِ وَأَنْتَشَرَ بِطَرِيقِ بَجَايَةِ فِي تَلْسِيذِهِ وَمِنْهُمْ أَنْتَقَلَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ  
 وَطَلَبَةِ الْقَبْلِ بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ يَتَدَاوِلُونَ قِرَاءَتَهُ وَيَتَدَارَسُونَهُ لِمَا يُؤَثَّرُ عَنِ الشَّيْخِ  
 نَاصِرِ الدِّينِ مِنَ الدَّرْغِيِّ فِيهِ وَقَدْ شَرَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِهِمْ كَأَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَأَبْنِ  
 رُشْدٍ وَأَبْنِ هَارُونَ وَكُلُّهُمْ مِنْ مَشِيخَةِ أَهْلِ تُونِسَ وَسَابِقُ حَلَّتِهِمْ فِي الْإِجَادَةِ فِي ذَلِكَ  
 ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَعَاهَدُونَ كِتَابَ التَّهْذِيبِ فِي دُرُوسِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

## الفصل الثامن

### في علم الفرائض

وَهُوَ مَعْرِفَةُ فُرُوضِ الْوَرَاثَةِ وَتَضَحِيحِ سِهَامِ الْفَرِيضَةِ بِمَا تَصِحُّ بِإِعْتِبَارِ فُرُوضِهَا  
 الْأَصُولُ أَوْ مُنَاسَجَتِهَا وَذَلِكَ إِذَا هَلَكَ أَحَدُ الْوَرَثَةِ وَأَنْكَسَرَتْ سِهَامُهُ عَلَى فُرُوضِ  
 وَرَثَتِهِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى حَسَبٍ تَضَحِيحِ الْفَرِيضَةِ الْأُولَى حَتَّى يَصِلَ أَهْلُ الْفُرُوضِ  
 جَمِيعًا فِي الْفَرِيضَتَيْنِ إِلَى فُرُوضِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَجَزِئَةٍ وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمُنَاسَجَاتُ أَكْثَرُ  
 مِنْ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَتَعَدُّ لِذَلِكَ بَعْدَ أَكْثَرِ وَبِقَدَرِ مَا تَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَذَلِكَ  
 إِذَا كَانَتْ فَرِيضَةٌ ذَاتُ وَجْهَيْنِ مِثْلَ أَنْ يُتَرَ بَعْضُ الْوَرَثَةِ يُوَارِثُ وَيُنْكَرُهُ الْآخَرُ  
 فَتُصَحَّحُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ حِينَئِذٍ وَيُنْظَرُ مَبْلَغُ السِّهَامِ ثُمَّ تُقَسَّمُ التَّرِكَةُ عَلَى نِسْبِ سِهَامِ  
 الْوَرَثَةِ مِنْ أَصْلِ الْفَرِيضَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَانَ غَالِبًا فِيهِ وَجَلُّهُ فَنَّا  
 مَعْرُودًا وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفُ كَثِيرَةٍ أَشْهُرُ مَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْأَنْدَلُسِ  
 كِتَابُ ابْنِ قَابِطٍ وَمُخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَرَفِيِّ ثُمَّ الْجُنَيْدِيُّ وَمِنْ مُتَأَخَّرِي  
 أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ التَّيْرِ الطَّرَابُلُسِيُّ وَأَمْثَالُهُمْ وَأَمَّا الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْحَمَابِلَةُ فَلَهُمْ فِيهِ  
 تَأْلِيفُ كَثِيرَةٌ وَأَعْمَالُ عَظِيمَةٌ صَحِيحَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُمْ بِاتِّسَاعِ الْبَاعِ فِي الْقَبْلِ وَالْحِسَابِ



وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف  
لجميع بين المتقول والمتقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة  
يقينية عندما تجهل الخطوط وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الأمصار بها  
عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى العلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج  
إلى استخراج المتحولات من فنون الحساب كالجزر والمقابلة والتصرف في الجذور  
 وأمثال ذلك فيملأون بها تاليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما  
يتداولونه من دراستهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد الإران وتحصيل الملكة في  
المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج أكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث  
المتقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما ينسى وفي  
رواية نصف العلم خرجه أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد  
بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا التحل بعيد وأن المراد بالفرائض  
إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والمواثيق وغيرها وبهذا المعنى  
يصح فيها النصفية والثلثية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى  
علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن تحمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص  
أو تخصيصه بفروض الوراثة إنفاً هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون  
والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عموميه مشتقاً من  
الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع  
الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشريعة فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل  
في عصرهم فهو الحق بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات

إعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة  
وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول  
الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة النبوية له فعلى عهد النبي  
صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تتلقى بما يوحى إليه من القرآن وبينه بقرنه وفعله



بِحُطَابِ شِفَاهِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلِ وَلَا إِلَى نَظَرٍ وَقِيَاسٍ وَمِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
 عَلَيْهِ تَعَذَّرَ الْحُطَابُ الشِّفَاهِيُّ وَأَنْحَنَظَ الْقُرْآنُ بِالتَّوَاتُرِ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَاجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ  
 رَضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى وَجوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهَا قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ  
 الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ وَتَعَيَّنَتْ دَلَالَةُ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ  
 ثُمَّ يُنْزَلُ الْإِجْمَاعُ مَتَرِلَتَهُمَا لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى التَّكْيِيدِ عَلَى مُحَالِفَتِهِمْ وَلَا يَكُونُ  
 ذَلِكَ إِلَّا عَنْ مُسْتَدَدٍ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَّفِقُونَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ ثَابِتٍ مَعَ شَهَادَةِ الْأَدِلَّةِ بِعِصْمَةِ  
 الْجَمَاعَةِ فَصَارَ الْإِجْمَاعُ دَلِيلًا ثَابِتًا فِي الشَّرْعِيَّاتِ ثُمَّ نَظَرْنَا فِي طُرُقِ اسْتِدْلَالِ  
 الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِذَا هُمْ يَقْيِسُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِنْهُمَا وَيُنَظِّرُونَ  
 الْأَمْثَالَ بِالْأَمْثَالِ بِاجْتِمَاعِ مِنْهُمْ وَتَسْلِيمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ  
 الْأَوَاقِعَاتِ بَعْدَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ تَنْدِرِجْ فِي النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ فَقَاسُوهَا بِمَا  
 ثَبَتَ وَأَخْلَقُوهَا بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ بِشُرُوطٍ فِي ذَلِكَ الْإِتِّحَاقِ تُصَحِّحُ تِلْكَ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الشَّيْهَيْنِ  
 أَوْ الْمِثْلَيْنِ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا وَاحِدٌ وَصَارَ ذَلِكَ دَلِيلًا  
 شَرْعِيًّا بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقِيَاسُ وَهُوَ رَابِعُ الْأَدِلَّةِ وَاتَّفَقَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ  
 هَذِهِ هِيَ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ فِي الْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ إِلَّا أَنَّهُ سُذُودٌ  
 وَأَلْحَقَ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَدِلَّةً أُخْرَى لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا لِضَمَنِ مَدَارِكِهَا  
 وَسُذُودِ الْقَوْلِ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلَ مَبَاحِثِ هَذَا الذَّنِّ النَّظَرُ فِي كَوْنِ هَذِهِ أَدِلَّةً فَأَمَّا  
 الْكِتَابُ فَدَلِيلُهُ الْمُعْجِزَةُ الْقَاطِعَةُ فِي مَشْيِهِ وَالتَّوَاتُرُ فِي نَقْلِهِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَجَالٌ لِلِاحْتِمَالِ  
 وَأَمَّا السُّنَّةُ وَمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْهَا فَالْإِجْمَاعُ عَلَى وَجوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِحُّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا  
 . مُتَضِدًّا بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِي حَيَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ إِنْغَازِ الْكُتُبِ  
 وَالرُّسُلِ إِلَى التَّوَاحِي بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ آمِرًا وَنَاهِيًا وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَلِاتِّفَاقِهِمْ  
 رَضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى إِنْكَارِ مُحَالِفَتِهِمْ مَعَ الْعِصْمَةِ الثَّابِتَةِ لِلْأُمَّةِ وَأَمَّا الْقِيَاسُ  
 فِاجْتِمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ هَذِهِ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ ثُمَّ إِنْ  
 الْمَثُورَ مِنَ السُّنَّةِ مُحْتَاجٌ إِلَى تَصْحِيحِ الْخَبَرِ بِالنَّظَرِ فِي طُرُقِ النَّقْلِ وَعَدَالَةِ النَّاقِلِينَ  
 بِتَمَيُّزِ الْحَالَةِ الْمُحْصَلَةِ لِلظَّنِّ بِصِدْقِهِ الَّذِي هُوَ مَنَاطُ وَجوبِ الْعَمَلِ وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ  
 قَوَاعِدِ الْفَنِّ وَيَأْتِي بِذَلِكَ عِنْدَ التَّمَارُضِ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ وَطَلَبِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمَا

معرفة التامسوخ وهي من فصوله أيضاً وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في  
دلالة الألفاظ وذلك أن استفاضة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام  
على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين  
اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان الكلام ملكة  
لأهله لم تكن هذه علوماً ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج إليها لأنها جيلة  
وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها ألجها بذه المتجردون لذلك  
بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة  
أحكام الله تعالى ثم إن هناك استفاذات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي  
استفاضة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام  
وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق بل لا بد من معرفة  
أمر أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل  
أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفاضة فمثل أن اللغة  
لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معناه مما وأنوار لا تقتضي الترتيب والعام إذا  
أخرجت أفراداً الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والأمر للوجوب أو النذب وإلغور  
أو التراخي والنهي يقتضي الفساد أو الصحة والمطلق هل يجعل على المقيد والنص  
على العلة كاف في التعدد أم لا وأمثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها  
من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم إن النظر في التماس من أعظم قواعد هذا الفن لأن  
فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الأحكام وينفتح الوصف الذي  
يغلب على الظن أن الحكم علق به في الأصل من تبين أوصاف المحل أو وجود  
ذلك الوصف والفرع من معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى  
من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن . (واعلم) أن هذا الفن من الفنون المستحدثة  
في اليلة وكان السلف في غيبة عنه بما أن استفاضة المعاني من الألفاظ لا يحتاج  
فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية وأما القوانين التي يحتاج إليها في  
استفاضة الأحكام خصوصاً فيمنهم أخذ معظمها وآما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون  
إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب

لَصَدْرُ الْأَوَّلِ وَانْقَلَبَتِ الْعُلُومُ كُلُّهَا صِنَاعَةً كَمَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ قَبْلِ أَحْتِاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُجْتَهِدُونَ  
إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ وَالذَّوَاعِدِ لِاسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْأَدِلَّةِ فَكَتَبُوهَا فَنَأْ  
فَأَبْنَا بِرَأْسِهِ سَمَوَهُ أَصُولَ الْفِقْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ فِيهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
أَمَلَى فِيهِ رِسَالَتَهُ الْمَشْهُورَةَ تَكَلَّمَ فِيهَا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْيَانَ وَالْخَيْرِ وَالنَّسَخِ  
وَحُكْمِ الْعِلَّةِ الْمَشْرُوعَةِ مِنَ الْقِيَاسِ ثُمَّ كَتَبَ فُقَهَاءُ الْحَنَفِيَّةِ فِيهِ وَحَقَّقُوا تِلْكَ الْقَوَاعِدَ  
وَأَوْسَعُوا الْقَوْلَ فِيهَا وَكَتَبَ الْمُتَكَلِّمُونَ أَيْضًا كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّ كِتَابَةَ الْفُقَهَاءِ فِيهَا  
أَمَرَ بِالْفِقْهِ وَالْيَقُ بِالْفُرُوعِ لِكَثْرَةِ الْأَمْثِلَةِ مِنْهَا وَالشَّوَاهِدِ وَبِنَاءِ الْمَسَائِلِ فِيهَا عَلَى  
التَّكْتِ الْفِقْهِيَّةِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُجَرِّدُونَ صُورَ تِلْكَ الْمَسَائِلِ عَلَى الْفِقْهِ وَيَسْأَلُونَ إِلَى  
الِاسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ مَا أَمَكَّنَ لِأَنَّهُ غَالِبُ قُورِنِهِمْ وَمُقْتَضَى طَرِيقَتِهِمْ فَكَانَ لِفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ  
فِيهَا الْيَدُ الطُّوْلَى مِنَ الْغُوصِ عَلَى التَّكْتِ الْفِقْهِيَّةِ وَالْيَقَاطِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ مِنْ مَسَائِلِ  
الْفِقْهِ مَا أَمَكَّنَ وَجَاءَ أَبُو زَيْدٍ الدَّبُّوِيُّ مِنْ أُنْمَتِهِمْ فَكَتَبَ فِي الْقِيَاسِ بِأَوْسَعٍ مِنْ  
جَمِيعِهِمْ وَتَمَّمَ الْأَبْحَاثَ وَالشَّرُوطَ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِيهِ وَكَمَلَتْ صِنَاعَةُ أَصُولِ الْفِقْهِ  
بِكَمَالِهِ وَتَهَذَّبَتْ مَسَائِلُهُ وَتَمَهَّدَتْ قَوَاعِدُهُ وَعَنِ النَّاسِ بِطَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ وَكَانَ  
مِنْ أَحْسَنِ مَا كَتَبَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ كِتَابُ الْبُرْهَانِ لِأَمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَالْمُسْتَظْفَى  
لِلْقَرَّائِي وَهُمَا مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَكِتَابُ الْعَهْدِ لِعَبْدِ الْجَبَّارِ وَشَرْحُهُ الْمُعْتَمَدُ لِأَبِي الْحَسَنِ  
الْبَصْرِيِّ وَهُمَا مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَكَانَتِ الْأَرْبَعَةُ قَوَاعِدَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرْكَانَهُ ثُمَّ خُصَّ هَذِهِ  
الْكَتُبُ الْأَرْبَعَةُ فَحَلَّانِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمَتَأَخِّرِينَ وَهُمَا الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بْنِ  
الْخَطِيبِ فِي كِتَابِ الْمَحْصُولِ وَسَيْفُ الدِّينِ الْأَمْدِيُّ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ وَاخْتَلَفَتْ  
طَرَائِقُهُمَا فِي الْفَنِّ بَيْنَ التَّحْقِيقِ وَالْحُجَاجِ فَإِنَّ الْخَطِيبَ أَمِيلٌ إِلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنْ  
الْأَدِلَّةِ وَالْإِحْتِجَاجِ وَالْأَمْدِيُّ مُوَلِّعٌ بِتَحْقِيقِ الْمَذَاهِبِ وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَأَمَّا كِتَابُ  
الْمَحْصُولِ فَاخْتَصَرَهُ تَلْمِيزُ الْإِمَامِ سِرَاجِ الدِّينِ الْأَرْمَوِيِّ فِي كِتَابِ التَّحْصِيلِ وَتَاجِ  
الدِّينِ الْأَرْمَوِيِّ فِي كِتَابِ أَخْلَاصِ وَقَتَّفَ شَهَابُ الدِّينِ الْقَرَّافِيُّ مِنْهُمَا مُقَدِّمَاتِ  
وَقَوَاعِدَ فِي كِتَابِ صَغِيرِ سَمَاءِ التَّنْجِيحَاتِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي كِتَابِ الْمِنَهَاجِ  
وَعَنِ الْمُبْتَدِئِينَ بِهِذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ وَشَرَحَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَأَمَّا كِتَابُ الْإِحْكَامِ  
لِلْأَمْدِيِّ وَهُوَ أَكْثَرُ تَحْقِيقًا فِي الْمَسَائِلِ فَلَخَّصَهُ أَبُو عَمَرَ بْنُ أَخْلَاصِ فِي كِتَابِهِ



الْمَعْرُوفِ بِالْمُخْتَصَرِ الْكَبِيرِ ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ تَدَاوُلَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ وَعُنِيَ أَهْلُ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِهِ وَيُمْتَطَلَعُهُ وَشَرَحَهُ وَحَصَّاتُ زُبْدَةِ طَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي  
 هَذَا الْفَنِّ فِي هَذِهِ الْمُخْتَصَرَاتِ . وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْخَفِيَّةِ فَكُتِبُوا فِيهَا كَثِيرًا وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ كِتَابَةٍ فِيهَا لِلْمُتَقَدِّمِينَ تَأْلِيفُ أَبِي زَيْدٍ الدُّوَيْسِيِّ وَأَحْسَنُ كِتَابَةٍ لِلْمُتَأَخِّرِينَ  
 فِيهَا تَأْلِيفُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَهُوَ مُسْتَوْعِبٌ وَجَاءَ ابْنُ السَّاعَاتِي  
 مِنْ فُقَهَاءِ الْخَفِيَّةِ فَجَمَعَ بَيْنَ كِتَابِ الْإِحْكَامِ وَكِتَابِ الْبَزْدَوِيِّ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ  
 وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْبَدَائِعِ فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَوْضَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَأَنْتَمَتُ الْعُلَمَاءُ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ يَتَدَاوُلُونَهُ قِرَاءَةً وَبَحْثًا وَأُولَعَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ بِشَرِّحِهِ وَأَحْلَالَ عَلَى  
 ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ هَذِهِ حَقِيقَةُ هَذَا الْفَنِّ وَتَعْيِينُ مَوْضُوعَاتِهِ وَتَعْدِيدُ التَّأْلِيفِ الْمَشْهُورَةِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فِيهِ وَأَنَّهُ يَنْفَعُنَا بِالْعِلْمِ وَيَجْعَلُنَا مِنْ أَهْلِهِ بِسَنَةِ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 (وَأَمَّا الْخِلَافَاتُ) فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْفِقْهَ الْمُسْتَنْبَطَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ كَثُرَ فِيهِ  
 الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ بِاخْتِلَافِ مَدَارِكِهِمْ وَأَنْظَارِهِمْ خِلَافًا لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ لِمَا  
 قَدَّمَاهُ وَأَتَّسَعَ ذَلِكَ فِي أَلِيلَةِ اتِّسَاعٍ عَظِيمًا وَكَانَ لِلْمُقَلِّدِينَ أَنْ يُقَلِّدُوا مَنْ شَاءُوا  
 مِنْهُمْ ثُمَّ لَمَّا أَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْأَنْتَةِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ وَكَانُوا بِمَكَانٍ  
 مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ أَقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ وَمَنْعُوا مِنْ تَقْلِيدِ سِوَاهُمْ لِذَهَابِ الْاجْتِهَادِ  
 لِصُغُوبَتِهِ وَتَشَعُّبِ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَوَادُّهُ بِاتِّصَالِ الزَّمَانِ وَافْتِقَادِ مَنْ يَقُومُ عَلَى سِرِّ  
 هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فَاقِيَمَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ أُصُولَ أَلِيلَةٍ وَأُجْرِيَ الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الْمُتَسَكِّينَ بِهَا وَالْآخِذِينَ بِأَحْكَامِهَا مَجْرَى الْخِلَافِ فِي التَّوَصُّصِ الشَّرْعِيِّ  
 وَالْأُصُولِ الْفِقْهِيَّةِ وَجَرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُنَازَعَاتُ فِي تَضَحِيحِ كُلِّ مِنْهُمْ مَذْهَبٍ إِمَامِيٍّ تَجْرِي  
 عَلَى أُصُولٍ صَحِيحَةٍ وَطَرَائِقَ قَوِيَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا كُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ  
 وَأُجْرِيَتْ فِي مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفِقْهِ فَتَارَةً يَكُونُ الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَرَدُّ بَيْنَ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ  
 يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَلَوَّ بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَكَانَ فِي هَذِهِ  
 الْمُنَازَعَاتِ بَيَانُ مَا خِذَ هَؤُلَاءِ الْأَنْتَةِ وَمَثَارَاتُ اخْتِلَافِهِمْ وَمَوَاقِعُ اجْتِهَادِهِمْ كَانَ هَذَا  
 الصَّنْفُ مِنَ الْعِلْمِ يُسَمَّى بِالْخِلَافِيَّاتِ وَلَا بُدَّ لِصَاحِبِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا

إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلة وهو لعنري علم جليل الفائدة في معرفة ما أخذ الأئمة وأدلتهم ومران المطالعين له على الاستدلال عليه وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك أهل النظر والبعض وأما المالكية فالأثر أكثر معتد بهم وليسوا بأهل نظر وأيضاً فأكثرهم أهل الغرب وهم بادية غل من الصنائع إلا في الأقل وللقزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المآخذ ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليقة ولأبي القصار من شيوخ المالكية عون الأدلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبغي عليها من الرتبة الخلافية مدرجاً في كل مسألة ما ينبغي عليها من الخلافات (واما الجدل) وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل شأنه في الاحتجاج ومثله ما يكون صواباً ومثله ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المتدلي والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه الشكوت ولخصيه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره وهي طريقتان طريقة البزدوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال وطريقة العبيدي وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان وأكثره استدلال وهو من المتأجبي الحسنة والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المنطقي والسوفسطائي إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العبيدي هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه وضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصراً وتبعه من بعده

مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسْفِيِّ وَغَيْرِهِ جَاءُوا عَلَى أَثَرِهِ وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُ وَكَثُرَتْ فِي  
الطَّرِيقَةِ التَّالِيفُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِنَقْصِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَمَالِيَّةٌ وَلَيْسَتْ ضَرُورِيَّةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل العاشر

### في علم الكلام

هُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ الْحُجَاجَ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْوَدِّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ  
الْمُنْحَرِفِينَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَنْ مَذَاهِبِ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَسِرُّ هَذِهِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ  
هُوَ التَّوْحِيدُ فَلْتَقَدِّمُ هُنَا لَطِيفَةً فِي بُرْهَانٍ عَقْلِيِّ يَكْشِفُ لَنَا عَنْ التَّوْحِيدِ عَلَى أَقْرَبِ  
الطَّرِيقِ وَالْمَأْخِذِ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى تَحْقِيقِ عَلَيْهِ وَفِيمَا يُنْظَرُ وَيُشِيرُ إِلَى حُدُوثِهِ فِي الْبِلَّةِ  
وَمَا دَعَا إِلَى وَضْعِهِ فَتَقُولُ إِنَّ الْحَوَادِثَ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ سِوَاهُ كَانَتْ مِنَ الذَّوَاتِ  
أَوْ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَوِ الْحَيَوَانِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَيْهَا بِهَا تَقَعُ فِي  
مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ وَعَنْهَا يَتِمُّ كَوْنُهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ حَادِثٌ أَيْضًا فَلَا بُدَّ لَهُ  
مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ وَلَا تَرَالُ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مُرْتَقِيَّةٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
وَمُوجِدِهَا وَخَالِقِهَا سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ فِي أَرْتِقَائِهَا تَتَمَسَّحُ وَتَتَضَاعَفُ  
طَوْلًا وَعَرْضًا وَيَخَارُ الْعَقْلُ فِي إِدْرَاكِهَا وَتَعْدِيدِهَا فَإِذَا لَا يَحْصِرُهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْمُحِيطُ سَيِّئًا  
الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِهَا فِي الشَّاهِدِ الْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ  
إِذَا لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْفِعْلِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ أُمُورٌ نَفْسَانِيَّةٌ  
نَاشِئَةٌ فِي الْعَالِبِ عَنْ تَصَوُّرَاتٍ سَابِقَةٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتِلْكَ التَّصَوُّرَاتُ هِيَ أَسْبَابُ  
قَصْدِ الْفِعْلِ وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابُ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ تَصَوُّرَاتٍ أُخْرَى وَكُلُّ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ  
مِنَ التَّصَوُّرَاتِ مَجْهُولٌ سَبَبُهُ إِذَا لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عَلَى مَبَادِيءِ الْأُمُورِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلَا عَلَى  
تَرْتِيبِهَا إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءٌ يُلْقِيهَا اللَّهُ فِي الْفِكْرِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَالْإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنْ  
مَعْرِفَةِ مَبَادِيئِهَا وَغَايَاتِهَا وَإِنَّمَا يُحِيطُ عِلْمًا فِي الْعَالِبِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي هِيَ طَبِيعَةٌ ظَاهِرَةٌ  
وَيَقَعُ فِي مَدَارِكِهَا عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ مَحْصُورَةٌ لِلنَّفْسِ وَتَحْتَ طَوْرِهَا وَأَمَّا  
التَّصَوُّرَاتُ فَنِطَاقُهَا أَوْسَعُ مِنَ النَّفْسِ لِأَنَّهَا لِلْعَقْلِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ طَوْرِ النَّفْسِ فَلَا تُنْذِرُكَ  
الْكثِيرُ مِنْهَا فَضْلًا عَنِ الْإِحَاطَةِ وَتَأَمَّلْ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةَ الشَّارِعِ فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّظَرِ



إلى الأسباب والوقوف معها فإنه واد بهم فيه الفكر ولا يحلو منه بطائر ولا يظفر بحقيقة قال الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء إلى ما فوقه فرأت قدمه وأصبح من الصالين الهالكين نعوذ بالله من الحرمان والخسران السين ولا تحسبن أن هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصبة تستحكم من الخوض في الأسباب على نسبة لا نعلمها إذ لو علمناها لتحرزنا منها فلتتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة وأيضاً فوجه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسباتها مجهول لأنها إنما يوقف عليها بالعادة لاقران الشاهد بالاستناد إلى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة وما أوتيت من العلم إلا قليلاً فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها وإلغائها جملة والتوجه إلى مسبب الأسباب كلها وفاعلها وموجدتها لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو أعرف بصالح ديننا وطرق سعادتنا لإطلاعه على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة فإن وقف عند تلك الأسباب فقد انقطع وحق عليه كلمة الكفر وإن سح في بحر النظر والبحث عنها وعن أسبابها وتأثيراتها واحداً بعد واحد فانا الضامن له أن لا يعود إلا بالحقبة فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الأسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولا تيقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكانات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك وأعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادية رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها والأمر في نفسه بخلاف ذلك وألحق من ورأيه ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعتولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسروعات وكذلك الأعمى أيضاً يسقط عنده صنف المرئيات وكولا ما يودهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشخة من أهل عصرهم والكافة لما أقرؤا به لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف لا يقتضي فطرتهم وطبيعة إدراكهم ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعتولات وساقطة لديه بالكلية فإذا علمت هذا قلل هناك ضرباً من الإدراكات غير مدركاتنا لأن إدراكاتنا مخلوقة

مَحْدَثَةٌ وَخَلَقَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْخَصَرِ مَجْهُولٌ وَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا مِنْ  
 ذَلِكَ وَاللَّهُ مِنْ دَرَانِهِمْ مُحِيطٌ فَأَتَاهُمْ إِدْرَاكَكَ وَمُدْرَكَاتِكَ فِي الْخَصَرِ وَأَتَبَعَ مَا أَمَرَكَ  
 الشَّارِعُ بِهِ مِنْ أَعْتِقَادِكَ وَعَمَلِكَ فَهُوَ أَحْرَصُ عَلَى سَعَادَتِكَ وَأَعْلَمُ بِمَا يَنْفَعُكَ لِأَنَّهُ مِنْ  
 طَوْرِ فَوْقِ إِدْرَاكَكَ وَمِنْ نِطَاقٍ أَوْسَعُ مِنْ نِطَاقِ هَاطِكَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي الْعَقْلِ  
 وَمَدَارٍ كِهَ بَلِ الْعَقْلُ بِمِيزَانٍ صَحِيحٍ فَأَحْكَامُهُ يَقِينَةٌ لَا كَذِبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَطْمَعُ  
 أَنْ تَرَى بِهِ أُمُورَ التَّوْحِيدِ وَالْآخِرَةِ وَحَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ وَحَقَائِقَ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَكُلِّ مَا  
 وَرَاءَ طَوْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ طَمَعٌ فِي مُخَالٍ وَمِثَالٍ ذَلِكَ مِثَالُ رَجُلٍ رَأَى الْمِيزَانَ الَّذِي يُوزَنُ  
 بِهِ الذَّهَبُ فَطَمَعَ أَنْ يَزَنَ بِهِ الْجِبَالَ وَهَذَا لَا يُدْرِكُ عَلَى أَنَّ الْمِيزَانَ فِي أَحْكَامِهِ غَيْرُ  
 صَادِقٍ لَكِنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَقِفُ عِنْدَهُ وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَنْ يُحِيطَ بِاللَّهِ  
 وَبِصِفَاتِهِ فَإِنَّهُ ذَرَّةٌ مِنْ ذَرَاتِ الْوُجُودِ الْخَاصِلِ مِنْهُ وَتَقَطَّنُ فِي هَذَا الْغَلَطِ وَمَنْ يُقَدِّمُ  
 الْعَقْلَ عَلَى السَّمْعِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَقُصُورِ فَهْمِهِ وَأَضْغَلَالِ رَأْيِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ  
 لَكَ الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ وَإِذْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَمَّ الْأَسْبَابَ إِذَا تَجَاوَزْتَ فِي الْإِرْتِقَاءِ نِطَاقَ إِدْرَاكَكَ  
 وَوُجُودِنَا خَرَجْتَ عَنْ أَنْ تَكُونَ مُدْرَكَةً فَيُضِلَّ الْعَقْلُ فِي بَيْدَاءِ الْأَوْهَامِ وَيَعَارُ وَيَنْقَطِعُ  
 فَإِذَا التَّوْحِيدُ أَوْ الْعَجْزُ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَسْبَابِ وَكَيْفِيَّاتِ تَأْثِيرِهَا وَتَفْوِيضُ ذَلِكَ إِلَى  
 خَالِقِهَا الْمُحِيطِ بِهَا إِذْ لَا فَاعِلَ غَيْرَهُ وَكُلَّهَا تَوَلَّتْهُ إِلَيْهِ وَتَوَجَّعُ إِلَى قُدْرَتِهِ وَعِلْمُنَا بِهِ إِنَّهُ  
 هُوَ مَنْ حَيْثُ صُدُورُنَا عَنْهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الصِّدِّيقِينَ الْعَجْزُ عَنْ الْإِدْرَاكِ  
 إِدْرَاكَكَ ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانُ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ تَصْدِيقُ  
 حَكْمِيٍّ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِيهِ حُصُولُ صِفَةٍ مِنْهُ تَتَكَيَّفُ  
 بِهَا النَّفْسُ كَمَا أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ أَيْضًا حُصُولُ مَلَكََةِ الطَّاعَةِ  
 وَالْإِثْيَادِ وَتَفْرِيقِ الْقَلْبِ عَنْ سُوَاعِلِ مَا سِوَى الْمَعْبُودِ حَتَّى يَنْقَلِبَ الْمُرِيدُ السَّالِكُ  
 رَبَّانِيًّا وَالنَّارِقُ بَيْنَ [الْحَالِ وَالْإِلَهَمِ فِي الْعَقَائِدِ فَرَقُ مَا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْإِتِّصَافِ وَشَرْحُهُ أَنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّ رَحْمَةَ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا  
 وَيَقُولُ بِذَلِكَ وَيَعْتَرِفُ بِهِ وَيَذْكُرُ مَا أَخَذَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَهُوَ لَوْ رَأَى يَتِيمًا أَوْ  
 مَسْكِينًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَضْعِفِينَ لَهَرَّ عَنْهُ وَاسْتَنَكَفَ أَنْ يُبَاشِرَهُ فَضْلًا عَنْ التَّمَسُّحِ  
 عَلَيْهِ لِلرَّحْمَةِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعَطْفِ وَالْخَوِّ وَالصَّدَقَةِ فَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ

مِنْ رَحْمَةِ الْيَتِيمِ مَقَامَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَقَامُ أَحْلَالِ وَالْإِتِّصَافِ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ  
 يَحْصُلُ لَهُ مَعَ مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ رَحْمَةَ الْمُسْكِينِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
 مَقَامٌ آخَرُ أَعْلَى مِنْ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالرَّحْمَةِ وَحُدُودُ مَلَكَتِهَا فَمَتَى رَأَى يَتِيمًا  
 أَوْ مُسْكِينًا بَادَرَ إِلَيْهِ وَمَسَحَ عَلَيْهِ وَالتَّمَسَّ الثَّوَابَ فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ لَا يَكَادُ يَصْدُرُ عَنْ  
 ذَلِكَ وَلَوْ دَفَعَ عَنْهُ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ وَكَذَا عِلْمُكَ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ  
 إِتِّصَافِكَ بِهِ وَالْعِلْمُ حَاصِلٌ عَنِ الْإِتِّصَافِ ضَرُورَةٌ وَهُوَ أَوْثَقُ مَبْنَى مِنَ الْعِلْمِ أَحْلَاصُ  
 قَبْلِ الْإِتِّصَافِ وَلَيْسَ الْإِتِّصَافُ بِحَاصِلٍ عَنْ مُجَرَّدِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقَعَ الْعَمَلُ وَيَتَكَرَّرَ  
 مَرَارًا غَيْرَ مُنْخَصِرَةٍ فَتَدْخُلُ الْمَلَكَةُ وَيَحْصُلُ الْإِتِّصَافُ وَالتَّحْقِيقُ وَيَجِيءُ الْعِلْمُ الثَّانِي  
 النَّافِعُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ الْمُجَرَّدَ عَنِ الْإِتِّصَافِ قَلِيلُ الْجِدْوَى وَالنَّفْعِ وَهَذَا  
 عِلْمٌ أَكْثَرُ النَّظَارِ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ الْحَالِي النَّاشِئُ عَنِ الْعَادَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ  
 الْكَمَالَ عِنْدَ الشَّارِعِ فِي كُلِّ مَا كَلَّفَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا فَمَا طَلِبَ اعْتِقَادَهُ  
 فَالْكَمَالُ فِيهِ فِي الْعِلْمِ الثَّانِي أَحْلَاصُ عَنِ الْإِتِّصَافِ وَمَا طَلِبَ عَمَلُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ  
 فَالْكَمَالُ فِيهَا فِي حُصُولِ الْإِتِّصَافِ وَالتَّحْقِيقِ بِهَا ثُمَّ إِنَّ الْإِقْبَالَ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالْمُوَاطَئَةِ  
 عَلَيْهَا هُوَ الْمُحْصَلُ لِهَذِهِ الشَّرِيفَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَأْسِ الْعِبَادَاتِ  
 جَعَلْتُ قُرْآنَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ صَارَتْ لَهُ صِفَةً وَحَالًا يَجِدُ فِيهَا مُنْتَهَى لَذَاتِهِ  
 وَقُرْآنَ عَيْنِهِ وَأَمَّا هَذَا مِنْ صَلَاةِ النَّاسِ وَمَنْ لَهُمْ بِهَا فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
 سَاهُونَ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا وَاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي التَّكَالِيفِ  
 كُلِّهَا حُصُولُ مَلَكَةٍ رَاسِخَةٍ فِي النَّفْسِ يَحْصُلُ عَنْهَا عِلْمٌ اضْطِرَّارِيٌّ لِلنَّفْسِ هُوَ التَّوْحِيدُ  
 وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ وَهُوَ الَّذِي تُحْصَلُ بِهِ السَّعَادَةُ وَأَنَّ ذَلِكَ سَوَاءٌ فِي التَّكَالِيفِ  
 الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ وَيُتَّفَقُ مِنْهُ أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ التَّكَالِيفِ وَيَتَّبِعُهَا هُوَ بِهِذِهِ  
 الْمَثَابَةِ ذُو مَرَاتِبٍ أَوَّلُهَا التَّصَدِيقُ الْقَلْبِيُّ الْمُوَافِقُ لِلِّسَانِ وَأَعْلَاهَا حُصُولُ كَيْفِيَّةٍ مِنْ  
 ذَلِكَ الْإِعْتِقَادُ الْقَلْبِيُّ وَمَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الْعَمَلِ مُسْتَوَلِيَّةٌ عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَشْبِعُ الْجَوَارِحَ  
 وَتَنْدَرِجُ فِي طَاعَتِهَا جَمِيعُ التَّصَرُّفَاتِ حَتَّى تَنْحَرِطَ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا فِي طَاعَةِ ذَلِكَ التَّصَدِيقِ  
 الْإِيمَانِيِّ وَهَذَا أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يُقَارِفُ الْمُؤْمِنُ



معه صغيرة ولا كبيرة إذ حصول الملكة ورُسوخها مانع من الانحراف عن مناهج  
طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وفي حديث  
هرقل لما سأل أبا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله فقال في  
أصحابه هل يوتد أحد منهم سُخطة لدينه قال لا قال وكذلك الإيمان حين تُخالط  
بشاشته القلوب ومعناه أن ملكة الإيمان إذا استقرت عسر على النفس مُخالفتها شأن  
الملكات إذا استقرت فإنها تحصل بِمَثَابَةِ الْحِلَّةِ وَالْفِطْرَةِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الْعَالِيَةُ  
مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْبَصْنَةِ لِأَنَّ الْبَصْنَةَ وَاجِبَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَجُوبًا  
سَابِقًا وَهَذِهِ حَاصِلَةُ لِلْمُؤْمِنِيَّةِ حُجُولًا تَابِعًا لِأَعَالِيهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَبِهَذِهِ الْمَلَكَةُ  
وَرُسُوخُهَا يَقَعُ التَّفَاوُتُ فِي الْإِيمَانِ كَالَّذِي يُتَلَى عَلَيْكَ مِنْ أَقَاوِيلِ السَّلَفِ وَفِي تَرَاجِمِ  
الْبُحَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ الْإِيمَانِ كَثِيرٌ مِنْهُ مِثْلُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدُ  
وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ تَطَوُّعَ رَمَضَانَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَيَاءُ مِنَ  
الْإِيمَانِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا كَلِمَةُ الْإِيمَانِ الْكَامِلُ الَّذِي أَمَرْنَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَلَكَتِهِ وَهُوَ  
فَعْلِيٌّ وَأَمَّا التَّصْدِيقُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ فَلَا تَفَاوُتَ فِيهِ فَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَائِلَ الْأَسْمَاءِ  
وَحَمَلَهُ عَلَى التَّصْدِيقِ مُنِعَ مِنَ التَّفَاوُتِ كَمَا قَالَ أَئِمَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَاخِرَ  
الْأَسْمَاءِ وَحَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُتُ وَلَيْسَ  
ذَلِكَ بِتَدَاخُلٍ فِي اتِّعَادِ حَقِيقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ التَّصْدِيقُ إِذِ التَّصْدِيقُ مُوجُودٌ فِي جَمِيعِ  
رُتَبِهِ لِأَنَّهُ أَقَلُّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْمُخْلِصُ مِنْ عَهْدَةِ الْكُفْرِ وَالْفِصْلِ  
بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ فَلَا يَجْزِي أَقَلُّ مِنْهُ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَفَاوُتُ وَإِنَّمَا  
التَّفَاوُتُ فِي اتِّحَالِ الْحَاصِلَةِ عَنِ الْأَعْمَالِ كَمَا قُلْنَا فافهم وأعلم أن الشارع وصف  
لَنَا هَذَا الْإِيمَانَ الَّذِي فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ وَعَيْنٌ أُمُورًا مَخْصُوصَةً  
كَلَّفْنَا التَّصْدِيقَ بِهَا بِقُلُوبِنَا وَاعْتِقَادَهَا فِي أَنْفُسِنَا مَعَ الْإِقْرَارِ بِالسِّنْتَا وَهِيَ الْعَائِدَةُ الَّتِي  
تَقَرَّرَتْ فِي الدِّينِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَهَذِهِ هِيَ الْعَائِدَةُ  
الْإِيمَانِيَّةُ الْمُقَرَّرَةُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَلَنُشِرَ إِلَيْهَا مُجْمَلَةٌ لِتَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا الدِّينِ  
وَكَيْفِيَّةَ حُدُوثِهِ فَتَقُولُ . إَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ لَمَّا أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهَذَا الْحَالِ الَّذِي رَدَّ

الْأَفْعَالُ كُلُّهَا إِلَيْهِ وَأَفْرَدَهُ بِهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَعَرَفْنَا أَنَّ فِي هَذَا الْإِيمَانِ نَجَاتَنَا عِنْدَ الْمَوْتِ  
إِذَا حُضِرْنَا لَمْ يُعْرِفْنَا بِكُنْهِ حَقِيقَةِ هَذَا الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مُتَعَدِّ عَلَى إِدْرَاكِهَا  
وَمِنْ فَوْقِ طَوْرِنَا فَكَلَّفْنَا أَوَّلًا اعْتِقَادَ تَثْرِيهِ فِي ذَاتِهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَإِلَّا  
لَمَا صَحَّ أَنَّهُ خَالِقٌ لَهُمْ لِعَدَمِ الْفَارِقِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ثُمَّ تَثْرِيهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ  
وَإِلَّا لَشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ ثُمَّ تَوْحِيدِهِ بِالْإِتِّحَادِ وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ الْخَلْقُ لِلتَّامُّعِ ثُمَّ اعْتِقَادَ أَنَّهُ  
عَالِمٌ قَادِرٌ فَبِذَلِكَ تِمَّ الْأَفْعَالُ شَاهِدَ قَضِيَّتِهِ لِكَمَالِ الْإِتِّحَادِ وَالْخَلْقِ وَمُرِيدٌ وَإِلَّا لَمْ  
يَخْصُصْ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَمُقَدِّرٌ لِكُلِّ كَائِنٍ وَإِلَّا فَالْإِرَادَةُ حَادِثَةٌ وَأَنَّهُ يُعِيدُنَا  
بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْمِيلًا لِعَنَائِهِ بِالْإِيحَادِ وَلَوْ كَانَ لِأَمْرِ فَإِنْ كَانَ عِبَادًا فَهُوَ لِلْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ  
بَعْدَ الْمَوْتِ ثُمَّ اعْتِقَادَ بَعَثَةِ الرُّسُلِ لِلنَّجَاةِ مِنْ سُقَاءِ هَذَا الْعَمَادِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ  
بِالسُّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا بِذَلِكَ وَتَنَامٍ لَطْفِهِ بِنَا فِي الْإِيْتَاءِ بِذَلِكَ وَبَيَانِ  
الطَّرِيقَيْنِ وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِلنَّعِيمِ وَجَهَنَّمَ لِلْعَذَابِ هَذِهِ أُمَمَاتُ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مُطْلَقَةٌ بِأَدِلَّتِهَا  
الْعَقْلِيَّةِ وَأَدِلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ وَعَنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ أَخَذَهَا السَّلَفُ وَأَرْشَدُوا  
إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَحَقَّقَهَا الْأَتَمَّةُ إِلَّا أَنَّهُ عَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافٌ فِي تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْعَقَائِدِ  
أَكْثَرُ مَشَارِهَا مِنْ الْآيِ الْمُتَشَابِهَةِ فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِصَامِ وَالْتِصَافِ وَالْإِسْتِدْلَالِ  
بِالْعَقْلِ وَزِيَادَةِ إِلَى التَّنْقُلِ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَلِنَتَيْنِ لَكَ تَفْصِيلُ هَذَا الْمُجْتَمَلِ  
وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَرَدَّ فِيهِ وَصْفُ الْمَعْبُودِ بِالتَّثْرِيهِ الْمُنْطَلِقِ الظَّاهِرِ الدَّلَالَةِ مِنْ غَيْرِ  
تَأْوِيلٍ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ وَهِيَ سُلُوبٌ كُلُّهَا وَصَرِيحَةٌ فِي بَابِهَا فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا وَوَقَعَ فِي  
كَلَامِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ تَفْسِيرُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ثُمَّ  
وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ آيٌ أُخْرَى قَلِيلَةٌ تُرِهِمُ التَّشْبِيهَ وَقَضَوْا بِأَنَّ الْآيَاتِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ  
فَأَمَنُوا بِهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِمَعْنَاهَا بِبَحْثٍ وَلَا تَأْوِيلٍ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ إِقْرَأُوهَا  
كَمَا جَاءَتْ أَيُّ آمَنُوا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا وَلَا تَفْسِيرِهَا بِجَوَازِ أَنْ  
تَكُونَ آيَاتٌ فَيَجِبُ الْوَقْفُ وَالْإِذْنَانِ لَهُ وَشَدَّ لِعَصْرِهِمْ مُبْتَدِعَةٌ اتَّبَعُوا مَا تَشَابَهَ مِنْ  
الْآيَاتِ وَتَوَعَّلُوا فِي التَّشْبِيهِ فَقَرِيقٌ أَشْبَهُوا فِي الذَّاتِ بِاعْتِقَادِ الْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالْوَجْهِ عَمَلًا  
بِظَوَاهِرِ وَرَدَتْ بِذَلِكَ فَوَقَعُوا فِي التَّجْسِيمِ الصَّرِيحِ وَمُجَالَفَةِ آيِ التَّثْرِيهِ الْمُنْطَلِقِ الَّتِي  
هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدَ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِأَنَّ مَعْقُولِيَّةَ الْجِسْمِ تَقْضِي النَّقْصَ وَالْإِفْتِقَارَ وَتَغْلِبُ



آيات السُّلُوبِ فِي التَّزْيِيهِ الْمُطْلَقِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدَ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ أُولَى مِنْ  
الَّتَعَلُّقِ بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الَّتِي لَنَا عَنْهَا غِنًى وَجَمَعَ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ بِتَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ يَفْرُونَ مِنْ شَتَاةِ  
ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ وَجَمَعَ  
بِذَلِكَ نَفْيَ وَإِثْبَاتٍ إِنْ كَانَ بِالْمَعْقُولِيَّةِ وَاحِدَةً مِنَ الْجِسْمِ وَإِنْ خَالَفُوا بَيْنَهُمَا وَنَفَوْا  
الْمَعْقُولِيَّةَ الْمُتَعَارِفَةَ فَقَدْ وَافَقُونَا فِي التَّزْيِيهِ وَلَمْ يَبْتَ إِلاَّ جَعْلُهُمْ لَفْظَ الْجِسْمِ اسْمًا مِنْ  
أَسْمَائِهِ وَيَتَوَقَّفُ مِثْلُهُ عَلَى الْأُذُنِ وَفَرِيقٌ مِنْهُمْ ذَهَبُوا إِلَى التَّشْبِيهِ فِي الصِّفَاتِ كَثِيبَاتِ  
الْجَهَةِ وَالْأَسْتِوَاءِ وَالْأُذُولِ وَالصَّوْتِ وَالْخَرْفِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَآلَ قَوْلِهِمْ إِلَى التَّجْسِيمِ  
فَقَدَرُوا مِثْلَ الْأَوَّلِينَ إِلَى قَوْلِهِمْ صَوْتٌ لَا كَالْأَصْوَاتِ جِهَةٌ لَا كَالْجِهَاتِ تُزُولُ لَا  
كَالْزُولِ يَعْنُونَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَأَنْدَفَعَ ذَلِكَ بِمَا أَنْدَفَعَ بِهِ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الظَّوَاهِرِ  
إِلَّا أَعْتِقَادَاتُ السَّلَفِ وَمَذَاهِبُهُمْ وَالْإِيمَانُ بِهَا كَمَا هِيَ لِتَلَايِكُرِّ النَّفْيِ عَلَى مَعَانِيهَا بِنَفْيِهَا  
مَعَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلِهَذَا تَنْظُرُ مَا تَرَاهُ فِي عَقِيدَةِ الرِّسَالَةِ لِأَبْنِ أَبِي زَيْدٍ  
وَكِتَابِ الْمُخْتَصَرِ لَهُ وَفِي كِتَابِ الْخَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَحْثُمُونَ عَلَى هَذَا  
الْمَعْنَى وَلَا تَغْمُضُ عَيْنُكَ عَنِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ فِي غُضُونِ كَلَامِهِمْ ثُمَّ لَمَّا  
كَثُرَتِ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَوَلَعَ النَّاسُ بِالتَّدْوِينِ وَالْبَحْثِ فِي سَائِرِ الْأَنْعَاءِ وَأَلْفَ  
الْمُتَكَلِّمُونَ فِي التَّزْيِيهِ حَدَّثَتْ بِدْعَةُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي تَعْسِيمِ هَذَا التَّزْيِيهِ فِي آيِ السُّلُوبِ  
فَقَضُوا بِنَفْيِ صِفَاتِ الْمَكَانِيِّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحَيَاةِ زَائِدَةً عَلَى أَحْكَامِهَا  
لِمَا يَلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَدُّدِ الْقَدِيمِ بِزَعْمِهِمْ وَهُوَ مَرْدُودٌ بِأَنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ عَيْنَ الذَّاتِ  
وَلَا غَيْرَهَا وَقَضُوا بِنَفْيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِكُونِيهَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ وَهُوَ مَرْدُودٌ  
لِعَدَمِ اشْتِرَاطِ الْبُيَّةِ فِي مَدَّوْلٍ هَذَا اللَّفْظِ وَإِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكُ الْمَسْمُوعِ أَوْ الْمُبْصَرِ  
وَقَضُوا بِنَفْيِ الْكَلَامِ لِشَيْءٍ مَا فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَلَمْ يَعْتَلُوا صِنَةَ الْكَلَامِ الَّتِي تَقُومُ  
بِالنَّفْسِ فَقَضُوا بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ بِدْعَةُ صَرَّحَ السَّلَفُ بِخِلَافِهَا وَعَظُمَ ضَرَرُ هَذِهِ الْبِدْعَةِ  
وَلَقِيَهَا بَعْضُ الْخُلَفَاءِ عَنْ أَتَمِّهِمْ فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَخَالَفَهُمْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ فَامْتَحَلِ  
لِخِلَافِهِمْ إِيسَارُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَبِيلاً لَانْتِهَاضِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْأَدِلَّةِ  
الْعَقْلِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْعَقَائِدِ دَفْعاً فِي صُدُورِ هَذِهِ الْبِدْعِ وَقَامَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ  
الْأَشْعَرِيُّ إِمَامُ الْمُشْكِلِينَ فَتَوَسَّطَ بَيْنَ الطَّرِيقِ وَنَفَى التَّشْبِيهَ وَاثْبَتَ الصِّفَاتِ



الْمَعْنَوِيَّةُ وَقَصَرَ التَّنْزِيهِ عَلَى مَا قَصَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَشَهِدَتْ لَهُ الْأَدِلَّةُ الْمُخَصَّصَةُ لِعُمُومِهِ  
 فَانْبَتَ الصِّغَاتِ الْأَرْبَعُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ بِطَرِيقِ  
 الثَّقَلِ وَالْعَقْلِ وَرَدَّ عَلَى الْمُتَبَدِّعَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِيمَا مَهْدُوهُ لِهَذِهِ الْبِدْعِ  
 مِنَ الْقَوْلِ بِالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ وَالتَّحْسِينِ وَالتَّقْصِيرِ وَكُتِلَ الْعَقَائِدُ فِي الْبَعْتَةِ وَأَحْوَالِ  
 الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأُلْحِقَ بِذَلِكَ الْكَلَامُ فِي الْإِمَامَةِ لِمَا ظَهَرَ حِينَئِذٍ  
 مِنْ بِدْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّمَا مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّبِيِّ تَعْيِينُهَا  
 وَالْخُرُوجُ عَنِ الْعَهْدَةِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ هِيَ لَهُ وَكَذَلِكَ عَلَى الْأُمَّةِ وَقُصَارَى أَمْرِ الْإِمَامَةِ  
 أَنَّهَا قَضِيَّةٌ مَصْلَحِيَّةٌ إِجْمَاعِيَّةٌ وَلَا تُلْحَقُ بِالْعَقَائِدِ فَلِذَلِكَ أَخْطَوْهَا بِمَسَائِلِ هَذَا الْفَنِّ وَسَمَّوْا  
 مَجْمُوعَهُ عِلْمَ الْكَلَامِ إِمَّا لِمَا فِيهِ مِنَ النَّظَرَةِ عَلَى الْبِدْعِ وَهِيَ كَلَامٌ صَرَفٌ وَلَيْسَتْ  
 بِرَاجِعَةٍ إِلَى عَمَلٍ وَإِمَّا لِأَنَّ سَبَبَ وَضْعِهِ وَاخْتِصَاصِهِ فِيهِ هُوَ تَنَازُّعُهُمْ فِي إِثْبَاتِ الْكَلَامِ  
 النَّفْسِيِّ وَكَثُرَ أَتْبَاعُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَاقْتَفَى طَرِيقَهُ مِنْ بَعْدِهِ تَلِيذُهُ  
 كَابْنُ مُجَاهِدٍ وَغَيْرُهُ وَأَخَذَ عَنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ فَتَصَدَّرَ لِلْإِمَامَةِ فِي طَرِيقَتِهِمْ  
 وَهَذَبَهَا وَوَضَعَ الْمُقَدِّمَاتِ الْعَقْلِيَّةَ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْأَدِلَّةُ وَالْأَنْظَارُ وَذَلِكَ مِثْلُ إِثْبَاتِ  
 الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَالْخِلَاءِ وَأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أُدِلَّتُهُمْ وَجَعَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبَعًا لِلْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي وَجُوبِ  
 اعْتِقَادِهَا لِتَوَقَّفِ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهَا وَأَنَّ بُطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذِنُ بِبُطْلَانِ الْمَدْلُولِ  
 وَوُجِئَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْفُنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ إِلَّا أَنَّ  
 حُصُورَ الْأَدِلَّةِ تُعْتَبَرُ بِهَا الْأَقْبَسَةُ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ ظَاهِرَةً فِي الْمِلَّةِ وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا  
 بَعْضُ الشَّيْءِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِمَلَابَسَتِهَا لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْمُبَايَنَةِ لِلْعَقَائِدِ  
 الشَّرْعِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ  
 الْبَاقِلَانِيُّ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْعَالِي قَامِلِي فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ الْقَوْلَ  
 فِيهِ ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِرْشَادِ وَأَتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا لِعَقَائِدِهِمْ ثُمَّ انْتَشَرَتْ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ عُلُومُ الْمُنْطِقِ فِي الْمِلَّةِ وَقَرَأَهُ النَّاسُ وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ بِأَنَّهُ  
 قَانُونٌ وَمِغْيَارٌ لِلْأَدِلَّةِ فَقَطُّ يُسَبَّرُ بِهِ الْأَدِلَّةُ مِنْهَا كَمَا يُسَبَّرُ مِنْ سِوَاهَا ثُمَّ نَظَرُوا فِي تِلْكَ  
 الْقَوَاعِدِ الْمُقَدِّمَاتِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي

أَدَلَّتْ إِلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَسَفَةِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ فَلَمَّا سَبَّحُوا بِبَيْعَارِ الْمُنْطَوِّ رَدُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِيهَا وَلَمْ يَتَّقِدُوا بِطُلَانِ  
الْمَدْلُولِ مِنْ بَطْلَانِ دَلِيلِهِ كَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي فَصَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مُعْطَلِّجِهِمْ  
مَبَايِنَةً لِلطَّرِيقَةِ الْأُولَى وَتُسَمَّى طَرِيقَةُ الْمُتَأَخِّرِينَ وَرُبَّمَا أَدْخَلُوا فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْفَلَسَفَةِ  
فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ مِنَ الْقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ وَجَلَّوْهُمْ مِنْ خُصُومِ الْقَائِدِ لِتَنَاسُبِ الْكَثِيرِ  
مِنْ مَذَاهِبِ الْمُتَبَدِّعَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي طَرِيقَةِ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا التَّنَحْيِ  
الْقَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَبِعَهُ الْإِمَامُ أَبُو الْخَلِيبِ وَجَمَاعَةٌ تَقَرُّوا أَثَرَهُمْ وَاعْتَمَدُوا تَقْلِيدَهُمْ  
ثُمَّ تَوَعَّلَّ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي مُخَالَطَةِ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ وَالتَّبَسُّعِ عَلَيْهِمْ شَأْنُ التَّوَضُّعِ  
فِي الْعِلْمَيْنِ فَحَسِبُوهُ فِيهَا وَاحِدًا مِنْ اسْتِثْنَاءِ الْمَسَائِلِ فِيهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُشْكِلِينَ  
لَمَّا كَانُوا يَسْتَدِلُّونَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِمْ بِالْكَائِنَاتِ وَأَحْوَالِهَا عَلَى وُجُودِ الْبَارِيءِ وَصِفَاتِهِ  
وَهُوَ نَوْعٌ اسْتِدْلَالُهُمْ غَالِيًا وَالْجِسْمُ الطَّبِيعِيُّ يَنْظَرُ فِيهِ الْفِيلَسُوفُ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَهُوَ  
بَعْضٌ مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ إِلَّا أَنَّ نَظْرَهُ فِيهَا مُخَالَفٌ لِنَظَرِ الْمُشْكِلِمْ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي  
الْجِسْمِ مِنْ حَيْثُ يَتَحَرَّكُ وَيَسْكُنُ وَالْمُشْكِلِمْ يَنْظُرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ  
وَكَذَا نَظَرُ الْفِيلَسُوفِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ نَظَرٌ فِي الْوُجُودِ الْمُنْطَلَقِ وَمَا يَقْتَضِيهِ لِدَاثِهِ  
وَنَظَرُ الْمُشْكِلِمْ فِي الْوُجُودِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْجِدِ وَبِالْجُمْلَةِ فَمَوْضُوعُ عِلْمِ  
الْكَلَامِ عِنْدَ أَهْلِهِ إِنَّمَا هُوَ الْقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ بَعْدَ فَرَضِهَا صَحِيحَةً مِنَ الشَّرْعِ مِنْ  
حَيْثُ يُمَكِّنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فَتُرْفَعُ الْبِدْعُ وَتُرْوَلُ الشُّكُوكُ وَالشُّبُهَاتُ  
عَنْ تِلْكَ الْقَائِدِ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالِ الْقَرْنِ فِي حَدُوثِهِ وَكَيْفَ تَدَرَّجَ كَلَامُ النَّاسِ فِيهِ  
صَدْرًا بَعْدَ صَدْرٍ وَكُلُّهُمْ يَفْرِضُ الْقَائِدَ صَحِيحَةً وَيَسْتَهْضِ الْخُصَجَ وَالْأَدِلَّةَ عَلِمْتَ  
حَيْثُ مَا قَرَّرْنَاكَ لَكَ فِي مَوْضِعِ الْقَرْنِ وَأَنَّهُ لَا يَعْدُوهُ وَلَقَدْ اخْتَلَطَتِ الطَّرِيقَتَانِ  
عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالتَّبَسُّعُ مَسَائِلُ الْكَلَامِ بِمَسَائِلِ الْفَلَسَفَةِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَمَيِّرُ أَحَدُ  
الْفَتَنَيْنِ مِنَ الْآخَرِ وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ طَالِبُهُ مِنْ كُتُبِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي الطَّوَالِعِ  
وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْجَمْعِ فِي جَمِيعِ تَأْلِيْفِهِمْ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ قَدْ يُعْنَى بِهَا  
بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ لِإِطْلَاعِهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ وَالْإِغْرَاقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحِجَاجِ لِوُقُورِ ذَلِكَ  
فِيهَا وَأَمَّا مُخَازَاةُ طَرِيقَةِ السَّلَفِ بِعَقَائِدِ عِلْمِ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلطَّرِيقَةِ الْقَدِيمَةِ



لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْلُهَا كِتَابُ الْإِرْشَادِ وَمَا حَذَا حَذْوَهُ وَمَنْ أَرَادَ إِدْخَالَ الرَّدِّ عَلَى  
الْفَلَاسِفَةِ فِي عَمَائِدِهِ فَعَلَيْهِ بِكِتَابِ الْغَزَالِيِّ وَالْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ فَإِنَّهَا وَإِنْ وَقَعَ فِيهَا  
مُخَالَفَةٌ لِلْإِصْلَاحِ الْقَدِيمِ فَلَيْسَ فِيهَا مِنْ الْإِخْتِلَافِ فِي الْمَسَائِلِ وَالْإِلْتِبَاسِ فِي  
الْمَوْضُوعِ مَا فِي طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ  
هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا  
الْمُحَدِّثُ وَالْمُبْتَدِعُ قَدْ أَنْقَرُضُوا وَالْأَثَنَةُ مِنْ أَهْلِ الثَّنَةِ كَفُونَا شَأْنَهُمْ فِيمَا كَتَبُوا  
وَدَوَّنُوا وَالْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ إِنَّمَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهَا حِينَ دَافَعُوا وَنَصَرُوا وَأَمَّا الْآنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا  
إِلَّا كَلَامٌ تَذَرَهُ الْبَارِي عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا مَاتِيهِ وَإِطْلَاقِهِ وَلَقَدْ سِئِلَ الْجَنِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ  
قَوْمٍ مَرَّ بِهِمْ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَفِيضُونَ فِيهِ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ فَقِيلَ قَوْمٌ يُتَزَهَّوْنَ بِاللَّهِ  
بِالْأَدِلَّةِ عَنْ صِفَاتِ الْخُذُوثِ وَسِمَاتِ النُّقُصِ فَقَالَ نَفِي الْعَيْبِ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبٌ  
لَكِنْ فَإِنَّدَتُهُ فِي أَحَادِ النَّاسِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ فَإِنَّدَةُ مُعْتَبَرَةٌ إِذَا لَا يَحْسُنُ بِعَامِلِ الثَّنَةِ الْجَهْلُ  
بِالْحُجَجِ النَّظَرِيَّةِ عَلَى عَمَائِدِهَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

### الفصل الحادي عشر

#### في علم التصوف

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْخَالِدَةِ فِي أَلِيَّةٍ وَأَصْلُهُ أَنَّ طَرِيقَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ  
لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَمِ وَكِبَارِهَا مِنَ الصَّخَابَةِ وَالْتَّائِبِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ طَرِيقَةً خَلْقٍ  
وَالْهُدَايَةِ وَأَصْلُهَا الْعُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِنْتِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْ  
زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَالرُّهْدُ فِيمَا يُغَيِّبُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لَذَّةٍ وَمَالٍ وَجَاهٍ وَالْإِنْفِرَادُ  
عَنِ الْخَلْقِ فِي الْخُلُوةِ لِلْعِبَادَةِ وَكَانَ ذَلِكَ عَامًّا فِي الصَّخَابَةِ وَالسَّلَفِ فَلَمَّا فَشَا الْإِقْبَالُ  
عَلَى الدُّنْيَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ وَجَّحَ النَّاسُ إِلَى مُخَالَطَةِ الدُّنْيَا أَخْصَصَ الْمُتَقَبِّلُونَ  
عَلَى الْعِبَادَةِ بِأَسْمِ الصُّوفِيَّةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْأَسْمِ  
أَشْتِقَاقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا قِيَاسٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَقَبٌ وَمَنْ قَالَ أَشْتِقَاقُهُ مِنَ الصُّفَا  
أَوْ مِنَ الصُّفَّةِ فَعَبْدٌ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ اللَّغَوِيِّ قَالَ وَكَذَلِكَ مِنْ الصُّوفِ لِأَنَّهُمْ لَمْ  
يَخْتَصُوا بِلَبْسِهِ . قُلْتُ وَالْأَظْهَرُ إِنْ قِيلَ بِالْأَشْتِقَاقِ أَنَّهُ مِنَ الصُّوفِ وَهُمْ فِي الْعَالِبِ  
مُخْتَصُونَ بِلَبْسِهِ لَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي لَبْسِ قَاضِرِ الثِّيَابِ إِلَى لَبْسِ الصُّوفِ



فَلَمَّا اخْتَصَّ هَؤُلَاءِ بِمَذْهَبِ الزُّهْدِ وَالْإِنْفِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ اخْتَصُّوا  
بِمَاخِذِ مُدْرَكَةِ لَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ إِنَّمَا يَتَيَدَّدُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ  
بِالْإِدْرَاكِ وَالْإِدْرَاكُ نَوْعَانِ إِدْرَاكٌ لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْيَقِينِ وَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ  
وَالْإِدْرَاكُ لِلْأَحْوَالِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْفَرَحِ وَالْحُزَنِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالرِّضَى وَالنَّغْصِ  
وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَأَمثال ذلك فَالرُّوحُ الْعَاقِلُ وَالْمُتَصَرِّفُ فِي الْبَدَنِ تَنْشَأُ مِنْ  
إِدْرَاكَاتٍ وَإِرَادَاتٍ وَأَحْوَالٍ وَهِيَ الَّتِي يُتَيَدَّدُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَبَعْضُهَا يَنْشَأُ مِنْ بَعْضِ  
حِكْمَةٍ يَنْشَأُ الْعِلْمُ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْفَرَحُ وَالْحُزْنُ عَنْ إِدْرَاكِ الْمَوْلِمِ أَوْ الْمُتَلَدِّدِ بِهِ  
وَالنَّشَاطُ عَنْ الْحَمَامِ وَالْكَسَلُ عَنِ الْأَعْيَاءِ وَكَذَلِكَ الْمُتَرِيدُ فِي مُجَاهَدَتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا  
يَبْدُ وَأَنْ يَنْشَأَ لَهُ عَنْ كُلِّ مُجَاهَدَةٍ حَالٌ نَتِيجَةٌ تِلْكَ الْمُجَاهَدَةِ وَتِلْكَ أَحْصَاةُ إِذَا أَنْ  
تَكُونُ نَوْعَ عِبَادَةٍ فَتَدَسُّخُ وَتَصِيدُ مَقَامًا لِلْمُرِيدِ وَإِنَّمَا أَنْ لَا تَكُونَ عِبَادَةً وَإِنَّمَا  
تَكُونَ صِفَةً حَاصِلَةً لِلنَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ أَوْ نَشَاطٍ أَوْ كَسَلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْمَقَامَاتِ وَلَا يَزَالُ الْمُتَرِيدُ يَتَرَقَّى مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ  
وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي هِيَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ لِلْسَّعَادَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرِيدُ لَا يَبْدُ لَهُ مِنَ التَّرَقِّي فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ وَأَصْلُهَا  
كُلُّهَا الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَيَتَقَدَّمُهَا الْإِيمَانُ وَيُصَاحِبُهَا وَتَنْشَأُ عَنْهَا الْأَحْوَالُ وَالصِّفَاتُ  
نَتَائِجَ وَتَمَرَاتٍ ثُمَّ تَنْشَأُ عَنْهَا أُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ وَإِذَا وَقَعَ  
تَقْصِيرٌ فِي النَّتِيجَةِ أَوْ خَلَلٌ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى مِنْ قَبْلِ التَّقْصِيرِ فِي الَّذِي قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ  
فِي الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ فَلِهَذَا يَحْتَاجُ الْمُتَرِيدُ إِلَى مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ فِي  
سَائِرِ أَعْمَالِهِ وَيَنْظُرُ فِي حَقَائِقِهَا لِأَنَّ حُصُولَ النَّتَائِجِ عَنِ الْأَعْمَالِ ضَرُورِيٌّ وَقُصُورُهَا  
مِنْ الْخَلَلِ فِيهَا كَذَلِكَ وَالْمُرِيدُ يَجِدُ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ وَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَلَا يُشَارِكُهُمْ  
فِي ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْعَقْلَ عَنْ هَذَا كَانَتْهَا شَامِلَةً وَغَايَةُ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ  
إِذَا لَمْ يَنْتَهُوا إِلَى هَذَا النَّوْعِ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالطَّاعَاتِ مُخْلِصَةً مِنْ نَظَرِ الْفَقْهِ فِي الْأَجْزَاءِ  
وَالْإِمْتِثَالِ وَهَؤُلَاءِ يَبْحَثُونَ عَنْ نَتَائِجِهَا بِالْأَذْوَانِ وَالْمَوَاجِدِ لِيُطْلَعُوا عَلَى أَنَّهَا خَالِصَةٌ مِنْ  
التَّقْصِيرِ أَوْ لَا فَظَهَرَ أَنَّ أَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ كُلُّهَا مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّوَكُّلِ  
وَالْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْأَذْوَانِ وَالْمَوَاجِدِ الَّتِي تَحْمِلُ عَنْ الْمُجَاهَدَاتِ ثُمَّ تَسْتَقِرُّ لِلْمُرِيدِ

مَقَامًا يَتَرَقَّى مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ثُمَّ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ آدَابٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتٌ فِي  
الْفَازِ تَدُورُ بَيْنَهُمْ إِذِ الْأَوْضَاعُ الْقُرُونِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَعَانِي الْمُتَعَارِفَةِ فَإِذَا عَرَضَ مِنْ  
الْمَعَانِي مَا هُوَ غَيْرُ مُتَعَارِفٍ أَصْطَلَحْنَا عَنْ التَّعْيِيرِ عَنْهُ بِلَفْظٍ يَتَيَسَّرُ فَهْمُهُ مِنْهُ فَلِهَذَا  
أَخْصَصْ هَؤُلَاءِ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ لِوَاحِدٍ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْكَلَامَ  
فِيهِ وَصَارَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٌ مَخْصُوصٌ بِالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفُتْيَا وَهِيَ الْأَحْكَامُ  
الْعَامَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَصِنْفٌ مَخْصُوصٌ بِالْقَوْمِ فِي الْقِيَامِ بِهِذِهِ  
الْمُجَاهَدَةِ وَمُخَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَيْهَا وَالْكَلَامُ فِي الْأَذْوَاتِ وَالْمَوَاجِدِ الْعَارِضَةِ فِي طَرِيقَتِهَا  
وَكَيْفِيَّةِ التَّرَقِّي مِنْهَا مِنْ ذَوْقٍ إِلَى ذَوْقٍ وَشَرَحَ الْأَصْطِلَاحَاتِ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَهُمْ فِي  
ذَلِكَ فَلَمَّا كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدَوِّنَتْ وَأُلْفَ الْفُقَهَاءُ فِي الْقِيَاسِ وَأَصُولِهِ وَالْكَلَامُ وَالتَّفْسِيرُ  
وغير ذلك كَتَبَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي طَرِيقَتِهِمْ فَبَيْنَهُمْ مَنْ كَتَبَ فِي  
الْوَرَعِ وَمُخَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ فِي الْأَخْذِ وَالْتِزَاقِ كَمَا فَعَلَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي كِتَابِ  
الرِّسَالَةِ وَالسَّهَرُورِيُّ فِي كِتَابِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ وَأَمْثَالُهُمْ وَجَمَعَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ فَدَوَّنَ فِيهِ أَحْكَامَ الْوَرَعِ وَالْإِقْتِدَاءِ ثُمَّ بَيَّنَّ آدَابَ  
الْقَوْمِ وَسُنَنَهُمْ وَشَرَحَ أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فِي عِبَارَاتِهِمْ وَصَارَ عِلْمُ التَّصَوُّفِ فِي الْمِلَّةِ عِلْمًا  
مَدُونًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الطَّرِيقَةُ عِبَادَةً فَقَطْ وَكَانَتْ أَحْكَامُهَا إِنَّمَا تُتَلَقَّى مِنْ صُدُورِ  
الرَّجَالِ كَمَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ الَّتِي دَوِّنَتْ بِالْكِتَابِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ  
وَالْأَصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمُجَاهَدَةَ وَالْخُلُوعَ وَالذِّكْرَ يَقْبَحُهَا غَالِيًا كَشَفَ  
حِجَابِ الْحُسْرِ وَالْإِطْلَاقَ عَلَى عَوَالِمٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ لِصَاحِبِ الْحُسْرِ إِدْرَاكُ شَيْءٍ مِنْهَا  
وَالرُّوحُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَالِمِ وَسَبَبُ هَذَا الْكَشْفِ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا رَجَعَ عَنْ الْحُسْرِ  
الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ ضَعُفَتْ أَحْوَالُ الْحُسْرِ وَقُرِيتْ أَحْوَالُ الرُّوحِ وَغَلَبَ سُلْطَانُهُ  
وَتَجَدَّدَ نُشْرُهُ وَأَعَانَ عَلَى ذَلِكَ الذِّكْرُ فَإِنَّهُ كَالْعِذَاءِ لِتَسْمِيَةِ الرُّوحِ وَلَا يَزَالُ فِي نُمُو  
وَتَرْيُدٍ إِلَى أَنْ يَصِيرَ شَهِودًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عِلْمًا وَيَكْشِفُ حِجَابَ الْحُسْرِ وَيُتِمُّ وُجُودَ  
النَّفْسِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ فَيَتَعَرَّضُ حِينَئِذٍ لِلْمَوَاهِبِ الرَّبَّانِيَّةِ  
وَالْعُلُومِ الدُّنْيَا وَالْآلِهِيَةِ وَتَقَرُّبُ ذَاتِهِ فِي تَحْقِيقِ حَقِيقَتِهَا مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى  
فَقِيَ الْمَلَائِكَةَ وَهَذَا الْكَشْفُ كَثِيرٌ مَا يَغْرُضُ لِأَهْلِ الْمُجَاهَدَةِ فَيُذَرِّ كُونَ مِنْ حَقَائِقِ



الْوُجُودِ مَا لَا يُدْرِكُ سِوَاهُمْ وَكَذَلِكَ يُدْرِكُ كَثِيرًا مِنَ الْوَاقِعَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ  
 بِهِمْ بِهَيْمِهِمْ وَقُوَى نُفُوسِهِمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ السُّفْلِيَّةِ وَتَصِيدُ طَوْعَ إِرَادَتِهِمْ فَأَلْعُطَاءُ مِنْهُمْ  
 لَا يَغْتَبِرُونَ هَذَا الْكَشْفَ وَلَا يَتَصَرَّفُونَ وَلَا يُخْبِرُونَ عَنْ حَقِيقَةِ شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالتَّكَلُّمِ  
 فِيهِ بَلْ يَعُدُّونَ مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِحَنَةً وَيَتَعَوَّذُونَ مِنْهُ إِذَا هَاجَمَهُمْ وَقَدْ كَانَ  
 الصَّخَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمُجَاهِدَةِ وَكَانَ حَظُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ  
 أَوْفَرَ الْخُلُوطِ لِكِنَّهُمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ بِهَا عِنَايَةٌ وَفِي قَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهَا وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ ثُمَّ اسْتَمَلَتْ رِسَالَةُ  
 الْعَشِيرَةِ عَلَى ذِكْرِهِمْ وَمَنْ تَبَعَ طَرِيقَتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ . ثُمَّ إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 انْصَرَفَتْ عِنَابَتُهُمْ إِلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَالْمَدَارِكِ الَّتِي وَرَاءَهُ وَاخْتَلَفَتْ طُرُقُ  
 الرِّيَاضَةِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ تَعْلِيمِهِمْ فِي إِمَاتَةِ الْقُوَى الْحَسِيَّةِ وَتَغْذِيَةِ الرُّوحِ  
 الْعَاقِلِ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَحْصُلَ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكُهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا بِتَأَمُّرِ نَشَوْتِهَا وَتَغْذِيَتِهَا  
 فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ ذَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ قَدْ انْخَصَرَ فِي مَدَارِكِهَا حِينَئِذٍ وَأَنَّهُمْ كَشَفُوا  
 ذَوَاتِ الْوُجُودِ وَتَصَوَّرُوا حَقَائِقَهَا كُلَّهَا مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الطَّرِيقِ هَكَذَا قَالَ النَّزَالِيُّ  
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ صُورَةَ الرِّيَاضَةِ . ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكَشْفَ  
 لَا يَكُونُ صَحِيحًا كَامِلًا عِنْدَهُمْ إِلَّا إِذَا كَانَ نَاشِئًا عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ لِأَنَّ الْكَشْفَ قَدْ  
 يَحْصُلُ لِصَاحِبِ الْجُوعِ وَالْخُلُوةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اسْتِقَامَةٌ كَالسَّحَرَةِ وَغَيْرِهِمْ  
 مِنَ الْمُتَرَكِّضِينَ وَلَيْسَ مُرَادُنَا إِلَّا الْكَشْفَ النَّاشِئَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ وَمِثَالُهُ أَنَّ الْبِرَّاءَةَ  
 الصَّقِيلَةَ إِذَا كَانَتْ مُعَدَّبَةً أَوْ مُقَرَّرَةً وَخُودِي بِهَا جِهَةَ التَّرْتِيبِ فَإِنَّهُ يُشَكَّلُ فِيهِ مُعَوَّجًا  
 عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ مُسَطَّحَةً تَشَكَّلُ فِيهَا التَّرْتِيبُ صَحِيحًا فَالْإِسْتِقَامَةُ لِلنَّفْسِ  
 كَالْإِسْطِاطِ لِلْبِرَّةِ فَيَا يَنْطَبِعُ فِيهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَمَّا عُنِيَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِهَذَا النَّوعِ  
 مِنَ الْكَشْفِ تَكَلَّمُوا فِي حَقَائِقِ الْمَوْجُودَاتِ الْعُلَوِّيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ وَحَقَائِقِ الْمُلْكِ وَالرُّوحِ  
 وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَصُرَتْ مَدَارِكُ مَنْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي طَرِيقَتِهِمْ عَنْ  
 فَهْمِ أَذْوَاقِهِمْ وَمَوَاجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْقُتْبِ بَيْنَ مُنْكَرِ عَلَيْهِمْ وَمُسْلِمِ لَهُمْ وَلَيْسَ  
 الْبُرْهَانُ وَالْأَدْلِيلُ بِنَافِعٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ رَدًّا وَقَبُولًا إِذْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْوُجْدَانِيَّاتِ وَرَبَّمَا  
 قَصَدَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ بَيَانَ مَذْهَبِهِمْ فِي كَشْفِ الْوُجُودِ وَتَرْتِيبِ حَقَائِقِهِ فَأَتَى بِالْأَغْمَضِ



خَالِئًا عَنْ النَّسَبِ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ وَالْعُلُومِ كَمَا قَلَّ الْفَرْعَانِيُّ شَارِحَ  
 قَصِيدَةِ ابْنِ الْفَارِضِ فِي الدِّيَابَجَةِ الَّتِي كَتَبَهَا فِي صَدْرِ ذَلِكَ الشَّرْحِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي  
 صُدُورِ الْوُجُودِ عَنِ الْفَاعِلِ وَتَوَرُّتِيهِ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ صَادِرٌ عَنْ صِفَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي  
 هِيَ مَظْهَرُ الْأَحَدِيَّةِ وَهِيَ مَعًا صَادِرَانِ عَنِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْوَحْدَةِ لَا  
 غَيْرُ وَيُسَمُّونَ هَذَا الصُّدُورَ بِالتَّجَلِّيِ وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ التَّجَلِّيَّاتِ عِنْدَهُمْ تَجَلِّيُ الذَّاتِ عَلَى نَفْسِهِ  
 وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْكَمَالَ بِإِفَاضَةِ الْإِبْجَادِ وَالظُّهُورِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَتَنَاقَلُونَ  
 كُنْتُ كَثْرًا مَخْفِيًّا فَأَحْيَيْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُونِي وَهَذَا الْكَمَالُ فِي  
 الْإِبْجَادِ الْمُنْتَزِلِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْصِيلِ الْحَقَائِقِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عَالَمُ الْمَعَانِي وَالْخُصْرَةِ  
 الْكَمَالِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَفِيهَا حَقَائِقُ الصِّفَاتِ وَاللُّوحِ وَالْقَلَمِ وَحَقَائِقُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَالرُّسُلِ أَجْمَعِينَ وَالْكَمُلِ مِنْ أَهْلِ الْبِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَهَذَا كُلُّهُ تَفْصِيلُ الْحَقِيقَةِ  
 الْمُحَمَّدِيَّةِ وَيَمْتَدُّ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ حَقَائِقُ أُخْرَى فِي الْخُصْرَةِ الْهَبَانِيَّةِ وَهِيَ مَرْتَبَةُ  
 الْمِثَالِ ثُمَّ عَنْهَا الْعَرْشُ ثُمَّ الْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْأَفْلَاكُ ثُمَّ عَالَمُ الْعَنَاصِرِ ثُمَّ عَالَمُ الدَّرَكِيِّبِ هَذَا  
 فِي عَالَمِ الرُّتَقِ وَإِذَا تَجَلَّتْ فِيهِ فِي عَالَمِ الْفَتْقِ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبَ أَهْلِ التَّجَلِّيِ  
 وَالْمَظَاهِرِ وَالْخُصْرَاتِ وَهُوَ كَلَامٌ لَا يَقْتَدِرُ أَهْلُ النَّظَرِ إِلَى تَحْصِيلِ مُقْتَضَاهُ لِعُمُوضِهِ  
 وَأَنْفِلَاقِهِ وَبَعْدَ مَا بَيْنَ كَلَامِ صَاحِبِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْوُجْدَانِ وَصَاحِبِ الدَّلِيلِ وَرَبَّنَا  
 أَنْكَرَ بِظَاهِرِ الشَّرْعِ هَذَا التَّرْتِيبَ وَكَذَلِكَ ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِالْوَحْدَةِ  
 الْمَطْلُوقَةِ وَهُوَ رَأْيُ أَغْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ فِي تَعْقُلِهِ وَتَفَارِيعِهِ يَزْعُمُونَ فِيهِ أَنَّ الْوُجُودَ لَهُ  
 قُوَى فِي تَفَاصِيلِهِ بِهَا كَانَتْ حَقَائِقُ التَّوْجُودَاتِ وَصُورُهَا وَمَوَادِّهَا وَالْعَنَاصِرُ إِنْغَا كَانَتْ  
 بِهَا فِيهَا مِنَ الْقُوَى وَكَذَلِكَ مَادَّتُهَا لَهَا فِي نَفْسِهَا قُوَّةٌ بِهَا كَانَ وَجُودُهَا ثُمَّ إِنَّ الْمُرَكَّبَاتِ  
 فِيهَا تِلْكَ الْقُوَى مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا الدَّرَكِيُّبُ كَالْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى  
 الْعَنَاصِرِ بِهِيُولَاهَا وَزِيَادَةُ الْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ثُمَّ الْقُوَّةُ الْخَيَوَانِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ الْمَعْدِنِيَّةَ  
 وَزِيَادَةُ قُوَّتِهَا فِي نَفْسِهَا وَكَذَا الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَعَ الْخَيَوَانِيَّةِ ثُمَّ الْفَلَكَ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ  
 الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةُ وَكَذَا الذَّوَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْكَلِّ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلِ  
 هِيَ الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَنْبَثَتْ فِي جَمِيعِ التَّوْجُودَاتِ كُلِّيَّةً وَجُزْئِيَّةً وَجَمَعَتْهَا وَأَحَاطَتْ  
 بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْخَفَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ وَلَا مِنْ

جَهَةِ الْمَادَّةِ فَالْكُلُّ وَاحِدٌ وَهُوَ نَفْسُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ  
 وَالْإِعْتِبَارُ هُوَ الْمَفْصَلُ لَهَا كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ أَلَا تَرَى أَنَّهَا مُنْدرِجَةٌ فِيهَا وَكَائِنَةٌ  
 بِكَوْنِهَا فَتَارَةٌ يُمَثِّلُونَهَا بِالْجِنْسِ مَعَ النَّوعِ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَتَلَدَةٌ بِالْكُلِّ  
 مَعَ الْجُزْءِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمِثَالِ وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ يَفْرَوْنَ مِنَ التَّكْيِيبِ وَالْكَثْرَةِ بِوَجْهِ  
 مِنَ الْوُجُودِ وَإِنَّمَا أُوجِبَهَا عَنْدهُمْ الْوَهْمُ وَالْخِيَالُ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ  
 فِي تَقْرِيرِهِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ شَيْءٌ بِمَا تَقُولُهُ الْحِكْمَاءُ فِي  
 الْأَلْوَانِ مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مَشْرُوطٌ بِالضَّوِّ فَإِذَا عُدِمَ الضَّوُّ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً  
 بِوَجْهِ وَكَذَا عَنْدهُمْ الْمَوْجُودَاتُ الْمَحْسُوسَةُ كُلُّهَا مَشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْعَقْلِيِّ  
 فَإِذَا الْوُجُودُ الْمَفْصَلُ كُلُّهُ مَشْرُوطٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ فَلَوْ فَرَضْنَا عَدَمَ الْمُدْرِكِ  
 الْبَشَرِيِّ جُمْلَةً لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَفْصِيلُ الْوُجُودِ بَلْ هُوَ بَسِيطٌ وَاحِدٌ فَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَالصَّلَابَةُ  
 وَاللِّينُ بَلْ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالنَّارُ وَالسَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ إِنَّمَا وَجِدَتْ لِوُجُودِ الْخَوَاسِ  
 الْمُدْرِكَةِ لَهَا لَمَّا جُعِلَ فِي الْمُدْرِكِ مِنَ التَّفْصِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْجُودِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
 الْمُدَارِكِ فَقَطْ فَإِذَا قُدَّتِ الْمُدَارِكُ الْمَفْصَلَةُ فَلَا تَفْصِيلَ إِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكٌ وَاحِدٌ وَهُوَ  
 أَنَا لَا غَيْرُهُ وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ بِحَالِ النَّائِمِ فَإِنَّهُ إِذَا نَامَ وَقَعَدَ الْحِسَّ الظَّاهِرَ فَقَدَ كُلَّ  
 مُحْسُوسٍ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَّا مَا يُبْصِلُهُ لَهُ الْخِيَالُ قَالُوا فَكَذَا الْيَقْظَانُ إِنَّمَا يَعْتَبَرُ تِلْكَ  
 الْمُدْرَكَاتُ كُلُّهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بِنَوْعِ مُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ وَلَوْ قُدِرَ فَقَدَ مُدْرِكِهِ فَقَدَ التَّفْصِيلَ  
 وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمُ الْوَهْمُ لَا الْوَهْمُ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ هَذَا  
 مَلْخَصُ رَأْيِهِمْ عَلَى مَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّقُوطِ لِأَنَّا نَقْطَعُ بِوُجُودِ  
 الْبَلَدِ الَّذِي نَحْنُ مُسَافِرُونَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ يَتِمُّنَا مَعَ غَيْبِهِ عَنْ أَعْيُنِنَا وَبِوُجُودِ السَّمَاءِ الْمُظَلَّةِ  
 وَالْكَوَاكِبِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْعَائِبَةِ عَنَّا وَالْإِنْسَانِ قَاطِعٍ بِذَلِكَ وَلَا يُكَابِرُ أَحَدٌ  
 نَفْسَهُ فِي الْيَقِينِ مَعَ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمُرِيدَ عِنْدَ  
 الْكَشْفِ رُبَّمَا يَعْزِضُ لَهُ تَوَهُمٌ هَذِهِ الْوَحْدَةُ وَيُسَمَّى ذَلِكَ عَنْدهُمْ مَقَامَ الْجَمْعِ ثُمَّ  
 يَدْرُقِي عَنْهُ إِلَى التَّسْيِيرِ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ وَيَعْبَرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِمَقَامِ الْفَرْقِ وَهُوَ مَقَامُ  
 الْعَارِفِ الْمُحَقِّقِ وَلَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ عَنْدهُمْ مِنْ عَقَبَةِ الْجَمْعِ وَهِيَ عَقَبَةٌ صَعْبَةٌ لِأَنَّهُ يُخْشَى  
 عَلَى الْمُرِيدِ مِنْ وَقُوفِهِ عَنْهَا فَتَحْصُرُ صَفِيقَتُهُ فَقَدْ تَلَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ثُمَّ



إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكُشْفِ وَفِي مَا وَرَاءَ الْحُسْنِ  
 تَوَعَّلُوا فِي ذَلِكَ فَذَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ وَمَلَأُوا  
 الصُّحُفَ مِنْهُ مِثْلُ الْهَرَوِيِّ فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ لَهُ وَغَيْرُهُ وَتَبِعَهُمُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنُ  
 سَعِيدٍ وَتَلْمِيزُهُمَا ابْنُ الْعَفِيفِ وَابْنُ الْفَارِضِ وَالْأَجَمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي قَصَائِدِهِمْ وَكَانَ  
 سَلَفُهُمْ مُخَالِطِينَ لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ الدَّائِنِينَ أَيْضًا بِالْحُلُولِ وَالْإِلَهِيَّةِ  
 الْأَيْمَةِ مَذْهَبًا لَمْ يُعْرَفْ لِأَوَّلِهِمْ فَأَشْرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّرَبِيِّينَ مَذْهَبَ الْآخَرِ وَاخْتَلَطَ  
 كَلَامُهُمْ وَتَشَابَهَتْ تَقَائِدُهُمْ وَظَوَّرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلَ بِالْقُطْبِ وَمَعْنَاهُ رَأْسُ  
 الْحَارِيفِينَ يُزْعَمُونَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَقْبِضَهُ  
 اللَّهُ ثُمَّ يُورِثَ مَقَامَهُ لِآخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْإِرْفَانِ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سَيْتَا فِي كِتَابِ  
 الْإِشَارَاتِ فِي فُصُولِ التَّصَوُّفِ مِنْهَا فَقَالَ جُلُ جَنَابِ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ بِشَرْعَةٍ لِكُلِّ وَارِدٍ  
 أَوْ يُطَّلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ وَهَذَا كَلَامٌ لَا تَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ  
 شَرْعِيٌّ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخُطَابَةِ وَهُوَ بَعِيْنُهُ مَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ وَدَانُوا بِهِ ثُمَّ قَالُوا  
 بِتَرْتِيبٍ وَجُودِ الْإِبْدَالِ بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ كَمَا قَالَ الشَّيْخَةُ فِي التَّقْبَاءِ حَتَّى أَنَّهُمْ لَمَّا  
 أَسْنَدُوا لِيَاسَ خِرْقَةَ التَّصَوُّفِ لِيَجْعَلُوهُ أَصْلًا لَطَرِيقَتِهِمْ وَتَحْلِيْمَهُمْ رَفَعُوهُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا وَإِلَّا فَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ  
 بِتَحْلِيَةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لِيَاسٍ وَلَا حَالٍ بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَغُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَزْهَدَ  
 النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْثَرُهُمْ عِبَادَةً وَلَمْ يُخْتَصَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
 فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُؤَثِّرُ عَنْهُ فِي الْخُدُوصِ بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أَسْرَةً فِي الدِّينِ وَالرُّهْدِ  
 وَالْمُجَاهَدَةِ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْقَاطِمِيِّ وَمَا سَخَرُوا  
 كُتُبَهُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِسَلَفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِيهِ كَلَامٌ يَنْفِي أَوْ إِثْبَاتٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
 مَاخُودٌ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخَةِ وَالرَّافِضَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ فِي كُتُبِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ثُمَّ إِنْ  
 كَثُرَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفَنَاءِ أَنْتَدَبُوا لِلرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ  
 وَأَمْثَالِهَا وَشَتَلُوا بِالنَّكِيرِ سَائِرًا وَقَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمْ مَعَهُمْ  
 فِيهِ تَفْصِيلٌ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ أَحَدُهَا الْكَلَامُ عَلَى الْمُجَاهَدَاتِ وَهُوَ  
 يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ وَمُخَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِتَحْصُلِ تِلْكَ الْأَذْوَاقِ الَّتِي



تَصِيرُ مَقَامًا وَيُدْقَى مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا قُلْنَا فِي الْكَلَامِ فِي الْكُشْفِ وَالْحَقِيقَةِ  
الْمُدْرَكَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِثْلَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالثَّلَاثَةِ  
وَالْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ وَالرُّوحِ وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ وَتَرْكِيبِ الْأَكْوَانِ فِي  
صُدُورِهَا عَنْ مَوْجُودِهَا وَتَكُونِهَا كَمَا مَرَّ وَتَالِثُهَا التَّصَرُّفَاتُ فِي الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ بِأَنْوَاعِ  
الْكِرَامَاتِ وَرَابِعُهَا أَلْفَاظُ مُوهَّمَةِ الظَّاهِرِ صَدَرَتْ مِنْ الْكَثِيرِ مِنْ أَتَمَّةِ الْقَوْمِ يُعْبَرُونَ  
عَنْهَا فِي أَصْطِلَاحِهِمْ بِالشُّطْحَاتِ تُسْتَشْكَلُ ظَوَاهِرُهَا فَمُنْكَرٌ وَمُحْسِنٌ وَمُتَأَوِّلٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ  
فِي الْمُبْجَاهَدَاتِ وَالْمَقَامَاتِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ فِي نَتَائِجِهَا وَمُخَاسَبَةِ النَّفْسِ  
عَلَى التَّقْصِيرِ فِي أَسْبَابِهَا فَأَمْرٌ لَا مَدْفَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ وَأَذْوَابُهُمْ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَالتَّحَقُّقُ بِهَا هُوَ  
عَيْنُ السَّعَادَةِ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي كِرَامَاتِ الْقَوْمِ وَأَخْبَارِهِمْ بِالْمُعْجِبَاتِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي  
الْكَائِنَاتِ فَأَمْرٌ صَحِيحٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَإِنْ مَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى إِنْكَارِهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ  
الْحَقِّ وَمَا أَحْتَجُّ بِهِ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايْنِيُّ مِنْ أَتَمَّةِ الْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى إِنْكَارِهَا  
لِإِلْبَاسِهَا بِالْمُعْجِزَةِ فَقَدْ فَرَّقَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَهُمَا بِالتَّحْدِيدِ وَهُوَ دَعْوَى  
وُقُوعِ الْمُعْجِزَةِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا ثُمَّ إِنَّ وَقُوعَهَا عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْكَاذِبِ غَيْرُ  
مَعْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجِزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقْلِيَّةٌ فَإِنَّ صِفَةَ نَفْسِهَا التَّصْدِيقُ فَأَوْ وَقَعَتْ مَعَ  
الْكَاذِبِ لَتَبَدَّلَتْ صِفَتُهَا نَفْسِهَا وَهُوَ مُحَالٌ هَذَا مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِوُقُوعِ الْكَثِيرِ  
مِنْ هَذِهِ الْكِرَامَاتِ وَإِنْكَارُهَا نَوْعٌ مُكَابَرَةٌ وَقَدْ وَقَعَ لِلصَّخَابَةِ وَكَأَيِّ السَّلَفِ كَثِيرٌ  
مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الْكُشْفِ وَإِعْطَاءِ حَقَائِقِ الْعُلُويَّاتِ  
وَتَرْتِيبِ صُدُورِ الْكَائِنَاتِ فَأَكْثَرُ كَلَامِهِمْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ لِمَا أَنَّهُ وَجَدَانِي  
عِنْدَهُمْ وَفَاقِدُ الْوُجْدَانِ عِنْدَهُمْ يَتَغَرَّلُ عَنْ أَذْوَابِهِمْ فِيهِ وَاللُّغَاتُ لَا تُعْطَى لَهُ دَلَالَةٌ عَلَى  
مَرَادِهِمْ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَمْ تُوضَعْ لِلْمُتَعَارِفِ وَأَكْثَرُهُ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا نَتَعَرَّضَ  
لِكَلَامِهِمْ فِي ذَلِكَ وَنَتَذَكَّرُ فِيهَا تَرْكِيزَهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهَمَّ شَيْءٌ مِنْ  
هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْوُجْهِ الْمُوَافِقِ لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَأَكْرَمَ بِهَا سَعَادَةً وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ  
الْمُوهَّمَةُ الَّتِي يُعْبَرُونَ عَنْهَا بِالشُّطْحَاتِ وَيُؤَاخِذُهُمْ بِهَا أَهْلُ الشَّرْعِ فَأَعْلَمُ أَنَّ  
الْإِنْصَافَ فِي شَأْنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ أَهْلُ غَيْبٍ عَنِ الْحَسْرِ وَالْوَارِدَاتِ تَمْلِكُهُمْ حَتَّى  
يَنْطُقُوا عَنْهَا بِمَا لَا يَقْصِدُونَهُ وَصَاحِبُ الْغَيْبِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ وَالْمَجْبُورُ مَعْدُورٌ فَمَنْ

عِلْمَ مِنْهُمْ فَضْلُهُ وَاقْتِدَاؤُهُ حُلَّ عَلَى الْقَصْدِ الْحَبِيلِ مِنْ هَذَا وَأَنَّ الْعِبَارَةَ عَنْ  
 التَّوَاجِدِ صَعْبَةٌ لِتَقْدَانِ الْوَضْعِ لَهَا كَمَا وَقَعَ لِأَيِّ يَزِيدُ وَأَمْثَالِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَضْلَهُ  
 وَلَا أَشْهَرَ فَمُؤَاخَذُ إِذْ صَدَرَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَّبِعْ لَنَا مَا يَحْبِلُنَا عَلَى  
 تَأْوِيلِ كَلَامِهِ وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمِثْلِهَا وَهُوَ حَاضِرٌ فِي حَيْثِهِ وَلَمْ يَبْلُغْهُ أَحَالُ فَمُؤَاخَذُ  
 أَيْضًا وَلِهَذَا أَتَى الْفُقَهَاءُ وَأَكَابِرُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِقَتْلِ الْخَلَّاجِ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي حُضُورِهِ وَهُوَ مَالِكُ  
 لِحَاثِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَسَلَفُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ أَهْلِ الرِّسَالَةِ أَعْلَامُ الْمِلَّةِ الَّذِينَ أَشْرَنَّا إِلَيْهِمْ  
 مِنْ قَبْلُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حِرْصٌ عَلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَلَا هَذَا التَّوَعُّدُ مِنَ الْإِدْرَاكِ إِنَّمَا  
 هُمُ الْإِتِّبَاعُ وَالْإِقْتِدَاءُ مَا اسْتَطَاعُوا وَمَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ  
 يَحْفَظْ بِهِ بَلْ يَفْرُونَ مِنْهُ وَيَرُونَ أَذَى مِنَ الْعَوَائِقِ وَالْحِجْنِ وَأَنَّهُ إِدْرَاكٌ مِنْ إِدْرَاكَاتِ  
 النَّفْسِ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ وَأَنَّ التَّوَجُّدَاتِ لَا تَنْحَصِرُ فِي مَدَارِكِ الْإِنْسَانِ وَعِلْمُ اللَّهِ أَوْسَعُ  
 وَخَلْقُهُ أَكْبَرُ وَشَرِيعَتُهُ بِالْهِدَايَةِ أَمْلَكُ فَلَا يَنْطِقُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُدْرِكُونَ بَلْ حَظَرُوا  
 الْخَوْضَ فِي ذَلِكَ وَمَنَعُوا مَنْ يُكْشَفُ لَهُ الْحِجَابُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْخَوْضِ فِيهِ  
 وَالْوُقُوفِ عِنْدَهُ بَلْ يَذَرُونِ طَرِيقَتَهُمْ كَمَا كَانُوا فِي عَالَمِ الْحِسِّ قَبْلَ الْكَشْفِ مِنَ  
 الْإِتِّبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَيَأْمُرُونَ أَصْحَابَهُمْ بِالْإِتْرَامِهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ  
 الْمُرِيدِ وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ

## الفصل الثاني عشر

### في علم تعبد الرؤيا

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَهُوَ حَادِثٌ فِي الْمِلَّةِ عِنْدَمَا صَارَتْ الْعُلُومُ صَنَائِعَ  
 وَكُتِبَ النَّاسُ فِيهَا وَأَمَّا الرُّؤْيَا وَالتَّعْبُدُ لَهَا فَقَدْ كَانَ مَوْجُودًا فِي السَّلَفِ كَمَا هُوَ فِي  
 الْخَلْفِ وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ وَالْأَمَمِ مِنْ قَبْلُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا إِلَّا كِتَابٌ فِيهِ  
 بِكَلَامِ الْمُعْبِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَإِلَّا فَالرُّؤْيَا مَوْجُودَةٌ فِي صَنْفِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَعْبُدِهَا فَلَقَدْ كَانَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُعَبِّدُ الرُّؤْيَا كَمَا وَقَعَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ ثَبُتَ عَنِ الصَّحِيجِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرُّؤْيَا مُدْرِكٌ مِنْ مَدَارِكِ الْغَيْبِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا  
 الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ وَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا

الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له وأول ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم  
 من ألوهي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان النبي صلى  
 الله عليه وسلم إذا أنقَلَ من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحدٌ منكم الليلة  
 رؤيا يسألهم عن ذلك لينتشر بما وقع من ذلك بما فيه ظهور الدين وإعزازه وأما  
 السبب في كون الرؤيا مدركاً للغيب فهو أن الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث  
 من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه  
 تكمل أفعال القوى الحيوانية وإحساسها فإذا أدركه اللال بكثرة التصرف في  
 الإحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سائر البدن ما يغشاه  
 من برد الليل أنحبس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي فيستجم بذلك  
 لمادة فيه فتعطت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في  
 أول الكتاب ثم إن هذا الروح القلبي هو مبطية للروح العاقل من الإنسان والروح  
 العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته إذ حقيقته وذاته عين الإدراك وإنما  
 يمنع من تعلقه للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه  
 فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقته وهو عين الإدراك فيعقل  
 كل مدرك فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من إدراك لمحة من عالمه  
 بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل  
 الأعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك الالائية من عالمه وإذا أدرك ما يدرك  
 من عوالمه رجع إلى بدنه إذ هو ما دام في بدنه جثمانياً لا يمكنه التصرف إلا  
 بالمدارك الجسائية والمدارك الجسائية للعلم إنما هي الدماغية والمتصرف منها  
 هو الخيال فإنه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها إلى الحافظة  
 تحفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها  
 فصوراً أخرى نفسانية عقلية فيدق التجريد من المحسوس إلى العقول والخيال  
 واسطة بينهما ولذلك إذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه القته إلى الخيال  
 يصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه إلى الحس المشترك فيراه التائم كأنه محسوس  
 فيترد المدرك من الروح العقلي إلى الحسي والخيال أيضاً واسطة هذه حقيقة



الرؤيا ومن هذا التفسير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة والأضغاث الأحمال الكاذبة فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم ولكن إن كانت تلك الصور منزلة من الروح العليّ المدرك فهو رؤيا وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام وأما معنى التعبير فأعلم أن الروح العليّ إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال فصوره فإنما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الأعظم فيصوره الخيال بصورة البحر أو يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية فإذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى البحر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها وهو يهتدي بقرائن أخرى تعين له المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لأن البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه بها السلطان وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو ليظهر ضررها وكذا الأواني تشبه بالنساء لأنهن أوعية وأمثال ذلك ومن العربي ما يكون صريحاً لا يقتصر إلى تعبير لجلالها ووضوحها أو لقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر إلى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الأضغاث وأعلم أن الخيال إذا ألقى إليه الروح مدركه فإنما يصوره في القوالب المعتادة للجن وما لم يكن الخس أدركه قط فلا يصور فيه فلا يسكن من ولد أعشى أن يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالأواني لأنه لم يدرك شيئاً من هذه وإنما يصور له الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي المشروعات والمشروعات وليستحفظ المعبر من مثل هذا قريباً اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم إن علم التعبير علم بقوانين كلية يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على ألهم والأمر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على

الْحَيَاةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَحْفَظُ الْمُعْبَرُ هَذِهِ الْقَوَائِنَ الْكُلِّيَّةَ وَيُعْبَرُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِمَا  
تَضِيهِ الْقَرَائِنُ الَّتِي تُعَيِّنُ مِنْ هَذِهِ الْقَوَائِنِ مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالرُّؤْيَا وَتِلْكَ الْقَرَائِنُ مِنْهَا فِي  
الْيَقَظَةِ وَمِنْهَا فِي التَّوَمُّ وَمِنْهَا مَا يَنْقَدِحُ فِي نَفْسِ الْمُعْبَرِ بِالْخَاصِّ الَّتِي خُلِقَتْ فِيهِ وَكُلُّ  
مَيْسَرٍ لَنَا خُلِقَ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْعِلْمُ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ السَّلَفِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ فِيهِ  
مِنْ أَشْهُرِ الْعُلَمَاءِ وَكُتِبَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْقَوَائِنِ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَلْفَ  
الْكَرْمَانِيِّ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَلْفَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَأَخِّرُونَ وَأَكْثَرُوا وَالْمُتَدَاوِلُ  
بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ كُتِبَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَيَّوَانِي مِنْ عُلَمَاءِ الْقَيَّوَانِ بِمِثْلِ  
الْمُسْتَعْرِ وَغَيْرِهِ وَكِتَابُ الْإِشَارَةِ لِلْسَّالِمِيِّ وَهُوَ عِلْمٌ مُضِيٌّ بِنُورِ النُّبُوَّةِ لِلْمُنَاسِبَةِ الَّتِي  
بَيْنَهُمَا كَمَا وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ

### الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ إِدْرَاةُ ذُو فِكْرٍ فَهِيَ غَيْرُ  
مَحْتَصَةٍ بِبِلَّةٍ بَلْ يُوْجِبُ النَّظْرُ فِيهَا إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ كُلِّهِمْ وَيَسْتَوُونَ فِي مَدَارِكِهَا وَمَبَاحِثِهَا  
وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مُنْذُ كَانَ عُمْرَانُ الْخَلِيقَةِ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْعُلُومُ عُلُومُ  
الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَهِيَ مُشْتَبِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ الْأَوَّلُ عِلْمُ الْمَنْطِقِ وَهُوَ عِلْمٌ يَنْصَحُ  
الذِّهْنَ عَنِ الْخَطَا فِي اقْتِصَاصِ الْمَطَالِبِ الْمَجْهُولَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ الْمَعْلُومَةِ وَفَائِدَتُهُ  
تَمْيِيزُ الْخَطَا مِنَ الصَّوَابِ فِيمَا يَلْتَمِسُهُ النَّاطِرُ فِي التَّوْجُّودَاتِ وَعَوَارِضِهَا لِيَقِفَ عَلَى  
مَحَقِّقِ الْحَقِّ فِي الْكَائِنَاتِ بِمُنْتَهَى فِكْرِهِ ثُمَّ النَّظْرُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ إِمَّا فِي الْمَحْسُوسَاتِ  
مِنَ الْأَجْسَامِ الْعُنْصَرِيَّةِ وَالْمُكَوَّنَةِ عَنْهَا مِنَ الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْأَجْسَامِ  
الْفَلَائِكِيَّةِ وَالْأَحْرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالنَّفْسِ الَّتِي تَقْبِثُ عَنْهَا الْأَحْرَكَاتُ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
هَذَا الْفَنُّ بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الثَّانِي مِنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّظْرُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي وَرَاءَ  
الطَّبِيعَةِ مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيُسَمُّوْنَ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ وَهُوَ الثَّلَاثُ مِنْهَا وَالْعِلْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ  
النَّظْرُ فِي الْمَقَادِيرِ وَيَشْتَبِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ وَتُسَمَّى التَّعَالِيمُ أَوَّلُهَا عِلْمُ الْهَنْدَسَةِ وَهُوَ  
النَّظْرُ فِي الْمَقَادِيرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِمَّا الْمُتَفَصِّلَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا مَعْدُودَةٌ أَوْ الْمُتَشَبِّهَةِ  
وَهِيَ إِمَّا ذُو بُعْدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَطُّ أَوْ ذُو بُعْدَيْنِ وَهُوَ السَّطْحُ أَوْ ذُو أَبْعَادٍ ثَلَاثَةٍ وَهُوَ



الْجِسْمُ التَّعْلِيْمِيُّ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْمَقَادِيرِ وَمَا يَغْرِضُ لَهَا إِمَّا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا أَوْ مِنْ  
حَيْثُ نِسْبَةُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَانِيهَا عِلْمُ الْأَرْتَمَاطِيْقِي وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا يَغْرِضُ لَكُمْ  
الْمُنْفَصِلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَدُ وَيُؤْخَذُ لَهُ مِنَ الْخَوَاصِ وَالْعَوَارِضِ الْأَلْحَقَةِ وَثَالِثُهَا عِلْمُ  
الْمُوسِيقَى وَهُوَ مَعْرِفَةُ نِسْبِ الْأَصْوَاتِ وَالنَّغَمِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَتَقْدِيرُهَا بِالْعَدَدِ وَتَمَرُّتُهُ  
مَعْرِفَةُ تَلَاحِيْنِ النِّغَاءِ وَرَايِعُهَا عِلْمُ الْهَيْئَةِ وَهُوَ تَعْيِينُ الْأَشْكَالِ لِلْأَفْلَاقِ وَحَضْرُ أَوْضَاعِهَا  
وَتَعَدُّدُهَا لِكُلِّ كَوْكَبٍ مِنَ السَّيَّارَةِ وَالْقِيَامُ عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْحَرَكَاتِ السَّائِيَةِ  
الشَّاهِدَةِ الْمَوْجُودَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَمِنْ رُجُوعِهَا وَأَسْتِقَامَتِهَا وَإِقْبَالِهَا وَإِدْبَارِهَا فَهَذِهِ  
أُصُولُ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَهِيَ سَبْعَةٌ الْمَسْطُوقُ وَهُوَ الْمَقْدَمُ مِنْهَا وَبَعْدَهُ التَّعَالِيمُ فَالْأَرْتَمَاطِيْقِي  
أَوَّلًا ثُمَّ الْهَنْدَسَةُ ثُمَّ الْهَيْئَةُ ثُمَّ الْمُوسِيقَى ثُمَّ الطَّبِيعِيَّاتُ ثُمَّ الْإِلَهِيَّاتُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
فُرُوعٌ تَتَفَرَّعُ عَنْهُ فَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ الطَّبُّ وَمِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْعَدَدِ عِلْمُ الْحِسَابِ  
وَالْفَرَائِضِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَمِنْ فُرُوعِ الْهَيْئَةِ الْأَزْيَاحُ وَهِيَ قَوَائِنُ لِحِسَابِ حَرَكَاتِ  
الْكَوَاكِبِ وَتَعْدِيلِهَا لِلْوُقُوفِ عَلَى مَوَاضِعِهَا مَتَى قَصِدَ ذَلِكَ وَمِنْ فُرُوعِهَا النَّظَرُ فِي النُّجُومِ  
عَلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَعْلَمُ  
أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَا فِي الْأَجْيَالِ الَّذِينَ عَرَفْنَا أَخْبَارَهُمْ الْأَمَنَانِ الْعَظِيمَتَانِ فِي  
الدَّوْلَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَهُمَا قَارِسُ وَالرُّومُ فَكَانَتْ أَسْوَأُ الْعُلُومِ نَافِقَةً لَدَيْهِمْ عَلَى  
مَا بَلَّغْنَا لِمَا كَانَ الْعُمَرَانُ مَوْفُورًا فِيهِمْ وَالْأَمَنَانُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَعَصَرَهُ لَهُمْ  
فَكَانَ لَهُدِي الْعُلُومِ بُحُورٌ زَاخِرَةٌ فِي آفَاقِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ وَكَانَ لِلْكِلْدَانِيَيْنِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ  
مِنَ الْبَرِيَّانِيَيْنِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْقَبْطِ عِنَايَةٌ بِالسَّحْرِ وَالنَّجَامَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الطَّلَاسِمِ  
وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُمْ الْأَمَمُ مِنْ قَارِسَ وَيُونَانَ فَأَخْصَصَ بِهَا الْقَبْطَ وَطَمَى بَحْرَهَا فِيهِمْ  
كَمَا وَقَعَ فِي الْمَثَلِ مِنْ خَبَرِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَشَأْنِ السَّحْرِ وَمَا نَقَلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ  
مِنْ شَأْنِ الْبَرَارِيِّ بِصَيْدِ مِصْرَ ثُمَّ تَتَابَعَتِ اللَّيَالُ بِخَطَرِ ذَلِكَ وَتَحْرِيمِهِ فَدُرِسَتْ  
عُلُومُهُ وَبَطَلَتْ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَقَايَا يَتَنَاقَلُهَا مُنْتَحِلُو هَذِهِ الصَّنَائِعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِصِحَّتِهَا مَعَ أَنَّ سُيُوفَ الشَّرْعِ قَائِمَةٌ عَلَى ظُهُورِهَا مَا نِعَةً مِنْ اخْتِبَارِهَا وَأَمَّا الْقُرْسُ  
فَكَانَ شَأْنُ هَذِهِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ عِنْدَهُمْ عَظِيمًا وَنِطَاقُهَا مُتَّسِمًا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُهُمْ  
مِنَ الضَّخَامَةِ وَاتِّصَالِ الْمُلْكِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ إِنَّمَا وَصَلَتْ إِلَى يُونَانَ مِنْهُمْ

حين قتل الإسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كتبهم وعلومهم  
 مما لا يأخذ الخضر ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد  
 بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقيتها للمسلمين فكتب  
 إليه عمر أن أطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بإهدى منه وإن  
 يكن ضللاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها  
 عن أن تصل إلينا . وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولاً وكان لهذه العلوم  
 بينهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم  
 واخص فيها المشاءون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرأون  
 في رواق يظلهم من الشمس والبرد على ما زعموا وأتصل فيما سند تعليمهم على ما  
 يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدن ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم  
 إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه الإسكندر الأكبر ودسي وتامسطيون وغيرهم  
 وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وأنتدع  
 الملك من أيديهم وكان أرسطو في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيه صيتاً وكان يسمى  
 المعلم الأول فطار له في العالم ذكر . ولما أنتدع أمر اليونان وصار الأمر للقيصرية  
 وأخذوا يدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضي الملل والشرائع فيها وبقيت  
 في صحتها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنها قد ملكوا الشام وكتب هذه العلوم  
 باقية فيهم ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له وأبدوا الروم  
 ملكهم فيما أبدوه للأمم وأبتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى إذا  
 تبجح من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الأمم  
 وتفتتوا في الصنائع والعلوم تشوقوا إلى الإطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما  
 سيعوا من الأساقفة والآيسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمو إليه أفكار الإنسان  
 فيها فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعليم مترجمة  
 فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون وأطلعوا على  
 ما فيها وأزدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في  
 العلم رغبة بما كان يتحله فأنبت لهذه العلوم حرصاً وأوفد الرسل على ملوك الروم



فِي اسْتِخْرَاجِ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ وَأَنْتِسَاحِهَا بِالْخَطِّ الْعَرَبِيِّ وَبَعَثَ الْمُرْجِيينَ لِذَلِكَ فَأَوْعَى  
 مِنْهُ وَأَسْتَوْعَبَ وَعَكَفَ عَلَيْهَا النَّظَّارُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَحَذَقُوا فِي فُنُونِهَا وَأَنْتَهَتْ إِلَى  
 الْعَالِيَةِ أَنْظَارُهُمْ فِيهَا وَخَالَفُوا كَثِيرًا مِنْ آرَاءِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَاخْتَصَّوهُ بِإِرْدٍ وَالْقَبُولِ  
 لَوْ قُوفِ الشُّهُرَةِ عِنْدَهُ وَدَوَّنُوا فِي ذَلِكَ الدَّوَاوِينَ وَأَرَبُوا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ  
 وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ فِي الْمِلَّةِ أَبُو نَصْرِ الْفَارَابِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا بِالْمَشْرِقِ وَالْقَاضِي  
 أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ وَالْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الصَّائِغِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى آخِرِينَ بَلَّغُوا الْعَالِيَةَ  
 فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَاخْتَصَّ هَؤُلَاءُ بِالشُّهُرَةِ وَالذِّكْرِ وَاقْتَصَرَ كَثِيرُونَ عَلَى اتِّخَالِ الْعُلَامِ  
 وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهَا مِنْ عُلُومِ النِّجَاحَةِ وَالسَّيْرِ وَالطَّلَسَاتِ وَوَقَعَتْ الشُّهُرَةُ فِي هَذَا الْمُنْتَحَلِ  
 عَلَى مُسْلِمَةِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَجْرِبِطِيِّ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَتَلْمِيذِهِ وَدَخَلَ عَلَى الْمِلَّةِ مِنْ  
 هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا دَاخِلَةً وَأَسْتَوَتْ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ بِمَا جَنَحُوا إِلَيْهَا وَقَلَّدُوا آرَاءَهَا  
 وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ لِمَنْ ارْتَكَبَهُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ . ثُمَّ إِنَّ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ لَكَا  
 رَكَدَتِ رِيحُ الْعُرَانِ بِهِمَا وَتَنَاقَصَتِ الْعُلُومُ بِتَنَاقُصِهِ أَضْمَحَلْ ذَلِكَ مِنْهُمَا إِلَّا قَلِيلًا مِنْ  
 رُسُومِهِ تَجِدُهَا فِي تَفَارِيقِ مِنَ النَّاسِ وَتَحْتَ رَقَبَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَيَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ أَنَّ بَضَائِعَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَمْ تَرَلْ عِنْدَهُمْ مَوْفُورَةٌ وَخُتُوصًا فِي عِرَاقِ الْعَجَمِ وَمَا  
 بَعْدَهُ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَأَنَّهُمْ عَلَى بَحْ مِنْ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ لِتَوَفُّرِ عُمرَانِهِمْ وَأَسْتِحْكَامِ  
 الْخِصَارَةِ فِيهِمْ وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِمِصْرَ عَلَى تَأْلِيفِ مُتَعَدِّدَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ هَرَاةٍ مِنْ بِلَادِ  
 خِرَاسَانَ يُشْهَرُ بِسَعْدِ الدِّينِ التَّفَازَانِيِّ مِنْهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْبَيَانِ  
 تَشْهَدُ بِأَنَّ لَهُ مَلَكَةً رَاسِخَةً فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَفِي أَثْنَانِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ إِطْلَاعًا عَلَى  
 الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَقَدَمًا عَالِيَةً فِي سَائِرِ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 كَذَلِكَ بَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الْفَلَسَفِيَّةَ بِبِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ مِنْ أَرْضِ رُومَةٍ وَمَا  
 إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ نَافِقَةُ الْأَسْوَاقِ وَأَنَّ رُسُومَهَا هُنَاكَ مُتَجَدِّدَةٌ وَمَجَالِسُ  
 تَعْلِيمِهَا مُتَعَدِّدَةٌ وَدَوَاوِينُهَا جَامِعَةٌ مُتَوَفِّرَةٌ وَطَلَبَتُهَا مُتَكَثِرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا هُنَاكَ  
 وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ .

## الفصل الرابع عشر

### في العلوم العددية

وَأَوَّلُهَا الْأَرْتَمَاطِيَّةُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ التَّأْلِيفُ إِمَّا عَلَى التَّوَالِي أَوْ بِالتَّضْعِيفِ مِثْلَ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ مُتَقَاضِلَةٌ بَعْدَ وَاحِدٍ فَإِنَّ جَمْعَ الطَّرَفَيْنِ مِنْهَا مُسَاوٍ لْجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدُ وَاحِدٌ وَمِثْلُ ضَعْفِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ عِدَّةُ تِلْكَ الْأَعْدَادِ فَرْدًا مِثْلَ الْأَفْرَادِ عَلَى تَوَالِيهَا وَالْأَزْوَاجِ عَلَى تَوَالِيهَا وَمِثْلَ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ أَوَّلُهَا نِصْفَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا نِصْفَ ثَالِثِهَا الْخ أَوْ يَكُونُ أَوَّلُهَا ثُلْثَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا ثُلْثَ ثَالِثِهَا الْخ فَإِنَّ ضَرْبَ الطَّرَفَيْنِ أَحَدَهُمَا فِي الْآخِرِ كَضَرْبِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدُ وَاحِدٌ أَحَدَهُمَا فِي الْآخِرِ وَمِثْلَ مُرَبَّعِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ الْعِدَّةُ فَرْدًا وَذَلِكَ مِثْلَ أَعْدَادِ زَوْجِ الزَّوْجِ الْمُتَوَالِيَةِ مِنْ اثْنَيْنِ فَأَرْبَعَةٍ فَثَانِيَةِ فَسِتَّةٍ عَشْرٍ وَمِثْلَ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْخَوَاصِ الْعَدَدِيَّةِ فِي وَضْعِ الْمُثَلَّثَاتِ الْعَدَدِيَّةِ وَالْمُرَبَّعَاتِ وَالْمُخَمَّسَاتِ وَالْمُسَدَّسَاتِ إِذَا وَضِعَتْ مُتَوَالِيَةً فِي سُطُورِهَا بِأَنْ يُجْمَعَ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْعَدَدِ الْآخِرِ فَتَكُونُ مُثَلَّثَةٌ وَتَتَوَالَى الْمُثَلَّثَاتُ هَكَذَا فِي سَطْرِ تَحْتَ الْأَضْلَاعِ ثُمَّ تَرِيدُ عَلَى كُلِّ مُثَلَّثٍ ثَلَاثَ الضِّلَعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُرَبَّعَةً وَتَرِيدُ عَلَى كُلِّ مُرَبَّعٍ مُثَلَّثَ الضِّلَعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُخَمَّسَةً وَهَلُمَّ جَرًّا وَتَتَوَالَى الْأَشْكَالُ عَلَى تَوَالِي الْأَضْلَاعِ وَيَحْدُثُ جَدْوَلٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ فِيهِ عَرْضُ الْأَعْدَادِ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُثَلَّثَاتُ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُرَبَّعَاتُ ثُمَّ الْمُخَمَّسَاتُ الْخ وَفِي طُولِهِ كُلُّ عَدَدٍ وَأَشْكَالُهُ بِإِلْغَا مَا بَاقٍ وَتَحْدُثُ فِي جَمْعِهَا وَقِسْمَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ طُولًا وَعَرْضًا خَوَاصٌ غَرِيبَةٌ اسْتَشْقَرْتُ مِنْهَا وَتَقَرَّرَتْ فِي دَوَائِبِهِمْ مَسَائِلُهَا كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ لِلزَّوْجِ وَالْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَالْفَرْدِ وَزَوْجِ الْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَزَوْجِ الْفَرْدِ فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهَا خَوَاصَّ مُخْتَصَّةً بِهِ تَضَمَّنَهَا هَذَا الْفَنُّ وَلَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا الْفَنُّ أَوَّلُ أَجْزَاءِ التَّعَالِيمِ وَأَثْبَتُهَا وَيَدْخُلُ فِي بَرَاهِينِ الْحِسَابِ وَالْحُكْمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ تَأْلِيفٌ وَأَكْثَرُهُمْ يُدْرِجُونَهُ فِي التَّعَالِيمِ وَلَا يُفَرِّدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ فَعَلَّ ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ الشِّقَاءِ وَالنَّجَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَهْجُورٌ إِذْ هُوَ غَيْرُ مُتَدَاوِلٍ وَمَنْفَعَةٌ فِي الْبَرَاهِينِ لَا فِي الْحِسَابِ فَهَجَرُوهُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَصُوا رُبْدَتَهُ فِي الْبَرَاهِينِ الْحِسَابِيَّةِ



كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْبَنَاءِ فِي كِتَابِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ . ( ومن فروع  
 علم العدد صناعة الحساب ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي حِسَابِ الْأَعْدَادِ بِالضَّمِّ وَالتَّفْرِيقِ  
 فَالضَّمُّ يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ بِالْأَفْرَادِ وَهُوَ الْجَمْعُ وَبِالتَّضْعِيفِ تُضَاعَفُ عَدَدًا بِأَحَادٍ عَدَدٌ  
 آخَرُ وَهَذَا هُوَ الضَّرْبُ وَالتَّفْرِيقُ أَيْضًا يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ إِمَامًا بِالْأَفْرَادِ مِثْلَ إِزَالَةِ عَدَدٍ  
 مِنْهُ عَدَدٌ وَمَعْرِقَةٍ الْبَاقِي وَهُوَ الطَّرْحُ أَوْ تَفْصِيلِ عَدَدٍ بِأَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَكُونُ عِدَّتُهَا  
 مُحْصَلَةٌ وَهُوَ الْقِسْمَةُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ فِي الصَّحِيحِ مِنَ الْعَدَدِ أَوْ الْكَسْرِ  
 وَمَعْنَى الْكَسْرِ نِسْبَةُ عَدَدٍ إِلَى عَدَدٍ وَتِلْكَ النِّسْبَةُ تُسَمَّى كَسْرًا وَكَذَلِكَ يَكُونُ بِالضَّمِّ  
 وَالتَّفْرِيقِ فِي الْجُذُورِ وَمَعْنَاهَا الْعَدَدُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مِثْلِهِ فَيَكُونُ مِنْهُ الْعَدَدُ الْمُرَبَّعُ  
 فَإِنَّ تِلْكَ الْجُذُورَ أَيْضًا يَدْخُلُهَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ حَادِثَةٌ أَحْتِجَ إِلَيْهَا  
 لِلْحِسَابِ فِي الْمَعَامَلَاتِ وَأَلْفَ النَّاسِ فِيهَا كَثِيرًا وَتَدَاوُلُوهَا فِي الْأُمُصَارِ بِالتَّعْلِيمِ لِلْبُلْدَانِ  
 وَمِنْ أَحْسَنِ التَّعْلِيمِ عِنْدَهُمْ الْإِبْتِدَاءُ بِهَا لِأَنَّهَا مَعَارِفٌ مُثَبِّحَةٌ وَبَرَاهِينٌ مُنْتَظَمَةٌ فَيَنْشَأُ  
 عَنْهَا فِي الْغَالِبِ عَقْلٌ مُضِيٌّ دَرَبٌ عَلَى الصَّوَابِ وَقَدْ يُقَالُ مَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ  
 أَوَّلَ أَمْرِهِ إِنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الصِّدْقُ لِمَا فِي الْحِسَابِ مِنْ صِحَّةِ الْمَبَانِي وَمُنَاقَشَةِ النَّفْسِ  
 فَيَصِيرُ ذَلِكَ خُلُقًا وَيَتَعَوَّدُ الصِّدْقَ وَيُلَازِمُهُ مَذْهَبًا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ الْمَبْسُوطَةِ فِيهَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْعَرَبِ كِتَابُ الْخَصَارِ الصَّغِيرِ وَلِابْنِ الْبَنَاءِ الْمَرَاكِشِيُّ فِيهِ تَلْخِصٌ ضَاطِعٌ  
 لِقَوَائِنِ أَعْمَالِهِ مُفِيدٌ ثُمَّ شَرَحَهُ بِكِتَابٍ سَمَّاهُ رَفْعَ الْحِجَابِ وَهُوَ مُسْتَعْلَقٌ عَلَى الْمُبْتَدِئِ  
 بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْوُثِيقَةِ الْمَبَانِي وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ أَقْدَرُ كِتَابِنَا الشَّيْخَةِ تُعْظِمُهُ  
 وَهُوَ كِتَابٌ جَدِيدٌ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا جَاءَهُ الْإِسْتِغْلَاقُ مِنْ طَرِيقِ الْبُرْهَانِ بَيَانِ عُلُومِ  
 التَّعَالِيمِ لِأَنَّ مَسَائِلَهَا وَأَعْمَالَهَا وَاضِحَةٌ كُلُّهَا وَإِذَا قُصِدَ شَرْحُهَا فَإِنَّمَا هُوَ إِعْطَاءُ الْأَعْلَالِ  
 فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْعُسْرِ عَلَى أَنَّهُمْ مَا لَا يُوجَدُ فِي أَعْمَالِ الْمَسَائِلِ فَتَأَمَّلْهُ  
 وَاللَّهُ يَهْدِي بِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ . ( ومن فروع الجبر والمقابلة ) . وَهِيَ  
 صِنَاعَةٌ يُسْتَخْرَجُ بِهَا الْعَدَدُ الْمَجْهُولُ مِنْ قَبْلِ الْمَعْلُومِ الْمَقْرُوضِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ  
 تَقْضِي ذَلِكَ فَاصْطَلَحُوا فِيهَا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لِلْمَجْهُولَاتِ مَرَاتِبَ مِنْ طَرِيقِ التَّضْعِيفِ بِالضَّرْبِ  
 أَوَّلَهَا الْعَدَدُ لِأَنَّهُ بِهِ يَتَعَيَّنُ الْمَطْلُوبُ الْمَجْهُولُ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمَجْهُولِ إِلَيْهِ وَثَانِيهَا  
 الشَّيْءُ لِأَنَّ كُلَّ مَجْهُولٍ فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ إِنْبَاهٍ بِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَيْضًا جَنْدٌ لِمَا يَلْزَمُ مِنْ تَضْعِيفِهِ

فِي الرُّتَبَةِ الثَّانِيَةِ وَثَالِثِهَا الْمَالُ وَهُوَ أَمْرٌ مُبْهِمٌ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَى نِسْبَةِ الْأَسْرِ فِي  
 الْمُضْرُوبِينَ ثُمَّ يَقَعُ الْعَمَلُ الْمُفْرُوضُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَتَخْرُجُ إِلَى مُعَادَلَةٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ  
 أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ فَيَقَابِلُونَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَجْبِرُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْكَسْرِ حَتَّى  
 يَصِيرَ صَحِيحًا وَيَحْطُونَ التَّرَاتِبَ إِلَى أَقْلِ الْأُسُوسِ إِنْ أَمَكْنَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الثَّلَاثَةِ  
 الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْجَبْرِ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْعَدَدُ وَالشَّيْءُ وَالْمَالُ فَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ  
 وَاحِدٍ تَعَيَّنَ فَالْمَالُ وَالْجُذُورُ يَزُولُ إِنْبَاهُهُ بِمُعَادَلَةِ الْعَدَدِ وَيَتَعَيَّنُ وَالْمَالُ وَإِنْ عَادَلَ  
 الْجُذُورَ فَيَتَعَيَّنُ بَعْدَتُهَا وَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ أَخْرَجَهُ الْعَمَلُ الْهِنْدَسِيُّ  
 مِنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِ الضَّرْبِ فِي الْإِثْنَيْنِ وَهِيَ مُبْهِمَةٌ فَيُعَيَّنُ ذَلِكَ الضَّرْبُ الْمُفْصَلُ وَلَا  
 يُمْكِنُ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَأَكْثَرَ مَا أَنْتَهَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى سِتِّ  
 مَسَائِلَ لِأَنَّ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ عَدَدٍ وَجُذْرٍ وَمَالٍ مُفْرَدَةٌ أَوْ مُرَكَّبَةٌ تَجِيءُ سِتَّةً وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
 فِي هَذَا الْفَنِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخُوَارَزْمِيُّ وَبَعْدَهُ أَبُو كَامِلٍ سُجَاعُ بْنُ أَسْلَمَ وَجَاءَ النَّاسُ  
 عَلَى آثَرِهِ فِيهِ وَكِتَابُهُ فِي مَسَائِلِهِ السِّتِّ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهِ وَشَرْحُهُ  
 كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَأَجَادُوا وَمِنْ أَحْسَنِ شُرُوحَاتِهِ كِتَابُ الْقُرَشِيِّ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ  
 بَعْضَ أَئِمَّةِ التَّعَالِيمِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنْهَى الْمُعَامَلَاتِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ  
 الْأَجْنَاسِ وَبَلَّغَهَا إِلَى فَوْقِ الْعِشْرِينَ وَاسْتَخْرَجَ لَهَا كُلَّهَا أَعْمَالًا وَاتَّبَعَهُ بِدَراهِينَ هِنْدَسِيَّةٍ  
 وَلِلَّهِ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْمَعَامَلَاتُ ) . وَهُوَ  
 تَضْرِيفُ الْحِسَابِ فِي مُعَامَلَاتِ الْمُدُنِ فِي الْبَيَاعَاتِ وَالْمَسَاحَاتِ وَالزَّكَاةِ وَسَائِرِ مَا  
 يَغْرِضُ فِيهِ الْعَدَدُ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ يُصَرِّفُ فِي صِنَاعَتِهَا ذَلِكَ الْحِسَابُ فِي الْمَجْهُولِ وَالْمَعْلُومِ  
 وَالْكَسْرِ وَالصَّحِيحِ وَالْجُذُورِ وَغَيْرِهَا وَالْقَرَضُ مِنْ تَكْثِيرِ الْمَسَائِلِ الْمُفْرُوضَةِ فِيهَا  
 حُصُولُ الْإِرَانِ وَالْذَّرْبَةِ بِتَكَرُّارِ الْعَمَلِ حَتَّى تَوْسَخَ الْمَلَكَةُ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ  
 وَلِأَهْلِ الصَّنَاعَةِ الْحِسَابِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ تَأْلِيفٌ فِيهَا مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ أَشْهُرِهَا مُعَامَلَاتُ  
 الزَّهْرَاوِيِّ وَابْنِ السَّنَجِ وَأَبِي مُسْلِمِ بْنِ خَلْدُونَ مِنْ تَلْمِيزِ مَسْلَمَةَ الْمَجْرِيطِيِّ وَأَمَثَالِهِمْ  
 ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْفَرَائِضُ ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ حِسَابِيَّةٌ فِي تَصْحِيحِ السِّهَامِ لِذَوِي الْفُرُوضِ  
 فِي الْوَرَاثَاتِ إِذَا تَعَدَّدَتْ وَهَلَكَ بَعْضُ الْوَارِثِينَ وَأَنْكَسَرَتْ سَهَامُهُ عَلَى وَرَثَتِهِ أَوْ  
 زَادَتْ الْفُرُوضُ عِنْدَ أَجْتِمَاعِهَا وَتَرَاحُمِهَا عَلَى الْمَالِ كُلِّهِ أَوْ كَانَ فِي الْقَرِيبَةِ إِقْرَارُ



وإنكار من بعض الورثة فتحتاج في ذلك كله إلى عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مصححاً حتى تكون حظوظ الورثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعاومه ومجهوله وترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو أحكام الوراثة من الفروض والعول والإقرار والإنكار والأوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح الشهران باعتبار الحكم الفقهي وهي من أجل العلوم وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندي أن ظواهر تلك الأحاديث كلها إنما هي في الفرائض العينية كما تقدم لا فرائض الوراثات فإنها أقل من أن تكون في كميتها ثلث العلم وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديماً وحديثاً وأوعبوا ومن أحسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الخوفاً وكتاب ابن السمر والنجدي والسردي وغيرهم لكن الفضل للخوفاً فكتاباه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا أبو عبد الله سليمان الشطبي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب وإمام الحرمين فيها تأليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع بابه في العلوم ورُسوخ قدمه وكذا للخفية والحقابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي من يشاء يمتعه وكرمه لا رب سواه

### الفصل الخامس عشر

#### في العلوم الهندسية

هذا العلم هو النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم وإما المنفصلة كالأعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فرواياه مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا إلى غير نهاية ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل أن الأربعة مقادير المتناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى

كِتَابُ الْأُصُولِ وَكِتَابُ الْأَرْكَانِ وَهُوَ أَبْسَطُ مَا وُضِعَ فِيهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ وَأَوَّلُ مَا تُرْجَمُ  
 مِنْ كِتَابِ الْيُونَانِيِّينَ فِي أَلِفَةِ أَيَّامٍ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَنُسَخُهُ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ  
 الْمُتَرْجِمِينَ فَمِنْهَا إِبْنُ إِسْحَاقَ وَثَلَاثُ بْنُ قِرَّةَ وَابْنُ الْيُوسُفِ وَابْنُ الْخَطَّاجِ وَيَشْتَبِلُ عَلَى  
 خَمْسَ عَشْرَةَ مَقَالَةً أَرْبَعٌ فِي السُّطُوحِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْأَقْدَارِ الْمُنَاسِبَةِ وَآخَرَى فِي  
 نَسَبِ السُّطُوحِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَلَاثٌ فِي الْعَدَدِ وَالْعَاشِرَةُ فِي الْمَنْطِقَاتِ وَالْقَوَى عَلَى  
 الْمَنْطِقَاتِ وَمَعْنَاهُ الْجُذُورُ وَخَمْسٌ فِي الْمَجَسَّمَاتِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ النَّاسُ اخْتِصَارَاتٍ كَثِيرَةً  
 كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ سِينَا فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ أَفْرَدَ لَهُ جُزْءًا مِنْهَا اخْتَصَصَهُ بِهِ وَكَذَلِكَ ابْنُ الصَّلْتِ  
 فِي كِتَابِ الْإِقْتِصَارِ وَغَيْرِهِمْ وَشَرَحَهُ آخَرُونَ شُرُوحًا كَثِيرَةً وَهُوَ مَبْدَأُ الْعُلُومِ الْهَنْدَسِيَّةِ  
 بِإِطْلَاقٍ وَاعْلَمْ أَنَّ الْهَنْدَسَةَ تُفِيدُ صَاحِبَهَا إِضَاءَةً فِي عَقْلِهِ وَاسْتِقَامَةً فِي فِكْرِهِ لِأَنَّ  
 بَرَاهِينَهَا كُلَّهَا بَيِّنَةُ الْإِنْتِظَامِ جَلِيَّةُ التَّرْتِيبِ لَا يَنْكَادُ الْغَلَطُ يَدْخُلُ أَقْسَمَتَهَا لِتَرْتِيبِهَا  
 وَأَنْتِظَامِهَا فَيَبْعُدُ الْفِكْرُ بِمُمَارَسَتِهَا عَنِ الْخَطِإِ وَيَنْشَأُ لِصَاحِبِهَا عَقْلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمُهَيِّجِ  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ أَفْلَاطُونٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُهَنْدِسًا فَلَا يَدْخُلَنَّ مَتَرِكُنَا  
 وَكَانَ شَيْوُخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَقُولُونَ مُمَارَسَةُ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ لِلْفِكْرِ بِمَثَابَةِ الصَّابُونِ لِلثُّوبِ  
 الَّذِي يَغْسِلُ مِنْهُ الْأَقْدَارُ وَيُنْقِيهِ مِنَ الْأَوْضَارِ وَالْأَذْرَانِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ  
 مِنْ تَرْتِيبِهِ وَأَنْتِظَامِهِ . ( وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا الْفَنِّ الْهَنْدَسَةِ الْخُصُوصَةُ بِالشَّكَالِ الْكَرَوِيَّةِ  
 وَالْمَخْرُوطَاتِ ) . أَمَّا الْأَشْكَالُ الْكَرَوِيَّةُ فَفِيهَا كِتَابَانِ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ  
 ثَاوُدُوسِيُوسَ وَمِيلَاوُشَ فِي سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَكِتَابُ ثَاوُدُوسِيُوسَ مُقَدِّمٌ فِي التَّعْلِيمِ عَلَى  
 كِتَابِ مِيلَاوُشَ لِتَوْقُفٍ كَثِيرٍ مِنْ بَرَاهِينِهِ عَلَيْهِ وَلَا بُدَّ مِنْهُمَا لَعَنَ يُرِيدُ الْخَوْضَ فِي عِلْمِ  
 الْهَيْئَةِ لِأَنَّ بَرَاهِينَهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهِ فَالْكَلَامُ فِي الْهَيْئَةِ كُلُّهُ كَلَامٌ فِي الْكُرَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 وَمَا يَعْزُضُ فِيهَا مِنَ الظُّلُوعِ وَالِدَوَائِرِ بِأَسْبَابِ الْحَرَكَاتِ كَمَا نَذَكُرُهُ فَقَدْ يَتَوَقَّفُ عَلَى  
 أَحْكَامِ الْأَشْكَالِ الْكَرَوِيَّةِ سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَأَمَّا الْمَخْرُوطَاتُ فَهِيَ مِنْ فُرُوعِ الْهَنْدَسَةِ  
 أَيْضًا وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِيهَا يَقَعُ فِي الْأَجْسَامِ الْمَخْرُوطَةِ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالْقُطُوعِ وَيُبْرهنُ  
 عَلَى مَا يَعْزُضُ لِذَلِكَ مِنَ الْعَوَارِضِ بِبَرَاهِينِ هَنْدَسِيَّةٍ مُتَوَقِّفَةٍ عَلَى التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفَائِدَتُهَا  
 تَظْهَرُ فِي الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي مَوَادُّهَا الْأَجْسَامُ مِثْلَ التِّجَارَةِ وَالْبِنَاءِ وَكَيْفَ تُصَنَّعُ  
 التَّنَائِيلُ الْغَرِيبَةُ وَالْهَيَاكِلُ النَّادِرَةُ وَكَيْفَ يُتَحَيَّلُ عَلَى جَرِّ الْأَثْقَالِ وَنَقْلِ الْهَيَاكِلِ



بِالْهِنْدَامِ وَالْبِيخَالِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فِي هَذَا الزَّيْنِ كِتَابًا فِي الْحِيلِ الْعِلْمِيَّةِ يَتَضَمَّنُ مِنَ الصَّنَاعَاتِ الْغَرِيبَةِ وَالْحِيلِ الْمُسْتَطَرَفَةِ كُلَّ عَجِيبَةٍ وَرُبَّمَا اسْتَعْلَقَ عَلَى الْفُهْمِ إِصْغُوبَةً بِوَاهِينِهِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِأَيْدِي النَّاسِ يَنْسُبُونَهُ إِلَى بَنِي شَاكِرٍ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ( وَمِنْ فُرُوعِ الْهِنْدَسَةِ الْمَسَاحَةِ ) وَهُوَ فَنُّ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَسْحِ الْأَرْضِ وَمَعْنَاهُ اسْتِخْرَاجُ مِقْدَارِ الْأَرْضِ الْمَعْلُومَةِ بِنِسْبَةِ شِبْرٍ أَوْ ذِرَاعٍ أَوْ غَيْرِهِمَا وَنِسْبَةِ أَرْضٍ مِنْ أَرْضٍ إِذَا قُوِيَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَوْظِيفِ الْخَرَاجِ عَلَى التَّزَارِعِ وَالْحُدُنِ وَبَسَاتِينِ الْغِرَاسَةِ وَفِي قِسْمَةِ الْحَوَاطِظِ وَالْأَرَاذِي بَيْنَ الشَّرَكَاءِ أَوْ الْوَرَثَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَلِلنَّاسِ فِيهَا مَوْضُوعَاتٌ حَسَنَةٌ وَكَثِيرَةٌ وَاللَّهُ الْمُرَفِّقُ لِلصَّوَابِ بِحَمْدِهِ وَكَرَمِهِ ( الْمُنَاطَرَةُ مِنْ فُرُوعِ الْهِنْدَسَةِ ) وَهُوَ عِلْمٌ يَتَّبِعُنَّ بِهِ أَسْبَابُ الْغَلَطِ فِي الْإِدْرَاكِ الْبَصَرِيِّ بِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْبَصَرِ يَكُونُ بِمَخْرُوطٍ شُعَاعِي رَأْسُهُ يَقْطَعُهُ الْبَاصِرُ وَقَاعِدَتُهُ الْمَرْتَبِيُّ ثُمَّ يَقَعُ الْغَلَطُ كَثِيرًا فِي رُؤْيَةِ الْقَرِيبِ كَبِيرًا وَالْبَعِيدِ صَغِيرًا وَكَذَا رُؤْيَةِ الْأَشْبَاحِ الصُّوَرَةِ تَحْتَ الْمَاءِ وَوَرَاءَ الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَبِيرَةً وَرُؤْيَةِ النَّقْطَةِ النَّافِلَةِ مِنَ الْمَطَرِ خَطًّا مُسْتَقِيمًا وَالسَّلَفَةِ دَائِرَةً وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَتَّبِعُنَّ فِي هَذَا الْعِلْمِ أَسْبَابُ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّاتُهُ بِالْبَرَاهِينِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَيَتَّبِعُنَّ بِهِ أَيْضًا اخْتِلَافُ الْمَنْظَرِ فِي الْقَمَرِ بِاخْتِلَافِ الْعُرُوضِ الَّذِي يَتَّبِعِي عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ رُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ وَحُصُولِ الْكُسُوفَاتِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا وَقَدْ أَلْفَ فِي هَذَا الْفَنِّ كَثِيرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَشْهُرُ مَنْ أَلْفَ فِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ابْنُ الْهَيْثَمِ وَلَقَدْ عَرَفَ أَيْضًا تَأْلِيفُ وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ وَتَغَارِيعِهَا

## الفصل السادس عشر

### في علم الهيئة

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكَِةِ وَالْمُتَحَرِّجَةِ وَيُسْتَدَلُّ مِنْ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى أَشْكَالِ وَأَوْضَاعِ الْأَفْلَاقِ لَرِمَتْ عَنْهَا لِهَذِهِ الْحَرَكَاتِ الْمَحْسُوسَةِ بِطَرِيقِ هِنْدَسِيَّةٍ كَمَا يُبْرَهَنُ عَلَى أَنَّ مَرَكْزَ الْأَرْضِ مُبَايِنٌ لِمَرَكْزِ فَلَكِ الشَّمْسِ بِوُجُودِ حَرَكَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وَكَمَا يُسْتَدَلُّ بِالرُّجُوعِ وَالْإِسْتِقَامَةِ لِلْكَوَاكِبِ عَلَى وُجُودِ أَفْلَاقٍ صَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ لَهَا مُتَحَرِّكَِةٌ دَاخِلَةٌ فَلَكِهَا الْأَعْظَمُ وَكَمَا يُبْرَهَنُ عَلَى وُجُودِ الْفَلَكَ الثَّامِنِ بِحَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَكَمَا يُبْرَهَنُ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَفْلَاقِ لِلْكَوَاكِبِ

الْوَاحِدِ بِتَعْدَادِ الْمَيُولِ لَهُ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِ الْمَوْجُودِ مِنْ أَلْحَرَكَاتٍ وَكَيْفِيَّاتِهَا  
 وَأَجْنَاسِهَا إِنَّمَا هُوَ بِالرَّصْدِ فَإِنَّا إِنَّمَا عَلِمْنَا حَرَكَةَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ بِهِ وَكَذَا  
 تَرْكِيبُ الْأَفْلَاقِ فِي طَبَقَاتِهَا وَكَذَا الرُّجُوعُ وَالْإِسْتِقَامَةُ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَكَانَ الْيُونَانِيُّونَ  
 يَعْتُونُ بِالرَّصْدِ كَثِيرًا وَيَتَّخِذُونَ لَهُ آلَاتٍ الَّتِي تَوْضَعُ لِلرَّصْدِ بِهَا حَرَكَةُ الْكَوَكَبِ  
 الْمُعَيَّنِ وَكَانَتْ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَاتَ الْخَلْقِ وَصِنَاعَةُ عَمَلِهَا وَالْبَرَاهِينُ عَلَيْهِ فِي مُطَابَقَةِ  
 حَرَكَتِهَا بِحَرَكَةِ الْفَلَكَ مَنْثُولٍ بِأَيْدِي النَّاسِ وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ تَقَعْ بِهِ عِنَايَةٌ إِلَّا  
 فِي الْقَلِيلِ وَكَانَ فِي أَيَّامِ الْمُتَأَمُّونِ شَيْءٌ مِنْهُ وَصَنَعَ آلَاةَ الْمَعْرُوفَةِ لِلرَّصْدِ الْمُسَمَّاةَ  
 ذَاتَ الْخَلْقِ وَشَرَعَ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يُتِمَّ وَلَكِنَّا مَاتَ ذَهَبَ رَسْمُهُ وَأُغْفِلَ وَاعْتَمَدَ مَنْ بَعْدَهُ  
 عَلَى الْأَرَصَادِ الْقَدِيمَةِ وَلَيْسَتْ بِمُغْنِيَةٍ لِاخْتِلَافِ أَلْحَرَكَاتِ بِاتِّصَالِ الْأَحْقَابِ وَأَنَّ  
 مُطَابَقَةَ حَرَكَةِ آلَاةِ الرَّصْدِ بِحَرَكَةِ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْرِيبِ وَهَذِهِ  
 أَهْلِيَّةُ صِنَاعَةٍ شَرِيفَةٍ وَلَيْسَتْ عَلَى مَا يُفْهَمُ فِي الشُّهُورِ أَنَّهَا تُعْطِي صُورَةَ السَّمَاوَاتِ وَتُرْتِيبُ  
 الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ بِالْحَقِيقَةِ بَلْ إِنَّمَا تُعْطِي أَنَّ هَذِهِ الشُّوَرُ وَالْأَهْلِيَّاتِ الْإِفْلَاقِ لَرِمَتْ  
 عَنْ هَذِهِ أَلْحَرَكَاتِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ لَازِمًا لِمُخْتَلَفِينَ  
 وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ أَلْحَرَكَاتِ لَازِمَةٌ فَهُوَ اسْتِدْلَالٌ بِالْإِزْمِ عَلَى وُجُودِ الْمَلَكُومِ وَلَا يُعْطِي  
 الْحَقِيقَةَ بِوُجُودِهِ عَلَى أَنَّهُ عِلْمٌ جَلِيلٌ وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ التَّعَالِيمِ وَمِنْ أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ فِيهِ  
 كِتَابُ الْمَجَسْطِي مَنْسُوبٌ لِبطليموسَ وَلَيْسَ مِنْ مُلُوكِ الْيُونَانِ الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ بِطَلِيمُوسَ  
 عَلَى مَا حَقَّقَهُ شَرَّاحُ الْكِتَابِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ الْأَنْتَمَةُ مِنْ حُكْمَاءِ الْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَهُ  
 ابْنُ سِينَا وَأَدْرَجَهُ فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ وَلَخَصَّهُ ابْنُ رُشْدٍ أَيْضًا مِنْ حُكْمَاءِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَابْنُ السَّنَحِ وَابْنُ الصَّلَاتِ فِي كِتَابِ الْإِقْتِصَارِ وَابْنُ الْفَرُغَانِيِّ هَيْئَةً مُلَخَّصَةً قَرَّبَهَا  
 وَحَذَفَ بَرَاهِينَهَا الْهَنْدَسِيَّةَ وَأَنَّهُ عِلْمُ الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمْ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
 الْعَالَمِينَ . ( وَمِنْ فُرُوعِهِ عِلْمُ الْإِزْيَاجِ ) . وَهِيَ صِنَاعَةُ حِسَابِيَّةٌ عَلَى قَوَانِينِ عَدَدِيَّةٍ فِيمَا  
 يَنْحَصُّ كُلُّ كَوْكَبٍ مِنْ طَرِيقِ حَرَكَتِهِ وَمَا أَدَّى إِلَيْهِ بُرْهَانُ أَهْلِيَّةِ فِي وَضْعِهِ مِنْ سُرْعَةٍ  
 وَبُطْءٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَرُجُوعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُعْرَفُ بِهِ وَوَاضِعُ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاقِهَا لِأَيِّ  
 وَقْتٍ فُرِضَ مِنْ قَبْلِ حِسَابِ حَرَكَاتِهَا عَلَى تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ كُتُبِ  
 أَهْلِيَّةِ وَلِهَذِهِ الصِّنَاعَةُ قَوَانِينُ كَالْمُقَدَّمَاتِ وَالْأُصُولِ لَهَا فِي مَعْرِفَةِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ



والتواريخ الماضية وأصول متفرقة من معرفة الأوج والخصيص والبول وأصناف  
الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهلاً على المتعلمين.  
وتسمى الأزياج وتسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة  
تغديلاً وتقريباً للناس فيه تأليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني<sup>(١)</sup>  
وابن الكفاد وقد عول المتأخرون لهذا العبد بالمغرب على زيج منسوب لابن  
إسحاق من منجمي تونس في أول المائة السابعة ويؤمنون أن ابن إسحاق عول فيه على  
الرصد وأن يهودياً كان بصيلة ماهرة في الهيئة والتأليف وكان قد عني بالرصد وكان  
يبحث إليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب لذلك  
عنوا به لوثاقه مناه على ما يؤمنون ولخصه ابن البناء في آخر سناه المنهاج فويع به  
الناس لما سهل من الأعمال فيه وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتبني  
عليها الأحكام الجسمية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان  
من الملك والدول والمواليد البشرية كما نبهته بعد وتوضح فيه أدلتهم إن شاء الله تعالى  
وألفه الموفق لما يحبه ويرضاه لا معبود سواه

## الفصل السابع عشر

### في علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والصحيح  
المفيدة للتضديقات وذلك أن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس  
الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره وإنما يتميز  
الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في  
الخيال من الأشخاص المثقفة صورة منطقية على جميع تلك الأشخاص المحسوسة وهي  
الكلي ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص المثقفة وأشخاص أخرى توافقها في  
بعض فيحصل له صورة تنطبق أيضاً عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في  
التجريد إلى الكل الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافق فيكون لأجل ذلك بسيطاً  
وهذا مثل ما يجرد من أشخاص الإنسان صورة النوع المنطقية عليها ثم ينظر بينه

(١) قوله البتاني بفتح اللوحدة وتشديد المثناة كما ضبطه ابن خلكان في ترجمته قيل آخر المحدثين

وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَيُجَرِّدُ صُورَةَ الْجِنْسِ الْمُنْطَبِقَةَ عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْتَهِيَا وَبَيْنَ النَّبَاتِ إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى الْجِنْسِ الْعَالِيِّ وَهُوَ الْجَوْهَرُ فَلَا يَجِدُ كُلًّا يُوَافِقُهُ فِي شَيْءٍ فَيَقِفُ الْعَقْلُ هُنَاكَ  
عَنِ التَّجْرِيدِ ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْفِكْرَ الَّذِي بِهِ يُدْرِكُ الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ  
وَسَكَانَ الْعِلْمِ إِمَّا تَصَوُّرَ اللَّمَاهِيَّاتِ وَيُعْنَى بِهِ إِدْرَاكُ سَادِجٍ مِنْ غَيْرِ حُكْمٍ مَعَهُ وَإِمَّا تَصْدِيقًا  
أَيُّ حُكْمًا يَثْبُوتُ أَمْرٌ لِأَمْرٍ فَصَارَ سَعْيُ الْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبَاتِ إِمَّا بِأَنْ تُجْمَعَ  
تِلْكَ الْكُلِّيَّاتُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ التَّأْلِيفِ فَتَحْصُلُ صُورَةٌ فِي الذِّهْنِ كُلِّيَّةٌ مُنْطَبِقَةٌ  
عَلَى أَفْرَادٍ فِي الْخَارِجِ فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ الذِّهْنِيَّةُ مُفِيدَةً لِمَعْرِفَةِ مَا هِيَ تِلْكَ الْأَشْخَاصُ  
وَإِمَّا بِأَنْ يُعْكَمَ بِأَمْرٍ عَلَى أَمْرٍ فَيُثَبَّتَ لَهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا وَغَايَتُهُ فِي الْحَقِيقَةِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ فَايِدَةً ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى  
الْعِلْمِ وَهَذَا السَّعْيُ مِنَ الْفِكْرِ قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ فَاسِدٍ  
فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَمْيِزَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْعَى بِهِ الْفِكْرُ فِي تَحْصِيلِ الْمَطَالِبِ الْعِلْمِيَّةِ لِيَتَمَيَّزَ  
الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ فَكَانَ ذَلِكَ قَانُونُ الْمَنْطِقِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمُوا  
بِهِ جُمْلًا جُمْلًا وَمُقَرَّرًا وَلَمْ تُهْدَبْ طَرُقُهُ وَلَمْ تُجْمَعْ مَسَائِلُهُ حَتَّى ظَهَرَ فِي يُونَانَ أَرِسْطُو  
فَهُدَّبَ مَبَاحِثُهُ وَرَتَّبَ مَسَائِلُهُ وَقُصُولُهُ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَقَاتَحَتَهَا وَلِذَلِكَ  
يُسَمَّى بِالْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَكِتَابُهُ الْمَخْصُوصُ بِالْمَنْطِقِ يُسَمَّى الْقَصْدُ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِيَةِ  
كُتُبٍ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَّتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطَالِبَ التَّصْدِيقِيَّةَ  
عَلَى أَنْجَاءٍ . فَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينُ بِطَبِيعِهِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ  
الظَّنُّ وَهُوَ عَلَى مَرَاتِبَ فَيَنْظَرُ فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ الْمَطْلُوبُ الَّذِي يُفِيدُهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ  
تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ بِذَلِكَ الْإِعْتِبَارِ وَمِنْ أَيِّ جِنْسٍ يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الظَّنِّ وَقَدْ  
يَنْظَرُ فِي الْقِيَاسِ لَا بِإِعْتِبَارِ مَطْلُوبٍ مَخْصُوصٍ بَلْ مِنْ جِهَةِ إِنْتَاجِهِ خَاصَّةً وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ  
الْأَوَّلِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ وَنَعْنِي بِهِ الْمَادَّةُ الْمُنْتِجَةُ لِلْمَطْلُوبِ الْمَخْصُوصِ مِنْ يَقِينٍ  
أَوْ ظَنٍّْ وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ الثَّانِي إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ وَإِنْتَاجُ الْقِيَاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَكَانَتْ  
لِذَلِكَ كُتُبُ الْمَنْطِقِ ثَمَانِيَّةً . الْأَوَّلُ فِي الْأَجْنَاسِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا تَجْرِيدُ  
الْمَحْسُوسَاتِ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا جِنْسٌ وَيُسَمَّى كِتَابَ الْمُثُولَاتِ . وَالثَّانِي فِي الْقَضَايَا  
التَّصْدِيقِيَّةِ وَأَصْنَافِهَا وَيُسَمَّى كِتَابَ الْعِبَارَةِ . وَالثَّلَاثُ فِي الْقِيَاسِ وَصُورَةِ إِنْتَاجِهِ عَلَى



الإنطلاق ويُسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة . ثم الرابع كتاب  
البرهان وهو النظر في القياس المتبع لليتين وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينية  
ويختص بشروط أخرى لإفادة اليتين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية وأولية وغير  
ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود إذ المطالب فيها إنما هو  
اليتين لوجوب المطابقة بين الحد والحدود لا تحصيل غيرها فلذلك اختصت  
عند المتقدمين بهذا الكتاب . وال خامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع  
المشايخ وإفحام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص أيضاً  
من جهة إفادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث إفادته لهذا الغرض وهي  
مذكورة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس  
قياسه وفيه عكوس القضايا . والسادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يُفيد  
خلاف الحق ويُعاط به المناظر صاحب وهو فاسد وهذا إنما كتب ليُعرف به  
القياس المغالطي فيجذر منه . والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب  
الجمهور وحثهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات . والثامن  
كتاب الشعر وهو القياس الذي يُفيد التشييل والتشبيه خاصة للإقبال على الشيء أو  
النقطة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا التحليلية هذه هي كتب المنطق  
الثمانية عند المتقدمين ثم إن حكماء اليونانيين بعد أن تهذب الصناعة ورتبت  
رأوا أنه لا بد من الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها  
مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسماً وترجمت كلها في اللغة الإسلامية  
وكتبها وتداولها فلاسفة الإسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا  
ثم ابن رشد من فلاسفة الأندلس وابن سينا كتاب الشفاء أسوعب فيه علوم الفلسفة  
السبعة كلها ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق وألحقوا بالنظر في الكليات  
الخمس ثمرته وهي الكلام في الحدود والرُسوم نقلوها من كتاب البرهان وحدثوا  
كتاب المقولات لأن نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات وألحقوا في كتاب العبارة  
الكلام في العكس لأنه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلّموا  
في القياس من حيث إنتاجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحدثوا النظر فيه

بَحَسِبَ الْمَادَّةُ وَهِيَ الْكِتَابُ الْخَمْسَةُ الْبُرْهَانُ وَالْجَدَلُ وَالْحِطَابَةُ وَالشَّرْحُ وَالْمُسْطَه  
وَدَبْمَا يُلِمُ بَعْضُهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا إِيَّامًا وَأَغْلَوْهَا كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ هِيَ الْمُهْمُ الْمُعْتَمَدُ  
فِي الْفَنِّ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِيهَا وَضَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَجِرًا وَنَظَرُوا فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ  
فَنُّ بِرَأْسِهِ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آلَةُ لِلْعُلُومِ فَطَالَ الْكَلَامُ فِيهِ وَاتَّسَعَ وَأَوَّلُ مَنْ قَلَّ  
ذَلِكَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بْنِ الْخَلِيبِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَفْضَلُ الدِّينِ الْخَوَنَجِي وَعَلَى كُتُبِهِ  
مُعْتَمَدُ الْمَشَارِقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابُ كَشْفِ الْأَسْرَارِ وَهُوَ طَوِيلٌ  
وَأَخْتَصَرَ فِيهَا مُخْتَصَرَ الْمَوْجِزِ وَهُوَ حَسَنٌ فِي التَّعْلِيمِ ثُمَّ مُخْتَصَرَ الْجَمَلِ فِي قَدَرِ أَرْبَعَةِ  
أَوْرَاقٍ أَخَذَ بِمَجَامِعِ الْفَنِّ وَأَصُولِهِ فَتَدَاوَلَهُ الْمُتَعَلِّمُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ وَهَجَرَتْ  
كُتُبُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَطَرَفُهُمْ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ وَهِيَ مُسْتَكْتَنَةٌ مِنْ ثَرَّةِ الْمُنْطِقِ وَفَائِدَتِهِ  
كَمَا قُلْنَا وَلِلَّهِ الْهَادِي لِلصَّوَابِ .

## الفصل الثامن عشر

### في الطبيعيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَبْحَثُ عَنِ الْجِسْمِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ فَيَنْظُرُ فِي  
الْأَجْسَامِ السَّائِيَةِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَإِنْسَانٍ وَنَبَاتٍ وَمَعْدِنٍ وَمَا  
يَتَكَوَّنُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعُيُونِ وَالزَّلَازِلِ وَفِي الْبُحْرِ مِنَ السَّحَابِ وَالْبُخَارِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ  
وَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِي مَبْدَأِ الْحَرَكَةِ لِلْأَجْسَامِ وَهُوَ عَلَى تَنَوُّعِهَا فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ  
وَالنَّبَاتِ وَكُتُبُ أَرِسْطُو فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ تُرِجَّتْ مَعَ مَا تُرْجَمُ مِنْ عُلُومِ  
الْفَلَسَفَةِ أَيَّامَ التَّائِمِينَ وَأَلَّفَ النَّاسُ عَلَى حَذْوِهَا وَأَوْعَبُ مَنْ أَلَّفَ فِي ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي  
كِتَابِ الشِّئَاءِ جَمَعَ فِيهِ الْعُلُومَ السَّبْعَةَ لِلْإِلَاسِفَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ثُمَّ خَلَصَهُ فِي كِتَابِ النَّجَا وَفِي  
كِتَابِ الْإِشَارَاتِ وَكَانَهُ يُخَالِفُ أَرِسْطُو فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلَ وَيَقُولُ بِرَأْيِهِ فِيهَا  
وَأَمَّا ابْنُ رُشْدٍ فَلَخَّصَ كُتُبَ أَرِسْطُو وَشَرَحَهَا مُشْعَالَهُ غَيْرَ مُخَالِفٍ وَأَلَّفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ  
كَثِيرًا لَكِنْ هَذِهِ هِيَ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْمُعْتَبَرَةُ فِي الصَّنَاعَةِ وَلِأَهْلِ الْمَشْرِقِ عِنَايَةٌ  
بِكِتَابِ الْإِشَارَاتِ لِابْنِ سِينَا وَلِلْإِمَامِ ابْنِ الْخَلِيبِ عَلَيْهِ شَرْحٌ حَسَنٌ وَكَذَا الْآمِدِي  
وَشَرْحُهُ أَيْضًا نَصِيدُ الدِّينِ الطُّوسِي الْمَعْرُوفُ بِخَوَاجِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَبَحَثَ مَعَ  
الْإِمَامِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِهِ فَأَوْفَى عَلَى أَنْظَارِهِ وَبُحُورِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ تَلِيمِ



وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

## الفصل التاسع عشر

### في عالم الطب

وَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ صِنَاعَةُ الطِّبِّ وَهِيَ صِنَاعَةٌ تَنْظُرُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَمْرُضُ وَيَصِحُّ فَيُحَاوِلُ صَاحِبُهَا حِفْظَ الصِّحَّةِ وَبَرَاءَ الْمَرَضِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّرَ الْمَرَضُ الَّذِي يَخْصُ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَأَسْبَابَ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا وَمَا لِكُلِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْرِجَةِ الْأَدْوِيَةِ وَقُوَاهَا وَعَلَى الْمَرَضِ بِالْعَلَامَاتِ الْمُؤَدِّةِ بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ الدَّوَاءَ أَوَّلًا فِي السَّجِيَّةِ وَالْفَضَلَاتِ وَالنَّبْضِ مُخَازِينَ لِذَلِكَ قُوَّةَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ فِي خَالَتِ الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَإِنَّمَا الطَّبِيبُ يُجَازِيهَا وَيُعِينُهَا بَعْضَ الشَّيْءِ بِحَسَبِ مَا تَقْضِيهِ طَبِيعَةُ الْمَادَّةِ وَالْفَضْلِ وَالسِّنِّ وَيُسَمَّى الْعِلْمُ أَجْمَعُ لِهَذَا كُلِّهِ عِلْمَ الطَّبِّ وَرَبَّنَا أَفْرَدُوا بَعْضَ الْأَعْضَاءِ بِالْكَلَامِ وَجَعَلُوهُ عِلْمًا خَاصًّا كَالْعَيْنِ وَعِلَالًا وَأَكْثَالِهَا وَكَذَلِكَ أَخْلَقُوا بِالْعَيْنِ مِنْ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ وَمَعْنَاهَا الْمَنْفَعَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ الْخَيَوَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مَوْضُوعِ عِلْمِ الطَّبِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاجِحِهِ وَتَوَابِعِهِ وَإِمَامُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تُرِجَتْ كُتُبُهُ فِيهَا مِنَ الْأَقْدَمِينَ جَالِينُوسُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُعَاصِرًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ بِصِغْلِيَّةٍ فِي سَبِيلِ تَعْلِيمِ وَمُطَاوَعَةِ آغْرَابٍ وَتَأَلَّفَهُ فِيهَا هِيَ الْأَلْمَهَاتُ الَّتِي اقْتَدَى بِهَا جَمِيعُ الْأَطِبَّاءِ بَعْدَهُ وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَيْمَةً جَادُوا مِنْ وَرَاءِ الْغَايَةِ مِثْلَ الرَّازِي وَالْمَجُوسِي وَابْنِ سِينَا وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَعَبْدِ وَأَشْهَرُهُمْ ابْنُ زُهْرٍ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَتْهَا نَقَصَتْ لَوْ قُوفِ الْعُمَرَانِ وَتَنَاقُصِهِ وَهِيَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا الْحَضَارَةُ وَالْثَرَفُ كَمَا نُبَيِّنُهُ بَعْدُ . وَلِلْبَادِيَةِ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ طِبُّ يَتَّبِعُونَهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ عَلَى تَجَرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ مُتَوَارَثًا عَنْ مَشَايِخِ الْخَلْقِ وَعَجَائِزِهِ وَرَبَّنَا يَصِحُّ مِنْهُ الْبَعْضُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَانُونِ طَبِيعِيٍّ وَلَا عَلَى مُوَافَقَةِ الْمِزَاجِ وَكَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ هَذَا الطَّبِّ كَعَبْدِ وَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءُ مَعْرُوفُونَ كَأَحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَغَيْرِهِ وَالطَّبُّ الْمَشْقُولُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَيْسَ مِنْ أَنْوَاحِهِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ كَانَ عَادِيًّا لِلْعَرَبِ وَقَعَ فِي

ذِكْرُ أَحْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَوْعِ ذِكْرِ أَحْوَالِهِ الَّتِي هِيَ عَادَةٌ وَجِبَلَةٌ لَا مِنْ جِهَةٍ أَنْ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ عَلَى ذَلِكَ التَّحْوِ مِنْ الْعَمَلِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَبْتَغِي لِيُعَلِّمَنَا الشَّرَائِعَ وَلَمْ يُبْتَغِ لِتَعْرِيفِ الطِّبِّ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي شَأْنِ تَلْقِيحِ النَّحْلِ مَا وَقَعَ فَقَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْتَمَلَ شَيْءٌ مِنَ الطِّبِّ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَثْبُوتَةِ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا اسْتُعِيلَ عَلَى جِهَةِ النَّبَرِ وَصَدَّقَ الْعَقْدُ الْإِيمَانِي فَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّفْعِ وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الطِّبِّ الْمِرَاجِي وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ آثَارِ الْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ كَمَا وَقَعَ فِي مُدَاوَاةِ الْمَبْطُونِ بِالْعَسَلِ وَاللَّهُ أَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ لَا رَبَّ سِوَاهُ .

## الفصل العشرون

### في الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَهِيَ النَّظَرُ فِي النَّبَاتِ مِنْ حَيْثُ تَنْمِيَّتُهُ وَنُشُوءُهُ بِالسَّقْيِ وَالْعِلَاجِ وَتَعَهُدُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَكَانَ لِلْمُسْتَقْدِمِينَ بِهَا عِنَايَةٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَ النَّظَرُ فِيهَا عِنْدَهُمْ عَامًّا فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرَسِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ خَوَاصِهِ وَدَوَاحِيَّتِهِ وَمُشَاكَلَتِهَا لِزُوحَانِيَّاتِ الْكَوَائِبِ وَالْهَيَاكِلِ الْمُسْتَعْمَلِ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي بَابِ السِّحْرِ فَظَلَمَتْ عِنَايَتُهُمْ بِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَتُرْجِمَ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ كِتَابُ الْفَلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ مَسْنُوبَةً لِعُلَمَاءِ النَّبَطِ مُشْتَمِلَةً مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ كَبِيرٍ وَلَكِنَّا نَظَرْنَا أَهْلُ الْمِلَّةِ فِيمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ وَكَانَ بَابُ السِّحْرِ مَسْنُودًا وَالنَّظَرُ فِيهِ مَحْظُورًا فَأَقْتَصَرُوا مِنْهُ عَلَى الْكَلَامِ فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرَسِهِ وَعِلَاجِهِ وَمَا يَعْزِضُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَحَذُّوا الْكَلَامَ فِي الْفَنِّ الْآخَرِ مِنْهُ جُمْلَةً وَأَخْتَصَرَ ابْنُ الْعَوَّامِ كِتَابَ الْفَلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ عَلَى هَذَا الْمِنْهَاجِ وَبَقِيَ الْفَنُّ الْآخَرُ مِنْهُ مُغْفَلًا نَقَلَ مِنْهُ مَسْلَمَةٌ فِي كُتُبِهِ السِّحْرِيَّةِ أَمَهَاتٍ مِنْ مَسَائِلِهِ كَمَا نَذَكَّرُهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى السِّحْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْفَلَاحَةِ كَثِيرَةٌ وَلَا يَعْدُونَ فِيهَا الْكَلَامَ فِي الْغِرَاسِ وَالْعِلَاجِ وَحِفْظِ النَّبَاتِ مِنْ حَوَائِجِهِ وَعَوَائِقِهِ وَمَا يَعْزِضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ .



## الفصل الحادي والعشرون

في علم الالهيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي الوجودِ المطلقِ فَأَوَّلًا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ لِلْجِسْمَانِيَّاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ  
مِنَ الْمَاهِيَّاتِ وَالْوَحْدَةِ وَالْكَثَرَةِ وَالْأُجُوبِ وَالْإِمْكَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي  
مَبَادِيءِ التَّوْجُّدَاتِ وَأَنَّهَا رُوحَانِيَّاتٌ ثُمَّ فِي كَيْفِيَّةِ صُدُورِ التَّوْجُّدَاتِ عَنْهَا وَمَرَاتِبِهَا  
ثُمَّ فِي أَحْوَالِ النَّفْسِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَجْسَامِ وَعَوْدِهَا إِلَى الْمَبْدَأِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ شَرِيفٌ  
يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُوقِفُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ الوجودِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ فِي  
زَعْمِهِمْ وَسَيَّئَاتِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ تَالِ الطَّبِيعِيَّاتِ فِي تَرْتِيبِهِمْ وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَهُ عِلْمَ مَا  
وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ وَكُتِبَ الْعِلْمُ الْأَوَّلُ فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَلَخَصَهُ ابْنُ سِينَا  
فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالنَّجَا وَكَذَلِكَ لَخَصَهُ ابْنُ رَشْدٍ مِنْ حُكْمَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَلَمَّا وَضَعَ  
الْمُتَأَخِّرُونَ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ وَدَوَّنُوا فِيهَا وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْقَزَالِيُّ مَا رَدَّ مِنْهَا ثُمَّ خَلَطَ  
الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَوْضُوعِ الْإِلَهِيَّاتِ وَمَسَائِلَهُ  
بِمَسَائِلِهَا فَصَارَتْ كَأَنَّهَا فَنٌّ وَاحِدٌ ثُمَّ غَيَّرُوا تَرْتِيبَ الْحُكْمَاءِ فِي مَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ وَخَلَطُوا فَنًّا وَاحِدًا قَدَّمُوا الْكَلَامَ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ ثُمَّ اتَّبَعُوهُ بِالْجِسْمَانِيَّاتِ  
وَتَوَابِعِهَا ثُمَّ بِالرُّوحَانِيَّاتِ وَتَوَابِعِهَا إِلَى آخِرِ الْعِلْمِ كَمَا فَعَلَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي  
الْمَبَاحِثِ الْمَشْرِقِيَّةِ وَجَمِيعُ مَنْ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَصَارَ عِلْمُ الْكَلَامِ مُخْتَلِطًا  
بِمَسَائِلِ الْحِكْمَةِ وَكُتِبَ مَعْشُورَةٌ بِهَا كَانَ الْغَرَضُ مِنْ مَوْضُوعَيْهَا وَمَسَائِلِهَا وَاحِدٌ  
وَالْتَبَسَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ صَوَابٌ لِأَنَّ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ إِنَّمَا هِيَ عَقَائِدُ مُتَقَالَّةٌ  
مِنَ الشَّرِيعَةِ كَمَا نَقَلَهَا السَّلَفُ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ وَلَا تَعْرِيلٍ عَلَيْهِ بِمَعْنَى  
أَنَّهَا لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ مَعْرُوفٌ عَنِ الشَّرْعِ وَأَنْظَارِهِ وَمَا تَحَدَّثَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ  
مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَجِ فَلَيْسَ بَحْثًا عَنِ الْحَقِّ فِيهَا فَالتَّعْرِيلُ بِالذَّلِيلِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا  
هُوَ شَأْنُ الْفَلَسَفَةِ بَلْ إِنَّمَا هُوَ الْإِتِّسَاعُ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ تَعُضِدُ عَقَائِدَ الْإِيمَانِ وَمَذَاهِبَ السَّلَفِ  
فِيهَا وَتَدْفَعُ شُبُهَةَ أَهْلِ الْبِدْعِ عَنْهَا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ مَدَارَ كُلِّ هُمْ فِيهَا عَقْلِيَّةٌ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ  
تَفَرَّضَ صَحِيحَةٌ بِالْأَدِلَّةِ الثَّقَلِيَّةِ كَمَا تَلَقَّاهَا السَّلَفُ وَاعْتَقَدُوهَا وَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ  
وَذَلِكَ أَنَّ مَدَارِكَ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ أَوْسَعُ لِاتِّسَاعِ نِطَاقِهَا عَنْ مَدَارِكِ الْأَنْظَارِ الْعَقْلِيَّةِ

فهي فوقها ومحيطه بها لاستعدادها من الأنوار الإلهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضيف والمدارك المخط بها فإذا هدانا الشارع إلى مدرك فيتبني أن تقدمه على مدار كتبنا ونرى به دونها ولا ننظر في تصحيح مدارك العقل ولو عارضه بل نعتد ما أمونا به اعتقاداً وعلماً ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفرضه إلى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون إنما دعاهم إلى ذلك كلام أهل الاتحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية فأحاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية ومخاذاة العقائد السلفية بها وأما النظر في مسائل الطبيعية والإلهيات بالتصحيح والبطالان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس أنظار المتكلمين فأعلم ذلك لتمييز به بين الفئتين فإنهما مختاطان عند المتأخرين في الوضع والتأليف والحق متغايرة كل منهما لصاحبه بالتوضيح والمسائل وإنما جاء الإلتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج أهل الكلام كأنه إنشاء لطلب الاعتداد بالدليل وليس كذلك بل إنما هو رد على الملحدين والمطلوب مفروض الصدق معلومه وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالتواحد أيضاً فخلطوا مسائل الفئتين بفتهم وجعلوا الكلام واحداً فيها كلها مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والخلول والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة وأبعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لأنهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل والوجدان بعيد عن المدارك العلية وأبحاثها وتوابعها كما بيناه ونبيته والله يهدي من يشاء إلى طريقه مستقيم والله أعلم بالصواب

## الفصل الثاني والعشرون

### في علوم السحر والطلسمات

وهي علوم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس

إِلَّا مَا وَجَدَ فِي كُتُبِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ فِيمَا قَبْلَ نُبُوَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ النَّبِطِ  
 وَالْكَلدَانِيِّينَ فَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَشْرَعُوا الشَّرَائِعَ وَلَا جَاءُوا بِالْأَحْكَامِ  
 إِنَّمَا كَانَتْ كُتُبُهُمْ مَوَاطِنَ وَتَوْحِيدًا لِلَّهِ وَتَذَكِيرًا بِالْآخِرَةِ وَالْآثَارِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ  
 فِي أَهْلِ بَابِلَ مِنَ السَّرْيَانِيِّينَ وَالْكَلدَانِيِّينَ وَفِي أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبطِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ  
 لَهُمْ فِيهَا التَّالِيفُ وَالْآثَارُ وَلَمْ يُتَرْجَمْ لَنَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِثْلُ الْفِلَاحَةِ  
 النَّبْطِيَّةِ مِنْ أَوْضَاعِ أَهْلِ بَابِلَ فَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهَا هَذَا الْعِلْمَ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ وَوَضَعَتْ بَعْدَ  
 ذَلِكَ الْأَوْضَاعُ مِثْلُ مَصَاحِبِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ وَكِتَابِ طَلْطِمِ الْهِنْدِيِّ فِي صُورِ  
 الدَّرَجِ وَالْكَوَاكِبِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ ظَهَرَ بِالشَّرْقِ جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ كَبِيرُ السَّحَرَةِ فِي هَذِهِ  
 الْمِلَّةِ فَتَصَنَّفَ كُتُبَ الْقَوْمِ وَاسْتَخْرَجَ الصَّنَاعَةَ وَغَاصَ فِي زِبَدَتِهَا وَاسْتَخْرَجَهَا وَوَضَعَ فِيهَا  
 غَيْرَهَا مِنَ التَّالِيفِ وَأَكْثَرَ الْكَلَامِ فِيهَا وَفِي صِنَاعَةِ السِّيِّيَاءِ لِأَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِهَا لِأَنَّ  
 إِحَالَةَ الْأَجْسَامِ النَّوْعِيَّةِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى أُخْرَى إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقُوَّةِ الدَّنَسِيَّةِ لَا بِالصَّنَاعَةِ  
 الْعَنَلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ قِبَلِ السَّحَرِ كَمَا نَذَكُرُهُ فِي مَوْضِعِهِ . ثُمَّ جَاءَ مُسْلِمَةُ بْنُ أَحْمَدَ  
 التَّجْرِيْطِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي التَّعَالِيمِ وَالسَّحَرِيَّاتِ فَلَخَّصَ جَمِيعَ تِلْكَ الْكُتُبِ  
 وَهَدَّبَهَا وَجَمَعَ طُرُقَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةَ الْحَكِيمِ وَلَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ بَعْدَهُ . وَلِنَقْدِمَ هُنَا مُقَدِّمَةً يَتَبَيَّنُ بِهَا حَقِيقَةُ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ  
 وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ بِالْخَوَاصِ وَهِيَ أَصْنَافٌ كُلُّ صِنْفٍ مُخْتَصٍ  
 بِخَاصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بِالنَّوْعِ لَا تُوجَدُ فِي الصِّنْفِ الْآخَرِ وَصَارَتْ تِلْكَ الْخَوَاصُ فِطْرَةً وَجِبَالَةً  
 لِصِنْفِهَا فَنفُوسُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا خَاصِيَّةٌ تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ  
 وَمُخَاطَبَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا مَرَّ وَمَا يَتَّسِعُ فِي ذَلِكَ  
 مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الْأَكْوَانِ وَاسْتِجْلَابِ رُوحَانِيَّةِ الْكَوَاكِبِ لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا وَالتَّأْثِيرِ  
 بِقُوَّةِ نَفْسَانِيَّةٍ أَوْ شَيْطَانِيَّةٍ فَأَمَّا تَأْثِيرُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَدَدُ إِلَهِيٍّ وَخَاصِيَّةُ رَبَّانِيَّةٍ وَنفُوسُ  
 الْكُهَنَةِ لَهَا خَاصِيَّةُ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَغِيبَاتِ بِقُوَّةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ  
 مُخْتَصٍ بِخَاصِيَّةٍ لَا تُوجَدُ فِي الْآخَرِ وَالنفُوسُ السَّاحِرَةُ عَلَى مَرَاتِبَ ثَلَاثٍ يَأْتِي شَرْحُهَا  
 خَاوِلًا الْمُوَثَّرَةَ بِالْهَيْئَةِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا مُعِينٍ وَهَذَا هُوَ الَّذِي لُسِّمَهُ الْفَلَاسِفَةُ  
 السَّحَرُ وَالثَّانِي بِمُعِينٍ مِنْ مِزَاجِ الْأَفْلَاقِ أَوْ الْعَنَاصِرِ أَوْ خَوَاصِ الْأَعْدَادِ وَيُسَمَّوْهُ



الطَّلَسَاتِ وَهُوَ أَضْعَفُ رُتَبَةً مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّالِثُ تَأْثِيرٌ فِي الْقُوَى الْمُتَحَيِّلَةِ يَعْمُدُ صَاحِبُ  
هَذَا التَّأْثِيرِ إِلَى الْقُوَى الْمُتَحَيِّلَةِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِتَنَوُّعٍ مِنَ التَّصَرُّفِ وَيُلْتَمِزُ فِيهَا أَنْوَاعٌ  
مِنَ الْحَيَالَاتِ وَالْمُخَاكَاةِ وَصُوراً مِمَّا يَقْصِدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُنْزِلُهَا إِلَى الْحَسْرِ مِنَ الرَّائِنِ  
بِقُوَّةِ نَفْسِهِ الْمُؤَثَّرَةِ فِيهِ فَيَنْظُرُ الرَّائُونَ كَأَنَّهَا فِي أَخْرَاجٍ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا  
يُحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُرَى الْبَسَاتِينَ وَالْأَنْهَارَ وَالْقُصُورَ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
هَذَا عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ الشَّعْوَذَةَ أَوِ الشَّعْبَةَ . هَذَا تَفْصِيلُ مَرَاتِبِهِ ثُمَّ هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ تَكُونُ  
فِي السَّاحِرِ بِالْقُوَّةِ شَأْنُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا تَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ بِالرِّيَاضَةِ وَرِيَاضَةِ  
السِّحْرِ كُلِّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعَوَالِمِ الْعُلَوِيَّةِ وَالشَّيَاطِينِ  
بِأَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ فَهِيَ لِذَلِكَ وَجْهَةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَسُجُودٌ  
لَهُ وَالْوَجْهَةُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ فَهَذَا كَانَ السِّحْرُ كُفْراً وَالْكَفْرُ مِنْ مَوَادِّهِ وَأَسْبَابِهِ  
كَمَا رَأَيْتَ وَلِهَذَا ائْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قَتْلِ السَّاحِرِ هَلْ لِكَفْرِهِ السَّابِقُ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ لَتَصَرُّفِهِ  
بِالْإِفْسَادِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَكْوَانِ وَالْكَلِّ حَاصِلٌ مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ  
الْمَرْتَبَتَانِ الْأُولَيَانِ مِنَ السِّحْرِ لَهَا حَقِيقَةٌ فِي أَخْرَاجِ وَالْمَرْتَبَةُ الْأُخِيرَةُ الثَّالِثَةُ لَا حَقِيقَةَ  
لَهَا ائْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي السِّحْرِ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا هُوَ تَضْيِيلٌ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَهُ حَقِيقَةَ  
نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ  
الْأُخِيرَةِ فَلَيْسَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَلْ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِ اسْتِبْهَانِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَاعْلَمْ أَنَّ وُجُودَ السِّحْرِ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَجْلِ التَّأْثِيرِ  
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ  
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ  
حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرءِ وَزَوْجِهِ  
وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَسِحِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى  
كَانَ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَقَعُّهُ وَجَعَلَ سِحْرَهُ فِي مِشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَجُفٍ طَلْعَةٍ  
وَدُفْنٍ فِي بَثْرِ ذِرْوَانَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْمَعُودَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ الثَّقَاتِ فِي  
الْعُقَدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لَا يَقْرَأُ عَلَى عُقْدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعُقَدِ الَّتِي سِحْرُ فِيهَا  
إِلَّا أَنْحَلَّتْ وَأَمَّا وُجُودُ السِّحْرِ فِي أَهْلِ بَابِلَ وَهُمْ الْكَلْدَانِيُّونَ مِنَ النَّبْطِ وَالسَّرْيَانِيَّتِ

فكثيرٌ ونطقٌ به القرآن وجاءت به الأخبار وكان للسحر في بابل ومصر زمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافذة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البراري بصيد مصر شواهد دالة على ذلك ورأينا بالبيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجوده بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عيناً أو معنى ثم ينثث من ريقه بعد اجتماعه في فيه يتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعداءه لذلك تفاؤلاً بالعقد والزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفيه في فعله ذلك استشارة للعرمة بالعرم ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النفع متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا أيضاً من المتحليين للسحر وعمله من يُشيد إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع متحرك ويشيد إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فإذا معاوها ساقطة من بطونها إلى الأرض وسبعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشيد إلى إنسان فيتحت قلبه ويقع ميتاً وينقلب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشيد إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فينطر الأرض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الأعداد المتخابية وهي ركرفد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة ومائتون ومعنى المتخابية أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث ورابع وسدس وخمس وأمثالها إذا جمع كان متساوياً للعدد الآخر صاحبه فتسمى لأجل ذلك المتخابية ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد أثر في الألفه بين المتخابين واجتماعهما إذا وضع لهما مثالان أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها أو شرفها ناظرة إلى القمر نظر مودة وقبول ويجعل طالع الثاني سابع الأول ويضع على أحد المثالين أحد العددين والآخر على الآخر ويقصد بالأكثر الذي يواد اثتلافه أعني المحبوب ما أدري الأكثر كنية أو الأكثر أجزاء فيكون لذلك



مِنَ التَّأْلِيفِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مَا لَا يَكَادُ يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ قَالَ صَاحِبُ  
 الْغَايَةِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَا طَابِعُ الْأَسَدِ وَيُسَمَّى  
 أَيْضًا طَابِعُ الْخَمْسِ وَهُوَ أَنْ يُرْسَمَ فِي قَالِبِ هِنْدٍ اصْبَعُ صُورَةِ أُسْدٍ شَانِلًا ذَنْبُهُ عَاضًا عَلَى  
 حَصَاةٍ قَدْ قَسَمَهَا بَيْنَ صَفَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صُورَةُ حَيَّةٍ مُنْسَابَةٍ مِنْ رِجْلَيْهِ إِلَى قُبَالَةِ وَجْهِهِ  
 فَاعْرِةٌ فَاهَا فِيهِ وَعَلَى ظَهْرِهِ صُورَةُ عَقْرَبٍ تَدْبُ وَيَتَحَيَّنُ بِرُسْمِهِ حُلُولُ الشَّمْسِ بِالْوُجْهِ  
 الْأَوَّلِ أَوِ الثَّلَاثِ مِنَ الْأَسَدِ بِشَرْطِ صَلَاحِ الْتَيِّدَيْنِ وَسَلَامَتِهِمَا مِنَ النُّحُوسِ فَإِذَا  
 وَجَدَ ذَلِكَ وَعَثَرَ عَلَيْهِ طَبِيعَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي مِقْدَارِ الْبِثْقَالِ فَمَا دُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَنَحْمَسَ بَعْدُ فِي الرَّعْرَعَانِ مَحْلُولًا بِمَاءِ الْوَرْدِ وَرَفَعَ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّ لِمُنْسِكِهِ مِنَ الْغَزْرِ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ لَهُ مَا لَا  
 يَعْبُرُ وَكَذَلِكَ لِلْسَّلَاطِينِ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْغَزْرِ عَلَى مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 أَيْضًا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ فِي الْغَايَةِ وَغَيْرِهَا وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَلِكَ وَفَقُّ الْمُسَدِّسِ  
 الْمُخْتَصَرِ بِالشَّمْسِ ذَكَرُوا أَنَّهُ يُوضَعُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي شَرْفِهَا وَسَلَامَتِهَا  
 مِنَ النُّحُوسِ وَسَلَامَةِ الْقَمَرِ بِطَالِعِ مَاوَكِيٍّ يُعْتَدُّ فِيهِ نَظَرُ صَاحِبِ الْعَاشِرِ لِصَاحِبِ  
 الطَّالِعِ نَظَرُ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَصْلُحُ فِيهِ مَا يَكُونُ مِنْ مَوَالِيدِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَدِلَّةِ  
 الشَّرِيفَةِ وَيُوقَعُ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ بَعْدَ أَنْ يُنْعَسَ فِي الطَّيِّبِ فَرَعَمُوا أَنَّ لَهُ أَثَرًا فِي  
 صَحَابَةِ الْمُلُوكِ وَخِدْمَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكِتَابُ الْغَايَةِ لِنَسَلَمَةِ بْنِ  
 أَحْمَدَ التَّجَرِيطِيِّ هُوَ مُدَوَّنَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَفِيهِ اسْتِيفَانُهَا وَكَمَالُ مَسَائِلِهَا وَذَكَرَ لَنَا  
 أَنَّ الْإِمَامَ الْفَخْرَ بْنَ الْخَطِيبِ وَضَعَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ وَسَمَّاهُ بِالسِّرِّ الْمَكْتُومِ وَأَنَّهُ  
 بِالْمَشْرِقِ يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُهُ وَنَحْنُ لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ وَالْإِمَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ  
 فِيمَا نَظُنُّ وَلَعَلَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَبِالْمَغْرِبِ صِنْفٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَلِّينَ لَهُنَّ  
 الْأَعْمَالُ السِّحْرِيَّةُ يُعْرِفُونَ بِالْبَعَّاجِينَ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى  
 الْكِسَاءِ أَوْ الْجِلْدِ فَيَتَحَرَّقُونَ وَيُشِيرُونَ إِلَى بَطُونِ النِّعَمِ بِالْبَعْجِ فَتَنْجِيحُ وَيُسَمَّى أَحَدُهُمْ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِاسْمِ الْبَعَّاجِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَتَّحِلُّ مِنَ السِّحْرِ بَعْجُ الْأَنْعَامِ يُؤْهِبُ بِذَلِكَ  
 أَهْلَهَا لِيُعْطَوْهُ مِنْ فَضْلِهَا وَهُمْ مُسْتَدْرُونَ بِذَلِكَ فِي الْغَايَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحُكَّامِ  
 فَكَيْتُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَشَهِدْتُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ بِذَلِكَ وَأَخْبَرُونِي أَنَّ لَهُمْ وَجْهَةً وَرِيَاضَةً



خَاصَّةٌ بِدَعَوَاتِ كُفْرِيَّةٍ وَإِشْرَاكِ الرُّوحَانِيَّاتِ الْجِنِّ وَالْكُوَكِبِ سَطَرَتْ فِيهَا صَحِيفَةٌ  
 عِنْدَهُمْ تُسَمَّى الْخُرِيرِيَّةَ يَتَدَارَسُونَهَا وَأَنَّهُمْ بِهِذِهِ الرِّيَاضَةِ وَالرُّجُوعَةِ يَصْلُونَ إِلَى حُصُولِ هَذِهِ  
 الْأَفْعَالِ لَهُمْ وَأَنَّ التَّأْيِيدَ الَّذِي لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سِوَى الْإِنْسَانِ الْخَرِّ مِنَ السَّمَاعِ  
 وَالْخَيَّوَانِ وَالرَّقِيقِ وَيُعْبَرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِعَقْلِهِمْ إِنَّمَا نَفْعُ فِيمَا تَمَشِي فِيهِ أَلْدَرَاهِمُ أَيُّ مَا  
 يَمْلِكُ وَيُبَاعُ وَيُشْتَرَى مِنْ سَائِرِ الْمَتَلَكَّاتِ هَذَا مَا زَعَمُوهُ وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ فَأَخْبَرَنِي  
 بِهِ وَأَمَّا أَفْعَالُهُمْ فَظَاهِرَةٌ مُوجُودَةٌ وَقَفْنَا عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا وَعَايَنْتُهَا مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ فِي  
 ذَلِكَ هَذَا شَأْنُ السِّحْرِ وَالطَّلَسَمَاتِ وَأَثَرُهَا فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا الْفَلَاسِفَةُ فَفَرَّقُوا بَيْنَ  
 السِّحْرِ وَالطَّلَسَمَاتِ بَعْدَ أَنْ أَثْبَتُوا أَنَّهُمَا جَمِيعًا أَثَرٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَاسْتَدَلُّوا عَلَى  
 وُجُودِ الْأَثَرِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِأَنَّ لَهَا آثَارًا فِي بَدَنِهَا عَلَى غَيْرِ الْمَجْرَى الطَّبِيعِيِّ وَأَسْبَابِهِ  
 الْجِسْمَانِيَّةِ بَلْ آثَارٌ عَارِضَةٌ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْأَرْوَاحِ ثَلَاثَةٌ كَالسُّحُورَةِ الْخَادِثَةِ عَنِ الْفَرْحِ  
 وَالسُّرُورِ وَمِنْ جِهَةِ التَّصَوُّرَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ أُخْرَى كَالَّذِي يَقَعُ مِنْ قِبَلِ التَّوَهُّمِ فَإِنْ  
 لَمَّا شِئِي عَلَى حَرْفٍ حَاطِطٍ أَوْ حَبْلٍ مُنْتَصِبٍ إِذَا قَوِيَ عِنْدَهُ تَوَهُّمُ السُّقُوطِ سَاطَ بِلَا  
 أَشْكٍ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُعَوِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُمْ هَذَا التَّوَهُّمُ  
 فَتَجِدُهُمْ يَمْشُونَ عَلَى حَرْفٍ حَاطِطٍ وَحَبْلٍ مُنْتَصِبٍ وَلَا يَخَافُونَ السُّقُوطَ فَتَبَتَ أَنَّ  
 ذَلِكَ مِنْ آثَارِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَصَوُّرُهَا لِلسُّقُوطِ مِنْ أَجْلِ التَّوَهُّمِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
 أَثَرًا لِلنَّفْسِ فِي بَدَنِهَا مِنْ غَيْرِ الْأَسْبَابِ الْجِسْمَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
 مِثْلُ هَذَا الْأَثَرِ فِي غَيْرِ بَدَنِهَا إِذَا نَسَبَتْهَا إِلَى الْأَبْدَانِ فِي ذَلِكَ التَّنَوُّعِ مِنَ التَّأْيِيدِ  
 وَاحِدَةٍ لِأَنَّهَا غَيْرُ حَالَةٍ فِي الْبَدَنِ وَلَا مُنْطَبِعَةٍ فِيهِ فَتَبَتَ أَنَّهَا مُؤَثِّرَةٌ فِي سَائِرِ الْأَجْسَامِ  
 وَأَمَّا التَّفَرُّقَةُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلَسَمَاتِ فَهُوَ أَنَّ السِّحْرَ لَا يَحْتَاجُ السَّاحِرَ فِيهِ إِلَى  
 مَعِينٍ وَصَاحِبِ الطَّلَسَمَاتِ يَسْتَعِينُ بِرُوحَانِيَّاتِ الْكُوَكِبِ وَأَسْرَارِ الْأَعْدَادِ وَخَوَاصِ  
 التَّوَجُّدَاتِ وَأَوَاضَاعِ الْفَلَكَ الْمُؤَثِّرَةِ فِي عَالَمِ الْغَوَاصِرِ كَمَا يَقُولُهُ السَّجَّجُونَ وَيَقُولُونَ  
 السِّحْرُ اتِّحَادُ رُوحٍ بِرُوحٍ وَالطَّلَسْمُ اتِّحَادُ رُوحٍ بِجِسْمٍ وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ رِبْطُ الطَّبَائِعِ  
 الْعُلَوِيَّةِ السَّائِيَةِ بِالطَّبَائِعِ السُّفْلِيَّةِ وَالطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ هِيَ رُوحَانِيَّاتُ الْكُوَكِبِ  
 وَلِذَلِكَ يَسْتَعِينُ صَاحِبُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ بِالتَّجَامَةِ وَالسَّاحِرُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَكْتَسِبٍ لِسِحْرِهِ  
 بَلْ هُوَ مَفْطُورٌ عِنْدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْجَبَلَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ التَّنَوُّعِ مِنَ التَّأْيِيدِ وَالْفَرْقِ عِنْدَهُمْ

بَيْنَ الْمُعْجَزَةِ وَالسِّحْرِ أَنَّ الْمُعْجَزَةَ قُوَّةُ إِلَهِيَّةٍ تَبْعَثُ عَلَى النَّفْسِ ذَلِكَ التَّأْيِيدَ فَهُوَ مُوَيَّدٌ  
 بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ وَالسَّاحِرُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ لَدُنْ نَفْسِهِ وَبِقُوَّتِهِ النَّفْسَانِيَّةِ  
 وَيَأْمَدَادِ الشَّيَاطِينِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَيَبْتَهِمَا الْفَرْقُ فِي الْمَعْقُولِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّاتِ  
 فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنَّمَا نَسْتَدِلُّ نَحْنُ عَلَى التَّفَرُّقِ بِالْعَلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَهِيَ وَجُودُ الْمُعْجَزَةِ  
 لِصَاحِبِ الْخَيْرِ وَفِي مَقَاصِدِ الْخَيْرِ وَلِلنَّفُوسِ الْمُتَمَيِّضَةِ لِلْخَيْرِ وَالتَّحَدِّيِ بِهَا عَلَى دَعْوَى  
 النَّبُوَّةِ وَالسِّحْرِ إِنَّمَا يُوجَدُ لِصَاحِبِ الشَّرِّ وَفِي أَفْعَالِ الشَّرِّ فِي الْغَالِبِ مِنَ التَّفَرُّيقِ بَيْنَ  
 الزَّوْجَيْنِ وَضَرَرِ الْأَعْدَاءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَلِلنَّفُوسِ الْمُتَمَيِّضَةِ لِلشَّرِّ . هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا  
 عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْإِلَهِيِّينَ وَقَدْ يُوجَدُ لِبَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ الْكَرَامَاتِ تَأْيِيدٌ أَيْضًا  
 فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ جِنْسِ السِّحْرِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْإِمْدَادِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّ طَرِيقَتَهُمْ  
 وَنَحْلَتَهُمْ مِنْ آثَارِ النَّبُوَّةِ وَتَوَابِعِهَا وَلَهُمْ فِي الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ حِفْظٌ عَلَى قَدَرِ حَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ  
 وَتَمَسُّكُهُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَإِذَا اقْتَدَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَفْعَالِ الشَّرِّ لَا يَأْتِيهَا لِأَنَّهُ مُتَّقِدٌ فِيمَا  
 يَأْتِيهِ يَنْدُهُ لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فَمَا لَا يَقَعُ لَهُمْ فِيهِ الْإِذْنُ لَا يَأْتُونَهُ بِوَجْهِهِ وَمَنْ آتَاهُ مِنْهُمْ فَقَدْ  
 عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَرُبَّمَا سَلَبَ حَالَهُ وَلَكِنَّا كَانَتِ الْمُعْجَزَةُ بِإِمْدَادِ رُوحِ اللَّهِ وَالْعُقَى  
 الْإِلَهِيَّةِ فَلِذَلِكَ لَا يُعَارِضُهَا شَيْءٌ مِنَ السِّحْرِ وَأَنْظُرْ شَأْنَ سَحْرَةِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى فِي  
 مُعْجَزَةِ الْعَصَا كَيْفَ تَلَقَّتْ مَا كَانُوا بِهِ يَأْفِكُونَ وَذَهَبَ سِحْرُهُمْ وَأَضْمَحَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ  
 وَكَذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْرُودَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ النُّفَّاثَاتِ فِي  
 الْعُقَدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَكَانَ لَا يَفْرَأُهَا عَلَى عُقْدَةٍ مِنْ الْعُقَدِ الَّتِي سُحِرَ فِيهَا  
 إِلَّا أَنْحَلَتْ فَالسِّحْرُ لَا يَثْبُتُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ وَقَدْ نَقَلَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ زُرْكَشَ  
 كَاوِيَانَ وَهِيَ رَايَةُ كِسْرَى كَانَ فِيهَا الْوَفْقُ الْمِشْنِيُّ الْعَدَدِيُّ مَنْسُوجًا بِالذَّهَبِ فِي أَوْضَاعِ  
 فَلَكِيَّةٍ رُصِدَتْ لِذَلِكَ الْوَفْقِ وَوُجِدَتْ الرَّايَةُ يَوْمَ قُتِلَ رُسُومُ بِالْقَادِسِيَّةِ وَاقِعَةً عَلَى  
 الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْهَزَامِ أَهْلِ فَارِسَ وَشَتَاتِهِمْ وَهُوَ فِيمَا تَرَعُمُ أَهْلِ الطَّلَسَمَاتِ وَالْأَوْفَاقِ  
 مَخْصُوصٌ بِالْغَلَبِ فِي الْحُرُوبِ وَأَنَّ الرَّايَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا أَوْ مَعَهَا لَا تَنْهَزِمُ أَصْلًا إِلَّا  
 أَنَّ هَذِهِ عَارِضُهَا الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ مِنْ إِيْمَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَانْحَلَّ مَعَهَا كُلُّ عُقْدٍ سِحْرِيٍّ وَلَمْ يَثْبُتْ وَبَطَلَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ فَلَمْ تَفْرُقْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلَسَمَاتِ وَجَعَلَتْهُ كُلُّهُ بَابًا وَاحِدًا مَحْظُورًا

لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهتئنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرته  
أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا يهتئنا في شيء منهما فإن كان فيه ضرر  
أو نوع ضرر كالسحر أو الحاصل ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد  
والتجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية بذكر الأمور  
إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل معظوراً على نسبتِهِ في الضرر وإن لم يكن مهتماً  
علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قربة إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه  
ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة باباً واحداً لما فيها من  
الضرر وخصته بالخطر والتحريم وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي  
ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التهدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما أدعاه  
خالوا والساحر مضروب عن مثل هذا التهدي فلا يقع منه ووقوع المعجزة على وفق  
دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها  
التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فإذا لا تقع  
المعجزة مع الكاذب بإطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه  
فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه خير ولا يستعمل  
في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر  
وكأنهما على طرفي النقيض في أصل فطريتهما والله يهدي من يشاء وهو القوي  
العزيز لا رب سواه ومن قيل هذه التأثيرات النفسية الإصابت بالعين وهو تأثير  
من نفس المعين عند ما يستحسن بعينه مدرساً من الذوات أو الأحوال ويغترط في  
استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يوم معه سلب ذلك الشيء عن  
اتصف به فيؤثر فساداً وهو جيلة فطرية أعني هذه الإصابت بالعين والفرق بينهما  
وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع إلى اختيار فاعليها  
والفطري منها قوة صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل  
بالعين لا يقتل وما ذلك إلا أنه ليس بما يريد ويقتضيه أو يذكه وإنما هو مجبور  
في صدورِهِ عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر



## الفصل الثالث والعشرون

### في علم الكيمياء

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا كَرْنُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالصَّنَاعَةِ وَيُشْرَحُ  
الْعَمَلُ الَّذِي يُرْصَلُ إِلَى ذَلِكَ فَيَتَصَفَّحُونَ الْمَكُونَاتِ كُلَّهَا بَعْدَ مَعْرِفَةِ أَمْرِجَتِهَا وَقَوَاهَا  
لَعَلَّهُمْ يَعْتَدُونَ عَلَى الْمَادَّةِ الْمُسْتَعِدَّةِ لِذَلِكَ حَتَّى مِنْ الْعَضَلَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ كَالْعِظَامِ  
وَالرِّيشِ وَالْبَيْضِ وَالْعُدْرَاتِ فَضْلًا عَنْ الْمَعَادِنِ ثُمَّ يَشْرَحُ الْأَعْمَالَ الَّتِي تَخْرُجُ بِهَا  
تِلْكَ الْمَادَّةُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ مِثْلَ حَلِّ الْأَجْسَامِ إِلَى أَجْزَائِهَا الطَّبِيعِيَّةِ بِالتَّضْعِيدِ  
وَالْتَقْطِيرِ وَجَمْدِ الذَّائِبِ مِنْهَا بِالتَّكْلِسِ وَإِمَاءِ الصُّلْبِ بِالقَبْرِ وَالصَّلَابَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ  
وَفِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِهَذِهِ الصَّنَاعَاتِ كُلُّهَا جِسْمٌ طَبِيعِيٌّ يُسَمُّونَهُ الْإِكْبِيرَ وَأَنَّهُ يُلْقَى  
مِنْهُ عَلَى الْجِسْمِ الْمُغْدِيَنِ الْمُسْتَعِدِّ لِقَبُولِ صُورَةِ الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ بِالِاسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ  
مِنَ الْفِعْلِ مِثْلَ الرِّصَاصِ وَالْقَصْدِيرِ وَالنُّحَاسِ بَعْدَ أَنْ يُحْمَى بِالنَّارِ فَيَعُودُ ذَهَبًا إِبْرِيًا  
وَيَكُونُ عَنْ ذَلِكَ الْإِكْبِيرَ إِذَا أَلْعَزُوا فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ بِالرُّوحِ وَعَنْ الْجِسْمِ الَّذِي  
يُلْقَى عَلَيْهِ بِالْجَسَدِ فَشَرَحَ هَذِهِ الْأَصْطِلَاحَاتِ وَصُورَةَ هَذَا الْعَمَلِ الصَّنَاعِيِّ الَّذِي يَقْلِبُ  
هَذِهِ الْأَجْسَادَ الْمُسْتَعِدَّةَ إِلَى صُورَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكِيمِيَاءِ وَمَا زَالَ النَّاسُ  
يُؤَلِّفُونَ فِيهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَرَبَّنَا يُغْزَى الْكَلَامُ فِيهَا إِلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا وَإِمَامِ  
الْمُدُونِينَ فِيهَا جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ حَتَّى إِنَّهُمْ يَحْضُونَهَا بِهِ فَيُسَمُّونَهَا عِلْمَ جَابِرٍ وَلَهُ فِيهَا سَبْعُونَ  
رِسَالَةً كُلُّهَا شَبِيهَةٌ بِالْأَلْفَازِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ مُقْفَلَهَا إِلَّا مَنْ أَحَاطَ عِلْمًا بِجَمِيعِ مَا  
فِيهَا وَالطُّغْرَايُ مِنْ حُكَمَاءِ الْمَشْرِقِ الْمُتَأَخِّرِينَ لَهُ فِيهَا دَوَائِدُ وَمُنَاطَرَاتٌ مَعَ  
أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْحُكَمَاءِ وَكُتِبَ فِيهَا مَسَلَمَةُ الْمَجْرِيطِيِّ مِنْ حُكَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ  
كِتَابُهُ الَّذِي سَمَّاهُ رُتْبَةَ الْحَكِيمِ وَجَعَلَهُ قَرِينًا لِكِتَابِهِ الْآخِرِ فِي السِّعْرِ وَالطَّلَسَمَاتِ  
الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةَ الْحَكِيمِ وَزَعَمَ أَنَّ هَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَيْنِ هُمَا نَتِيجَتَانِ لِلْحِكْمَةِ وَتَمَرَّتَانِ  
لِلْعُلُومِ وَمَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِمَا فَهُوَ فَاقِدٌ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ أَجْمَعَ وَكَلَامُهُ فِي ذَلِكَ  
الْكِتَابِ وَكَلَامُهُمْ أَجْمَعُ فِي تَأْلِيفِهِمْ هِيَ الْفَارِزُ يَتَعَذَّرُ فَهْمُهَا عَلَى مَنْ لَمْ يُعَانِ  
أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فِي ذَلِكَ . وَنَحْنُ نَذْكُرُ سَبَبَ عُذُولِهِمْ إِلَى هَذِهِ الرُّمُوزِ وَالْأَلْفَازِ وَلِأَنَّ  
الْمُغْدِيَّ مِنْ أَتَمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ كَلِمَاتٌ شِعْرِيَّةٌ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ مِنْ أَبْدَعِ مَا يَجِيءُ

فِي الشَّعْرِ مَلْعُوزَةٌ كُلُّهَا لُغْرُ الْأَحَاجِي وَالْمُعَايَاةِ فَلَا تَكَادُ تُفْهَمُ وَقَدْ يَنْسَبُونَ لِلْفَرَاحِيِّ  
 رَحْمَةُ اللَّهِ بَعْضَ التَّأَلُّفِ فِيهَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ تَكُنْ مَدَارِكُهُ الْعَالِيَةِ  
 لَتَقِفَ عَنْ خَطَا مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْتَحِلَهُ وَرَبَّانًا نَسَبُوا بَعْضَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ  
 فِيهَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَبِيبُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ السَّيَرُ أَنَّ خَالِدًا  
 مِنْ أَلْبَلِ الْعَرَبِيِّ وَالِدَاوَةُ إِلَيْهِ أَقْرَبُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ فَكَيْفَ  
 لَهُ بِصِنَاعَةِ غَرِيبَةِ الْمَنْحَى مَبْنِيَّةٍ عَلَى مَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْمُرَكَّبَاتِ وَأَمْرِجَتِهَا وَكُتِبَ النَّظَرِينَ  
 فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعَاتِ وَالطَّبِّ لَمْ تَطُورْ بَعْدُ وَلَمْ تُتَرَجِّمْ إِلَهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِدُ بْنُ  
 يَزِيدَ آخَرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدَارِكِ الصَّنَاعِيَّةِ تَشَبَّهُ بِأَسْبِهِ فَمُمْكِنٌ . وَأَنَا أَنْقُلُ لَكَ هُنَا  
 رِسَالَةَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بَشْرُونَ لِأَبِي السَّنَحِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَلَامَهَا مِنْ تِلَاْمِيذِ مَسْلَمَةَ  
 فَيُسْتَدَلُّ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقُّهُ مِنَ التَّأَمُّلِ قَالَ  
 ابْنُ بَشْرُونَ بَعْدَ صَدْرِ مِنْ الرِّسَالَةِ خَارِجٍ عَنِ الْغَرَضِ وَالْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 الْكَرِيمَةِ قَدْ ذَكَرَهَا الْأَوَّلُونَ وَأَقْبَصَ جَمِيعَهَا أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ تَكْوِينِ  
 الْمَعَادِنِ وَتَخَلُّقِ الْأَحْجَارِ وَالْجَوَاهِرِ وَطَبَائِعِ الْبَقَاعِ وَالْأَمَاكِينِ فَسَنَعْنَا أَشْتَهَارَهَا مِنْ  
 ذِكْرِهَا وَلَكِنْ أَبَيْنَا لَكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَعَةِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فَتَبَدُّأَ بِمَعْرِفَتِهِ فَقَدْ قَالُوا يَنْبَغِي  
 لِطُلَّابِ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا أَوَّلًا ثَلَاثَ خِصَالٍ أَوَّلُهَا هَلْ تَكُونُ وَالثَّانِيَةُ مِنْ أَيِّ  
 تَكُونُ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ أَيِّ كَيْفٍ تَكُونُ فَإِذَا عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَأَحْكَمَهَا فَقَدْ ظَفَرَ  
 بِمَطْلُوبِهِ وَبَلَغَ نَهَايَتَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَأَمَّا الْبَحْثُ عَنْ وُجُودِهَا وَالْإِسْتِدْلَالُ عَنْ تَكْوِينِهَا  
 فَقَدْ كَفَيْتَاكَ بِمَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكَ مِنَ الْإِكْبَادِ وَأَمَّا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكُونُ فَإِنَّمَا يُرِيدُونَ  
 بِذَلِكَ الْبَحْثَ عَنِ الْحَجَرِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوْجُودًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 بِالْقُوَّةِ لِأَنَّهَا مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ مِنْهَا تَرَكَّبَتْ أَيْتِدَاءٌ وَإِلَيْهَا تُرْجَعُ أَنْتِهَاءٌ وَلَكِنْ مِنْ  
 الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَلَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلَهَا تُعَالِجُ  
 وَتُدَبِّرُ وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَالَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلَهَا لَا تُعَالِجُ وَلَا  
 تُدَبِّرُ لِأَنَّهَا فِيهَا بِالْقُوَّةِ فَقَطُّ وَإِنَّمَا لَمْ يُمَكِّنْ تَفْصِيلَهَا لِاسْتِغْرَاقِ بَعْضِ طَبَائِعِهَا فِي بَعْضٍ  
 وَفَضْلُ قُوَّةِ الْكَبِيرِ مِنْهَا عَلَى الصَّغِيرِ فَيَنْبَغِي لَكَ وَفَقْتُكَ لِلَّهِ أَنْ تَعْرِفَ أَوْفَى الْأَحْجَارِ  
 الْمُنْفَصِلَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا الْعَمَلُ وَجِسْمُهُ وَقُوَّتُهُ وَعَمَلُهُ وَمَا يُدَبِّرُ مِنَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ



وَالْتَقِيَةِ وَالتَّكْلِيسِ وَالتَّثْنِيفِ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ الْأُصُولَ الَّتِي هِيَ  
عِمَادُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَمْ يَنْجَحْ وَلَمْ يَظُنْ بِحَيْرِ أَبَدٍ وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ  
يَسْتَعَانَ عَلَيْهِ بغيرِهِ أَوْ يُكْتَفَى بِهِ وَحْدَهُ وَهَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْإِبْتِدَاءِ أَوْ سَارِكُهُ غَيْرُهُ  
فَصَارَ فِي التَّدْبِيرِ وَاحِدًا فَسَمِيَ حَجَرًا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِهِ وَكَيْفِيَّةَ أَوْزَانِهِ  
وَأَوْزَانِهِ وَكَيْفَ تَرْكِيبِ الرُّوحِ فِيهِ وَإِدْخَالِ النَّفْسِ عَلَيْهِ وَهَلْ تَقْدِرُ النَّارُ عَلَى تَفْصِيلِهَا  
مِنْهُ بَعْدَ تَرْكِيبِهَا فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَلَايَ عَلَيْهِ وَمَا السَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا هُوَ  
الْمَطْلُوبُ فَافْهَمْ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ كُلَّهَا مَدَحَتِ النَّفْسَ وَزَعَمَتْ أَنَّهَا الْمُدِيرَةُ لِلْجَسَدِ  
وَالْحَامِلَةُ لَهُ وَالِدَافِعَةُ عَنْهُ وَالْفَاعِلَةُ فِيهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَسَدَ إِذَا خَرَجَتْ النَّفْسُ مِنْهُ مَاتَ  
وَبَرَدَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْإِمْتِنَاعِ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نُورَ وَإِنَّمَا  
ذَكَرَتْ الْجَسَدَ وَالنَّفْسَ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ شَبِيهَةٌ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَرْكِيبُهُ عَلَى  
الْغِذَاءِ وَالنِّسَاءِ وَقَوَامُهُ وَتَقَامُهُ بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ التَّوْرَانِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ الْعَظَائِمُ وَالْأَشْيَاءُ  
الْمُتَقَابِلَةُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا بِالْقُوَّةِ الْحَيَّةِ الَّتِي فِيهَا وَإِنَّمَا أَنْفَعَلَ الْإِنْسَانُ لِاخْتِلَافِ  
تَرْكِيبِ طَبَائِعِهِ وَلَوْ اتَّفَقَتْ طَبَائِعُهُ لَسَلِمَتْ مِنْ الْأَعْرَاضِ وَالتَّضَادِّ وَلَمْ تَقْدِرِ النَّفْسُ عَلَى  
الْخُرُوجِ مِنْ بَدَنِهِ وَلَكِنْ خَالِدًا بَاقِيًا فَسُبْحَانَ مُدِيرِ الْأَشْيَاءِ تَعَالَى . وَأَعْلَمْ أَنَّ الطَّبَائِعَ  
الَّتِي يَخْدُثُ عَنْهَا هَذَا الْعَمَلُ كَيْفِيَّةٌ دَافِعَةٌ فِي الْإِبْتِدَاءِ فَيُضِئُ مُحْتَاجَةً إِلَى الْإِنْتِهَاءِ وَلَيْسَ  
لَهَا إِذَا صَارَتْ فِي هَذَا الْحَالِ أَنْ تَسْتَحِيلَ إِلَى مَا مِنْهُ تَرْكَبَتْ كَمَا قُلْنَا آتِنَا فِي الْإِنْسَانِ  
لَأَنَّ طَبَائِعَ هَذَا الْجَوْهَرِ قَدْ لَزِمَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا شَبِيهًا بِالنَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا  
وَفِعْلِهَا وَبِالْجَسَدِ فِي تَرْكِيبِهِ وَمَجَسَّتِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَبَائِعَ مُفْرَدَةً بِأَعْيَانِهَا فَيَا عَجَبًا مِنْ  
أَفَاعِيدِ الطَّبَائِعِ إِنَّ الْقُوَّةَ لِلضَّعِيفِ الَّذِي يَثْوِي عَلَى تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَرْكِيبِهَا وَتَقَامِهَا  
فَلِذَلِكَ قُلْتُ قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّغْيِيرُ وَالْفَنَاءُ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِاخْتِلَافِ  
وَعَدَمِ ذَلِكَ فِي الثَّانِي لِلِاتِّفَاقِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا  
الْعَمَلِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ وَالتَّرْكِيبُ مَوْتُ وَفَنَاءٌ وَهَذَا الْكَلَامُ دَقِيقُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْحَكِيمَ  
أَرَادَ بِقَوْلِهِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ خُرُوجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الوجودِ لِأَنَّهُ مَا دَامَ عَلَى تَرْكِيبِهِ الْأَوَّلِ  
فَهُوَ فَإِنْ لَا مُحَالَةَ فَإِذَا رُكِّبَ التَّرْكِيبُ الثَّانِي عَدِمَ الْفَنَاءُ وَالتَّرْكِيبُ الثَّانِي لَا يَكُونُ إِلَّا  
بَعْدَ التَّفْصِيلِ وَالتَّقْطِيعِ فَإِذَا التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَاصَّةٌ فَإِذَا بَقِيَ الْجَسَدُ



الْمَحْلُولُ انْبَسَطَ فِيهِ لِعَدَمِ الدُّورَةِ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْجَسَدِ بِمِثْلِهِ النَّفْسُ الَّتِي لَا صُورَةَ  
لَهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ فِيهِ وَسَتَرَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ  
أَنَّ اخْتِلَاطَ اللَّطِيفِ بِاللَّطِيفِ أَهْوَنُ مِنْ اخْتِلَاطِ الْغَلِيظِ بِالْغَلِيظِ وَإِنَّمَا أُرِيدُ بِذَلِكَ  
النَّشَأَ كُلُّهُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَتَّصِلُ بِأَشْكَالِهَا وَذَكَرْتُ لَكَ ذَلِكَ  
لِتَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ أَوْفَقَ وَأَيْسَرُ مِنَ الطَّبَائِعِ اللَّطَائِفِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنْهَا مِنَ الْغَلِيظَةِ الْجَسَادِيَّةِ  
وَقَدْ يُتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الْأَحْجَارَ أَقْوَى وَأَصْبَرُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْأَرْوَاحِ كَمَا تَرَى  
الذَّهَبَ وَالْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ أَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْكِبْرِيتِ وَالرَّثْبَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَرْوَاحِ  
فَأَقُولُ إِنَّ الْأَجْسَادَ قَدْ كَانَتْ أَرْوَاحًا فِي بَدَنِهَا فَلَمَّا أَصَابَهَا حَرُّ الْكَيَانِ قَلَبَهَا أَجْسَادًا  
لِرَجَّةِ غَلِيظَةٍ فَلَمْ تَقْدِرِ النَّارُ عَلَى أَكْلِهَا لِإِفْرَاطِ غَلِيظَتِهَا وَتَزْجِجِهَا فَإِذَا أَفْرَطَتِ النَّارُ  
عَلَيْهَا صَيَّرَتْهَا أَرْوَاحًا كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ خَلْقِهَا وَإِنَّ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ اللَّائِيغَةَ إِذَا أَصَابَتْهَا  
النَّارُ أَبْقَتْ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَيْهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا صَيَّرَ الْأَجْسَادَ فِي هَذِهِ  
الْحَالَةِ وَصَيَّرَ الْأَرْوَاحَ فِي هَذَا الْحَالِ فَهُوَ أَجَلُ مَا تَعْرِفُهُ . أَقُولُ إِنَّمَا أَبْقَتْ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ  
لَا شَتَائِهَا وَلَطَافَتِهَا وَإِنَّمَا اشْتَعَلَتْ لِكَثْرَةِ رُطُوبَتِهَا وَلِأَنَّ النَّارَ إِذَا أَحْتَتْ بِالرُّطُوبَةِ  
تَعَلَّقَتْ بِهَا لِأَنَّهَا هَوَانِيَّةٌ نُشَا كُلُّ النَّارِ وَلَا تَرَالُ تَعْتَدِي بِهَا إِلَى أَنْ تَفْنَى وَكَذَلِكَ  
الْأَجْسَادُ إِذَا أَحْتَتْ بِوُضُوعِ النَّارِ إِلَيْهَا إِنَّهَا تَزْجِجُهَا وَغَلِيظَتِهَا وَإِنَّمَا صَارَتْ تِلْكَ الْأَجْسَادُ  
لَا تَشْتَعِلُ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءٍ صَابِرٍ عَلَى النَّارِ فَلَطِيفُهُ مُتَّحِدٌ بِكَثِيفِهِ لِطَوْلِ  
الطَّبَخِ اللَّيِّنِ التَّارِجِ لِلْأَشْيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُتَلَاشٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى بِالنَّارِ لِذَرَاقَةِ  
لَطِيفِهِ مِنْ كَثِيفِهِ وَدُخُولِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُوَافَقَةِ فَصَارَ ذَلِكَ  
الْإِنْضِمَامُ وَالتَّدَاخُلُ مُجَاوِرَةً لَا مُنَازَعَةً فَسَهَلَ بِذَلِكَ اقْتِرَافُهُمَا كَالْمَاءِ وَالذَّهْنِ وَمَا  
أَشَبَّهُمَا وَإِنَّمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا فَإِذَا عَلِمْتَ  
ذَلِكَ عِلْمًا شَافِيًا فَقَدْ أَخَذْتَ حَقَّكَ مِنْهَا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْلَاطَ الَّتِي هِيَ  
طَبَائِعُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُوَافِقَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ مُنْصَلَّةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ  
بِتَدْبِيرٍ وَاحِدٍ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ وَلَا فِي الْكُلِّ كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ  
إِنَّكَ إِذَا أَحْكَمْتَ تَدْبِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَأَلَّفَهَا وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا  
أَرَدْتَ إِحْكَامَهُ وَقَوَامَهُ إِذِ الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا فَتَنْ أَدْخُلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا

فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ فِي الْخَطَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ إِذَا حَلَّ لَهَا جَسَدٌ مِنْ قَرَائِنِهَا  
عَلَى مَا يَنْبَغِي فِي الْحَلِّ حَتَّى يُشَاكِلَهَا فِي الرِّقَّةِ وَاللَّطَافَةِ أَنْبَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَيْثُمَا  
جَرَى لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً جَافِيَةً لَا تَنْبَسِطُ وَلَا تَتَرَاوَجُ وَحَلُّ الْأَجْسَادِ لَا يَكُونُ  
بَغَيْرِ الْأَرْوَاحِ فَافْتَهُمَ هَذَاكَ اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَعْلَمَ هَذَاكَ اللَّهُ أَنَّ هَذَا الْحَلَّ فِي جَسَدِ الْحَيَوَانِ  
هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَضْمَحِلُّ وَلَا يَنْقُصُ وَهُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الطَّبَائِعَ وَيَنْسِكُهَا وَيُظْهِرُ لَهَا  
أَلْوَانًا وَأَزْهَارًا عَجِيبَةً وَلَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ يَحُلُّ خِلَافَ هَذَا هُوَ الْحَلُّ أَتَمًّا لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَيَاةِ  
وَأَمَّا حَلُّهُ بِمَا يُوَافِقُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ حَرَقَ النَّارِ حَتَّى يُزُولَ عَنِ الْغِلْظِ وَتَنْقَلِبَ الطَّبَائِعُ  
عَنْ حَالَاتِهَا إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَنْقَلِبَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْغِلْظِ فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَجْسَادُ نَهَايَتَهَا مِنْ  
التَّحْلِيلِ وَالتَّلَطُّفِ ظَهَرَتْ لَهَا هُنَالِكَ قُوَّةُ تَمَسُّكِهَا رَتْغُوصُ وَتَثَلُّبُ وَتَنْفِذُ وَكُلُّ  
عَمَلٍ لَا يُرَى لَهُ مَحْدَاقٌ فِي أَوَّلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَارِدَ مِنَ الطَّبَائِعِ  
هُوَ يَبْسُ الْأَشْيَاءَ وَيَعْبِدُ رُطُوبَتَهَا وَالْحَارُّ مِنْهَا يُظْهِرُ رُطُوبَتَهَا وَيَعْقُدُ يَبْسَهَا وَإِنَّمَا أَفْرَدَتْ  
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ لِأَنَّهُمَا فَاعِلَانِ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبْسُ مُتَفَعِّلَانِ وَعَلَى أَنْفِعَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
لصَاحِبِهِ تَحْدُثُ الْأَجْسَامُ وَتَتَكَوَّنُ وَإِنْ كَانَ الْحَرُّ أَكْثَرَ فِعْلًا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنَّ  
الْبَرْدَ لَيْسَ لَهُ نَقْلُ الْأَشْيَاءِ وَلَا تَحَرُّكُهَا وَالْحَرُّ هُوَ عِلَّةُ الْحَرَكَةِ وَمَتَى ضَعُفَتْ عِلَّةُ الْكَوْنِ  
وَهُوَ الْحَرَارَةُ لَمْ يَتِمَّ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا كَمَا أَنَّهُ إِذَا أَفْرِطَتْ الْحَرَارَةُ عَلَى شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ  
ثَمَّ بَرْدٌ أَحْرَقَتْهُ وَأَهْلَكَتَهُ فَبِئْسَ أَجَلُ هَذِهِ الْعِلَّةِ أَحْتِيجَ إِلَى الْبَارِدِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ  
لِيَقْوَى بِهِ كُلُّ ضِدٍّ عَلَى ضِدِّهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُ حَرَّ النَّارِ وَلَمْ يَحْذِرِ الْفَلَاسِفَةُ أَكْبَرَ شَيْءٍ إِلَّا  
مِنَ الْتِيرَانِ الْمُحْرِقَةِ وَأَمَرَتْ بِتَطْهِيرِ الطَّبَائِعِ وَالْأَنْزَاسِ وَإِخْرَاجِ دَنَسِهَا وَرُطُوبَتِهَا  
وَنَفْيِ آفَاتِهَا وَأَوْسَاطِهَا عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ اسْتَقَامَ رَأْيُهُمْ وَتَذْيِيرُهُمْ فَإِنَّمَا عَمَلُهُمْ إِنَّمَا هُوَ  
مَعَ النَّارِ أَوَّلًا وَإِلَيْهَا يَصِيرُ أَخِيرًا فَلِذَلِكَ نَأْوُوا إِلَيْكُمْ وَالتَّيْرَانِ الْمُحْرِقَاتِ وَإِنَّمَا أَرَادُوا  
بِذَلِكَ نَفْيَ الْآفَاتِ الَّتِي مَعَهَا فَتَجَمُّعُ عَلَى الْجَسَدِ آفَتَيْنِ فَتَكُونُ أَسْرَعُ لِهَلَاكِهِ وَكَذَلِكَ  
كُلُّ شَيْءٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى وَيَفْسُدُ مِنْ ذَاتِهِ لِتَضَادِّ طَبَائِعِهِ وَاخْتِلَافِهِ فَيَتَوَسَّطُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ  
فَلَمْ يَجِدْ مَا يَقْوِيهِ وَيُعِينُهُ إِلَّا قَهْرَهُ أَلَا فُهُ وَأَهْلَكَتُهُ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحُكْمَاءَ كُلَّهُمَا ذَكَرَتْ  
تَرْدَادَ الْأَرْوَاحِ عَلَى الْأَجْسَادِ مَرَارًا لِيَكُونَ أَلْزَمَ إِلَيْهَا وَأَقْوَى عَلَى قِتَالِ النَّارِ إِذَا هِيَ  
بَاسْرَتَهَا عِنْدَ الْإِلْفَةِ أَعْنِي بِذَلِكَ النَّارَ الْغَضَبِيَّةَ فَاعْلَمُهُ . وَلِنَقُلِ الْآنَ عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي



يَكُنْ مِنْهُ الْعَمَلُ عَلَى مَا ذَكَرْتَهُ الْفَلَاسِفَةُ فَقَدْ اختلفوا فيه فَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي  
الْحَيَوَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي النَّبَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي التَّعَادِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
زَعَمَ أَنَّهُ فِي الْجَمِيعِ وَهَذِهِ الدَّعَاوَى لَيْسَتْ بِنَا حَاجَةً إِلَى اسْتِثْصَائِهَا وَمُنَاطَرَةٍ أَهْلِهَا عَلَيْهَا  
لَأَنَّ الْكَلَامَ يَطُولُ جِدًّا وَقَدْ قُلْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِنَّ الْعَمَلَ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالْقُوَّةِ  
لَأَنَّ الطَّبَائِعَ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ كَذَلِكَ فَزَيْدٌ أَنْ نَعْلَمَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ  
الْعَمَلُ بِالْقُوَّةِ وَالْفِعْلُ فَتَقْصِدُ إِلَى مَا قَالَهُ الْخَرَّائِيُّ إِنَّ الصَّنْعَ كُلَّهُ أَحَدُ صِنْفَيْنِ إِمَّا  
صِنْعُ جَسَدٍ كَالزَّعْفَرَانِ فِي الثُّوبِ الْأَبْيَضِ حَتَّى يَحُولَ فِيهِ وَهُوَ مُضْجَلٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الذَّرَكِيبِ  
وَالصَّنْعُ الثَّانِي تَقْلِيبُ الْجَوْهَرِ مِنْ جَوْهَرٍ نَفْسِهِ إِلَى جَوْهَرٍ غَيْرِهِ وَلَوْ بِهِ كَتَقْلِيبِ  
الشَّحْرِ بِلِ الثُّرَابِ إِلَى نَفْسِهِ وَقَلْبِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ إِلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَصِيرَ الثُّرَابُ نَبَاتًا  
وَالنَّبَاتُ حَيَوَانًا وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِالرُّوحِ الْحَيِّ وَالْكَيَانِ الْهَائِلِ الَّذِي لَهُ تَوْلِيدُ  
الْأَجْرَامِ وَقَلْبُ الْأَعْيَانِ فَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَتَقُولُ إِنَّ الْعَمَلَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِمَّا  
فِي الْحَيَوَانِ وَإِمَّا فِي النَّبَاتِ وَبُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّهُمَا مَطْبُوعَانِ عَلَى الْغِذَاءِ وَبِهِ قِيَامُهُمَا  
وَتَامُهُمَا فَأَمَّا النَّبَاتُ فَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْحَيَوَانِ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْقُوَّةِ وَلِذَلِكَ قَلَّ خَوْضُ  
الْحُكَمَاءِ فِيهِ وَأَمَّا الْحَيَوَانُ فَهُوَ آخِرُ الْإِسْتِخْلَالَاتِ الثَّلَاثِ وَنَهَائَتُهَا وَذَلِكَ أَنَّ التَّعْدِينَ  
يَسْتَحِيلُ نَبَاتًا وَالنَّبَاتُ يَسْتَحِيلُ حَيَوَانًا وَالْحَيَوَانُ لَا يَسْتَحِيلُ إِلَى شَيْءٍ هُوَ أَلْفٌ مِنْهُ  
إِلَّا أَنْ يَنْعَكِسَ رَاجِعًا إِلَى الْغَلْظِ وَأَنَّهُ أَيْضًا لَا يُوجَدُ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ تَتَعَلَّقُ فِيهِ الرُّوحُ  
الْحَيَّةُ غَيْرَهُ وَالرُّوحُ أَلْفٌ مَا فِي الْعَالَمِ وَلَمْ تَتَعَلَّقْ الرُّوحُ بِالْحَيَوَانِ إِلَّا بِمُشَاكَلَتِهِ  
إِيَّاهَا فَأَمَّا الرُّوحُ الَّتِي فِي النَّبَاتِ فَإِنَّهَا يَسِيرَةٌ فِيهَا غِلْظٌ وَكَثَافَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَعْرِقَةٌ  
كَامِنَةٌ فِيهِ لِغِلْظِهَا وَغِلْظِ جَسَدِ النَّبَاتِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ لِغِلْظِهَا وَغِلْظِ رُوحِهَا وَالرُّوحُ  
الْمُسْتَحَرَكَةُ أَلْفٌ مِنَ الرُّوحِ الْكَامِنَةِ كَثِيرًا وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَحَرَكَةَ لَهَا قَبُولُ الْغِذَاءِ  
وَالْتَقَلُّ وَالتَّنَفُّسُ وَلَيْسَ لِلْكَامِنَةِ غَيْرُ قَبُولِ الْغِذَاءِ وَحَدُّهُ وَلَا تَجَرِي إِذَا قِيسَتْ بِالرُّوحِ  
الْحَيَّةِ إِلَّا كَالْأَرْضِ عِنْدَ الْمَاءِ كَذَلِكَ النَّبَاتُ عِنْدَ الْحَيَوَانِ فَالْعَمَلُ فِي الْحَيَوَانِ أَعْلَى  
وَأَرْفَعُ وَأَهْوَنُ وَأَيْسَرُ فَيَتَّبِعِي لِلْعَاقِلِ إِذَا عَرَفَ ذَلِكَ أَنْ يُجَرِّبَ مَا كَانَ سَهْلًا وَيَتْرَكَ مَا  
يَجْشَى فِيهِ عُسْرًا وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَيَوَانَ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ يَنْقَسِمُ أَقْسَامًا مِنْ الْأُمَمَاتِ الَّتِي  
هِيَ الطَّبَائِعُ وَالْحَدِيثَةُ الَّتِي هِيَ الْمَوَالِيدُ وَهَذَا مَعْرُوفٌ مُتَيَسِّرٌ الْفَهْمُ فَلِذَلِكَ قَسَمْتُ



الْحِكْمَاءُ الْعَنَاصِرَ وَالْمَوَالِيدَ أَقْسَامًا حَيَّةً وَأَقْسَامًا مَيِّتَةً فَجَعَلُوا كُلَّ مُتَحَرِّكِ فَاعِلًا  
حَيًّا وَكُلَّ سَاكِنٍ مَفْعُولًا مَيِّتًا وَقَسَمُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَفِي الْأَجْسَادِ الدَّائِبَةِ  
وَفِي الْعَقَائِدِ التَّعَدِّيَةِ فَسَمَوْا كُلَّ شَيْءٍ يَذُوبُ فِي النَّارِ وَيَطِيرُ وَيَشْتَعِلُ حَيًّا وَمَا كَانَ  
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ سَمَوْهُ مَيِّتًا فَأَمَّا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ فَسَمَوْا كُلَّ مَا أَنْفَصَلَ مِنْهَا طَبَائِعَ أَرْبَعًا  
حَيًّا وَمَا لَمْ يَنْفَصِلْ سَمَوْهُ مَيِّتًا ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْحَيَّةِ فَلَمْ يَجِدُوا لَوْفَقِ هَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ ثَمًّا يَنْفَصِلُ فَعَمَلُوا أَرْبَعَةَ ظَاهِرَةً لِلْعِيَانِ وَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الْحَجَرِ الَّذِي فِي  
الْحَيَوَانِ فَبَحَثُوا عَنْ جَنْسِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَخَذُوهُ وَدَبَّرُوهُ فَتَكَيَّفَ لَهُمْ مِنْهُ الَّذِي أَرَادُوا  
وَقَدْ يَتَكَيَّفُ مِثْلُ هَذَا فِي الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَمْعِ الْعَقَائِدِ وَخَطِّهَا ثُمَّ تُفَصَّلُ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَأَمَّا النَّبَاتُ فَمِنْهُ مَا يَنْفَصِلُ بِبَعْضِ هَذِهِ الْفُضُولِ مِثْلُ الْأَشْنَانِ وَأَمَّا الْمَعَادِنُ فَفِيهَا  
أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ وَأَنْفَاسٌ إِذَا مُرِجَتْ وَذِيرَتْ كَانَ مِنْهَا مَا لَهُ تَأْتِيرٌ وَقَدْ دَبَّرْنَا كُلَّ  
ذَلِكَ فَكَانَ الْحَيَوَانُ مِنْهَا أَعْلَى وَأَرْفَعَ وَتَدْبِيرُهُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ فَيَتَّبِعِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا هُوَ  
الْحَجَرُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَيَوَانِ وَطَرِيقَ وَجُودِهِ إِنَّا بَيِّنَّا أَنَّ الْحَيَوَانَ أَرْفَعُ الْمَوَالِيدِ وَكَذَا  
مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ فَهُوَ أَلْفٌ مِنْهُ كَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّمَا كَانَ النَّبَاتُ أَلْفٌ مِنَ الْأَرْضِ  
لأنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَوْهَرِهِ الصَّافِي وَجَسَدِهِ اللَّطِيفِ فَوَجِبَ لَهُ بِذَلِكَ اللَّطَافَةِ وَالرِّقَّةِ وَكَذَا  
هَذَا الْحَجَرُ الْحَيَوَانِيُّ يَمْتَزِلُهُ النَّبَاتُ فِي التُّرَابِ وَبِالْجَمْلَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ شَيْءٌ  
يَنْفَصِلُ طَبَائِعَ أَرْبَعًا غَيْرَهُ فَافْهَمْ هَذَا الْقَوْلَ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَحْقُقُ إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بَيْنَ الْجَهَالَةِ  
وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَا هِيَ هَذَا الْحَجَرُ وَأَعْلَمْتُكَ جَنْسَهُ وَأَنَا أُبَيِّنُ لَكَ  
وُجُوهَ تَدَابِيرِهِ حَتَّى يَكْمُلَ الَّذِي شَرَطْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْإِنْصَافِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
(التدبير على بركة الله) خُذِ الْحَجَرَ الْكَرِيمَ فَأَوْدِعْهُ الْقُرْعَةَ وَالْإِنْسِقَ وَفَصِّلْ  
طَبَائِعَهُ الْأَرْبَعَ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَهِيَ الْجَسَدُ وَالصَّبْغُ فَإِذَا عَزَلْتَ  
الْمَاءَ عَنِ التُّرَابِ وَالْهَوَاءَ عَنِ النَّارِ فَارْفَعْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي إِنَائِهِ عَلَى حِدَةٍ وَخُذِ الْهَابِطَ  
أَسْفَلَ الْإِنَاءِ وَهُوَ الثَّقُلُ فَأَغْسِلْهُ بِالنَّارِ الْحَارَّةِ حَتَّى تُذْهِبَ النَّارُ عَنْهُ سَوَادَهُ وَيَزُولَ  
غَلْظُهُ وَجَفَاؤُهُ وَيَبْيَضُّهُ تَبْيِضًا مُحْكَمًا وَطَيِّرْ عَنْهُ فَضُولَ الرُّطُوبَاتِ الْمُسْتَجِنَّةِ فِيهِ فَإِنَّهُ  
يَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَاءً أَبْيَضَ لَا ظُلْمَةَ فِيهِ وَلَا وَسَخَ وَلَا تَضَادَّ ثُمَّ اعْمُدْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ  
الْأُولَى الصَّاعِدَةِ مِنْهُ فَطَهِّرْهَا أَيْضًا مِنَ السَّوَادِ وَالتَّضَادِّ وَكَرِّرْ عَلَيْهَا الْغَسْلَ وَالتَّصْفِيدَ

حَتَّى تَلُطِفَ وَتَرِقَ وَتَضْفُو فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَابِدًا بِالتَّرَكِيبِ الَّذِي  
 عَلَيْهِ مَدَارُ الْعَمَلِ وَذَلِكَ أَنَّ التَّرَكِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّرْوِيجِ وَالتَّعْفِينِ فَأَمَّا التَّرْوِيجُ  
 فَهُوَ اخْتِلَاطُ اللَّطِيفِ بِالْغَلِيظِ وَأَمَّا التَّعْفِينُ فَهُوَ التَّمْشِيَةُ وَالسَّحْقُ حَتَّى يَخْتَلِطَ بَعْضُهُ  
 بِبَعْضٍ وَيَصِيرَ شَيْئًا وَاحِدًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ بِمَثَرَةِ الْأَمْتَرِاجِ بِالمَاءِ فَعِنْدَ  
 ذَلِكَ يَقْوَى الْغَلِيظُ عَلَى إِمْسَاكِ اللَّطِيفِ وَتَقْوَى النَّفْسُ عَلَى النُّعُوضِ فِي الْأَجْسَادِ وَالدَّيْبِ  
 فِيهَا وَإِنَّمَا وَجَدَ ذَلِكَ بَعْدَ التَّرَكِيبِ لِأَنَّ الْجَسَدَ الْمُحَلُولَ لَمَّا أَرْدَوْجَ بِالرُّوحِ مَا زَجَّهُ  
 بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَدَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لِنَشَاكِلِهَا فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا وَوَجِبَ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنْ يَغْرَضَ لِلرُّوحِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ وَالْبَقَاءِ وَالنُّبُوتِ وَمَا يَغْرَضُ لِلْجَسَدِ لِمَوْضِعِ  
 الْأَمْتَرِاجِ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا أَمْتَرَجَتْ بِهِمَا وَدَخَلَتْ فِيهِمَا بِخِدْمَةِ التَّدْبِيرِ اخْتَلَطَتْ  
 أَجْزَاؤُهَا بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْآخَرَيْنِ أَعْنَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَصَارَتْ هِيَ وَهُمَا شَيْئًا وَاحِدًا  
 لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بِمَثَرَةِ الْجُزْءِ الْكُلِّيِّ الَّذِي سَلِمَتْ طَبَائِعُهُ وَأَتَّفَقَتْ أَجْزَاؤُهُ فَإِذَا  
 أَلْقَى هَذَا الْمُرَكَّبُ الْجَسَدَ الْمُحَلُولَ وَالْحَافِظَ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَظْهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ عَلَى وَجْهِهِ  
 ذَابَ فِي الْجَسَدِ الْمُحَلُولِ وَمِنْ شَأْنِ الرُّطُوبَةِ الْإِسْتِمَالُ وَتَعَلَّقُ النَّارُ بِهَا فَإِذَا أَرَادَتْ  
 النَّارُ اتِّعَاقَ بِهَا مَنَعَهَا مِنَ الْإِتِّحَادِ بِالنَّفْسِ بِمَازِجَةِ الْمَاءِ لَهَا فَإِنَّ النَّارَ لَا تَتَّحِدُ بِالذَّهْنِ  
 حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَكَذَلِكَ الْمَاءُ مِنْ شَأْنِهِ النُّفُورُ مِنَ النَّارِ فَإِذَا أَلْتِ عَلَيْهِ النَّارُ وَأَرَادَتْ  
 تَطْيِئَهُ حَبَسَهُ الْجَسَدُ الْيَاسُ الْمُنَازِجُ لَهُ فِي جَوْفِهِ فَمَنَعَهُ مِنَ الطَّيَرَانِ فَكَانَ الْجَسَدُ  
 عِلَّةً لِإِمْسَاكِ الْمَاءِ وَالْمَاءُ عِلَّةً لِبَقَاءِ الذَّهْنِ وَالذَّهْنُ عِلَّةً لِثَبَاتِ الصِّغَرِ وَالصِّغَرُ عِلَّةً  
 لظُهُورِ الذَّهْنِ وَإِظْهَارِ الدِّهْنِيَّةِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُظْلِمَةِ الَّتِي لَا نُورَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ فِيهَا فَهَذَا  
 هُوَ الْجَسَدُ الْمُسْتَقِيمُ وَهَكَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ وَهَذِهِ التَّصْفِيَةُ الَّتِي سَأَلْتُ عَنْهَا وَهِيَ الَّتِي  
 سَمَّيْتُهَا الْحُكْمَاءَ بَيِّضَةً وَإِيَّاهَا يَعْتَوْنَ لَا بَيِّضَةَ الدَّجَاجِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَاءَ لَمْ يُسَمَّيْهَا  
 بِهَذَا الْأَسْمِ لِغَيْرِ مَعْنَى بَلْ أَشْبَهَتْهَا وَلَقَدْ سَأَلْتُ مَسَاحَةَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرِي  
 فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ أَخْبِرْنِي لِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّيْتَ الْحُكْمَاءَ مُرَكَّبَ الْخِيَوَانِ  
 بَيِّضَةً اخْتِيَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ أَمْ لِمَعْنَى دَعَاؤِهِمْ إِلَيْهِ فَقَالَ هَلْ لِمَعْنَى غَامِضٍ فَقُلْتُ أَيُّهَا  
 الْحَكِيمُ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْفَعَةِ وَالْإِسْتِدْلَالِ عَلَى الصَّنَاعَةِ حَتَّى شَبَّهُوا  
 وَسَمَّوْهَا بَيِّضَةً فَقَالَ لِشَبَّهَهَا وَقَرَابَتِهَا مِنَ الْمُرَكَّبِ فَفَكَّرْتُ فِيهِ فَإِنَّهُ سَيُظْهِرُ لَكَ مَعْنَاهُ



فَبَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُفَكِّراً لَا أَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَعْنَاهُ فَلَمَّا رَأَى مَا بِي مِنَ الْفِكَرِ  
وَأَنَّ نَفْسِي قَدْ مَضَتْ فِيهَا أَخَذَ بَعْضِي وَهَزَنِي هَزَةً خَفِيفَةً وَقَالَ لِي يَا أَبَا بَكْرٍ ذَلِكَ  
لِلنِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا فِي كَمِّيَةِ الْأَلْوَانِ عِنْدَ امْتِزَاجِ الطَّبَائِعِ وَتَأْلِيْنِهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَنْجَلَتْ  
عَنِّي الظُّلْمَةَ وَأَضَاءَ لِي نُورَ قَلْبِي وَقَوِي عَظْمِي عَلَى فَهْمِهِ فَتَهَضُّتُ شَاكِراً لِلَّهِ عَلَيْهِ إِلَى  
مَنْزِلِي وَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ شُكْلاً هَنْدَسِيّاً يُبْرَهُنُ بِهِ عَلَى صِحَّةٍ مَا قَالَهُ مُسَلِّمَةً وَأَنَا وَاضِعُهُ  
بِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ . مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُرَكَّبَ إِذَا تَمَّ وَكَمُلَ كَانَ نِسْبَةً مَا فِيهِ مِنْ  
طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ كَنِسْبَةِ مَا فِي الْمُرَكَّبِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ إِلَى مَا فِي الْبَيْضَةِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ  
وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَتَانِ الْآخِرَتَانِ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ فَأَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ مُتَسَاوَيْنَيْنِ عَلَى هَذِهِ  
الْصِفَةِ هُمَا مُتَشَابِهَانِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ تَجَلُّلَ لِسَطَحِ الْبَيْضَةِ هُزُوحٌ فَإِذَا أَرَدْنَا ذَلِكَ فَإِنَّا  
نَأْخُذُ أَقْلَ طَبَائِعِ الْمُرَكَّبِ وَهِيَ طَبِيعَةُ الْيُوسَةِ وَنُضِيفُ إِلَيْهَا مِثْلَهَا مِنْ طَبِيعَةِ الرُّطُوبَةِ  
وَنُذَبِّرُهُمَا حَتَّى انْتَشِفَ طَبِيعَةُ الْيُوسَةِ طَبِيعَةُ الرُّطُوبَةِ وَتُقْبَلَ قُوَّتُهَا وَكَأَنَّ فِي هَذَا  
الْكَلَامِ رَمْزاً وَلَكِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ثُمَّ تُعْمَلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعاً مِثْلِيَهُمَا مِنَ الرُّوحِ  
وَهُوَ الْمَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ سِتَّةَ أَمْثَالٍ ثُمَّ تَعْمَلُ عَلَى الْجَمِيعِ بَعْدَ التَّذْبِيرِ مِثْلاً مِنْ  
طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي هِيَ النَّفْسُ وَذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ تِسْعَةَ أَمْثَالِ الْيُوسَةِ  
بِالْقُوَّةِ وَتَجْعَلُ تَحْتَ كُلِّ ضِلْعَيْنِ مِنَ الْمُرَكَّبِ الَّذِي طَبِيعَتُهُ مُحِيطَةٌ بِسَطْحِ الْمُرَكَّبِ  
طَبِيعَتَيْنِ فَتَجْعَلُ أَوَّلَ الضِّلْعَيْنِ الْمُحِيطَيْنِ بِسَطْحِهِ طَبِيعَةَ الْمَاءِ وَطَبِيعَةَ الْهَوَاءِ وَهُمَا ضِلْعَانِ  
أ ح د وَسَطْحِ ا ب ج د وَكَذَلِكَ الضِّلْعَانِ الْمُحِيطَانِ بِسَطْحِ الْبَيْضَةِ اللَّذَانِ هُمَا الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
ضِلْعَانِ هُزُوحٌ فَأَقُولُ إِنَّ سَطْحَ ا ب ج د يُشَبِّهُ سَطْحَ هُزُوحِ طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي تُسَمَّى نَفْساً وَكَذَلِكَ  
ب ج د مِنْ سَطْحِ الْمُرَكَّبِ وَالْحُكْمُ لَمْ تُسَمَّ شَيْئاً بِاسْمِ شَيْءٍ إِلَّا لِشَبْهِهِ بِهِ وَالْكَلِمَاتُ  
الَّتِي سَأَلْتُ عَنْ شَرْحِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَهِيَ الْمُتَعَدَّةُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ  
وَالنَّحَاسُ هُوَ الَّذِي أُخْرِجَ سَوَادُهُ وَقُطِعَ حَتَّى صَارَ هَبَاءً ثُمَّ حُبِرَ بِالرَّاجِ حَتَّى صَارَ  
نَخَاسِيّاً وَالتَّنْفِيسِيّاً حَبْرُهُمُ الَّذِي تَجَمُّدُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَتُخْرِجُهُ الطَّبِيعَةُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي  
تَسْتَحِنُّ فِيهَا الْأَرْوَاحُ لِتَقَابِلَ عَلَيْهَا النَّارُ وَالْفَرْقَةُ لَوْ أَنَّ أَحْمَرَ قَانٍ يُعَدُّهُ الْكِيَانُ  
وَالرَّصَاصُ حَبْرٌ لَهُ ثَلَاثُ قُوَى مُخْتَلِفَةٍ الشُّخُوصِ وَلَكِنَّهَا مُتَشَاكِلةٌ وَمُتَجَانِسَةٌ  
خَالِوُاحِدَةٌ رُوحَانِيَّةٌ نَبْرَةٌ صَافِيَةٌ وَهِيَ الْفَاعِلَةُ وَالثَّانِيَةُ نَفْسَانِيَّةٌ وَهِيَ مُتَحَرِّكَةٌ حَسَّاسَةٌ



غَيْرَ أَنَّهَا أَغْلَظُ مِنَ الْأُولَى وَمُرَكَّرًا دُونَ مَرَكَّرِ الْأُولَى وَالثَّلَاثَةُ قُوَّةُ أَرْضِيَّةِ  
حَاسَّةٍ قَابِضَةٍ مُنْعَكِسَةٍ إِلَى مَرَكَزِ الْأَرْضِ لِثِقَلِهَا وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ  
جَمِيعًا وَالْمُحِيطَةُ بِهِمَا وَأَمَّا سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَمُسْتَدَعَةٌ وَمُخْتَرَعَةٌ إِبْسَاسًا عَلَى أَجَاهِلٍ وَمَنْ  
عَرَفَ الْمُقَدَّمَاتِ اسْتَعْتَى عَنْ غَيْرِهَا . فَهَذَا جَمِيعُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ  
مَفْسَرًا وَتَرْجُومَةً بِتَوْفِيقِ اللَّهِ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ بَشْرُونَ وَهُوَ مِنْ  
كِبَارِ تَلَامِيذِ مَسَلَّةَ الْجَرِيطِيِّ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمِيَاءِ وَالنَّبِيَاءِ  
وَالسِّحْرِ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ وَمَا بَعْدَهُ وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ الْأَنَاطَةَ كُلَّهَا فِي الصَّنَاعَةِ  
إِلَى الرَّمْزِ وَالْأَلْفَازِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَبِينُ وَلَا تُعْرَفُ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصِنَاعَةِ  
طَبِيعَةٍ . وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي أَمْرِ الْكِيمِيَاءِ وَهُوَ الْخَلْقُ الَّذِي يَعْضُدُهُ الْوَاقِعُ أَنَّهَا  
مِنْ جِنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَتَصَرُّفُهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ إِمَّا مِنْ نَوْعِ الْكَرَامَةِ  
إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً أَوْ مِنْ نَوْعِ السِّحْرِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ شَرِّيرَةً فَاجِرَةً فَأَمَّا  
الْكَرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ وَأَمَّا السِّحْرُ فَلَا أَنَّ السَّاحِرَ كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانٍ تَحْقِيقِهِ يَغْلِبُ الْأَعْيَانِ  
الْمَادِّيَّةَ بِقُوَّتِهِ السِّحْرِيَّةِ وَلَا بُدَّ لَهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَتَعَمَّقُ فِيهَا السِّحْرِيُّ فِيهَا  
كَتَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ الْأَرَابِ أَوِ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَبِالْجَمَلَةِ مِنْ غَيْرِ  
مَادَّتِهَا الْمُخْصُوصَةِ بِهَا كَمَا وَقَعَ لِسَحْرَةِ فِرْعَوْنَ فِي الْحَبَالِ وَالْصَّيِّ وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ  
سَحْرَةِ السُّودَانِ وَالْهُنُودِ فِي قَاصِيَةِ الْجُوبِ وَالْأَرْدَنِ فِي قَاصِيَةِ الشَّامِ أَنَّهُمْ يَسْجُرُونَ  
الْجَوْ لِلْأَمْطَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَلَكِنَّا كَانَتْ هَذِهِ تَخْلِيقًا لِلذَّهَبِ فِي غَيْرِ مَادَّتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ  
كَانَ مِنْ قَبْلِ السِّحْرِ وَالْمُسْكَلُونَ فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْحُكَمَاءِ مِثْلَ جَابِرٍ وَمَسَلَّةَ  
وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ حُكَمَاءِ الْأُمَمِ إِنَّمَا نَحْوُوا هَذَا الْمَنْحَى وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِيهِ  
الْغَاثُ حَذَرًا عَلَيْهَا مِنْ أَنْكَارِ الشَّرَائِعِ عَلَى السِّحْرِ وَأَنْوَاعِهِ لَا أَنَّ ذَلِكَ يُوْجَعُ إِلَى  
الضَّنَانَةِ بِهَا كَمَا هُوَ رَأْيُ مَنْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ وَأَنْظُرْ كَيْفَ سَمَّى مَسَلَّةَ  
كِتَابَهُ فِيهَا رُتْبَةَ الْحَكِيمِ وَسَمَّى كِتَابَهُ فِي السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ غَايَةَ الْحَكِيمِ إِشَارَةً  
إِلَى عُمُومِ مَوْضُوعِ الْغَايَةِ وَخُصُوصِ مَوْضُوعِ هَذِهِ لِأَنَّ الْغَايَةَ أَعْلَى مِنَ الرُّتْبَةِ فَكَانَ  
مَسَائِلَ الرُّتْبَةِ بَعْضٌ مِنْ مَسَائِلِ الْغَايَةِ وَتُشَارِكُهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَمِنْ كَلَامِهِ فِي الْفَتَنِ  
يَتَبَيَّنُ مَا قُلْنَاهُ وَنَحْنُ نُبَيِّنُ فِيمَا بَعْدُ غَلَطَ مَنْ يُزْعَمُ أَنَّ مَدَارِكَ هَذَا الْأَمْرِ بِالصَّنَاعَةِ

## الفصل الرابع والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها

هذا الفصل وما بعده مهم لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك أن قوماً من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعلاها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فإنها بعض من مدارك العقل وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوثوا على إصابة الغرض منه ووضعوا قانوناً يهتدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل وسئوه بالمنطق ومحصل ذلك أن النظر الذي يفيذ تمييز الحق من الباطل إنما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها أولاً صوراً منطقية على جميع الأشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النفوس التي ترسبها في طين أو شمع وهذه مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الأوائل ثم تجرد من تلك المعاني الكلية إذا كانت مشتركة مع معانٍ أخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معانٍ أخرى وهي التي اشتراك بها ثم تجرد ثانياً إن شاركها غيرها وثالثاً إلى أن ينتهي التجريد إلى المعاني البسيطة الكلية المنطقية على جميع المعاني والأشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الأجسام العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني فإذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطلب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من إضافة بعضها إلى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصوراً صحيحاً مطابقاً إذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر وصنف التصديق الذي هو تلك الإضافة والحكم المتقدم عندهم على صنف التصور في النهاية والتصور المتقدم عليه في الداء والتعليم لأن التصور الثام عندهم هو غاية الطلب الإدراكي وإنما

التَّصَدِيقُ وَسِيْلَةٌ لَهُ وَمَا تَسْمَعُهُ فِي كُتُبِ الْمُنْطِقِيَيْنِ مِنْ تَقَدُّمِ التَّصَوُّرِ وَتَوَقُّفِ  
التَّصَدِيقِ عَلَيْهِ فَيَمْتَنِي الشُّعُورِ لَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ الْقَامِ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ كَثِيرِهِمْ أَرِسْطُو  
ثُمَّ يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الوجودَاتِ كُلِّهَا مَا فِي الْخَيْرِ وَمَا وَرَاءَ الْخَيْرِ  
بِهَذَا النَّظَرِ وَتِلْكَ الْبَرَاهِينُ. وَحَاصِلُ مَدَارِكِهِمْ فِي الوجودِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَمَا آتَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي  
فَرَعُوا عَلَيْهِ قَضَايَا أَنْظَارِهِمْ أَنَّهُمْ عَثَرُوا أَوَّلًا عَلَى الْجِسْمِ السُّفْلِيِّ بِحُكْمِ الشُّهُودِ وَالْخَيْرِ ثُمَّ تَرَقَّى  
إِدْرَاكُهُمْ قَلِيلًا فَشَعَرُوا بِوجودِ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ الْحَرَكَةِ وَالْخَيْرِ فِي الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ أَحْسَوْا مِنْ  
قُوَى النَّفْسِ بِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَوَقَفَ إِدْرَاكُهُمْ فَقَضَوْا عَلَى الْجِسْمِ الْعَالِي السَّمَاءِيِّ بِنَحْوِ مَنْ الْقَضَاءِ  
عَلَى أَمْرِ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَوَجِبَ عَنْدهُمْ أَنَّ يَكُونَ لِلْفَلَكِ نَفْسٌ وَعَقْلٌ كَمَا لِلْإِنْسَانِ ثُمَّ  
أَنهَرُوا ذَلِكَ نِهَآيَةً عَدَدِ الْآحَادِ وَهِيَ الْعَشْرُ تِسْعٌ مُفَصَّلَةٌ ذَوَاتُهَا جَمَلٌ وَوَاحِدٌ أَوَّلٌ مُفْرَدٌ  
وَهُوَ الْعَالِيُّ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الوجودِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنَ الْقَضَاءِ مَعَ  
تَهْدِيبِ النَّفْسِ وَتَحْلُفِهَا بِالْفَضَائِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ تُمْكِنٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ شَرْعٌ لِمَيِّزِهِ  
بَيْنَ الْفَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ بِمُقْتَضَى عَقْلِهِ وَنَظَرِهِ وَمِيلِهِ إِلَى الْمُحْسِنِ مِنْهَا  
وَأَجْتِنَابِهِ لِلْمَذْمُومِ بِفِطْرَتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ لِلنَّفْسِ حَصَلَتْ لَهَا الْبَهْجَةُ وَاللَّذَّةُ وَأَنَّ  
الْجَهْلَ بِذَلِكَ هُوَ الشَّقَاءُ السَّرْمَدِيُّ وَهَذَا عَنْدهُمْ هُوَ مَعْنَى النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى  
خَبْطِ لَهُمْ فِي تَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَعْرُوفٍ فِي كَلِمَاتِهِمْ وَإِمَامُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الَّذِي حَصَلَ  
مَسَائِلُهَا وَدَوَّنَ عِلْمَهَا وَسَطَّرَ حُجَجَهَا فِيهَا بَلَغًا فِي هَذِهِ الْأَحْقَابِ هُوَ أَرِسْطُو الْمُقَدُّونِيُّ مِنْ  
أَهْلِ مُقَدُونِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مِنْ تَلَامِيذِ أَفْلَاطُونٍ وَهُوَ مُعَلِّمُ الْأَيْسْكََنْدَرِ وَيُسَمُّونَهُ  
الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَعْنُونَ مُعَلِّمَ صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ إِذْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَهُ مُهْدَبَةً  
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ قَانُونَهَا وَاسْتَوْفَى مَسَائِلَهَا وَأَحْسَنَ بَسْطَهَا وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِي ذَلِكَ الْقَانُونِ  
مَا شَاءَ لَوْ تَكَفَّلَ لَهُ بِقَصْدِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ أَخَذَ  
بِتِلْكَ الْمَذَاهِبِ وَاتَّبَعَ فِيهَا رَأْيَهُ حَذَوُ الْعِلِّ بِالْعِلِّ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ وَذَلِكَ أَنَّ كُتُبَ  
أُولَئِكَ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمَّا تَرَجَّهَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنَ اللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ إِلَى اللِّسَانِ  
الْعَرَبِيِّ تَصَفَّحَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَأَخَذَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ مِنْ مُنْتَجَلِي  
الْعُلُومِ وَجَادَلُوا عَنْهَا وَاخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ مِنْ تَفَارِيحِهَا وَكَانَ مِنْ أَشْهُرِهِمْ أَبُو نَصْرِ الْفَارَابِيُّ  
فِي الْبَائَةِ الرَّابِعَةِ لِعَهْدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا فِي الْبَائَةِ الْخَامِسَةِ لِعَهْدِ نِظَامِ



الْمَلِكِ مِنْ بَنِي يُوَيْهِ بِأَصْبَهَانَ وَغَيْرُهَا وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ بَاطِلٌ  
 بِجَمِيعِ وُجُوهِهِ فَأَمَّا إِسْنَادُهُمُ التَّوْجُودَاتِ كُلَّهَا إِلَى الْعَقْلِ الْأَوَّلِ وَاعْتِقَادُهُمْ بِهِ فِي  
 التَّرْتِيقِ إِلَى الْوَاجِبِ فَهُوَ قُصُورٌ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رُتَبِ خَلْقِ اللَّهِ فَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا  
 مِنْ ذَلِكَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَكَانَتْهُمْ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى إِبْثَاتِ الْعَقْلِ فَقَطُّ وَالْعَقْلُ عَمَّا  
 وَرَاءَهُ بِمِثَابَةِ الطَّبِيعِينَ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى إِبْثَاتِ الْأَجْسَامِ خَاصَّةً الْمُعْرِضِينَ عَنِ النُّقْلِ  
 وَالْعَقْلُ الْمُتَقَدِّمُ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الْجِسْمِ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ شَيْءٌ وَأَمَّا الْبَرَاهِينُ الَّتِي يَزْعُمُونَهَا  
 عَلَى مُدَعِيَاتِهِمْ فِي التَّوْجُودَاتِ وَيَعْرِضُونَهَا عَلَى مِيزَانِ الْمَنْطِقِ وَقَانُونِهِ فَهِيَ قَاصِرَةٌ وَغَيْرُ  
 وَافِيَةٍ بِالْغَرَضِ أَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي التَّوْجُودَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الطَّبِيعِيَّ فَوَاجِبُهُ  
 قُصُورُهُ أَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ تِلْكَ النَّاتِجِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ بِالْحُدُودِ وَالْأَقْسَةِ كَمَا  
 فِي دَعْوِهِمْ وَبَيْنَ مَا فِي الْخَارِجِ غَيْرُ يَقِينٍ لِأَنَّ تِلْكَ أَحْكَامَ ذِهْنِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ عَامَّةٍ  
 وَالتَّوْجُودَاتُ الْخَارِجِيَّةُ مُتَشَخِّصَةٌ بِمَوَادِّهَا وَلَعَلَّ فِي التَّوَادِّ مَا يَمْنَعُ مُطَابَقَةَ الذِّهْنِيَّةِ  
 الْكُلِّيَّةِ لِلْخَارِجِيِّ الشَّخْصِيِّ اللَّهُمَّ إِلَّا مَا لَا يَشْهَدُ لَهُ أَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلُهُ شُهُودُهُ  
 لَا تِلْكَ الْبَرَاهِينُ فَإِنَّ الْيَقِينَ الَّذِي يَجِدُونَهُ فِيهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ تَصَرُّفُ الذِّهْنِ أَيْضًا  
 فِي التَّعْثُولَاتِ الْأَوَّلِ الْمُطَابَقَةُ لِلشَّخْصِيَّاتِ بِالصُّورِ الْخَيَالِيَّةِ لَا فِي التَّعْثُولَاتِ الثَّوَانِي  
 الَّتِي تَجْرِيدُهَا فِي الرُّتَبَةِ الثَّانِيَةِ فَيَكُونُ الْحُكْمُ حِينَئِذٍ يَقِينًا بِمِثَابَةِ التَّحْسُوسَاتِ إِذْ  
 التَّعْثُولَاتُ الْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى مُطَابَقَةِ الْخَارِجِ لِكَمَالِ الْإِنْطِبَاقِ فِيهَا فَتُسَلِّمُ لَهُمْ حِينَئِذٍ  
 دَعَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا الْإِعْرَاضُ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا إِذْ هُوَ مِنْ تَرْكِ الْمُسْلِمِ  
 لَنَا لَا يَغْنِيهِ فَإِنَّ مَسَائِلَ الطَّبِيعِيَّاتِ لَا تُهَيِّئُنَا فِي دِينِنَا وَلَا مَعَاشِنَا فَوَجِبَ عَلَيْنَا تَرْكُهَا .  
 وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي التَّوْجُودَاتِ الَّتِي وَرَاءَ أَحْسَنِ وَهِيَ الرُّوحَانِيَّاتُ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ  
 الْإِلَهِيَّ وَعِلْمَ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّ ذَوَاتَهَا مَجْهُولَةٌ رَأْسًا وَلَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا وَلَا  
 الْبُرْهَانُ مَلِيَّهَا لِأَنَّ تَجْرِيدَ التَّعْثُولَاتِ مِنَ التَّوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ  
 مُمَكِّنٌ فِيمَا هُوَ مُدْرِكٌ لَنَا وَنَحْنُ لَا نُدْرِكُ الذَّوَاتِ الرُّوحَانِيَّةَ حَتَّى نُجَرِّدَ مِنْهَا مَا هِيَ  
 أُخْرَى بِحِجَابِ أَحْسَنِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَا يَتَأْتِي لَنَا بُرْهَانٌ عَلَيْهَا وَلَا مُدْرِكٌ لَنَا فِي إِبْثَاتِ  
 وَجُودِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ إِلَّا مَا نَجِدُهُ بَيْنَ جَنَّتَيْنَا مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَحْوَالِ مَدَارِكِهَا  
 وَخُصُوصًا فِي الرُّوْيَا الَّتِي هِيَ وَجْدَانِيَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَقِيقَتِهَا وَصِفَاتِهَا

فَأَمْرُ غَائِضٍ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَقَدْ صَرَحَ بِذَلِكَ مُحْتَمِلُهُمْ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ  
مَا لَا مَادَّةَ لَهُ لَا يُسَكِّنُ الْبُرْهَانَ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُقَدِّمَاتِ الْبُرْهَانِ مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتِيَّةً  
وَقَالَ كَبِيرُهُمْ أَفْلَاطُونُ إِنَّ الْأِلَهِيَّاتِ لَا يُوصَلُ فِيهَا إِلَى اثْنَيْنِ وَإِنَّا يُقَالُ فِيهَا بِالْأَخْلَقِ  
وَالْأَوَّلَى يَغْنِي الظَّنَّ وَإِذَا كُنَّا إِنَّا نَعْمَلُ بَعْدَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ عَلَى الظَّنِّ فَقَطُّ فَيَكْفِينَا  
الظَّنُّ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا فَأَيُّ فَائِدَةٍ لِهَذِهِ الْعُلُومِ وَالْإِسْتِمَالِ بِهَا وَنَحْنُ إِذَا عَنَانِيَّتَا بِتَحْصِيلِ  
الْيَقِينِ فِيهَا وَرَاءَ الْحِسِّ مِنَ التَّوْجُودَاتِ وَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ الْأَفْكَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إدْرَاكِ التَّوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِتِلْكَ الْبَرَاهِينِ فَقَوْلُ  
مَزِيْفٌ مَرْدُودٌ وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ جُزْأَيْنِ أَحَدُهُمَا جِسْمَانِيٌّ وَالْآخَرُ  
رُوحَانِيٌّ مُسْتَرَجٌّ بِهِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُزْأَيْنِ مَدَارِكٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ وَالْمَدْرِكُ فِيهِمَا وَاحِدٌ  
وَهُوَ الْجُزْءُ الرُّوحَانِيُّ يُدْرِكُ ثَلَاثَ مَدَارِكِ رُوحَانِيَّةٍ وَثَلَاثَ مَدَارِكِ جِسْمَانِيَّةٍ إِلَّا أَنَّ  
الْمَدَارِكِ الرُّوحَانِيَّةِ يُدْرِكُهَا بِذَاتِهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ بِوَاسِطَةِ آلَاتِ  
الْجِسْمِ مِنَ الدِّمَاغِ وَالْحَوَاسِ وَكُلُّ مَدْرِكٍ فَلَهُ ابْتِهَاجٌ بِمَا يُدْرِكُهُ وَأَعْتِبَرُهُ بِحَالِ الصِّي  
فِي أَوَّلِ مَدَارِكِهِ الْجِسْمَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِوَاسِطَةِ كَيْفٍ يَبْتَهِجُ بِمَا يُبْصِرُهُ مِنَ الضُّوءِ وَبِمَا  
يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِبْتِهَاجَ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي لِلنَّفْسِ مِنْ ذَاتِهَا بِغَيْرِ  
وَاسِطَةٍ يَكُونُ أَشَدَّ وَالَّذِي فَالْتَنَفُسُ الرُّوحَانِيَّةُ إِذَا شَعَرَتْ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ  
ذَاتِهَا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ حَصَلَ لَهَا ابْتِهَاجٌ وَلَذَّةٌ لَا يُعْبَرُ عَنْهَا وَهَذَا الْإِدْرَاكُ لَا يَحْصُلُ بِنَظَرٍ وَلَا  
عِلْمٍ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِكَشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ وَنِسْيَانِ الْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةُ  
كَثِيرًا مَا يُعْتَوْنَ بِحُصُولِ هَذَا الْإِدْرَاكِ لِلنَّفْسِ بِحُصُولِ هَذِهِ الْبَهْجَةِ فَيُحَاوِلُونَ بِالرِّيَاضَةِ  
إِمَامَةَ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَمَدَارِكِهَا حَتَّى الْفِكْرِ مِنَ الدِّمَاغِ وَلِيَحْصَلَ لِلنَّفْسِ إدْرَاكُهَا الَّذِي  
لَهَا مِنْ ذَاتِهَا عِنْدَ زَوَالِ الشَّوَاغِبِ وَالْتَوَانِعِ الْجِسْمَانِيَّةِ يَحْصُلُ لَهُمْ بَهْجَةٌ وَلَذَّةٌ لَا يُعْبَرُ  
عَنْهَا وَهَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ بِتَقْدِيرِ صَحَّةِ مُسَلِّمٍ لَهُمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ وَافٍ بِمَقْصُودِهِمْ فَأَمَّا  
قَوْلُهُمْ إِنَّ الْبَرَاهِينَ وَالْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ مُحْصَلَةٌ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْإِبْتِهَاجِ عَنْهُ قَبَاطِلُ  
كَمَا رَأَيْتُهُ إِذِ الْبَرَاهِينَ وَالْأَدِلَّةُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِأَنَّهَا بِالْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ  
مِنْ الْخِيَالِ وَالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نُعْنِي بِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْإِدْرَاكِ  
إِمَامَةُ هَذِهِ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا مُنَازَعَةٌ لَهُ قَادِحَةٌ فِيهِ وَتَجِدُ الْبَاهِرَ مِنْهُمْ عَاكِفًا



على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة وتلاخيص ابن رشد للقص من تأليف أرسطو  
وغيره يُعثر أوراقها ويتوثق من براهينها ويأتس هذا القسط من السعادة فيها ولا  
يعلم أنه يستكثر بذلك من المتوانع عنها ومستندهم في ذلك ما ينقلونه عن  
أرسطو والفارابي وابن سينا أن من حصل له إدراك العقل الفعّال واتّصل به في حياته  
فقد حصل حظه من هذه السعادة والعقل الفعّال عندهم عبارة عن أول رتبة ينكشف  
عنها الحس من رتب الروحانيات ويحصلون بالاتصال بالعقل الفعّال على الإدراك العلمي  
وقد رأيت فسادهم وإنّا يعني أرسطو وأصحابه بذلك الاتصال والإدراك إدراك النفس  
الذي لها من ذاتها وبغير واسطة وهو لا يحصل إلا بكشف حجاب الحس وأما قولهم  
إنّ البهجة الناشئة عن هذا الإدراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل أيضاً لأنّا  
إنّا تبين لنا بما قرروه أن وراء الحس مدركاً آخر للنفس من غير واسطة وأنّها تتبجح  
بإدراكها ذلك آيتها شديداً وذلك لا يعين لنا أنه عين السعادة الأخروية ولا بد  
بل هي من جملة التلاذّي التي يلك السعادة وأما قولهم إنّ السعادة في إدراك هذه  
التوجّودات على ما هي عليه فقول بطل مبني على ما كنّا قدّمناه في أصل التوحيد من  
الأوهام والأغلاط في أنّ الوجود عند كلّ مدرك منحصّر في مداركه وبينا فساد  
ذلك وإنّ الوجود أوسع من أن يحاط به أو يستوفى إدراكه بجملة روحانياً أو جسمانياً  
والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهيمهم أنّ الجزء الروحاني إذا فارق القوى  
الجسمانية أدرك إدراكاً ذاتياً له مختصاً بصنف من المدارك وهي التوجّودات التي  
أحاط بها علمنا وليس بعام الإدراك في التوجّودات كلّها إذ لم تنحصر وأنّه يتبجح  
بذلك النحر من الإدراك آيتها شديداً كما يتبجح الصبي بمداركه الحسية في أول  
نشوئه ومن لنا بعد ذلك بإدراك جميع التوجّودات أو بحصول السعادة التي وعدنا  
بها الشارع إن لم نعمل لها هيئات لئلا نؤعدون . وأما قولهم إنّ الإنسان مستقل  
بتهديب نفسه وإصلاحها بلبسة المعمود من الخلق ومجانبة المذموم فأمر مبني على  
أنّ آبتهاج النفس بإدراكها الذي لها من ذاتها هو عين السعادة الموعود بها لأن  
الردائل عابئة للنفس عن تمام إدراكها ذلك بما يعمل لها من الملكات الجسمانية  
والوانها وقد بيّنا أن أثر السعادة والشقاوة من وراء الإدراكات الجسمانية والروحانية

فهذا التَّهْدِيبُ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِنَّمَا نَفَعُهُ فِي الْبَهْجَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
الرُّوحَانِيِّ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ عَلَى مَقَائِيسَ وَقَوَائِنَ وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
بِهَا الشَّارِعُ عَلَى امْتِثَالِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ فَأَمْرٌ لَا يُحِيطُ بِهِ مَدَارِكُ  
الْمُدْرِكِينَ وَقَدْ تَنَبَّهَ لِذَلِكَ زَعِيمُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ  
مَا مَعْنَاهُ إِنَّ الْمَعَادَ الرُّوحَانِيَّ وَأَحْوَالَهُ هُوَ نِمَّا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَقَائِيسِ  
لَأَنَّهُ عَلَى نِسْبَةِ طَبِيعِيَّةٍ مَحْضُوظَةٍ وَوَرِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فَلَمَّا فِي الْبَرَاهِينِ عَلَيْهِ سَعَةٌ وَأَمَّا الْمَعَادُ  
الْجَسَدَانِيُّ وَأَحْوَالُهُ فَلَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكُهُ بِالْبَرَهَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ وَقَدْ  
بَسَطْنَاهُ لَنَا الشَّرِيعَةُ الْحَقَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا وَلْيَرْجِعْ فِي أَحْوَالِهِ إِلَيْهَا فَهَذَا الْعِلْمُ  
كَمَا رَأَيْتُهُ غَيْرُ وَافٍ بِمَقَاصِدِهِمُ الَّتِي حَرَّمُوا عَلَيْهَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرَائِعِ وَظَوَاهِرِهَا  
وَلَيْسَ لَهُ فِيمَا عَلَّمْنَا إِلَّا ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ شَحْذُ الذِّهْنِ فِي تَرْتِيبِ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجُجِ  
لِتَحْصِيلِ مِلْكَةِ الْجُودَةِ وَالصَّوَابِ فِي الْبَرَاهِينِ وَذَلِكَ أَنَّ نَظْمَ الْمَقَائِيسِ وَتَرْكِيبَهَا  
عَلَى وَجْهِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ هُوَ كَمَا شَرَطُوهُ فِي صِنَاعَتِهِمْ التَّنْظِيقِيَّةِ وَقَوْلِهِمْ بِذَلِكَ  
فِي عُلُومِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ وَهُمْ كَثِيرٌ مَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي عُلُومِهِمُ الْحِكْمِيَّةِ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْعَالَمِ وَمَا بَعْدَهَا فَيَسْتَوِلِي النَّظَرُ فِيهَا بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْبَرَاهِينِ بِشُرُوطِهَا عَلَى  
مِلْكَةِ الْإِتْقَانِ وَالصَّوَابِ فِي الْحُجُجِ وَالْإِسْتِدْلالاتِ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ وَافِيَةٍ  
بِمَحْصُودِهِمْ فَهِيَ أَصَحُّ مَا عَلَّمْنَاهُ مِنْ قَوَائِنِ الْأَنْظَارِ هَذِهِ ثَمَرَةٌ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ مَعَ  
الْإِطْلَاعِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَآرَائِهِمْ وَمُضَارِبِهَا مَا عَلِمْتَ فَلْيَكُنِ النَّظَرُ فِيهَا مُتَحَرِّزاً  
جَهْدُهُ مِنْ مَعَاطِيبِهَا وَلْيَكُنْ نَظَرُ مَنْ يَنْظُرُ فِيهَا بَعْدَ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى  
التَّفْسِيرِ وَالْفَقْهِ وَلَا يُكِبَنَّ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَهُوَ خَلُوهَا مِنْ عُلُومِ الْعِلْمَةِ فَقُلْ أَنْ يَسْلَمَ لِذَلِكَ مِنْ  
مَعَاطِيبِهَا وَأَنَّهُ الْمُؤْتَقُّ لِلصَّوَابِ وَالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى مَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

### الفصل الخامس والعشرون

في انبatal صناعة النجوم وضمف مداركها وفساد غايتها

هَذِهِ الصِّنَاعَةُ يُزَعَمُ أَصْحَابُهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِهَا الْكَائِنَاتِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ قَبْلَ حُدُوثِهَا  
مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرِهَا فِي الْمَوْلِدَاتِ الْغَضَرِيَّةِ مُفَوَّذَةً وَمُجْتَمِعَةً  
فَتَكُونُ لِذَلِكَ أَوْضَاعُ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ دَالَّةً عَلَى مَا سَيَحْدُثُ مِنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ



الكَائِنَاتِ الْكُلِّيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ فَالْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَعْرِفَةَ قُوَى الْكَوَاكِبِ  
وَتَأَثِيرَاتِهَا بِالتَّجَرُّبَةِ وَهُوَ أَمْرٌ تُقْصِرُ الْأَعْيَارُ كُلُّهَا لَوْ اجْتَمَعَتْ عَنْ تَحْصِيلِهِ إِذَا التَّجَرُّبَةُ  
إِنَّمَا تَحْصُلُ فِي التَّرَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ بِالتَّكَرُّارِ لِيَحْصَلَ عَنْهَا الْعِلْمُ أَوْ الظَّنُّ وَأَدْوَارُ  
الْكَوَاكِبِ مِنْهَا مَا هُوَ طَوِيلٌ الزَّمَنِ فَيَحْتَاجُ تَكَرُّرَهُ إِلَى آمَادٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ  
يَتَقَاصَرُ عَنْهَا مَا هُوَ طَوِيلٌ مِنْ أَعْيَارِ الْعَالَمِ وَرُبَّمَا ذَهَبَ ضَعْفًا مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ  
قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأَثِيرَاتِهَا كَانَتْ بِالْوَحْيِ وَهُوَ رَأْيٌ قَائِلٌ وَقَدْ كَفَوْنَا مُؤْنَةً إِبْطَالِهِ  
وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ فِيهِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ  
الصَّنَائِعِ وَأَنَّهُمْ لَا يَتَعَرَّضُونَ لِلْإِجْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَنْ اللَّهِ فَكَيْفَ  
يَدْعُونَ اسْتِنْبَاطَهُ بِالصَّنَاعَةِ وَيُشِيرُونَ بِذَلِكَ لِتَابِعِيهِمْ مِنَ الْخَلْقِ وَأَمَّا بَطْلَانُ مَنْ  
تَبِعَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَيَرَوْنَ أَنَّ دَلَالََةَ الْكَوَاكِبِ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةٌ طَبِيعِيَّةٌ مِنْ قِبَلِ مِزَاجِ  
يَحْصُلُ لِلْكَوَاكِبِ فِي الْكَائِنَاتِ الْعُنْصُرِيَّةِ قَالَ لِأَنَّ فِعْلَ النَّبَرِ وَأَثَرَهُمَا فِي الْعُنْصُرِيَّاتِ  
ظَاهِرٌ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَعْدُهُ مِثْلَ فِعْلِ الشَّمْسِ فِي تَبَدُّلِ الْفُضُولِ وَأَمْرِجَتِهَا وَنُضْجِ الثَّمَارِ  
وَالزَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِعْلَ الْقَمَرِ فِي الرُّطُوبَاتِ وَالْمَاءِ وَإِنْضَاجِ التَّوَادِ الْمُتَعَفِّقَةِ  
وَفَرَاكِهِ الْقَنَاءِ وَسَائِرِ أَفْعَالِهِ ثُمَّ قَالَ وَلَنَا فِيهَا بَعْدَهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ طَرِيقَانِ الْأَوَّلَى التَّقْلِيدُ  
لِمَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُشْعِرٍ لِلنَّفْسِ الثَّانِيَةِ الْخُدْسُ وَالتَّجَرُّبَةُ  
بِقِيَاسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى النَّبَرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي عَرَفْنَا طَبِيعَتَهُ وَأَثَرَهُ مَعْرِفَةً ظَاهِرَةً  
فَتَنْظُرُ هَلْ يَزِيدُ ذَلِكَ الْكَوَاكِبُ عِنْدَ الْقِرَانِ فِي قُوَّتِهِ وَمِزَاجِهِ فَتُعَرِّفُ مُوَافَقَتَهُ لَهُ فِي  
الطَّبِيعَةِ أَوْ يَنْقُصُ عَنْهَا فَتُعَرِّفُ مُضَادَّتَهُ ثُمَّ إِذَا عَرَفْنَا قُوَاهَا مُفْرَدَةً عَرَفْنَاها مُرَكَّبَةً وَذَلِكَ  
عِنْدَ تَنَاطُرِهَا بِأَشْكَالِ التَّثْلِيثِ وَالتَّرْيِيعِ وَغَيْرِهَا وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ طَبَائِعِ  
الْبُرُوجِ بِالقِيَاسِ أَيْضًا إِلَى النَّبَرِ الْأَعْظَمِ وَإِذَا عَرَفْنَا قُوَى الْكَوَاكِبِ كُلِّهَا فَهِيَ  
مَوْبَرَّةٌ فِي الْهَوَاءِ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ وَالْمِزَاجُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهَا لِلْهَوَاءِ يَحْصُلُ لِمَا تَحْتَهُ مِنَ  
الْمَوْلَدَاتِ وَتَتَخَلَّقُ بِهِ النُّطْفَةُ وَالْبَذَرُ فَتَصِيرُ حَالًا لِلْبَدَنِ الْمَتَكُونِ عَنْهَا وَلِلنَّفْسِ  
الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ الْفَائِضَةِ عَلَيْهِ الْمُكَتَسِبَةِ لِمَا لَهَا مِنْهُ وَلِمَا يَتَّبِعُ النَّفْسَ وَالْبَدَنَ مِنَ الْأَحْوَالِ  
لَأَنَّ كَيْفِيَّاتِ الْبَزَرَةِ وَالنُّطْفَةِ كَيْفِيَّاتٌ لِمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا وَيَنْشَأُ مِنْهَا قَالَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ  
ظَنِّي وَلَيْسَ هُوَ أَيْضًا مِنَ الْعَضَاءِ الْإِلَهِيِّ يَعْنِي الْقَدَرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جُحْلَةِ الْأَسْبَابِ

الطبيعية للكائنين والقضاء الإلهي ما يبق على كل شيء هذا محصل كلام بطليموس وأصحابه وهو منصوص في كتابه الأربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك أن العلم الكائنين أو الظن به إنما يحصل عن العلم بجملته أسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما يتبين في موضعه والقوى النجومية على ما قرره إنما هي فاعلة فقط والجزء العنصري هو القابل ثم إن القوى النجومية ليست هي الفاعل بجملتها بل هناك قوى أخرى فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد للأب والنوع التي في النطفة وقوى الخاصة التي تمتد بها صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية إذا حصل كمالها وحصل العلم فيها إنما هي فاعل واحد من جملة الأسباب الفاعلة للكائنين ثم إنه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حذر وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائنين والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من على الكائنين ولا من أصول الصناعة فإذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت أدراجها عن الظن إلى الشك هذا إذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداده ولم تغرضه آفة وهذا معزز لما فيه من معرفة حسابات الكواكب في سيرها لتعرف به أوضاعها ولما أن اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه ومدرك بطليموس في إثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها إلى الشمس مدرك ضعيف لأن قوة الشمس غالبة لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها أو نقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها قاذحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة ثم إن تأييد الكواكب فيما تحتها باطل إذ قد تبين في باب التوحيد أن لا فاعل إلا الله بطريق استدلال كما رأيت وأحتج له أهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من أن إسناده الأسباب إلى المسببات مجهول الكيفية والعقل منهم على ما يقتضي به فيما يظهر بادية الرأي من التأثير فلعل استنادها على غير صورة التأثير المتعارف والقدرة الإلهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علواً وسفلاً سبباً والشرع يرد الحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى ويبدأ بما سوى ذلك والثبوت أيضاً منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشريعات شاهد بذلك في مثل قوله إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا



لِحَيَاتِهِ وَفِي قَوْلِهِ أَصَحَّ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ  
وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِتَوْهٍ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ  
بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فَقَدْ بَانَ لَكَ بَطْلَانُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ طَرِيقِ  
الشَّرْعِ وَضَعُفُ مَدَارِكِهَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ مَعَ مَا لَهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي الْعُمَرَانِ  
الْإِنْسَانِيَّ بِمَا تَبَعَتْ مِنْ عَقَائِدِ الْعَوَامِّ مِنَ الْفَسَادِ إِذَا اتَّفَقَ الصِّدْقُ مِنْ أَحْكَامِهَا فِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ اتِّفَاقًا لَا يَرْجِعُ إِلَى تَعْلِيلٍ وَلَا تَحْقِيقٍ فَيُلْهَجُ بِذَلِكَ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ وَيَظُنُّ  
إِطْرَادَ الصِّدْقِ فِي سَائِرِ أَحْكَامِهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَيَقَعُ فِي رَدِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى غَيْرِ خَالِقِهَا ثُمَّ  
مَا يَنْشَأُ عَنْهَا كَثِيرًا فِي الدُّوَلِ مِنْ تَوَقُّعِ الْقَوَاطِعِ وَمَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ ذَلِكَ التَّوَقُّعُ مِنْ  
تَطَاوُلِ الْأَعْدَاءِ وَالْمُتَدَبِّصِينَ بِالدَّوْلَةِ إِلَى الْفَتَكِ وَالثَّوَرَةِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا  
فَيَتَّبِعِي أَنْ تُحْظَرَ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي  
الدِّينِ وَالدُّوَلِ وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ وَجُودِهَا طَبِيعِيًّا لِلْبَشَرِ بِمُقْتَضَى مَدَارِكِهِمْ  
وَعُلُومِهِمْ فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ طَبِيعَتَانِ وَجُودَتَانِ فِي الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ تَوَعُّهُمَا وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ  
التَّكْلِيفُ بِأَسْبَابِ حُصُولِهَا فَيَتَعَيَّنُ السَّعْيُ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ بِأَسْبَابِهِ وَدَفْعِ  
أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْمَضَارِّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَنَاسِدَ هَذَا الْعِلْمِ وَمَضَارَّهُ وَلَيَعْلَمُ  
مَنْ ذَلِكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمَةِ تَحْصِيلَ  
غَلِبِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا نَظْرًا وَظَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمَّا حَظَرَتْ النَّظَرَ فِيهَا فَقَدْ اجْتَمَعَ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ لِقِرَاءَتِهَا  
وَالْتَحْقِيقِ لَتَعْلِيلِهَا وَصَارَ الْبُلُوعُ بِهَا مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَأَقْلُ مِنَ الْأَقْلِ إِنَّمَا يُطَالَعُ  
كُتُبُهَا وَمَقَالَاتُهَا فِي كِسْرِ بَيْتِهِ مُتَسَدِّدًا عَنِ النَّاسِ وَتَحْتَ رِبْقَةِ الْجُمْهُورِ مَعَ تَشَعُّبِ  
الصَّنَاعَةِ وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَأَعْيَاصِهَا عَلَى الْفَهْمِ فَكَيْفَ يَحْصُلُ مِنْهَا عَلَى طَائِلٍ وَنَحْنُ  
نَجِدُ الْفِقْهَ الَّذِي عَمَّ نَفْعُهُ دِينًا وَدُنْيَا وَسَهَّلَتْ مَأْخِذُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَكَفَ  
الْجُمْهُورُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَتَعْلِيلِهِ ثُمَّ بَعْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّجَمُّعِ وَطُولِ الْمُدَاسَسَةِ وَكَثْرَةِ الْمَجَالِسِ  
وَتَعَدُّدِهَا إِنَّمَا يَحْدُثُ فِيهِ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ فِي الْأَعْصَارِ وَالْأَجْيَالِ فَكَيْفَ يُعْلَمُ  
مَهْجُورٌ لِلشَّرِيعَةِ مَضْرُوبٌ دُونَهُ سِدُّ الْخَطَرِ وَالتَّحْرِيمُ مَكْتُومٌ عَنِ الْجُمْهُورِ صَغْبُ  
الْمَأْخِذِ مُخْتَاجٌ بَعْدَ الْمُبَاسَسَةِ وَالتَّحْصِيلِ لِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ إِلَى تَرْيِدِ حَدْسٍ وَتَحْنِينِ

يَكْتَفَانِ بِهِ مِنَ النَّظَرِ فَأَيُّ التَّحْصِيلِ وَالْحَذَقِ فِيهِ مَعَ هَذِهِ كُلِّهَا وَمُدَّعَى ذَلِكَ مِنَ  
النَّاسِ مَرْدُودٌ عَلَى عَمِيهِ وَلَا شَاهِدَ لَهُ يَقُومُ بِذَلِكَ لِرَأْيَةِ الْفَنِّ بَيْنَ أَهْلِ الْبِلَّةِ وَقَلَّةِ  
حَمَلِهِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنْ لَكَ صِحَّةُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ  
أَحَدًا . وَمِمَّا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ عِنْدَمَا غَلَبَ الْعَرَبُ  
عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَحَاصِرُوهُ بِالْبَيْرُوتِ وَكَثُرَ إِرْجَافُ الْفَرِيقَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ  
وَالْأَعْدَاءِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ الرُّوحِيُّ مِنْ سُعْرَاءِ أَهْلِ تُونِسَ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ	قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهَنَاءُ
أَصْبَحُ فِي تُونِسَ وَأَمْسِي	وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالنَّسَاءُ
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَيَا	يُحْدِثُهَا الْهَرَجُ وَالْوَبَاءُ
وَالنَّاسُ فِي مِرْيَةٍ وَحَرْبٍ	وَمَا عَسَى يَنْتَعِ الْبِرَاءُ
فَأَحْتَدِي بِرَى عَلِيًّا	حَلَّ بِهِ الْهَلَكُ وَالْتَوَاءُ
وَأَخَّرُ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي	بِهِ إِلَيْكُمْ صَبَا رَحَاءُ
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقَ ذَا وَهَذَا	يَقْضِي لِعَبْدِهِ مَا يَشَاءُ
يَا رَاصِدَ الْحَسَنِ الْجَوَارِي	مَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّاءُ
مَطْلُثُونَا وَقَدْ زَعَمْتَ	أَنْكُمْ الْيَوْمَ أَتَمِلِيَاءُ
مَرَّ خَمِيسٌ عَلَى خَمِيسٍ	وَجَاءَ سَبْتُ وَأَرْبَعَاءُ
وَزَعَفَ شَهْرٌ وَعُشْرُ قَانٍ	وَنَاثُ ضَمَّةُ الْقَضَاءِ
وَلَا زَيَّ غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ	أَذَاكَ جَهْلٌ أَمْ أَزْدِرَاءُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا	أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ
رَضِيتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا	حَبَبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَا
مَا هَذِهِ إِلَّا نَجْمُ السَّوَارِي	إِلَّا عَابِدِيدُ أَوْ إِمَاءُ
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضِي	وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى اقْتِضَاءُ
صَلَّتْ عُقُولُ تَرَى قَدِيمًا	مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ
وَحَكَمَتْ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا	يُحْدِثُهُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِذَا مَرَّ	تَقْدُومُهُمْ تَرْبِيَّةٌ وَمَاءُ



اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَدْرِي      مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ  
 وَلَا الْهَيُولَى أَلَّتِي تُنَادِي      مَا لِي عَنْ صُورَةِ عَرَاءِ  
 وَلَا وَجُودٌ وَلَا أَنْعِدَامٌ      وَلَا ثُبُوتٌ وَلَا انْتِفَاءُ  
 وَالْكَسْبُ لَمْ أَدْرِ فِيهِ إِلَّا      مَا جَلَبَ الْبَيْعُ وَالشَّرَاءُ  
 وَإِنَّمَا مَذْهَبِي وَدِينِي      مَا كَانَ لِلنَّاسِ أَوْلِيَاءُ  
 إِذْ لَا فُضُولٌ وَلَا أُصُولٌ      وَلَا جِدَالٌ وَلَا رِيَاءُ  
 مَا تَبَعَ الصَّدْرَ وَاقْتَفَيْنَا      يَا حَبْدًا كَانَ الْأَقْتِفَاءُ  
 كَانُوا كَمَا يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ      وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْإِذَاءُ  
 يَا أَشْعَرِيَّ الزَّمَانِ إِنِّي      أَشْعَرِيَّ الصَّنِيفُ وَالشِّتَاءُ  
 لَمْ أَجْزِ بِالْشَّرِّ غَيْرَ شَرٍّ      وَالتَّخَيُّدُ عَنْ مِثْلِهِ جَزَاءُ  
 وَإِنِّي إِنْ أَكُنْ مُطِيعًا      فَلَسْتُ أَنْصِي وَبِي رَجَاءُ  
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ      أَطَاعَهُ الْعَرْشُ وَالْثَرَاءُ  
 لَيْسَ أَنْتَصَارٌ بِكُمْ وَلَكِنْ      أَتَاهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ  
 لَوْ حَدَّثَ الْأَشْعَرِيَّ عَمَّنْ      لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِسَاءُ  
 لَقَالَ أَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي      مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاءُ

### الفصل السادس والعشرون

في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها  
 إعلم أن كثيراً من العاجزين عن معاشهم تحيلهم المطامع على انتحال هذه  
 الصنائع ويرون أنها أحد مذاهب المعاش ووجوهه وأن اقتناء المال منها أيسر  
 وأسهل على متبعيه فيتركبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاينة الصعاب وعنف  
 الحُكَّام وخسارة الأموال في التفقات زيادة على النبل من غرضه والطب آخراً  
 إذا ظهر على خيبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنماً وإنا أطمعهم في ذلك رؤية أن  
 المعادين تستحيل وينقلب بعضها إلى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج  
 صيورة الفضة ذهباً والتحاس والقصدير فضة ويحسبون أننا من ممكّنات عالم  
 الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لا اختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته

وَفِي الْمَادَّةِ الْمَوْضُوعَةِ عَنْهُمْ لِلْعِلَاجِ الْمُسَمَّاةِ عَنْهُمْ بِالْحَجَرِ الْمَكْرَمِ هَلْ هِيَ  
 الْعُذْرَةُ أَوْ الدَّمُ أَوْ الشَّعْرُ أَوْ الْبَيْضُ أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَجُمْلَةُ التَّذْيِيرِ  
 عَنْهُمْ بَعْدَ تَعْيِينِ الْمَادَّةِ أَنْ تُنْهَى بِالْفَهْرِ عَلَى حَجَرٍ صُلْدٍ أَمْسٍ وَتُسْقَى أَثْنَاءَ إِمْهَاتِهَا  
 بِالْمَاءِ وَبَعْدَ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ مَا يُنَاسِبُ الْقَصْدَ مِنْهَا وَيُؤَثِّرُ فِي  
 أَنْتِلَابِهَا إِلَى الْمَعْدِنِ الْمَطْلُوبِ ثُمَّ تُجَفَّفُ بِالشَّمْسِ مِنْ بَعْدِ السَّيِّئِ أَوْ تُطْبَخُ بِالنَّارِ أَوْ  
 تَصْعَدُ أَوْ تُكَلَّسُ لِاسْتِخْرَاجِ مَائِهَا أَوْ تَرَابِهَا فَإِذَا رَضِيَ بِذَلِكَ سَبِيلَهُ مِنْ عِلَاجِهَا وَتَمَّ  
 تَذْيِيرُهُ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ أَصُولُ صَنْعَتِهِ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ كُفَّ تَرَابٌ أَوْ مَائِعٌ يُسَوُّونَهُ  
 الْإِكْسِيرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى الْفِضَّةِ الْمُحَمَّاةِ بِالنَّارِ عَادَتْ ذَهَبًا أَوْ النُّحَاسَ  
 الْمُحَمَّى بِالنَّارِ عَادَ فِضَّةً عَلَى مَا قُصِدَ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَيَزْعُمُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ  
 الْإِكْسِيرَ مَادَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْمَعَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ مَصْلٌ فِيهَا بِذَلِكَ الْعِلَاجِ الْخَاصُّ وَالتَّذْيِيرُ  
 مَزَاجٌ ذُو قُوَى طَبِيعِيَّةٍ تَصْرِفُ مَا حَصَلَتْ فِيهِ إِلَيْهَا وَتَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهَا وَمَزَاجِهَا وَتَبْتُ  
 فِيهِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَالْقُرَى كَالْحَبِيرَةِ لِلْعُزْرِ تَقْلِبُ الْعَجِينَ إِلَى ذَاتِهَا وَتَعْمَلُ  
 فِيهِ مَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْإِنْفِشَاشِ وَالْهَشَاشَةِ لِيَحْسُنَ هَضْمُهُ فِي الْعِدَّةِ وَيَسْتَحِيلَ سَرِيعًا  
 إِلَى الْغِذَاءِ وَكَذَا الْإِكْسِيرُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِيمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ التَّعَادُنِ بِصَرْفِهِ إِلَيْهَا  
 وَيَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهَا هَذَا مُحْصَلُ زَعْمِهِمْ عَلَى الْجُمْلَةِ فَتَجِدُهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ  
 يَتَّبِعُونَ الرِّزْقَ وَالْمَعَاشَ فِيهِ وَيَتَنَاقَلُونَ أَحْكَامَهُ وَقَوَاعِدَهُ مِنْ كُتُبٍ لِأَيَّةِ الصَّنَاعَةِ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَتَنَظَّرُونَ فِي فَهْمٍ لُغُوزِهَا وَكَشَفِ أَسْرَارِهَا إِذْ هِيَ فِي  
 الْأَكْثَرِ نُشْبَةُ الْمُعَمَّى كَتَايِفِ جَابِرِ بْنِ حَيَّانَ فِي رَسَائِلِهِ السَّبْعِينَ وَمَسَلَمَةَ التَّجْرِيطِيِّ  
 فِي كِتَابِهِ رُتْبَةِ الْحَكِيمِ وَالطُّغْرَائِيِّ وَالْمُعَدِّيِّ فِي قَصَائِدِهِ الْعَرِيقَةِ فِي إِجَادَةِ النِّظَمِ  
 وَأَمْثَالِهَا وَلَا يَحْلُونَ مِنْ بَعْدِ هَذَا كُفَّ بِطَائِلِ مِنْهَا . فَأَوْضَحْتُ يَوْمًا شَيْخًا أَبَا الْبَرَكَاتِ  
 التَّلْفِيغِيَّ كَبِيرَ مَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَوَقَفْتُ عَلَى بَعْضِ التَّأْلِيفِ فِيهَا فَتَصَفَّحْتُ  
 طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا بِالْحَبِيرَةِ ثُمَّ مِنْهُمْ  
 مَنْ يَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الدَّلِيلَةِ فَقَطْ إِمَّا الظَّاهِرَةَ كَتَمْوِيهِ الْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ أَوْ النُّحَاسِ  
 بِالْفِضَّةِ أَوْ خَلْطِهَا عَلَى نِسْبَةِ جُزْءٍ أَوْ جُزْءَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَوْ الْخَفِيَّةِ كَالْقَاءِ الشَّيْءِ بَيْنَ  
 الْمَعَادِنِ بِالصَّنَاعَةِ مِثْلَ تَنْبِيضِ النُّحَاسِ وَتَلْبِيسِهِ بِالزُّوقِ الْمُصَعَّدِ فَيَجِيءُ جِسْمًا مَعْدِنِيًّا



شيئاً بالفضة ويخفى إلا على النقاد المهرة فيقدر أصحاب هذه الدكس مع دلتهم  
هذه سكة ينفونها في الناس ويطعونها بطابع السلطان تنويها على الجمهور بالخلص  
وهؤلاء أحسن الناس حرفة وأسوأهم عاقبة يملأهم سرقة أموال الناس فإن صاحب  
هذه الدلثة إنما هو يدفع نحاساً في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو  
سارق أو شر من السارق ومُعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البرر المتشددين  
بأطراف القاع ومساكن الأغمار يأوون إلى مساجد البادية ويسمونه على الأغنياء  
منهم بأن بأيديهم صناعة الذهب والفضة والنفوس مولة بحبهما والاستهلاك في  
طلبهما فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت الحرف والرقبة إلى  
أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون إلى موضع آخر ويستجدون حالاً أخرى في  
استيواء بعض أهل الدنيا بأطماعهم فيما لديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم  
وهذا الصنف لا كلام معهم لأنهم بلغوا الغاية في الجهل والرذالة والاحتراف بالسرقة  
ولا حاسم لعلتهم إلا اشتداد الحكم عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم  
متى ظهروا على شأنهم لأن فيه إفساداً للسكة التي تعم بها البلوى وهي مشلول الناس  
كافة والسلطان مكلف بإصلاحها والإحتياط عليها والاشتداد على مفسديها وأما  
من انتحل هذه الصناعة ولم يرض بخال الدلثة بل استكف عنها ونزه نفسه عن إفساد  
سكة المسلمين ونفودهم وإنما يطلب إحالة الفضة للذهب والرخاص والنحاس  
والقصدير إلى الفضة بذلك النحر من العلاج وبالإكثير الحاصل عنده فلنا مع هؤلاء  
متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع أننا لا نعلم أن أحداً من أهل العالم تم له هذا  
الغرض أو حصل منه على بُنية إنما تذهب أعمارهم في التدبير والفهر والصلابة  
والتصديد والتكليس وأعيان الأخطار يجمع العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك  
حكايات وقعت لغيرهم ممن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول يفتنون باستماعها  
والمفاوضات فيها ولا يستريبون في تصديقها شأن الكليلين المغرمين بوساوس  
الأخبار فيسألكون به فإذا سألوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة أنكروه وقالوا إنما  
سمعنا ولم نر هكذا شأنهم في كل عصر وجيل وأعلم أن انتحال هذه الصنعة قديم  
في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتأخرين فلتنقل مذاهبهم في ذلك

نَمَّ نَتْلُوهُ بِمَا يَظْهَرُ فِيهَا مِنْ التَّحْقِيقِ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ فَقَوْلُ إِنْ مَبْنَى الْكَلَامِ  
فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ عَلَى حَالِ الْمُعَادِنِ السَّبْعَةِ الْمُنْتَطَرِقَةِ وَهِيَ الذَّهَبُ  
وَالْفِضَّةُ وَالرَّصَاسُ وَالْقَصْدِيرُ وَالنُّحَاسُ وَالْحَدِيدُ وَالْحَارِصِينُ هَلْ هِيَ مُخْتَلِفَاتٌ بِالْفُضُولِ  
وَكُلُّهَا أَنْوَاعٌ قَائِمَةٌ بِأَنْفُسِهَا أَوْ إِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بِخَوَاصٍّ مِنْ الْكَيْفِيَّاتِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ  
لِنَوْعٍ وَاحِدٍ فَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا  
نَوْعٌ وَاحِدٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْكَفِيَّاتِ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالْيَبُوسَةِ وَاللِّينِ وَالصَّلَابَةِ  
وَالْأَلْوَانِ مِنَ الصُّفْرِ وَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ لِذَلِكَ النَّوعِ الْوَاحِدِ وَالَّذِي  
ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سِينَا وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْمَشْرِقِ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بِالْفُضُولِ وَأَنَّهَا أَنْوَاعٌ  
مُتَبَايِنَةٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ مُتَحَقِّقٌ بِحَقِيقَتِهِ لَهُ فَضْلٌ وَجِنْسٌ شَأْنٌ سَائِرُ الْأَنْوَاعِ  
وَبَنَى أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اتِّفَاقِهَا بِالنَّوعِ إِمَّا كَانَ انْقِلَابٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ  
لَا إِمَّا كَانَ تَبَدُّلُ الْأَعْرَاضِ حِينَئِذٍ وَعِلَاجُهَا بِالصَّنْعَةِ فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ كَانَتْ صِنَاعَةُ  
الْكَيِّمَاءِ عِنْدَهُ تُمَكِّنُهُ سَهْلَةَ التَّأْخِذِ وَبَنَى أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اخْتِلَافِهَا  
بِالنَّوْعِ إِنْكَارَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ وَاسْتِعْطَالَهَ وَجُودَهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ لَا سَبِيلَ بِالصَّنَاعَةِ  
إِلَيْهِ وَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَمُقَدِّرُهَا وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفُضُولُ مَجْجُولَةٌ أَصْلَاقُ  
رَأْسًا بِالتَّصَوُّرِ فَكَيْفَ يُحَاطَلُ انْقِلَابُهَا بِالصَّنْعَةِ وَغَلَطَ الطُّغْرَايْنِيُّ مِنْ أَكْبَارِ أَهْلِ هَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَرَدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ التَّدْبِيرَ وَالْعِلَاجَ لَيْسَ فِي تَخْلِيلِ الْفَضْلِ وَإِبْدَاعِهِ  
وَإِنَّمَا هُوَ فِي إِعْدَادِ الْمَادَّةِ لِقَبُولِهِ خَاصَّةً وَالنَّضْلُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الْإِعْدَادِ مِنْ لَدُنْ خَالِقِهِ  
وَبَارِئِهِ كَمَا يُفِيضُ الثَّوْرُ عَلَى الْأَجْسَامِ بِالصَّقْلِ وَالْإِنْمَاءِ وَلَا حَاجَةَ بِنَا فِي ذَلِكَ إِلَى  
تَصَوُّرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَالَ وَإِذَا كُنَّا قَدْ عَثَرْنَا عَلَى تَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مَعَ الْجَوْلِ بِفُضُولِهَا  
مِثْلَ الْعُقْرَبِ مِنَ الثُّرَابِ وَالنَّحْلِ وَمِثْلَ الْحَيَاتِ الْمُسْكِرَةِ مِنَ الشَّعْرِ وَمِثْلَ مَا ذَكَرَهُ  
أَصْحَابُ الْفَلَاحَةِ مِنْ تَكْوِينِ النَّحْلِ إِذَا قُبِدَتْ مِنْ عَجَاجِيلِ الْبَقَرِ وَتَكْوِينِ الْقُصْبِ  
مِنْ قُرُونِ ذَوَاتِ الظِّلْفِ وَتَصْيِيرِهِ سُكَّرًا بِخَشْرِ الْقُرُونِ بِالْعَسَلِ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الْفَلَاحِ  
لِلْقُرُونِ فَمَا الْمَانِعُ إِذَا مِنَ الْعُشُورِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَتَحْذُ مَادَّةً تُضِيفُهَا  
لِلتَّدْبِيرِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا اسْتِعْدَادٌ أَوَّلُ لِقَبُولِ صُورَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ثُمَّ تُحَاوَلُهَا  
بِالْعِلَاجِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ لِقَبُولِ فَضْلِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ الطُّغْرَايْنِيِّ بِمَعْنَاهُ وَهُوَ



الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ سِينَا صَحِيحٌ لَكِنَّ لَنَا فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
مَأْخُذًا آخَرَ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ اسْتِحْصَالُهُ وَجُودُهَا وَبُطْلَانُ مَزْعِبِهِمْ أَجْمَعِينَ لَا الطُّفْرَائِيَّ وَلَا ابْنَ  
سِينَا وَذَلِكَ أَنَّ حَاصِلَ عِلَاجِهِمْ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى الْمَادَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ بِالِاسْتِعْدَادِ  
الْأَوَّلِ يَجْعَلُونَهَا مَوْضُوعًا وَيَخَاضُونَ فِي تَدْيِيرِهَا وَعِلَاجِهَا تَدْيِيرَ الطَّبِيعَةِ فِي الْجِسْمِ الْمُتَعَدِّي  
حَتَّى أَحَالَتُهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَيُضَاعِفُونَ الْقُوَى الْفَاعِلَةَ وَالْمُنْعِلَةَ لِيَتِمَّ فِي زَمَانٍ أَقْصَرَ  
لَأَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي مَوْضُوعِهِ أَنَّ مُضَاعَفَةَ قُوَّةِ الْفَاعِلِ تَنْقُصُ مِنْ زَمَنِ فِعْلِهِ وَتُبَيَّنَ أَنَّ الذَّهَبَ  
إِنَّمَا يَتِمُّ كَوْنُهُ فِي مَعْدِنِهِ بَعْدَ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ مِنَ السِّنِينَ دَوْرَةَ الشَّمْسِ الْكُبْرَى فَإِذَا  
تَضَاعَفَتِ الْقُوَى وَالْكَفَيَّاتُ فِي الْعِلَاجِ كَانَ زَمَنُ كَوْنِهِ أَقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ ضَرُورَةً عَلَى  
مَا قُلْنَا أَوْ يَتَخَرَّوْنَ بِعِلَاجِهِمْ ذَلِكَ حُصُولَ صُورَةٍ مِزَاجِيَّةٍ لِتِلْكَ الْمَادَّةِ تُصِيرُهَا  
كَالْحَيْدَرَةِ فَتَفْعَلُ فِي الْجِسْمِ الْمَعَالِجَ الْأَفَاعِيلَ الْمَطْلُوبَةَ فِي إِحَالَتِهِ وَذَلِكَ هُوَ إِلَّا كَيْدُ  
عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَآتَمَّ أَنَّ كُلَّ مُتَكَوِّنٍ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ الْعُنْصَرِيَّةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَجْتِمَاعِ  
الْعُنْصُرِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى نِسْبَةٍ مُتَقَارِبَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ مُتَكَافِئَةً فِي النِّسْبَةِ لَمَا تَمَّ امْتِزَاجُهَا  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْجُزْءِ الْغَالِبِ عَلَى الْكُلِّ وَلَا بُدَّ فِي كُلِّ مُتَمَزِّجٍ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ مِنْ  
حَرَارَةٍ غَرِيزِيَّةٍ هِيَ الْفَاعِلَةُ لِكَوْنِهِ آخِافُظَةٌ لِصُورَتِهِ ثُمَّ كُلُّ مُتَكَوِّنٍ فِي زَمَانٍ فَلَا بُدَّ  
مِنْ اخْتِلَافِ أَطْوَارِهِ وَانْتِقَالِهِ فِي زَمَنِ التَّكْوِينِ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى  
خَاتِمِهِ وَانْظُرْ شَأْنَ الْإِنْسَانِ فِي طَوْرِ النُّطْقَةِ ثُمَّ الْعُلُقَةِ ثُمَّ الْمُضْغَةِ ثُمَّ التَّصَوُّرِ ثُمَّ الْحَيِّينِ  
ثُمَّ الْمَوْلُودِ ثُمَّ الرِّضِيعِ ثُمَّ إِلَى نِهَائِهِ وَنِسْبُ الْأَجْزَاءِ فِي كُلِّ طَوْرٍ تَخْتَلِفُ فِي مَقَادِيرِهَا  
وَكَفَيَّاتِهَا وَإِلَّا لَكَانَ الطَّوْرُ الْأَوَّلُ بَعِيْنَهُ هُوَ الْآخِرُ وَكَذَا الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ فِي كُلِّ  
طَوْرٍ مُخَالَفَةٌ لَهَا فِي الطَّوْرِ الْآخِرِ فَانْظُرْ إِلَى الذَّهَبِ مَا يَكُونُ لَهُ فِي مَعْدِنِهِ مِنْ  
الْأَطْوَارِ مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ وَمَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الْكِيمِيَاءِ  
إِلَى أَنْ يُسَاقَ فِعْلُ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ وَيَخَاضِيَهُ بِتَدْيِيرِهِ وَعِلَاجِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَمِنْ  
شَرَطِ الصَّنَاعَةِ أَبَدًا تَصَوُّرُ مَا يُقْصَدُ إِلَيْهِ بِالصَّنْعَةِ فَمِنْ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ لِلْحُكْمَاءِ أَوَّلُ  
الْعَمَلِ آخِرُ الْفِكْرَةِ وَآخِرُ الْفِكْرَةِ أَوَّلُ الْعَمَلِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْحَالَاتِ لِلذَّهَبِ  
فِي أَحْوَالِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَنِسْبَتِهَا الْمَتَقَارِبَةِ فِي كُلِّ طَوْرٍ وَاخْتِلَافِ الْحَارِ الْغَرِيزِيِّ عِنْدَ  
اخْتِلَافِهَا وَمِقْدَارِ الزَّمَانِ فِي كُلِّ طَوْرٍ وَمَا يَنْبُؤُ عَنْهُ مِنْ مِقْدَارِ الْقُوَى الْمُضَاعَفَةِ وَيَقُومُ

. قَامَهُ حَتَّى يُعَاذِيَ بِذَلِكَ شُكْلَهُ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ أَوْ تُعَدُّ لِبَعْضِ الْمَوَادِّ صُورَةً  
 مُزَاجِيَّةً كَصُورَةِ الْحَمِيدَةِ لِلْحُزْرِ وَتَقَعُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ بِالنَّاسِبَةِ لِقَوَاهَا وَمَتَادِيرِهَا  
 وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا يَحْصُرُهَا الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَالْعُلُومُ الْبَشَرِيَّةُ قَاصِرَةٌ عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَالُ  
 مَنْ يَدَّعِي حُصُولَهُ عَلَى الذَّهَبِ بِهَذِهِ الصَّنْعَةِ بِمِثَابَةِ مَنْ يَدَّعِي بِالصَّنْعَةِ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ مِنْ  
 الْمُنِيِّ وَنَحْنُ إِذَا سَلَّمْنَا لَهُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَائِهِ وَنَفْسَتِهِ وَأَطْوَارِهِ وَكَيْفِيَّةَ تَخْلِيقِهِ فِي رَحْبِهِ  
 وَعِلْمَ ذَلِكَ عِلْمًا مُحْصَلًا بِتَمَاضِيهِ حَتَّى لَا يَشُدَّ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ سَلَّمْنَا لَهُ تَخْلِيقَ هَذَا  
 الْإِنْسَانِ وَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ وَلِنُقَرِّبَ هَذَا الْبُرْهَانَ بِالْإِخْتِصَارِ لَيْسَهُلَ فَهْمُهُ فَتَقُولُ . كَاحْصِلِ  
 صِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ وَمَا يَدَّعُوهُ بِهَذَا التَّدْبِيرِ أَنَّهُ مُسَاوِقَةٌ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ بِالْفِعْلِ الصَّنَاعِيِّ  
 وَمُخَاذَاتِهَا بِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ كَوْنُ الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ أَوْ تَخْلِيقُ مَادَّةٍ بِقُوَى وَأَفْعَالٍ وَصُورَةٍ  
 مُزَاجِيَّةٍ تَفْعَلُ فِي الْجِسْمِ فِعْلًا طَبِيعِيًّا فَتُصَوِّرُهُ وَتَقْبَلُهُ إِلَى صُورَتِهَا وَالْفِعْلُ الصَّنَاعِيُّ مُسْبِقٌ  
 بِتَصَوُّرَاتِ أَحْوَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ الَّتِي يَقْصُدُ مُسَاوَقَتَهَا أَوْ مُخَاذَاتِهَا أَوْ فِعْلَ الْمَادَّةِ  
 ذَاتِ الْقُوَى فِيهَا تَصَوُّرًا مُفْصَلًا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ لَا نِهَآيَةَ لَهَا وَالْعِلْمُ  
 الْبَشَرِيُّ عَاجِزٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا دُونَهَا وَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَقْصُدُ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانَ  
 أَوْ نَبَاتٍ هَذَا مُحْصَلُ هَذَا الْبُرْهَانِ وَهُوَ أَوْثَقُ مَا عَلِمْتُهُ وَلَيْسَتْ الْإِسْتِحَالَةُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ  
 الْفُضُولِ كَمَا رَأَيْتُهُ وَلَا مِنَ الطَّبِيعَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعَدُّرِ الْإِحَاطَةِ وَقُصُورِ الْبَشَرِ عَنْهَا  
 وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سِينَا بِمَعْرُوفٍ عَنْ ذَلِكَ وَلَهُ وَجْهُ آخَرٌ فِي الْإِسْتِحَالَةِ مِنْ جِهَةِ غَايَتِهِ وَذَلِكَ  
 أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي الْحَجَرَيْنِ وَنَذُورَهُمَا أَنَّهُمَا قِيمٌ لِمَكَاسِبِ النَّاسِ وَمُتَمَوَّلَاتِهِمْ  
 فَلَوْ حَصَلَ عَلَيْهِمَا بِالصَّنْعَةِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وَجُودُهُمَا حَتَّى لَا يَحْصَلَ  
 أَحَدٌ مِنْ أَقْبَاتِنِهِمَا عَلَى شَيْءٍ وَلَهُ وَجْهُ آخَرٌ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَتْرُكُ  
 أَقْرَبَ الطَّرِيقِ فِي أَفْعَالِهَا وَتَرْكِبِ الْأَعْوَصِ وَالْأَبْعَدِ فَلَوْ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ الصَّنَاعِيُّ  
 الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَحِيحٌ وَأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ طَرِيقِ الطَّبِيعَةِ فِي مَعْدِنِهَا أَوْ أَقْلُ زَمَانًا لَمَا تَرَكَتْهُ  
 الطَّبِيعَةُ إِلَى طَرِيقِهَا الَّذِي سَلَكَتْهُ فِي كَوْنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَتَخْلُقُهُمَا وَأَمَّا تَشْيِئُهُ  
 الطُّغْرَائِيَّ هَذَا التَّدْبِيرَ بِمَا عُرِيَ عَلَيْهِ مِنْ مُفْرَدَاتٍ لِأَمثَالِهِ فِي الطَّبِيعَةِ كَالْعُقْرَبِ وَالنَّحْلِ  
 وَالْحَيَّةِ وَتَخْلِيقِهَا فَأَمْرٌ صَحِيحٌ فِي هَذِهِ أَدَّى إِلَيْهِ الْعُثُورُ كَمَا زَعَمَ وَأَمَّا الْكِيمِيَاءُ فَلَمْ  
 يَنْقُلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى طَرِيقِهَا وَمَا زَالَ مُنْتَطَلِقُهَا يَخْطُونَ



فيها عشواء إلى هلم جراً ولا يظفرون إلا بالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لأحد  
 منهم لحفظه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه وتثوق في الأصدقاء وضمن تصديقه صحة  
 العمل بعده إلى أن ينتشر ويبلغ إلينا وإلى غيرنا . وأما قولهم إن الإكسير بمثابة  
 الخبيزة وإنه مركبٌ يحيل ما يعصل فيه ويثقله إلى ذلك فأعلم أن الخبيزة إنما  
 تثلب العجين وتعيده للهضم وهو فساد والفساد في المواد سهل يقع بأيسر شيء من  
 الأفعال والطبايع والمطلوب بالإكسير قلب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى  
 فهو تكوينٌ وصلاحٌ والتكوين أصعب من الفساد فلا يقاس الإكسير بالخبيزة  
 وتحقيق الأمر في ذلك أن الكيمياء إن صح وجودها كما تزعم الحكماء المتكلمون  
 فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد المجريطي وأمثالهم فليست من باب  
 الصنائع الطبيعية ولا تتم بامرٍ صناعي وليس كلامهم فيها من منحنى الطبيعيات إنما  
 هو من منحنى كلامهم في الأمور السحرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلاج  
 وغيره وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة  
 الحكم من هذا السحن وهذا كلام جابر في رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا  
 حاجة بنا إلى شرحه وبالجمل فأمروها عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم  
 الصنائع فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم أو شهر خشباً أو حيواناً  
 فيما عدا مجرى تخليقه كذلك لا يتدبر ذهبٌ من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا  
 يتعد طريق عادته إلا بإرقاد ما وراء عالم الطبايع وعمل الصنائع فكذلك من  
 طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير  
 العقيم لأن نيله إن كان صحيحاً فهو واقع بما وراء الطبايع والصنائع كالمشي على  
 الماء وأمتطاء الأهواء والتفرد في كثائف الأجساد ونحو ذلك من كرامات الأولياء  
 الخارقة للعادة أو مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الأنبياء قال تعالى وإذا تخلق  
 من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيه فتكون طيراً بإذني وعلى ذلك فسيلٌ تيسيرها  
 مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما أوتيتها الصالح ويؤتيها غيره فتكون عنده معارة  
 وربما أوتيتها الصالح ولا يملك إيتاها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون  
 عملها سحرياً فقد تبين أنها إنما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة إما معجزة أو



سحراً ولهذا كَانَ كَلَامُ الْحُكَمَاءِ كُلِّهِمْ فِيهَا إِغَاراً لَا يَنْظُرُ بِحَقِيقَتِهِ إِلَّا مَنْ خَاضَ لُجَّةَ  
 مِنْ عِلْمِ السِّحْرِ وَأُطْلِعَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ النَّفْسِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَأُمُورِ خَرْقِ الْعَادَةِ غَيْرِ  
 مُنْتَصِرَةٍ وَلَا يَقْصِدُ أَحَدٌ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَآلِهٌ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَأَكْثَرُ مَا يَحِيلُ عَلَى  
 التَّمَسُّكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَانْتِحَالُهَا هُوَ كَمَا قُلْنَا الْعَجْزُ عَنْ الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ  
 وَابْتِغَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ الطَّبِيعِيِّ كَالْفِلَاحَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالصَّنَاعَةِ فَيَسْتَضِيبُ الْعَاجِزُ  
 ابْتِغَاءَهُ مِنْ هَذِهِ وَيَرُومُ الْحُصُولَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ أَلْمَالِ دَفْعَةً بِوُجُوهِ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ  
 مِنَ الْكَيْمِيَاءِ وَغَيْرِهَا وَأَكْثَرُ مَنْ يُعْنَى بِذَلِكَ الْفُقَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ حَتَّى فِي الْحُكَمَاءِ  
 الْمُتَكَلِّمِينَ فِي إِنْكَارِهَا وَاسْتِحَالَتِهَا فَإِنَّ ابْنَ سِينَا الْقَائِلَ بِاسْتِحَالَتِهَا كَانَ عَلَيْهِ الْوُزَرَاءُ  
 فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَالْفَارَابِيُّ الْقَائِلَ بِإِمْكَانِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ الَّذِينَ يُعْزِزُهُمْ  
 ادْنَى بُلَغَةٍ مِنَ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِهِ وَهَذِهِ تَهْمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْظَارِ النَّفُوسِ الْمُوَلَّعَةِ بِطُرُقِهَا  
 وَانْتِحَالِهَا وَآلِهٌ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عاتقة عن التحصيل

إِعْلَمُ أَنَّهُ مِمَّا أَضَرَ بِالنَّاسِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْوُقُوفِ عَلَى غَايَتِهِ كَثْرَةُ التَّأْلِيفِ  
 وَاخْتِلَافُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي التَّعَالِيمِ وَتَعَدُّدُ طُرُقِهَا ثُمَّ مُطَالَبَةُ الْمُتَعَلِّمِ وَالتَّلِيدِ بِاسْتِحْضَارِ  
 ذَلِكَ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ لَهُ مَنْصِبُ التَّحْصِيلِ فَيَحْتَاجُ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى حِفْظِهَا كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرِهَا  
 وَمُرَاعَاةِ طُرُقِهَا وَلَا يَنِي عُمُرُهُ بِمَا كُتِبَ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا تَجَرَّدَ لَهَا فَيَقَعُ الْقُصُورُ وَلَا  
 يَدُونَ رُتَبَةَ التَّحْصِيلِ وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْفِقْهِ فِي الْمَذْهَبِ التَّالِكِيِّ بِالْكَتُبِ  
 الْمَدُونَةِ مَثَلًا وَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الشُّرُوحَاتِ الْفَقْهِيَّةِ مِثْلَ كِتَابِ ابْنِ يُونُسَ وَاللَّخْمِيِّ  
 وَابْنِ بَشِيرٍ وَالتَّنْبِيْهَاتِ وَالْمُقَدِّمَاتِ وَالْيَانِ وَالتَّحْصِيلِ عَلَى الْعَنِيَّةِ وَكَذَلِكَ كِتَابُ ابْنِ  
 الْحَاجِبِ وَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزِ الطَّرِيقَةِ الْقِدْرَوَانِيَّةِ مِنَ الْقُرْطُبِيَّةِ  
 وَالْبَغْدَادِيَّةِ وَالْبُصْرِيَّةِ وَطُرُقِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ وَالْإِحَاطَةَ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ  
 لَهُ مَنْصِبُ الْفَتْيَا وَهِيَ كُلُّهَا مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالْمُتَعَلِّمُ مُطَالِبٌ بِاسْتِحْضَارِ جَمِيعِهَا  
 وَتَمْيِيزِ مَا بَيْنَهَا وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي فِي وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَوْ اقْتَصَرَ الْمُعَلِّمُونَ بِالْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى  
 الْمَسَائِلِ الْمَذْهَبِيَّةِ فَقَطْ لَكَانَ الْأَمْرُ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ وَكَانَ التَّعْلِيمُ سَهْلاً وَمَأْخُذَهُ

قريباً ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويرها ويمثل أيضاً علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك كيف يطالب به المتعلم وينتضي عمره دونه ولا يطمع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هاشم ظهر من كلامه فيما أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتيها لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتقاريعه وحسن تصرفه فيه ودل على أن الفضل ليس منحصراً في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يوتي من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود وإلا فالظاهر أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا بقي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات وسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

### الفصل الثامن والعشرون

في ان كثرة الاختصارات المولفة في العلوم مخلة بالتعليم ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشر القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسراً على الفهم وربما عمدوا إلى الكتب الأهمات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فأختصروها تقريباً للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وابن مالك في العربية والخوننجي في المنطق وأماليهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتديء بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الألفاظ الاختصار العويصة للفهم بدراجهم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل

من بينها لأن الفاظ المختصرات تجددها لأجل ذلك صعبة عويصة فينتطح في فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تبعه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيد من الحصول للملكة الثابتة وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كقائن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأرهبهم صغبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكينها ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى أعلم

### الفصل التاسع والعشرون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

إعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال ويأخذ في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة وغائتها أنها هيأتها لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيدفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح بالبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شدّ فلا يترك عويصاً ولا مهياً ولا مطلقاً إلا وضحه وفتح له مشكله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدرّكنا يجهلون طرق التعليم وإفاداته ويحضرون للتعليم في أول تعليمه المسائل المقلّة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخطأون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعدّ لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات



لَفْهَمِهِ تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ وَالْأَمْثَالِ الْخَسِيسَةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ  
يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْإِسْتِعْدَادُ ثُمَّ فِي  
الْتَحْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَآءَاتِ وَهُوَ حِينَئِذٍ  
عَاجِزٌ عَنِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ كَلٌّ ذَهْنُهُ عَنْهَا وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ  
صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ وَتَنَادَى فِي هُجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى  
ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَ  
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُنْتَهِيًا وَلَا يَخْطِطُ  
مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِتَوْرِهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيُحْصِلَ أَغْرَاضَهُ وَيَسْتَوِلِي مِنْهُ  
عَلَى مَلَكَتِهِ بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَتُهُ مَا فِي عِلْمِهِ مِنَ الْعُلُومِ  
أَسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ التَّرِيدِ وَالْتِهَؤُضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى  
يَسْتَوِلِي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ وَإِذَا خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ عَجِزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ  
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَنْسَ مِنَ الْتَحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ  
يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوَّلَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْجَوَابِ وَتَشْطِيعِ مَا  
بَيْنَهَا لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النِّسْيَانِ وَأَنْتِظَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ  
الْمَلَكَتِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ الْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ الْفِكْرَةِ مُجَانِبَةً  
لِلنِّسْيَانِ كَانَتْ الْمَلَكَتُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ ارْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تُنَوِّسِيَ الْفِعْلُ تُدَوِّسِيَتِ الْمَلَكَتُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ  
وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْجَمِيلَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي  
التَّعْلِيمِ أَنْ لَا يُخْطَطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا  
فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ أَلْبَالٍ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَفْهَمِ الْآخَرِ فَيَسْتَغْلِقَانِ مَعًا  
وَيَسْتَضِيحَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا بِالْخَبَةِ وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ  
فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِتَحْصِيلِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤَفَّقُ لِلصَّوَابِ . وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ  
أَنِّي أَتَيْتُكَ بِفَائِدَةٍ فِي تَعْلِيمِكَ فَإِنْ تَلَقَّيْتَهَا بِالْقَبُولِ وَأَمْسَكْتَهَا بِيَدِ الصَّنَاعَةِ ظَفِرْتَ  
بِكُتْرٍ عَظِيمٍ وَذَخِيرَةٍ شَرِيفَةٍ وَأَقْدِمُ لَكَ مُقَدِّمَةً تُعِينُكَ فِي فَهْمِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ

الْإِنْسَانِيَّ طَبِيعَةً مَخْصُوصَةً فَطَرَهَا اللَّهُ كَمَا فَطَرَ سَائِرَ مُبْتَدَعَاتِهِ وَهُوَ وَجَدَانُ حَرَكَةٍ لِلنَّفْسِ  
 فِي الْبَطْنِ الْأَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ ثَرَّةٌ يَكُونُ مَبْدَأُ لِلْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ  
 وَتَارَةٍ يَكُونُ مَبْدَأً لِعِلْمٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَقَدْ يُصَوِّرُ طَرَفِيهِ  
 يَوْمُ نَفْيِهِ أَوْ إِثْبَاتِهِ فَيُلَوِّحُ لَهُ الْوَسْطُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَسْرَعَ مِنْ تَحَرُّجِ الْبَصَرِ إِنْ  
 كَانَ وَاحِدًا أَوْ يَنْتَقِلُ إِلَى تَحْصِيلِ آخَرَ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا وَيَصِيرُ إِلَى الظَّهِيرِ بِمَطْلُوبِهِ  
 هَذَا شَأْنُ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا الْبَشَرُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْخَوَاصِ ثُمَّ الصَّنَاعَةُ  
 الْمُنَظِّقَةُ هِيَ كَيْفِيَّةُ فِعْلِ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ نَصْفُهُ لِتَعْلَمَ سَدَادَةُ مِنْ خَطَاهُ  
 وَأَنَّهَا وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ لَهَا ذَاتِيًّا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَعْزُضُ لَهَا الْخَطَأُ فِي الْأَقْلَرِ مِنْ تَصَوُّرِ  
 الطَّرَفَيْنِ عَلَى غَيْرِ صُورَتَيْهِمَا مِنْ اسْتِثْنَاءِ الْهَيْئَاتِ فِي نِظْمِ الْقَضَايَا وَتَرْتِيبِهَا لِلنِّسَاجِ فَتُعِينُ  
 الْمُنَظِّقَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ وَرْطَةِ هَذَا الْفَسَادِ إِذَا عَرَضَ فَالْمُنَظِّقُ إِذَا أَمَرَ صَنَاعِيٍّ مُسَارِقٍ  
 لِلطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَمُنَظِّقٌ عَلَى صُورَةٍ فَعَلَهَا وَلِكُونِهِ أَمْرًا صَنَاعِيًّا اسْتَعْنِي عَنْهُ فِي الْأَكْثَرِ  
 وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ فُجُولِ النَّظَارِ فِي الْخَلِيقَةِ يَحْصُلُونَ عَلَى الْمَطَالِبِ فِي الْعُلُومِ دُونَ  
 صِنَاعَةِ الْمُنَظِّقِ وَلَا سِيَّمَا مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ مَعْنَى  
 وَيَسْلُكُونَ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى سَدَادِهَا فَيَقْضِي بِالطَّبْعِ إِلَى حُصُولِ الْوَسْطِ وَالْعِلْمِ  
 بِالْمَطْلُوبِ كَمَا فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ مِنْ دُونَ هَذَا الْأَمْرِ الصَّنَاعِيِّ الَّذِي هُوَ الْمُنَظِّقُ  
 مَقْدَمَةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعْلَمِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَلْفَاظِ وَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعْنَى الذِّهْنِيَّةِ تَرَدُّدُهَا مِنْ  
 مَشَافَهَةِ الرُّسُومِ بِالْكِتَابِ وَمُشَافَهَةِ اللِّسَانِ بِالْخُطَابِ فَلَا بُدَّ أَثَرِهَا مِنَ التَّعْلَمِ مِنْ مُجَاوِزَتِكَ  
 هَذِهِ الْحُجُبِ كُلِّهَا إِلَى الْفِكْرِ فِي مَطْلُوبِكَ فَأَوَّلًا دَلَالَةُ الْكِتَابَةِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْأَلْفَاظِ  
 الْمَقُولَةِ وَهِيَ أَحَقُّهَا ثُمَّ دَلَالَةُ الْأَلْفَاظِ الْمَقُولَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَطْلُوبَةِ ثُمَّ الْقَوَائِدُ فِي تَرْتِيبِ  
 الْمَعْنَى لِلِاسْتِدْلَالِ فِي قَوَالِبِهَا الْمَعْرُوفَةِ فِي صِنَاعَةِ الْمُنَظِّقِ ثُمَّ تِلْكَ الْمَعْنَى مُجَرَّدَةٌ فِي  
 الْفِكْرِ اشْتِرَاطًا يُقْتَضَى بِهَا الْمَطْلُوبُ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ بِالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ  
 وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ الْحُجُبَ فِي التَّعْلَمِ بِسُهُولَةٍ  
 بَلْ رُبَّمَا وَقَفَ الذِّهْنُ فِي حُجُبِ الْأَلْفَاظِ بِالْمُنَاقَشَاتِ أَوْ عَثَرَ فِي اشْتِرَاكِ الْأَدِلَّةِ بِشُغْبِ  
 الْجِدَالِ وَالشُّبُهَاتِ وَقَعَدَ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكْذِبْ يَتَخَلَّصُ مِنْ تِلْكَ الْغَمْرَةِ إِلَّا  
 خَلِيلٌ بِمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ فَإِذَا أَتَيْتَ بِشَيْءٍ ذَلِكَ وَعَرَضَ لَكَ أَرْتَبَاكَ فِي قَهْرِكَ أَوْ



تَشْيِيبُ بِالشُّبُهَاتِ فِي ذِهْنِكَ فَاطْرَحْ ذَلِكَ وَانْتَبِذْ حُجُبَ الْأَلْفَاظِ وَعَوَائِقَ الشُّبُهَاتِ  
وَأَتْرِكْ الْأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جُمْلَةً وَأَخْلُصْ إِلَى فضاءِ الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ  
وَسَرَحَ نَظْرَكَ فِيهِ وَفَرَّغَ ذِهْنَكَ فِيهِ لِلْعَرَضِ عَلَى مَرَامِكَ مِنْهُ وَإِضَاعًا لَهَا حَيْثُ وَضَعَهَا  
أَكْبَرُ النَّظَارِ قَبْلَكَ مُسْتَعْرِضًا لِلْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذِهْنِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ الْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ  
بِالْظَّاهِرِ بِطُلُوبِكَ وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسْطُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذَا الْفِكْرِ  
وَنَظَرِهِ عَلَيْهِ كَمَا قُلْنَا وَحِينَئِذٍ فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدِلَّةِ وَصُورِهَا فَأَفْرِغْ فِيهَا  
وَوَقِفْ حَقًّا مِنْ الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ثُمَّ أَكْثُرْ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزْهُ إِلَى عَالَمِ الْخُطَابِ  
وَالْمُشَافَهَةِ وَثَبِّتِ الْعُرَى صَحِيحَ الْبَيَانِ . وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدِلَّةِ  
الصَّنَاعِيَّةِ وَتَمَحِيصِ صَوَابِهَا مِنْ خَطَايَا وَهَذِهِ أُمُورٌ صِنَاعِيَّةٌ وَبَضِيئَةٌ تَسْتَوِي جِهَاتُهَا  
الْمُتَعَدِّدَةُ وَتَشَابَهُ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالْإِصْطِلَاحِ فَلَا تَتَمَيَّزُ جِهَةٌ أَحَدٍ مِنْهَا إِذْ جِهَةٌ  
أَحَدٌ إِنَّمَا تَسْتَوِي إِذَا كَانَتْ بِالطَّبَعِ فَيَسْتَبْرَأُ مَا حَصَلَ مِنَ الشَّكِّ وَالْإِرْتِيَابِ وَتُسَدُّ  
الْحُجُبُ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَتَعَدُّ بِالنَّظَرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ النَّظَارِ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ سَيِّمًا مَنْ سَقَتْ لَهُ عُجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ فَرَبَطَتْ عَنْ ذِهْنِهِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُ شَكَبٌ  
بِالْقَانُونِ الْمُنْطَقِيِّ تَعَصَّبَ لَهُ فَأَعْتَقَ أَنَّهُ الدَّرِيْعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبَعِ فَيَقَعُ فِي  
الْخِلَوةِ بَيْنَ شَيْءِ الْأَدِلَّةِ وَشُكُوكِهَا وَلَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْهَا وَالْدَّرِيْعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ  
بِالطَّبَعِ إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا إِذَا جُرِدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ وَتَعَرَّضَ النَّظَرُ  
فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا الْمُنْطَقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِفِعْلِ هَذَا الْفِكْرِ وَتَسَاوُفُهُ  
فِي الْأَكْثَرِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ وَاسْتَمْطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى أَعُوذَكَ فَهُمْ الْمَسَائِلُ  
تَشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِالْإِلْهَامِ إِلَى الصَّوَابِ وَاللَّهُ أَتَهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

### الفصل الثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل  
إِذْ لَمْ أَنْ الْعُلُومَ الْمُتَعَارِفَةَ بَيْنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ عَلَى صِنْفَيْنِ عُلُومٍ مَقْصُودَةٍ بِالذَّاتِ  
كَالْشَّرْعِيَّاتِ مِنْ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ وَكَالطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ



مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَعُلُومٍ هِيَ وَسِيلَةُ آيَةٍ لِهَذِهِ الْعُلُومِ كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ وَغَيْرِهَا لِلشَّرْعِيَّاتِ  
 كَالْمَنْطِقِ لِلْفَلَسَفَةِ وَرُبَّمَا كَانَ آتٍ لِيَلْمَ الْكَلَامَ وَلِأُصُولِ الْفَلَسَفَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 فَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلَا حَرَجَ فِي تَوْسِعَةِ الْكَلَامِ فِيهَا وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ  
 وَاسْتِكْشَافِ الْأَدِلَّةِ وَالْأَنْظَارِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُزِيدُ طَالِبَهَا تَمَكُّنًا فِي مَلَكَتِهِ وَإِضَاحًا  
 لِمَعَانِيهَا الْمُقْصُودَةِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ آيَةٌ لغيرِهَا مِثْلَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَأَمْثَالِهَا فَلَا  
 يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِيهَا إِلَّا مِنْ حَيْثُ هِيَ آتَةٌ لِذَلِكَ الْغَيْرِ فَقَطْ وَلَا يُوسَّعُ فِيهَا الْكَلَامُ وَلَا  
 تَفْرَعُ الْمَسَائِلُ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخْرِجٌ لَهَا عَنْ الْمُقْصُودِ إِذِ الْمُقْصُودُ مِنْهَا مَا هِيَ آتَةٌ لَهُ لَا غَيْرُ  
 فَكَلَّمَا خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ خَرَجَتْ عَنْ الْمُقْصُودِ وَصَارَ الْإِسْتِغَالُ بِهَا لِقَوَائِمٍ مَعَ مَا فِيهِ  
 مِنْ صُعُوبَةِ الْحُصُولِ عَلَى مَلَكَتِهَا بِطُولِهَا وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ  
 تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْمُقْصُودَةِ بِالذَّاتِ لِطُولِ وَسَائِلِهَا مَعَ أَنَّ شَأْنَهَا أَهَمُّ وَالْعُمُرُ يَنْصَرِفُ عَنْ  
 تَحْصِيلِ الْجَمِيعِ عَلَى هَذِهِ الدُّورَةِ فَيَكُونُ الْإِسْتِغَالُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ تَضْيِيقًا لِلْعُمُرِ  
 وَشُغْلًا بِمَا لَا يَنْبَغِي وَهَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي صِنَاعَةِ النُّحْرِ وَصِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَأُصُولِ  
 الْفَلَسَفَةِ لِأَنَّهُمْ أَوْسَعُوا دَائِرَةَ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَكْثَرُوا مِنَ التَّفَارِيعِ وَالْإِسْتِدْلالاتِ بِمَا  
 أَخْرَجَهَا عَنْ كَوْنِهَا آتَةً وَصِدْقًا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَرُبَّمَا يَقَعُ فِيهَا أَنْظَارٌ لَا حَاجَةَ بِهَا فِي  
 الْعُلُومِ الْمُقْصُودَةِ فَهِيَ مِنْ نَوْعِ اللَّغْوِ وَهِيَ أَيْضًا مُضِرَّةٌ بِالْمُتَعَلِّينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ  
 الْمُتَعَلِّينَ أَهْبَاءَهُمْ بِالْعُلُومِ الْمُقْصُودَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْبَاءِهِمْ بِوَسَائِلِهَا فَإِذَا قَطَعُوا  
 الْعُمُرَ فِي تَحْصِيلِ الْوَسَائِلِ فَمَتَى يَنْظُرُونَ بِالْمَقَاصِدِ فَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّينَ لِهَذِهِ  
 الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ أَنْ لَا يَسْتَبِعِرُوا فِي شَأْنِهَا وَيُنَبِّهُوا الْمُتَعَلِّمَ عَلَى الْغَرَضِ مِنْهَا وَيَتَّقُوا بِهِ عِنْدَهُ  
 فَبِمَنْ تَرَعَتْ بِهِ هِمَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَعُّلِ فَلْيَدِقْ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ التَّرَاقِي صَعْبًا  
 أَوْ سَهْلًا وَكُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خَافَى لَهُ .

### الفصل الواحد والثلاثون

فِي تَعْلِيمِ الْوُلَدَانِ وَاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الْأُمَاصِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي طَرِيقِهِ  
 إَعْلَمَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْوُلَدَانِ لِلْقُرْآنِ شِعَارُ الدِّينِ أَخَذَ بِهِ أَهْلُ الْبِلَّةِ وَدَرَجُوا عَلَيْهِ  
 فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ لِمَا يَنْبَغِي فِيهِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ رُسُوحِ الْإِيمَانِ وَعَقَائِدِهِ مِنْ  
 آيَاتِ الْقُرْآنِ وَبَعْضُ مُثُونِ الْأَحَادِيثِ وَصَارَ الْقُرْآنُ أَصْلَ التَّعْلِيمِ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ

مَا يَحْصُلُ بَعْدَ مِنَ الْمَلَكَاتِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ التَّعْلِيمَ فِي الصِّغَرِ أَشَدُّ رُسُوخًا وَهُوَ  
 أَصْلٌ لِمَا بَعْدَهُ لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَلَكَاتِ وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ  
 وَأَسَالِيهِ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَنْبَنِي عَلَيْهِ وَاتَّخَلَّتْ طُرُقُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِلْوِلْدَانِ  
 بِاخْتِلَافِهِمْ بِإِعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَلَكَاتِ فَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 فَمَذْهَبُهُمْ فِي الْوِلْدَانِ الْإِقْتِصَارُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ فَقَطْ وَأَخَذَهُمْ أَثْنَاءَ الْمُدَارَسَةِ  
 بِالرَّسْمِ وَمَسَائِلِهِ وَاخْتِلَافِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ لَا يَخْطِطُونَ ذَلِكَ بِسِوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ  
 مَجَالِسِ تَعْلِيمِهِمْ لَا مِنْ حَدِيثٍ وَلَا مِنْ فِقْهِ وَلَا مِنْ شِعْرِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى أَنْ  
 يَحْذُقَ فِيهِ أَوْ يَنْقَطِعَ دُونَهُ فَيَكُونُ انْقِطَاعُهُ فِي الْغَالِبِ انْقِطَاعًا عَنِ الْعِلْمِ بِالْجُمْلَةِ وَهَذَا  
 مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِالْمَغْرِبِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ قُرَى الْبَدْرِ أَمَمِ الْمَغْرِبِ فِي وَلَدَانِهِمْ  
 إِلَى أَنْ يُجَاوِزُوا حَدَّ الْبُلُوغِ إِلَى الشَّيْبَةِ وَكَذَا فِي الْكِبَرِ إِذَا رَجَعَ مُدَارَسَةُ الْقُرْآنِ  
 بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنْ عُمُرِهِ فَهُمْ لِذَلِكَ أَقْوَمُ عَلَى رَسْمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَنْدَلُسِ فَمَذْهَبُهُمْ تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُدْعَوْنَ فِي  
 التَّعْلِيمِ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ أَصْلَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُهُ وَمَنْعَ الدِّينِ وَالْعُلُومِ جَعَلُوهُ أَصْلًا  
 فِي التَّعْلِيمِ فَلَا يَقْتَصِرُونَ لِذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَطْ بَلْ يَخْطِطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ رِوَايَةَ الشِّعْرِ  
 فِي الْغَالِبِ وَاللُّغَى وَأَخَذَهُمْ بِقَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ وَحِفْظِهَا وَتَجْوِيدِ الْخَطِّ وَالْكِتَابِ وَلَا  
 تَخْتَصُّ عِنَايَتُهُمْ فِيهِ بِالْخَطِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْوَلَدُ مِنْ عُمُرِ الْبُلُوغِ إِلَى  
 الشَّيْبَةِ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالشِّعْرِ وَالْبَصْرِ بِهِمَا وَيَزِدُّ فِي الْخَطِّ وَالْكِتَابِ  
 وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ الْعِلْمِ عَلَى الْجُمْلَةِ لَوْ كَانَ فِيهَا سَنَدٌ لِتَعْلِيمِ الْعُلُومِ لَكِنَّهُمْ يَنْقَطِعُونَ عَنْ  
 ذَلِكَ لِانْقِطَاعِ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِي آفَاقِهِمْ وَلَا يَحْصُلُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَّا مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ أَرَشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَعْدَادٌ إِذَا وَجَدَ الْمُعَلِّمُ وَأَمَّا  
 أَهْلُ أَفْرِيقِيَّةٍ فَيَخْطِطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ الْقُرْآنَ بِالْحَدِيثِ فِي الْغَالِبِ وَمُدَارَسَةُ قَوَائِنِ  
 الْعُلُومِ وَتَلْقِينَ بَعْضَ مَسَائِلِهَا إِلَّا أَنَّ عِنَايَتَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَاسْتِنْظَارَ الْوِلْدَانِ إِيَّاهُ وَوُقُوفَهُمْ  
 عَلَى اخْتِلَافِ رِوَايَاتِهِ وَقِرَاءَاتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ وَعِنَايَتُهُمْ بِالْخَطِّ تَبَعٌ لِذَلِكَ وَبِالْجُمْلَةِ  
 فَطَرِيقَتُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاسْتَقَرُّوا بِثُونِ وَعَنْتِهِمْ  
 أَخَذَ وَلَدَانَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيَخْطِطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا يَبْلُغُ



وَلَا أُدْرِي بِمِ عَنَائَتِهِمْ مِنْهَا وَالَّذِي يُنْقَلُ لَنَا أَنَّ عَنَائَتَهُمْ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُفْرِ الْعِلْمِ  
وَقَوَائِنِهِ فِي زَمَنِ السَّبِيَةِ وَلَا يَخْطُطُونَ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ بَلْ لَتَعْلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ  
وَمُعَلِّمُونَ لَهُ عَلَى أَنْفِرَادِهِ كَمَا تُتَعَلَّمُ سَائِرُ الصَّنَائِعِ وَلَا يَتَدَاوَلُونَهَا فِي مَكَاتِبِ الصِّبْيَانِ وَإِذَا  
كُتِبُوا لَهُمُ الْأَلْوَاخُ فَيُحِطُّ قَاصِرٌ عَنِ الْإِجَادَةِ وَمَنْ أَرَادَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ فَعَلَى قَدَرٍ مَا يَسْتَحِ  
لُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَلْهَمَةٍ فِي طَلَبِهِ وَيَتَّبِعِيهِ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ فَأَمَّا أَهْلُ أَفْرِيقَةِ وَالْمَغْرِبِ  
فَأَفَادَهُمُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقُصُورُ عَنْ مَلَكَةِ اللِّسَانِ جُمْلَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا  
يُنْشَأُ عَنْهُ فِي الْغَالِبِ مَلَكَةٌ لَنَا أَنَّ الْبَشَرَ مَضْرُوفُونَ عَنِ الْإِثْيَانِ بِمِثْلِهِ فَهُمْ مَضْرُوفُونَ  
لِذَلِكَ عَنْ الْأَسْتِغْنَاءِ عَلَى أَسَالِيهِهِ وَالْإِحْتِدَاءِ بِهَا وَآيَسَ لَهُمْ مَلَكَةٌ فِي غَيْرِ أَسَالِيهِهِ  
فَلَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مَلَكَةٌ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحَظُّهُ الْجُودُ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ التَّصَرُّفِ  
فِي الْكَلَامِ وَرُبَّمَا كَانَ أَهْلُ أَفْرِيقَةِ فِي ذَلِكَ أَخَفَّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِمَا يَخْطُطُونَ  
فِي تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ بِعِبَارَاتِ الْعُلُومِ فِي قَوَائِنِهَا كَمَا قُلْنَا فَيَقْتَدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
التَّصَرُّفِ وَمُخَازَاةِ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ إِلَّا أَنَّ مَلَكَتَهُمْ فِي ذَلِكَ قَاصِرَةٌ عَنْ الْبَلَاغَةِ كَمَا  
سَيَأْتِي فِي فَضْلِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَفَادَهُمُ التَّفَنُّنُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثْرَةُ رِوَايَةِ الشِّعْرِ  
وَالْتَّرْسُلُ وَمُدَارَسَةُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ حُصُولَ مَلَكَةِ صَارُوا بِهَا أَعْرَفَ فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَقَصُرُوا فِي سَائِرِ الْعُلُومِ لِبُعْدِهِمْ عَنْ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ  
أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَسَاسُهَا فَكَانُوا لِذَلِكَ أَهْلَ حَظٍّ وَأَدَبٍ بَارِعٍ أَوْ مُقْصِرٍ عَلَى حَسَبِ مَا  
يَكُونُ التَّعْلِيمُ الثَّانِي مِنْ بَعْدِ تَعْلِيمِ الصَّبِيِّ وَلَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي  
كِتَابِ رِحْلَتِهِ إِلَى طَرِيقَةِ غَرِيبَةٍ فِي وَجْهِ التَّعْلِيمِ وَأَعَادَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَأَ وَقَدَّمَ تَعْلِيمَ  
الْعَرَبِيَّةِ وَالشِّعْرِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَالَ لِأَنَّ الشِّعْرَ دِيْوَانُ  
الْعَرَبِ وَيَدْعُو عَلَى تَقْدِيرِهِ وَتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْلِيمِ ضَرُورَةٌ فَسَادِ اللُّغَةِ ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ  
إِلَى الْحِسَابِ فَيَتَمَرَّنُ فِيهِ حَتَّى يَرَى الْقَوَائِنَ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَتَيَسَّرُ  
عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ ثُمَّ قَالَ وَيَا غَفْلَةَ أَهْلِ بِلَادِنَا فِي أَنْ يُؤْخَذَ الصَّبِيُّ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي  
أَوَامِرِهِ يَتَرَأَّى مَا لَا يَفْهَمُ وَيَنْصَبُ فِي أَمْرِ غَيْرِهِ أَهَمَّ مَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَنْظُرُ فِي أَصُولِ  
الدِّينِ ثُمَّ أَصُولِ الْفَقْهِ ثُمَّ الْجَدَلِ ثُمَّ الْحَدِيثِ وَعُلُومِهِ وَنَهَى مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُخْطَطَ فِي التَّعْلِيمِ  
عِلْمَانِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَتْلَبُ قَابِلًا لِذَلِكَ بِجُودَةِ الْفَهْمِ وَالنَّشَاطِ هَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي



أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ لَعَنِي مَذْهَبٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ لَا تُسَاعِدُ عَلَيْهِ وَهِيَ أَمَلُكَ  
بِالْأَحْوَالِ وَوَجْهٌ مَا اخْتَصَّتْ بِهِ الْعَوَائِدُ مِنْ تَقَدُّمِ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ إِثَاراً لِتَبَرُّكِ وَالثَّوَابِ  
وَحَشْيَةٍ مَا يَغْرِضُ لِلْوَلَدِ فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ مِنَ الْآفَاتِ وَالْوَاطِعِ عَنِ الْعِلْمِ فَيَقُوتُهُ الْقُرْآنُ  
لَأَنَّهُ مَا دَامَ فِي الْحَجَرِ مُنْقَادٌ لِلْحُكْمِ فَإِذَا تَجَاوَزَ الْبُلُوغَ وَأَنْحَلَّ مِنْ رِبْقَةِ الْقَوْرِ قَرُبًا  
عَصَفَتْ بِهِ رِيَا حُ الشَّيْبَةِ فَأَلْقَتْهُ بِسَاحِلِ الْبَطَالَةِ فَيَقْتَتِمُونَ فِي زَمَانِ الْحَجَرِ وَرِبْقَةِ  
الْحُكْمِ تَحْصِيلَ الْقُرْآنِ لِئَلَّا يَذْهَبَ خُلُؤًا مِنْهُ وَلَوْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِاسْتِمْرَارِهِ فِي طَلَبِ  
الْعِلْمِ وَقَبُولِهِ التَّلَامِيمَ لَكَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَوَّلِي مَا أَخَذَ بِهِ أَهْلُ  
الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثاني والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضره بهم

وَذَلِكَ أَنَّ إِرْهَافَ الْحَدِّ بِالتَّعْلِيمِ مُضِرٌّ بِالتَّعْلِيمِ سَيِّئًا فِي أَصَاغِرِ الْوُلْدِ لِأَنَّهُ مِنْ سُوءِ  
الْمَلَكَةِ وَمَنْ كَانَ مَرْبَاهُ بِالْعُسْفِ وَالْقَوْرِ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ أَوْ التَّمَالِيكَ أَوْ الْخُذَمِ  
سَطَا بِهِ أَتَقَهَّرَ وَضَيَّقَ عَنِ النَّفْسِ فِي أَنْبَسَاطِهَا وَذَهَبَ بِنَشَاطِهَا وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسَلِ وَحَمَلَ  
عَلَى الْكَذِبِ وَالْخُبْثِ وَهُوَ الظَّاهِرُ بِغَيْرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْبَسَاطِ الْأَيْدِي بِالتَّهَرُّ  
عَلَيْهِ وَعَلَّمَهُ الْمَكْرَ وَالْخُدَيْعَةَ لِذَلِكَ وَصَارَتْ لَهُ هَذِهِ عَادَةٌ وَخُلُقًا وَفَسَدَتْ مَعَانِي  
الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ الْإِجْتِمَاعُ وَالتَّسَرُّنُ وَهِيَ الْحِمِيَّةُ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْزِلِهِ  
وَصَارَ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ بَلٍ وَكَسَلَتْ النَّفْسُ عَنْ أَكْتِسَابِ الْقَضَائِلِ وَالْخُلُقِ  
الْجَمِيلِ فَأَنْقَبَضَتْ عَنْ غَايَتِهَا وَرَمَدَى إِنْسَانِيَّتُهَا فَارْتَكَسَ وَعَادَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَهَكَذَا  
وَقَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ حَصَلَتْ فِي قَبْضَةِ الْقَوْرِ وَنَالَ مِنْهَا الْعُسْفُ وَأَعْتَبَرَهُ فِي كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ  
أَمْرُهُ عَلَيْهِ وَلَا تَكُونُ الْمَلَكَةُ الْكَافِلَةُ لَهُ رَفِيقَةً بِهِ وَتَجِدُ ذَلِكَ فِيهِمْ أَسْتِقْرَاءً  
وَأَنْظَرُهُ فِي الْيَهُودِ وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ السُّوءِ حَتَّى إِنَّهُمْ يُوصَفُونَ فِي كُلِّ  
أَفْقٍ وَعَصْرٍِ بِالْخَرَجِ وَمَعْنَاهُ فِي الْأَصْلِ الْخُرُوجُ الْمَشْهُورِ التَّخَابُثُ وَالْكَيْدُ وَسَبِيهُ مَا قُلْنَا  
فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ فِي مُتَعَلِّمِهِ وَالْوَالِدِ فِي وَلَدِهِ أَنْ لَا يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِمَا فِي التَّأْدِيبِ وَقَدْ قَالَ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي حُكْمِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ لَا يَنْبَغِي  
لِلْمُؤَدِّبِ الصِّبْيَانِ أَنْ يَزِيدَ فِي ضَرْبِهِمْ إِذَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ شَيْئًا وَمِنْ

كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصاً على صون النفوس  
 عن مذلة التأديب وعِلماً بأنَّ المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له فإنه أعلم  
 بصلحته ومن أحسن مذهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولديه محمد الأمين  
 فقال يا أحمق إنَّ أمير المؤمنين قد دفع إليك منهجة نفسه ونمرة قلبه فصير يدك عليه  
 منسوبة وطاعته لك واجبة وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرنه القرآن  
 وعرفته الأخبار وروره الأسماء وعلته السنن وبصره بواقع الكلام وبديته وأمنته  
 من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع  
 مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مُتَمِّمٌ فائدة تُفيدُه  
 إياها من غير أن تحزذه فتسبب ذهنه ولا تسعين في مسامحته فيستجلي الفراغ ويألفه  
 وقومه ما استقامت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدَّة واللطفة . انتهى .

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم  
 والسبب في ذلك أنَّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتجلبون به من  
 المذاهب والفضائل ثلثة علماً وتعلماً وإلقاءً وثلثة مخاكة وتلقيناً بالمباشرة إلا أن  
 حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر  
 كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضاً في تعليم  
 العلوم مخيلة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه  
 ذلك إلا مباشرة لا اختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ  
 يفيد تميز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم  
 أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان  
 وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثيرتها  
 من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية  
 فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب النوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة  
 الرجال والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

## الفصل الرابع والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُعْتَادُونَ النَّظَرَ الْفِكْرِيَّ وَالْعَوَظَ عَلَى الْمَعَانِي وَأَنْتِدَاعَهَا مِنْ الْمَحْشُوسَاتِ وَتَجْرِيدَهَا فِي الذِّهْنِ أُمُورًا كُتِبَتْ عَامَّةً لِيُحْكَمَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ الْعُضُومِ لَا بِخُصُوصِ مَادَّةٍ وَلَا شَخْصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَيُطَبِّقُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكُلِّيَّ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ وَأَيْضًا يَقِيسُونَ الْأُمُورَ عَلَى أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَالِهَا بِمَا أَعْتَادُوهُ مِنَ الْقِيَاسِ الْقَهْطِيِّ فَلَا تَرَالُ أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كُلُّهَا فِي الذِّهْنِ وَلَا تَصِيرُ إِلَى الْمُطَابَقَةِ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ وَلَا تَصِيرُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى الْمُطَابَقَةِ وَإِنَّمَا يَتَفَرَّعُ مَا فِي الْخَارِجِ عَمَّا فِي الذِّهْنِ مِنْ ذَلِكَ كَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّهَا فُرُوعٌ عَمَّا فِي الْمَحْشُوظِ مِنْ أُدْلَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَتَطْلُبُ مُطَابَقَةً مَا فِي الْخَارِجِ لَهَا عَكْسُ الْأَنْظَارِ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تَطْلُبُ فِي صِحَّتِهَا مُطَابَقَتَهَا لِمَا فِي الْخَارِجِ فَهُمْ مُتَعَوِّذُونَ فِي سَائِرِ أَنْظَارِهِمْ الْأُمُورَ الذِّهْنِيَّةَ وَالْأَنْظَارَ الْفِكْرِيَّةَ لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَالسِّيَاسَةَ يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى مُرَاعَاةِ مَا فِي الْخَارِجِ وَمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَيَتَّبِعُهَا فَإِنَّهَا خَفِيَّةٌ وَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَنْتَعِ مِنْ إِخْلَاقِهَا بِشِبْهِ أَوْ مِثَالِ وَيُنَاقِي الْكُلِّيَّ الَّذِي يُعَاوِلُ تَطْبِيقَهُ عَلَيْهَا وَلَا يُقَاسُ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَانِ عَلَى الْآخَرِ كَمَا أُسْتَبْهَأَ فِي أَمْرِ وَاحِدٍ فَلَا تَطْلُبُهَا اخْتِلَافًا فِي أُمُورٍ فَتَكُونُ الْعُلَمَاءُ لِأَجْلِ مَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ تَعْيِيمِ الْأَحْكَامِ وَقِيَاسِ الْأُمُورِ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ إِذَا نَظَرُوا فِي السِّيَاسَةِ أَفْرَعُوا ذَلِكَ فِي قَالِبِ أَنْظَارِهِمْ وَنَوْعِ اسْتِدْلَالِهِمْ فَيَقَعُونَ فِي الْغَلْطِ كَثِيرًا وَلَا يَوْمُنُ عَلَيْهِمْ وَيَلْحَقُ بِهِمْ أَهْلُ الذِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ لِأَنَّهُمْ يَنْتَرِعُونَ بِثُؤُوبِ أَذْهَانِهِمْ إِلَى مِثْلِ شَأْنِ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْعَوَظِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْقِيَاسِ وَالْمُحَاكَاةِ فَيَقَعُونَ فِي الْغَلْطِ وَالْعَامِيُّ السَّلِيمُ الطَّبِيعِ الْمُرْتَسِطُ الْكَيْسِ لِقُصُورِ فِكْرِهِ عَنْ ذَلِكَ وَعَدَمِ اعْتِيَادِهِ إِيَّاهُ يَقْتَصِرُ لِكُلِّ مَادَّةٍ عَلَى حُكْمِهَا وَفِي كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ عَلَى مَا أَخْصَصَ بِهِ وَلَا يُعَدِّي الْحُكْمَ بِتِيَّاسٍ وَلَا تَعْيِيمٍ وَلَا يُفَارِقُ فِي أَكْثَرِ نَظَرِهِ الْمَوَادَّ الْمَحْشُوسَةَ وَلَا يُجَاوِزُهَا فِي ذِهْنِهِ كَالسَّابِحِ لَا يُفَارِقُ الْبَرَّ عِنْدَ الْمَوْجِ قَالَ الشَّاعِرُ

فَلَا تُوْغِلَنَّ إِذَا مَا سَبَحْتَ مَ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ



فَيَكُونُ مَأْمُونًا مِنَ النَّظَرِ فِي سِيَاسَتِهِ مُسْتَقِيمَ النَّظَرِ فِي مُعَامَلَةِ أَهْلِهِ جَنَسِهِ فَيَحْسُنُ  
مَعَاشَهُ وَتَنْدَفِعُ آفَاتُهُ وَمُضَارُهُ بِاسْتِقَامَةِ نَظَرِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ  
أَنَّ صِنَاعَةَ الْمُنْطِقِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ الْغَلَطُ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْإِنْتِدَاعِ وَبُعْدِهَا عَنِ الْمَحْسُوسِ  
فَإِنَّهَا تَنْظُرُ فِي الْمَعْثُولَاتِ الثَّوَابِي وَلَعَلَّ الْمَوَادَّ فِيهَا مَا يُمَانِعُ تِلْكَ الْأَحْكَامَ وَيُنَافِيهَا  
عِنْدَ مُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ الِيقِينِي وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْمَقُولَاتِ الْأَوَّلِ وَهِيَ الَّتِي تُجَرِّدُهَا قَرِيبٌ  
فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا خَيَالِيَّةٌ وَصُورُ الْمَحْسُوسَاتِ حَافِظَةٌ مُؤَدَّةٌ بِتَصْدِيقِ انْطِبَاقِهِ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخامس والثلاثون

في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم  
مِنَ الْغَرِيبِ الْوَاقِعِ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْبِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ لَا مِنْ  
الْعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ فِي  
نَسَبِهِ فَهُوَ عَجَبِيٌّ فِي لُغَتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمَشِيعَتِهِ مَعَ أَنَّ الْبِلَّةَ عَرَبِيَّةٌ وَصَاحِبُ شَرِيعَتِهَا قَرِيبِي  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبِلَّةَ فِي أَوَّلِهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا صِنَاعَةٌ لِبُقْطَضِ أَحْوَالِ  
السَّذَاجَةِ وَالْبِدَاوَةِ وَإِنَّمَا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ أَوَامِرُ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ كَانَ الرِّجَالُ  
يَنْقُلُونَهَا فِي صُدُورِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا مَا أَخَذَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا تَلَقَّوْهُ مِنْ صَاحِبِ  
الشَّرْعِ وَأَصْحَابِهِ وَالْقَوْمُ يَوْمَئِذٍ عَرَبٌ لَمْ يَعْرِفُوا أَمْرَ التَّعْلِيمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَلَا  
دَفَعُوا إِلَيْهِ وَلَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ زَمَنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَانُوا  
يَسْتَمُونَ الْمُخْتَصِمِينَ بِحَمْلِ ذَلِكَ وَنَقْلِهِ إِلَى الْقُرَاءِ أَيْ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَلَيْسُوا أَمِينِينَ  
لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ يَوْمَئِذٍ صِفَةٌ شَامَّةٌ فِي الصَّحَابَةِ بِمَا كَانُوا عَرَبًا فَقِيلَ لِحَمَلَةِ الْقُرْآنِ يَوْمَئِذٍ قُرَاءٌ  
إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا فَهُمْ قُرَاءٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
الْأَحْكَامَ الشَّرِيعَةَ إِلَّا مِنْهُ وَمِنَ الْخُلْدِ الَّذِي هُوَ فِي غَالِبِ مَوَارِدِهِ تَفْسِيرٌ لَهُ وَشَرْحٌ  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ أَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي فَلَمَّا بَعُدَ النَّقْلُ مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّشِيدِ فِيمَا بَعْدَ احْتِيَجِ إِلَى وَضْعِ التَّفَاسِيرِ الْقُرْآنِيَّةِ  
وَتَقْسِيمِ الْخُلْدِ مَخَافَةَ ضَيَاعِهِ ثُمَّ احْتِيَجَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ وَتَعْدِيلِ النَّاقِلِينَ لِلتَّحْقِيقِ  
بَيْنَ الصَّحِيحِ وَمِنَ الْأَسَانِيدِ وَمَا دُونَهُ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِ الْوَاقِعَاتِ مِنْ

الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فأحتيج إلى وضع القوانين النحوية وصارت  
العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباطات والاستخراج والتظهير والتأييد  
وأحتاجت إلى علوم أخرى وهي أو مسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك  
الاستنباط والقياس والذبح عن العقائد الإيمانية بالأدلة لكثرة الدع والاختلاف  
فصارت هذه العلوم كلها علوم ذات ملكات محتاجة إلى التعليم فاندرجت في جملة  
الصنائع وقد كنا قدّمنا أنّ الصنائع من منتحل الحضرة وأن العرب أبعد الناس عنها  
فصارت العلوم لذلك حضريّة وبعدها عنها العرب وعن سوقها والحضرة لذلك العهد هم  
العجم أو من هم في معانهم من التوالي وأهل الخواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في  
الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم  
منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة التخرّ سيويّ والتاريخيّ من بعده والزجاج من  
بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم وإنّا رأوا في اللسان العربيّ فاكتمسبوه بالمربّي  
ومطالعة العرب وصيّدوه قوانين وفنّاً لمن بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن  
أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربّي وكان علماء أصول الفقه  
كلهم عجمًا كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يقيم  
يحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم وظهر مصادق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم  
بأكتاف النساء لئاله قوم من أهل فارس وأما العرب الذين أدرّكوا هذه الحضارة  
وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة وحاميتها وأولي سياستها  
مع ما يلحقهم من الأنفة عن إنتخال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء  
أبداء يستكفون عن الصنائع واليهن وما يجرّ إليها ودفعوا ذلك إلى من قام به من  
العجم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فإنه دينهم وعلومهم ولا يحترقون  
حملة كل الاحتقار حتى إذا خرج الأمر من العرب جملة وصار للعجم صارت العلوم  
الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وأمتهم حينئذ  
بما يرون أنّهم بعداء عنهم مشتغلين بما لا يغني ولا يجدي عنهم في الملك والسياسة  
كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قرّناه هو السبب في أن حملة  
الشرعية أو عامتهم من العجم وأما العلوم العقلية أيضاً فلم تظهر في الإملة إلا بعد أن

تَمَيَّزَ حَمَلَةُ الْعِلْمِ وَمَوْلُفُوهُ وَاسْتَقَرَّ الْعِلْمُ كُلُّهُ صِنَاعَةً فَأَخْصَصَتْ بِالْعَجَمِ وَتَرَكَتْهَا الْعَرَبَ  
وَأَنْصَرَفُوا عَنْ أَنْتِجَالِهَا فَلَمْ يَحْمِلْهَا إِلَّا الْمُعَرَّبُونَ مِنَ الْعَجَمِ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَمَا قُلْنَا أَوَّلًا  
فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ مَا دَامَتْ الْحَضَارَةُ فِي الْعَجَمِ وَبِلَادِهِمْ مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ  
وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَلَمَّا خَرِبَتْ تِلْكَ الْأَمْصَارُ وَذَهَبَتْ مِنْهَا الْحَضَارَةُ الَّتِي هِيَ سِرُّ اللَّهِ فِي  
حُصُولِ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ ذَهَبَ الْعِلْمُ مِنَ الْعَجَمِ جُمْلَةً لِمَا شَمَلَهُمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَخْصَصَ  
الْعِلْمُ بِالْأَمْصَارِ الْمَرْفُورَةِ الْحَضَارَةِ وَلَا أَوْقَرَ الْيَوْمَ فِي الْحَضَارَةِ مِنْ مِصْرَ فَبَيَّ أُمُّ الْعَالَمِ  
وَأَيُّوَانُ الْإِسْلَامِ وَيَنْبُوعُ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ وَبَقِيَ بَعْضُ الْحَضَارَةِ فِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِمَا  
هُنَاكَ مِنَ الْحَضَارَةِ بِالْأَدْوَلَةِ الَّتِي فِيهَا فَلَهُمْ بِذَلِكَ حِصَّةٌ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ لَا تُنْكَرُ  
وَقَدْ دَلَّنَا عَلَى ذَلِكَ كَلَامُ بَعْضِ عُلَمَائِهِمْ مِنْ تَأْلِيفِ وَصَلَتْ إِلَيْنَا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَهُوَ  
سَعْدُ الدِّينِ التَّقَازَانِيُّ وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعَجَمِ فَلَمْ نَرَهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ  
وَنَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ كَلَامًا يُعَوَّلُ عَلَى نَهَائِيهِ فِي الْإِصَابَةِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلْهُ تَرَى عَجَبًا  
فِي أَحْوَالِ الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

## الفصل السادس والثلاثون

في علوم اللسان العربي

أَرَادَهُ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ اللَّغَةُ وَالنَّحْوُ وَالْبَيَانُ وَالْأَدَبُ وَمَعْرِفَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ  
الشَّرِيعَةِ إِذْ مَا خُذُ الْأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهِيَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ  
وَنَقَلَتْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَرَبٌ وَشَرَحَ مُشْكِلَاتِهَا مِنْ لُغَاتِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا اللِّسَانِ لِمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَتَبَيَّنَتْ فِي التَّأْكِيدِ بِتَفَاوُتِ  
مَرَاتِبِهَا فِي التَّوْفِيقِ بِمَقْصُودِ الْكَلَامِ حَسَبًا يَتَّبِعُ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَنَّا قَنَّا وَالَّذِي  
يَتَخَصَّلُ أَنَّ الْأَهَمَّ الْمُتَقَدِّمَ مِنْهَا هُوَ النَّحْوُ إِذْ بِهِ تَتَّبَعُ أَصُولُ الْمَقَاصِدِ بِالْإِدْلَالَةِ فَيُعْرِفُ  
الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ وَلَوْلَا لُجْهُ أَصْلُ الْإِفَادَةِ وَكَانَ مِنْ حَقِّ عِلْمِ  
اللُّغَةِ الْمُتَقَدِّمُ لَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْضَاعِ بَاقِيَةً فِي مَوْضُوعَاتِهَا لَمْ تَتَغَيَّرْ بِخِلَافِ الْأِعْرَابِ  
الِدَّالِّ عَلَى الْإِسْنَادِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ تَغَيَّرَ بِالْجُمْلَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ فَلِذَلِكَ  
كَانَ عِلْمُ النَّحْوِ أَهَمَّ مِنَ اللَّغَةِ إِذْ فِي جَهْلِهِ الْإِخْلَالُ بِالتَّفَاهُمِ جُمْلَةً وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ



اللُّغَةُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّرْفِيقُ

### علم النحو

إِعْلَمُ أَنَّ اللُّغَةَ فِي الْمُتَعَارِفِ هِيَ عِبَارَةُ الْمُتَكَلِّمِ عَنْ مَقْصُودِهِ وَتِلْكَ الْعِبَارَةُ  
فَعْلٌ لِسَانِيٌّ فَلَا بُدَّ أَنْ تَصِيرَ مَلَكَةً مُتَقَرَّرَةً فِي الْعُضْرِ الْفَاعِلِ لَهَا وَهُوَ اللِّسَانُ وَهُوَ فِي  
كُلِّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ أَصْلَاحَاتِهِمْ وَكَانَتْ الْمَلَكَةُ أَخْصَصَةً لِلْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ  
الْمَلَكَاتِ وَأَوْضَحَهَا إِبَانَةً عَنِ الْمَقَاصِدِ لِلدَّلَالَةِ غَيْرِ الْكَلِمَاتِ فِيهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ  
الْمَعَانِي مِنَ الْمَجْرُورِ أَغْنَى الْمُضَافِ وَمِثْلَ الْحُرُوفِ الَّتِي تُفْضِي بِالْأَفْعَالِ إِلَى الدَّوَاتِ  
مِنْ غَيْرِ تَكْلُفِ الْفَاطِزِ أُخْرَى وَلَيْسَ يُوجَدُ ذَلِكَ إِلَّا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ  
اللُّغَاتِ فَكُلُّ مَعْنَى أَوْ حَالٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ الْفَاطِزِ تَخْصُّهُ بِالدَّلَالَةِ وَلِذَلِكَ نَجِدُ كَلَامَ  
الْعَجَمِ مِنْ مُحَاطَبَاتِهِمْ أَطْوَلَ يَمَّا تُقَدِّرُهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْتَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَأَخْصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا فَصَارَ لِلْحُرُوفِ فِي  
لُغَتِهِمْ وَالْحَرَكَاتِ وَالْهَيْئَاتِ أَيْ الْأَوْضَاعِ اعْتِبَارٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ غَيْرَ مُتَكَلِّفِينَ  
فِيهِ لِصِنَاعَةِ يَسْتَفِيدُونَ ذَلِكَ مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ مَلَكَةٌ فِي أَلْسِنَتِهِمْ يَأْخُذُهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ  
كَمَا تَأْخُذُ صِيَانَتُنَا إِيذًا الْعَهْدَ لُغَاتِنَا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَفَارَقُوا الْحِجَازَ لَطَبِ الْمَلِكِ  
الَّذِي كَانَ فِي أَيْدِي الْأُمَمِ وَالْأَدُولِ وَخَالَطُوا الْعَجَمَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْمَلَكَةُ بِمَا أَلْقَى  
إِلَيْهَا السَّمْعُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الَّتِي لِلْمُسْتَعْرَبِينَ وَالسَّمْعُ أَبُو الْمَلَكَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَفَسَدَتْ بِمَا  
أَلْقَى إِلَيْهَا يَمَّا يُنَايِرُهَا لِجُنُوحِهَا إِلَيْهِ بِاعْتِيَادِ السَّمْعِ وَخَشْيِ أَهْلِ الْعُلُومِ مِنْهُمْ أَنْ تُفْسَدَ  
تِلْكَ الْمَلَكَةُ رَأْسًا وَيَطُولَ الْعَهْدُ بِهَا فَيَتَغَلَّقَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ عَلَى الْمَقْهُومِ فَاسْتَنْبَطُوا  
مِنْ مَجَارِي كَلَامِهِمْ قَوَانِينَ لِتِلْكَ الْمَلَكَةِ مُطَوَّرَةً مُشَبَّهَةً بِالْكَلِمَاتِ وَالْقَوَاعِدِ يَقِيسُونَ  
عَلَيْهَا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَيُلْحِثُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِثْلَ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولُ  
مَنْصُوبٌ وَالْمُبْتَدَأُ مَرْفُوعٌ ثُمَّ رَأَوْا تَغْيِيرَ الدَّلَالَةِ بِتَغْيِيرِ حَرَكَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَّتِهِ إِعْرَابًا وَتَسْمِيَّةَ الْمَوْجِبِ لِذَلِكَ التَّغْيِيرِ عَامِلًا وَأَمثال ذلك وَصَارَتْ كُلُّهَا  
أَصْطِلَاحَاتٍ خَاصَّةً بِهِمْ فَقَيَّدُوهَا بِالْكِتَابِ وَجَعَلُوهَا صِنَاعَةً لَهُمْ مَخْصُوصَةً وَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَّتِهَا بِعِلْمِ النَّحْوِ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِيهَا أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَيُقَالُ  
بِإِشَارَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ رَأَى تَغْيِيرَ الْمَلَكَةِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِحِفْظِهَا فَقَرَعَ إِلَى

ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرة ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى  
أخيل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد وكان الناس أخرج إليها لذهب تلك الملكة  
من العرب فهدب الصناعة وكتب أبوابها وأخذها عنه سيوريه فكتب تفاريحها واستكثر  
من أدلتها وشواهدا ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماما لكل ما كتب فيها  
من بعده ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتابا مختصرة للمتعلمين يحدون  
فيها حدوا الإمام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها  
في الكوفة والبصرة البصريين القديين للعرب وكثرت الأدلة والججاج بينهم وتباينت  
الطرق في التعلم وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في  
تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمداهمهم في الاختصار  
فاتخضروا كثيرا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما قيل كما فعله ابن مالك في  
كتاب التسهيل وأمثاله أو أقصاهاهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الرماحشري  
في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له وربما نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك في  
الأرجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطي في الأرجوزة الألفية وبالجملة فالتأليف  
في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق التعلم فيها مختلفة فطريقة  
المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون  
والأندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة تؤذن بالذهاب لما  
رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتأقص العنران ووصل إلينا بالمغرب  
لهذه العصور ديوان من مضر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى  
فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمال  
وحذف ما في الصناعة من التكرار في أكثر أبوابها وسماه بالمعني في الإعراب  
وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وقول وقواعد أنظم  
سائر ما فوقنا منه على علم جم يشهد بعلوم قدره في هذه الصناعة وقور بضاعته  
منها وكأنه ينحو في طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني وأتبعوا  
مضطلع تعليمه فأتى من ذلك شيء عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه والله  
يزيد في الخلق ما يشاء



## علم اللغة

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ بَيَانُ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْعَرَبِي فِي الْحُرَكَاتِ الْمُسَمَّاةِ عِنْدَ أَهْلِ النَّحْوِ بِالْإِعْرَابِ وَاسْتَنْبَطَتِ الْقَوَائِنُ لِحِفْظِهَا كَمَا قَلَنَاهُ ثُمَّ اسْتَمَرَ ذَلِكَ الْفَسَادُ بِمُلَابَسَةِ الْعَجَمِ وَمُخَالَطَتِهِمْ حَتَّى تَأْدَى الْفَسَادُ إِلَى مَوْضُوعَاتِ الْأَلْفَاظِ فَاسْتَعْمِلَ كَثِيرٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي غَيْرِ مَوْضُوعِهِ عِنْدَهُمْ مِثْلًا مَعَ هِجَةِ الْمُسْتَعْرَبِينَ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ الْمُخَالِفَةِ لِصَرِيحِ الْعَرَبِيَّةِ فَاجْتَبَحَ إِلَى حِفْظِ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ بِالْكِتَابِ وَالتَّدْوِينِ خَشْيَةَ الدُّرُوسِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْبُهْلِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ فَشَرَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ لِذَلِكَ وَأَمَّا فِيهِ الدَّوَائِنُ وَكَانَ سَابِقُ الْخَلْبَةِ فِي ذَلِكَ أَخْلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيَّ أَلْفَ فِيهَا كِتَابَ الْعَيْنِ فَحَصَرَ فِيهِ مَرْكَبَاتِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كُلَّهَا مِنْ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِيَةِ وَالرُّبَاعِيَةِ وَالْخَمَاسِيَةِ وَهُوَ غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ التَّرَكِيبُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَتَأْتِي لَهُ حَضَرُ ذَلِكَ بِوُجُوهٍ عَدِيدَةٍ حَاضِرَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ الْكَلِمَاتِ الثَّانِيَّةِ تَخْرُجُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَادِ عَلَى التَّوَالِي مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ وَهُوَ دُونَ نَهَايَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِوَاحِدٍ لِأَنَّ الْحَرْفَ الْوَاحِدَ مِنْهَا يُؤْخَذُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ فَتَكُونُ سَبْعَةٌ وَعِشْرِينَ كَلِمَةً ثُنَائِيَّةً ثُمَّ يُؤْخَذُ الثَّانِي مَعَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ كَذَلِكَ ثُمَّ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ ثُمَّ يُؤْخَذُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مَعَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ فَتَكُونُ وَاحِدًا فَتَكُونُ كُلُّهَا أَعْدَادًا عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ فَتُجْمَعُ كَمَا هِيَ بِالْعَمَلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ الْحِسَابِ ثُمَّ تَضَاعَفُ لِأَجْلِ قَلْبِ الثَّانِي لِأَنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأخِيرَ بَيْنَ الْحُرُوفِ مُعْتَبَرٌ فِي التَّرَكِيبِ فَتَكُونُ أَخْرَجُ جُمْلَةَ الثَّانِيَّاتِ فَمَا يَجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ لِأَنَّ كُلَّ ثُنَائِيَّةٍ يَزِيدُ عَلَيْهَا حَرْفًا فَتَكُونُ ثُلَاثِيَّةً فَتَكُونُ الثَّانِيَّةُ بِمِثْلَةِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ الْبَاقِيَةِ وَهِيَ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَ الثَّانِيَّةِ فَتُجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَيُضْرَبُ فِيهِ جُمْلَةُ الثَّانِيَّاتِ ثُمَّ تَضْرِبُ أَخْرَجُ فِي سِتَّةٍ جُمْلَةَ مَقْلُوبَاتِ الْكَلِمَةِ الثَّلَاثِيَّةِ فَيَخْرُجُ مَجْمُوعٌ تَرَكَيبِيهَا مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَكَذَلِكَ فِي الرُّبَاعِيَةِ وَالْخَمَاسِيَةِ فَانْحَصَرَتْ لَهُ التَّرَاكِيبُ بِهَذَا الْوَجْهِ وَرَتَّبَ أَبَوَابَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِالتَّرْتِيبِ الْمُتَعَارِفِ وَأَعْتَمَدَ فِيهِ تَرْتِيبَ الْمَخَارِجِ قَبْدًا بِحُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ بَعْدَهُ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ الْأَضْرَاسِ ثُمَّ



الشفة وجعل حروف العلة آخراً وهي الحروف الـرأبئة وبداً من حروف الخلق بالعين  
لأنه الأقصر منها فلذلك سمي كتابه بالعين لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية  
دواوينهم إلى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ ثم  
بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي أكثر لقلة  
استعمال العرب له لثقله ولحق به الثاني ولله دورانين وكان الاستعمال في الثاني  
أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانين وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين  
وأسوعه أحسن استيعاب وأوعاه وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب إلهام المؤيد  
بالأندلس في البانية الرابعة فأختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل  
مكلاً وكثيراً من شواهد المستعمل ولخصه للفظ أحسن تلخيص وألف الجوهري  
من المشاركة كتاب الصراح على الترتيب المتعارف بحروف المعجم فجعل البداءة منها  
بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة لإضطرار الناس في  
الأكثر إلى أواخر الكلام وحضر اللغة اقتداء بحضر الخليل ثم ألف فيها من الأندلسيين ابن  
سيده من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب  
وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لإشتاقات الكلام وتصاريغها فجاء من  
أحسن الدواوين ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية  
بنونس وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصراح في اعتبار أواخر الكلام وبناء التراجم  
عليها فكانا توأماي رحم وسليبي أبوة هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه وهناك  
مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الأبواب أو لكأها إلا  
أن وجه الخضر فيها خفي ووجه الخضر في تلك جلي من قبل الدراكبي كما رأيت ومن  
الكتب الموضوعة أيضاً في اللغة كتاب الرمحشري في المجاز يذ فيه كل ما تجوزت  
به العرب من الألفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الإفادة  
ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً  
أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع وال استعمال واحتاج إلى فقه في اللغة  
عزيز المتأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم أخص ما فيه  
بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال

الْأَبْيَضُ فِي هَذِهِ كُلِّهَا لَحْنًا وَخُرُوجًا عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَأَخْصَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا التَّنْحَى  
 الْعَالِي وَأَفْرَدَهُ فِي كِتَابٍ لَهُ سَمَاءُ قِثَّةِ اللُّغَةِ وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ مَا يَأْخُذُ بِهِ اللُّغَوِيُّ نَفْسَهُ  
 أَنْ يُحَرِّفَ اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَلَيْسَ مَعْرِفَةُ الْوَضْعِ الْأَوَّلِ بِكَافٍ فِي التَّرْتِيبِ  
 حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ اسْتِعْمَالُ الْعَرَبِ لِذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ الْأَدِيبُ فِي فَنِي  
 نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَكْثُرَ لَحْنُهُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ اللُّغَوِيَّةِ فِي مُفْرَدَاتِهَا وَتَرَاكِبِهَا  
 وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ اللَّحْنِ فِي الْأِعْرَابِ وَأَفْحَشُ وَكَذَلِكَ أَلْفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْأَلْفَاظِ  
 الْمُشْتَرَكَةِ وَتَكَفَّلَ بِحَضَرِهَا وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى التَّهْيَاةِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ مُسْتَوْعِبٌ لِلْأَكْثَرِ  
 وَأَمَّا الْمُخْتَصَرَاتُ الْمَوْجُودَةُ فِي هَذَا الدَّنَى الْمَخْصُوصَةُ بِالْمُتَدَاوِلِ مِنَ اللُّغَةِ الْكَثِيرِ  
 الْإِسْتِعْمَالِ تَسْهِيلًا لِحِفْظِهَا عَلَى الطَّالِبِ فَكَثِيرَةٌ مِثْلُ الْأَلْفَاظِ لِابْنِ السَّكَيْتِ وَالْفَصِيحِ  
 لَتَعْلَبَ وَغَيْرِهَا وَبَعْضُهَا أَقَلُّ لُغَةً مِنْ بَعْضٍ لِاخْتِلَافِ نَظَرِهِمْ فِي الْأَهَمِّ عَلَى الطَّالِبِ  
 لِلْحِفْظِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### علم البيان

هَذَا الْعِلْمُ حَادِثٌ فِي الْمِلَّةِ بَعْدَ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ وَهُوَ مِنَ الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ لِأَنَّهُ  
 مُتَعَلِّقٌ بِالْأَلْفَاظِ وَمَا تُفِيدُهُ وَيُقْصَدُ بِهَا الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي  
 يُقْصَدُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا إِفَادَةَ السَّامِعِ مِنْ كَلَامِهِ هِيَ إِمَّا تَصَوُّرُ مُفْرَدَاتٍ تُسَنَدُ وَيُسَنَدُ  
 إِلَيْهَا وَيُقْضَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَالْأَلْفَاظُ عَلَى هَذِهِ هِيَ الْمُفْرَدَاتُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ  
 وَالْحُرُوفِ وَإِمَّا تَسْيِيرُ الْمُسْنَدَاتِ مِنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهَا وَالْأَزِمَّةِ وَيُدَلُّ عَلَيْهَا بِتَغْيِيرِ الْحَرَكَاتِ  
 مِنَ الْأِعْرَابِ وَأَبْنِيَةِ الْكَلِمَاتِ وَهَذِهِ كُلُّهَا هِيَ صِنَاعَةُ النُّحْوِ وَيَبْقَى مِنَ الْأُمُورِ  
 الْمُكْتَسِفَةِ بِالْوَاقِعَاتِ الْمُحْتَاجَةِ لِلدَّلَالَةِ أَجْوَالُ الْمُتَخَاطِبِينَ أَوْ النَّاعِلِينَ وَمَا يَقْضِيهِ  
 حَالُ الْفِعْلِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْإِفَادَةِ وَإِذَا حَصَلَتْ لِلْمُتَكَلِّمِ  
 فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الْإِفَادَةِ فِي كَلَامِهِ وَإِذَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ وَاسِعٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ عِنْدَهُمْ مَقَالٌ يُخْصَّ بِهِ بَعْدَ كَمَالِ الْأِعْرَابِ  
 وَالْإِبَانَةِ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُمْ زَيْدٌ جَاءَ نِي مُخَايِدٍ لِقَوْلِهِمْ جَاءَ نِي زَيْدٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
 الْمُتَقَدِّمَ مِنْهُمَا هُوَ الْأَهَمُّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فَمَنْ قَالَ جَاءَ نِي زَيْدٌ أَفَادَ أَنَّ أَهْتِمَامَهُ  
 بِالْمَجِيءِ قَبْلَ الشَّخْصِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَمَنْ قَالَ زَيْدٌ جَاءَ نِي أَفَادَ أَنَّ أَهْتِمَامَهُ بِالشَّخْصِ



قَبْلَ الْمَجِيءِ الْمُسْتَدِرِّ وَكَذَا التَّعْيِيرُ عَنْ أَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ مِنْ مَوْصُولٍ أَوْ  
 مِنْهُمْ أَوْ مَعْرِفَةٍ وَكَذَا تَأْكِيدُ الْإِسْنَادِ عَلَى الْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِمْ زَيْدٌ قَائِمٌ وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ  
 وَإِنْ زَيْدًا لَقَائِمٌ مُتَعَايِرَةٌ كُلُّهَا فِي الدَّلَالَةِ وَإِنْ اسْتَوَتْ مِنْ طَرِيقِ الْإِعْرَابِ فَإِنْ  
 الْأَوَّلَ الْعَادِي عَنْ التَّأْكِيدِ إِنَّمَا يُفِيدُ اخْتِلَافَ الذِّهْنِ وَالثَّانِي الْمَوْكَّدَ بِإِنْ يُفِيدُ  
 الْمُتَرَدِّدَ وَالثَّلَاثُ يُفِيدُ الْمُسْكِرَ فِيهِ مُخْتَلَفَةٌ وَكَذَلِكَ تَقُولُ جَاءَنِي الرَّجُلُ ثُمَّ تَقُولُ مَكَانَهُ  
 بَعِيْنُهُ جَاءَنِي رَجُلٌ إِذَا قَصَدْتَ بِذَلِكَ التَّشْكِيرَ تَعْظِيْمَهُ وَأَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُعَادِلُهُ أَحَدٌ مِنْ  
 الرِّجَالِ ثُمَّ الْجُمْلَةُ الْإِسْنَادِيَّةُ تَكُونُ خَبَرِيَّةً وَهِيَ الَّتِي لَهَا خَارِجٌ تُطَابِقُهُ أَوْ لَا وَإِنْشَائِيَّةً  
 وَهِيَ الَّتِي لَا خَارِجَ لَهَا كَالطَّلَبِ وَأَنْوَاعِهِ ثُمَّ قَدْ يَتَعَيَّنُ تَرْكُ الْعَاطِفِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ إِذَا  
 كَانَ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ فَيُشْرِكُ بِذَلِكَ مَثَلُهُ التَّابِعِ الْمَفْرُودِ نَعْمًا وَتَوْكِيدًا وَبَدَلًا  
 بِلَا عَاطِفٍ أَوْ يَتَعَيَّنُ الْعَاطِفُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ ثُمَّ يَقْتَضِي الْمَحَلُّ  
 الْإِطْنَابَ وَالْإِيْجَازَ فَيُورَدُ الْكَلَامُ عَلَيْهِمَا ثُمَّ قَدْ يُدَلُّ بِاللَّفْظِ وَلَا يُرَادُ مَنْطُوقُهُ  
 وَيُرَادُ لَازِمُهُ إِنْ كَانَ مُفْرَدًا كَمَا تَقُولُ زَيْدٌ أَسَدٌ فَلَا تُرِيدُ حَقِيقَةَ الْأَسَدِ الْمَنْطُوقَةَ  
 وَإِنَّمَا تُرِيدُ شَجَاعَتَهُ اللَّازِمَةَ وَتُسْنِدُهَا إِلَى زَيْدٍ وَتُسَمِّي هَذِهِ اسْتِعَارَةً وَقَدْ تُرِيدُ بِاللَّفْظِ  
 الْمُرَكَّبِ الدَّلَالَةَ عَلَى مَلْزُومِهِ كَمَا تَقُولُ زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ وَتُرِيدُ مَا لَزِمَ ذَلِكَ عَنْهُ  
 مِنَ الْجُودِ وَقَرَى الضَّيْفِ لِأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ نَاشِئَةٌ عَنْهُمَا فَبِهِمَا دَالَّةٌ عَلَيْهِمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا  
 دَلَالَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى دَلَالَةِ الْأَلْفَافِ مِنَ الْمَفْرُودِ وَالْمُرَكَّبِ وَإِنَّمَا هِيَ هَيْئَاتُ وَأَحْوَالُ الْوَاقِعَاتِ  
 جَعَلَتْ الدَّلَالَةَ عَلَيْهَا أَحْوَالٌ وَهَيْئَاتٌ فِي الْأَلْفَافِ كُلُّ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ وَأَشْتَمَلُ  
 هَذَا الْعِلْمُ الْمُسَمَّى بِالْيَانِ عَلَى الْبَحْثِ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الَّتِي لِلْهَيْئَاتِ وَالْأَحْوَالِ  
 وَالْمَقَامَاتِ وَجُعِلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ الصِّفِّ الْأَوَّلُ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ  
 وَالْأَحْوَالِ الَّتِي تُطَابِقُ بِاللَّفْظِ جَمِيعَ مُقْتَضِيَّاتِ أَحْوَالِ وَيُسَمَّى عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَالصِّفِّ  
 الثَّانِي يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ الدَّلَالَةِ عَلَى اللَّازِمِ اللَّفْظِيِّ وَمَلْزُومِهِ وَهِيَ الْإِسْتِعَارَةُ وَالْكِنَايَةُ كَمَا  
 قُلْنَا وَيُسَمَّى عِلْمُ الْيَانِ وَالْأَحْوَالِ بِهِيَ صِنْفًا آخَرًا وَهُوَ النَّظَرُ فِي تَرْيِينِ الْكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ  
 بِنَوْعٍ مِنَ التَّسْمِيَةِ إِمَّا بِسَجْعٍ يَفْصَلُهُ أَوْ تَجْنِيسٍ يُشَابِهُ بَيْنَ الْأَلْفَافِ أَوْ تَرْصِيعٍ يَقْطَعُ  
 أَوْ تَوْرِيَّةٍ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِيْهَامٍ مَعْنَى أَخْفَى مِنْهُ لِإِسْتِرَاكِ الْلَفْظِ بَيْنَهُمَا وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَيُسَمَّى عَنْدهُمْ عِلْمُ الْبَدِيعِ وَأُطْلِقَ عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ اسْمُ



البيان وهو اسم الصنف الثاني لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل  
الفن واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى وأبناحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات  
غير وافية فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن محص السكاكي زبدته  
وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب وألف كتابه المسمى  
بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من بعض أجزائه وأخذ  
المتأخرون من كتابه ولخصوا منه أمهات هي المتداوله لهذا العهد كما فعله السكاكي  
في كتاب التين وأبى مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب  
الإيضاح والتلخيص وهو أصغر حجماً من الإيضاح والنهاية به لهذا العهد عند أهل  
المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره وبالجمله فالمشاركة على هذا  
الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كتابي في العاوم اللسانية والصنائع  
الكتابية توجد في العمران والمشرق أوفر عمراناً من المغرب كما ذكرناه أو  
نقول ليناية الحجم وهم معظم أهل المشرق كتفسير الرمخسري وهو كله مني على  
هذا الفن وهو أصله وإنما اختص بأهل المغرب من أضافه علم البديع خاصة  
وجملته من جملة علوم الأدب الشعرية وفرعوا له القاباً وعددوا أبواباً ونوعوا أنواعاً  
وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ  
وأن علم البديع سهل التأخذ وصعب عليهم ما أخذ البلاغة والبيان لدقة أنظاريهما  
وعروض معانيهما فتجافوا عنها ويمن ألف في البديع من أهل أفريقية ابن رشيقي  
وكتاب العمدة له مشهور وجري كثير من أهل أفريقية والاندلس على منجاء وأعلم  
أن بكرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة  
منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع  
الكمال فيما يختص بالألفاظ في اتقانها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الإعجاز  
الذي تقصر الأفهام عن إدراكه وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق  
بجلاطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت  
مدارك العرب الذين سيعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك لأنهم فرسان الكلام  
وجها بذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصح وأحوج ما يكون إلى هذه

أَلْفَنَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَكْثَرُ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ تُغْلَى عَنْهُ ظَهَرَ جَارُ اللَّهِ الرَّمَحْشَرِيُّ وَوَضَعَ  
كِتَابَهُ فِي التَّفْسِيرِ وَتَتَبَعَ آيَ الْقُرْآنِ بِأَحْكَامِ هَذَا الْفَنِّ بِمَا يُبْدِي الْبَعْضُ مِنْ  
إِعْجَازِهِ فَانْفَرَدَ بِهَذَا الْفَضْلِ عَلَى جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ لَوْلَا أَنَّهُ يُؤَيِّدُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبِدْعِ عِنْدَ  
اِقْتِبَاسِهَا مِنَ الْقُرْآنِ بِوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَالْأَجْلِ هَذَا يَتَحَامَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ وَفُورِ  
بِضَاعَتِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ فَهَمَّ أَحْكَمُ عَقَائِدِ السُّنَّةِ وَشَارَكَ فِي هَذَا الْفَنِّ بَعْضُ الْمُشَارَكَةِ  
حَتَّى يَقْتَدِرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ مِنْ جَانِبِ كَلَامِهِ أَوْ يَعْلَمَ أَنَّهُ بِدْعَةٌ فَيُعْرِضُ عَنْهَا وَلَا تُضِرُّ  
فِي مُعْتَقَدِهِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلظَّاهِرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِعْجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ  
مِنَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَاللَّهُ الْهَادِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ

### علم الادب

هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضِعَ لَهُ يُنْظَرُ فِي إِثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَفْيِهَا وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ  
أَهْلِ اللِّسَانِ تَسَرُّتُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ عَلَى أَسَالِيِبِ الْعَرَبِ  
وَمَنَاحِيهِمْ فَيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ  
عَالِي الطَّبَقَةِ وَسَجْعِ مُتَسَارٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْثُوتَةٌ أَثْنَاءَ ذَلِكَ  
مُسْتَفْرَقَةٌ يَسْتَفْرِى مِنْهَا النَّاطِرُ فِي الْعَالِيِ مُعْظَمَ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ مِنْ أَيَّامِ  
الْعَرَبِ يَفْهَمُ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ ذِكْرُ الْمَوْهِمِ مِنَ الْأَنْسَابِ الشَّهِيدَةِ  
وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ لَا يَخْضَى عَلَى النَّاطِرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ  
وَأَسَالِيِبِهِمْ وَمَنَاحِيهِ بِلَاغَتِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا بَعْدَ  
فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ  
قَالُوا الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ يُبِيدُونَ  
مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ أَوْ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُشْرُطُهَا فَقَطْ وَهِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ إِذْ لَا  
مَنْحَلَّ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ  
بِصَنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوْرِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فَاحْتَاجَ  
صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ حَيْثُذِلَ إِلَى مَعْرِفَةِ أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا عَلَى فَهْمِهَا وَسَبْعًا  
مِنْ شُيُورِهَا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرْكَانُهُ أَرْبَعَةٌ دَوَائِرُ وَهِيَ أَدَبُ  
الْكِتَابِ لِأَيِّ قُتِيَّةٍ وَكِتَابُ الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّسْنِينِ لِلْجَاحِظِ

وَكِتَابُ النَّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَاسِي الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَتَبَعَ لَهَا وَفُرِعَ عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْفَنِّ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذِ الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفُضْلَاءُ مِنَ الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ أَسَالِيبِ الشَّعْرِ وَفُقُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ انْتِخَالُهُ قَادِحًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلَّفَ الْقَاسِي أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ كِتَابَهُ فِي الْأَغَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ وَدَوْلَهُمْ وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي الْبَيِّنَاتِ صَوْتًا الَّتِي اخْتَارَهَا الْمُغَنُّونَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ فِيهِ ذَلِكَ أَمَّا اسْتِيعَابُ وَأَوْفَاهُ وَلَعَمْرِي إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْجَاتِ الْمَحَاسِنِ الَّتِي سَلَّتْ لَهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ وَالتَّأْرِخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَلَا يَعْدُلُ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فَيَا نَعْلَمُهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي يَنْسُو إِلَيْهَا الْأَدِيبُ وَيَتَقَفُّ عِنْدَهَا وَأَنَّى لَهُ بِهَا وَنَحْنُ الْآنَ نَرْجِعُ بِالتَّحْقِيقِ عَلَى الْإِجْمَالِ فَيَا تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ عُلُومِ الْإِلْسَانِ وَآلِهِ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

## الفصل السابع والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

إِعْلَمُ أَنَّ اللُّغَاتِ كُلَّهَا مَلَكَاتٌ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَاعَةِ إِذْ هِيَ مَلَكَاتٌ فِي الْإِلْسَانِ بِالْعِبَارَةِ عَنِ التَّعَانِي وَجُودَتِهَا وَقُصُورِهَا بِحَسَبِ تَمَامِ الْمَلَكََةِ أَوْ نُقْصَانِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُفْرَدَاتِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى الدَّرَاجَةِ كَيْبٍ فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَلَكََةُ التَّامَّةُ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ لِلتَّعْيِيرِ بِهَا عَنِ التَّعَانِي الْمُقْصُودَةِ وَمُرَاعَاةِ التَّأْلِيفِ الَّذِي يَطْبِقُ الْكَلَامَ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ بَلْغِ الْمُتَكَلِّمِ حِينَئِذٍ الْغَايَةَ مِنْ إِفَادَةِ مَقْصُودِهِ لِلْسَّامِعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَكَاتُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَكَرُّرِ الْأَفْعَالِ لِأَنَّ الْفِعْلَ يَقَعُ أَوَّلًا وَتَعُودُ مِنْهُ لِلذَّاتِ صِفَةً ثُمَّ تَتَكَوَّرُ فَتَكُونُ حَالًا وَمَعْنَى الْحَالِ أَنَّهَا صِفَةٌ غَيْرُ رَاسِخَةٍ ثُمَّ يَزِيدُ التَّكَوَّرُ فَتَكُونُ مَلَكََةً أَيْ صِفَةً رَاسِخَةً فَأَلْمُتَكَلِّمُ مِنَ الْعَرَبِ حَيْثُ كَانَتْ مَلَكَتُهُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مُوجُودَةً فِيهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ جِيلِهِ وَأَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَاطَبَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّةِ تَعْيِيرِهِمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ كَمَا يَسْمَعُ الصَّبِيُّ اسْتِعْمَالَ الْمُفْرَدَاتِ فِي مَعَانِيهَا فَيُلْقِنَهَا أَوَّلًا ثُمَّ يَسْمَعُ الدَّرَاجَةَ كَيْبَ بَعْدَهَا فَيُلْقِنَهَا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا يَزَالُ



سَمِعَهُمْ لِذَلِكَ يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَمِنْ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ وَاسْتِعْمَالُهُ يَتَكَرَّرُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ مَلَكَةً وَرِصَّةً رَاسِخَةً وَيَكُونُ كَأَحَدِهِمْ هَكَذَا تَصَيَّرَتِ الْأَلْسُنُ وَاللُّغَاتُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ وَتَعَلَّمَهَا الْعَجَمُ وَالْأَطْفَالُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى مَا تَقُولُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَنَّ اللُّغَةَ لِلْعَرَبِ بِالطَّبَعِ أَيْ بِالْمَلَكَةِ الْأُولَى الَّتِي أَخَذَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهَا عَنْ غَيْرِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمُضَرِّ بِمُخَالَطَتِهِمْ الْأَعَاجِمَ وَسَبَبُ فَسَادِهَا أَنَّ النَّاشِئَ مِنَ الْجِيلِ صَارَ يَسْمَعُ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ الْمَقَاصِدِ كَيْفِيَّاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي كَانَتْ لِلْعَرَبِ فَيَعْبُرُ بِهَا عَنْ مَقْصُودِهِ لِكَثْرَةِ الْمُخَالَطِينَ لِلْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَسْمَعُ كَيْفِيَّاتِ الْعَرَبِ أَيْضًا فَاتَّخَذَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَأَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ فَاسْتَحْدَثَ مَلَكَةً وَكَانَتْ نَاقِصَةً عَنِ الْأُولَى وَهَذَا مَعْنَى فَسَادِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلِهَذَا كَانَتْ لُغَةُ قُرَيْشٍ أَفْصَحَ اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصْرَحَهَا لِبُعْدِهِمْ عَنْ بِلَادِ الْعَجَمِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ثُمَّ مَنْ أَكْتَنَهُمْ مِنْ تَقِيْفٍ وَهَذِيلٍ وَخِرَاعَةٍ وَبَنِي كِنَانَةَ وَغَطَّانَ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي تَيْمِيمٍ وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ عَنْهُمْ مِنْ رَبِيعَةٍ وَلَحْمٍ وَجَذَامٍ وَغَسَّانٍ وَإِيَادٍ وَقُضَاعَةٍ وَعَرَبِ الْيَمَنِ الْمُجَاوِرِينَ لِأَمَمِ الْفُرسِ وَالرُّومِ وَالْحَبْشَةِ فَلَمْ تَكُنْ لِقَتُّهُمْ تَامَةً الْمَلَكَةُ بِمُخَالَطَةِ الْأَعَاجِمِ وَعَلَى نِسْبَةِ بُعْدِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ الْإِحْتِجَاجُ بِلُغَاتِهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفَسَادِ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ.

### الفصل الثامن والثلاثون

في ان لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُهَا فِي بَيَانِ الْمَقَاصِدِ وَالْوَفَاءِ بِالذَّلَالَةِ عَلَى سُنَنِ اللِّسَانِ الْمُضَرِّي وَلَمْ يُفْقَدْ مِنْهَا إِلَّا دَلَالَةُ الْحَرَكَاتِ عَلَى تَعْيُنِ الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ فَأَعْتَاضُوا مِنْهَا بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَبِقَرَأَتِهِ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِيَّاتِ الْمَقَاصِدِ إِلَّا أَنَّ اللِّسَانَ وَالْبَلَاةَ فِي اللِّسَانِ الْمُضَرِّي أَكْثَرُ وَأَعْرَفُ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ بِأَعْيَانِهَا دَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي بِأَعْيَانِهَا وَبَيِّنَتِي مَا تَقْتَضِيهِ الْأَحْوَالُ وَيُسَمَّى بِسَاطِ أَحْطَالٍ مُحْتَاجًا إِلَى مَا يُدَلُّ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَعْنَى لَا بُدَّ وَأَنْ تَكْتَفِيهِ أَحْوَالٌ تَحْتَمِلُهَا فَيَجِبُ أَنْ تُعْتَبَرَ تِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي تَأْدِيَةِ الْمُتَعَوِّدِ لِأَنَّهَا صِفَاتُهُ وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي جَمِيعِ الْأَلْسِنِ أَكْثَرُ مَا يُدَلُّ عَلَيْهَا بِالْفَظِ تَحْصُّهَا بِالْوَضْعِ وَأَمَّا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّمَا يُدَلُّ عَلَيْهَا بِأَحْوَالٍ وَكَيْفِيَّاتٍ فِي تَوَاصُلِ الْأَلْفَاظِ وَتَأْلِيلِهَا مِنْ

تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة  
ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك  
الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي بذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة  
من جميع اللسان وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر  
لي الكلام اختصاراً واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض  
النحاة إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيد قائم وإن زيدا قائم وإن  
زيداً قائم والمعنى واحد فقال له إن معانيها مختلفة فالأول لإفادة الخالي الذهن من  
قيام زيد والثاني لمن سمعه فتردد فيه والثالث لمن عرف بالإصرار على إنكاره  
فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب  
ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت في ذلك إلى خرفة النحاة أهل صناعة الإعراب  
القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يؤمنون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن  
اللسان العربي فسد اختياراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون  
قوانينه وهي مقالة دسها الشيع في طبائعهم وألقاها القصور في أفئدتهم وإلا فتحن  
نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى والتغير عن المقاصد  
والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان  
وقنونه من النظم والنثر موجود في مخاطباتهم وفهم الخطيب المضجع في مخافهم  
ومجامعهم والشاعر المقلد على أساليب لغتهم والدوق الصحيح والطبع السليم  
شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر  
الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومزيماً معروفاً وهو الإعراب  
وهو بعض من أحكام اللسان وإنما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخاطبتهم  
الأعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته  
على غير الصورة التي كانت أولاً فأنقلب لغة أخرى وكان القرآن منزلاً به والحديث  
النبي منقولاً بلغته وهما أصلاً الدين والبيعة فحشي تناسيها وأنغلاق الأفهام عنها  
يفقدان اللسان الذي نزل به فاحتيج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط  
قوانينه وصار علماً ذا أصول وأبواب ومقدمات ومبادئ سماء أهله يعلم النحر وصناعة

العَرَبِيَّةُ فَأَصَحَ فَنَّا مَحْضُوظًا وَعِلْمًا مَكْتُوبًا وَسَلَّمًا إِلَى فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ  
وَافِيًا وَلَعَلَّنَا لَوْ اَعْتَيْنَا بِهِذَا اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاسْتَقْرَيْنَا أَحْكَامَهُ نَعْتَاضَ  
عَنِ الْحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِيَّةِ فِي دَلَالَتِهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى مَوْجُودَةٍ فِيهِ تَكُونُ بِهَا قَوَائِنُ  
تَحْصُهَا وَلَعَلَّهَا تَكُونُ فِي أَوَاخِرِهِ عَلَى غَيْرِ الْإِنْتِهَاجِ الْأَوَّلِ فِي لُغَةٍ مُضَرَّ فَلَيْسَتْ اللُّغَاتُ  
وَمَلَكَاثُهَا مَجَانًا وَلَقَدْ كَانَ اللِّسَانُ الْمُضَرِّيُّ مَعَ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ بِهِذِهِ الْمَثَابَةِ وَتَغَيَّرَ  
عِنْدَ مُضَرٍّ كَثِيرٌ مِنْ مَوْضُوعَاتِ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ وَتَصَارِيفِ كَلِمَاتِهِ تَشْهَدُ بِذَلِكَ  
الْأَثْقَالُ الْمَوْجُودَةُ لَدَيْنَا خِلَافًا لِمَنْ يَجْعَلُهُ الْقُدُورُ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ وَاحِدَةٌ وَيَلْتَبِسُ إِجْرَاءُ  
اللُّغَةِ الْحِمَيْرِيَّةِ عَلَى مَقَائِيسِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَقَوَائِنِهَا كَمَا يُزْعَمُ بَعْضُهُمْ فِي اسْتِثْقَاقِ  
الْقِيلِ فِي اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ أَنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ  
وَلَعَنُ خَيْرَ لُغَةٍ أُخْرَى مُنَاقِرَةً لِلُّغَةِ مُضَرٍّ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَوْضَاعِهَا وَتَصَارِيفِهَا وَحَرَكَاتِ  
إِعْرَابِهَا كَمَا هِيَ لُغَةُ الْعَرَبِ لَعَلَّنَا مَعَ لُغَةٍ مُضَرٍّ إِلَّا أَنَّ الْبَنَاءَةَ يَلِسَانُ مُضَرٍّ مِنْ أَجْلِ  
الشَّرِيعَةِ كَمَا قُلْنَا حَتَّى ذَلِكَ عَلَى الْإِسْتِثْبَاتِ وَالْإِسْتِغْرَاءِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَا  
يَحْمِلُنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَيَدْعُونَا إِلَيْهِ وَمِمَّا وَقَعَ فِي لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ لِهَذَا الْعَهْدِ حَيْثُ  
كَانُوا مِنْ الْأَقْطَارِ شَأْنُهُمْ فِي التَّنْقِصِ بِالْقَافِ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِهَا مِنْ مَخْرَجِ الْقَافِ  
عِنْدَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مِنْ أَقْصَى اللِّسَانِ وَمَا فَوْقَهُ  
مِنْ الْحَنَكِ الْأَعْلَى وَمَا يَنْطِقُونَ بِهَا أَيْضًا مِنْ مَخْرَجِ الْكَافِ وَإِنْ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ مَوْضِعِ  
الْقَافِ وَمَا يَلِيهِ مِنْ الْحَنَكِ الْأَعْلَى كَمَا هِيَ بَلْ يَحْيِثُونَ بِهَا مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ  
وَهُوَ مَوْجُودَةٌ لِلْجِيلِ أَجْمَعَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ غَرْبٍ أَوْ شَرْقٍ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَيْهِمْ  
مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ مُخْتَصًّا بِهِمْ لَا يُشَارِكُهُمْ بِهَا غَيْرُهُمْ حَتَّى إِنْ مَنْ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ  
وَالْإِنْتِسَابَ إِلَى الْجِيلِ وَالِدُخُولَ فِيهِ يُجَاكِبُهُمْ فِي التَّنْقِصِ بِهَا وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ  
الْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ مِنَ الدَّخِيلِ فِي الْعَرُوبِيَّةِ وَالْخَضِرِيُّ بِالتَّنْقِصِ بِهِذِهِ الْقَافِ وَيُظْهَرُ بِذَلِكَ  
أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرٌّ بِعَيْنِهَا فَإِنَّ هَذَا الْجِيلَ الْبَاقِينَ مُعْظَمُهُمْ وَرُؤُسَاؤُهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي وَلَدِ  
مَنْصُورِ بْنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَضَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ مِنْ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ  
ابْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَكْثَرُ الْأُمَمِ  
فِي الْمَعْمُورِ وَأَغْلَبُهُمْ وَهُمْ مِنْ أَتْعَابِ مُضَرٍّ وَسَائِرُ الْجِيلِ مِنْهُمْ فِي التَّنْقِصِ بِهِذِهِ الْقَافِ



أُسُوهُ وَهَذِهِ اللَّغَةُ لَمْ يَتَّبِدْهَا هَذَا الْجِيلُ بَلْ هِيَ مُتَوَارِثَةٌ فِيهِمْ مُتَعَابِقَةٌ وَيُظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا لُغَةُ مُضَرَ الْأَوَّلِينَ وَلَعَلَّهَا لُغَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهَا قَدْ أَدَّعَى ذَلِكَ فَقَهَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَزَعَمُوا مَنْ قَرَأَ فِي أَمِّ الْقُرْآنِ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بِغَيْرِ الْقَافِ الَّتِي لِهَذَا الْجِيلِ فَقَدْ لَحَنَ وَأَفْسَدَ صَلَاتَهُ وَلَمْ أَدْرِ مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا فَإِنَّ لُغَةَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا وَإِنَّمَا تَنَاقَلُوهَا مِنْ لَدُنْ سَلَفِهِمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ مُضَرَ لَمَّا نَزَلُوا الْأَمْصَارَ مِنْ لَدُنْ الْفَتْحِ وَأَهْلُ الْجِيلِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا إِلَّا أَنَّهُمْ أَبْعَدُ مِنْ مُخَالَطَةِ الْأَعَاجِمِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَهَذَا يُوجِبُ فِيمَا يُوجَدُ مِنَ اللَّغَةِ لَدَيْهِمْ أَنَّهُ مِنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ هَذَا مَعَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْجِيلِ كُلِّهِمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي التَّلَطُّقِ بِهَا وَأَنَّهَا الْخَاصِيَّةُ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْعَرَبِيُّ مِنَ الْعَجِيِّنِ وَالْخَضِرِيِّ فَقَهَّمْ ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْهَادِي الْمُسِينُ

### الفصل التاسع والثلاثون

في أن لغة أهل الحضر والامصار لغة قائمة بنفسها للغة مضر

إِعْلَمُ أَنَّ عُرْفَ التَّخَاطُبِ فِي الْأَمْصَارِ وَبَيْنَ الْحَضَرِ لَيْسَ بِلُغَةٍ مُضَرَ الْقَدِيمَةِ وَلَا بِلُغَةِ أَهْلِ الْجِيلِ بَلْ هِيَ لُغَةُ أُخْرَى قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا بَعِيدَةٌ عَنْ لُغَةِ مُضَرَ وَعَنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي لِعَهْدِنَا وَهِيَ عَنْ لُغَةِ مُضَرَ أَبْعَدُ فَأَمَّا إِنَّهَا لُغَةُ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا فَهُوَ ظَاهِرٌ يَشْهَدُ لَهُ مَا فِيهَا مِنَ التَّأْيِيرِ الَّذِي يُعَدُّ عِنْدَ صِنَاعَةِ أَهْلِ النُّحْرِ لَحْنًا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فَلُغَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مُبَايِنَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلُّغَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَهُمَا وَكُلٌّ مِنْهُمْ مُتَوَصِّلٌ بِلُغَتِهِ إِلَى قَادِيَةِ مَقْصُودِهِ وَالْإِبَانَةُ عَنَّا فِي نَفْسِهِ وَهَذَا مَعْنَى اللِّسَانِ وَاللُّغَةِ وَفَقْدَانُ الْإِعْرَابِ لَيْسَ بِضَائِرٍ لَهُمْ كَمَا قُلْنَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا إِنَّهَا أَبْعَدُ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ مِنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ فَلِأَنَّ الْبَعْدَ عَنِ اللِّسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِمُخَالَطَةِ الْعُجْمَةِ فَمَنْ خَالَطَ الْعَجَمَ أَكْثَرَ كَانَتْ لُغَتُهُ عَنْ ذَلِكَ اللِّسَانِ الْأَصْلِيِّ أَبْعَدَ لِأَنَّ الْمَلَكَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالتَّعْلِيمِ كَمَا قُلْنَا وَهَذِهِ مَلَكَةٌ مُتَرَجِّجَةٌ مِنَ الْمَلَكَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ لِلْعَرَبِ وَمِنَ الْمَلَكَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي لِلْعَجَمِ فَعَلَى مِقْدَارِ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْعَجَمِ وَيَرْبُونَ عَلَيْهِ يَبْعُدُونَ عَنِ الْمَلَكَةِ الْأُولَى وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ أَفْرِيْقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ أَمَّا أَفْرِيْقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ فَخَالَطَتْ الْعَرَبُ فِيهَا الْبَرَابِرَةَ مِنَ الْعَجَمِ يُوَفُّورُ عُمرَانِهَا بِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُو عَنْهُمْ مُضَرَ

وَلَا جِيلٌ قَلَبَتْ الْعُجْمَةَ فِيهَا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ لَهُمْ وَصَارَتْ لُغَةً أُخْرَى  
مَمْتَرَجَةً وَالْعُجْمَةُ فِيهَا أَغْلَبَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَمِثْلُهَا عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ أَبَعَدُ وَكَذَا النُّشْرُق  
لَمَّا غَلَبَ الْعَرَبُ عَلَى أُمَّهِ مِنْ فَارِسَ وَالْتَرَكِ فَخَالَطُوهُمْ وَتَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ لُغَاتُهُمْ فِي  
الْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَالسُّبَيْرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ خَوَلَاءَ وَدَايَاتٍ وَأَطَارًا وَمَرَاضِعَ فَفَسَدَتْ  
لُغَتُهُمْ بِفَسَادِ الْمَلَكَةِ حَتَّى انْقَلَبَتْ لُغَةً أُخْرَى وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَ عَجَمِ الْجَلَالَةِ  
وَالْإِفْرَنْجَةِ وَصَارَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ كُلِّهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِمِ أَهْلُ لُغَةٍ أُخْرَى مُخْتَوَصَّةٌ بِهِمْ  
تَخَالِفُ لُغَةَ مُضَرَ وَيُخَالِفُ أَيْضًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا نَذَكُرُهُ وَكَانَتْ لُغَةُ أُخْرَى لِاسْتِحْكَامِ  
مَلَكَتِهَا فِي أَجْيَالِهِمْ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُقَدِّرُ

### الفصل الأربعون

#### في تعليم اللسان المضري

إِعْلَمُ أَنَّ مَلَكَةَ اللِّسَانِ الْمُضَرِّيَ لِهَذَا التَّهْدِيدِ قَدْ ذَهَبَتْ وَقَسَدَتْ وَلُغَةُ أَهْلِ الْحِيلِ  
كُلُّهُمْ مُغَايِرَةٌ لِلُغَةِ مُضَرَ الَّتِي تُرَالُ بِهَا الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةُ أُخْرَى مِنْ أَمْتَرِاجِ الْعُجْمَةِ  
بِهَا كُنَّا قَدْ مَنَاهُ إِلَّا أَنَّ اللُّغَاتِ لَمَّا كَانَتْ مَلَكَاتٍ كُنَّا مَرَّكَانَ تَعَلُّمَهَا مُمَكِّنًا  
شَأْنِ مَائِرِ الْمَلَكَاتِ وَوَجْهِ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَتَّبِعِي هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيَوْمَ تَحْصِيلِهَا أَنْ  
يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِحِفْظِ كَلَامِهِمْ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ  
السَّلَفِ وَمُخَاطَبَاتِ فُجُولِ الْعَرَبِ فِي أَشْجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَكَلِمَاتِ الْمُؤَلِّدِينَ أَيْضًا فِي  
مَائِرِ قُتُونِهِمْ حَتَّى يَتَرَدَّلَ لِكثْرَةِ حِفْظِهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ مَنَزَلَةً مَنْ نَشَأَ  
بَيْنَهُمْ وَلَقِّنَ الْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتَصَرَّفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّعْيِيرِ عَمَّا فِي ضَيْدِهِ  
عَلَى حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ وَتَأْلِيفِ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا وَعَاهُ وَحِفْظُهُ مِنْ أَسَالِيهِمْ وَتَرْتِيبِ أَلْفَاظِهِمْ  
فَتَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِهَذَا الْحِفْظِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَيَزْدَادُ بِكَثْرَتِهَا رُسُخًا وَقُوَّةً  
وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَاةِ الطَّعْرِ وَالتَّفَهُمِ الْحَسَنِ لِمَنَازِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ فِي  
الْتِّدَاكِيبِ وَمُرَاعَاةِ التَّطْيِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ وَالذَّوْقِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ وَهُوَ  
يَنْشَأُ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَالطَّعْرِ السَّلِيمِ فِيهِمَا كَمَا نَذَكُرُ وَعَلَى قَدَرِ الْمَحْضُوظِ  
وَكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ تَكُونُ جُودَةُ الْقَوْلِ الْمَصْنُوعِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ  
الْمَلَكَاتِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى لُغَةِ مُضَرَ وَهُوَ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ بِالْبَلَاغَةِ فِيهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي

أَنْ يَكُونَ تَعْلُمَهَا وَلَهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

### الفصل الحادي والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ قَوَائِنِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَمَقَامِيسِهَا  
خَاصَّةً فَهُوَ عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ لَانَفْسِ كَيْفِيَّةِ فَلَيْسَتْ نَفْسَ الْمَلَكَةِ وَإِنَّمَا هِيَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَعْرِفُ  
صِنَاعَةَ مِنَ الصَّنَائِعِ عِلْمًا وَلَا يُحْكِمُهَا عَمَلًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ بَصِيرٌ بِالْحِيَاظَةِ غَيْرُ مُحْكِمٍ  
لِمَلَكَتِهَا فِي التَّعْيِيرِ عَنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْحِيَاظَةِ هِيَ أَنْ يُدْخَلَ الْحِطُّ فِي خَرْتِ الْإِبْرَةِ  
ثُمَّ يَنْزِلُهَا فِي لِقَى الثَّوبِ مُجْتَمِعِينَ وَيُخْرِجُهَا مِنْ أَجَانِبِ الْآخِرِ بِمِقْدَارِ كَذَا ثُمَّ  
يُرُدُّهَا إِلَى حَيْثُ ابْتَدَأَتْ وَيُخْرِجُهَا قُدَّامَ مَنْفَذِهَا الْأَوَّلِ بِمَطْرَحٍ مَا بَيْنَ الثَّقَيْنِ  
أَوَّلَيْنِ ثُمَّ يَتَّهَدَى عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعَمَلِ وَيُعْطِي صُورَةَ الْحَبْكِ وَالثَّيْتِ وَالتَّفْطِيحِ  
وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحِيَاظَةِ وَأَعْمَالِهَا وَهُوَ إِذَا طُولِبَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ بِيَدِهِ لَا يُحْكِمُ مِنْهُ  
شَيْئًا وَكَذَا لَوْ سُئِلَ عَالِمٌ بِالتَّجَارَةِ عَنْ تَفْصِيلِ الْحَشَبِ فَقِيلَ هُوَ أَنْ تَضَعَ الْمِشَارَ عَلَى  
رَأْسِ الْحَشَبَةِ وَتُمْسِكُ بِطَرَفِهِ وَآخِرُ قِبَالَتِكَ مُنْسِكُ بِطَرَفِهِ وَتَتَعَقَّبَانِهِ بَيْنَكُمَا  
وَأَطْرَافُهُ الْمَضْرَسَةُ الْمُحَدَّدَةُ تَقْطَعُ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ذَاهِبَةً وَجَائِنَةً إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى  
آخِرِ الْحَشَبَةِ وَهُوَ لَوْ طُولِبَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ لَمْ يُحْكِمْهُ وَهَكَذَا أَلِمْ بِقَوَائِنِ  
الْإِعْرَابِ مَعَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي نَفْسِهَا فَإِنَّ أَلِمْ بِقَوَائِنِ الْإِعْرَابِ إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ وَلِذَلِكَ نَجِدُ كَثِيرًا مِنْ جَاهِلِيَّةِ النُّحَاةِ وَالْمَهَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُحِيطِينَ  
عِلْمًا بِتِلْكَ الْقَوَائِنِ إِذَا سُئِلَ فِي كِتَابَةِ سَطْرَيْنِ إِلَى أَخِيهِ أَوْ ذِي مَوَدَّتِهِ أَوْ شَكْوَى  
ظُلَامَةٍ أَوْ قَصْدٍ مِنْ قُصُودِهِ أَخْطَأَ فِيهَا عَنْ الصَّوَابِ وَأَكْثَرُ مِنَ اللَّحْنِ وَلَمْ يُجِدْ تَأْلِيفَ  
الْكَلَامِ لِذَلِكَ وَالْعِبَارَةِ عَنْ الْمَقْصُودِ عَلَى أَسَالِيبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَكَذَا نَجِدُ كَثِيرًا  
مَنْ يُحْسِنُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيُجِدُّ الْفَتْنِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ إِعْرَابَ  
الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ وَلَا الْمَفْعُولِ مِنَ الْمَجْرُورِ وَلَا شَيْئًا مِنْ قَوَائِنِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَمِنْ  
هَذَا تَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْمَلَكَةَ هِيَ غَيْرُ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّهَا مُسْتَغْنِيَةٌ عَنْهَا بِالْجُمْلَةِ وَقَدْ  
نَجِدُ بَعْضَ الْمَهَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ بَصِيرًا بِحَالِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَهُوَ قَلِيلٌ وَاتِّفَاقِي  
وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ لِلْمُخَاطِطِينَ لِكِتَابِ سِيَوِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَّصِرْ عَلَى قَوَائِنِ الْإِعْرَابِ فَقَطَّ



على ملاء كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح  
 من تعليم هذه الملكة فتجدد لها كيف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام  
 العرب وأندرج في مخطوطه في أماكنه ومفاصل حاجاته وتنبه به لشأن الملكة فاستوفى  
 تعليمها فكان أبلغ في الإفادة ومن هؤلاء المخططين لكتاب سيوييه من يغفل عن  
 التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة وأما المخططون  
 لكتب المتأخرين العارية عن ذلك إلا من القوانين النحوية مجردة عن أشعار  
 العرب وكلامهم فقل ما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو يتشبهون لشأنها فتجدد لهم  
 يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه وأهل صناعة  
 العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم  
 لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من الدراكيب في مجالس  
 تعليمهم فينبئ إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم فتقطع النفس لها  
 وتستعد إلى تحصيلها وقبولها وأما من سواهم من أهل المغرب وأفريقية وغيرهم فأجروا  
 صناعة العربية مجرى العلوم بحثاً وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب  
 إلا إن أعربوا شاهداً أو رجحوا مذهباً من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل  
 اللسان وتراكيبه فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العلية أو  
 الجدول وبعدت عن متاجي اللسان وملكته وما ذلك إلا لبدولهم عن البحث في  
 شواهد اللسان وتراكيبه وتفسير أساليبه وغفلتهم عن الإمران في ذلك للمعظم فهو  
 أحسن ما تفيده الملكة في اللسان وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم لكنهم  
 أجروها على غير ما قصد بها وأصاروها علماً بحثاً وبعثوا عن ثمرتها وتعلم بما قرئناه  
 في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام  
 العرب حتى يرتسم في خياله الميوال الذي تسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه  
 ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له  
 الملكة المستترة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الأمور كلها  
 والله أعلم بالغيب .

## الفصل الثاني والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل

للمستعربين من العجم

إَعْلَمُ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ يَتَدَاوَلُهَا الْمُعْتَشِرُونَ بِغُنُونِ الْبَيَانِ وَمَعْنَاهَا حُصُولُ مَلَكَتِ  
الْبَلَاغَةِ لِللِّسَانِ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّهَا مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَعْنَى مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ  
بِجَوَاسِ تَقَعُ لِلتَّرَاكُيبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ فَالْمَشْكَلُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَلِغُ فِيهِ يَتَحَرَّى  
الْمُفِيدَةَ لِذَلِكَ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَأَنْعَاءِ مُخَاطَبَاتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ  
الْوَجْهِ جُهْدُهُ فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمُخَالَطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَتُ فِي نَظْمِ  
الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَسَهْلٌ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرَاكُيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَنْخَوْفِيهِ غَيْرُ مَنْحَى  
الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْحَى مَجَّهٌ وَنَبَأٌ عَنْهُ سَمْعُهُ  
بَادِي فِكْرٍ بَلٍ وَيَغْيِرُ فِكْرُهُ إِلَّا بِمَا اسْتَفَادَ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَتِ فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِذَا اسْتَقَرَّتْ وَرَسَخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَأَنَّهَا طَبِيعَةٌ وَجِبَلَةٌ لِذَلِكَ التَّحَلُّ وَلِذَلِكَ يَظُنُّ  
كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْظِلِينَ بَيْنَ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ  
إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِي وَيَقُولُ كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْطِقُ بِالطَّبَعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ  
مَلَكَتُ لِسَانِيَّةٌ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ وَتَمَكَّنَتْ وَرَسَخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِي الرَّاْيِ أَنَّهَا  
جِبَلَةٌ وَطَبِيعٌ وَهَذِهِ الْمَلَكَتُ كَمَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَكَرُّرِهِ  
عَلَى السَّمْعِ وَالتَّفْطُنِ لِخَوَاصِ تَرَكَيبِهِ وَلَيْسَتْ تَحْصُلُ بِعَرَفَةِ الْقَوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا أَهْلُ صِنَاعَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَوَائِنَ إِنَّمَا تُفِيدُ عِلْمًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ وَلَا  
تُفِيدُ حُصُولَ الْمَلَكَتِ بِالْفِعْلِ فِي مَحَلِّهَا وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَتَمَلَكَتُ الْبَلَاغَةُ  
فِي اللِّسَانِ تَهْدِي الْبَلِغَ إِلَى وُجُودِ النَّظْمِ وَحُسْنِ التَّرَاكُيبِ الْمُوَافِقِ لِلتَّرَاكُيبِ الْعَرَبِ  
فِي لُغَتِهِمْ وَنَظْمِ كَلَامِهِمْ وَلَوْ رَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَلَكَتِ حَيْدًا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ الْمُعَيَّنَةِ  
وَالتَّرَاكُيبِ الْمَخْصُوصَةِ لَنَا قَدَرٌ عَلَيْهِ وَلَا وَاقِفَةٌ عَلَيْهِ لِسَانُهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَادُهُ وَلَا تَهْدِيهِ  
إِلَيْهِ مَلَكَتُهُ الرَّاسِخَةُ عِنْدَهُ وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَائِدًا عَنْ أُسْلُوبِ الْعَرَبِ  
وَبَلَاغَتِهِمْ فِي نَظْمِ كَلَامِهِمْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَمَجَّهٌ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
مَارَسَ كَلَامَهُمْ وَرَبَّمَا يَعْبُرُ عَنِ الْإِحْتِجَاجِ لِذَلِكَ كَمَا تَضَعُ أَهْلُ الْقَوَائِنِ النَّحْوِيَّةِ

وَالْبَيَانِيَّةُ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْلَالٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْقَوَائِنِ الْمَفَادَةِ بِالْاِسْتِثْرَاءِ وَهَذَا أَمْرٌ  
وَجَدَانِي حَاصِلٌ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى يَصِيرَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمِثَالُهُ لَوْ فَرَضْنَا  
صَيًّا مِنْ صَيَّانِيهِمْ نَشَأَ وَرِّي فِي جِيلِهِمْ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لُغَتَهُمْ وَيُحْكِمُ شَأْنَ الْأَعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِيهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى غَايَتِهَا وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَانُونِي فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
بِحُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي لِسَانِهِ وَنُطْقِهِ وَكَذَلِكَ تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْجِيلِ بِحِفْظِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَخُطْبِهِمْ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ يُحْصَلُ الْمَلَكَةُ  
وَيَصِيرُ كَوَاحِدٍ مِنْ نَشَأَ فِي جِيلِهِمْ وَرِّي بَيْنَ أَجْيَالِهِمْ وَالْقَوَائِنِ يَنْزِلُ عَنْ هَذَا  
وَأَسْتَعِيدَ لِهَذِهِ الْمَلَكَةِ عِنْدَمَا تَرَسَّخُ وَتَسْتَقِرُّ أَسْمُ الدُّوقِ الَّذِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ  
صَنَاعَةِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ  
فِي اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقُ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ أَسْتَعِيدَ لَهَا أَسْمُ  
وَأَيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِي اللِّسَانِ كَمَا أَنَّ الطُّعُومَ مَحْسُوسَةٌ لَهُ فَقِيلَ لَهُ ذُوقْ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ  
ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاخِلِينَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ  
إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ كَالْفُرسِ وَالرُّومِ وَالتُّركِ بِالشَّرْقِ وَكَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ  
فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ هَذَا الذُّوقُ لِهُضُورِ خُطْبِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا لِأَنَّ  
قَصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمُرِ وَسَبَقَ مَلَكَةُ أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَعْتَبَرُوا  
بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ مِصْرَ بَيْنَهُمْ فِي الْمُخَاوَرَةِ مِنْ مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ لِمَا يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ  
وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعُدُوا عَنْهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي  
ذَلِكَ مَلَكَةُ أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْمَطْلُوبَةِ وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ  
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكُتُبِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا حَصَلَ  
أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمُمَارَسَةِ وَالْإِعْتْيَادِ وَالتَّكْرُرِ  
بِكَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَنَّ سِيبَوِيَّهِ وَالْفَارِسِيَّ وَالزَّمَخْشَرِيَّ وَأَمْثَالَهُمْ  
مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ كَانُوا أَعْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلِكَ  
الْقَوْمِ الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطُّ وَأَمَّا الْعَرَبِيُّ وَالنَّشْأَةُ فَكَانَتْ  
بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ فَاسْتَوْلُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ  
عَلَى غَايَةٍ لَا شَيْءَ وَرَاءَهَا وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَجْيَالِهِمْ



حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللُّغَةِ وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلْيَسُوا بِأَعْجَامٍ فِي اللُّغَةِ وَالْكَلامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلِيَّةَ فِي عُنُقِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ تَذْهَبِ آثارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ وَالْمُدَارَسَةِ لِكَلامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَوْا عَلَى غَايَتِهِ وَالْيَوْمَ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلَ مَا يَجِدُ تِلْكَ الْمَلَكَةَ الْمُقْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُتَّجِيَةً إِلَّا تَارَ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ الْخَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلامِ الْعَرَبِ وَأَشْغَرَهُمْ بِالْمُدَارَسَةِ وَالْحِفْظِ يَسْتَفِيدُ تَحْصِيلَهَا فَقُلَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى فِي الْمَحَلِّ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً مَخْدُوشَةً وَإِنْ فَرَضْنَا أَعْجَبِيًّا فِي النَّسَبِ سَلِمَ مِنْ مُخَالَفَةِ اللِّسَانِ الْعَجَبِيِّ بِالْكَلِمَةِ وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْمُدَارَسَةِ فَرُبَّمَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ لِكِنَّةٍ مِنَ التَّدْوِيرِ بِحَيْثُ لَا يَحْفَى عَلَيْكَ بِأَيِّ تَقَرَّرَ وَرُبَّمَا يَدَّعِي كَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ الْبَيَانِيَّةِ حُصُولَ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ مُخَالَفَةٌ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْبَيَانِيَّةِ وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَةِ الْعِبَارَةِ فِي شَيْءٍ وَأَلَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ .

### الفصل الثالث والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة

اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن

اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا يَسْبِقُ إِلَى التَّعَلُّمِ مِنْ حُصُولِ مَلَكَةِ مُنَافِيَةٍ لِلْمَلَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْخَضِرِيِّ الَّذِي أَفَادَتْهُ الْعُجْمَةُ حَتَّى تَزُلَ بِهَا اللِّسَانُ عَنْ مَلَكَتِهِ الْأُولَى إِلَى مَلَكَةِ أُخْرَى هِيَ لُغَةُ الْخَضِرِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِهَذَا نَجِدُ الْمُعَلِّمِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى الْمُسَابَقَةِ بِتَعَلُّمِ اللِّسَانِ لِلْوِلْدَانِ وَتَعْتَقِدُ النُّحَاةُ أَنَّ هَذِهِ الْمُسَابَقَةَ بِيَضَائِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ بِتَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِمُخَالَفَةِ اللِّسَانِ وَكَلامِ الْعَرَبِ نَعْمَ صِنَاعَةُ التَّنَحُّرِ أَقْرَبُ إِلَى مُخَالَفَةِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنْ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنْ لِسَانِ مُضَرَ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَحُصُولِ

مَلَكْتَهَا لِمَمَكْنِ الْمُنَافَاةِ حَيْثُذِ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَأَهْلُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ  
 لَمَّا كَانُوا أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ تَامٌ فِي تَحْصِيلِ  
 مَلَكْتِهِ بِالتَّعْلِيمِ وَلَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الرَّفِيقِ أَنَّ بَعْضَ كُتَّابِ الْقِدْرَانِ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ  
 لَهُ يَا أَخِي وَمَنْ لَا عِدِمْتُ فَقَدْهُ أَعْلَمْتِي أَبُو سَعِيدٍ كَلَاماً أَنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ  
 تَكُونُ مَعَ الَّذِينَ تَأْتِي وَنَاقَتَا الْيَوْمُ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَنَا الْخُرُوجُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَنْزِلِ الْكِلَابُ مِنْ  
 أَمْرِ السِّينِ فَقَدْ كَذَّبُوا هَذَا بِاطِلَالِ آيَسَ مِنْ هَذَا حَرْفاً وَاحِداً وَكَتَابِي إِلَيْكَ وَأَنَا مُشْتَاقٌ  
 إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهَكَذَا كَانَتْ مَلَكْتُهُمْ فِي اللِّسَانِ الْمَضْرِي شَيْءٌ بِنَا ذَكَرْنَا  
 وَكَذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْمَلَكَةِ نَازِلَةً عَنِ الطَّبَقَةِ وَلَمْ تَرَلْ كَذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلِهَذَا مَا كَانَ بِأَفْرِيقِيَّةَ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا ابْنُ رَشِيقٍ وَابْنُ شَرْفٍ وَأَكْثَرُ  
 مَا يَكُونُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ طَارِئِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ تَرَلْ طَبَقَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى الْآنَ مَائِلَةً إِلَى  
 الْقُصُورِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِكَثْرَةِ مَعَانَاتِهِمْ  
 وَامْتِلَاحِهِمْ مِنَ الْمَحْضُوظَاتِ اللَّغَوِيَّةِ نَظْماً وَذُرّاً وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُ حَيَّانَ الْمُوَرِّخُ إِمَامُ  
 أَهْلِ الصَّنَاعَةِ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَرَافِعُ الرَّايَةِ لَهُمْ فِيهَا وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْقَسْطَلِي  
 وَأَمْثَالُهُمْ مِنْ شُعْرَاءِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ لَمَّا ذَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ اللِّسَانِ وَالْأَدَبِ وَتَدَاوَلَ  
 ذَلِكَ فِيهِمْ مِثْلَ السِّينِ حَتَّى كَانَ الْإِنْفِضَاضُ وَالْجَلَاءُ أَيَّامَ تَغْلِبِ النُّصْرَانِيَّةِ وَشَغِلُوا  
 عَنْ تَعْلُمِ ذَلِكَ وَتَنَاقَصَ الْعُمَرَانُ فَتَنَاقَصَ لِذَلِكَ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا فَقَصُرَتْ الْمَلَكَةُ  
 فِيهِمْ عَنْ شَأْنِهَا حَتَّى بَلَغَتْ الْخُضْيُضَ وَكَانَ مِنْ آخِرِهِمْ صَالِحُ بْنُ شَرِيفٍ وَمَالِكُ بْنُ  
 مَرْحَلٍ مِنْ تَلَامِيذِ الطَّبَقَةِ الْإِسْهِيلِيَّةِ بِسَبْتَةِ وَكُتَّابِ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ فِي أَوَّلِهَا  
 وَأَلَقَتْ الْأَنْدَلُسُ أَفْلَاحَ كَيْدِهَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَلَكَةِ بِالْجَلَاءِ إِلَى الْعُدُودِ لِعُدُودِ  
 الْإِسْهِيلِيَّةِ إِلَى سَبْتَةِ وَمِنْ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَى أَنْ أَنْقَرَضُوا وَأَنْقَطَعَ  
 سَنَدُ تَعْلِيمِهِمْ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِعُسْرِ قَبُولِ الْعُدُودِ لَهَا وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِمْ بِعُوجِ السِّنِّهِمْ  
 وَرُسُوخِهِمْ فِي الْعُجْمَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَا قُلْنَا ثُمَّ عَادَتْ الْمَلَكَةُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 إِلَى الْأَنْدَلُسِ كَمَا كَانَتْ وَنَجَّمَ بِهَا ابْنُ بَشْرِينَ وَابْنُ جَابِرٍ وَابْنُ الْجِيَابِ وَطَبَقَتُهُمْ ثُمَّ  
 إِبْرَاهِيمُ السَّاحِلِيُّ الطَّرِيجِيُّ وَطَبَقَتُهُ وَقَفَّاهُمْ ابْنُ الْخَطِيبِ مِنْ بَعْدِهِمْ أَلْهَالِكُ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 شَهِيداً بِسَيَايَةِ أَعْدَائِهِ وَكَانَ لَهُ فِي اللِّسَانِ مَلَكَةٌ لَا تُدْرِكُ وَاتَّبَعَ أثرَهُ تَلْمِيذُهُ وَبِالْجُمْلَةِ

فَشَأْنُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ وَتَعْلِيمُهَا أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ بِمَا عَلَيْهِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ مُعَانَةِ عُلُومِ اللِّسَانِ وَمَحَافِظَتِهِمْ عَلَيْهَا وَعَلَى عُلُومِ الْأَدَبِ وَسَنَدِ  
 تَعْلِيمِهَا وَلِأَنَّ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَجَبِيِّ الَّذِينَ تَفْسُدُ مَلَكَتُهُمْ إِنَّمَا هُمْ طَارِئُونَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ  
 عَجَمَتُهُمْ أَصْلًا لِلْفَقَةِ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ وَالْبَرَبَرِ فِي هَذِهِ الْعُدُودِ وَهُمْ أَهْلُهَا وَلِسَانُهُمْ لِسَانُهَا  
 إِلَّا فِي الْأَمْصَارِ فَقَطْ وَهُمْ فِيهَا مُنْعَبِسُونَ فِي بَحْرِ عَجَمَتِهِمْ وَرِطَانَتِهِمْ الْبَرَبَرِيَّةِ فَيَضُجُّ  
 عَلَيْهِمْ تَحْصِيلُ الْمَلَكَةِ اللِّسَانِيَّةِ بِالتَّعْلِيمِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِحَالِ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ لِعَهْدِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ فَكَانَ شَأْنُهُمْ شَأْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي تَمَامِ  
 هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَإِبَادَتِهَا لِبُعْدِهِمْ لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَنِ الْأَعَاجِمِ وَمُخَالَطَتِهِمْ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ  
 فَكَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَقْوَمَ وَكَانَ فُحُولُ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ أَوْفَرَ  
 لِتَوْفَرِ الْعَرَبِ وَأَبْنَائِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَأَنْظُرْ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْأَعْيَانِ مِنْ نَظْمِهِمْ  
 وَنَثَرِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ كِتَابُ الْعَرَبِ وَدِيَوَانُهُمْ وَفِيهِ لُغَتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَأَيَّامُهُمْ  
 وَمَلِكُهُمْ الْأُمَوِيَّةُ وَسِيَرَتُهُمْ وَأَثَارُ خُلَفَائِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَغَنَائِهِمْ وَسَائِرُ مَعَانِيهِمْ  
 لَهُ فَلَا كِتَابَ أَوْعَبُ مِنْهُ لِأَحْوَالِ الْعَرَبِ وَبَقِيَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مُسْتَحْكِمًا فِي الْمَشْرِقِ  
 فِي الدَّوْلَتَيْنِ وَرَبَّمَا كَانَتْ فِيهِمْ أَبْلَغُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ كَانَ فِي أَجَاهِلِيَّةٍ كَمَا نَذَرُ كُرْهُ  
 بَعْدُ حَتَّى تَلَاشَى أَمْرُ الْعَرَبِ وَدُرِسَتْ لُغَتُهُمْ وَفَسَدَ كَلَامُهُمْ وَأَنْقَضَى أَمْرُهُمْ وَدَوَّلَتُهُمْ  
 وَصَارَ الْأَمْرُ لِلْأَعَاجِمِ وَالْمُلُكُ فِي أَيْدِيهِمْ وَالتَّغْلُبُ لَهُمْ وَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الدَّيْلَمِ وَالسَلْجُوقِيَّةِ  
 وَخَالَطُوا أَهْلَ الْأَمْصَارِ وَالْخَوَاصِرِ حَتَّى بَعُدُوا عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَلَكَتِهِ وَصَارَ  
 مَتَعَلِّمُهَا مِنْهُمْ مُقْصِرًا عَنْ تَحْصِيلِهَا وَعَلَى ذَلِكَ نَجِدُ لِسَانَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي قَنَنِ الْمَنْظُومِ  
 وَالْمَشُورِ وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ مِنْهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 عِلْمُهُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الرابع والاربعون

في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى قَنَيْنِ فِي الشُّعْرِ الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ  
 الْمَوْزُونُ الْمُقَفَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ وَفِي  
 النَّثْرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى قُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ



فِي الْكَلَامِ فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ وَالرِّثَاءُ وَأَمَّا التَّنْزِيلُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي  
 يُوْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلَازِمُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ يُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ  
 وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يُقَطَّعُ أَجْزَاءً بَلْ يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ  
 تَقْسِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ وَأَمَّا  
 الْقُرْآنُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا  
 وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِهِ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعَ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا  
 ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيُشْتَرَى مِنْ غَيْرِ التَّرَامِ حَرْفٌ يُبَكُونُ سَجْعًا  
 وَلَا قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ تَوَلَّى أَحْسَنَ الْخَبَرِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ  
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ وَيُسَمَّى آخِرُ آيَاتٍ مِنْهَا فَوَاصِلُ  
 إِذْ لَيْسَتْ أَتَسَجَّعًا وَلَا التَّرَمَ فِيهَا مَا يُلَازِمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ وَأُطْلِقَ اسْمُ  
 الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَاخْتَصَّتْ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ لِلْعَلَّةِ  
 فِيهَا كَالنَّجْمِ لِلثَّرَيَّا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّجْعَ الْمَثَانِي وَأَنْظَرُ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ  
 تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ  
 الْقُلُوبِ أَصَالِيْبٌ تُخْتَصُّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْأَمْنِ الْآخِرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ  
 الْمُخْتَصِّ بِالشِّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْمُخَاطَبَاتِ  
 وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَصَالِيْبَ الشِّعْرِ وَمَوَازِيْنَهُ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثَرَةِ  
 الْأَسْجَاعِ وَالتَّرَامِ الثَّقِيهِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَثُورُ إِذَا  
 تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشِّعْرِ وَقَفَتْهُ وَلَمْ يَقْدِرْ إِلَّا فِي الْوَزْنِ وَاسْتَمَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ الْكُتَّابِ  
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوا فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْإِسْتِعْمَالَ فِي الْمَثُورِ  
 كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْأَمْنِ الَّذِي ارْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَصَالِيْبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ  
 وَخُصُوصًا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ  
 الْفُطُلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا  
 يَلَاظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ وَهَذَا  
 الْفَنُ الْمَثُورُ الْمُقْتَضَى أَدْخَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَصَالِيْبَ الشِّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُنْزَعَهُ الْمُخَاطَبَاتُ  
 السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ إِذْ أَصَالِيْبُ الشِّعْرِ تُنَافِيهَا اللَّوْذِيعَةُ وَخَلَطُ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْنَابُ فِي

الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةً إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ وَالْإِزَامِ التَّقْيِيَةِ أَيْضًا مِنَ اللَّوْذَعَةِ وَالتَّرْدِينِ وَجَلَالُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَخُطَابُ الْجُمْهُورِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالتَّغْيِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ يُتَابَعُ ذَلِكَ وَيُبَايَنُهُ وَالْمَحْمُودُ فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ الدَّرَسُ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكَاُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخَصُّهُ مِنْ إِنْطَابٍ أَوْ إِجَازٍ أَوْ حَذَفٍ أَوْ إِنْثَابٍ أَوْ تَضْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ أَوْ كِتَابَةِ وَاسْتِعَارَةٍ وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِيْبِ الشِّعْرِ فَتَدْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيْلَاءُ الْعُجْمَةِ عَلَى السِّنِّيَّةِ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَعَجَزُوا عَنْ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ نُحْطَوِيهِ وَوَلِعُوا بِهَذَا الْمُسْجَعِ يُلَفِّقُونَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَيَجْبِرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ التَّرْدِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْفَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْعَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَّابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُخِلُّونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّضْرِيْفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُزَجِّحُونَ ذَلِكَ الصَّنِيفَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بَنِيَّةَ الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجْنِيسَ فَتَأْمَلُ ذَلِكَ يَا قَدَمْنَاهُ لَكَ تَقِفُ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَلِلَّهِ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

### الفصل الخامس والاربعون

في انه لا تنفع الاجادة في فني المنظوم والمنثور معاً الا للاقل

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا بَيَّنَّاهُ مَلَكَةٌ فِي اللِّسَانِ فَإِذَا تَسَبَّغَتْ إِلَى مَحَلِّهِ مَلَكَةٌ أُخْرَى قَصَرَتْ بِالتَّخَلُّصِ عَنْ تَمَامِ الْمَلَكَةِ الْآلِجَةِ لِأَنَّ تَمَامَ الْمَلَكَاتِ وَحُصُولَهَا لِلطَّبَائِعِ الَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ وَإِذَا تَقَدَّمَ ثَمَّ مَلَكَةٌ أُخْرَى كَانَتْ مَنَازِعَةً لَهَا فِي الْمَادَّةِ الْقَابِلَةِ وَعَائِقَةً عَنْ سُرْعَةِ الْقَبُولِ فَوَقَعَتْ الْمُنَافَاةُ وَتَعَذَّرَ التَّمَامُ فِي الْمَلَكَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ بَرَهْنَا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا

الْبَرْهَانِ فَاعْتَبِرْ مِثْلَهُ فِي اللُّغَاتِ فَإِنَّهَا مَلَكَاتُ اللِّسَانِ وَهِيَ بِمِثَرَةِ الصَّنَاعَةِ وَانْظُرْ مَنْ  
تَقَدَّمَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعُجَّةِ كَيْفَ يَكُونُ قَاصِرًا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَبَدًا فَلَا تُعْجِبِي الَّذِي  
سَبَقَتْ لَهُ اللُّغَةُ الْفَارِسِيَّةُ لَا يَسْتَوِي عَلَى مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلَا يَزَالُ قَاصِرًا فِيهِ  
وَلَوْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ وَكَذَا الْبَرْبَرِيُّ وَالرُّومِيُّ وَالْإِفْرَنْجِيُّ قُلْ أَنْ تَجِدَ أَحَدًا مِنْهُمْ مُحْكِمًا  
لِمَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا سَبَقَ إِلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنْ مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْآخَرِ  
حَتَّى إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَلْسُنِ إِذَا طَلَبَهُ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ جَاءَ  
مَقْصُرًا فِي مَعَارِفِهِ عَنِ الْعَالِيَةِ وَالتَّحْصِيلِ وَمَا أُوتِيَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ اللِّسَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ  
مِنْ قَبْلُ أَنَّ الْأَلْسُنَ وَاللُّغَاتِ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَائِعِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَمَلَكََاتِهَا لَا  
تَرْدَحُمُ وَأَنَّ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ إِجَادَةٌ فِي صِنَاعَةٍ فَقُلْ أَنْ يُجِيدَ فِي أُخْرَى أَوْ يَسْتَوِيَ فِيهَا عَلَى  
الْعَالِيَةِ وَلِلَّهِ خَلْقُكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ .

## الفصل السادس والاربعون

في صناعة الشعر ووجه تعليمه

هَذَا الْقَنْ مِنْ فُنُونِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالشَّعْرِ عِنْدَهُمْ وَيُوجَدُ فِي سَائِرِ  
اللُّغَاتِ إِلَّا أَنَّا الْآنَ إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي الشَّعْرِ الَّذِي لِلْعَرَبِ فَإِنْ أَمَكَنَّ أَنْ تَجِدَ فِيهِ  
أَهْلُ الْأَلْسُنِ الْآخَرَى مَقْصُودَهُمْ مِنْ كَلَامِهِمْ وَإِلَّا فَلِكُلِّ لِسَانٍ أَحْكَامٌ فِي الْبَلَاغَةِ  
تَحْصُهُ وَهُوَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ غَرِيبُ التَّرْعَةِ غَرِيزُ الْمَنْحَى إِذْ هُوَ كَلَامٌ مُفَصَّلٌ قِطْعًا  
قِطْعًا مُتَسَاوِيَةً فِي الْوِزْنِ مُتَّحِدَةٌ فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْ كُلِّ قِطْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَاتِ  
عِنْدَهُمْ بَيِّنًا وَيُسَمَّى الْحَرْفُ الْآخِرُ الَّذِي تَتَّفِقُ فِيهِ رَوِيًّا وَقَافِيَةً وَيُسَمَّى جُمْلَةً  
الْكَلَامِ إِلَى آخِرِهِ قَصِيدَةً وَسَكَمَةً وَيَنْفَرِدُ كُلُّ بَيِّنٍ مِنْهُ بِإِفَادَتِهِ فِي تَرَاكِيْبِهِ حَتَّى  
كَأَنَّهُ كَلَامٌ وَاحِدٌ مُسْتَقِلٌّ عَمَّا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ وَإِذَا أَفْرَدَ كَانَ تَامًا فِي بَابِهِ فِي مَدْحٍ  
أَوْ تَشْيِيبٍ أَوْ رِثَاءٍ فَيَجْرِصُ الشَّاعِرُ عَلَى إِعْطَاءِ ذَلِكَ الْبَيِّنِ مَا يَسْتَقِلُّ فِي إِفَادَتِهِ ثُمَّ  
يَسْتَأْنِفُ فِي الْبَيِّنِ الْآخِرِ كَلَامًا آخَرَ كَذَلِكَ وَيَسْتَطِرِدُّ الْخُرُوجُ مِنْ قَنْ إِلَى قَنْ وَمِنْ  
مَقْصُودٍ إِلَى مَقْصُودٍ بِأَنْ يُوْطِئَ الْمَقْصُودَ الْأَوَّلَ وَمَعَانِيَهُ إِلَى أَنْ تُنَاسِبَ الْمَقْصُودَ الثَّانِي  
وَيُبْعَدُ الْكَلَامُ عَنِ التَّنَافُرِ كَمَا يَسْتَطِرِدُّ مِنَ التَّشْيِيبِ إِلَى الْمَدْحِ وَمِنْ وَصْفِ الْبَيْدَاءِ  
وَالطُّلُولِ إِلَى وَصْفِ الرِّكَابِ أَوْ الْخَيْلِ أَوْ الطَّيْرِ وَمِنْ وَصْفِ الْمَدْحُوحِ إِلَى وَصْفِ



قَوْمِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَمِنْ التَّفَجُّعِ وَالْعَزَاءِ فِي الرِّثَاءِ إِلَى التَّأَثُّرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَيُرَاعَى فِيهِ  
اتِّفَاقُ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا فِي الْوِزْنِ الْوَاحِدِ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَتَسَاهَلَ الطَّبَعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ  
وِزْنٍ إِلَى وَزْنٍ يُقَارِبُهُ فَقَدْ يَتَغَيَّرُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمُقَارَبَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلِهَذَا  
الْمَوَازِينِ شُرُوطٌ وَأَحْكَامٌ تَضَمَّتْهَا عِلْمُ الْعُرُوضِ وَلَيْسَ كُلُّ وَزْنٍ يَتَّفِقُ فِي الطَّبَعِ  
أَنْتَعَمَلْتُهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْقَرْنِ وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مَخْصُوصَةٌ تُسَمِّيَهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ  
الْبُحُورَ وَقَدْ حَصَرُوهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنْ  
الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نَظْمًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ فَنَّ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا عِنْدَ  
الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ دِيْوَانَ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَشَاهِدَ صَوَابِهِمْ وَخَطِيئِهِمْ وَأَصْلًا  
يُوجِبُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَحِكْمِهِمْ وَكَانَتْ مَلَكَتُهُ مُسْتَحْكِمَةً فِيهِمْ شَأْنُ  
الْمَلَكَاتِ كُلِّهَا وَالْمَلَكَاتُ اللَّسَانِيَّةُ كُلُّهَا إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِالصَّنَاعَةِ وَالْأَرْتِيضِ  
فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى يَحْضُرَ شَبَهٌ فِي تِلْكَ الْمَلَكََةِ وَالشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ صَغْبُ التَّأَخُّدِ  
عَلَى مَنْ يُرِيدُ اكْتِسَابَ مَلَكَتِهِ بِالصَّنَاعَةِ مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ لِاسْتِقْلَالِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ  
بِأَنَّهُ كَلَامٌ تَلَمَّ فِي مَقْصُودِهِ وَيَضِلُّحُ أَنْ يَنْفَرِدَ دُونَ مَا سِوَاهُ فَيَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى  
نَوْعٍ تَلَطَّفَ فِي تِلْكَ الْمَلَكََةِ حَتَّى يُفْرَغَ الْكَلَامُ الشَّعْرِي فِي قَوَائِمِهِ الَّتِي عُرِفَتْ  
لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَتَحَى مِنْ شَعْرِ الْعَرَبِ وَيُبْرِزُهُ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَأْتِي بِبَيْتٍ آخَرَ  
كَذَلِكَ ثُمَّ يَبْتَئِ وَيُسْتَكْبِلُ الْقُنُونُ الْوَاقِعَ بِمَقْصُودِهِ ثُمَّ يُنَاسِبُ بَيْنَ الْبُيُوتِ فِي  
مِرَالَةِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْقُنُونِ الَّتِي فِي الْقَصِيدَةِ وَلِصُعُوبَةِ مَنَاحِهِ  
وَعَرَابَةِ قَتِهِ كَانَ مُحَكَّمًا لِلْقَرَائِحِ فِي اسْتِجَادَةِ أَسَالِيهِ وَشَحْذِ الْأَفْكَارِ فِي  
تَنْزِيلِ الْكَلَامِ فِي قَوَائِمِهِ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَلَكََةُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ  
يَحْتَاجُ بِحُضُوصِهِ إِلَى تَلَطُّفٍ وَمُحَاوَلَةٍ فِي رِعَايَةِ الْأَسَالِيِبِ الَّتِي اخْتَصَّتْهَا الْعَرَبُ بِهَا وَأَسْتَعْمَلَهَا  
وَلِذَلِكَ هُنَا سُلُوكُ الْأَسْلُوبِ عِنْدَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَمَا يُرِيدُونَ بِهَا فِي إِطْلَاقِهِمْ  
فَاعْلَمْ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ الْمِنَوَالِ الَّتِي يُنْسَجُ فِيهِ الدَّرَاقِيْبُ أَوِ الْقَالِبِ الَّتِي يُفْرَغُ  
فِيهِ وَلَا يُوجَعُ إِلَى الْكَلَامِ بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الَّتِي هُوَ وَظِيفَةُ الْإِعْرَابِ  
وَلَا بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ كِمَالِ الْمَعْنَى مِنْ خَوَاصِرِ الدَّرَاقِيْبِ الَّتِي هُوَ وَظِيفَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ  
وَلَا بِإِعْتِبَارِ الْوِزْنِ كَمَا اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِيهِ الَّتِي هُوَ وَظِيفَةُ الْعُرُوضِ فَهَذِهِ الْعُلُومُ

الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار أنطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالعقاب أو النوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فإدخالها فيه رصاً كما يفعل البناء في القالب أو النسيج في النوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقتضى الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فسوء الطول في شعر يكون بخطاب الطول كقوله يا دار مية بالعلماء فالسند ويكون باستدعاء الصخب للوقوف والسؤال كقوله قفا تسأل الدار التي خف أهلها . أو باستيكاء الصخب على الطل كقوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومثزل . أو بالاستيفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله ألم تسأل فتخبرك الرسوم . ومثل تحية الطول بالأمر لمخاطب غير معين بتحيتهما كقوله حي الديار بجانب الغزل . أو بالدعاء لها بالسقيا كقوله

أسقى طولهم أجش هزيم      وغدت عليهم نضرة ونعيم  
أو سؤاله السقيا لها من البرق كقوله  
يا برق طالع منزلاً بالبرق      وأحد السحاب لها حذاء الأيتق  
أو مشار التنجع في الجزع باستدعاء البكاء كقوله  
كذا فليجل الخلب وليفدح الأمر      وليس لعين لم يفيض ماؤها عذر  
أو باستعظام الحادث كقوله . أرايت من حملوا على الأعواد أو بالتسجيل على  
الأشجار بأن المصيبة لفقد كقوله  
منابت العشب لا حام ولا راع      مضى الردى بطويل الرمح والباع  
أو بالإنكار على من لم يتنجع له من الجمادات كقول الخارجية  
أيا شجر الخابور مالك مورقاً      كأناك لم تجزع على ابن طريف  
أو بتهنية فريته بالراحة من ثقل وطأته كقوله  
ألقي الرماح ربيعة بن زوار      أودى الردى بفريقك المغوار

وَأَمَّا ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ سَائِرِ فُنُونِ الْكَلَامِ وَمَذَاهِبِهِ وَتَنْظِيمِ الْأَثَرِ كَيْبُ فِيهِ  
بِالْجَمَلِ وَغَيْرِ الْجَمَلِ إِنشَائِيَّةٌ وَخَبَرِيَّةٌ إِسْمِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ مُتَّفِقَةٌ وَغَيْرُ مُتَّفِقَةٍ مَفْصُولَةٌ وَمَوْصُولَةٌ  
عَلَى مَا هُوَ شَأْنُ الْأَثَرِ كَيْبُ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فِي مَكَانٍ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ الْأُخْرَى يُعَرِّفُكَ  
فِيهِ مَا تَسْتَفِيدُهُ بِالْإِرْتِيَاضِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِنْ الْقَالِبِ الْكَلْبِيِّ الْمَجْرَدِ فِي الذِّهْنِ  
مَنْ أَثَرًا كَيْبُ الْمُعَيَّنَةِ الَّتِي يَنْطَبِقُ ذَلِكَ الْقَالِبُ عَلَى جَمِيعِهَا فَإِنَّ مُؤَلَّفَ الْكَلَامِ هُوَ  
كَالْبَنَاءِ أَوْ النَّسَاجِ وَالصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ كَالْقَالِبِ الَّذِي يُبْتَنَى فِيهِ أَوْ الْمِنْوَالِ  
الَّذِي يُنْسَجُ عَلَيْهِ فَإِنْ خَرَجَ عَنِ الْقَالِبِ فِي بَنَائِهِ أَوْ عَنِ الْمِنْوَالِ فِي نَسْجِهِ كَانَ فَاسِدًا  
وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ مَعْرِفَةَ قَوَائِنِ الْبَلَاغَةِ كَافِيَةٌ لِذَلِكَ لِأَنَّا نَقُولُ قَوَائِنُ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا هِيَ قَوَاعِدُ  
عِلْمِيَّةٌ قِيَاسِيَّةٌ تُفِيدُ جَوَازَ اسْتِعْمَالِ الْأَثَرِ كَيْبُ عَلَى هَيْئَتِهَا الْخَاصَّةِ بِالْقِيَاسِ وَهُوَ قِيَاسُ  
عِلْمِيٍّ صَحِيحٍ مُطَرَّدٌ كَمَا هُوَ قِيَاسُ الْقَوَائِنِ الْأَعْرَابِيَّةِ وَهَذِهِ الْأَسَالِبُ الَّتِي نَحْنُ  
نَقَرِّرها لَيْسَتْ مِنَ الْقِيَاسِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ هَيْئَةٌ تَرَسَّخُ فِي النَّفْسِ مِنْ تَتَبُّعِ الْأَثَرِ كَيْبُ  
فِي شِعْرِ الْعَرَبِ لِجَرَيَانِهَا عَلَى اللِّسَانِ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ صُورَتُهَا فَيَسْتَفِيدَ بِهَا الْعَمَلُ عَلَى مَثَالِهَا  
وَالِإِحْتِدَاءِ بِهَا فِي كُلِّ تَرْكِيبٍ مِنَ الشِّعْرِ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ بِإِطْلَاقٍ وَإِنْ  
الْقَوَائِنُ الْعِلْمِيَّةُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ لَا يُفِيدُ تَعْلِيمَهُ بِوَجْهِهِ وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَصِحُّ فِي قِيَاسِ  
كَلَامِ الْعَرَبِ وَقَوَائِنُهُ الْعِلْمِيَّةُ اسْتَعْمَلُوهُ وَإِنَّمَا الْمُسْتَعْمَلُ عَنْدهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْهَاءُ  
مَعْرُوفَةٌ يَطْلُبُ عَلَيْهَا الْحَافِظُونَ لِكَلَامِهِمْ تَنْدَرِجُ صُورَتُهَا تَحْتَ تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْقِيَاسِيَّةِ  
فَإِذَا نَظَرَ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ وَبِهَذِهِ الْأَسَالِبِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تُصَدِّقُ كَالْقَوَائِبِ  
كَأَنَّ نَظْرًا فِي الْمُسْتَعْمَلِ مِنْ تَرَكَيبِهِمْ لَا فَيَا يَقْتَضِيهِ الْقِيَاسُ وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ الْمُحْصِلَ  
لِهَذِهِ الْقَوَائِبِ فِي الذِّهْنِ إِنَّمَا هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ وَهَذِهِ الْقَوَائِبُ كَمَا  
تَكُونُ فِي الْمَنْظُومِ تَكُونُ فِي الْمَشْهُورِ فَإِنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلُوا كَلَامَهُمْ إِنْ كِلَا الْفَنَيْنِ  
وَجَاءُوا بِهِ مُفَصَّلًا فِي التَّوَعُّينِ فَنِي الشِّعْرِ بِالْقَطْعِ الْمَوْزُونَةِ وَالْقَوَائِي الْمُقَيَّدَةِ  
وَأَسْتِثْلَالِ الْكَلَامِ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ وَفِي الْمَشْهُورِ يَعْتَبِرُونَ الْمَوَازِنَةَ وَالنَّشَابَةَ  
بَيْنَ الْقِطْعِ غَالِيًا وَقَدْ يُقَيِّدُونَهُ بِالْأَسْجَاعِ وَقَدْ يُرْسِلُونَهُ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ مَعْرُوفَةٌ  
فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنْهَا عَنْدهُمْ هُوَ الَّذِي يَبْنِي مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ عَلَيْهِ تَأْلِيفَهُ  
وَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ كَلَامَهُمْ حَتَّى يَتَجَرَّدَ فِي ذِهْنِهِ مِنَ الْقَوَائِبِ الْمُعَيَّنَةِ الشَّخْصِيَّةِ



قَالَ كَلْبِيُّ مُطْلَقٌ يَخْذُو خَذْوَهُ فِي التَّأْلِيفِ كَمَا يَخْذُو الْبَنَاءُ عَلَى الْقَالِبِ وَالنَّسَاجِ  
عَلَى الْمِنْوَالِ فَلِهَذَا كَانَ مِنْ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مُتَفَرِّدًا عَنْ نَظَرِ التَّحْوِي وَالْيَانِي وَالْعَرُوضِي  
نَعَمْ إِنَّ مُرَاعَاةَ قَوَائِنِ هَذِهِ الْعُلُومِ شَرْطٌ فِيهِ لَا يَتِمُّ بِدُونِهَا فَإِذَا تَحَصَّلَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ  
كُلُّهَا فِي الْكَلَامِ اخْتَصَّ بِتَنَوُّعٍ مِنَ النَّظَرِ لَطِيفٍ فِي هَذِهِ الْقَوَالِبِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا أَسَالِيبَ  
وَلَا يُفِيدُهُ إِلَّا حِفْظُ كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَإِذَا تَقَرَّرَ مَعْنَى الْأَسْلُوبِ مَا هُوَ فَلَنَذْكُرَ  
بَعْدَهُ حَدًّا أَوْ رَسْمًا لِلشَّعْرِ بِهِ تَفْهَمُ حَقِيقَتَهُ عَلَى صُعُوبَةِ هَذَا الْغَرَضِ فَإِنَّا لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ  
لَا أَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيمَا رَأَيْنَاهُ وَقَوْلُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي حَدِّهِ إِنَّهُ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ  
الْمُقَفَّى لَيْسَ بِحَدِّ لِهَذَا الشَّعْرِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدِّدِهِ وَلَا رَسْمٍ لَهُ وَصِنَاعَتُهُمْ إِنَّمَا تَنْطَرُقُ فِي  
الشَّعْرِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْوِزْنِ وَالْقَوَالِبِ الْخَاصَّةِ فَلَا جَرَمَ إِنْ  
حَدَّاهُمْ ذَلِكَ لَا يَصْلُحُ لَهُ عِنْدَنَا فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفٍ يُعْطِينَا حَقِيقَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ فَقَوْلُ  
الشَّعْرِ هُوَ الْكَلَامُ الْبَلِيعُ الْمُنْبِي عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ الْمَفْصَّلِ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ  
فِي الْوِزْنِ وَالرَّوْيِ مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ أَجَارِي  
عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَخْصُوصَةِ بِهِ فَقَوْلُنَا الْكَلَامُ الْبَلِيعُ جِنْسٌ وَقَوْلُنَا الْمُنْبِي عَلَى  
الْإِسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ فَضْلٌ عَمَّا يَخْلُو مِنْ هَذِهِ فَإِنَّهُ فِي الْقَالِبِ لَيْسَ بِشَعْرِ وَقَوْلُنَا  
الْمَفْصَّلُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ الْوِزْنِ وَالرَّوْيِ فَضْلٌ لَهُ عَنِ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ الَّذِي لَيْسَ  
بِشَعْرِ عِنْدَ الْكُلِّ وَقَوْلُنَا مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ  
بَيَانٌ لِلْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَا تَكُونُ آيَاتُهُ إِلَّا كَذَلِكَ وَلَمْ يُفَصَّلْ بِهِ شَيْءٌ وَقَوْلُنَا أَجَارِي  
عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمَخْصُوصَةِ بِهِ فَضْلٌ لَهُ عَمَّا لَمْ يَجْرِ مِنْهُ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفَةِ  
وَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ شِعْرًا إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَهُ أَسَالِيبُ تَخْصُهُ لَا  
تَكُونُ لِلْمَشْهُورِ وَكَذَا أَسَالِيبُ الْمَشْهُورِ لَا تَكُونُ لِلشَّعْرِ فَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْظُومًا  
وَلَيْسَ عَلَى تِلْكَ الْأَسَالِيبِ فَلَا يَكُونُ شِعْرًا وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ كَانَ الْكَثِيرُ يَمُنُّ لِقَيْنَاهُ  
مِنْ سُيُوخِنَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ يَرَوْنَ أَنَّ نَظْمَ الْمُتَنَبِّئِ وَالْمَعَرِّي لَيْسَ هُوَ مِنَ  
الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَجْرِيَا عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَمَمِ عِنْدَمَا يَرَى أَنَّ الشَّعْرَ  
يُوجَدُ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَمَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ مَكَانَهُ  
أَجَارِي عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمَخْصُوصَةِ وَإِذَا قَدْ فَرَّغْنَا مِنْ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَةِ الشَّعْرِ فَلَنَرْجِعْ

إلى الكلام في كيفية عمله فنقول . إعلم أن إعمال الشعر وإحكام صناعته شروطاً  
أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج  
على منوالها ويتخير المَحْظُوظُ من الحرّ القوي الكثير الأساليب وهذا المَحْظُوظُ الْمُخْتَارُ  
أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة وكثير  
وذي الرمة وجريز وأبي نواس وحبيب والبخاري والرّضي وأبي فراس وأكثره  
شعر كتاب الأغاني لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كُله والمُخْتَارُ من شعر  
الجاهلية ومن كان خالياً من المَحْظُوظِ فنظمه قاصر ردي ولا يعطيه الرونق والخلاوة  
إلا كثرة المَحْظُوظِ فمن قل حفظه أو عديم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط  
واجتناب الشعر أولى من لم يكن له مَحْظُوظٌ ثم بعد الإمتلاء من الحفظ وشحن القريحة  
للتنسج على المنوال يُقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ  
وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المَحْظُوظِ لتُمحي رُسومُه الحرفية الظاهرة إذ  
هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتش الأسلوب  
فيها كأنه منوال يُؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة ثم لا بد له  
من الخلوة واستجادة المكان المتصور فيه من البياض والأزهار وكذا السَّمُوع  
لاستئارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاد السرور ثم مع هذا كله فشرطه أن  
يكون على جمام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال  
الذي في حفظه قالوا وخير الأوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم  
وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء السجّام وربنا قالوا إن من بواعثه العشق  
والإنتشاء ذكر ذلك ابن رشيقي في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي أنفرد بهذه  
الصناعة وإعطاء حقا ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله قالوا فإن استصعب  
عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت  
على القافية من أول صوغه ونسجه بعضها ويبنى الكلام عليها إلى آخره لأنه إن غفل  
عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها فربما تجيء نافرة قليلة وإذا سمح  
الخطير بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به فإن كل  
بيت مستقل بنفسه ولم تبق إلا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء ولا يرجع شعره بعد



الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالتَّنْقِيحِ وَالتَّعْدِ وَلَا يَضُنُّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنْ  
 الْإِنْسَانُ مَقْشُونٌ بِشِعْرِهِ إِذَا هُوَ نَبَاتٌ فِكْرُهُ وَآخِرَاعُ قَرِيحَتِهِ وَلَا يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنْ  
 الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ وَالْخَالِصَ مِنَ الضَّرُورَاتِ الَّلِّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا  
 تَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ حَظَرَ أَثِمَةُ اللِّسَانِ الْمُؤَلَّدَ مِنْ أَرْكَابِ  
 الضَّرُورَةِ إِذَا هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ وَيَجْتَنِبُ  
 أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ جُهْدَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى  
 الْفَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنْ فِيهِ نَوْعٌ تَعْتِيدُ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّمَا  
 الْمُخْتَارُ مِنْهُ مَا كَانَتْ الْفَاطَةُ طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْقَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً  
 كَانَ حَشْوًا وَاسْتَعْمِلَ الذِّهْنُ بِالْعَرُوضِ عَلَيْهَا فَسَمِعَ الذَّوْقُ عَنْ اسْتِيفَاءِ مُدْرِكِهِ مِنْ  
 الْبَلَاغَةِ وَلَا يَكُونُ الشِّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا  
 كَانَ سُيُوءُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَعْصِبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(١)</sup> بِنِ خَاطَبَةِ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ بِكَثَرَةِ  
 مَعَانِيهِ وَأَزْدِ حَامِيهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْصِبُونَ شِعْرَ الْمُتَسَبِّحِ وَالْمَعْرِي بِعَدَمِ  
 النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيِبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مُنْظَرَمًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ  
 الشِّعْرِ وَالْحَاكِمُ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ وَلِيَجْتَنِبِ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْخَوْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالْمُقْصِرِ  
 وَكَذَلِكَ السُّوْقِيَّ الْمُتَبَدِّلَ بِالتَّدَاوُلِ بِالِاسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنْ طَبَقَةِ  
 الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا  
 وَيَمِيقْدَارٍ مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتَبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذَا هُمَا طَرَفَانِ وَلِهَذَا  
 كَانَ الشِّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ الْإِجَادَةِ فِي التَّلَابِ وَلَا يَخْذُقُ فِيهِ إِلَّا  
 الْفُحُولُ وَفِي الْقَلِيلِ عَلَى الْعَشْرِ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدَلَةٌ لِذَلِكَ وَإِذَا  
 تَعَدَّدَ الشِّعْرُ بَعْدَ هَذَا سُكِّلَ فَلْيَرَاوِضْهُ وَيَعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلَ الصَّرْعِ يَدِرُّ بِالْإِمْتِدَاءِ  
 وَيَجِبُ بِالْتَّرَكِّ وَالْإِهْمَالِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَتَعَلَّمْهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمَدَةِ  
 لِأَبْنِ رَشِيْقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ  
 بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبُغْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ نُبْدَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمَعِينُ وَقَدْ نَظَّمَ النَّاسُ  
 فِي أَمْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشِّعْرِيَّةِ مَا يَجِبُ فِيهَا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأُظْلِمَ لِأَبْنِ رَشِيْقٍ

(١) قوله ابن بكر وفي نسخة ابن اسحاق الخ



لَعَنَ اللَّهُ صَنَعَةَ الشِّعْرِ مَاذَا مِنْ صُوفِ الْجَهَالِ مِنْهُ لَقِينَا  
يُؤْثِرُونَ الْقَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مُسِينَا  
وَيَرُونَ الْمُحَالَ مَعْنَى صَحِيحًا وَخَيْسَ الْكَلَامِ شَيْئًا نُسِينَا  
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْرُ م رُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ  
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا يُلَامُونَ م نَ وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعَذَّرُونَ  
إِنَّمَا الشِّعْرُ مَا يُنَاسِبُ فِي النَّظْمِ م وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فُتُونَا  
فَأَتَى بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضًا وَأَقَامَتْ لَهُ الْعُدُورُ الْمُتُونَا  
كُلُّ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا تَتَنَّى وَلَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا  
فَتَأْهَى مِنْ أَلْيَانٍ إِلَى أَنْ كَادَ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّاطِرِينَا  
فَكَانَ الْأَنَاطَ مِنْهُ وَجُوهٌ وَالْمَعَانِي رُكِبْنَ فِيهَا عُيُونَا  
إِنَّمَا فِي الْمَرَامِ حَسْبُ الْأَمَانِي يَتَخَلَّى بِحُسْنِهِ الْمُتَشِدُّونَا  
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشِّعْرِ حُرًّا رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُشْتَهِينَا  
فَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقًا مُسِينَا  
وَتَنَكَّبْتَ مَا يُهَجَّنُ فِي السَّمْعِ م وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَوْزُونَا  
وَإِذَا مَا عَرَضَتْ بِهِجَاءُ عِبَتْ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُرْقِينَا  
فَجَعَلْتَ التَّضَرُّيعَ مِنْهُ دَوَاءً وَجَعَلْتَ التَّعْرِيفَ دَاءً دَفِينَا  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْعَالَمِ دِينَ يَوْمًا لِلْبَيْنِ وَالظَّاعِنِينَا  
حُلْتَ دُونَ الْأَسَى وَذَلَّلْتَ مَا كَامَ م نَ مِنَ الدَّمْعِ فِي الْعُيُونِ مَصُونَا  
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَاتِبًا جِئْتَ بِالْوَعْدِ وَعَيْدًا وَبِالصُّعُوبَةِ بَيْنَا  
فَدَرَكَتِ الَّذِي عَتَيْتَ عَلَيْهِ حَذِرًا أَمِنًا غَرِيزًا مَهِينَا  
وَأَصَحُّ الْقَرِيفِ مَا قَارَبَ النَّظْمَ م وَإِنْ كَانَ وَاضِحًا مُسْتَسِينَا  
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعَ النَّاسَ طَرًّا وَإِذَا رِيمَ أَعْجَرَ الْمُعْجِرِينَا  
ومن ذلك أيضاً قول بعضهم

الشِّعْرُ مَا قَوَّمتَ رُبْعَ صُدُورِهِ وَشَدَدْتَ بِالْتَهْدِيبِ أَسَّ مُثُونِهِ  
وَرَأَيْتَ بِالْأُطْنَابِ شَعْبَ صُدُوعِهِ وَفَتَحْتَ بِالْإِيْجَازِ عُرَ عُيُونِهِ

وَجَمَعَتْ بَيْنَ قَرِيْبِهِ وَبَعِيْدِهِ      وَجَمَعَتْ بَيْنَ مُحِبِّهِ وَمَعِيْبِهِ  
وَإِذَا مَدَحَتْ بِهِ جَوَادًا مَا جَدَا      وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ ذُبُورِهِ  
أَصْفَيْتَهُ بِتَقَشُّشِ رَدَضِيَّتِهِ      وَخَصَصْتَهُ بِحُطْبِيرِهِ وَثَمِينِهِ  
فَيَكُونُ جَزَلًا فِي مَسَاقِ صُفُوفِهِ      وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّفَاقِ قُؤُونِهِ  
وَإِذَا بَكَتْ بِهِ الدَّيْلَارُ وَأَهْلَهَا      أَجْرَيْتَ لِلْمَخْرُورِ مَاءَ سُؤُونِهِ  
وَإِذَا أَرَدْتَ كِتَابَةً عَنْ رِيْبَةٍ      بَايَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ  
فَجَعَلْتَ سَامِعَهُ يَشُوبُ شُكُوكَهُ      يَشُوبُهُ وَظُنُونُهُ بِبِقِينِهِ

### الفصل السابع والاربعون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

إِعْلَمُ أَنَّ صِنَاعَةَ الْكَلَامِ نَظْمًا وَنَثْرًا إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَلْفَاظِ لَا فِي الْمَعَانِي وَإِنَّمَا  
الْمَعَانِي تَبَعٌ لَهَا وَهِيَ أَصْلُ فَالصَّانِعُ الَّذِي يُحَاوِلُ مَلَكَةَ الْكَلَامِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ  
إِنَّمَا يُحَاوِلُهَا فِي الْأَلْفَاظِ بِحِفْظِ أَمْثَالِهَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ لِيَكْثُرَ اسْتِعْمَالُهُ وَجَرِيَّةُ  
عَلَى لِسَانِهِ حَتَّى تَسْتَقِرَّ لَهُ الْمَلَكَةُ فِي لِسَانِ مُضَرٍّ وَيَتَخَلَّصَ مِنَ الْعُجْمَةِ الَّتِي رَپِي عَلَيْهَا  
فِي جِيلِهِ وَيَفْرِضَ نَفْسَهُ مِثْلَ وَلِيدٍ نَشَأَ فِي جِيلِ الْعَرَبِ وَيُلَقِّنُ لِفَتَاهِهِ كَمَا يُلَقِّنُهَا  
الصَّبِيُّ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي لِسَانِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ لِلَّسَانِ مَلَكَةَ  
مِنَ الْمَلَكَاتِ فِي النَّطْقِ يُحَاوِلُ تَحْصِيلَهَا بِتَكَرُّرِهَا عَلَى اللِّسَانِ حَتَّى تَحْصُلَ وَالَّذِي  
فِي اللِّسَانِ وَالنَّطْقِ إِنَّمَا هُوَ الْأَلْفَاظُ وَأَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ فِي الضَّمَاوِرِ وَأَيْضًا فَالْمَعَانِي  
مَوْجُودَةٌ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ وَفِي طَوَرِ كُلِّ فِكْرٍ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَرْضَى فَلَا يَحْتَاجُ  
إِلَى صِنَاعَةٍ وَتَأْلِيفِ الْكَلَامِ لِلْعِبَارَةِ عَنْهَا هُوَ الْمُحْتَاجُ لِلصَّنَاعَةِ كَمَا قُلْنَا وَهُوَ بِثَابَةِ  
الْقَوَالِبِ لِلْمَعَانِي فَكَمَا أَنَّ الْأَوَائِي الَّتِي يُغْتَرَفُ بِهَا الْمَاءُ مِنَ الْبَحْرِ مِنْهَا آيَةُ الْذَّهَبِ  
وَالْفِضَّةِ وَالصَّدْفِ وَالزُّجَاجِ وَالْخُرْفِ وَالْمَاءُ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ وَتَخْتَلِفُ الْجُودَةُ فِي الْأَوَائِي  
الْمَمْلُوءَةِ بِالْمَاءِ بِاخْتِلَافِ جَنَسِهَا لَا بِاخْتِلَافِ الْمَاءِ كَذَلِكَ جُودَةُ اللَّغَةِ وَبِلَاءَتُهَا فِي  
الْإِسْتِعْمَالِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ فِي تَأْلِيفِهِ بِإِعْتِبَارِ تَطْيِيقِهِ عَلَى الْمَقَاصِدِ  
وَالْمَعَانِي وَاحِدَةٌ فِي نَفْسِهَا وَإِنَّمَا ائْتِجَاهُ بِتَأْلِيفِ الْكَلَامِ وَأَسَالِيهِ عَلَى مُقْتَضَى مَلَكَةِ  
اللِّسَانِ إِذَا حَاوَلَ الْعِبَارَةَ عَنْ مَقْصُودِهِ وَلَمْ يُحْسِنْ بِثَابَةِ الْمُقْعَدِ الَّذِي يَرُومُ التُّهُؤُوسَ

وَلَا يَسْتَطِيعُهُ إِفْقَادَانِ التُّدْرَةِ عَلَيْهِ وَآلِهَ يُعَالِمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ .

### الفصل الثامن والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَثْرَةِ الْحِفْظِ لِمَنْ يَرُومُ تَعْلَمَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَعَلَى قَدَرِ  
جُودَةِ الْمَحْضُوظِ وَطَبَقَتِهِ فِي جَنْسِهِ وَكَثْرَتِهِ مِنْ قَلْبِهِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَلَكَةِ الْخَاصِلَةِ  
عَنْهُ لِلْحَافِظِ فَمَنْ كَانَ مَحْضُوظُهُ شِعْرَ حَبِيبٍ أَوْ الْعِلَاقِيِّ أَوْ ابْنِ الْمُعْتَرِّ أَوْ ابْنِ هَانِيٍّ أَوْ  
الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ أَوْ رَسَائِلَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ أَوْ سَهْلِ ابْنِ هَارُونَ أَوْ ابْنِ الزُّيَّاتِ أَوْ الْبَدِيعِ  
أَوْ الصَّائِيٍّ تَكُونُ مَلَكَتُهُ أَجُودَ وَأَعْلَى مَقَامًا وَرُتَبَةً فِي الْبَلَاغَةِ يَمُنُّ بِحِفْظِ شِعْرِ ابْنِ  
سَهْلِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَوْ ابْنِ أَبِيهِ أَوْ تَرْسُلَ الْيَسَّانِيِّ أَوْ الْعِمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ لِتُرُولِ  
طَبَقَةِ هَؤُلَاءِ عَنْ أَوْلِيكَ يَظْهَرُ ذَلِكَ لِلْبَصِيرِ النَّاقِدِ صَاحِبِ الذَّوْقِ وَعَلَى مِقْدَارِ جُودَةِ  
الْمَحْضُوظِ أَوْ الْمَسْمُوعِ تَكُونُ جُودَةُ الْإِسْتِعْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ إِجَادَةُ الْمَلَكَةِ مِنْ  
بَعْدِهَا فَيَارْتَقَاءُ الْمَحْضُوظُ فِي طَبَقَتِهِ مِنَ الْكَلَامِ تَرْتَقِي الْمَلَكَةُ الْخَاصِلَةُ لِأَنَّ الطَّبْعَ  
إِنَّمَا يَنْسِجُ عَلَى مَنَوَالِهَا وَتَنْمُو قُوَى الْمَلَكَةِ بِتَغْذِيَّتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَتْ فِي  
جِلَّتِهَا وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ تَخْتَلِفُ فِي الْبَشَرِ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ فِي الْإِدْرَاكَاتِ وَاخْتِلَافُهَا  
إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهَا مِنَ الْإِدْرَاكَاتِ وَالْمَلَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ الَّتِي تُكَيِّفُهَا  
مِنْ خَارِجٍ فَبِهَذِهِ يَتِمُّ وَجُودُهَا وَتَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ صُورَتُهَا وَالْمَلَكَاتُ الَّتِي  
تَحْصُلُ لَهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ عَلَى التَّدرِجِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَالْمَلَكَةُ الشِّعْرِيَّةُ تَنْشَأُ بِحِفْظِ الشِّعْرِ  
وَمَلَكَةُ الْكِتَابَةِ بِحِفْظِ الْأَسْجَاعِ وَالْتَّرْسِيلِ وَالْعِلْمِيَّةُ بِمُحَاطَةِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ  
وَالْأَبْحَاثِ وَالْأَنْظَارِ وَالنِّمِّيَّةُ بِمُحَاطَةِ الْفَنِّ وَتَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ وَتَفْرِيعِهَا وَتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ  
عَلَى الْأُصُولِ وَالتَّصَوُّفِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ بِالْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَتَعْطِيلِ الْخَوَاصِ الظَّاهِرَةِ  
بِالْخُلُوةِ وَالْإِنْفِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى تَحْصُلَ لَهُ مَلَكَةُ الرُّجُوعِ إِلَى حِسِّهِ الْبَاطِنِ  
وَرُوحِهِ وَيَنْقَلِبُ رَبَّانِيًّا وَكَذَا سَائِرُهَا وَلِلنَّفْسِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوْنٌ تَكَيِّفُ بِهِ وَعَلَى  
حَسَبِ مَا نَشَأَتِ الْمَلَكَةُ عَلَيْهِ مِنْ جُودَةٍ أَوْ رَدَاءَةٍ تَكُونُ تِلْكَ الْمَلَكَةُ فِي نَفْسِهَا  
فَلَمَّا كَانَتْ الْبَلَاغَةُ الْعَالِيَةِ الطَّبَقَةِ فِي جَنْسِهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بِحِفْظِ الْعَالِيِ فِي طَبَقَتِهِ مِنْ  
الْكَلَامِ وَلِهَذَا كَانَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْعُلُومِ كُلُّهُمْ قَاصِرِينَ فِي الْبَلَاغَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لَمَّا



يَسْبِقُ إِلَى مَحْضُوذِهِمْ وَيَمْتَلِي بِهِ مِنَ الْقَوَائِنِ الْعَلِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْفُتُوحَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ  
 أَسْلُوبِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّازِلَةِ عَنْ الطَّبَقَةِ لِأَنَّ الْعِبَارَاتِ عَنْ الْقَوَائِنِ وَالْعُلُومِ لَا حَظَّ لَهَا فِي  
 الْبَلَاغَةِ فَإِذَا سَبَقَ ذَلِكَ الْمَحْضُوظُ إِلَى الْفِكْرِ وَكَثُرَ وَتَلَوْنَتْ بِهِ النَّفْسُ جَاءَتْ الْمَلَكَةُ  
 النَّاشِئَةُ عَنْهُ فِي غَايَةِ الْقُدُورِ وَانْتَحَرَفَتْ عِبَارَاتُهُ عَنْ أَسَالِيِبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ وَهَكَذَا  
 نَجِدُ شِعْرَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّحَاةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالنُّظَّارِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَمْ يَمْتَلِي مِنْ حِفْظِ النَّبِيِّ  
 الْحَرَمِيِّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . أَخْبَرَنِي صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رِضْوَانَ كَاتِبُ الْعَلَامَةِ  
 بِالْدَوَاةِ الْمُرِينِيَّةِ قَالَ ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ شُعَيْبٍ كَاتِبَ السُّلْطَانِ  
 أَبِي الْحَسَنِ وَكَانَ الْمُقَدَّمُ فِي الْبَصَرِ بِاللِّسَانِ لِهَدْيِهِ فَأَنْشَدَنِي مَطْلِعَ قَصِيدَةِ ابْنِ النَّحْوِيِّ  
 وَلَمْ أَنْسِبَهَا لَهُ وَهُوَ هَذَا

لَمْ أَذِرْ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأُطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَالْبَالِي  
 فَقَالَ لِي عَلَى الْبَدِيهَةِ هَذَا شِعْرُ فُقَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ وَمِنْ أَيْنَ أَكْ ذَلِكَ فَقَالَ مِنْ قَوْلِهِ مَا  
 انْفَرَقَ إِذْ هِيَ مِنْ عِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَلَيْسَتْ مِنْ أَسَالِيِبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ فَمَا أَتُوكَ  
 إِنَّهُ ابْنُ النَّحْوِيِّ . وَأَمَّا الْكُتَّابُ وَالشُّعْرَاءُ فَلْيَسُوا كَذَلِكَ لِتَخْيِيرِهِمْ فِي مَحْضُوذِهِمْ  
 وَمُخَالَطَتِهِمْ كَلَامَ الْعَرَبِ وَأَسَالِيِبِهِمْ فِي التَّرْسُلِ وَأَنْتِقَاتِهِمْ لَهُمْ الْخِيَدُ مِنَ الْكَلَامِ .  
 ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ الْخَطِيبِ وَزِيَرَ الْمَأْرُوكِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ بَنِي  
 الْأَخْمَرِ وَكَانَ الصَّدْرَ الْمُقَدَّمُ فِي الشُّعْرِ وَالْكِتَابَةِ فَقُلْتُ لَهُ أَجِدُ اسْتِصْعَابًا عَلَيَّ فِي  
 نَظْمِ الشُّعْرِ مَتَى رُمْتُهُ مَعَ بَصَرِي بِهِ وَحِفْظِي لِلْخِيَدِ مِنَ الْكَلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفُؤُونِ  
 مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَ مَحْضُوذِي قَلِيلًا وَإِنَّمَا أَتَيْتُ وَأَلَّهُ أَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ مَا حَصَلَ فِي  
 حِفْظِي مِنَ الْأَشْعَارِ الْعَلِيَّةِ وَالْقَوَائِنِ التَّالِيفِيَّةِ فَإِنِّي حَفِظْتُ قَصِيدَتِي الشَّاطِئِي الْكُبْرَى  
 وَالصُّغْرَى فِي الْقِرَاءَاتِ وَتَدَارَسْتُ كِتَابِي بْنَ الْحَاجِبِ فِي الْفَتْهِ وَالْأُصُولِ وَجَمَلَ  
 الْخَوْنَجِيِّ فِي الْمَنْطِقِ وَبَعْضَ كِتَابِ التَّسْوِيلِ وَكَثِيرًا مِنْ قَوَائِنِ التَّعْلِيمِ فِي الْمَجَالِسِ  
 فَأَمْتَلًا مَحْضُوذِي مِنْ ذَلِكَ وَخُدِشَ وَجْهُ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَعْدَدْتُ لَهَا بِالْمَحْضُوظِ الْخِيَدِ مِنْ  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ تُعَاقُ الْقَرِيبَةَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَنْظُرُ إِلَيَّ سَاعَةً مُعْجِبًا ثُمَّ قَالَ  
 اللَّهُ أَنْتَ وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا بِمِثْلِكَ . وَيُظْهَرُ لَكَ مِنْ هَذَا النُّصْلِ وَمَا تَقَرَّرَ فِيهِ سِرٌّ آخَرُ  
 وَهُوَ إِعْطَاءُ السَّبَبِ فِي أَنَّ كَلَامَ الْإِسْلَامِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَذْوَابَهَا

من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم فإنما نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة وأحليقة وجريير والفرزدق ونصيب وعيلان ذي الرمة والأخوص وبشار ثم كلام السائب من العرب في الدولة الأموية وصدرًا من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومخاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وغنوة وابن كثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومخاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للتأقيد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدرّكوا الإسلام سيمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلتهما لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طبائعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية بمن لم يسع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظيمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقًا من أولئك وأرصف مبنًى وأعدل تشقيفاً بما استقادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والبصر بالبلاغة. ولقد سألت يوماً شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسبته عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوبيين واستبخر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسأله يوماً ما بال العرب الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستكر ذلك بذوقه فسكت طويلاً ثم قال لي والله ما أدري فقلت أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت مُعجباً ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب وكان من بعدها يؤثر مخلي ويصيخ في مجالس التعليم إلى قولي ويشهد لي بالنباهة في العلوم والله خلق الإنسان وعلمه البيان .

### الفصل التاسع والاربعون

في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر

إعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب متافسين فيه وكانوا يفتنون بسوق عكاظ لإنشاده وعرض كل واحد منهم



دِيَابَجَتُهُ عَلَى فُحُولِ الشَّانِ وَأَهْلِ الْبَصَرِ لِتَسْيِيرِ حَوْلِهِ حَتَّى انْتَهَرُوا إِلَى الْمُنَاغَاةِ فِي تَعْلِيْقِ  
 أَشْعَارِهِمْ بِأَرْكَانِ أَلْيَتِ الْخَوَامِ مَوْضِعِ حَجَّتِهِمْ وَبَيْتِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا فَعَلَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ  
 ابْنُ حُجْرٍ وَالنَّابِغَةُ الدُّبْيَانِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَعَنْدَةُ بْنُ شَدَّادٍ وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ  
 وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَشِيِّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعَلَّكَاتِ السَّبْعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَوَصَّلُ  
 إِلَى تَعْلِيْقِ الشِّعْرِ بِهَا مَنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْمِهِ وَعَصِيَّتِهِ وَمَكَانِهِ فِي مُضَرٍّ عَلَى  
 مَا قِيلَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمُعَلَّكَاتِ ثُمَّ انْصَرَفَ الْعَرَبُ عَنْ ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ بِمَا  
 شَغَلَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا أَدْهَشَهُمْ مِنْ أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ  
 فَأَخْرَسُوا عَنْ ذَلِكَ وَسَكَتُوا عَنْ الْخَوْضِ فِي النِّظْمِ وَالذِّكْرِ زَمَانًا ثُمَّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ وَأُوْنِسَ  
 الرَّشْدُ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ فِي تَحْرِيمِ الشِّعْرِ وَحُظْرِهِ وَسَبْعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَأَتَابٌ عَلَيْهِ فَرَجَعُوا حَيْثُ نَزَلُوا إِلَى دِينِهِمْ مِنْهُ وَكَانَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ كَبِيرُ  
 قُرَيْشٍ لِذَلِكَ الْعَهْدِ مَقَامَاتٌ فِيهِ عَالِيَةٌ وَطَبَقَةٌ مُرْتَفِعَةٌ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَغْرِضُ شِعْرَهُ عَلَى  
 ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَتَفَتَّحُ لِاسْتِجَابِهِ مُعْجِبًا بِهِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمُلْكُ وَالِدَوْلَةُ الْغُرَيَّةُ  
 وَتَرَبَّأَ إِلَيْهِمُ الْعَرَبُ بِأَشْعَارِهِمْ يَسْتَدِخُونَهُمْ بِهَا وَيُجِيزُهُمُ الْخُلَفَاءُ بِأَعْظَمِ الْجَوَائِزِ عَلَى  
 نَسَبِ الْجُودَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَمَكَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَيَحْرِضُونَ عَلَى اسْتِهْدَاءِ أَشْعَارِهِمْ يَطْلَعُونَ  
 مِنْهَا عَلَى الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَاللُّغَةِ وَشَرَفِ اللِّسَانِ وَالْعَرَبُ يُطَالِبُونَ وَلَدَهُمْ بِحِفْظِهَا وَلَمْ  
 يَزَلْ هَذَا الشَّانُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنْظَرُ مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ الْعَهْدِ  
 فِي مُسَامَرَةِ الرَّشِيدِ لِلْأَصْمَعِيِّ فِي بَابِ الشِّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ تَجِدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ مِنَ  
 الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ وَالرُّسُوخِ فِيهِ وَالْعِنَايَةِ بِانْتِحَالِهِ وَالْبَصَرِ بِجِدِّ الْكَلَامِ وَرَدِّيهِ وَكَثْرَةِ  
 مَحْضُوخِهِ مِنْهُ ثُمَّ جَاءَ خَلْقٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَكُنْ اللِّسَانُ لِسَانَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْعُجْمَةِ وَتَقْصِيرِهَا  
 بِاللِّسَانِ وَإِنَّمَا تَعَلَّمُوهُ صِنَاعَةً ثُمَّ مَدَّحُوا بِأَشْعَارِهِمْ أُمَرَاءَ الْعَجَمِ الَّذِينَ لَيْسَ اللِّسَانُ لَهُمْ  
 طَالِبِينَ مَعْرِفَتِهِمْ فَقَطَّ لَا يَسُوْى ذَلِكَ مِنْ الْأَغْرَاضِ كَمَا فَعَلَهُ حَبِيبُ وَالْبَحْرِيُّ وَالْمُتَنَبِّئُ  
 وَابْنُ هَانِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهَلُمَّ جَرًّا فَضَارَ غَرَضُ الشِّعْرِ فِي الْقَالِبِ إِنَّمَا هُوَ الْكُذِبُ  
 وَالْإِسْتِجْدَاءُ لِدَهَابِ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ لِلأَوَّلِينَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ آتِنَا وَأَنْفَ مِنْهُ لِذَلِكَ  
 أَهْلُ الْهَيْمِ وَالْمَرَاتِبِ مِنَ الْمَتَّاعِينَ وَتَغَيَّرَ الْحَالُ وَأَصْبَحَ تَعَاطِيهِ هُجْنَةً فِي الرِّئَاسَةِ  
 وَمَذْمَةً لِأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ وَاللَّهُ مُقَابِلُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .



## الفصل الخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

إُعْلَمَ أَنَّ الشِّعْرَ لَا يَخْتَصُّ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَقَطْ بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ لُغَةٍ سِوَاهُ كَانَتْ عَرَبِيَّةً أَوْ عَجَمِيَّةً وَقَدْ كَانَ فِي الْفُرْسِ شُعْرَاءُ وَفِي يُونَانَ كَذَلِكَ وَذَكَرَ مِنْهُمْ أَرِسْطُو فِي كِتَابِ الْمَنْطِقِ أَوِمِيدُوسَ الشَّاعِرَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَكَانَ فِي حِمْيَرَ أَيْضًا شُعْرَاءُ مُتَقَدِّمُونَ وَلَكِنَّا فَسَدَ لِسَانُ مُضَرَ وَلُغَتُهُمُ الَّتِي دُونَتْ مَقَابِلُهَا وَقَوَائِنُ إِعْرَابِهَا وَفَسَدَتِ اللُّغَاتُ مِنْ بَعْدُ بِحَسَبِ مَا خَالَطَهَا وَمَازَجَهَا مِنَ الْعُجْمَةِ فَكَانَتْ تُحِيلُ الْعَرَبُ بِأَنْفُسِهِمْ لُغَةً خَالَفَتْ لُغَةَ سَلَفِهِمْ مِنْ مُضَرَ فِي الْإِعْرَابِ جُمْلَةً وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَبِنَاءِ الْكَلِمَاتِ وَكَذَلِكَ الْخَضَرُ أَهْلُ الْأَمْصَارِ نَشَأَتْ فِيهِمْ لُغَةٌ أُخْرَى خَالَفَتْ لِسَانَ مُضَرَ فِي الْإِعْرَابِ وَأَكْثَرِ الْأَوْضَاعِ وَالتَّصَارِيفِ وَخَالَفَتْ أَيْضًا لُغَةَ الْحِمْيَرِ مِنَ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاخْتَلَفَتْ هِيَ فِي نَفْسِهَا بِحَسَبِ أَصْطِلَاحَاتِ أَهْلِ الْأَفَاقِ فَلِأَهْلِ الشَّرْقِ وَأَمْصَارِهِ لُغَةٌ غَيْرُ لُغَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ وَتَخَالَفَهُمَا أَيْضًا لُغَةُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَأَمْصَارِهِ ثُمَّ لَمَّا كَانَ الشِّعْرُ مَوْجُودًا بِالطَّبْعِ فِي أَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ لِأَنَّ الْمَوَازِينَ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَعْدَادِ الْمُتَحَرِّكَاتِ وَالسَّوَاكِينِ وَتَقَابُلِهَا مَوْجُودَةٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ فَلَمْ يُهْجَرَ الشِّعْرُ بِفَقْدَانِ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ لُغَةُ مُضَرَ الَّذِينَ كَانُوا فُجُورَهُ وَفُرْسَانِ مِيدَانِهِ حَسَبًا أَشْهُرَ بَيْنَ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ بَلْ كُلُّ جِيلٍ وَأَهْلُ كُلِّ لُغَةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْجِلِينَ وَالْخَضَرَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ يَتَعَاطُونَ مِنْهُ مَا يُطَالُوعُهُمْ فِي انْتِحَالِهِ وَرَضْفِ بِنَائِهِ عَلَى مَهْيَعِ كَلَامِهِمْ فَأَمَّا الْعَرَبُ أَهْلُ هَذَا الْجِيلِ الْمُسْتَعْجِلُونَ عَنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ مِنْ مُضَرَ فَيَقْرِضُونَ الشِّعْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي سَائِرِ الْأَعَارِضِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمُ الْمُشْتَعْرِبُونَ وَيَأْتُونَ مِنْهُ بِالْمُطَوَّلَاتِ مُشْتَبِلَةً عَلَى مَذَاهِبِ الشِّعْرِ وَأَغْرَاضِهِ مِنَ النَّسِيبِ وَالْمَدْحِ وَالرِّثَاءِ وَالْهَجَاءِ وَيَسْتَطْرِدُونَ فِي الْخُرُوجِ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ فِي الْكَلَامِ وَرُبَّمَا هَجَمُوا عَلَى الْمُقْصُودِ لِأَوَّلِ كَلَامِهِمْ وَأَكْثَرِ آيَتِدَائِهِمْ فِي قِصَائِدِهِمْ بِاسْمِ الشَّاعِرِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْسُبُونَ فَأَهْلُ أَمْصَارِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْعَرَبِ يُسَمُّونَ هَذِهِ الْقِصَائِدَ بِالْأَصْعِيَّاتِ نِسْبَةً إِلَى الْأَصْعَمِيِّ رَاوِيَةِ الْعَرَبِ فِي أَشْجَارِهِمْ وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَرَبِ يُسَمُّونَ هَذَا النَّوعَ مِنَ الشِّعْرِ بِالْدَوِيِّ وَرُبَّمَا يُلْحِنُونَ فِيهِ أَلْحَانًا بَسِيطَةً لَا عَلَى طَرِيقَةِ الصَّنَاعَةِ الْمَوْسِيقِيَّةِ ثُمَّ

يَعْتُونَ بِهِ وَيُسَمُّونَ الْغَنَاءَ بِهِ بِأَسْمِ الْخُورَانِي نِسْبَةً إِلَى خُورَانَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ  
وَالشَّامِ وَهِيَ مِنْ مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمَسَاكِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ . وَلَهُمْ فَنٌ آخَرٌ كَثِيرٌ  
الْتِدَاوُلِ فِي نَظْمِهِمْ يَجِئُونَ بِهِ مُعَصَّبًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ يُخَالَفُ آخِرُهَا الثَّلَاثَةَ فِي رَوِيهِ  
وَيَلْتَرِمُونَ الْقَافِيَةَ الرَّابِعَةَ فِي كُلِّ بَيْتٍ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ شَيْهًا بِالرُّبْعِ وَالْمُخَسَّسِ  
الَّذِي أَحَدُهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُؤَلَّدِينَ وَلِهَؤُلَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الشِّعْرِ بِلَاغَةٌ فَائِقَةٌ  
وَفِيهِمُ الْفُحُولُ وَالْمُتَأَخِّرُونَ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْمُتَحَلِّلِينَ لِلْعُلُومِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَخُصُوصًا عِلْمُ  
اللِّسَانِ يَسْتَكْرُ صَاحِبُهَا هَذِهِ الْفُنُونِ الَّتِي لَهُمْ إِذَا سَمِعَهَا وَيَمُجُّ نَظْمُهُمْ إِذَا أَتَشَدَّ وَيَعْتَقِدُ  
أَنَّ ذَوْقَهُ إِنَّمَا نَبَا عَنْهَا لِاسْتِهْجَانِهَا وَقَدْ دَانَ الْإِعْرَابُ مِنْهَا وَهَذَا إِنَّمَا أَتَى مِنْ قِدْدَانِ  
الْمَلَكَةِ فِي لَعْنِهِمْ فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ مَلَكَةٌ مِنْ مَلَكَاتِهِمْ لَشَهِدَ لَهُ طَبْعُهُ وَذَوْقُهُ بِبِلَاغَتِهَا  
إِنْ كَانَ سَلِيمًا مِنْ الْآفَاتِ فِي فِطْرَتِهِ وَنَظَرِهِ وَإِلَّا فَالْإِعْرَابُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْبِلَاغَةِ  
إِنَّمَا الْبِلَاغَةُ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَقْصُودِ وَلِمُقْتَضَى أَحْصَالِ مِنَ الْوُجُودِ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ  
الرَّفْعُ دَالًّا عَلَى الْفَاعِلِ وَالنَّصْبُ دَالًّا عَلَى الْمَفْعُولِ أَوْ بِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ  
قِرَائِنُ الْكَلَامِ كَمَا هُوَ فِي لَعْنِهِمْ هَذِهِ قَالِدَالَةُ بِحَسَبِ مَا يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَكَةِ  
فَإِذَا عُرِفَ أَصْطِلَاحُ فِي مَلَكَةٍ وَاسْتَشْهَرَ صَحَّتِ الدَّلَالَةُ وَإِذَا طَابَقَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ  
الْمَقْصُودَ وَمُقْتَضَى أَحْصَالِ صَحَّتِ الْبِلَاغَةُ وَلَا عِبْرَةَ بِقَوَائِنِ النُّحَاةِ فِي ذَلِكَ وَأَسَالِيبُ الشِّعْرِ  
وَفُنُونُهُ مَوْجُودَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ هَذِهِ مَا عَدَا حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ فِي آخِرِ الْكَلِمِ فَإِنْ  
غَالِبَ كَلِمَاتِهِمْ مَوْقُوفَةٌ الْآخِرِ وَيَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ  
بِقِرَائِنِ الْكَلَامِ لَا بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ .

( الموشحات والازجال للاندلس )

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشِّعْرُ فِي قُطْرِهِمْ وَتَهَدَّبَتْ مَنَاحِيهِ وَفُنُونُهُ وَبَلَغَ  
التَّنْمِيقُ فِيهِ الْغَايَةَ اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ فَنًّا مِنْهُ سَمَّوْهُ بِالْمَوْشَحِ يَنْظُمُونَهُ أَسْمَاطًا  
أَسْمَاطًا وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا يُكَثِّرُونَ مِنْ أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَيُسَمُّونَ الْمُتَعَدِّدَ مِنْهَا بَيِّنًا  
وَاحِدًا وَيَلْتَرِمُونَ عِنْدَ قَوَائِنِ تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْزَانِهَا مُسْتَلِيمًا فِينَا بَعْدُ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ  
وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي عَنْهُمْ إِلَى سَبْعَةِ آيَاتٍ وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ عَدَدُهَا  
بِحَسَبِ الْأَغْرَاسِ وَالْمَذَاهِبِ وَيَنْسَبُونَ فِيهَا وَيَمْدُحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ وَتَجَارُوا

في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة سهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معاذ القريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد الترواني وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب القيد ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر وكنت مؤسختهما فكان أول من برع في هذا الشأن عادة القزاز شاعر المعتصم ابن ضادح صاحب البرية

بدر تم . شمس ضحا غصن نقا . مسك شم

ما اتم ما اوضحا ما اورقا . ما اتم

لا جرم . من لحا قد عشقا . قد حرم

وزعموا أنه لم يسبقه وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس بأشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع مؤسخة وتأنق فيها فتقدم الأعمى الطليطي للإنشاد فلما افتتح مؤسخته المشهورة بقوله ضاحك عن جان . سافر عن ددر ضاق عنه الرمان . وحواه صدري صرف ابن بتي مؤسخته وتبعه الباقر وذكر الأعمى البطلبيوسي أنه سمع ابن زهير يقول ما حسدت قط وشاحا على قول إلا ابن بتي حين وقع له

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق وكان في عصرهما من المؤسحين المطبوعين أبو بكر الأبيض وكان في عصرهما أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس خذومه ابن تيفلويت صاحب مرقسطة فالتقى على بعض قينات مؤسخته جرير الدليل أيما جرير وصل الشكر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك لما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر لإمير العلأ أي بكر

فلما طرقت ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وختمت وحلف بالآيمان المنظفة لا ينشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب فحاف الحكيم سوء العاقبة فأجبال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه



وَذَكَرَ أَبُو الْحَطَّابِ بْنُ زُهَيْرٍ أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ زُهَيْرٍ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ الْأَبْيَضِ  
 الْوَشَّاحِ الْمُتَقَدِّمِ الَّذِي كَرِهَ قَعَصُ مِنْهُ بَعْضُ الْخَاضِرِينَ فَقَالَ كَيْفَ تَقْصُ عَنْ يَمْنٍ يَقُولُ  
 مَا لَذَّ لِي شَرَابُ رَاحٍ « عَلَى رِيَاضِ الْأَفَاحِ لَوْلَا هَضِيمُ الْوَشَّاحِ » إِنَّا أَنَا فِي الصَّبَاحِ  
 أَوْ فِي الْأَصِيلِ . أَضْعَى يَقُولُ مَا لِلشَّمُولِ . لَطَمْتُ خَدَيَّ  
 وَلَا شَمَالَ « هَبَّتْ فَتَالِي عُصْنُ اعْتِدَالٍ » ضَمَّةٌ بُرْدِي  
 مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا « يَمْشِي لَنَا مُسْتَقْبِيَا يَا لِحِلَّةِ رُدِّ نُوبَا . وَيَا لَمَاءِ الشَّيْبَا  
 بِرَدِّ غَلِيلِ « صَبَرِ عَالِيلِ لَا يَسْتَجِيلِ » فِيهِ عَنْ تَهْدِي  
 وَلَا يَزَالُ « فِي كُلِّ حَالِ يَرْجُو الْوِصَالِ » وَهُوَ فِي الصَّدِّ  
 وَاشْتَهَرَ بَعْدَ هَوْلَاءِ فِي صَدْرِ دَوْنَةِ الْمُوَحِّدِينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْأَنْظَلِ بْنِ شَرَفٍ قَالَ  
 الْحَسَنُ بْنُ دُونِدَةَ رَأَيْتُ حَاتِمَ بْنَ سَعِيدٍ عَلَى هَذَا الْإِفْتِيَا  
 شَمْسٌ قَارِبَتْ بَدْرًا رَاحٌ وَنَدِيمٌ

وابن بهرودس الذي له يا ليلة الوصل والسعود بالله عودي  
 وَأَبْنُ مُوَهَّلِ الَّذِي لَهُ . مَا الْعِيدُ فِي حُلَّةٍ وَطَاقٍ . وَشَمٌّ وَطِيبٌ . وَإِنَّمَا الْعِيدُ فِي التَّلَاقِ . مَعَ  
 الْحَلِيبِ . وَأَبُو إِسْحَاقَ الرُّومِيُّ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ سَبِغْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّهُ دَخَلَ  
 عَلَى ابْنِ زُهَيْرٍ وَقَدْ أَسَنَّ وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِحُصْنِ سَبْتَةَ فَلَمْ يَعْرِفْهُ  
 فَجَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ وَجَرَتْ الْمُخَاضِرَةُ فَأَنشَدَ لِنَفْسِهِ مُوشَعَةً وَقَعَ فِيهَا  
 كُحْلُ الدُّجَى يَجْرِي مِنْ مُقَلَّةِ النَّمَجِرِ « عَلَى الصَّبَاحِ  
 وَمِعْصَمُ النَّهْرِ » فِي حَالِ خُضْرٍ . مِنْ الْبَطَاحِ  
 فَتَحَرَكَ ابْنُ زُهَيْرٍ وَقَالَ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا قَالَ اخْتَبِرْ قَالَ وَمَنْ تَكُونُ فَعَرَفَهُ فَقَالَ أَرْتَفَعُ  
 فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَسَابِقُ الْحَلَبَةِ الَّذِي أَدْرَكَ هَوْلَاءِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زُهَيْرٍ  
 وَقَدْ شَرَّقَتْ مُوشَعَاتُهُ وَغَرَبَتْ قَالَ وَسَبِغْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قِيلَ لِابْنِ  
 زُهَيْرٍ لَوْ قِيلَ لَكَ مَا أَبْدَعَ وَأَرَفَعَ مَا وَقَعَ لَكَ فِي التَّوَشِيحِ قَالَ كُنْتُ أَقُولُ  
 مَا لِلْمَوَالِ مِنْ سَكْرِهِ لَا يُفِيقُ . يَا لَهُ سَكْرَانِ . مِنْ غَيْرِ خَمَرٍ . مَا لِلْكَتِيبِ الْمَشُوقِ . يَنْدُبُ الْإِطْلَاقِ  
 هَلْ تَسْتَعَاذُ . أَيَا مَنَا بِالْحَلِيجِ . وَلِيَا لِنَا  
 أَوْ نَسْتَفَادُ . مِنَ النِّسَمِ الْإِرِيحِ . مِنْكَ دَارِنَا

وَادِ يَكَادُ. حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحُ. اِنْ يُحْيَتَا

نَهْرٌ اِظْلَاهُ. دَوْحٌ عَلَيْهِ اَنْيَقُ. مُورِقٌ فَيْتَانُ. وَالْمَاءُ يَجْرِي. وَعَايِمٌ وَغَرِيقُ. مِنْ جَنَى الرَّيْحَانِ  
وَمِنْ مَخَاسِنِ الْمُوشَّحَاتِ لِلْمُتَأَخِّرِينَ مُوشَّحَةُ ابْنِ سَهْلٍ شَاعِرُ أَشْجَلِيَّةٍ وَسَبْتَةُ مِنْ  
بَعْدِهَا فَيَنْهَا قَوْلُهُ

هَلْ دَرَى ظَنِّي اِلْحَمَى اَنْ قَدْ حَتَى      قَلْبَ صَبٍ حَلَّهٖ عَنْ مَكَائِسَ  
فَهَوَ فِي نَارٍ وَخَفَقَ مِثْلَ مَا      لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَابِسِ

وَقَدْ لَسَجَ عَلَى مِنْوَالِهِ فِيهَا صَاحِبَتَا الْوَزِيرِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْخَطِيبِ شَاعِرُ الْأَنْدَلُسِ  
وَالْمَغْرِبِ لِعَصْرِهِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فَقَالَ

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى      يَازَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ  
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلْمًا      فِي الْكَرَى أَوْ خِلَاسَةِ الْمُخْتَلِسِ  
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْجَاتَ الْمُنَى      يَنْقُلُ الْخَطْوَ عَلَى مَا يَرْسُمُ  
زَمْرًا بَيْنَ فَرَادَى وَثَنَا      مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوُقُودَ الْمَوْسِمُ  
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّ الرُّوضُ سَنَى      فَتَقُورُ الرَّهْرِ فِيهِ تَبَسُّمُ  
وَرَوَى الْتَغْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّنَا      كَيْفَ يَرَوِي مَا لَكَ عَنْ أَنْسَرِ  
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمًا      يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ  
فِي لَيَالٍ كَتَمْتَ سِرَّ الْهَوَى      بِالْدُّجَى لَوْلَا سُحُوسُ الْغُرَى  
مَا لَ نَجْمُ الْكَأَسِ فِيهَا وَهَوَى      مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ  
وَطَرٌ مَا فِيهِ مِنْ غَيْبٍ سَوَى      أَنَّهُ مَرَّ كَكَلْبِ الْبَصْرِ  
حِينَ لَذَّ النَّوْمُ مِنَّا أَوْ كَمَا      هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الْخَرَسِ  
غَارَتْ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا      أَثَرَتْ فِينَا عُيُونُ الدَّرَجِسِ  
أَيُّ شَيْءٍ لَأَمْرِي قَدْ خُلَصَا      فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهِ  
تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ فِيهِ الْفُرَصَا      أَمِنَتْ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَقِيهِ  
فَإِذَا الْمَاءُ يُنَاجِي وَالْحَصَا      وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ  
تُبْصِرُ الْوَرْدَ غُورًا بِرَمَا      يَكْتَسِي مِنَ الْغَيْظِ مَا يَكْتَسِي  
وَتَرَى الْأَمْسَ لَيْسًا فِيمَا      يَسْرِقُ الدَّمْعُ بِأَذْنِي فَرَسِ

يَا أَهْلَ الْخَيْ مِنْ وَادِي الْقَضَا  
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْقَضَا  
فَاعِيدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى  
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا  
جَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا  
وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ  
قَمْرًا أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ  
سَاحِرُ الْمُقَلَّةِ مَعْدُولُ اللَّئِي  
سَدَّدَ السَّهْمَ فَأَصَبَى إِذْ رَمَى  
إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الْأَمَلُ  
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ  
أَمْرُهُ مُعْتَلٌ مُعْتَلٌ  
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَأَحْكَمَا  
يُنْصَفُ الْمَظْلُومُ يَمُنْ ظَلَمَا  
مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا  
كَانَ فِي الْأَرْحِ لَهُ مُكْتَبَا  
خَلَبَ الْهَمُّ لَهُ وَالْوَصَا  
لَا يَجُزُّ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا  
لَمْ يَدْعُ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا الدِّمَا  
سَلِمِي يَا نَفْسُ فِي حُكْمِ الْقَضَا  
وَأَتْرِكِي ذِكْرِي زَمَانٍ قَدْ مَضَى  
وَأَصْرِ فِي الْقَوْلِ إِلَى الْمَوْلَى الرِّضَى  
الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَمَى  
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا

وَبِقَلْبِي مَسْكِينٌ أَنْتُمْ بِهِ  
لَا أَبَايَ شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ  
تُنْتَذِرُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ  
يَتَلَاشَى زَنَسًا فِي نَفْسِ  
أَقْرَضُونَ خَرَابَ الْحَبْسِ  
بِأَحَادِيثِ اللَّئِي وَهُوَ بَعِيدُ  
شَقْوَةِ الْمَغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ  
فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ  
جَالٌ فِي النَّفْسِ مَجَالُ النَّفْسِ  
يَفُؤَادِي نَبْلَةُ الْمُقَاتِلِ  
وَقَوَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ  
لَيْسَ فِي الْحَبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبُ  
فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَّأَهَا وَقُلُوبُ  
لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضَعْفِ الْأَنْفُسِ  
وَيَجَازِي الْبَدَّ مِنْهَا وَالنَّسِي  
عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ  
قَوْلُهُ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ  
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَهْدُ  
فَهِيَ دَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَسْرِ  
كِبَاءُ الصُّبْحِ بَعْدَ الْفَلَسِ  
وَأَعْبَرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابُ  
بَيْنَ عُتْيٍ قَدْ تَقَطَّتْ وَعِتَابُ  
مُلْهُمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ  
أَسَدِ السَّرِجِ وَبَذَرِ الْمَجْلِسِ  
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ



وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَذْوَاقَ كُلَّهَا فِي مَعْرِفَةِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ لِمَنْ خَالَطَ تِلْكَ اللُّغَةَ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ لَهَا وَمُعَاطَبَتُهُ بَيْنَ أَجْيَالِهَا حَتَّى يُحْصَلَ مَلَكَتُهَا كَمَا قُلْنَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَلَا الْأَنْدَلِسِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَا الْمَغْرِبِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّ اللِّسَانَ الْخَضِرِيَّ وَتَوَاصِيَهُ مُخْتَلَفَةٌ فِيهِمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُدْرِكٌ لِبَلَاغَةِ لُغَتِهِ وَذَائِقٌ لِمَخَاسِنِ الشِّعْرِ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِ وَفِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاتِّخْلَافِ السِّنِّكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ آيَاتٌ وَقَدْ كِدْنَا نَخْرُجُ عَنِ الْغَرَضِ وَلِذَلِكَ عَزَمْنَا أَنْ نَقْضَ الْعِنَانَ عَنِ الْقَوْلِ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَمَا يَغْرُضُ فِيهِ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مِنْ مَسَائِلِهِ مَا حَسِبْنَاهُ كِفَايَةً وَلَعَلَّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا يَمُنُّ بِوَيْدِهِ اللَّهُ بِفِكْرِ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ مُبِينٍ يَغُوصُ مِنْ مَسَائِلِهِ عَلَى أَكْثَرِ مَا كَتَبْنَا فَلَيْسَ عَلَى مُسْتَظْطِ الْفَرْزِ إِحْصَاءُ مَسَائِلِهِ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ تَعْيِينُ مَوْضِعِ الْعِلْمِ وَتُنْوِيعُ فُصُولِهِ وَمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَالْمُتَأَخِّرُونَ يُلْحِقُونَ الْمَسَائِلَ مِنْ بَعْدِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ



قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه اتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب في مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعائة ثم نقحته بعد ذلك وهذبه والحقت به تاريخ الامم كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الا من عند الله العزيز الحكيم .

فهرست

مُتَقَاتِلَات

العلامة ابن حنبل دون

صفحة	صفحة
٥٢	٩ ( المقدمة )
٥٣	في فضل علم التاريخ وتحقيق
٥٧	مذاهبه والألماح لما يعرض
٥٩	للمؤرخين من المغالط وذكر شيء
٦٥	من أسبابها
٧١	٣٥ (الكتاب الاول)
٧٧	في طبيعة العمران في الخليفة وما
٨٠	يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب
٨٢	والكسب والمعاش والصنائع
	والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل
	والاسباب .
٨٦	( وفيه ستة أبواب )
	٤١ الباب الاول من الكتاب الاول
	في العمران البشري على الجملة وفيه
	مقدمات
	المقدمة الاولى في ان الاجتماع
	الانساني ضروري
٩١	٤٤ المقدمة الثانية في قسط العمران من
	الارض والاشارة الى بعض ما فيه
	من الاشجار والانهار والاقاليم
٩٥	٤٩ تكملة لهذه المقدمة الثانية في ان
	الربع الشمالي من الارض اكثر
	عمرانا من الربع الجنوبي وذكر
	السبب في ذلك
١٢٠	الباب الثاني من الكتاب الاول
	تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا
	الاقليم الاول
	الاقليم الثاني
	الاقليم الثالث
	الاقليم الرابع
	الاقليم الخامس
	الاقليم السادس
	الاقليم السابع
	المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم
	والمنحرف وتأثير الهواء في الوان
	البشر والكثير من احوالهم
	المقدمة الرابعة في أثر الهواء في اخلاق
	البشر
	المقدمة الخامسة في اختلاف احوال
	العمران في الحصب والجوع وما ينشأ
	عن ذلك من الآثار في أبدان البشر
	وأخلاقهم
	المقدمة السادسة في أصناف المدركين
	من البشر بالفطرة او الرياضة
	ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا
	حقيقة النبوة والكهانة والرؤيا
	وشأن العرافين وغير ذلك من
	مدارك الغيب



صفحة	صفحة
١٣٠ الفصل العاشر في اختلاط الانساب كيف يقع	في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه فصول وتمهيدات
١٣١ الفصل الحادي عشر في أن الرياسة لا تزال في نصابها الخصوص من أهل العصية	١٢٠ الفصل الاول في ان أجيال البدو والحضر طبيعية
١٣٢ الفصل الثاني عشر في أن الرياسة على أهل العصية لا تكون في غير نسبهم	١٢١ الثاني في أن جيل العرب في الحلقة طبيعي
١٣٤ الفصل الثالث عشر في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لأهل العصية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه .	١٢٢ الفصل الثاني في أن البدو من الحضر وسابق عليه وان البادية اقدم اصل العمران والامصار مدد لها
١٣٥ الفصل الرابع عشر في أن البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بأنسابهم	١٢٣ الفصل الرابع في ان اصل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر
١٣٦ الفصل الخامس عشر في أن نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آباء	١٢٥ الفصل الخامس في أن اصل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر
١٣٨ الفصل السادس عشر في أن الامم الوحشية اقدر على التغلب ممن سواها	الفصل السادس في أن معاناة أهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم
١٣٩ الفصل السابع عشر في أن الغاية التي تجري اليها العصية هي الملك	١٢٧ الفصل السابع في أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصية
١٤٠ الفصل الثامن عشر في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل	١٢٨ الفصل الثامن في أن العصية انما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه
	١٢٩ الفصل التاسع في أن الصريح من اللب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في مقام

صفحة	صفحة
١٥١	في النعيم
الفصل السابع والعشرون في أن	١٤١ الفصل التاسع عشر في أن من عوائق
العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة	الملك المذلة للقييل والانتقياد الى
دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم	سوام
من الدين على الجملة	١٤٢ الفصل العشرون في أن من علامات
الفصل الثامن والعشرون في أن	الملك التنافس في الحلال الحميدة
العرب أبعد الامم عن مياسة الملك	وبالعكس
١٥٣ الفصل التاسع والعشرون في أن	١٤٥ الفصل الحادي والعشرون في أنه
البوادي من القبائل والعصائب	إذا كانت الامة وحشية كان ملكها
مغلوبون لاهل الامصار	أوسع
١٥٤ الباب الثالث من الكتاب الاول	الفصل الثاني والعشرون في أن
في الدولة العامة والملك والحلافة	الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب
والمراتب السلطانية وما يعرض في	من امة فلا بد من عوده الى شعب
ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد	آخر منها ما دامت لهم العvisية
ومتميات	١٤٧ الفصل الثالث والعشرون في أن
الفصل الاول في أن الملك والدولة	المغلوب مولع أبداً بالاعتداء
العامة انما يحصلان بالقييل والعvisية	بالغالب في شعاره وزيه ونخلته
١٥٦ الفصل الثاني في أنه إذا استقرت	وسائر أحواله وعوائده
الدولة وتمهدت فقد تستغني عن	١٤٨ الفصل الرابع والعشرون في أن
العvisية	الامة إذا غلبت وصارت في ملك
الفصل الثالث في أنه قد يحدث	غيرها أسرع اليها الفناء
لبعض أهل النصاب الملكي دولة	١٤٩ الفصل الخامس والعشرون في أن
تستغني عن العvisية	العرب لا يتغلبون الا على البسائط
١٥٧ الفصل الرابع في أن الدولة العامة	... الفصل السادس والعشرون في أن
الاستيلاء العvisية الملك أصلها الدين	العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع
إما من نبوة أو دعوة حق	اليها الخراب
١٥٨ الفصل الخامس في أن الدعوة	

صفحة	صفحة
١٧٢ الفصل الخامس عشر في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة	الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها
١٧٤ الفصل السادس عشر في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها	١٥٩ الفصل السادس في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم
١٧٥ الفصل السابع عشر في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار	١٦١ الفصل السابع في ان كل دولة لها حصة من الممالك والارطان لا تزيد عليها
١٧٧ الفصل الثامن عشر في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها	١٦٣ الفصل الثامن في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدتها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة
١٨٣ الفصل التاسع عشر في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبية بالموالي والمصطنعين	١٦٤ الفصل التاسع في ان الارطان الكبيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة
١٨٤ الفصل العشرون في احوال الموالي والمصطنعين في الدول	١٦٦ الفصل العاشر في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد
١٨٥ الفصل الحادي والعشرون فيما يعرض في الدول من حجب السلطان والامتداد عليه	١٦٧ الفصل الحادي عشر في ان من طبيعة الملك الترف
١٨٦ الفصل الثاني والعشرون في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك	... الفصل الثاني عشر في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون
١٨٧ الفصل الثالث والعشرون في حقيقة الملك واصنافه	١٦٨ الفصل الثالث عشر في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم
١٨٨ الفصل الرابع والعشرون في ان ارهاق الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر	١٧٠ الفصل الرابع عشر في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص
١٩٠ الفصل الخامس والعشرون في معنى	



صفحة	صفحة
التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول	الخلافة والامامة
٢٥٧ الفصل السادس والثلاثون في شارات الملك والسلطان الخاصة به	١٩١ الفصل السادس والعشرون في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه
٢٦٠ السرير والمنبر والتخت والكرسي السكة	١٩٦ الفصل السابع والعشرون في مذاهب الشيعة في حكم الامامة
٢٦٤ الخاتم	٢٠٢ الفصل الثامن والعشرون في انقلاب الخلافة الى الملك
٢٦٦ الطراز	٢٠٩ الفصل التاسع والعشرون في معنى البيعة
٢٦٨ الفساطيط والسياج	٢١٠ الفصل الثلاثون في ولاية العهد
٢٦٩ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة	٢١٨ الفصل الحادي والثلاثون في الخطط الدينية الخلافية
٢٧٠ الفصل السابع والثلاثون في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها	٢٢٧ الفصل الثاني والثلاثون في اللقب بامير المؤمنين وانه من مبات الخلافة وهو يحدث منذ عهد الخلفاء
٢٧٩ الفصل الثامن والثلاثون في الجباية وسبب قتلها وكثرتها	٢٣٠ الفصل الثالث والثلاثون في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود
٢٨٠ الفصل التاسع والثلاثون في ضرب المكوس او اخر الدولة	٢٣٥ الفصل الرابع والثلاثون في مراتب الملك والسلطان والقابها
٢٨١ الفصل الاربعون في التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجباية	٢٤٣ ديوان الاعمال والجبايات
٣٨٣ الفصل الواحد والاربعون في ان ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة	٢٤٦ ديوان الرسائل والكتابة
٣٨٦ الفصل الثاني والاربعون في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية	٢٥٢ قيادة الاساطيل ( وهي سفائن الحرب )
... الفصل الثالث والاربعون في ان	٢٥٧ الفصل الخامس والثلاثون في

صفحة	صفحة
الدول والامم وفيه الكلام على	الظلم مؤذن بخراب العمران
الملاحم والكشف عن مسمى الجفر	٢٩٠ الفصل الرابع والاربعون في ان
٣٤٢ الباب الرابع من الكتاب الاول في	الحجاب كيف يقع في الدول وأنه
البلدان والامصار وماثر العمران	يعظم عند الهرم
وما يعرض في ذلك من الاحوال	٢٩٢ الفصل الخامس والاربعون في ان
وفيه سوابق ولواحق	انقسام الدولة الواحدة بدولتين
الفصل الاول في ان الدول أقدم من	٢٩٣ الفصل السادس والاربعون في ان
المدن والامصار وانها إنما توجد	الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع
ثانية عن الملك	٢٩٤ الفصل السابع والاربعون في كيفية
٣٤٤ الفصل الثاني في أن الملك يدعو إلى	طروق الحلل للدولة
نزول الامصار	٢٩٧ الفصل الثامن والاربعون في حدوث
الفصل الثالث في أن المدن العظيمة	الدولة وتجدها كيف يقع
والها كل المرتفعة إنما يشيدها الملك	الفصل التاسع والاربعون في ان
الكثير	الدولة المستجدة إنما تستولي على
٣٤٦ الفصل الرابع في أن الهياكل	الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة
العظيمة جداً لا تستقل بيناتها الدولة	٣٠١ الفصل الخمسون في وفور العمران
الواحدة	آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة
٣٤٧ الفصل الخامس فيما تجب مراعاته في	الموتان والمجاعات
اوضاع المدن وما يحدث إذا غفل	٣٠٢ الفصل الحادي والخمسون في أن
عن المراجعة	العمران البشري لا بد له من سياسة
٣٤٩ الفصل السادس في المساجد والبيوت	ينتظم بها أمره
العظيمة في العالم	٣١١ الفصل الثاني والخمسون في أمر
٣٥٧ الفصل السابع في أن المدن والامصار	الفاطمي وما يذهب اليه الناس في
بافريقية والمغرب قليلة	شأنه وكشف الغطاء عن ذلك
٣٥٨ الفصل الثامن في أن المباني والمصانع	٣٢٠ الفصل الثالث والخمسون في ابتداء

صفحة	صفحة
في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها	في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى من كان قبلها من الدول
٣٧١ الفصل الثامن عشر في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده	٣٥٩ الفصل التاسع في أن المباني التي كانت تخططها العرب يسرع اليها الخراب في الاقل
٣٧٤ الفصل التاسع عشر في أن الامصار التي تكون كرامي للملك تخرب بخراب الدولة وانقراضها	الفصل العاشر في مبادئ الخراب في الامصار
٣٧٦ الفصل العشرون في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون البعض	٣٦٠ الفصل الحادي عشر في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها وتفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة
٣٧٧ الفصل الحادي والعشرون في وجود العصية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض	٣٦٢ الفصل الثاني عشر في اسعار المدن
٣٧٩ الفصل الثاني والعشرون في لغات أهل الامصار	٣٦٤ الفصل الثالث عشر في قصور أهل البادية عن سكنى الممر الكثير العمران
٣٨٠ الباب الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل	٣٠٥ الفصل الرابع عشر في أن الاقطار في اختلاف احوالها بالرفق والفقر مثل الامصار
الفصل الاول في حقيقة الرزق والكسب وشرحها وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية	٣٦٧ الفصل الخامس عشر في تأثر العقار والضياح في الامصار وفوائدها ومستغلاتها
٣٨٢ الفصل الثاني في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه	٣٦٨ الفصل السادس عشر في حاجات المتولين من أهل الامصار إلى الجاء والمدافعة
	الفصل السابع عشر في أن الحضارة



صفحة	صفحة
٣٨٣ الفصل الثالث في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي	٣٩٦ الفصل الثاني عشر في نقل التاجر للسلع
٣٨٤ الفصل الرابع في ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي	٣٩٧ الفصل الثالث عشر في الاحتكار
٣٨٩ الفصل الخامس في الجاه مفيد للمال	٣٩٨ الفصل الرابع عشر في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص
٣٩٠ الفصل السادس في ان السعادة والكسب انما يحصل غالبا لاهل الخضوع والتعلق وان هذا الخلق من اسباب السعادة	٣٩٩ الفصل الخامس عشر ان خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة
٣٩٣ الفصل السابع في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب	٤٠٠ الفصل السابع عشر في ان الصنائع انما تكمل بكمال العبران الحضري وكثرته
٣٩٤ الفصل الثامن في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو	٤٠١ الفصل الثامن عشر في أن رسوم الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها
الفصل التاسع في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها	٤٠٣ الفصل التاسع عشر في ان الصنائع انما تستجد وتكثر إذا كثر طالبها
٣٩٥ الفصل العاشر في أي اصناف الناس يحترف بالتجارة واهم ينبغي له اجتناب حرفها	الفصل العشرون في ان الامصار اذا قاربت الحراب انتقصت منها الصنائع
الفصل الحادي عشر في أن خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك	٤٠٤ الفصل الحادي والعشرون في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع
	٤٠٥ الفصل الثاني والعشرون فيمن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان

صفحة	صفحة
٤٢٩ الباب السادس من الكتاب الاول	يجيد بعدها ملكة أخرى
في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه	٤٠٥ الفصل الثالث والعشرون في
وسائر وجوهه وما يعرض من	الإشارة الى امهات الصنائع
ذلك كله من الاحوال وفيه	٤٠٦ الفصل الثالث والعشرون في صناعة
مقدمة ولو أحق	الفلاحة
الفصل الاول في أن العلم والتعليم	الفصل الخامس والعشرون في
طبيعي في العمران البشري	صناعة البناء
٤٣٠ الفصل الثاني في أن التعليم للعلم من	٤١٠ الفصل السادس والعشرون في
جملة الصنائع	صناعة النجار
٤٣٤ الفصل الثالث في ان العلوم انما	٤١١ الفصل السابع والعشرون في صناعة
تكثر حيث يكثر العمران وتعمم	الحياكة والخياطة
الحضارة	٤١٢ الفصل الثامن والعشرون في
٤٣٥ الفصل الرابع في اصناف العلوم	صناعة التوكيد
الواقعة في العمران لهذا العهد	٤١٥ الفصل التاسع والعشرون في صناعة
٤٣٧ الفصل الخامس في علوم القرآن	الطب وانها محتاج اليها في الحواضر
من التفسير والقراآت	والامصار دون البادية
٤٤٠ الفصل السادس في علوم الحديث	٤١٧ الفصل الثلاثون في ان الخط
٤٤٥ الفصل السابع في علم الفقه وما يتبعه	والكتابة من عداد الصنائع
من الفرائض	الانسانية
٤٥١ الفصل الثامن في علم الفرائض	٤٢١ الفصل الحادي والثلاثون في صناعة
٤٥٢ الفصل التاسع في اصول الفقه	الوراقنة
وما يتعلق به من الجدل والخلافات	٤٢٣ الفصل الثاني والثلاثون في
٤٥٨ الفصل العاشر في علم الكلام	صناعة الغناء
٤٦٧ الفصل الحادي عشر في علم التصوف	٤٢٨ الفصل الثالث والثلاثون في ان
٤٧٥ الفصل الثاني عشر في علم تعبير الرؤيا	الصنائع تكسب صاحبها عقلا
٤٨٧ الفصل الثالث عشر في العلوم	وخصوصاً الكتابة والحساب

صحيفة	صحيفة
٥٣٢ الفصل الثامن والعشرون في ان كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم	العقلية وأصنافها
٥٣٣ الفصل التاسع والعشرون في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته	٤٨٢ الفصل الرابع عشر في العلوم العددية
٥٣٦ الفصل الثلاثون في ان العلوم الالهية توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل	٤٧٥ الفصل الخامس عشر في العلوم الهندسية
٥٣٧ الفصل الواحد والثلاثون في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طريقه	٤٧٧ الفصل السادس عشر في علم الهيئة
٤٠٠ الفصل الثاني والثلاثون في ان الشدة على المتعلمين مضره بهم	٤٨٩ الفصل السابع عشر في علم المنطق
٥٤١ الفصل الثالث والثلاثون في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم	٤٩٢ الفصل الثامن عشر في علم الطبيعيات
٥٤٢ الفصل الرابع والثلاثون في ان العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها	٤٩٣ الفصل التاسع عشر في علم الطب
٤٣٠ الفصل الخامس والثلاثون في ان حجة العلم في الاسلام اكثرهم العجم	٤٩٤ الفصل العشرون في الفلاحة
٥٤٠ الفصل السادس والثلاثون في علوم اللسان العربي	٤٩٥ الفصل الحادي والعشرون في علم الآلهيات
٤٦٠ علم النحو	٤٩٦ الفصل الثاني والعشرون في علوم السحر والطلسمات
٤٨٠ علم اللغة	٥٠٤ الفصل الثالث والعشرون في علم الكيمياء
	٥١٤ الفصل الرابع والعشرون في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها
	٥١٩ الفصل الخامس والعشرون في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها
	٥٢٤ الفصل السادس والعشرون في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاصد عن انتحالها
	٥٣١ الفصل السابع والعشرون في أن كثرة التأليف في العلوم عائقه عن التحصيل



صحيفة	صحيفة
اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن	٥٥٠ علم البيان
كان منهم أبعد عن اللسان العربي	٥٥٣ علم الادب
كان حصولها له أصعب وأعسر	٥٥٤ الفصل السابع والثلاثون في ان اللغة
٥٦٦ الفصل الرابع والاربعون في انقسام	ملكة صناعة
الكلام إلى فني النظم والنثر	٥٥٥ الفصل الثامن والثلاثون في ان لغة
٥٦٨ الفصل الخامس والاربعون في انه	العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة
لا تتفق الاجادة في فني المنظوم	لغة مضر وحمير
والمشور معاً إلا للاقل	٥٥٨ الفصل التاسع والثلاثون في ان لغة
٥٦٩ الفصل السادس والاربعون في صناعة	اهل الحضر والامصار قائمة بنفسها
الشعر ووجه تعلمه	مخالفة للغة مضر
٥٧٧ الفصل السابع والاربعون في أن	٥٥٩ الفصل الاربعون في تعليم اللسان
صناعة النظم والنثر انما هي في	المضري
الالفاظ لا في المعاني .	٥٦٠ الفصل الحادي والاربعون في ان
٥٧٨ الفصل الثامن والاربعون في أن	ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية
حصل هذه الملكة بكثرة الحفظ	ومستغنية عنها في التعليم
وجودتها بجودة المحفوظ	٥٦٢ الفصل الثاني والاربعون في تفسير
٥٨٠ الفصل التاسع والاربعون في	الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق
ترفع اهل المراتب عن انتحال	معناه وبيان انه لا يحصل غالباً
الشعر	للمستعربين من العجم
٥٨٢ الفصل الخمسون في اشعار العرب	٥٦٤ للفصل الثالث والاربعون في ان
واهل الامصار لهذا العهد	اهل الامصار على الاطلاق
٥٨٣ الموشحات والازجال للاندلس	قاصرون في تحصيل هذه الملكة







مطبعة الكشاف بيروت